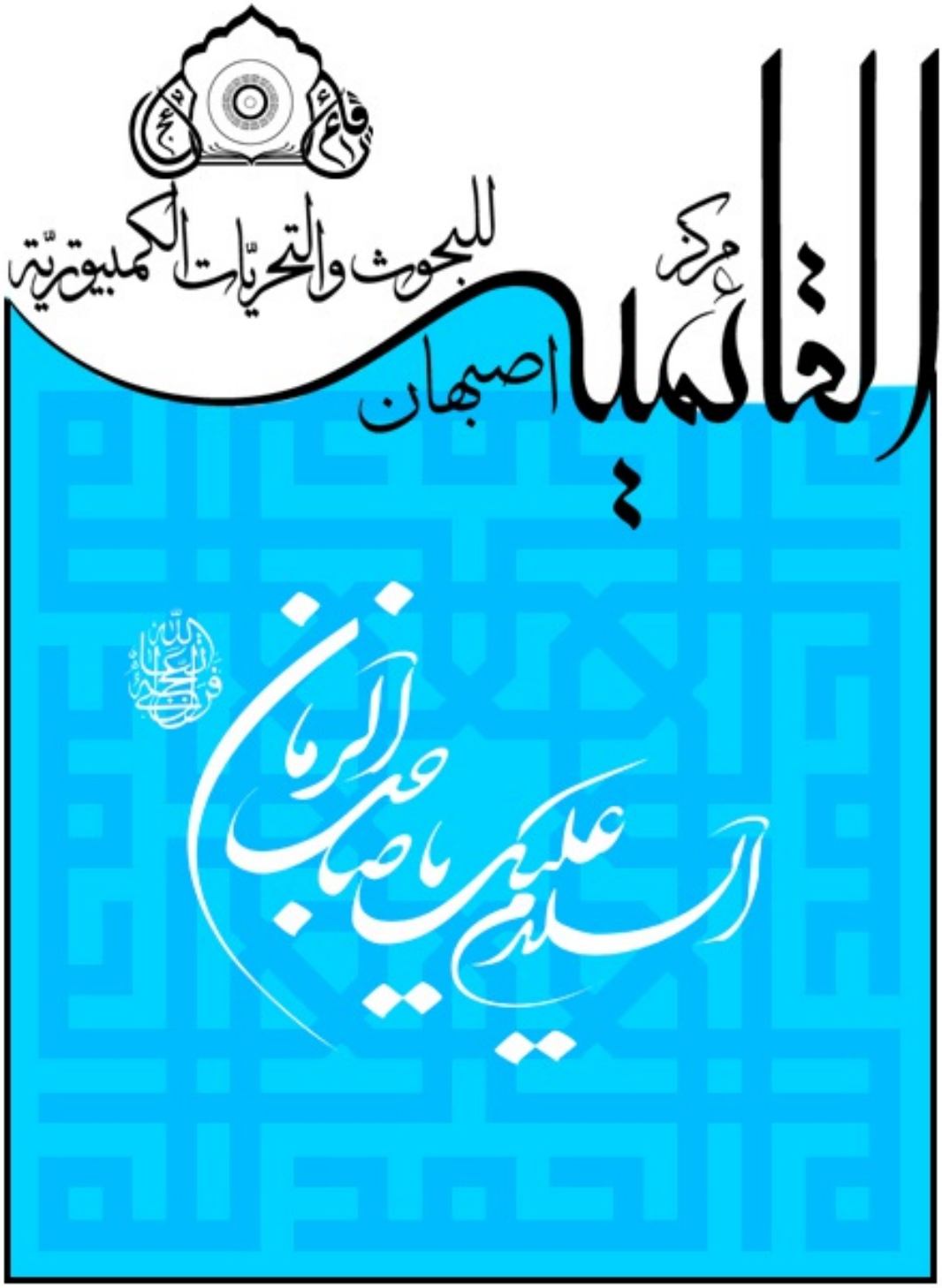

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

حسن المحاضرة
في أخبار مصر والقاهرة

تأليف
الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي
المتوفى سنة ٩١١ هـ

وضع حواشيه
خليل المنصور

المجلد ٢-١

دار الكتب العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

حسن المحاضرة فی اخبار مصر و القاهرة

كاتب:

جلال الدين عبدالرحمن بن ابی بكر سيوطی

نشرت فی الطباعة:

دارالكتب العلمية

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة ----- ۱۶
اشارة ----- ۱۶
[الجزء الاول] ----- ۱۶
اشارة ----- ۱۶
التعریف بالمؤلّف ----- ۱۶
التعریف بکتاب حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة ----- ۱۷
مقدمة المؤلّف ----- ۱۷
ذکر المواضع التی وقع فیها ذکر مصر فی القرآن صریحا أو کنایة ----- ۱۸
اشارة ----- ۱۸
لطیفة ----- ۲۰
فائدة ----- ۲۰
ذکر الآثار التی ورد فیها ذکر مصر ----- ۲۰
فصل فی آثار موقوفة ----- ۲۳
فصل فی آثار أوردها المؤلفون فی أخبار مصر ----- ۲۴
ذکر إقلیم مصر ----- ۲۵
ذکر من نزل مصر من أولاد آدم علیه الصلاة و السلام ----- ۲۸
ذکر من ملک مصر قبل الطوفان ----- ۲۹
ذکر من ملک مصر بعد الطوفان ----- ۳۰
ذکر من دخل مصر من الأنبیاء علیهم الصلاة و السلام ----- ۳۸
ذکر من کان بمصر من الصدیقین کماشطة ابنة فرعون، و ابنها، و مؤمن آل فرعون ----- ۴۰
ذکر السحرة الذین آمنوا بموسی علیه الصلاة و السلام ----- ۴۰
ذکر من کان بمصر من الحکماء فی الدهر الأوّل ----- ۴۱

ذکر قتل عوج بمصر ----- ۴۲
ذکر عجائب مصر القدیمة ----- ۴۳
ذکر الأهرام ----- ۴۵
ذکر ما قیل فی الهرمین اللذین فی الجیزة من الأشعار ----- ۴۹
ذکر بناء الإسکندریة ----- ۵۱
ذکر منارة الإسکندریة و بقیّة عجائبها ----- ۵۳
ذکر دخول عمرو بن العاص مصر فی الجاهلیة ----- ۵۵
ذکر کتاب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم إلی المقوقس ----- ۵۶
ذکر بعث أبی بکر الصدیق رضی اللّه عنه حاطبا إلی المقوقس ----- ۵۹
ذکر فتح مصر فی خلافة عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه ----- ۵۹
ذکر الخلاف بین العلماء فی مصر: هل فتحت صلحا أو عنوة؟ ----- ۶۷
فصل فی فتح مصر ----- ۶۸
ذکر الخطط ----- ۶۹
ذکر بناء المسجد الجامع ----- ۷۰
ذکر الدار التی بنیت لعمر بن الخطاب رضی اللّه عنه فأمر بجعلها سوقا ----- ۷۱
ذکر أوّل من بنی بمصر غرفة ----- ۷۱
ذکر حمّام الفأر ----- ۷۱
ذکر اختطاط الجیزة ----- ۷۱
ذکر المقطّم ----- ۷۲
اشارة ----- ۷۲
فصل ----- ۷۳
ذکر جبل یشکر ----- ۷۴
ذکر فتوح الفیّوم ----- ۷۴
ذکر فتح برقة و النّوبة ----- ۷۵

ذکر الجزیة ----- ۷۵
ذکر المکس علی أهل الذمة ----- ۷۸
ذکر القطائع ----- ۷۸
ذکر مرتبع الجند ----- ۷۸
ذکر نهی الجند عن الزرع ----- ۷۹
ذکر حفر خلیج أمیر المؤمنین ----- ۷۹
ذکر انتقاض عهد الإسکندریة و سببه ----- ۸۱
ذکر رابطة الإسکندریة ----- ۸۲
ذکر وسیم ----- ۸۳
ذکر ما یقع بمصر قرب الساعة ----- ۸۳
ذکر من دخل مصر من الصحابة رضی اللّه عنهم ----- ۸۴
درّ السحابة فیمن دخل مصر من الصحابة ----- ۸۴
اشارة ----- ۸۴
حرف الهمزة ----- ۸۴
حرف الباء ----- ۸۷
حرف التاء ----- ۸۸
حرف الثاء ----- ۸۹
حرف الجیم ----- ۹۰
حرف الحاء ----- ۹۳
حرف الخاء ----- ۹۵
حرف الدال ----- ۹۶
حرف الذال ----- ۹۷
حرف الراء ----- ۹۷
حرف الزای ----- ۹۸

حرف السین ----- ۹۹
حرف الشین ----- ۱۰۱
حرف الصاد ----- ۱۰۲
حرف الضاد ----- ۱۰۲
حرف العین ----- ۱۰۲
حرف الغین ----- ۱۰۸
حرف الفاء ----- ۱۰۸
حرف القاف ----- ۱۰۸
حرف الکاف ----- ۱۰۹
حرف اللام ----- ۱۱۰
حرف المیم ----- ۱۱۰
حرف النون ----- ۱۱۴
حرف الهاء ----- ۱۱۴
حرف الواو ----- ۱۱۴
حرف لا ----- ۱۱۵
حرف الیاء ----- ۱۱۵
باب الکنی ----- ۱۱۵
باب المبهمات ----- ۱۱۹
باب النساء ----- ۱۱۹
تنبیه ----- ۱۲۰
خاتمة ----- ۱۲۰
ذکر من کان بمصر من مشاهیر التابعین الذین رووا الحدیث ----- ۱۲۰
و من صغار التابعین طبقة قتادة و الزّهریّ ----- ۱۲۴
طبقة أخری أصغر من التی قبلها و هی طبقة الأعمش و أبی حنیفة ----- ۱۲۶

ذكر مشاهير أتباع التابعين الذى خرّج لهم أصحاب الكتب الستة من أهل مصر ----- ۱۲۹
اشارة ----- ۱۲۹
طبقة تلى هذه ----- ۱۳۱
طبقة تلى هذه ----- ۱۳۴
من كان بمصر من الأئمة المجتهدين ----- ۱۳۶
ذكر من كان بمصر من حفّاظ الحديث ----- ۱۵۹
ذكر من كان بمصر من المحدّثين الذين لم يبلغوا درجة الحفظ و المنفردين بعلوّ الإسناد ----- ۱۶۹
ذكر من كان بمصر من الفقهاء الشافعية ----- ۱۸۲
ذكر من كان بمصر من الفقهاء المالكية ----- ۲۰۳
ذكر من كان بمصر من الفقهاء الحنفية ----- ۲۱۰
ذكر من كان بمصر من أئمة الفقهاء الحنابلة ----- ۲۱۸
ذكر من كان بمصر من أئمة القراءات ----- ۲۲۰
ذكر من كان بمصر من الصلحاء و الزهّاد و الصوفية ----- ۲۳۱
ذكر من كان بمصر من أئمة النحو و اللغة ----- ۲۴۰
ذكر من كان بمصر من أرباب المعقولات و علوم الأوائل و الحكماء و الأطباء و المنجمين ----- ۲۴۴
ذكر من كان بمصر من الوعّاظ و القصاص ----- ۲۴۹
ذكر من كان بمصر من المؤرخين ----- ۲۵۰
ذكر من كان بمصر من الشعراء و الأدباء ----- ۲۵۲
الفهرس ----- ۲۶۱
[الجزء الثانى] ----- ۲۶۴
اشارة ----- ۲۶۴
ذكر أمراء مصر من حين فتحت إلى أن ملكها بنو عبيد ----- ۲۶۴
ذكر أمراء مصر من بنى عبيد ----- ۲۷۳
ذكر أمراء مصر من حين ملكها بنو أيوب إلى أن اتخذها الخلفاء العباسيون دار الخلافة ----- ۲۷۸

کتاب تقلید الخلیفة لصلاح الدین ۲۸۰
اشارة ۲۸۰
صلاح الدین فی مصر ۲۸۵
صلاح الدین و الفرنج ۲۸۵
صفات صلاح الدین و وفاته ۲۸۶
*** [مصر بین العزیز و المنصور و الأفضل و العادل] ۲۸۷
[الفرنج فی دمیاط] ۲۸۸
*** [الملک العادل سیف الدین أبو بکر، ثمّ الملک الصالح نجم الدین أیوب] ۲۹۳
[هجوم الفرنج و وفاة الملک الصالح] ۲۹۳
[شجرة الدر] ۲۹۴
[الملک المعزّ عز الدین أیبک الجاشنکیر الترکمانی] ۲۹۵
[الملک المظفر سیف الدین قطز] ۲۹۵
[أرجوزة الجزّار فی الأمراء المصریة] ۲۹۶
[ذکر من قام بمصر من الخلفاء العباسیین] ۲۹۹
اشارة ۲۹۹
*** فصل ۳۲۰
ذکر سلاطین مصر الذین فوض إلیهم خلفاء مصر العبّاسیون فاستبدوا بالأمر دونهم ۳۲۱
ذکر الفرق بین الخلافة و الملک و السلطنة من حیث الشرع ۳۳۵
*** ذکر من یطلق علیه السلطنة من حیث المصطلح ۳۳۵
*** ذکر ما یلقب به ملک مصر ۳۳۵
ذکر جلوس السلطان فی دار العدل للمظالم ۳۳۶
ذکر عساکر مملکة مصر ۳۳۶
ذکر أرباب الوظائف فی هذه المملکة ۳۳۶
ذکر قضاة مصر ۳۳۸

اشارة ----- ۳۳۸
الدولة المصرية ----- ۳۵۸
ذكر قضاة الحنفية ----- ۳۶۰
ذكر قضاة المالكية ----- ۳۶۲
ذكر قضاة الحنابلة ----- ۳۶۴
ذكر وزراء مصر ----- ۳۶۴
ذكر كتاب السر ----- ۳۸۲
ذكر جوامع مصر ----- ۳۸۵
اشارة ----- ۳۸۵
جامع عمرو ----- ۳۸۶
جامع أحمد بن طولون ----- ۳۸۹
الجامع الأزهر ----- ۳۹۱
جامع الحاكم ----- ۳۹۱
ذكر أمّهات المدارس و الخانقاه العظيمة بالديار المصرية ----- ۳۹۲
اشارة ----- ۳۹۲
ذكر المدرسة الصلاحية ----- ۳۹۲
خانقاه سعيد السعداء ----- ۳۹۳
المدرسة الكاملية ----- ۳۹۴
المدرسة الصالحية ----- ۳۹۴
المدرسة الظاهرية القديمة ----- ۳۹۵
المدرسة المنصورية ----- ۳۹۵
المدرسة الناصرية ----- ۳۹۵
الخانقاه البيبرسية ----- ۳۹۵
خانقاه قوصون بالقرافة ----- ۳۹۶

خانقاه شیخو ----- ۳۹۶
*** مدرسة صرغتمش ----- ۳۹۷
مدرسة السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ----- ۳۹۷
المدرسة الظاهریة ----- ۳۹۸
المدرسة المؤیّدیة ----- ۳۹۸
رباط الآثار ----- ۳۹۹
ذکر الحوادث الغریبة الکائنة بمصر فی ملّة الإسلام من غلاء و وباء و زلازل و آیات و غیر ذلک ----- ۳۹۹
ذکر الطریق المسلوک من مصر إلی مکّة شرّفها اللّه تعالی ----- ۴۱۶
ذکر قدوم المبشّر سابقا یخبر بسلامة الحاج ----- ۴۱۶
ذکر حمائم الرسائل ----- ۴۱۷
ذکر عادة المملکة فی الخلع و الزیّ ----- ۴۲۰
ذکر عادة السلطان فی الکتابة علی التقالید ----- ۴۲۰
ذکر معاملة مصر ----- ۴۲۱
ذکر کوکب الذنب ----- ۴۲۱
ذکر بقیة لطائف مصر ----- ۴۲۱
السبب فی کون أهل مصر أذلاء یحملون الضیم ----- ۴۲۷
ذکر النیل ----- ۴۲۸
اشارة ----- ۴۲۸
أثر متصل الإسناد فی أمر النیل ----- ۴۳۰
ذکر مزایا النیل ----- ۴۳۵
ذکر ما قیل فی النیل من الأشعار ----- ۴۳۶
ذکر البشارة بوفاء النیل ----- ۴۴۱
ذکر المقیاس ----- ۴۴۴
ذکر جزیرة مصر و هی المسمّاة الآن بالروضة ----- ۴۴۵

ذکر خلیج مصر ---- ۴۵۰
ذکر الخلیج الناصریّ ---- ۴۵۱
ذکر برکة الحبش ---- ۴۵۱
ذکر الریاحین و الأزهار الموجودة فی البلاد المصریة و ما ورد فیها من الآثار النبویة و الأشعار الأدبیة و الإشارات الصوفیة ---- ۴۵۷
ما ورد فی الفاغیة ---- ۴۵۷
*** ما ورد فی الورد ---- ۴۵۷
ما ورد فی النرجس ---- ۴۶۱
ما ورد فی البنفسج ---- ۴۶۲
ما قیل فی النّیلوفر ---- ۴۶۳
البشنین ---- ۴۶۵
ما ورد فی الآس ---- ۴۶۵
ما ورد فی الریحان، و هو الحبق ---- ۴۶۶
ما قیل فی المنثور، و هو الخیریّ ---- ۴۶۸
ما قیل فی الیاسمین ---- ۴۶۸
ما قیل فی النّسرین ---- ۴۶۹
ما قیل فی الأقحوان ---- ۴۷۰
ما قیل فی البان ---- ۴۷۰
ما قیل فی الشقیق ---- ۴۷۱
فی زهر النارنج ---- ۴۷۱
فی الخشخاش ---- ۴۷۱
فی نور الکتان ---- ۴۷۲
ذکر الفواکه ---- ۴۷۲
ما ورد فی البطیخ ---- ۴۷۲
ما ورد فی الرّمان ---- ۴۷۳

فی جلّنارة ---- ۴۷۴
ما ورد فی الموز ---- ۴۷۴
ما ورد فی النخل ---- ۴۷۵
ما ورد فی الأترج ---- ۴۷۶
ما ورد فی القصب ---- ۴۷۶
فی الکمّثری ---- ۴۷۶
فی الخوخ ---- ۴۷۷
ما ورد فی التین ---- ۴۷۷
فی اللوز الأخضر ---- ۴۷۷
ما قیل فی المشمش ---- ۴۷۸
ما قیل فی التّبق ---- ۴۷۸
ذکر الحبوب و الخضروات و البقول ---- ۴۷۸
فی سنابل البرّ و الشعیر ---- ۴۷۸
اشارة ---- ۴۷۸
فی الباقلّا ---- ۴۷۹
فی القثّاء ---- ۴۷۹
فی الخیار ---- ۴۷۹
فی الفقّوس ---- ۴۸۰
فی القرع ---- ۴۸۰
فی الباذنجان ---- ۴۸۰
فی السّلجم ---- ۴۸۰
فی الفجل ---- ۴۸۱
فی الجزر ---- ۴۸۱
فی الثّوم ---- ۴۸۱

فی التّمام ----- ۴۸۱
فی النعناع ----- ۴۸۲
فی النارنج ----- ۴۸۲
فی الليمون ----- ۴۸۲
الفهرس ----- ۴۸۳
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۴۸۷

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة

اشارة

نام کتاب: حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة

نویسنده: سیوطی، عبدالرحمن بن ابی‌بکر (جلال الدین السیوطی)

تاریخ وفات مؤلف: ۹۱۱ ه. ق

محقق / مصحح: منصور، خلیل عمران

موضوع: جغرافیای کشورها

زبان: عربی

تعداد جلد: ۲

ناشر: دار الکتب العلمیة

مکان چاپ: بیروت

سال چاپ: ۱۴۱۸ ه. ق

نوبت چاپ: اول

hsn almhadhrah fi a'khbar msr walkahrah

تألیف: تاریخ النشر: ۰۱/۰۱/۱۹۹۷

ترجمة، تحقیق: خلیل المنصور الناشر: دار الکتب العلمیة

النوع: ورقی غلاف فنی، حجم: ۲۴×۱۷، عدد الصفحات: ۸۵۶ صفحة الطبعة: ۱ مجلدات: ۲

[الجزء الاول]

اشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ

التعریف بالمؤلّف

هو عبد الرحمن بن محمد بن عثمان بن محمد بن خضر بن أیوب بن محمد بن الشیخ الهمام الخضیری الأسیوطی.

- ولد جلال الدین السیوطی مؤلف هذا الکتاب یوم الأحد مستهلّ رجب من سنة ۸۴۹ ه، و توفی کما ذکر ابن إیاس یوم الخمیس فی التاسع من شهر جمادی الأولی من سنة ۹۱۱ ه، حیث دفن بجوار خانقاه قوصون خارج باب القرافة.

کان أجداده من أهل الوجاهة و الرئاسة حکما و حسبة و تجارة و اهتماما ببناء المدارس.

أما بالنسبة لجدّه الخضیری فعلی الأغلب نسبة إلی الخضیریّة التی هی محلّة ببغداد، أمّا جدّ الخضیری فکان أعجمیا أو من الشرق.

أمّا عنه شخصیّا فقد حفظ القرآن و له من العمر أقل من ثمانی سنین، کما حفظ العمدة و منهاج الفقه و الأصول و ألفیة ابن مالک، و تبحّر فی عدّة علوم: کالتفسیر و الحدیث و الفقه و النحو و المعانی و البیان و البدیع، علاوة علی ما دونها- کما قال- من أصول الفقه و الجدل و التصریف و الإنشاء و التوسل و الفرائض و دونها القراءات و الطبّ، و أجیز له تدریس العربیة و الإفتاء.

و کان السیوطی- رحمه اللّه- یحب الابتعاد فی حیاته عن أصحاب السلطان و الجاه، فی الوقت الذی کان یأتیه الوزراء و الأمراء لزیارته. و لقد سافر إلی عدّة بلاد مثل الشام و الحجاز و الیمن و الهند و المغرب، کما لازم کثیرا من الشیوخ مثل محمد المجذوب و البلقینی و المناوی و الشبلی الحنفی و الکافیجی، بحیث کان عدّة شیوخه

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۶

حوالی مائة و خمسین.

أما مؤلّفاته فکثیرة جدا، فقد بلغت حوالی ثلاثمائة کتاب سوی ما غسله و رجع عنه.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۷

التعریف بکتاب حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة

قال الشیخ السیوطی فی بدایة هذا الکتاب:

لقد سمّیته حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، أوردت فیه فوائد سنیّة و غرائب مستعذبة مرضیة، تصلح لمسامرة الجلیس و تکون للوحدة نعم الأنیس.

لقد اطّلع المؤلّف قبل البدء بوضع هذا الکتاب المفید الذی رجع إلیه المؤرخون و المحقّقون علی کتب أخری- کما قال- فساهمت فی مضمون الکتاب، مثل: فتوح مصر و فضائل مصر و تاریخ مصر و الخطط المقریزیة و القضاعیة و ... الخ، بحیث کان عدد مراجعه التی اعتمد علیها أکثر من ثلاثین.

و ضمّن کتابه هذا أسماء المواضع التی ذکرت فیها مصر فی القرآن و الحدیث، ثم تحدّث عن إقلیم مصر و من نزلها من أولاد آدم علیه السّلام، و من ملکها قبل و بعد الطوفان، و من دخلها من الأنبیاء و الصدّیقین و من کان بها من الحکماء. ثم عرّج المؤلف علی عجائبها القدیمة و ذکر الاسکندریة و منارتها، و کتاب الرسول صلی اللّه علیه و سلم إلی المقوقس، ثم فتح مصر و بناء المساجد و اختطاط الجیزة و فتح الفیوم و برقة و النوبة.

کما تطرق المؤلف إلی الخلیج الذی یربط نهر النیل بالبحر الأحمر و الذی سمّی بخلیج أمیر المؤمنین، دون أن ینسی ذکر من دخل مصر من الصحابة و من سکنها من التابعین و رواة الحدیث و حفّاظه، و فقهاء المذاهب الأربعة و من کان بها من أئمة العلوم الأخری المختلفة مستمرا فی ذلک إلی العهد الفاطمی فالأیوبیین و الممالیک مع ذکر تفاصیل کتقلید الخلافة أو خطب الجمعة و بعض الحوادث التاریخیة و الطبیعیة و المجاعات و خلافات الأسرة الحاکمة مرورا بالجانب العمرانی من جوامع و مدارس و خانقاهات و طریق الحج و البرید الجوی (الحمام الزاجل) مما یعطینا فکرة دقیقة عن بعض جوانب الحیاة تهمّ المؤرّخ و القارئ.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۸

و إذا کان المؤرخ الیونانی هیرودوت قد قال قدیما: مصر هبة النیل؛ فإنّ السیوطی قد أفرد للنیل بحثا مطوّلا و غنیا بفوائده.

أما المهتمّون بذکر الریاحین و الأزهار و ما قیل فی ثمار مصر من شعر فسوف یجدون ضالتهم فی هذا الکتاب لأن المؤلف أفرد لذلک صفحات قیّمة.

لن نطیل عزیزی القارئ فی ذکر المزید من مضمون هذا الکتاب القیّم الذی اعتمده کثیر من المؤرخین و المحققین، متمنین أن نکون قد وفقنا فی إعادة تحقیقه بالشکل المناسب، و اللّه ولی التوفیق.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۹

مقدمة المؤلّف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ و صلی اللّه علی سیدنا محمد و آله و صحبه و سلّم تسلیما کثیرا دائما أبدا.

الحمد للّه الّذی فاوت بین العباد، و فضّل بعض خلقه علی بعض حتّی فی الأمکنة و البلاد، و الصّلاة و السلام علی سیّدنا محمد أفصح من نطق بالضّاد، و علی آله و صحبه السّادة الأمجاد.

هذا کتاب سمّیته: «حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة»، أوردت فیه فوائد سنیّة، و غرائب مستعذبة مرضیّة، تصلح لمسامرة الجلیس، و تکون للوحدة نعم الأنیس، وفّقنا اللّه لما یحبّه و یرضاه، و جعلنا ممّن یحمد قصده و لا یخیب مسعاه؛ بمنّه و کرمه.

و قد طالعت علی هذا الکتاب کتبا شتّی؛ منها فتوح مصر لابن عبد الحکم، و فضائل مصر لأبی عمر الکندیّ، و تاریخ مصر لابن زولاق، و الخطط للقضاعیّ، و تاریخ مصر لابن میسّر، و إیقاظ المتغفّل و إیعاظ المتأمّل لتاج الدین محمد بن عبد الوهاب بن المتوّج الزّبیریّ، و الخطط للمقریزیّ، و المسالک لابن فضل اللّه، و مختصره للشیخ تقیّ الدین الکرمانیّ، و مباهج الفکر، و مناهج العبر لمحمد بن عبد اللّه الأنصاریّ، و عنوان السّیر لمحمد بن عبد الملک الهمذانیّ، و تاریخ الصّحابة الّذین نزلوا مصر لمحمّد بن الربیع الجیزیّ، و التجرید فی الصحابة للذهبیّ، و الإصابة فی معرفة الصحابة لابن حجر، و رجال الکتب العشرة للحسینیّ، و طبقات الحفّاظ للذّهبیّ، و طبقات القرّاء له، و طبقات الشافعیّة للسّبکیّ، و للإسنویّ، و طبقات المالکیّة لابن فرحون، و طبقات الحنفیّة لابن دقماق، و مرآة الزّمان لسبط ابن الجوزیّ، و تاریخ الإسلام للذهبیّ، و العبر له، و البدایة و النّهایة لابن کثیر، و إنباء الغمر بأنباء العمر لابن حجر، و الطالع السعید فی أخبار الصعید للأدفویّ، و سجع الهدیل فی أخبار النیل لأحمد بن یوسف التّیفاشیّ، و السکردان لابن أبی حجلة، و ثمار الأوراق لابن حجّة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۱

ذکر المواضع التی وقع فیها ذکر مصر فی القرآن صریحا أو کنایة

اشارة

قال ابن زولاق : ذکرت مصر فی القرآن فی ثمانیة و عشرین موضعا.

قلت: بل أکثر من ثلاثین.

قال اللّه تعالی: اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَکُمْ ما سَأَلْتُمْ [البقرة: ۶۱]، و قرئ:

اهْبِطُوا مِصْراً بلا تنوین، فعلی هذا هی مصر المعروفة قطعا؛ و علی قراءة التنوین، یحمل ذلک علی الصرف اعتبارا بالمکان، کما هو المقرّر فی العربیّة فی جمیع أسماء البلاد، و أنّها تذکّر و تؤنّث، و تصرف و تمنع. و قد أخرج ابن جریر فی تفسیره عن أبی العالیة فی قوله: اهْبِطُوا مِصْراً قال: یعنی مصر فرعون.

و قال تعالی: وَ أَوْحَیْنا إِلی مُوسی وَ أَخِیهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِکُما بِمِصْرَ بُیُوتاً [یونس: ۸۷].

و قال تعالی: وَ قالَ الَّذِی اشْتَراهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَکْرِمِی مَثْواهُ [یوسف: ۲۱].

و قال تعالی حکایة عن یوسف علیه الصلاة و السلام: ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِینَ [یوسف: ۹۹].

و قال تعالی حکایة عن فرعون: أَ لَیْسَ لِی مُلْکُ مِصْرَ وَ هذِهِ الْأَنْهارُ تَجْرِی مِنْ تَحْتِی [الزخرف: ۵۱].

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۲

و قال تعالی: وَ قالَ نِسْوَةٌ فِی الْمَدِینَةِ امْرَأَتُ الْعَزِیزِ تُراوِدُ فَتاها عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَها حُبًّا [یوسف: ۳۰].

و قال تعالی: وَ دَخَلَ الْمَدِینَةَ عَلی حِینِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها [القصص: ۱۵].

و قال تعالى: فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خائِفاً يَتَرَقَّبُ [القصص: ۱۸].

و قال تعالى: وَ جاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعى [القصص: ۲۰].

فى تفسيره عن السّدّىّ أنّ المدينة فى هذه الآية منف ، و كان فرعون بها.

و قال تعالى: وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً وَ آوَيْناهُما إِلى رَبْوَةٍ ذاتِ قَرارٍ وَ مَعِينٍ [المؤمنون: ۵۰]. أخرج ابن أبى حاتم، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى الآية، قال: هى مصر، قال: و ليس الرّبا إلا بمصر، و الماء حين يرسل، تكون الرّبا عليها القرى، و لولا الرّبا لغرقت القرى. و أخرج ابن المنذر فى تفسيره، عن وهب بن منبّه، فى قوله: إِلى رَبْوَةٍ ذاتِ قَرارٍ وَ مَعِينٍ، قال: مصر. و أخرج ابن عساكر فى تاريخ دمشق، من طريق جويبر، عن الضحّاك، عن ابن عبّاس، أنّ عيسى كان يرى العجائب فى صباه إلهاما من اللّه، ففشا ذلك فى اليهود، و ترعرع عيسى، فهمّت به بنو إسرائيل، فخافت أمّه عليه، فأوحى اللّه إليها أن تنطلق به إلى أرض مصر؛ فذلك قوله تعالى: وَ آوَيْناهُما إِلى رَبْوَةٍ؛ قال: يعنى مصر. و أخرج ابن عساكر، عن زيد بن أسلم فى قوله: وَ آوَيْناهُما إِلى رَبْوَةٍ ذاتِ قَرارٍ وَ مَعِينٍ، قال: هى الإسكندرية.

و قال تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة و السلام: قالَ اجْعَلْنِي عَلى خَزائِنِ الْأَرْضِ [يوسف: ۵۶]، أخرج ابن جرير، عن ابن زيد فى الآية، قال: كان لفرعون خزائن كثيرة بأرض مصر، فأسلمها سلطانه إليه.

و قال تعالى: وَ كَذلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ [يوسف: ۵۶]، أخرج ابن جرير، عن السّدّىّ فى الآية قال: استعمله الملك على مصر، و كان صاحب أمرها.

و قال تعالى فى أوّل السّورة: وَ كَذلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَ لِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ [يوسف: ۲۱].

و قال تعالى: فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي [يوسف: ۸۰]، قال ابن

جرير: أى لن أفارق الأرض الّتى أنا بها- و هى مصر- حتّى يأذن لى أبى بالخروج منها.

و قال تعالى: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ [القصص: ۴].

و قال تعالى: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ* وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ [القصص: ۵، ۶].

و قال تعالى: إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ [القصص: ۱۹].

و قال تعالى: لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ [غافر: ۲۹].

و قال تعالى: أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسادَ [غافر: ۲۶].

و قال تعالى: أَ تَذَرُ مُوسى وَ قَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ... [الأعراف: ۱۲۷]، إلى قوله: إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ... [الأعراف: ۱۲۸]، إلى قوله: قالَ عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ [الأعراف: ۱۲۹].

المراد بالأرض فى هذه الآيات كلّها مصر.

و عن ابن عبّاس- و قد ذكر مصر-، فقال: سمّيت مصر بالأرض كلّها فى عشرة مواضع من القرآن.

قلت: بل فى اثنى عشر موضعا أو أكثر.

و قال تعالى: وَ أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغارِبَهَا الَّتِي بارَكْنا فِيها [الأعراف: ۱۳۷]؛ قال اللّيث بن سعد: هى مصر؛ باركَ فيها بالنّيل.

حكاه أبو حيّان فى تفسيره.

و قال القرطبىّ فى هذه الآية: الظّاهر أنّهم ورثوا أرض القبط . و قيل: هى أرض الشام و مصر؛ قاله ابن إسحاق و قتادة و غيرهما.

و قال تعالى فى سورتى الأعراف و الشعراء: يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ [الأعراف: ۱۱۰، و الشعراء: ۳۵].

و قال تعالى: إِنَّ هذا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِى الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْها أَهْلَها [الأعراف:

۱۲۳].

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۴

و قال تعالى: فَأَخْرَجْناهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ* وَ كُنُوزٍ وَ مَقامٍ كَرِيمٍ [الشعراء:

۵۷، ۵۸].

و قال تعالى: كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ* وَ زُرُوعٍ وَ مَقامٍ كَرِيمٍ [الدخان:

۲۵، ۲۶]؛ قال الكندىّ: لا يعلم بلد فى أقطار الأرض أثنى اللّه عليه فى القرآن بمثل هذا الثناء، و لا وصفه بمثل هذا الوصف، و لا شهد له بالكرم غير مصر.

و قال تعالى: وَ لَقَدْ بَوَّأْنا بَنِى إِسْرائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ [يونس: ۹۳]، أورده ابن زولاق. و قال القرطبىّ فى تفسيره: أى منزل صدق محمود مختار- يعنى مصر. و قال الضّحّاك: هى مصر و الشام.

و قال تعالى: كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ [البقرة: ۲۶۵]، أورده ابن زولاق و قال: الرّبا لا تكون إلّا بمصر.

و قال تعالى: ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِى كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ [المائدة: ۲۱]، أورده ابن زولاق أيضا، و حكاه أبو حيّان فى تفسيره قولا إنّها مصر، و ضعّفه.

و قال تعالى: أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْماءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ [السجدة:

۲۷]. قال قوم: هى مصر، و قوّاه ابن كثير فى تفسيره.

و قال تعالى: وَ قَدَّرَ فِيها أَقْواتَها [فصلت: ۱۰]، قال عكرمة: منها القراطيس التى بمصر.

و قال تعالى: إِرَمَ ذاتِ الْعِمادِ* الَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها فِى الْبِلادِ [الفجر: ۷، ۸]. قال محمد بن كعب القرظىّ: هى الإسكندريّة.

لطيفة

قال الكندىّ : قالاللّه تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة و السلام: وَ قَدْ أَحْسَنَ بِى إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ السِّجْنِ وَ جاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ [يوسف: ۱۰۰]، فجعل الشام بدوا؛ و سمّى مصر مصرا و مدينة.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۵

فائدة

اشتهر على ألسنة كثير من النّاس فى قوله تعالى: سَأُرِيكُمْ دارَ الْفاسِقِينَ [الأعراف: ۱۴۵]، أنّها مصر ؛ و قد نصّ ابن الصلاح و غيره على أنّ ذلك غلط نشأ من تصحيف؛ و إنّما الوارد عن مجاهد و غيره من مفسّرى السّلف: سَأُرِيكُمْ دارَ الْفاسِقِينَ، قال: مصيرهم؛ فصحّف بمصر.

ذكر الآثار التى ورد فيها ذكر مصر

قال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد اللّه بن عبد الحكم فى فتوح مصر: حدّثنا أشهب بن عبد العزيز و عبد الملك بن مسلمة، قالا: حدّثنا مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن عبد الرّحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه: سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يقول: «إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرا؛ فإنّ لهم ذمّة و رحما». قال ابن شهاب:

و کان یقال: إنّ أمّ إسماعیل علیه الصلاة و السلام منهم. و أخرجه أیضا اللّیث، عن ابن شهاب، و فی آخره: قال اللیث: قلت لابن شهاب: ما رحمهم؟ قال: إنّ أمّ إسماعیل منهم. و أخرجه أیضا من طریق ابن عیینة و ابن إسحاق عن ابن شهاب. و هذا حدیث صحیح، أخرجه الطّبرانی فی معجمه الکبیر، و البیهقیّ و أبو نعیم، کلاهما فی دلائل النبوّة.

و أخرج مسلم فی صحیحه، عن أبی ذرّ، قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: «ستفتحون مصر، و هی أرض یسمّی فیها القیراط؛ فاستوصوا بأهلها خیرا؛ فإنّ لهم ذمّة و رحما».

و أخرج مسلم، و ابن عبد الحکم فی الفتوح، و محمد بن الربیع الجیزیّ فی کتاب: من دخل مصر من الصحابة، و البیهقیّ فی دلائل النبوّة، عن أبی ذرّ، قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: «إنّکم ستفتحون أرضا یذکر فیها القیراط، فاستوصوا بأهلها خیرا، فإنّ لهم ذمة و رحما؛ فإذا رأیت رجلین یقتتلان علی موضع لبنة، فاخرج منها». قال: فمرّ أبو ذرّ بربیعة و عبد الرحمن بن شرحبیل بن حسنة و هما یتنازعان فی موضع لبنة، فخرج منها.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۶

و أخرج ابن عبد الحکم من طریق بحیر بن ذاخر المعافریّ، عن عمرو بن العاص، عن عمر بن الخطاب، أنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم قال: «إنّ اللّه سیفتح علیکم بعدی مصر، فاستوصوا بقبطها خیرا؛ فإنّ لکم منهم صهرا و ذمّة».

و أخرج الطّبرانیّ فی الکبیر، و أبو نعیم فی دلائل النّبوّة، بسند صحیح، عن أمّ سلمة، أنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم أوصی عند وفاته، فقال: «اللّه اللّه فی قبط مصر؛ فإنّکم ستظهرون علیهم، و یکونون لکم عدّة و أعوانا فی سبیل اللّه».

و أخرج أبو یعلی فی مسنده، و ابن عبد الحکم بسند صحیح؛ من طریق ابن هانیء الخولانیّ، عن أبی عبد الرحمن الحبلیّ و عمرو بن حریث و غیرهما، أنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم قال: «ستقدمون علی قوم جعد رؤوسهم، فاستوصوا بهم خیرا؛ فإنّهم قوّة لکم؛ و بلاغ إلی عدوّکم بإذن اللّه»- یعنی قبط مصر.

و أخرج ابن عبد الحکم، من طریق ابن سالم الجیشانیّ و سفیان بن هانیء، أنّ بعض أصحاب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم أخبره أنّه سمع رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم یقول: «إنکم ستکونون أجنادا، و إنّ خیر أجنادکم أهل المغرب؛ فاتّقوا اللّه فی القبط، لا تأکلوهم أکل الحضر ».

و أخرج ابن عبد الحکم، عن مسلم بن یسار، أنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم قال: «استوصوا بالقبط خیرا، فإنّکم ستجدونهم نعم الأعوان علی قتال عدوّکم».

و أخرج ابن عبد الحکم، عن موسی بن أبی أیّوب الغافقیّ، عن رجل من المربد ، أنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم مرض، فأغمی علیه ثمّ أفاق، فقال: «استوصوا بالأدم الجعد»؛ ثم أغمی علیه الثانیة، ثمّ أفاق، فقال مثل ذلک، ثمّ أغمی علیه الثالثة فقال مثل ذلک، فقال القوم: لو سألنا رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم عن الأدم الجعد! فأفاق، فسألوه فقال: «قبط مصر؛ فإنّهم أخوال و أصهار، و هم أعوانکم علی عدوّکم، و أعوانکم علی دینکم»، فقالوا: کیف یکونون أعوانا علی دیننا یا رسول اللّه؟

فقال: «یکفونکم أعمال الدّنیا فتتفرّغون للعبادة؛ فالرّاضی بما یؤتی إلیهم کالفاعل بهم، و الکاره بما یؤتی إلیهم من الظلم کالمتنزّه عنهم».

و أخرج ابن عبد الحکم عن ابن لهیعة، قال: حدّثنی عمر مولی غفرة، أنّ رسول

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۷

اللّه صلی اللّه علیه و سلم قال: «اللّه اللّه فی أهل الذمّة، أهل المدرة السّوداء، السّحم الجعاد، فإنّ لهم نسبا و صهرا». قال عمر مولی غفرة: صهرهم أنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم تسرّی منهم، و نسبهم أنّ أمّ إسماعیل علیه الصلاة و السلام منهم. فأخبرنی ابن لهیعة أنّ أمّ إسماعیل هاجر أمّ العرب من قریة کانت من أمام الفرما من مصر.

و قال ابن عبد الحكم: حدّثنا عمر بن صالح، أخبرنا مروان القصّاص، قال:

صاهر إلى القبط ثلاثة أنبياء: إبراهيم عليه الصلاة و السلام تسرّى هاجر، و يوسف عليه الصلاة و السلام تزوّج بنت صاحب عين شمس ، و رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم تسرّى مارية .

و قال: حدثنا هانىء بن المتوكّل، حدّثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبى حبيب، أن قرية هاجر ياق ، التى عند أمّ دنين .

و أخرج الطّبرانىّ عن رياح اللخمىّ، أنّ النبىّ صلى اللّه عليه و سلم قال: «إنّ مصر ستفتح فانتجعوا خيرها، و لا تتّخذوها دارا؛ فإنّه يساق إليها أقلّ النّاس أعمارا». و فى إسناده مطهّر بن الهيثم، قال فيه أبو سعيد بن يونس: إنّه متروك. و الحديث منكر جدّا، و قد أورده ابن الجوزىّ فى الموضوعات.

و أخرج مسلم، عن أبى هريرة رضى اللّه عنه، قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. «منعت العراق درهمها و قفيزها ، و منعت الشّام مديها و دينارها، و منعت مصر إردبّها و دينارها، و عدتم من حيث بدأتم».

و أخرج الإمام الشافعىّ رضى اللّه عنه فى الأمّ، عن عائشة رضى اللّه عنها أنّ

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۸

رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم وقّت لأهل المدينة ذا الحليفة، و لأهل الشام و مصر و المغرب الجحفة.

و أخرج ابن عبد الحكم، عن يزيد بن أبى حبيب؛ أنّ المقوقس أهدى إلى النبىّ صلى اللّه عليه و سلم عسلا من عسل بنها ، فأعجب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، فدعا فى عسل بنها بالبركة .

و أخرج ابن عبد الحكم، عن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه، سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يقول: «إذا فتح اللّه عليكم مصر؛ فاتّخذوا فيها جندا كثيفا؛ فذلك الجند خير أجناد الأرض»، فقال أبو بكر: و لم يا رسول اللّه؟ قال: «لأنّهم و أزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة».

و أخرج ابن عبد الحكم، عن علىّ بن رباح، قال: خرجنا حجّاجا من مصر، فقال له سليم بن عتر: اقرأ على أبى هريرة السلام، و أخبره أنّى قد استغفرت له و لأمّه الغداة، فلقيته فقلت له ذلك، فقال: و أنا قد استغفرت له و لأمّه الغداة. ثمّ قال أبو هريرة: كيف تركت أمّ خنّور ؟ قال: فذكرت له من خصبها و رفاغتها، فقال: أما إنّها أوّل الأرضين خرابا، و على أثرها إرمينية. قلت: أسمعت ذلك من رسول اللّه أو من كعب؟.

و أخرج الدّيلمىّ فى مسند الفردوس، و أورده القرطبىّ فى التذكرة من حديث حذيفة مرفوعا: «يبدو الخراب فى أطراف البلاد حتّى تخرب مصر، و مصر آمنة من الخراب حتّى تخرب البصرة، و خراب البصرة من العراق، و خراب مصر من جفاف النيل، و خراب مكّة من الحبشة، و خراب المدينة من الجوع، و خراب اليمن من الجراد، و خراب الأيلة من الحصار، و خراب فارس من الصّعاليك، و خراب الترك من الدّيلم، و خراب الديلم من الأرمن، و خراب الأرمن من الخزر، و خراب الخزر من الترك، و خراب الترك من الصّواعق، و خراب السّند من الهند، و خراب الهند من الصّين، و خراب الصّين من الرّمل، و خراب الحبشة من الرّجفة ، و خراب العراق من القحط».

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۹

و أخرج الحاكم فى المستدرك عن كعب، قال: «الجزيرة آمنة من الخراب حتّى تخرب إرمينية، و مصر آمنة من الخراب حتّى تخرب الجزيرة، و الكوفة آمنة من الخراب حتّى تخرب مصر، و لا تكون الملحمة حتّى تخرب الكوفة، و لا تفتح مدينة الكفر حتّى تكون الملحمة، و لا يخرج الدّجّال حتّى تفتح مدينة الكفر».

و أخرج البزّار فى مسنده و الطّبرانىّ بسند صحيح، عن أبى الدرداء رضى اللّه عنه، عن النبى صلى اللّه عليه و سلم، قال: «إنّكم ستجنّدون أجنادا؛ جندا بالشام و مصر و العراق و اليمن».

و أخرج الطّبرانیّ و الحاکم فی المستدرک، و صحّحه ابن عبد الحکم و محمد بن الربیع الجیزی فی کتاب: «من دخل مصر من الصحابة»، عن عمرو بن الحمق ، قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: «تکون فتنة، یکون أسلم النّاس فیها الجند الغربیّ»، قال ابن الحمق:

فلذلک قدمت علیکم مصر.

و أخرج محمد بن الربیع الجیزیّ من وجه آخر عن عمرو بن الحمق، أنّه قام عند المنبر بمصر؛ و ذلک عند فتنة عثمان رضی اللّه عنه، فقال: یا أیّها الناس؛ إنّی سمعت رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم یقول: «تکون فتنة، خیر الناس فیها الجند الغربیّ، و أنتم الجند الغربیّ، فجئتکم لأکون معکم فیما أنتم فیه».

و أخرج الطّبرانیّ فی الکبیر و الأوسط، و أبو الفتح الأزدیّ عن ابن عمر أنّ النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، قال: «إنّ إبلیس دخل العراق، فقضی حاجته منها، ثمّ دخل الشام فطردوه حتی بلغ میسان ، ثم دخل مصر، فباض فیها و فرّخ، و بسط عبقریّه».

قال الحافظ أبو الحسن الهیثمیّ فی مجمع الزوائد: رجاله ثقاة إلّا أن فیه انقطاعا؛ فإنّ یعقوب بن عبد اللّه بن عتبة بن الأخنس لم یسمع من ابن عمر. انتهی.

و أفرط ابن الجوزی فأورده فی الموضوعات، و قال: فیه عقیل بن خالد، یروی عن الزهریّ مناکیر، و ابن لهیعة مطروح.

قلت: عقیل من رجال الصحیحین، و ابن لهیعة من رجال مسلم، و هو حسن الحدیث.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۰

و أخرج الخلّال فی کرامات الأولیاء و ابن عساکر فی تاریخه، عن علیّ بن أبی طالب کرم اللّه وجهه قال: «قبّة الإسلام بالکوفة، و الهجرة بالمدینة، و النّجباء بمصر، و الأبدال بالشام».

و أخرج ابن عساکر من وجه آخر عن علیّ، قال: «الأبدال من الشام، و النجباء من أهل مصر، و الأخیار من أهل العراق».

و أخرج ابن عساکر من طریق أحمد بن أبی الحواری، قال: «سمعت أبا سلیمان یقول: الأبدال بالشام، و النجباء بمصر، و القطب بالیمن، و الأخیار بالعراق».

و أخرج الخطیب البغدادی و ابن عساکر من طریق عبید اللّه بن محمد العیسیّ قال:

سمعت الکتّانی یقول: النّقباء ثلاثمائة، و النّجباء سبعون، و البدلاء أربعون، و الأخیار سبعة، و العمد أربعة، و الغوث واحد؛ فمسکن النّقباء الغرب، و مسکن النّجباء مصر، و مسکن الأبدال الشام، و الأخیار سیّاحون فی الأرض، و العمد فی زوایا الأرض، و مسکن الغوث مکّة، فإذا عرضت الحاجة من أمر العامّة ابتهل فیها النقباء، ثمّ النجباء، ثمّ الأبدال، ثمّ الأخیار، ثمّ العمد، فإن أجیبوا؛ و لا ابتهل الغوث فلا تتمّ مسألته حتّی تجاب دعوته.

قال الحافظ الدّمیاطی فی معجمه: قرأت علی أبی الفتح الباوردیّ بحلب، أخبرنی یحیی بن محمود بن سعد أبو الفرج الثّقفی الأصفهانیّ، أنبأنا أبو علیّ الحدّاد، أنبأنا أبو نعیم الحافظ، أنبأنا أبو الحسن أحمد بن القاسم بن الریّان، حدّثنا أحمد بن إسحاق، عن إبراهیم بن نبیط بن شریط الأشجعیّ، حدّثنی أبی، عن أبیه، عن جدّه نبیط، عن النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، قال: «الجیزة روضة من ریاض الجنة، و مصر خزائن اللّه فی أرضه».

فصل فی آثار موقوفة

أخرج ابن عبد الحکم عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص، قال: خلقت الدّنیا علی

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۱

خمس صور: علی صورة الطائر؛ برأسه و صدره و جناحیه و ذنبه، فالرّأس مکّة و المدینة و الیمن، و الصّدر الشام و مصر، و الجناح

الأيمن العراق، و الجناح الأيسر السّند و الهند، و الذّنب من ذات الحمام إلى مغرب الشمس، و شرّ ما فی الطائر الذنب.

و أخرج محمد بن الربيع الجيزیّ و ابن عبد الحكم، عن أبی قبيل، أنّ عبد الرحمن بن غنم الأشعریّ قدم من الشام إلى عبد اللّه بن عمرو، فقال له عبد اللّه: ما أقدمك إلى بلادنا؟ قال: أنت، قال: لماذا؟ قال: كنت تحدّثنا أنّ مصر أسرع الأرضين خرابا، ثمّ أراك قد اتخذت فيها الرّباع، و بنيت القصور، و أطمأننت فيها. قال: إنّ مصر قد أوفت خرابها، دخلها بخت نصّر، فلم يدع فيها إلّا السّباع و الرباع، و قد مضى خرابها؛ فهی اليوم أطيب الأرض ترابا، و أبعدها خرابا، و لن تزال فيها بركة ما دام فی شیء من الأرضين بركة.

و أخرج ابن عبد الحكم، عن عبد اللّه بن عمرو، قال: قبط مصر أكرم الأعاجم كلّها، و أسمحهم يدا، و أفضلهم عنصرا، و أقربهم رحما بالعرب عامة، و بقريش خاصّة.

و من أراد أن يذكر الفردوس، أو ينظر إلى مثلها فی الدنيا، فلينظر إلى أرض مصر حين يخضرّ زرعها، و تنوّر ثمارها.

و أخرج ابن عبد الحكم، عن كعب الأحبار، قال: من أراد أن ينظر إلى شبه الجنّة، فلينظر إلى أرض مصر إذا أخرفت . و فی لفظ: «إذا أزهرت».

و أخرج ابن عبد الحكم، عن كعب الأحبار، قال: مثل قبط مصر كالغيضة ، كلّما قطعت نبتت حتّى يخرب اللّه بهم و بصنعتهم جزائر الروم.

و أخرج ابن الحكم عن ابن لهيعة، كان عمرو بن العاص يقول: ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة.

و أخرج ابن عبد الحكم من طريق عبد الرّحمن شماسة النّهدیّ، عن أبی رهم

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۲

السّماعیّ الصحابیّ رضی اللّه عنه قال: كانت لمصر قناطر و جسور بتقدير و تدبير، حتّى إنّ الماء ليجری تحت منازلها و أقنيتها، فيحبسونه كيف شاؤوا، و يرسلونه كيف شاؤوا؛ فذلك قوله تعالى فيما حكى من قول فرعون: أَ لَيْسَ لِی مُلْكُ مِصْرَ وَ هذِهِ الْأَنْهارُ تَجْرِی مِنْ تَحْتِی أَ فَلا تُبْصِرُونَ [الزخرف: ۵۱]، و لم يكن فی الأرض يومئذ ملك أعظم من ملك مصر. و كانت الجنّات بحافّتی النيل من أوّله إلى آخره من الجانبين جميعا، ما بين أسوان إلى رشيد ، و سبعة خلج: خليج الإسكندرية، و خليج سخا ، و خليج دمياط، و خليج منف، و خليج الفيّوم، و خليج المنهى ؛ و خليج سردوس ؛ جنّات متّصلة لا ينقطع منها شیء عن شیء، و الزرع ما بين الجبلين، من أوّل مصر إلى آخرها ممّا يبلغه الماء، و كان جميع مصر كلّها تروى من ستّة عشر ذراعا لما قدروا و دبّروا من قناطرها و خلجها و جسورها، فذلك قوله تعالى: كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ* وَ زُرُوعٍ وَ مَقامٍ كَرِيمٍ [الدخان: ۲۵، ۲۶]، قال: و المقام الكريم المنابر كان بها ألف منبر.

فصل فی آثار أوردها المؤلفون فی أخبار مصر

و لم أقف عليها مسندة فی كتب أهل الحديث، أوردها ابن زولاق و غيره، عن عبد اللّه بن عمر.

قال: لمّا خلق اللّه آدم مثّل له الدنيا شرقها و غربها، و سهلها و جبلها، و أنهارها و بحارها، و بناءها و خرابها، و من يسكنها من الأمم، و من يملكها من الملوك. فلمّا رأى مصر رأى أرضا سهلة، ذات نهر جار، مادّته من الجنّة، تنحدر فيه البركة، و تمزجه

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۳

الرّحمة، و رأى جبلا من جبالها مكسوّا نورا، لا يخلو من نظر الربّ إليه بالرّحمة، فی سفحه أشجار مثمرة، فروعها فی الجنّة، تسقى بماء الرّحمة. فدعا آدم فی النيل بالبركة، و دعا فی مصر بالرّحمة و البرّ و التقوى، و بارك على نيلها و جبلها سبع مرّات، و قال: يا أيّها الجبل المرحوم، سفحك جنّة، و تربتك مسك، يدفن فيها غراس الجنّة، أرض حافظة مطيعة رحيمة، لا خلتك يا مصر بركة، و لا زال بك حفظ، و لا زال منك ملك و عزّ. يا أرض فيك الخباء و الكنوز، و لك البرّ و الثروة، سال نهرك عسلا، كثّر اللّه زرعك، و درّ

ضرعک، و زکّی نباتک، و عظمت برکتک و خصبت؛ و لا زال فیک الخیر ما لم تتجبّری و تتکبّری، أو تخونی و تسخری، فإذا فعلت ذلک عراک شرّ، ثمّ یعود خیرک.

فکان آدم أوّل من دعا لمصر بالرحمة و الخصب و البرکة و الرأفة.

و أورد غیره عن عبد اللّه بن سلام، قال: مصر أمّ البرکات، تعمّ برکتها من حجّ بیت اللّه الحرام من أهل المشرق و المغرب، و إنّ اللّه یوحی إلی نیلها فی کلّ عام مرّتین؛ مرة عند جریانه، فیوحی إلیه: إنّ اللّه یأمرک أن تجری کما تؤمر، ثم یوحی إلیه ثانیة: إنّ اللّه یأمرک أن تفیض حمیدا، فیفیض. و إن بلد مصر بلد معافاة، و أهلها أهل عافیة، و هی آمنة ممّن یقصدها بسوء، من أرادها بسوء کبّه اللّه علی وجهه، و نهرها نهر العسل، و مادّته من الجنّة، و کفی بالعسل طعاما و شرابا.

و أورد عن علیّ بن أبی طالب رضی اللّه عنه، أنّه لما بعث محمد بن أبی بکر الصدیق إلی مصر، قال: إنی وجّهتک إلی فردوس الدنیا.

و عن سعید بن هلال، قال: اسم مصر فی الکتب السّالفة أمّ البلاد. و ذکر أنّها مصوّرة فی کتب الأوائل، و سائر المدن مادّة أیدیها إلیها تستطعمها.

و عن کعب قال: فی التوراة مکتوب: مصر خزائن الأرض کلّها، فمن أراد بها سوءا قصمه اللّه.

و عن کعب قال: لولا رغبتی فی بیت المقدس ما سکنت إلّا مصر. قیل: و لم؟

قال: لأنّها بلدة معافاة من الفتن، و من أرادها بسوء کبّه اللّه علی وجهه؛ و هو بلد مبارک لأهله فیه.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۴

و عن أبی بصرة الغفاریّ، قال: مصر خزائن الأرض کلّها، و سلطان مصر سلطان الأرض کلّها.

و عن أبی رهم السماعیّ، قال: لا تزال مصر معافاة من الفتن، مدفوعا عن أهلها کلّ الأذی؛ ما لم یغلب علیها غیرهم؛ فإذا کان کذلک لعبت بهم الفتن یمینا و شمالا.

و عن عبد اللّه بن عمر، قال: البرکة عشر برکات؛ ففی مصر تسع، و فی الأرض کلّها واحدة؛ و لا تزال فی مصر برکة أضعاف ما فی جمیع الأرضین.

و عن حیوة بن شریح، عن عقبة بن مسلم، یرفعه: «إنّ اللّه یقول یوم القیامة لساکنی مصر یعدّد علیهم: «أ لم أسکنکم مصر، فکنتم تشبعون من خبزها و تروون من مائها!»».

و عن أبی موسی الأشعریّ رضی اللّه عنه، قال: أهل مصر الجند الضعیف، ما کادهم أحد إلا کفاهم اللّه مؤنته. قال تبیع بن عامر الکلاعیّ: فأخبرت بذلک معاذ بن جبل، فأخبرنی أنّ بذلک أخبره رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم.

و عن شفیّ بن عبید الأصبحیّ: قال: بلد مصر بلد معافاة من الفتن، لا یریدهم أحد بسوء إلا صرعه اللّه، و لا یرید أحد هلکهم إلّا أهلکه.

و قال أبو الربیع السّائح: نعم البلد مصر، یحجّ منها بدینارین، و یغزی منها بدرهمین. یرید الحجّ فی بحر القلزم، و الغزو إلی الإسکندریة و سائر سواحل مصر.

و قیل: إنّ یوسف علیه الصلاة و السلام لمّا دخل إلی مصر، و أقام بها قال: اللهمّ إنّی غریب فحبّبها إلیّ و إلی کلّ غریب؛ فمضت دعوة یوسف، فلیس یدخلها غریب إلا أحبّ المقام بها.

و عن دانیال علیه السّلام: «یا بنی إسرائیل، اعملوا للّه، فإنّ اللّه یجازیکم بمثل مصر فی الآخرة»- أراد الجنّة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۵

ذکر إقلیم مصر

قال ابن حوقل فی کتاب الأقالیم: اعلم أنّ حدّ دیار مصر الشمالی بحر الروم رفح من العریش ممتدّا علی الجفار إلی الفرما، إلی الطّینة ، إلی دمیاط، إلی ساحل رشید، إلی الإسکندریة و برقة علی الساحل، آخذا جنوبا إلی ظهر الواحات، إلی حدود النّوبة، و الحدّ الجنوبیّ من حدود النوبة المذکورة، آخذا شرقا إلی أسوان، إلی بحر القلزم . و الحدّ الشرقیّ من بحر القلزم قبالة أسوان إلی عیذاب ، إلی القصیر ، إلی القلزم ، إلی تیه بنی إسرائیل، ثمّ یعطف شمالا إلی بحر الروم، إلی رفح، حیث ابتدأنا، و بقاعها کثیرة.

و قال غیره: مصر هی إقلیم العجائب، و معدن الغرائب؛ و کانت مدنا متقاربة علی الشّطّین؛ کأنّها مدینة واحدة، و البساتین خلف المدن متّصلة کأنّها بستان واحد، و المزارع من خلف البساتین، حتی قیل: إنّ الکتاب کان یصل من إسکندریة إلی أسوان فی یوم واحد، یتناوله قیّم البسّاتین واحد إلی واحد. و قد دمّر اللّه تلک المعالم، و طمس علی تلک الأموال و المعادن.

حکی أنّ المأمون لمّا دخل مصر، قال: قبّح اللّه فرعون إذ قال: أَ لَیْسَ لِی مُلْکُ مِصْرَ [الزخرف: ۵۱]، فلو رأی العراق! فقال له سعید بن عفیر: لا تقل هذا یا أمیر المؤمنین فإنّ اللّه تعالی قال: وَ دَمَّرْنا ما کانَ یَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ وَ ما کانُوا یَعْرِشُونَ [الأعراف: ۱۳۷]، فما ظنّک بشیء دمّره اللّه هذه بقیّته؟! فقال: ما قصّرت یا سعید. قال سعید: ثمّ قلت: یا أمیر المؤمنین؛ لقد بلغنا أنّه لم تکن أرض أعظم من

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۶

مصر، و جمیع الأرض یحتاجون إلیها، و کانت الأنهار بقناطر و جسور بتقدیر؛ حتّی إنّ الماء یجری تحت منازلهم و أفنیتهم یحبسونه متّی شاؤوا، و یرسلونه متی شاؤوا، و کانت البساتین بحافّتی النیل من أوّله إلی آخره ما بین أسوان إلی رشید لا تنقطع؛ و لقد کانت المرأة تخرج حاسرة و لا تحتاج إلی خمار لکثرة الشجر، و لقد کانت المرأة تضع المکتل علی رأسها فیمتلیء ممّا یسقط فیه من الشجر، و کان أهل مصر ما بین قبطیّ، و یونانیّ و عملیقیّ؛ إلّا أنّ جمهورهم قبط، و أکثر ما یملکها الغرباء. و کانت خمسا و ثمانین کورة ، منها أسفل الأرض خمس و أربعون کورة، و منها بالصّعید أربعون کورة؛ و کان فی کلّ کورة رئیس من الکهنة- و هم السّحرة- و کانت مصر القدیمة اسمها أقسوس، و کانت منف مدینة الملوک قبل الفراعنة و بعدهم إلی أن خرّبها بخت نصّر؛ و کان لها سبعون بابا، و حیطانها مبنیّة بالحدید و الصّفر ، و کان یجری تحت سریر الملک أربعة أنهار، و کان طولها اثنی عشر میلا. و کان جبایة مصر تسعین ألف ألف دینار مکرّرة مرّتین بالدینار الفرعونیّ، و هو ثلاثة مثاقیل.

و قال صاحب مباهج الفکر و مناهج العبر : حدّ مصر طولا من ثغر أسوان، و هو تجاه النّوبة إلی العریش، و هو مدینة علی البحر الرومیّ، و مسافة ذلک ثلاثون مرحلة، و حدّه عرضا من مدینة برقة الّتی علی ساحل البحر الرومیّ إلی أیلة التی علی بحر القلزم، و مسافة ذلک عشرون مرحلة. و تنسب إلی مصر. و قیل: مصر بن بیصر بن حام. و یسمّی الیونان بلد مصر مقدونیة، و أوّل مدینة اختطّت بمصر مدینة منف، و هی فی غربیّ النیل، و تسمّی فی عصرنا بمصر القدیمة. و لما فتح عمرو بن العاص مصر أمر المسلمین أن یحیطوا حول فسطاطه ، ففعلوا، و اتّصلت العمارة بعضها ببعض، و سمّی مجموع ذلک الفسطاط. و لم یزل مقرّا للولایة و الجند إلی أن ولیه أحمد بن

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۷

طولون، فضاق بالجند و الرعیّة، فبنی فی شرقیّة مدینة، و سمّاها القطائع، و أسکنها الجند، یکون مقدارها میلا فی میل. و لم تزل عامرة إلی أن هدمها محمد بن سلیمان الکاتب فی أیّام المکتفی، حنقا علی بنی طولون سنة اثنتین و تسعین و مائتین، و أبقی الجامع. ثمّ ملک العبیدیّون مصر فی سنة ثمان و خمسین و ثلاثمائة، فبنی جوهر القائد مولی المعزّ مدینة شرقیّ مدینة ابن طولون، و سمّاها القاهرة، و بنی فیها القصور لمولاه، فصارت بعد ذلک دار الملک و مقرّ الجند.

قال فی السّکردان : و کان جوهر لمّا بنی القاهرة سمّاها المنصورة، فلمّا قدم المعزّ غیّر اسمها، و سمّاها القاهرة؛ و ذلک أن جوهرا لمّا قصد إقامة السّور جمع المنجّمین، و أمرهم أن یختاروا طالعا لحفر الأساس، و طالعا لرکّ حجارته، فجعلوا قوائم من خشب، بین القائمة

و القائمة حبل فيه أجراس، و اعلموا البنّائين أنّه ساعة تحريك الأجراس يرمون ما بأيديهم من الطّين و الحجارة، فوقف المنجّمون لتحرير هذه الساعة، و أخذ الطّالع، فاتّفق وقوع غراب على خشبة من الخشب، فتحرّكت الأجراس، فظنّ الموكّلون بالبناء أنّ المنجّمين حرّكوها، فألقوا ما بأيديهم من الطين و الحجارة فی الأساس، فصاح المنجّمون: «لا، لا»، القاهر فی الطالع، فمضی ذلک فلم يتم لهم ما قصدوه؛ و كان الغرض أن يختاروا طالعا لا يخرج عن نسلهم، فوقع أنّ المرّيخ كان فی الطالع؛ و هو يسمّی عند المنجّمين القاهر؛ فعلموا أنّ الأتراک لا بدّ أن يملكوا هذه القرية، فلما قدم المعزّ، و أخبر بهذه القضيّة- و كان له خبرة تامّة بالنّجامة- وافقهم على ذلک و أنّ التّرک تكون لهم الغلبة على هذه البلدة، فسمّاها القاهرة، و غيّر اسمها الأول.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۸

قال صاحب مباهج الفكر و مناهج العبر: و لمّا انقضت دولة العبيديّين و ملک المعزّ مصر سنة أربع و ستّين و خمسمائة، بنی صلاح الدين يوسف بن أيّوب سورا جامعا بين مصر و القاهرة و لم يتمّ؛ يبتدئ من القلعة و ينتهی إلی ساحل النيل بمصر، فطول هذا السّور تسعة و عشرون ألف ذراع و ثلاثمائة ذراع بالهاشمیّ، و عمل ديار مصر مقسوم بين المصريّين؛ فالذی فی حصّة مصر من الكور أربع و عشرون كورة، تشتمل علی تسعمائة و ستّ و خمسين قرية، قد جعلت هذه الكور صفقات، فی كلّ صفقة منها والی حرب و قاض و عامل خراج، كلّ صفقة تشتمل علی ولايات.

منها الجيزيّة؛ منسوبة إلی مدينة تسمّی الجيزة علی ضفة النيل الغربية تجاه الفسطاط، و ولايتها وسيم ، و منية القائد غربیّ النيل و إطنيح شرقيّه.

و الفيّومة تنسب إلی مدينة الفيّوم .

و البهنسی و ولايتها الغرسة و ناق الميمون، و شمسطا، و دهروط، و قلوسنا، و شرونة، و أهناس، و الأشمونين.

و منية بنی خصيب و ولايتها طحا، و دروة، و سريام، و منفلوط.

و الأسيوطيّة لمدينة أسيوط و ولايتها بوتيج، و أبوبط.

و الإخميمية لمدينة إخميم و ولايتها ساقية قلتة، و البيّارات، و سلاق،

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۹

و سوهای، و جزيرة شندويد، و سمنت، و قلفاو ، و المنشيّة، و المراغة.

و القوصيّة لمدينة قوص ؛ و ولايتها مرج بنی هميم، و قصر ابن شادی، و فاو، و دشنا، و قنا، و أبنوب، و قفط- و كانت المصير قبل قوص- و دمامين، و الأقصر، و طود، و أسوان، و فرجوط، و البلينا، و سمهود ، و هوّ، و دندرة، و قمول ، و أرمنت، و الدمقران ، و أصفون، و إسنا، و إدفا، و عيذاب و هی علی ساحل بحر القلزم، و لها فرضة تسمّی القصير.

و الذی فی حصّة القاهرة من الكور ستّ و ثلاثون كورة، تشتمل علی ألف و أربعمائة و تسع و ثلاثين قرية، يجمع ذلک من الصّفق صفقة القليوبيّة، تنسب لمدينة عامرة كثيرة البساتين، تضاهی دمشق فی التفاف شجرها، و اختلاف ثمارها؛ و ليس لها ولايات.

و الشرقيّة، و قصبتها مدينة بلبيس و ولايتها المشتولية ، و السّكونية، و الدقدوسيّة ، و العبّاسيّة، و الصّهرجتيّة .

و صفقة المنوفية، و ولايتها: تلوانة، و سبک الضحّاک، و البتنون، و شبين الكوم.

و صفقة إبيار: و ليس لها ولاية؛ و هذه المدينة دمشق الصغری، لكثرة ما بها من الفواكه.

و صفقة الغربيّة؛ و قصبتها مدينة المحلّة، و تعرف بمحلّة دنقلا و ولايتها السّنهورية، و السخاوية، و الدنجاوية و الدميرتان، و الطمويسيّة، و البرماوية، و الطنتناويّة، و السمنوديّة؛ و جزيرة قويسنا، و منية زفتی.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۰

و صفقة الدقهليّة و المرتاحيّة، و ولايتها: طناح، و تلبانة، و بارنبالة، و المنزلة، و المنصورة، و منية بنی سلسيل، و شارمساح، و قصبتها

أشموم.

و صفقة البحيرة و قصبتها: دمنهور الوحش، و ولايتها: لقانة، و تروجة، و العطف، و درشابة، و الزّاوية، و دميسا، و الطرانة، و فوّه، و رشيد.

و ممّا هو معدود فی کور إقليم مصر: کورة القلزم علی ثلاثة أيّام من مصر- خربت- و کورة فاران، و کورة الطور، و کورة أيلة- خربت-.

و من أعمال مصر الجليلة و احات تحيط بها المفاوز بين الصّعيد و المغرب، و نوبة، و الحبشة؛ و هی ثلاث واحات:

أولی، و هی الخارجة و قصبتها تسمّی المدينة.

و وسطی، و فيها المدينتان القصر و هندی.

و الثالثة تسمّی الداخلة، و فيها مدينتان، أريس و ميمون.

و لإقليم مصر من الثغور علی ساحل بحر الروم الفرما و تنّيس، و کانت مدينة عظيمة لها بحيرة مالحة يصاد بها السمک البوری و قد خربت و ذهبت آثارها، هدمها الملک الکامل سنة أربع و عشرين و ستّمائة خوفا من استيلاء الفرنج عليها، فتجاوره فی ديار مصر، و کانت من العظم بحيث أنّه ألّف فی أخبارها کتاب فی مجلّدين، فيه قضاتها و ولاتها و سراتها؛ ذکر فيه أنّ خراجها جیء فی أيّام أحمد بن طولون خمسمائة ألف دينار، و أنّه کان بها ثلاثة و ثمانون ألف محتلم يؤدّون الجزية- خربت- وسطا- خربت- و دبيق. و دمياط، و لها من الولايات: فارسکور، و البرلس، و بورة- خربت- و رشيد، و الإسکندريّة، و لها فيما بينها و بين برقة کورتان علی ساحل بحر الروم: کورة کونية و کورة مراقية.

هذا کلّه کلام صاحب مباهج الفکر فی إقليم مصر و کوره. و سأعقد بابا فی سرد أسماء البلاد و القری التی بإقليم مصر علی سبيل الاستيفاء، و أذکر ما فی کلّ بلد من نادرة، و من خرج منها من النبلاء، و ما قيل فيها من الشعر.

و قال ابن زولاق: کلّ کورة بمصر فإنّما هی مسمّاة باسم ملک جعلها له أو لولده أو زوجته، کما سمّيت مصر باسم ملکها مصر بن بيصر.

و قال أبو حازم عبد الحميد بن عبد العزيز قاضی العراق: سألت محمد بن المدبّر عن مصر قال: کشفتها، فوجدت غامرها أضعاف عامرها، و لو عمّرها السّلطان لوفت له

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۱

بخراج الدنيا. قال: و قلت: کيف عمرت ولاية مصر حتّی عقدت علی مصر تسعين ألف ألف دينار مرّتين کما مرّ؟ قال: فی الوقت الذی أرسل فرعون بويبة قمح إلی أسفل الأرض و الصعيد فلم يوجد لها موضع تبذر فيه لشغل سائر البلاد بالزرع.

أورده ابن زولاق.

ذکر من نزل مصر من أولاد آدم عليه الصلاة و السلام

قال أحمد بن يوسف التّيفاشیّ فی کتابه سجع الهديل فی أوصاف النيل:

ذکر أئمة التاريخ أنّ آدم عليه الصلاة و السلام أوصی لابنه شيث، فکان فيه و فی بنيه النبوّة، و أنزل اللّه عليه تسعا و عشرين صحيفة، و أنّه جاء إلی أرض مصر، و کانت تدعی باب لون ، فنزلها هو و أولاد أخيه، فسکن شيث فوق الجبل و سکن أولاد قابيل أسفل الوادی. و استخلف شيث ابنه أنوش، و استخلف أنوش ابنه قينان، و استخلف قينان ابنه مهليائيل ، و استخلف مهليائيل ابنه يرد ، و دفع الوصيّة إليه، و علّمه جميع العلوم، و أخبره بما يحدث فی العالم، و نظر فی النجوم و فی الکتاب الذی أنزل علی آدم، و ولد ليرد أخنوخ، و هو هرمس، و هو إدريس النبیّ عليه الصلاة و السلام؛ و کان الملک فی هذا الوقت محويل بن أخنوخ بن قابيل، و تنبّأ إدريس و هو ابن

أربعین سنة، و أراده الملک محویل بن أخنوخ بن قابیل بسوء فعصمه اللّه، و أنزل علیه ثلاثین صحیفة، و دفع إلیه أبوه وصیّة جدّه، و العلوم التی عنده. و ولد بمصر، و خرج منها، و طاف الأرض کلّها، و کانت ملّته الصّابئة، و هی توحید اللّه و الطهارة و الصلاة و الصّوم و غیر ذلک من رسوم التعبّدات. و کان فی رحلته إلی المشرق أطاعه جمیع ملوکها و ابتنی مائة و أربعین مدینة أصغرها الرّها ثم عاد إلی مصر فأطاعه ملکها، و آمن به، فنظر فی تدبیر أمرها، و کان النّیل یأتیهم سیحا، فینحازون من مساله إلی أعالی الجبل و الأرض

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۲

العالیة حتّی ینقص، فینزلون فیزرعون حیثما وجدوا الأرض ندیّة، و کان یأتی فی وقت الزراعة و فی غیر وقتها، فلمّا عاد إدریس جمع أهل مصر، و صعد بهم إلی أوّل مسیل النیل، و دبّر وزن الأرض و وزن الماء علی الأرض، و أمرهم بإصلاح ما أرادوا من خفض المرتفع و رفع المنخفض و غیر ذلک ممّا رآه فی علم النجوم و الهندسة و الهیئة .

و کان أوّل من تکلّم فی هذه العلوم و أخرجها من القوّة إلی الفعل و وضع فیها الکتب و رسم فیها العلوم، ثمّ سار إلی بلاد الحبشة و النّوبة و غیرها، و جمع أهلها، و زاد فی مسافة جری النیل و نقصه بحسب بطئه، و سرعته فی طریقه، حتّی عمل حساب جریه و وصوله إلی أرض مصر فی زمن الزراعة علی ما هو علیه الآن، فهو أوّل من دبّر جری النیل إلی مصر؛ و مات إدریس بمصر.

و الصّابئة تزعم أنّ هرمی مصر؛ أحدهما قبر شیث، و الآخر قبر إدریس.

و الأصحّ ما هو إدریس؛ إنّما هو مصر بن بیصر بن حام بن نوح.

هذا کلام التّیفاشیّ.

ذکر من ملک مصر قبل الطوفان

قال المسعودی : أوّل من ملک مصر بعد تبدیل الألسن نقراوس، و کان عالما بالکهانة و الطّلسمات، و یقال إنّه بنی مدینة أمسوس ، و عمل بها عجائب کثیرة منها أنّه عمل صنمین من حجر أسود فی وسط المدینة إذا قدمها سارق لم یقدر أن یزول عنها حتّی یسلک بینهما، فإذا سلک بینهما أطبقا علیه، فیؤخذ، و کان مدّة ملکه مائة و ثمانین سنة.

فلما مات ملک بعده ابنه نقراوس؛ و کان کأبیه فی علم الکهانة و الطّلسمات، و بنی مدینة بمصر و سمّاها صلحة ، و عمل خلف الواحات ثلاث مدن علی أساطین، و جعل فی کلّ مدینة خزائن من الحکمة و العجائب.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۳

فلمّا مات ملک بعده أخوه مصرام، و کان حکیما ماهرا فی الکهانة و الطّلسمات فعمل أعمالا عظیمة، منها أنّه ذلّ الأسد و رکبه. و یقال إنّه رکب فی عرشه و حملته الشیاطین حتّی انتهی إلی وسط البحر المحیط، و جعل فیه قلعة بیضاء، و جعل فیها صنما للشّمس و زبر علیها اسمه و صفة ملکه، و عمل صنما من نحاس و زبر علیه: «أنا مصرام الجبّار، کاشف الأسرار، وضعت الطّلّسمات الصّادقة، و أقمت الصّور الناطقة، و نصبت الأعلام الهائلة علی البحار السائلة، لیعلم من بعدی أنّه لا یملک أحد ملکی».

ثمّ ملک بعده خلیفته عیقام الکاهن، و یقال: إنّ إدریس علیه الصلاة و السلام رفع فی أیّامه.

ثم ملک بعده ابنه عریاق، و یقال إنّ هاروت و ماروت کانا فی وقته.

ثم ملک بعده لوخیم بن نتراس.

و بعده خصلیم، و هو أوّل من عمل مقیاسا لزیادة النیل؛ و ذلک أنّه جمع أصحاب العلوم و الهندسة فعملوا له بیتا من رخام علی حافة النّیل، و جعل فی وسطه برکة من نحاس صغیرة، فیها ماء موزون، و علی حافة البرکة عقابان من نحاس: ذکر و أنثی، فإذا کان أوّل الشهر الذی یزید فیه النیل فتح البیت و جمع الکهّان فیه بین یدیه، و تکلّم رؤساء الکهّان بکلام لهم حتّی یصفر أحد العقابین، فإن صفر الذّکر کان الماء تامّا، و إن صفر الأنثی کان الماء ناقصا، فیعتدّون لذلک. و هو الّذی بنی القنطرة التی ببلاد النّوبة علی النیل.

و ملک بعده رجل، یقال له هوصال؛ و یقال إنّ نوحا علیه الصلاة و السلام کان فی وقته.

و ملک بعده ولده قدرسان.

و ملک بعده سرقاق.

و ملک بعده ابنه سلقوف.

و ملک بعده ابنه سوریـد؛ و هو أوّل من جبی الخراج بمصر؛ و هو الـذی بنی الهرمین، و لمـا مـات دفن فی الهرم، و دفن معه جمیع أمواله و کنوزه.

و ملک بعده ابنه هو جیت، و دفن أیضا فی الهرم.

و ملک بعده ابنه مناوس و یقال منقاوس.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۴

و ملک بعده ابنه افروس.

و بعده ابنه مالینوس.

و بعده ابن عمّه فرعان. و فی أیامه جاء الطوفان، فخرّب دیار مصر کلّها، و زالت معالمها و عجائبها، و أقام الماء ستّة أشهر حتّی نضب.

و ذکر بعض من ألّف فی أخبار مصر أنّ سفینة نوح طافت بمصر و أرضها فبارک نوح علیه السّلام فیها.

ذکر من ملک مصر بعد الطوفان

قال ابن عبـد الحکم: أنبأنا عثمان بن صالـح، أخبرنا ابن لهیعة، عن عیّاش بن عباس العتبانیّ، عن حنش بن عبد اللّه الصّـنعانیّ، عن عبد اللّه بن عبّاس رضی اللّه عنهما، قال: کان لنوح علیه الصّلاة و السّلام أربعة من الولد: سام، و حام، و یافث، و یحطون. و إنّ نوحا رغب للّه، و سأله أن یرزقه الإجابـة فی ولـده و ذریّته حتّی یتکاملوا بالنّماء و البرکـة، فوعـده ذلک، فنادی نوح ولـده و هم نیام عنـد السّـحر فنادی ساما، فأجابه یسعی، و صاح سام فی ولـده فلم یجبه أحد منهم إلّا ابنه أرفخشذ، فانطلق به معه حتّی أتیاه، فوضع نوح یمینه علی سام، و شماله علی أرفخشذ، و سأل اللّه أن یبارک فی سام أفضل البرکة، و أن یجعل الملک و النبوّة فی ولد أرفخشذ.

ثم نادی حاما فتلفّت یمینا و شمالا و لم یجبه، و لم یقم إلیه هو و لا أحد من أولاده، فدعا اللّه نوح أن یجعل ولده أذلّاء، و أن یجعلهم عبیـدا لولـد سام. قال: و کان مصر بن بیصر بن حام نائما إلی جنب جدّه حام، فلمّا سـمع دعاء نوح علی جدّه و ولده، قام یسـعی إلی نوح فقـال: یـا جـدّی، قـد أجبتـک إذ لم یجبک أبی، و لا أحـد من ولـده، فاجعل لی دعوة من دعوتک. ففرح نوح، فوضع یـده علی رأسه، و قال: اللّهمّ إنّه قد أجاب دعوتی: فبارک فیه و فی ذرّیته و أسـکنه الأرض المبارکة التی هی أمّ البلاد و غوث العباد التی نهرها أفضل أنهار الدّنیا، و اجعل فیها أفضل البرکات، و سخّر له و لولده الأرض، و ذلّلها لهم، و قوّهم علیها.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۵

قال صاحب مباهج الفکر: یقال إنّ سـبب سکنی مصر الأرض التی عرفت به وقوع الصّرح ببابل، فإنّه لما وقع تفرّق من کان حوله ممّن تناسل من أولاد نوح، فأخذ بنو حام جهة المغرب، إلی أن وصلوا إلی البحر المحیط.

و أخرج ابن عبد الحکم، عن ابن لهیعة و عبد اللّه بن خالد، قالا: کان أوّل من سـکن مصر بعد أن أغرق اللّه قوم نوح بیصر بن حام بن نوح، و هو أبو القبـط کلّهم، فسـکن منفـا- و هی أوّل مدینـة عمرّت بعـد الغرق- هو و ولـده و هم ثلاـثون نفسـا، قـد بلغوا و تزوّجوا، فبذلک سـمیت ماقة- و ماقة بلسان القبط ثلاثون- و کان بیصـر بن حام بن نوح قد کبر و ضـعف، و کان مصر أکبر ولده، و هو الذی ساق أباه و جمیع إخوته إلی مصر، فنزلوا بها، فبمصر بن بیصر سمّیت مصر مصرا، فحاز له و لولده ما بین الشجرتین خلف العریش إلی أسوان طولا، و من برقة إلی أیلة عرضا. ثمّ إنّ بیصـر بن حام توفّی فدفن فی موضع أبی هرمیس ، فهی أوّل مقبرة قبر فیها بأرض مصر،

و استخلف ابنه مصر، و حاز كلّ واحد من إخوة مصر قطعة من الأرض لنفسه؛ سوى أرض مصر الّتى حازها لنفسه و لولده. فلمّا كثر أولاد مصر و أولاد أولادهم، قطع مصر لكلّ واحد من أولاده قطيعة يحوزها لنفسه و لولده، و قسّم لهم هذا النيل، فقطع لابنه قفط موضع قفط فسكنها، و به سمّيت و ما فوقها إلى أسوان و ما دونها إلى أشمون فى الشرق و الغرب؛ و قطع لأشمن من أشمون فما دونها إلى منف فى الشرق و الغرب، فسكن أشمن أشمون، فسمّيت به. و قطع لأتريب ما بين منف إلى صا؛ فسكن أتريب، فسمّيت به، و قطع لصا ما بين صا إلى البحر، فسكن صا؛ فسمّيت به؛ فكانت مصر كلّها على أربعة أجزاء: جزأين بالصعيد، و جزأين بأسفل الأرض. قال: ثمّ توفّى مصر بن بيصر، فاستخلف ابنه قفط.

و فى بعض التّواريخ: لمّا مات مصر، كتب على قبره: «مات مصر بن بيصر بن

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۶

حام بن نوح بعد ألفين و ستمائة عام من الطوفان، مات و لم يعبد الأصنام، و لا هرم و لا أسقام»؛ و إنّ قفط به سمّيت القبط؛ و هو الذى بنى أهرام دهشور ؛ و إنّ هودا بعث فى أيّامه، و إنّه أقام فى ملكه أربعمائة و ثمانين سنة.

رجع إلى حديث ابن لهيعة و عبد اللّه بن خالد: ثمّ توفىّ قفط، فاستخلف أخاه أشمن، ثمّ توفّى أشمن، و استخلف أخاه أتريب ، ثمّ توفّى أتريب، فاستخلف أخاه صا، ثمّ توفّى صا، فاستخلف ابنه تدارس .

- و قال غيره: و فى زمنه بعث صالح عليه الصلاة و السلام-.

ثمّ توفّى تدارس، فاستخلف ابنه ماليق، ثمّ توفّى ماليق، فاستخلف ابنه خربتا ، ثمّ توفّى خربتا بن ماليا، فاستخلف ابنه كلّكن ؛ فملكهم نحوا من مائة سنة، ثمّ توفّى و لا ولد له، فاستخلف أخاه ماليا، ثمّ توفّى ماليا فاستخلف ابنه طوطيس ، و هو الذى وهب هاجر لسارة امرأة إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام- ثمّ توفّى فاستخلف ابنته خروبا ؛ و لم يكن له ولد غيرها و هى أوّل امرأة ملكت، ثمّ توفّيت، فاستخلفت ابنة عمتها زالفا ابنة ماموم بن ماليا، فعمّرت دهرا طويلا، فكثروا و نموا، و ملأوا أرض مصر كلها، فطمعت فيهم العمالقة- و هم من ولد عملاق بن لاوز بن سام- فغزاهم الوليد بن دومغ ، فقاتلهم قتالا شديدا، ثمّ رضوا أن يملّكوه عليهم؛ فملكهم نحوا من مائة سنة، فطغى و تكبّر، و أظهر الفاحشة، فسلّط اللّه عليه سبعا، فافترسه فأكل لحمه.

و قال غيره: إنّ الوليد بن دومغ آذاه ضرسه، فنزع؛ فكان وزنه ثمانية عشر منّا

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۷

و ثلثى منّ، و إنّه رئى بعد فتح مصر يوزن به فى ميزان الوكالة. انتهى.

فملكهم من بعده الريّان بن الوليد- و هو صاحب يوسف عليه الصلاة و السلام- فلمّا رأى الملك رؤياه الّتى رآها و عبّرها يوسف، أرسل إليه فأخرجه من السجن، و دفع إليه خاتمه، و ولّاه ما خلّف آباؤه، و ألبسه طوقا من ذهب و ثياب حرير، و أعطاه دابّة مسرجة مزيّنة كدابّة الملك، و ضرب بالطبل بمصر أنّ يوسف خليفة الملك.

و ما أحسن قول بعضهم:

أما فى رسول اللّه يوسف أسوةلمثلك محبوسا على الظلم و الإفك

أقام جميل الصّبر فى الحبس برهةفآل به الصبر الجميل إلى الملك

قال ابن عبد الحكم: حدّثنا أسد بن موسى، حدّثنى الليث بن سعد، حدثنى بعض مشيخة لنا، قال: اشتدّ الجوع على أهل مصر، فاشتروا الطّعام من يوسف بالذهب حتّى لم يجدوا ذهبا، فاشتروا بالفضّة حتّى لم يجدوا فضّة، فاشتروا بأغنامهم حتّى لم يجدوا غنما؛ فلم يزل يبيعهم الطّعام حتّى لم يبق لهم فضّة و لا ذهبا و لا شاة و لا بقرة فى تلك السنتين، فأتوه فى الثالثة، فقالوا له: لم يبق لنا شىء إلّا أنفسنا و أهلونا و أرضونا. فاشترى يوسف أرضهم كلّها لفرعون، ثمّ أعطى لهم يوسف طعاما يزرعونه على أنّ لفرعون الخمس.

قال ابن عبد الحكم: و فى ذلك الزّمان استنبطت الفيّوم، و كان سبب ذلك كما حدثنا هشام بن إسحاق أنّ يوسف عليه الصلاة و

السلام لمّا ملك مصر، و عظمت منزلته من فرعون، و جاوزت سنّه مائة سنة، قال وزراء الملك له: إنّ يوسف قد ذهب علمه، و تغيّر عقله، و نفدت حكمته، فعنّفهم فرعون، و ردّ عليهم مقالتهم، فكفّوا؛ ثمّ عاودوه بذلك القول بعد سنين، فقال لهم: هلمّوا ما شئتم من أىّ شىء أختبره به. و كانت الفيّوم يومئذ تدعى الجوبة؛ و إنّما كانت لمصالة ماء الصعيد و فضوله- فاجتمع رأيهم على أن تكون هى المحنة التى يمتحنون بها يوسف عليه الصلاة و السلام، فقالوا لفرعون: سل يوسف أن يصرف ماء الجوبة عنها، و يخرجه منها، فتزداد بلدا إلى بلدك، و خراجا إلى خراجك. فدعا يوسف فقال: قد تعلم مكان ابنتى فلانة منّى، و قد رأيت إذا بلغت أن أطلب لها بلدا، و إنّى لم أصب لها إلا الجوّبة؛ و ذلك أنّه بلد بعيد قريب، لا يؤتى من وجه من الوجوه إلّا من غابة أو صحراء، فالفيّوم وسط مصر كمثل مصر فى

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۸

وسط البلاد، لأنّ مصر لا تؤتى من ناحية من النّواحى إلّا من صحراء أو مفازة، و قد أقطعتها إيّاها فلا تتركنّ وجها و لا نظرا إلّا بلغته، فقال يوسف: نعم أيّها الملك، متى أردت ذلك فابعث لى؛ فإنّى إن شاء اللّه فاعل؛ فقال: إنّ أحبّه إلىّ و أوفقه أعجله؛ فأوحى إلى يوسف أنّ يحفر ثلاثة خلج: خليجا من أعلى الصعيد من موضع كذا إلى موضع كذا، و خليجا شرقيا من موضع كذا إلى موضع كذا، و خليجا غربيا من موضع كذا إلى موضع كذا؛ فوضع يوسف العمّال، فحفر خليج المنهى من أعلى أشمون إلى اللّاهون ، و حفر خليج الفيّوم و هو الخليج الشرقىّ، و حفر خليجا بقرية يقال لها تنهمت من قرى الفيّوم، و هو الخليج الغربىّ. فخرج ماؤها من الخليج الشرقى فصبّ فى النيل، و خرج من الخليج الغربىّ فصبّ فى صحراء تنهمت إلى الغرب، فلم يبق فى الجوبة ماء. ثم أدخلها الفعلة، فقطع ما كان فيها من القصب و الطّرفاء و أخرجه منها، و كان ذلك ابتداء جرى النّيل، و قد صارت الجوبة أرضا برّيّة، و ارتفع ماء النيل، فدخلها فى رأس المنهى ، فجرى فيه حتّى انتهى إلى اللّاهون، فقطعه إلى الفيّوم، فدخل خليجها فسقاها، فصارت لجّة من النّيل. و خرج إليها الملك و وزراؤه، و كان هذا فى سبعين يوما. فلمّا نظر إليها الملك قال لوزرائه: هذا عمل ألف يوم، فسمّيت الفيّوم؛ فأقامت تزرع كما تزرع غوائط مصر.

قال: ثم بلغ يوسف قول وزراء الملك، و أنّه إنما كان ذلك منهم على المحنة منهم له، فقال للملك: إنّ عندى من الحكمة و التّدبير غير ما رأيت؛ فقال له الملك:

و ما ذاك؟ فقال: أنزل الفيّوم من كلّ كورة من مصر أهل بيت، و آمر أهل كلّ بيت أن يبنوا لأنفسهم قرية- و كانت قرى الفيّوم على عدد كور مصر- فإذا فرغوا من بناء قراهم صيّرت لكلّ قرية من الماء بقدر ما أصيّر لها من الأرض، لا يكون فى ذلك زيادة عن أرضها و لا نقصان، و أصيّر لكلّ قرية شربا فى زمان لا ينالهم الماء إلّا فيه، و أصيّر مطأطئا للمرتفع، و مرتفعا للمطاطىء بأوقات من الساعات فى الليل و النهار، و أصيّر لها مصابّ فلا يقصّر بأحد دون حقّه، و لا يزاد فوق قدره. فقال له فرعون: هذا من

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۹

ملكوت السماء؟ قال: نعم، فبدأ يوسف فأمر ببنيان القرى، و حدّ لها حدودا، فكانت أوّل قرية عمّرت بالفيّوم قرية يقال لها شانة ، و هى القرية التى كانت تنزلها بنت فرعون. ثم أمر بحفر الخليج و بنيان القناطر، فلما فرغوا من ذلك استقبل وزن الأرض و وزن الماء؛ و من يومئذ أحدثت الهندسة، و لم يكن الناس يعرفونها قبل ذلك.

قال: و كان أوّل من قاس النيل بمصر يوسف عليه الصلاة و السلام، و وضع مقياسا بمنف.

أخرج ابن عبد الحكم من طريق الكلبىّ، عن أبى صالح عن ابن عبّاس، قال:

فوّض الرّيان إلى يوسف تدبير ملك مصر، و هو يومئذ ابن ثلاثين سنة.

و أخرج عن عكرمة أنّ فرعون قال ليوسف: إنّى قد سلطنتك على مصر، إنّى أريد أن أجعل كرسىّ أطول من كرسيّك بأربع أصابع، قال يوسف: نعم.

قال ابن عبد الحکم: و حدّثنا هشام بن إسحاق، قال: فی زمان الرّیان بن الولید، دخل یعقوب علیه الصلاة و السلام و ولده مصر؛ و هم ثلاثة و تسعون نفسا، بین رجل و امرأة، فأنزلهم یوسف ما بین عین شمس إلی الفرما و هی أرض ریفیّة برّیة. قال: فلمّا دخل یعقوب علی فرعون، فکلّمه- و کان یعقوب شیخا کبیرا حلیما حسن الوجه و اللحیة، جهیر الصوت- فقال له فرعون: کم أتی علیک أیّها الشیخ؟ قال: عشرون و مائة سنة.

و کان بمین ساحر فرعون قد وصف صفة یعقوب و یوسف و موسی علیهم الصلاة و السلام فی کتبه، و أخبر أنّ خراب مصر و هلاک ملکها یکون علی یدیهم، و وضع الرایات و صفات من تخرب مصر علی یدیه.

فلمّا رأی یعقوب قام إلی مجلسه، فکان أوّل ما سأله عنه أن قال له: من تعبد أیّها الشیخ؟ قال له یعقوب: أعبد اللّه إله کلّ شیء، قال: کیف تعبد ما لا تری؟ قال له یعقوب: إنّه أعظم و أجلّ من أن یراه أحد، قال بمین: فنحن نری آلهتنا، قال یعقوب:

إنّ آلهتکم من عمل أیدی بنی آدم، ممّن یموت و یبلی، و إنّ إلهی أعظم و أرفع، و هو أقرب إلینا من حبل الورید؛ فنظر بمین إلی فرعون، فقال: هذا الذی یکون هلاک بلادنا علی یدیه، قال فرعون: فی أیّامنا أو فی أیام غیرنا؟ قال: لیس فی أیّامک و لا أیّام بنیک، قال الملک: هل تجد هذا فیما قضی به إلهکم؟ قال: نعم. قال: فکیف نقدر أن نقتل من یرید إلهه هلاک قومه علی یدیه! فلا نعبأ بهذا الکلام.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۰

و أخرج ابن عبد الحکم عن طریق الکلبیّ عن أبی صالح، عن ابن عبّاس، قال:

دخل مصر یعقوب و ولده، و کانوا سبعین نفسا، و خرجوا و هم ستّمائة ألف نفس.

و أخرج عن مسروق، قال: دخل أهل یوسف و هم ثلاثة و تسعون إنسانا، و خرجوا و هم ستّمائة ألف نفس.

و أخرج عن کعب الأحبار أنّ یعقوب عاش فی أرض مصر ست عشرة سنة، فلمّا حضرته الوفاة قال لیوسف: لا تدفنّی بمصر، فإذا متّ فاحملونی فادفنونی فی مغارة جبل حبرون . فلمّا مات لطّخوه بمرّ و صبر، و جعلوه فی تابوت من ساج ، و أعلم یوسف فرعون أنّ أباه قد مات، و أنّ سأله أن یقبره فی أرض کنعان، فأذن له، و خرج معه أشراف أهل مصر حتّی دفنه و انصرف.

قال ابن عبد الحکم: و حدثنا عثمان بن صالح، حدّثنا ابن لهیعة، عمّن حدّثه، قال: قبر یعقوب علیه الصلاة و السلام بمصر، فأقام بها نحوا من ثلاث سنین، ثم حمل إلی بیت المقدس؛ أوصاهم بذلک عند موته.

و أخرج من طریق الکلبیّ، عن أبی صالح، قال: حبرون مسجد إبراهیم الیوم، بینه و بین بیت المقدس ثمانیة عشر میلا.

رجع إلی حدیث ابن لهیعة و عبد اللّه بن خالد: قالا: ثمّ مات الریّان بن الولید، فملکهم من بعده ابنه دارم؛ و فی زمانه توفّی یوسف علیه الصلاة و السلام.

أخرج ابن عبد الحکم، عن کعب قال: لما حضرت یوسف الوفاة، قال: إنّکم ستخرجون من أرض مصر إلی أرض آبائکم، فاحملوا عظامی معکم. فمات، فجعلوه فی تابوت و دفنوه.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۱

و أخرج عنه قال: لمّا مات یوسف استعبد أهل مصر بنی إسرائیل.

و أخرج عن سماک بن حرب، قال: دفن یوسف علیه الصلاة و السلام فی أحد جانبی النیل ، فأخصب الجانب الذی کان فیه، و أجدب الجانب الآخر، فحوّلوه إلی الجانب الآخر، فأخصب الجانب الذی حوّلوه إلیه، و أجدب الجانب الآخر؛ فلمّا رأوا ذلک جمعوا عظامه فجعلوها فی صندوق من حدید، و جعلوه فی سلسلة، و أقاموا عمودا علی شاطیء النیل، و جعلوا فی أصله سکّة من حدید؛ و جعلوا السلسلة فی السکّة، و ألقوا الصندوق فی وسط النیل، فأخصب الجانبان جمیعا.

رجع إلی حدیث ابن لهیعة، و عبد اللّه بن خالد، قالا: ثمّ إنّ دارما طغی بعد یوسف و تکبّر، و أظهر عبادة الأصنام، و رکب النیل فی

سفينة، فبعث اللّه عليه ريحا عاصفا، فأغرقته و من كان معه فيما بين طرا إلى موضع حلوان ؛ فملكهم من بعده كاشم بن معدان و كان جبّارا عاتيا. ثمّ هلك كاشم بن معدان، فملكهم من بعده فرعون موسى من العماليق، فأقام خمسمائة سنة، حتّى أغرقه اللّه.

و أخرج ابن عبد الحكم، عن ابن لهيعة و اللّيث بن سعد، قالا: كان فرعون قبطيّا من قبط مصر، اسمه طلما .

و أخرج عن هانىء بن المنذر، قال: كان فرعون من العماليق، و كان يكنى بأبى مرّة.

و أخرج عن أبى بكر الصدّيق، قال: كان فرعون أثرم .

و قال: حدثنا سعيد بن عفير، حدّثنا عبد اللّه بن أبى فاطمة، عن مشايخه، أنّ ملك مصر توفّى، فتنازع الملك جماعة من أبناء الملك- و لم يكن الملك عهد- و لمّا

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۲

عظم الخطب بينهم تداعوا إلى الصّلح، فاصطلحوا على أن يحكم بينهم أوّل من يطلع من الفجّ- فجّ الجبل- فطلع فرعون بين عديلتى نطرون ، قد أقبل بهما ليبيعهما، و هو رجل من فران بن بلىّ- و اسمه الوليد بن مصعب، و كان قصيرا أبرص، يطأطئ فى لحيته- فاستوقفوه، و قالوا: إنّا جعلناك حكما بيننا فيما تشاجرنا فيه من الملك، و أتوه مواثيقهم على الرّضا. فلمّا استوثق منهم، قال: إنّى قد رأيت أن أملّك نفسى عليكم؛ فهو أذهب لضغائنكم، و أجمع لأموركم، و الأمر من بعد إليكم. فأمّروه عليهم لمنافسة بعضهم بعضا، و أقعدوه فى دار الملك بمنف، فأرسل إلى صاحب أمر كلّ رجل منهم، فوعده و منّاه أن يملّكه على ملك صاحبه، و وعدهم ليلة يقتل فيها كلّ رجل منهم صاحبه، ففعلوا، و دان له أولئك بالربوبيّة، فملكهم نحوا من خمسمائة سنة، و كان من أمره و أمر موسى ما قصّ اللّه تعالى من خبرهم فى القرآن.

و أخرج ابن عبد الحكم عن أبى الأشرس، قال: مكث فرعون أربعمائة سنة، الشباب يغدو عليه و يروح.

و أخرج عن إبراهيم بن مقسم، قال: مكث فرعون أربعمائة سنة لم يصدع له رأس، و كان يملك ما بين مصر إلى إفريقيّة.

و أخرج من طريق الكلبىّ عن أبى صالح، عن ابن عبّاس، قال: كان يقعد على كراسى فرعون مائتان عليهم الديباج و أساور الذهب.

و أخرج ابن عبد الحكم، عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص؛ أنّ فرعون استعمل هامان على حفر خليج سردوس، فلما ابتدأ حفره أتاه أهل كلّ قرية يسألونه أن يجرى الخليج تحت قريتهم، و يعطوه مالا؛ فكان يذهب به إلى هذه القرية من نحو المشرق، ثمّ يردّه إلى قرية فى المغرب، ثمّ يردّه إلى أهل قرية فى القبلة، و يأخذ من أهل كلّ قرية مالا؛ حتّى اجتمع له فى ذلك مائة ألف دينار، فأتى بذلك كلّه إلى فرعون، فسأله فرعون عن ذلك، فأخبره بما فعل فى حفره. قال له فرعون: ويحك! ينبغى للسيّد أن يعطف على عباده، و يفيض عليهم و لا يرغب فيما يأيديهم، و ردّ على أهل كلّ قرية ما أخذ منهم. فردّه كلّه على أهله. قال: فلا يعلم بمصر خليج أكثر عطوفا منه لما فعل هامان فى حفره.

قال ابن عبد الحكم: و زعم بعض مشايخ أهل مصر أنّ الذى كان يعمل به بمصر

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۳

على عهد ملوكها، أنّهم كانوا يقرّون القرى فى أيدى أهلها، كلّ قرية بكراء معلوم، لا ينقض عليهم إلّا فى كلّ أربع سنين من أجل الظمأ و تنقّل اليسار؛ فإذا مضت أربع سنين نقض ذلك، و عدّل تعديلا جديدا، فيرفق بمن استحقّ الرّفق، و يزاد على من يحتمل الزيادة، و لا يحمل عليهم من ذلك ما يشقّ عليهم؛ فإذا جبى الخراج و جمع، كان للملك من ذلك الرّبع خالصا لنفسه يصنع فيه ما يريد، و الربع الثانى لجنده و من يقوى به على حربه و جباية خراجه و دفع عدوّه، و الربع الثالث فى مصلحة الأرض و ما يحتاج إليها من جسورها و حفر خلجها، و بناء قناطرها؛ و القوّة للمزارعين على زرعهم و عمارة أرضهم، و الربع الرابع يخرج منه ربع ما يصيب كلّ قرية من خراجها فيدفن ذلك فيها لنائبة تنزل، أو جائحة بأهل القرية؛ فكانوا على ذلك. و هذا الربع الذى يدفن فى كلّ قرية من خراجها، هو كنوز فرعون الّتى يتحدّث بها أنّها ستظهر، فيطلبها الذين يتّبعون الكنوز.

حدّثنا أبو الأسود نصر بن عبد الجبار، حدّثنا ابن لهيعة، عن أبی قبيل، قال:

خرج وردان من عند مسلمة بن مخلد- و هو أمير علی مصر- فمرّ علی عبد اللّه بن عمرو مستعجلا، فناداه: أين تريد؟ قال: أرسلنی الأمير مسلمة أن آتی منفا، فأحضر له من كنز فرعون، قال: فارجع إليه، و أقرئه منّی السلام و قل له: إنّ كنز فرعون ليس لك و لا لأصحابك، إنّما هو للحبشة، إنّهم يأتون فی سفنهم يريدون الفسطاط، فيسيرون حتّی ينزلوا منفا، فيظهر لهم كنز فرعون، فيأخذون ما يشاءون، فيقولون: ما نبتغی غنيمة أفضل من هذه، فيرجعون، و يخرج المسلمون فی آثارهم فيقتتلون، فيهزم الجيش، فيقتلهم المسلمون و يأسرونهم؛ حتّی إن الحبشیّ ليباع بالكساء.

قال أهل التاريخ: كان فرعون إذا كمل التحضير فی كلّ سنة ينفذ مع قائدين من قوّاده اردبّ قمح، فيذهب أحدهما إلی أعلی مصر، و الآخر إلی أسفلها، فيتأمّل القائد أرض كلّ قرية، فإن وجد موضعا بائرا عطلا قد أغفل بذره، كتب إلی فرعون بذلك، و أعلمه باسم العامل علی تلك الجهة، فإذا بلغ فرعون ذلك، أمر بضرب عنق ذلك العامل، و أخذ ماله، فربّما عاد القائدان و لم يجدا موضعا لبذر الإردبّ لتكامل العمارة و استظهار الزرع.

و أخرج الحاكم فی المستدرك، و صحّحه عن أبی موسی الأشعریّ أنّ رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلم، قال: «إنّ موسی حين أراد أن يسير ببنی إسرائيل، ضلّ عنه الطريق، فقال لبنی إسرائيل: ما هذا؟ فقال له علماء بنی إسرائيل: إنّ يوسف حين حضره الموت، أخذ علينا موثقا من اللّه ألّا نخرج من مصر حتّی ننقل عظامه معنا، فقال موسی: أيّكم يدری

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۴

أين قبره؟ فقالوا: ما يعلم أحد مكان قبره إلّا عجوز لبنی إسرائيل، فأرسل إليها موسی، فقال: دلّينا علی قبر يوسف، قالت: لا و اللّه حتّی تعطينی حكمی، قال: و ما حكمك؟

قالت: أن أكون معك فی الجنّة؛ فكأنّه كره ذلك، فقيل له: أعطها حكمها، فأعطاها حكمها، فانطلقت بهم إلی بحيرة مستنقعة ماء، فقالت لهم: نضّبوا عنها الماء، ففعلوا، قالت: احفروا، فحفروا، فاستخرجوا عظام يوسف؛ فلما أن أقلّوه من الأرض إذا الطريق مثل ضوء النهار».

و أخرج ابن عبد الحكم، عن سماك بن حرب، مرفوعا نحوه، و فيه: «فقالت:

إنّی أسأل أن أكون أنا و أنت فی درجة واحدة فی الجنّة، و يردّ علیّ بصری و شبابی، حتّی أكون شابّة كما كنت، قال: فلك ذلك».

و أخرج من طريق الكلبیّ عن أبی صالح، عن ابن عبّاس نحوه، و فيه: فقالت عجوز يقال لها سارح ابنة آشر بن يعقوب: أنا رأيت عمّی حين دفن، فما تجعل لی أن دللتك عليه؟ فقال: حكمك، قالت: أكون معك حيث كنت فی الجنّة.

و أخرج عن ابن لهيعة عمّن حدّثه، قال: قبر يوسف بمصر، فأقام لها نحوا من ثلاثمائة سنة، ثم حمل إلی بيت المقدس.

رجع إلی حديث ابن لهيعة و عبد اللّه بن خالد: قالا: ثمّ أغرق اللّه فرعون و جنوده، و غرق معه من أشراف أهل مصر و أكابرهم و وجوههم أكثر من ألفی ألف، فبقيت مصر من بعد غرقهم؛ ليس فيها من أشراف أهلها أحد، و لم يبق بها إلّا العبيد و الأجراء و النساء، فأعظم أشراف من بمصر من النساء أن يولّين منهنّ أحدا، و أجمع رأيهنّ علی أن يولّين امرأة منهنّ يقال لها دلوكة بنت زباء، و كان لها عقل و معرفة و تجارب، و كانت فی شرف منهنّ و موضع، و هی يومئذ بنت مائة سنة و ستّين سنة، فملّكوها، فخافت أن يتناولها ملوك الأرض فجمعت نساء الأشراف، فقالت لهنّ: إنّ بلادنا لم يكن يطمع فيها أحد، و لا يمدّ عينه إليها، و قد هلك أكابرنا و أشرافنا، و ذهب السحرة الذين كنّا نقوی بهم، و قد رأيت أن أبنی حصنا أحدق به جميع بلادنا، فأضع عليه المحارس من كلّ ناحية، فإنّا لا نأمن أن يطمع فيها الناس؛ فبنت جدارا أحاطت به علی جميع أرض مصر كلّها المزارع و المدائن و القری، و جعلت دونه خليجا يجری فيه الماء، و أقامت القناطر و التّرع، و جعلت فيه محارس و مسالح علی كلّ ثلاثة أميال

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۵

محرس و مسلحة، و فيما بين ذلك محارس صغار على كلّ ميل، و جعلت فى كلّ محرس رجالا، و أجرت عليهم الأرزاق، و أمرتهم أن يحرسوا بالأجراس، فإذا أتاهم أحد يخافونه ضرب بعضهم إلى بعض بأجراس، فأتاهم الخبر من كل وجه كان فى ساعة واحدة، فنظروا فى ذلك، فمنعت بذلك مصر من أرادها ، و فرغت من بنائه فى ستّة أشهر، و هو الجدار الذى يقال له جدار العجوز، و قد بقيت بالصعيد منه بقايا كثيرة.

و كان ثمّ عجوز ساحرة، يقال لها تدورة، و كانت السّحرة تعظّمها و تقدّمها فى السّحر، فبعثت إليها دلوكة: إنّا قد احتجنا إلى سحرك، و فزعنا إليك، فاعملى لنا شيئا نغلب به من حولنا، فقد كان فرعون يحتاج إليك، فعملت بربى من حجارة فى وسط مدينة منف، و جعلت له أربعة أبواب، كل باب منها إلى جهة القبلة، و البحر و الشرق و الغرب، و صوّرت فيه صورة الخيل و البغال و الحمير و السفن و الرجال، و قالت لهم:

قد عملت لكم عملا يهلك به كلّ من أرادكم من كلّ جهة تؤتون منها برّا أو بحرا، و هذا يغنيكم عن الحصن، و يقطع عنكم مؤنته ؛ فمن أتاكم من أىّ جهة، فإنّهم إن كانوا فى البرّ على خيل أو بغال أو إبل أو فى سفن أو رجّالة تحرّكت هذه الصورة من جهتهم التى يأتون منها، فما فعلتم بالصّور من شىء أصابهم ذلك فى أنفسهم على ما يفعلون بهم. فلمّا بلغ الملوك حولهم أنّ أمرهم قد صار إلى ولاية النساء، طمعوا فيهم، و توجّهوا إليهم؛ فلمّا دنوا من عمل مصر، تحرّكت تلك الصور التى فى البربى، فطفقوا لا يهيّجون تلك الصور، و لا يفعلون بها شيئا إلّا أصاب ذلك الجيش الذى أقبل إليهم مثله؛ من قطع رؤوسها أو سوقها أو فقء عينها، أو بقر بطونها. و انتشر ذلك، فتناذرهم النّاس، و كان نساء أهل مصر حين غرق أشرافهم و لم يبق إلّا العبيد و الأجراء لم يصبروا عن الرجال، فطفقت المرأة تعتق عبدها و تتزوّجه، و تتزوّج الأخرى أجيرها، و شرطن على الرّجال ألّا يفعلوا إلا بإذنهنّ، فأجابوهنّ إلى ذلك؛ فكان أمر النساء على الرجال.

قال ابن لهيعة: فحدّثنى يزيد بن أبى حبيب، أنّ القبط على ذلك إلى اليوم اتّباعا لما مضى منهم؛ لا يبيع أحدهم و لا يشترى إلّا قال: استأذن امرأتى. فملكتهم دلوكة بنت زباء عشرين سنة تدبّر أمرهم بمصر، حتّى بلغ من أبناء أكابرهم و أشرافهم رجل

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۶

يقال له دركون بن بلوطس، فملّكوه عليهم؛ فلم تزل مصر ممتنعة بتدبير تلك العجوز نحوا من أربعمائة سنة. ثمّ مات دركون بن بلوطس، فاستخلف ابنه بودس ، ثمّ توفّى فاستخلف أخاه لقاس ، فلم يمكث إلّا ثلاث سنين حتّى مات، و لم يترك ولدا، فاستخلف أخاه مرينا ، ثمّ توفّى، فاستخلف ولده استمارس ، فطغى و تكبر و سفك، و أظهر الفاحشة، فأعظموا ذلك، و أجمعوا على خلعه فخلعوه، و قتلوه، و بايعوا رجلا من أشرافهم يقال له بلوطس بن مناكيل، فملكهم أربعين سنة ثمّ توفّى، فاستخلف ابنه مالوس، ثمّ توفّى، فاستخلف أخاه مناكيل ، فملكهم زمانا ثم توفّى، فاستخلف ابنه بولة ، فملكهم مائة و عشرين سنة؛ و هو الأعرج الّذى سبا ملك بيت المقدس، و قدم به إلى مصر. و كان بولة قد تقدّم فى البلاد، و بلغ مبلغا لم يبلغه أحد ممّن كان قبله بعد فرعون، و طغى فقتله اللّه، صرعته دابّته فدقّت عنقه فمات.

أخرج ابن عبد الحكم، عن كعب الأحبار، قال: لمّا مات سليمان بن داود عليهما الصلاة و السلام، ملك بعده عمّه مرحب، فسار إلى ملك مصر، فقاتله، و أصاب الأترسة الذّهب الّتى عملها سليمان، فذهب بها.

ثم استخلف مرينوس بن بولة فملكهم زمانا ثمّ توفّى، فاستخلف ابنه قرقورة، فملكهم ستين سنة، ثم توفّى فاستخلف أخاه لقاس؛ و كان كلّما انهدم من تلك البربى شىء لم يقدر أحد على إصلاحه إلّا تلك العجوز و ولدها و ولد ولدها، فكانوا أهل بيت لا يعرف ذلك غيرهم، فانقطع أهل ذلك البيت، و انهدم من البربى موضع فى زمان لقاس ، فلم يقدر أحد على إصلاحه و معرفة علمه، و بقى على حاله، و انقطع ما كان يقهرون به الناس. ثمّ توفّى لقاس، فاستخلف ابنه قومس، فملكهم دهرا. فلمّا ظهر بخت نصّر على بيت المقدس و سبى بنى إسرائيل، و خرج بهم إلى أرض بابل، أقام إرميا بإيلياء و هى خراب؛ فاجتمع إليه بقايا من بنى إسرائيل كانوا

متفرّقين، فقال لهم

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۷

أرميا: أقيموا بنا فى أرضنا لنستغفر اللّه، و نتوب إليه، لعلّه أن يتوب علينا، فقالوا: إنّا نخاف أن يسمع بنا بخت نصّر، فيبعث إلينا، و نحن شرذمة قليلون؛ و لكنّا نذهب إلى ملك مصر فنستجير به، و ندخل فى ذمّته، فقال لهم أرميا: ذمّة اللّه أوفى الذّمم لكم، و لا يسعكم أمان أحد من أهل الأرض، إذا أخافكم. فسار أولئك النّفر من بنى إسرائيل إلى قومس، و اعتصموا به، فقال: أنتم فى ذمّتى، فأرسل إليه بخت نصّر أنّ لى قبلك عبيدا أبقوا منّى، فابعث بهم إلىّ. فكتب إليه قومس: ما هم بعبيدك؛ هم أهل النبوّة و الكتاب و أبناء الأحرار، اعتديت عليهم و ظلمتهم؛ فحلف بخت نصّر: لئن لم تردّهم لأغزونّ بلادك. و أوحى اللّه إلى أرميا أنّى مظهر بخت نصّر على هذا الملك الذى اتّخذوه حرزا؛ و لو أنّهم أطاعوك و أطبقت عليهم السماء و الأرض، لجعلت لهم من بينهما مخرجا. فرحمهم أرميا، و بادر إليهم، و قال لهم: إن لم تطيعونى أسركم بخت نصّر و قتلكم؛ و آية ذلك أنّى رأيت موضع سريره الذى يضعه بعد ما يظفر بمصر و يملكها. ثمّ عمد فدفن أربعة أحجار فى الموضع الذى يضع فيه بخت نصّر سريره، و قال: يقع كلّ قائمة من قوائم سريره على حجر منها. فلجّوا فى رأيهم، و سار بخت نصّر إلى قومس، فقاتله سنة، ثمّ ظفر به. فقتل و سبى جميع أهل مصر، و قتل من قتل.

فلمّا أراد قتل من أسر منهم، وضع له سريره فى الموضع الذى وصف أرميا، و وقعت كلّ قائمة من قوائم سريره على حجر من تلك الحجارة التى دفن؛ فلمّا أتوا بالأسارى، أتى معهم بأرميا. فقال له بخت نصر: ألا أراك مع أعدائى بعد أن أمّنتك و أكرمتك؟ فقال له أرميا: إنّى أتيتهم محذّرا، و أخبرتهم خبرك، و قد وضعت لهم علامة تحت سريرك، و أريتهم موضعه، فقال له بخت نصّر: و ما مصداق ذلك؟ قال أرميا:

ارفع سريرك، فإنّ تحت كلّ قائمة منه حجرا دفنته، فلمّا رفع سريره، وجد مصداق ذلك، فقال لأرميا: لو أعلم أنّ فيهم خيرا لوهبتهم لك. فقتلهم و أخرب مدائن مصر و قراها، و سبى جميع أهلها، و لم يترك بها أحدا حتّى بقيت مصر أربعين سنة خرابا ليس فيها أحد؛ يجرى نيلها، و يذهب لا ينتفع به. و أقام أرميا بمصر، و اتخذ زرعا يعيش به.

فأوحى اللّه إليه: إنّ لك عن الزرع و المقام شغلا، فالحق بإيلياء. فخرج أرميا حتّى أتى بيت المقدس. ثمّ إنّ بخت نصّر ردّ أهل مصر إليها بعد أربعين سنة، فعمروها، فلم تزل مصر مقهورة من حينئذ.

ثمّ ظهرت الرّوم و فارس على سائر الملوك الّذين فى وسط الأرض، فقاتلت الروم

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۸

أهل مصر ثلاث سنين يحاصرونهم. و صابروهم القتال فى البرّ و البحر؛ فلمّا رأى ذلك أهل مصر صالحوا الروم، على أن يدفعوا لهم شيئا مسمّى فى كل عام، على أن يمنعوهم و يكونوا فى ذمّتهم، ثمّ ظهرت فارس على الرّوم، فلمّا غلبوهم على الشام، رغبوا فى مصر، و طمعوا فيها؛ فامتنع أهل مصر، و أعانتهم الرّوم، و قاتلت دونهم، و ألحّت عليهم فارس، فلما خشوا ظهورهم عليهم صالحوا فارس، على أن يكون ما صالحوا عليه الرّوم بين الروم و فارس، فرضيت الروم بذلك حين خافت ظهور فارس عليها، فكان ذلك الصلح على مصر، و أقامت مصر بين الرّوم و فارس سبع سنين، ثم استجاشت الرّوم، و تظاهرت على فارس، و ألحّت بالقتال و المدد، حتّى ظهروا عليهم و خربوا مصانعهم أجمع، و ديارهم الّتى بالشام و مصر، و كان ذلك فى عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: و فيه نزلت: الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ... [الروم: ۱، ۲] الآية، فصارت الشام كلّها صلحا و مصر خالصا للروم، و ليس لفارس فى الشام و مصر شىء.

قال الليث بن سعد: و كانت الفرس قد أسّست بناء الحصن الذى يقال له سبيل أليون ، و هو الحصن الذى بفسطاط مصر اليوم؛ فلمّا انكشف جموع فارس و أخرجتهم الروم من الشام، أتمّت الروم بناء ذلك الحصن، و أقامت به، و أرسل هرقل المقوقس أميرا على مصر، و جعل إليه حربها و جباية خراجها، فنزل الإسكندريّة ، فلم تزل فى ملك الرّوم حتّى فتحها اللّه تعالى على المسلمين.

قال صاحب مباهج الفكر: هذا الحصن يسمّى قصر الشمع.

ذکر من دخل مصر من الأنبیاء علیهم الصلاة و السلام

قال أبو عمر محمد بن یوسف الکندیّ فی کتاب فضائل مصر: دخل مصر من الأنبیاء إدریس و هو هرمس، و إبراهیم الخلیل، و إسماعیل، و یعقوب، و یوسف، و اثنا عشر نبیّا من ولد یعقوب- و هم الأسباط- و لوط، و موسی و هارون، و یوشع بن نون، و دانیال، و أرمیا، و عیسی بن مریم؛ علیهم الصلاة و السلام.

قلت: أمّا إبراهیم فقال ابن عبد الحکم: کان سبب دخوله مصر کما حدّثنا به أسد بن موسی و غیره، أنّه لمّا أمر بالخروج عن أرض قومه و الهجرة إلی الشام، خرج و معه

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۹

لوط و سارة؛ حتّی أتوا حرّان ، فنزلها، فأصاب أهل حرّان جوع، فارتحل بسارة یرید مصر، فلمّا دخلها ذکر جمالها لملکها، و وصف له أمرها، فأمر بها، فأدخلت علیه، و سأل إبراهیم: ما هذه المرأة منک؟ فقال: أختی؛ فهمّ الملک بها، فأیبس اللّه یدیه و رجلیه، فقال لإبراهیم : هذا عملک، فادع اللّه لی؛ فو اللّه لا أسوؤک فیها. فدعا اللّه فأطلق یدیه و رجلیه، و أعطاهما غنما و بقرا. و قال: ما ینبغی لهذه أن تخدم نفسها، فوهب لها هاجر.

و أمّا إسماعیل فرأیت عدّة أیضا من الکتب المؤلّفة فی مصر، و لم أقف فی شیء من الأحادیث و الآثار علی ما یشهد لذلک، و أنا أستبعد صحّته، فإنّه منذ أقدمه أبوه إلی مکّة و هو رضیع مع أمّه، لم ینقل أنّه خرج منها، و لم یدخل أبوه مصر إلّا قبل أن یملک أمّه.

و أمّا یعقوب و یوسف و إخوته فدخولهم مصر منصوص علیه فی القرآن.

و کذا موسی و هارون و قد ولدا بها.

و أمّا لوط فیمکن دخوله مع إبراهیم؛ و لکن لم أر التّصریح به فی حدیث و لا أثر.

و أمّا یوشع فهو ابن نون بن إفراییم بن یوسف. ولد بمصر، و خرج مع موسی إلی البحر لمّا سار ببنی إسرائیل. ورد فی أثر عن ابن عباس.

و أمّا أرمیا فتقدّم دخوله فی قصة بخت نصّر.

و أمّا عیسی فتقدّم فی قوله تعالی: وَ آوَیْناهُما إِلی رَبْوَةٍ [المؤمنون: ۵۰] إنّها مصر علی قول جماعة، و رأیت فی بعض الکتب أنّ عیسی ولد بمصر بقریة أهناس ، و بها النخلة التی فی قوله تعالی: وَ هُزِّی إِلَیْکِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ [مریم: ۲۵]، و أنه نشأ بمصر، ثمّ سار علی سفح المقطّم ماشیا، و هذا کلّه غریب لا صحّة له، بل الآثار دلّت علی أنه ولد ببیت المقدس، و نشأ به، ثمّ دخل مصر.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۵۰

و أمّا دانیال، فلم أقف فیه علی أثر إلی الآن، و عدّه ابن زولاق فیمن ولد بمصر.

و الخلاف فی نبوّة إخوة یوسف شهیر، ولی فی ذلک تألیف مستقلّ؛ و هو مدفون بمصر بلا خلاف؛ و هذه أسماؤهم لتستفاد!

أخرج ابن جریر و ابن أبی حاتم، عن السدّی، قال: بنو یعقوب: یوسف، و بنیامین، و روبیل ، و یهوذا، و شمعون، و لاوی، و دان، و قهاث، و کودی ، و بانیون . هکذا سمّی عشرة و بقی اثنان.

و تقدّم عن ابن عباس أنّ العجوز التی دلّت موسی علی قبر یوسف ابنة أشی بن یعقوب؛ فهذا أحدهما، و الآخر بقیا.

و بقی من الأنبیاء الذین دخلوا مصر، یوسف المذکور فی سورة غافر، علی أحد القولین أنّه غیر یوسف بن یعقوب، قال اللّه تعالی: وَ لَقَدْ جاءَکُمْ یُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَیِّناتِ فَما زِلْتُمْ فِی شَکٍّ مِمَّا جاءَکُمْ بِهِ حَتَّی إِذا هَلَکَ قُلْتُمْ لَنْ یَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا [غافر: ۳۴] قال جماعة: هو یوسف بن إفراییم بن یوسف بن یعقوب؛ لأنّ یوسف بن یعقوب لم یدرک زمن فرعون موسی حتّی یبعثه اللّه تعالی؛ فإن صحّ هذا القول فهو نبیّ رسول، ولد بمصر و مات بها. و لا نظیر له فی ذلک.

و من الأنبياء الّذين دخلوا مصر سليمان بن داود عليهما الصلاة و السلام، و سيأتى فى بناء الإسكندريّة ما يدلّ على ذلك.

و رأيت حديثا يدلّ على أنّ أيّوب عليه السّلام دخلها، أخرج ابن عساكر فى تاريخه عن عقبة بن عامر مرفوعا، قال: قال اللّه لأيّوب: أ تدرى لم ابتليتك؟ قال: لا يا ربّ، قال: لأنّك دخلت على فرعون، فداهنت عنده بكلمتين؛ يؤيد ذلك أنّ زوجته بنت ابن يوسف.

أخرج ابن عساكر، عن وهب بن منبّه قال: زوجة أيّوب رحمة بنت منشا ابن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة و السلام.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۵۱

ثم رأيت أثرا صريحا فى دخول أيّوب و شعيب عليهما الصلاة و السلام مصر؛ أخرج ابن عساكر عن أبى إدريس الخولانىّ، قال: أجدب الشّام، فكتب فرعون إلى أيّوب؛ أن هلمّ إلينا، فإنّ لك عندنا سعة، فأقبل بخيله و ماشيته و بنيه، فأقطعهم؛ فدخل شعيب على فرعون، فقال: يا فرعون ، أما تخاف أن يغضب اللّه غضبه، فيغضب لغضبه أهل السّماوات و الأرض و الجبال و البحار؟ فسكت أيّوب، فلمّا خرجا من عنده أوحى اللّه تعالى إلى أيّوب: أو سكتّ عن فرعون لذهابك إلى أرضه؟! استعدّ للبلاء.

و عدّ بعضهم ممّن دخلها من الأنبياء لقمان ؛ و فى مرآة الزمان حكاية تقول إنّه من سودان مصر، و فى نبوّته خلاف، و القول بأنّه نبىّ قول عكرمة و ليث.

و عدّ الكندىّ و غيره فيمن دخلها من الصدّيقين الخضر و ذا القرنين. و قد قيل بنبوّتهما. و القول بنبوّة الخضر حكاه أبو حيّان فى تفسيره عن الجمهور، و جزم به الثعلبىّ، و روى عن ابن عباس. و ذهب إسماعيل بن أبى زياد و محمد بن إسحاق أنّه نبىّ مرسل؛ و نصر هذا القول أبو الحسن بن الرمانىّ، ثمّ ابن الجوزىّ.

و القول بنبوّة ذى القرنين أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره عن عبد اللّه بن عمرو ابن العاص. و دخول ذى القرنين مصر، ورد فى حديث مرفوع سيأتى فى بناء الإسكندريّة.

و دخول الخضر غير بعيد؛ فإنّه كان فى عسكر ذى القرنين، بل أحد الأقوال فى الخضر أنّه ابن فرعون لصلبه، حكاه الكندىّ و جماعة، آخرهم الحافظ بن حجر فى كتاب الإصابة فى معرفة الصحابة؛ فعلى هذا يكون مولده بمصر.

و قال ابن عبد الحكم: حدّثنى شيخ من أهل مصر، قال: كان ذو القرنين من أهل لوبية ، كورة من كور مصر الغربيّة. قال ابن لهيعة: و أهلها روم.

و أخرج ابن عبد الحكم أيضا عن محمد بن إسحاق، قال: حدّثنى من يسوق الحديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علمه، أنّ ذا القرنين رجل من أهل مصر اسمه مرزبا بن مرزبة اليونانىّ، من ولد يونان بن يافث بن نوح عليه الصلاة و السلام.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۵۲

و ذكر صاحب مرآة الزمان : أنّ ذا القرنين مات بأرض بابل، و جعل فى تابوت و طلى بالصّبر و الكافور، و حمل إلى الإسكندرية، فخرجت أمّه فى نساء الإسكندرية حتّى وقفت على تابوته، و أمرت به فدفن. و قيل: إنه عاش ألف سنة، و قيل: ألفا و ستّمائة سنة، و قيل: ثلاثة آلاف سنة.

و قد قيل بنبوّة نسوة دخلن مصر: مريم، و سارة زوج الخليل، و آسية امرأة فرعون، و أمّ موسى.

و حكى ذلك الشيخ تقى الدين السّبكىّ فى فتاويه المعروفة بالحلبيّات؛ قال:

و يشهد لذلك فى مريم ذكرها فى سورة الأنبياء مع الأنبياء، و هو قرينة. و أمّ موسى اسمها يوكابد.

و قد تقدّم أن شيث بن آدم نزل مصر و هو نبىّ، و أنّ نوحا طافت به سفينته بأرض مصر.

فتمّت عدّة من دخل مصر باتفاق و اختلاف اثنين و ثلاثين نبيّا غير النسوة الأربع.

و قد نظمت ذلك فى أبيات فقلت:

قد حلّ مصر علی ما قد رووا زمرمن النّبیین زادوا مصر تأنیسا

فهاک یوسف و الأسباط مع أبهو حافدا، و خلیل اللّه إدریسا

لوطا و أیّوب ذا القرنین خضر سلیمان أرمیا یوشعا هارون مع موسی

و أمّه سارة لقمان آسیهو دانیال شعیبا مریما عیسی

شیثا و نوحا و إسماعیل قد ذکروالا زال من ذکرهم ذا المصر مأنوسا

قال أبو نعیم فی الحلیة : حدثنا عبد اللّه بن محمد بن جعفر، حدّثنا أحمد بن هارون، حدّثنا روح، حدّثنا أبو سعید الکندیّ، حدّثنا أبو بکر بن عیّاش، قال: اجتمع حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة ؛ ج ۱ ؛ ص ۵۲

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۵۳

وهب بن منبّه و جماعة، فقال وهب: أیّ أمر اللّه أسرع؟ قال بعضهم: عرش بلقیس حین أتی به سلیمان، قال وهب: أسرع أمر اللّه أنّ یونس بن متّی کان علی حرف السفینة، فبعث اللّه إلیه حوتا من نیل مصر؛ فما کان أقرب من أن صار من حرفها فی جوفه.

و قال صاحب مرآة الزمان: و أمّا موسی بن یوسف، فنبیّ آخر، قبل موسی بن عمران. و یزعم أهل التوراة أنّه صاحب الخضر.

قلت: و القصّة فی صحیح البخاری.

ذکر من کان بمصر من الصدیقین کماشطة ابنة فرعون، و ابنها، و مؤمن آل فرعون

أخرج الحاکم فی المستدرک، و صحّحه عن أبی هریرة، قال قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: «لم یتکلّم فی المهد إلّا عیسی، و شاهد یوسف، و صاحب جریج، و ابن ماشطة ابنة فرعون».

و أخرج أحمد و البزّار و الطّبرانیّ عن ابن عباس، قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: «لما کانت لیلة أسری بی، أتیت علی رائحة طیّبة، فقلت: یا جبریل، ما هذه الرائحة الطیبة؟

قال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون و أولادها، قلت: و ما شأنها؟ قال: بینما هی تمشّط ابنة فرعون ذات یوم، إذ سقط المدری من یدها، فقالت: باسم اللّه، فقالت لها ابنة فرعون: أولک ربّ غیر أبی؟ قالت: لا، و لکن ربّی و ربّ أبیک اللّه. قالت: أخبره بذا؟

قالت: نعم، فأخبرته، فدعاها، فقال: یا فلانة، أو أنّ لک ربّا غیری؟! قالت: نعم، ربّی و ربّک اللّه، فدعا ببقرة من نحاس، ثمّ أحمیت، ثمّ أمر أن تلقی فیها هی و أولادها، فألقوا بین یدیها واحدا واحدا إلی أن انتهی ذلک إلی صبیّ لها مرضع، فتقاعست من أجله، قال: یا أمّاه؛ اقتحمی فإنّ عذاب الدّنیا أهون من عذاب الآخرة، فاقتحمت».

قال ابن عباس: تکلّم فی المهد أربع صغار: عیسی بن مریم، و صاحب جریج، و شاهد یوسف، و ابن ماشطة ابنة فرعون.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۵۴

و أخرج ابن أبی حاتم، عن ابن عباس فی قوله تعالی: وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ [غافر: ۵۱]. قال: لم یکن من أهل فرعون مؤمن غیره و غیر امرأة فرعون و هو المؤمن الذی أنذر موسی الذی قال: إِنَّ الْمَلَأَ یَأْتَمِرُونَ بِکَ لِیَقْتُلُوکَ [القصص: ۲۰].

ذکر السحرة الذین آمنوا بموسی علیه الصلاة و السلام

قال الکندیّ: أجمعت الرواة علی أنّه لا یعلم جماعة أسلموا فی ساعة واحدة أکثر من جماعة القبط، و هم السّحرة الذین آمنوا بموسی.

و أخرج ابن عبد الحکم، عن یزید بن أبی حبیب، أنّ تبیعا کان یقول: ما آمن جماعة قطّ فی ساعة واحدة مثل جماعة القبط.

و أخرج ابن عبد الحکم، عن عبد اللّه بن هبیرة السبئیّ و بکر بن عمرو الخولانیّ و یزید بن أبی حبیب، قال: کان السّحرة اثنی عشر ساحرا رؤساء، تحت ید کلّ ساحر منهم عشرون عرّیفا، تحت ید کلّ عریف منهم ألف من السّحرة؛ فکان جمیع السحرة مائتی ألف و

أربعین ألفا و مائتین و اثنین و خمسین إنسانا، بالرؤساء و العرفاء، فلمّا عاینوا ما عاینوا، أیقنوا أنّ ذلک من السماء، و أنّ السّحر لا یقاوم لأمر اللّه، فخرّ الرؤساء الاثنا عشر عند ذلک سجّدا فأتبعهم العرفاء. و أتبع العرفاء من بقی، و قالوا: آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِینَ* رَبِّ مُوسی وَ هارُونَ [الأعراف: ۲۲۲].

و أخرج عن یزید بن أبی حبیب أنّ تبیعا قال: کان السّحرة من أصحاب موسی علیه الصلاة و السلام، و لم یفتتن منهم أحد مع من افتتن من بنی إسرائیل فی عبادة العجل.

و قال ابن عبد الحکم: حدّثنا هانیء بن المتوکّل، عن ابن لهیعة، عن یزید بن أبی حبیب، عن تبیع، قال: استأذن جماعة من الذین کانوا آمنوا من سحرة موسی فی الرجوع إلی أهلهم و مالهم بمصر، فأذن لهم، و دعا لهم، فترهّبوا فی رؤوس الجبال، فکانوا أوّل من ترهّب. و کان یقال لهم الشیعة، و بقیت طائفة منهم مع موسی حتّی توفّاه اللّه، ثمّ انقطعت الرهبانیّة بعدهم؛ حتّی ابتدعها بعدهم أصحاب المسیح علیه الصلاة و السلام.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۵۵

ذکر من کان بمصر من الحکماء فی الدهر الأوّل

قال الکندیّ و ابن زولاق: کان بمصر هرمس، و هو إدریس علیه الصلاة و السلام؛ و هو المثّلث لأنّه نبیّ، و ملک، و حکیم. و هو الذی صیّر الرّصاص ذهبا بصّاصا.

و کان بها أغاثیمون، و فیثاغورس ، تلامیذ هرمس، و لهم من العلوم صنعة الکیمیاء و النّجوم و السّحر و عالم الروحانیات و الطّلسمات و البرابی و أسرار الطبیعة.

و أوسلاوسیزاورس و بندقلیس أصحاب الکهانة و الزّجر.

و سقراط صاحب الکلام علی الحکمة.

و أفلاطون صاحب السیاسیة و النوامیس و الکلام علی المدن و الملوک.

و أرسطاطالیس صاحب المنطق.

و بطلیموس صاحب الرصد و الحساب و المجسطی فی ترکیب الأفلاک و تسطیح الکرة.

و أراطس صاحب البیضة ذات الثمانیة و الأربعین صورة فی تشکیل صورة الفلک.

و إفلیسطهوس صاحب الفلاحة.

و إبّرجس صاحب الرصد و الآلة المعروفة بذات الحلق.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۵۶

و ثاؤن صاحب الزیج.

و دامانیوس و رابس و إصطقر أصحاب کتب أحکام النجوم.

و إیزل، و أندریه، و له الهندسة و المقادیر، و کتاب جرّ الثقیل و البنکامات و الآلات لقیاس الساعات.

و فلیون، و له عمل الدوالیب و الأرحیة و الحرکات بالحیل اللطیفة.

و أرشمیدس صاحب المرایا المحرقة و المنجنیقات الّتی یرمی بها الحصون.

و ماریة و قلبطرة و هم أصحاب الطّلسمات و الخواصّ.

و ابلوسیکوس، و له کتاب المخروطات قطع الخطوط.

و تابوشیش، و له کتاب الأکر.

و قیطس و له کتاب الحشائش.

و أفتوقس و له کتاب الأکرة و الأسطوانة.

و دخلها جالینوس ، و دینبقورایدش صاحب الحشائش و أساسیوس، و ترهونوس و وقس، و هم من حکماء الیونان.

هذا ما ذکره الکندی و ابن زولاق.

قلت: قال الشّهرستانیّ فی الملل و النحل:

قیل: أوّل من شهر بالفلسفة و نسبت إلیه الحکمة فلوطرخیس، تفلسف بمصر، ثمّ

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۵۷

سار إلی ملطیة فأقام بها.

و ذکر فی فیثاغورس أنّه ابن منسارخس، و أنّه کان فی زمن موسی علیه الصلاة و السلام، و أنّه أخذ الحکم من معدن النبوّة.

و ذکر فی سقراط أنّه ابن سفرنیسقوس، و أنّه اقتبس الحکمة من فیثاغورس، و أرسلاوس، و أنّه اشتغل بالزهد و الریاضة و تهذیب الأخلاق، و أعرض عن ملاذّ الدنیا، و اعتزل إلی الجبل، و نهی الرؤساء الذین کانوا فی زمنه عن الشّرک و عبادة الأوثان، فثوّروا علیه الغاغة، و ألجئوا ملکهم إلی قتله، فحبسه ثمّ سقاه السّم.

و ذکر فی أفلاطون أنّه ابن أرسطن بن أرسطوقلیس، و أنه آخر المتقدّمین الأوائل الأساطین؛ معروف بالتوحید و الحکمة، ولد فی زمان أردشیر بن دارا، و أخذ عن سقراط، و جلس علی کرسیّه بعد موته.

و ذکر فی أرسطالیس أنّه ابن نیقوماخوس، و أنّه أخذ عن أفلاطون.

و قال ابن فضل اللّه فی المسالک: الهرامسة ثلاثة: هرمس المثلّث، و یقال له إدریس علیه الصلاة و السلام؛ کان نبیّا، و حکیما، و ملکا، و هرمس لقب- کما یقال- کسری و قیصر. قال أبو معشر: هو أوّل من تکلّم فی الأشیاء العلویّة من الحرکات النجومیّة، و أوّل من بنی الهیاکل، و مجّد اللّه فیها، و أوّل من نظر فی الطبّ و تکلّم فیه، و أنذر بالطوفان؛ و کان یسکن صعید مصر، فبنی هناک الأهرام و البرابی، و صوّر فیها جمیع الصناعات، و أشار إلی صفات العلوم لمن بعده حرصا منه علی تخلید العلوم بعده، و خیفة أن یذهب رسم ذلک من العالم، و أنزل اللّه علیه ثلاثین صحیفة، و رفعه إلیه مکانا علیّا.

و أمّا هرمس الثانی فإنّه من أهل بابل.

و أمّا هرمس الثالث، فإنّه سکن مدینة مصر؛ و کان بعد الطوفان. قال ابن أبی أصیبعة : و هو صاحب کتاب الحیوان ذوات السّموم، و کان طبیبا فیلسوفا، و له کلام

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۵۸

حسن فی صنعة الکیمیاء.

و قال عن صاعدین بن أحمد فی بندقلیس: إنّه کان فی زمن داود، أخذ الحکمة عن لقمان بالشام، و فی فیثاغورس إنّه أخذ الحکمة عن سلیمان علیه الصلاة و السلام بمصر حین دخلوا إلیها من بلاد الشام، و أخذ الهندسة عن المصریین، ثمّ رجع إلی بلاد الیونان و أدخل عندهم علم الهندسة و علم الطبیعة، و استخرج علم الألحان و توقیع النعم. و فی أفلاطون إنّه لمّا مات دخل مصر للقاء أصحاب فیثاغورس.

ذکر قتل عوج بمصر

قال ابن عبد الحکم: یقال إنّ موسی علیه الصلاة و السلام قتل عوجا بمصر؛ حدّثنا عمرو بن خالد، حدّثنا زهیر بن معاویة، حدّثنا أبو إسحاق عن نوف، قال: کان طول سریر عوج الذی قتله موسی ثمانمائة ذراع، و عرضه أربعمائة ذراع، و کانت عصا موسی علیه السّلام

عشرة أذرع، و وثبته حين وثب إليه عشرة أذرع؛ و طول موسى كذا و كذا، فضربه فأصاب كعبه، فخرّ على نيل مصر، فجسره للناس عاما يمشون على صلبه و أضلاعه.

و قال صاحب مرآة الزمان : حكى جدّى عن ابن إسحاق، أنّ عوج بن عنق عاش ثلاثة آلاف سنة و ستّمائة سنة، و لم يعش أحد هذا العمر.

و قال ابن جرير: عاش ألف سنة.

و قيل: إنّه ولد فى عهد آدم و سلم من الطوفان.

و قال الثعلبىّ: لمّا وقع على نيل مصر جسرهم سنة.

ذكر عجائب مصر القديمة

قال الجاحظ و غيره: عجائب الدنيا ثلاثون أعجوبة: عشرة منها بسائر البلاد،

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۵۹

و هى: مسجد دمشق، و كنيسة الرّها، و قنطرة سنجة ، و قصر غمدان ، و كنيسة روميّة ، و صنم الزيتون، و إيوان كسرى بالمدائن، و بيت الرّيح بتدمر، و الخورنق بالحيرة، و الثلاثة أحجار ببعلبك. و العشرون الباقية بمصر، و هى:

۱- الهرمان؛ و هما أطول بناء و أعجبه، ليس على الأرض بناء أطول منهما، و إذا رأيتهما ظننت أنّهما جبلان موضوعان؛ و لذلك قال بعض من رآهما: ليس شىء إلّا و أنا أرحمه من الدهر إلّا الهرمان، فأنا أرحم الدهر منهما.

۲- و صنم الهرمين و هو بلهويه، و يقال بلهنيت، و تسمّيه العامة أبو الهول.

و يقال: إنّه طّلسم للرّمل لئلّا يغلب على الجيزة.

۳- و بربى سمنّود ، قال الكندىّ: رأيته و قد خزن فيه بعض العمال قرطا ، فرأيت الجمل إذا دنا منه بحمله و أراد أن يدخله سقط كلّ دبيب من القرط، و لم يدخل منه شىء إلى البربى، ثم خرب عند الخمسين و ثلاثمائة.

۴- و بربى إخميم ؛ كان فيه صور الملوك الذين ملكوا مصر؛ قال صاحب مباهج الفكر: و هى مبنيّة بحجر المرمر، طول كلّ حجر خمسة أذرع فى سمك ذراعين، و هى سبعة دهاليز. و يقال: إنّ كلّ دهليز على اسم كوكب من الكواكب السبعة، و جدرانها منقوشة بعلوم الكيمياء و السّيمياء و الطّلسمات و الطبّ؛ و يقال: إنّه كان بها جميع ما يحدث فى الزمان؛ حتّى ظهور رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و أنّه كان مصوّرا فيها راكبا على ناقة.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۶۰

۵- و بربى دندرة ، كان فيها مائة و ثمانون كوّة، تدخل الشمس كلّ يوم من كوّة منها ثمّ الثانية، ثمّ الثالثة؛ حتّى تنتهى إلى آخرها؛ ثمّ تكرّ راجعة إلى موضع بدأت.

۶- و حائط العجوز؛ من العريش إلى أسوان، محيط بأرض مصر شرقا و غربا.

و قد مرّ ذكره.

۷- و الفيّوم، و هى مدينة دبّرها يوسف عليه الصلاة و السلام بالوحى، و كانت ثلاثمائة و ستّين قرية، تمير كلّ قرية منها مصر يوما، و كانت تروى من اثنى عشر ذراعا؛ و ليس فى الدنيا بلد بنى بالوحى غيرها قاله الكندىّ.

۸- و منف، و ما فيها من الأبنية و الدفائن و الكنوز و آثار الملوك و الأنبياء و الحكماء، و كان فيها البربى الذى لا نظير له، الذى بنته الساحرة لدلوكه، و قد تقدّم ذكره.

۹- و جبل الكهف.

۱۰- و جبل الطيلمون .

۱۱- و جبل زماخير الساحرة، فيه حلقة ظاهرة مشرفة على النيل، لا يصل إليها أحد، يلوح فيه خطّ مخلوق: «باسمك اللّهمّ».

۱۲- و جبل الطير بصعيد مصر الأدنى، مطلّ على النيل، مقابل منية بنى خصيب ، قال فى السكردان: فيه أعجوبة لم ير مثلها فى سائر الأقاليم؛ و هى باقية إلى يومنا هذا؛ و ذلك أنّه إذا كان آخر فصل الربيع قدم إليه طيور كثيرة بلق، سود الأعناق، مطوّقات الحواصل، سود أطراف الأجنحة، فى صياحها بحاحة، يقال لها طير البحّ، لها صياح عظيم يسدّ الأفق، فتقصد مكانا فى ذلك الجبل، فينفرد منها طائر واحد فيضرب بمنقارة فى مكان مخصوص فى شعب الجبل عال، لا يمكن الوصول إليه، فإن علّق تفرّق الطيور عنه، و إن لم يعلّق تقدّم غيره و ضرب بمنقاره فى ذلك الموضع، و هكذا واحدا بعد واحد إلى أن يعلق واحد منهم بمنقاره، فتفترق عنه الطيور حينئذ، و تذهب إلى حيث جاءت، فلا يزال معلّقا إلى أن يموت، فيضمحلّ فى العام القابل

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۶۱

فيسقط، فتأتى الطيور على عادتها فى السنة القابلة، فتعمل العمل المذكور. قال صاحب السّكردان: و قد أخبرنى بهذا غير واحد من المصريين ممّن شاهد ذلك. و هو مشهور معروف إلى يومنا هذا.

قال أبو بكر الموصلىّ: سمعت من أعيان أهل الصعيد أنّه إذا كان العام مخصبا قبض على طائرين، و إن كان متوسّطا قبض على واحد، و إن كان جدبا لم يقبض على شىء.

قال فى السكردان: و حكى بعضهم أنّه رأى فى بعض السنين طيرا تعلّق بمنقاره، و تفرّقت عنه الطيور، ثمّ اضطرب اضطرابا شديدا، و أطلق نفسه، و التحق بالطيور، فدارت عليه، و جعلت تنقره بمناقيرها إلى أن عاد، و تعلّق بمنقاره فى ذلك الموضع.

۱۳- و عين شمس؛ و هى هيكل الشمس. قال صاحب مباهج الفكر: و قد خربت، و بقى منها عمودان من حجر صلد، فكان طول كلّ عمود منهما أربعا و ثمانين ذراعا، على رأس كلّ عمود منهما صورة إنسان على دابّة، و على رأسهما شبه الصّومعة من نحاس، فإذا جرى النيل قطر من رأس كلّ واحد منهما ماء لا يجاوز نصف العمود، و الموضع الذى يصل إليه الماء لا يزال أخضر رطبا. قال:

و قد وقع العمودان فى عصرنا بعد الخمسين و ستمائة، و نشرت حجارتهما، و فرشت بها الدور.

۱۴- و صنم من نحاس كان على باب القصر الكبير عند الكنيسة المعلّقة على خلقة الجمل، و عليه رجل راكب عليه عمامة، متنكّب قوسا و فى رجليه نعلان؛ كانت الرّوم و القبط و غيرهم إذا تظالموا بينهم، و اعتدى بعضهم على بعض جاؤوا إليه، فيقول المظلوم للظالم: أنصفنى قبل أن يخرج هذا الراكب الجمل، فيأخذ الحقّ لى منك- يعنون بالراكب الجمل محمدا صلى اللّه عليه و سلم- فلمّا قدم عمرو بن العاص غيّب الروم ذلك الجمل لئلّا يكون شاهدا عليهم.

۱۵- و النيل، و سيأتى خبره مبسوطا.

۱۶- و حوض كان مدوّرا من حجر يركب فيه الواحد و الأربعة، و يحرّكون الماء بشىء، فيعدّون فى البحر من جانب إلى جانب لا يعلم من عمله، فأحضره كافور

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۶۲

الإخشيذىّ إلى مصر، فنظر إليه، ثم أخرج من الماء، و ألقى فى البرّ، و كان فى أسفله كتابة لا يدرى ما هى، ثمّ أعيد إلى البحر فغرق و بطل فعله.

۱۷- و الإسكندريّة؛ فإنّها مدينة على مدينة على مدينة ثلاث طبقات، و ليس على وجه الأرض مدينة على مدينة على مدينة على هذه الصفة سواها. و يقال: إنّها إرم ذات العماد، سمّيت بذلك لأنّ عمدها و رخامها من الديجنا و الأصطفيدس المخطّط طولا و عرضا.

و المنارة التى بها، و سيأتى ذكرها.

۱۸- و منارة بناحية أبويط من بلاد البهنسا، محكمة البناء، إذا هزّها الإنسان مالت يمينا و شمالا، لا يرى ميلها ظاهرا، و فىء ظلّها فى

الشمس.

۱۹- و الملعب الذی کان بالإسکندریّة یجتمعون فیه، فلا یری أحد منهم یلقی وجه الآخر إن عمل أحدهم شیئا أو تکلّم أو قرأ کتابا أو لعب لونا من الألوان سمعه الباقون، و نظر القریب و البعید فیه سواء؛ و کانوا یترامون فیه بالأکرة، فمن دخلت کمّه ولی مصر ... قال صاحب مباهج الفکر: قد بقیت منه بقایا عمد قد تکسّرت، غیر عمود منها یسمّی عمود السّواری، فی غایة الغلظ و الطول من حجر الصّوّان الأحمر.

۲۰- و المسلّتان، و هما شخصان من صوّان، طول أحدهما ثلاثمائة و ثمانون ذراعا، و هما مسلّتا فرعون للشمس، منصوبتان، فإذا حلّت الشمس أوّل درجة من الجدی- و هو أقصر یوم فی السنة- انتهت إلی المسلّة الجنوبیّة، و طلعت علی قمّة رأسها، ثم إذا حلّت أوّل درجة من السّرطان- و هو أطول یوم فی السنة- انتهت إلی المسلّة الشمالیة، و طلعت علی رأسها؛ و هی منتهی المسلّتین، و خط الاستواء فی الوسط بینهما؛ ثم تتردّد بینهما ذاهبة و جائیة سائر السنة.

فهذه عشرون أعجوبة.

و یقال: إنّه لیس من بلد فیه شیء غریب إلا و فی مصر شبهه أو مثله، ثمّ تفضل مصر علی البلدان بعجائبها التی لیست فی بلد سواها.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۶۳

ذکر الأهرام

قال ابن عبد الحکم: فی زمان شدّاد بن عاد، بنیت الأهرام کما ذکر عن بعض المحدّثین. قال: و لم أجد عند أحد من أهل المعرفة من أهل مصر فی الأهرام خبرا یثبت، و فی ذلک یقول الشاعر:

حسرت عقول أولی النّهی الأهرامو استصغرت لعظیمها الأحلام

ملس مبرّقة البناء شواهققصرت لعال دونهنّ سهام

لم أدر حین کبا التفکّر دونهاو استوهمت لعجیبها الأوهام

أقبور أملاک الأعاجم هنّ أمطلّسم رمل کنّ أم أعلام؟

قال: و لا أحسب إلا أنها بنیت قبل الطوفان لأنّها لو بنیت بعد الطوفان لکان علمها عند الناس.

قال جماعة من أهل التاریخ: الذی بنی الأهرام سورید بن سلهوق بن شریاق ملک مصر؛ و کان قبل الطوفان بثلاثمائة سنة؛ و سبب ذلک أنّه رأی فی منامه کأنّ الأرض انقلبت بأهلها، و کأنّ النّاس هاربون علی وجوههم، و کأنّ الکواکب تساقطت، و یصدم بعضها بعضا بأصوات هائلة، فأغمّه ذلک و کتمه، ثمّ رأی بعد ذلک کأنّ الکواکب الثابتة نزلت إلی الأرض فی صورة طیور بیض، و کأنّها تخطف الناس و تلقیهم بین جبلین عظیمین، و کأنّ الجبلین انطبقا علیهم، و کأنّ الکواکب النّیّرة مظلمة؛ فانتبه مذعورا، فجمع رؤساء الکهنة من جمیع أعمال مصر- و کانوا مائة و ثلاثین کاهنا، و کبیرهم یقال له أفلیمون- فقصّ علیهم، فأخذوا فی ارتفاع الکواکب، و بالغوا فی استقصاء ذلک، فأخبروا بأمر الطوفان. قال: أو یلحق بلادنا؟ قالوا: نعم، و تخرب و تبقی عدّة سنین. فأمر عند ذلک ببناء الأهرام، و أمر بأن یعمل لها مسارب یدخل منها النیل إلی مکان بعینه، ثمّ یفیض إلی مواضع من أرض المغرب و أرض الصعید، و ملأها طلّسمات و عجائب و أموالا و خزائن و غیر ذلک، و زبر فیها جمیع ما قالته الحکماء

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۶۴

و جمیع العلوم الغامضة و أسماء العقاقیر و منافعها و مضادّها و علم الطّلسمات و الحساب و الهندسة و الطبّ، و کل ذلک مفسّر لمن یعرف کتابتهم و لغاتهم. و لمّا أمر ببنائها قطعوا الأسطوانات العظام و البلاطات الهائلة، و أحضروا الصخور من ناحیة أسوان، فبنی بها أساس الأهرام الثلاثة، و شدّها بالرّصاص و الحدید و الصّفر، و جعل أبوابها تحت الأرض بأربعین ذراعا، و جعل ارتفاع کلّ واحد

مائتی ذراع بالملکیّ- و هی خمسمائة ذراع بذراعنا الآن- و جعل ضلع کلّ واحد من جمیع جهاته مائة ذراع بالملکی أیضا. و کان ابتداء بنائها فی طالع سعید؛ فلمّا فرغ منها کساها دیباجا ملوّنا من فوق إلی أسفل، و جعل لها عیدا حضره أهل مملکته کلّها، ثمّ عمل فی الهرم الغربیّ ثلاثین مخزنا مملوءة بالأموال الجمّة، و الآلات، و التماثیل المعمولة من الجواهر النفیسة، و آلات الحدید الفاخر، و السلاح الّذی ما یصدأ، و الزجاج الذی ینطوی و لا ینکسر، و الطّلسمات الغریبة، و أصناف العقاقیر المفردة و المؤلّفة ، و السموم القاتلة، و غیر ذلک. و عمل فی الهرم الشرقیّ أصناف القباب الفلکیّة و الکواکب، و ما عمل أجداده من التّماثیل و الدّخن التی یتقرّب بها إلیها و مصاحفها، و جعل فی الهرم الملوّن أخبار الکهنة فی توابیت من صوّان أسود، مع کلّ کاهن مصحفه. و فیها عجائب صنعته و حکمته و سیرته، و ما عمل فی وقته و ما کان و ما یکون من أوّل الزمان إلی آخره، و جعل لکلّ هرم خازنا، فخازن الهرم الغربیّ من حجر صوّان واقف، و معه شبه الحربة، و علی رأسه حیّة مطوّقة، من قرب منه و ثبت إلیه من ناحیة قصده، و طوّقت علی عنقه فتقتله، ثمّ تعود إلی مکانها. و جعل خازن الهرم الشرقیّ صنما من جزع أسود، و له عینان مفتوحتان برّاقتان، و هو جالس علی کرسیّ، و معه شبه حربة، إذا نظر إلیه ناظر سمع من جهته صوتا یفزع قلبه، فیخرّ علی وجهه، و لا یبرح حتّی یموت، و جعل خازن الهرم الملوّن صنما من حجر البهت علی قاعدة، من نظر إلیه اجتذبه الصنم حتّی یلتصق به، و لا یفارقه حتّی یموت.

و ذکر القبط فی کتبهم أنّ علیها کتابة منقوشة تفسیرها بالعربیة: «أنا سورید الملک، بنیت الأهرام فی وقت کذا و کذا، و أتممت بناءها فی ستّ سنین، فمن أتی بعدی، و زعم أنّه مثلی فلیهدمها فی ستمائة سنة، و قد علم أنّ الهدم أیسر من البناء، و إنّی کسوتها عند فراغها بالدّیباج، فلیکسها بالحصر».

و لمّا دخل الخلیفة المأمون مصر، و رأی الأهرام، أحبّ أن یعلم ما فیها، فأراد

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۶۵

فتحها، فقیل له: إنّک لا تقدر علی ذلک، فقال: لا بدّ من فتح شیء منها، ففتحت له الثّلمة المفتوحة الآن بنار توقد و خلّ یرشّ و حدّادین یحدّون الحدید و یحمونه، و مناجیق یرمی بها. و أنفق علیها مالا عظیما حتّی انفتحت، فوجد عرض الحائط عشرین ذراعا؛ فلمّا انتهوا إلی آخر الحائط، وجدوا خلف النقب مطمرة من زبرجد أخضر، فیها ألف دینار، وزن کلّ دینار أوقیّة من أواقینا؛ فتعجّبوا من ذلک، و لم یعرفوا معناه. فقال المأمون: ارفعوا إلیّ حساب ما أنفقتم علی فتحها، فرفعوه؛ فإذا هو قدر الذی وجدوه، لا یزید و لا ینقص، و وجدوا داخله بئرا مربّعة، فی تربیعها أربعة أبواب، یفضی کلّ باب منها إلی بیت فیه أموات بأکفانهم، و وجدوا فی رأس الهرم بیتا فیه حوض من الصخر، و فیه صنم کالآدمیّ من الدّهنج ، و فی وسطه إنسان علیه درع من ذهب مرصّع بالجواهر، و علی صدره سیف لا قیمة له، و عند رأسه حجر یاقوت کالبیضة، ضوءه کضوء النّهار، علیه کتابة بقلم الطّیر، لا یعلم أحد فی الدنیا ما هی. و لمّا فتحه المأمون، أقام الناس سنین یدخلونه و ینزلون من الزلّاقة التی فیه، فمنهم من یسلم، و منهم من یموت.

و قال صاحب المرآة: من عجائب مصر الهرمان، سمک کلّ واحد خمسمائة ذراع فی ارتفاع مثلها، کلّما ارتفع البناء دقّ رأسهما حتّی یصیر مثل مفرش حصیر، و هما من المرمر، و علیهما جمیع الأقلام السّبعة: الیونانیّة، و العبرانیّة، و السّریانیّة، و السّندیّة، و الحمیریّة، و الرّومیّة، و الفارسیّة. قال: و حکی جدّی عن ابن المناوی، أنّه قال:

حسبوا خراج الدنیا مرارا فلم یف بهدمها.

قال صاحب المرآة: هذا وهم؛ فإنّ صلاح الدین یوسف بن أیّوب أمر بأن یؤخذ منها حجارة یبنی بها قنطرة و جسرا، فهدموا منها شیئا کثیرا.

قال: و حکی لی من دخل الهرم المفتوح أنّه وجد فیه قبرا، و أنّ فیه مهالک، و ربّما خرج الإنسان فی سراديب إلی الفیوم. قال: و الظاهر أنّها قبور ملوک الأوائل، و علیها أسماؤهم و أسرار الفلک و السحر و غیر ذلک. قال: و اختلفوا فیمن بنی الأهرام، فقیل: یوسف، و قیل: نمرود، و قیل: دلوکة الملکة، و قیل: بناها القبط قبل الطوفان، و کانوا یرون أنّها مأمن، فنقلوا أموالهم و ذخائرهم إلیها،

فما أغنی عنهم شیئا.

و حکی بعض شیوخ مصر أنّ بعض من یعرف لسان الیونان، حلّ بعض الأقلام التی علیها، فإذا هی: «بنی هذا الهرمان، و النّسر الواقع فی السّرطان». قال: و من ذلک

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۶۶

الوقت إلی زمان نبیّنا محمد صلی اللّه علیه و سلم ستّة و ثلاثون ألف سنة. و قیل: اثنان و سبعون ألفا، و قیل: إنّ القلم الذی علیها تاریخه قبل بناء مصر بأربعة آلاف سنة و لا یعرفه أحد.

قال: و لما ملک أحمد بن طولون مصر، حفر علی أبواب الأهرام فوجدوا فی الحفر قطعة مرجان مکتوبا علیها سطورا بالیونانی، فأحضر من یعرف ذلک القلم، فإذا هی أبیات شعر، فترجمت فکان فیها:

أنا من بنی الأهرام فی مصر کلّهاو مالکها قدما بها و المقدّم

ترکت بها آثار علمی و حکمتیعلی الدّهر لا تبلی و لا تتثلّم

و فیها کنوز جمّة و عجائبو الدّهر لین مرّة و تهجّم

و فیها علومی کلّها غیر أنّنیأری قبل هذا أن أموت فتعلم

ستفتح أقفالی، و تبدو عجائبیو فی لیلة فی آخر الدهر تنجم

ثمان و تسع و اثنتان و أربعو سبعون من بعد المئین فتسلم

و من بعد هذا جزء تسعین برهةو تلقی البرابی صخرها و تهدّم

تدبّر فعالی فی صخور قطعتهاستبقی، و أفنی قبلها ثمّ تعدم

فجمع أحمد بن طولون الحکماء، و أمرهم بحساب هذه المدّة، فلم یقدروا علی تحقیق ذلک، فیئس من فتحها.

قال صاحب مباهج الفکر: و من المبانی الّتی یبلی الزمان و لا تبلی، و تدرس معالمه و أخبارها لا تدرس و لا تبلی، الأهرام الّتی بأعمال مصر، و هی أهرام کثیرة، أعظمها الهرمان اللّذان بجیزة مصر، و یقال: إنّ بانیهما سوریدبن سلهوق بن شریاق، بناهما قبل الطوفان لرؤیا رآها، فقصّها علی الکهنة، فنظروا فیما تدلّ علیه الکواکب الیّرة من أحداث تحدث فی العالم، و أقاموا مراکزها فی وقت المسیلة، فدلّت علی أنّها نازلة من السّماء، تحیط بوجه الأرض، فأمر حینئذ ببناء البرابی و الأهرام العظام، و صوّر فیها صور الکواکب و درجها و ما لها من الأعمال و أسرار الطبائع، و النوامیس و عمل الصنعة. و یقال: إنّ هرمس المثلّث الموصوف بالحکمة- و هو الذی تسمّیه العبرانیون أخنوخ، و هو إدریس علیه الصلاة و السلام- استدلّ من أحوال الکواکب علی کون

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۶۷

الطوفان یوجد، فأمر ببناء الأهرام و إیداعها الأموال و صحائف العلوم و ما یخاف علیه من الذهاب و الدّثور، کلّ هرم منها مربّع القاعدة مخروط الشکل، ارتفاع عموده ثلاثمائة ذراع و سبعة عشر ذراعا، یحیط به أربعة سطوح متساویات الأضلاع؛ کلّ ضلع منها أربعمائة ذراع و ستّون ذراعا، و یرتفع إلی أن یکون سطحه مقدار ستّة أذرع فی مثلها.

و یقال إنّه کان علیه حجر شبه المکبّة، فرمته الریاح العواصف و هو مع هذا العظم من إحکام الصنعة و إتقان الهندسة، و حسن التقدیر؛ بحیث أنّه لم یتأثّر الآن بعصف الریاح، و هطل السحاب، و زعزعة الزلازل؛ و هذا البناء لیس بین حجارته ملاط إلّا ما یتخیّل أنّه ثوب أبیض، فرش بین حجرین، أو ورقة، و لا یتخلّل بینهما الشعرة، و طول الحجر منها خمسة أذرع فی سمک ذراعین. و یقال: إنّ بانیهما جعل لهما أبوابا علی أدراج مبتّة بالحجارة فی الأرض؛ طول کلّ حجر منها عشرون ذراعا، و کلّ باب من حجر واحد یدور بلولب، إذا أطبق لم یعلم أنّه باب، یدخل من کلّ باب منها إلی سبعة بیوت، کلّ بیت علی اسم کوکب من الکواکب السبعة، و کلّها مقفلة بأقفال، و حذاء کلّ بیت صنم من ذهب مجوّف، إحدی یدیه علی فیه، فی جبهته کتابة بالمسند، إذا قرئت انفتح فوه، فیؤخذ منه

مفتاح ذلک القفل فیفتح به.

و القبط تزعم أنّهما و الهرم الصغیر الملوّن قبور، فالهرم الشرقیّ فیه سوریـد الملک، و فی الهرم الغربیّ أخوه هرجیب، و الهرم الملوّن فیه أفریبون بن هرجیب.

و الصّابئة تزعم أنّ أحدهما قبر شیث، و الآخر قبر هرمس، و الملوّن قبر صاب بن هرمس؛ و إلیه تنسب الصابئة، و هم یحجّون إلیها، و یذبحون عندها الدّیکة و العجول السود، و یبخّرون بدخن. و لمّا فتحه المأمون، فتح إلی زلّاقة ضیّقة من الحجر الصوّان الأسود الذی لا یعمل فیه الحدید، بین حاجزین ملتصقین بالحائط، قد نقر فی الزلاقة حفر یتمسّک الصاعد بتلک الحفر، و یستعین بها علی المشی فی الزلاقة لئلّا یزلق، و أسفل الزلاقة بئر عظیمة بعیدة القعر. و یقال: إنّ أسفل البئر أبواب یدخل منها إلی مواضع کثیرة و بیوت و مخادع و عجائب، و انتهت بهم الزلاقة إلی موضع مربّع فی وسط حوض من حجر صلد مغطّی، فلمّا کشف عنه غطاؤه لم یوجد فیه إلّا رمّة بالیة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۶۸

و قال ابن فضل اللّه فی المسالک: قد أکثر الناس القول فی سبب بناء الأهرام؛ فقیل: هیاکل الکواکب، و قیل: قبور و مستودع مال و کتب، و قیل: ملجأ من الطوفان.

قال: و هو أبعد ما قیل فیها؛ لأنّها لیست شبیهة بالمساکن.

قال: و قد کانت الصابئة تأتی فیحجّ الواحد و یزور الآخر، و لا تبلغ فیه مبلغ الأوّل فی التعظیم.

قال: و أما أبو الهول فهو صنم بقرب الهرم الکبیر فی وهدة منخفضة، و عنقه، أشبه شیء برأس راهب حبشیّ، علی وجهه صباغ أحمر، لم یحل علی طول الأزمان؛ یقال إنّه طّلسم یمنع الرمل عن المزارع. قال: و سجن یوسف شمالیّ الأهرام علی بعد منه فی ذیل خرجة من جبل فی طرف الحاجر.

قال صاحب مباهج الفکر: و بدهشور من أعمال الجیزة أهرام بناها شدّاد بن عدیم بن البرشیر بن قفطیم بن مصر بن مصرایم بانی مصر.

و قال بعضهم: ذکر عبد اللّه بن سراقة أنّه لما نزلت العمالیق مصر حین أخرجتها جرهم من مکّة، نزلت مصر، فبنت الأهرام و اتّخذت بها المصانع، و بنت بها العجائب؛ فلم تزل بمصر حتّی أخرجها مالک بن ذعر الخزاعیّ.

و قال سعید بن عفیر: لم تزل مشایخ مصر یقولون: إنّ الأهرام بناها شدّاد، و کانوا یقولون بالرجعة؛ فکان أحدهم إذا مات دفن معه ماله کلّه؛ و إن کان صانعا دفنت معه آلته.

و قال محمد بن عبد اللّه بن عبد الحکم: کان من وراء الأهرام إلی الغرب أربعمائة مدینة من مصر إلی الغرب فی غربیّ الأهرام.

و قال ابن المتوّج فی کتابه من عجائب مصر: ما بجانبها الغربی من البنیان

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۶۹

المعروف بالأهرام و عددها ثمانیة عشر هرما؛ منها ثلاثة بالجیزة مقابل الفسطاط. و لما فتح المأمون أحدها انتهی إلی حوض مغطّی بلوح من رخام مملوء من ذهب، و اللوح مکتوب فیه أسطر، فطلب من یقرؤها، فإذا فیه: «إنّا عمرنا هذا الهرم فی ألف یوم، و أبحنا لمن یهدمه فی ألفی یوم؛ و الهدم أسهل من العمارة، و جعلنا فی کلّ جهة من جهاته من المال بقدر ما یصرف علی الوصول إلیه، لا یزید و لا ینقص».

و عند مدینة فرعون یوسف هرم دوره ثلاثة آلاف ذراع، و علوّه سبعمائة ذراع.

و عند مدینة فرعون أهرام آخر أحدها یعرف بهرم میدوم؛ کأنّه جبل، و هو خمس طبقات، و الطبقة العلیا کأنّها قلعة علی جبل.

و قال الزمخشریّ: الهرمان بالجیزة علی فرسخین من الفسطاط، کلّ واحد أربعمائة ذراع عرضا، و الأساس زائد علی جریب مبنیّ بالحجارة المرمر، و هی منقولة من مسافة أربعین فرسخا، من موضع یعرف بذات الحمام، فوق الإسکندریة، و لا یزالان ینخرطان فی الهوی حتّی یرجع مقداره إلی مقدار خمسة أشبار فی خمسة، و لیس علی وجه الأرض بناء أرفع منهما منقور فیها بالمسند سحر و

طلسم و طبّ، و فيه: «إنّی بنيتهما، فمن ادّعی قوّة فی ملكه فليهدمهما، فإنّ خراج الأرض لا يفی بهدمها».

و قالوا: لا يعرف من بناهما.

و قال المسعودیّ: طول كلّ واحد و عرضه أربعمائة ذراع، و أساسهما فی الأرض مثل طولهما فی العلوّ، و كلّ هرم منها سبعة بيوت، علی عدد السبع الكواكب السيارة، كلّ بيت منها باسم كوكب و رسمه، و جعل فی جانب كلّ بيت منها صنم من ذهب مجوّف، و إحدی يديه موضوعة علی فيه، فی جبهته كتابة كاهنيّة، إذا قرئت فتح فاه، و خرج من فيه مفتاح ذلك القفل، و لتلك الأصنام قوانين و بخورات، و لها أرواح موكّلة بها، مسخّرة لحفظ تلك البيوت و الأصنام و ما فيها من التماثيل و العلوم و العجائب و الجواهر و الأموال، و كلّ هرم فيه ملك و طاوس من الحجارة مطبق عليه، و معه صحيفة

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۷۰

فيها اسمه و حكمته، مطلسم عليه لا يصل إليه أحد إلا فی الوقت المحدود.

و ذكر بعضهم أنّ فيها مجاری الماء يجری فيها النيل، و أن فيها مطامير تسع من الماء بقدرها، و أنّ فيها مكانا ينفذ إلی صحراء الفيوم و هی مسيرة يومين.

و دخل جماعة فی أيام أحمد بن طولون الهرم الكبير، فوجدوا فی أحد بيوته جاما من زجاج غريب اللون و التّكوين، فحين خرجوا فقدوا منهم واحدا، فدخلوا فی طلبه فخرج إليهم عريانا و هو يضحك، و قال: لا تتعبوا فی طلبی. و رجع هاربا إلی داخل الهرم، فعلموا أنّ الجنّ استهوته، وشاع أمرهم، فبلغ ذلك ابن طولون، فمنع الناس من الدّخول و أخذ منهم الجام، فملأه ماء، و وزنه ثمّ صبّ ذلك الماء و وزنه؛ فكان وزنه ملآنا كوزنه و هو فارغ.

و قيل: إنّ الرّوحانی الموكّل بالهرم البحریّ فی صفة امرأة عريانة مكشوفة الفرج، و لها ذوائب إلی الأرض، و قد رآها جماعة تدور حول الهرم وقت القيلولة، و الموكّل بالهرم الذی إلی جانبه فی صورة غلام أصفر أمرد عريان، و قد رئی بعد المغرب يدور حول الهرم، و الموكل بالثالث فی صورة شيخ فی يده مبخرة و عليه ثياب الرهبان، و قد رئی يدور ليلا حول الهرم. حكی ذلك صاحب المرآة.

و قال القاضی الفاضل: الهرمان فرقدا الأرض، و كلّ شیء يخشی عليه من الدهر إلا الهرمان؛ فإنّه يخشی علی الدهر منهما.

ذكر ما قيل فی الهرمين اللذين فی الجيزة من الأشعار

قال المتنبّی:

أين الّذی الهرمان من بنيانهما قومه؟ ما يومه؟ ما المصرع؟

تتخلّف الآثار عن سكّانهاحينا، و يدركها الفناء فتتبع

و قال أبو الفضل أميّة بن عبد العزيز الأندلسیّ:

يعيشك هل أبصرت أحسن منظراعلی ما رأت عيناك من هرمی مصر

أنافا بأعنان السّماء و أشرفاعلی الجوّ إشراف السّماك أو النّسر

و قد وافيا نشزا من الأرض عالياكأنّهما نهدان قاما علی صدر

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۷۱

و قال الفقيه عمارة اليمنی الشاعر:

خليليّ ما تحت السّماء بنيّةتماثل فی إتقانها هرمی مصر

بناء يخاف الدّهر منه، و كلّ ماعلی ظاهر الدّنيا يخاف من الدّهر

تنزّه طرفی فی بدیع بنائهاو لم یتنزّه فی المراد بها فکری

و قال آخر:

انظر إلی الهرمین إذ برزاللعین فی علو و فی صعد

و کأنّما الأرض العریضة إذظمئت لفرط الحرّ و الومد

حسرت عن الثّدیین بارزةتدعو الإله لفرقة الولد

فأجابها بالنّیل یوسعهاریّا و یشفیها من الکمد

و قال ظافر الحدّاد:

تأمّل هیئة الهرمین و انظرو بینهما أبو الهول العجیب

کعمّار یبتن علی رحیللمحبوبین بینهما رقیب

و ماء النّیل بینهما دموعو صوت الرّیح عندهما نحیب

و دونهما المقطّم و هو یحکیرکاب الرّکب أبرکها اللّغوب

و ظاهر سجن یوسف صبتخلّف و هو محزون کئیب

و قال ابن الساعاتی:

و من العجائب، و العجائب جمّةدقّت عن الإکثار و الإسهاب

هرمان قد هرم الزمان و أدبرتأیّامه، و تزید حسن شباب

للّه أیّ بنیّة أزلیّةتبغی السّماء بأطول الأسباب

و کأنّما وقفت وقوف تبلّدأسفا علی الأیّام و الأحقاب

کتمت علی الأسماع فصل خطابهاو غدت تشیر به إلی الألباب

و قال سیف الدین بن حبارة:

للّه أیّ غریبة و عجیبةفی صنعة الأهرام للألباب!

أخفت عن الأسماع قصّة أهلهاو نضت عن الإبداع کلّ نقاب

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۷۲ فکأنّما هی کالخیام مقامةمن غیر ما عمد و لا أطناب

و قال بعضهم:

تبیّن أنّ صدر الأرض مصرو نهداها من الهرمین شاهد

فواعجبا و قد ولدت کثیراعلی هرم، و ذاک النّهد ناهد

و لمّا عدّی القاضی شهاب الدین بن فضل اللّه إلی الأهرام، کتب إلی الأمیر الجائی الداوادار، و ذلک سنة تسعة و عشرین و سبعمائة، قال:

لی البشارة إذ أمسیت جارکمفی أرض مصر بأنّنی غیر مهتضم

حفظتمولی شبابی فی ظلالکممع أنّکم قد وصلتم بی إلی الهرم

و یقبّل الأرض، و یحمد اللّه علی أن شرح له فی ظلّ مولانا صدرا، و أوجد النّجح لأمانیه التی قیل لها اهبطی مصرا؛ حتّی أقّرت بها منتهی الرّحلة، و اتّخذ بها بیوتا جعل أبوابها من قصر مولانا إلی قبله. و ینهی أنّه کان یستهول البحر أن یرکب لحجه، أو أن یصعد فی أمواجه العالیة درجه، ثمّ ترک لما یقرّ به من خدمة مولانا الوجل، و أفکر فیما أحاط به من کرمه، فقال: «أنا الغریق فما خوفی من البلل» .

فرکب حراقة لا یطفئ لهیبها الماء القراح، و لا تثبت منها العیون سوی ما تدرک من هفیف الریاح، ثمّ أفضی إلی غدران تحفّ بها ریاض تملأ العین، و تتحلّی منها بماء جمد علیه الزّمرد و ذاب اللّجین، و ختم یومه بالنزول فی جیزة مولانا التی أمن بها من النوب، و بلغت منها إلی هرمین، علم بهما أنّ هذه الأیام الشریفة أعراس و هما بعض ما تزینت به من اللعب.

و من ذلک رسالة لضیاء الدین بن الأثیر فی وصف مصر:

و لقد شاهدت منها بلدا یشهد بفضله علی البلاد، و وجدته هو المصر و ما عداه فهو السواد، فما رآه راء إلا ملأ عینه و صدره، و لا وصفه واصف إلّا علم أنّه لم یقدره

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۷۳

قدره. و به من عجائب الآثار ما لا یضبطها العیان، فضلا عن الإخبار، من ذلک الهرمان اللذان هرم الدهر و هما لا یهرمان، قد اختصّ کلّ منهما بعظم البناء وسعة الفناء، و بلغ من الارتفاع غایة لا یبلغها الطیر علی بعد تحلیقه، و لا یدرکها الطّرف علی مدّة تحدیقه؛ فإذا أضرم برأسه قبس ظنّه المتأمّل نجما، و إذا استدار علیه قوس السماء کان له سهما.

و قال صاحبنا الشهاب المنصوریّ:

إن جزت بالهرمین قل کم فیهمامن عبرة للعاقل المتأمّل

شبّهت کلّا منهما بمسافرعرف المحلّ فبات دون المنزل

أو عاشقین وشی بوصلهما أبو الهول الرّقیب فخلّفاه بمعزل

أو حائرین استهدیا نجم السّمافهداهما بضیائه المتهلّل

أو ظامئین استسقیا صوب الحیافسقاهما عذبا رویّ المنهل

یفنی الزّمان و فی حشاه منهماغیظ الحسود و ضجرة المستثقل

ذکر بناء الإسکندریة

أخرج ابن عبد الحکم فی فتوح مصر، و البیهقی فی دلائل النبوّة، عن عقبة بن عامر الجهنیّ رضی اللّه عنه، قال: جاء رجال من أهل الکتاب، معهم کتب إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، فقال لهم رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: إن شئتم أخبرتکم عمّا أردتم أن تسألونی قبل أن تتکلّموا، و إن شئتم تکلّمتم و أخبرتکم! قالوا: بل أخبرنا قبل أن نتکلّم، قال: جئتم تسألوننی عن ذی القرنین، و سأخبرکم کما تجدونه مکتوبا عندکم؛ إنّ أوّل أمره أنّه کان غلاما من الرّوم، أعطی ملکا، فسار حتّی أتی ساحل البحر من أرض مصر، فابتنی عنده مدینة یقال لها الإسکندریة، فلما فرغ من بنائها أتاه ملک، فعرج به حتّی استقلّه فرفعه، فقال: انظر ما تحتک، قال: أری مدینتی، و أری مدائن معها، ثمّ عرج به، فقال:

انظر، فقال: قد اختطلت مع المدائن فلا أعرفها ... الحدیث بطوله؛ و قد أوردته فی التفسیر المأثور فی سورة الکهف.

و أخرج ابن عبد الحکم، عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص، قال: کان أوّل شأن الإسکندریّة أنّ فرعون اتّخذ بها مصانع و مجالس، و کان أوّل من عمرها و بنی فیها، فلم

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۷۴

تزل علی بنائه و مصانعه، ثمّ تداولها الملوک؛ ملوک مصر بعده، فبنت دلوکة بنت زبّاء منارة الإسکندریّة و منارة بوقیر بعد فرعون، فلما ظهر سلیمان بن داود علیهما الصلاة و السلام علی الأرض اتّخذ بها مجلسا، و بنی فیها مسجدا. ثمّ إنّ ذا القرنین ملکها، فهدم ما کان فیها من بناء الملوک و الفراعنة و غیرهم، إلّا بناء سلیمان بن داود، لم یهدمه و لم یغیّره، و أصلح ما کان تخارب منه، و أقرّ المنارة علی حالها. ثم بنی الإسکندریّة من أوّلها بناء یشبه بعضه بعضا، ثم تداولتها الملوک من الرّوم و غیرهم؛ لیس من ملک إلا

یکون له بناء یضعه بالإسکندریّة یعرف به، و ینسب إلیه.

قال ابن عبد الحکم: و یقال إنّ الذی بنی منارة الإسکندریّة قلبطرة الملکة، و هی التی ساقت خلیجها حتّی أدخلته الإسکندریّة، و لم یکن یبلغها الماء. قال: و یقال إنّ الذی بنی الإسکندریة شدّاد بن عاد.

و قال ابن لهیعة: بلغنی أنّه وجد حجر بالإسکندریّة مکتوب فیه: «أنا شدّاد بن عاد، و أنا الذی نصب العماد، و حیّد الأحیاد، و سدّ بذراعیه الواد، بنیتها إذ لا شیب و لا موت، و إذا الحجارة لی فی اللّین مثل الطین». قال ابن لهیعة: و الأحیاد کالمغار.

و أخرج ابن عبد الحکم عن تبیع قال: إنّ فی الإسکندریة مساجد خمسة مقدّسة:

مسجد موسی علیه الصلاة و السلام عند المنارة، و مسجد سلیمان علیه الصلاة و السلام، و مسجد ذی القرنین، و مسجد الخضر؛ أحدهما عند القیساریّة، و الآخر عند باب المدینة، و مسجد عمرو بن العاص الکبیر.

قال ابن عبد الحکم: و حدّثنا أبی، قال: کانت الإسکندریّة ثلاث مدن بعضها إلی جنب بعض: منّة؛ و هی موضع المنارة و ما والاها، و الإسکندریّة و هی موضع قصبة الإسکندریة الیوم، و نقیطة؛ و کان علی کلّ واحدة منهنّ سور، و سور من خلف ذلک علی الثلاث مدن؛ یحیط بهنّ جمیعا.

و أخرج ابن عبد الحکم عن عبد اللّه بن طریف الهمدانیّ، قال: کان علی الإسکندریّة سبعة حصون و سبعة خنادق.

و أخرج عن خالد بن عبد اللّه و أبی حمزة أنّ ذا القرنین لمّا بنی الإسکندریّة رخّمها بالرّخام الأبیض؛ جدرها و أرضها، فکان لباسهم فیها السّواد و الحمرة؛ فمن قبل ذلک لبس الرهبان السّواد من نصوع بیاض الرّخام، و لم یکونوا یسرجون فیها باللیل من بیاض

الرّخام، و إذا کان القمر أدخل الرجل الذی یخیط باللیل فی ضوء القمر فی بیاض الرّخام الخیط فی حجر الإبرة.

قال: و ذکر بعض المشایخ: أنّ الإسکندریّة بنیت ثلاثمائة سنة، و سکنت ثلاثمائة سنة، و خربت ثلاثمائة سنة؛ و لقد مکثت سبعین سنة ما یدخلها أحد إلّا و علی بصره خرقة سواد؛ من بیاض جصّها و بلاطها، و لقد مکثت سبعین سنة ما یستسرج فیها.

قال: و أخبرنا ابن أبی مریم، عن العطّاف بن خالد، قال: کانت الإسکندریّة بیضاء تضیء باللیل و النهار، و کانوا إذا غربت الشمس لم یخرج أحد منهم من بیته، و من خرج اختطف، و کان منهم راع یرعی علی شاطیء البحر، و کان یخرج من البحر شیء فیأخذ من غنمه، فکمن له الراعی فی موضع حتّی خرج؛ فإذا جاریة، فتشبّث بها، فذهب بها إلی منزله فأنست بهم، فرأتهم لا یخرجون بعد غروب الشمس، فسألتهم، فقالوا: من خرج منّا اختطف، فهیّأت لهم الطّلسمات بمصر فی الإسکندریة .

و أخرج عن عطاء الخراسانیّ، قال: کان الرّخام قد سخّر لهم حتّی یکون من بکرة إلی نصف النهار بمنزلة العجین، فإذا انتصف النهار اشتدّ.

و أخرج عن هشام بن سعد المدینیّ، قال: وجد بالإسکندریّة حجر مکتوب فیه مثل حدیث ابن لهیعة سواء؛ و زاد فیه: «و کنزت فی البحر کنزا علی اثنی عشر ذراعا لن یخرجه أحد حتّی تخرجه أمّة محمد صلی اللّه علیه و سلم».

و قال التّیفاشیّ فی کتاب سرور النفس بمدارک الحواس الخمس: کانت الإسکندریّة تسمّی قبل الإسکندر رفودة، و بذلک تعرفها القبط فی کتبهم القدیمة.

قال ابن عبد الحکم: و حدّثنا عبد اللّه بن صالح، عن اللیث بن سعد، قال: کانت بحیرة الإسکندریة کرما کلّها لامرأة المقوقس؛ فکانت تأخذ خراجها منهم الخمر بفریضة علیهم، و کثر الخمر علیها حتّی ضاقت به ذرعا، فقالت: لا حاجة لی فی الخمر؛

أعطونی دنانیر؛ فقالوا: لیس عندنا، فأرسلت علیهم الماء فغرّقتها، فصارت بحیرة یصاد فیها الحیتان حتّی استخرجها بنو العباس، فسدّوا جسورها و زرعوا فیها.

و قال صاحب المرآة : من عجائب مصر عمود السواری بالإسکندریّة، و لیس فی الدنیا مثله، و قد شاهدته؛ و یقال إنّ أخاه بأسوان.

قال ابن فضل اللّه فی المسالک: بظاهر الإسکندریة عمود السواری، عمود مرتفع فی الهواء تحته قاعدة، و فوقه قاعدة، یقال: إنّه لا نظیر له فی العمد فی علوّه و لا فی استدارته.

قلت: قد رأیت هذا العمود لمّا دخلت الإسکندریة فی رحلتی، و دور قاعدته ثمانیة و ثمانون شبرا؛ و من المتواتر عن أهل الإسکندریّة أنّ من حاذاه عن قرب، و غمّض عینیه ثمّ قصده لا یصیبه بل یمیل عنه. و ذکروا أنّه لم تحصل إصابته لأحد قطّ مع کثرة تحرّیهم ذلک؛ و قد جرّبت ذلک مرارا فلم أقدر أن أصیبه.

و ذکر بعض فضلاء الإسکندریة أنّها کانت أربعة أعمدة علی هذا النّمط، و کان علیها قبّة یجلس علیها أرسطو صاحب الرّصد. و فی هذا العمود یقول الشاعر:

نزیل سکندریّة لیس یقری‌سوی بالماء أو عمد السّواری

و إن تطلب هنالک حرف خبزفلم یوجد لذاک الحرف قاری

و أخرج ابن عساکر فی تاریخه، عن أسامة بن زید التّنوخیّ، قال: کان بالإسکندریّة صنم من نحاس، یقال له شراحیل. علی خشفة من خشف البحر، و کان مستقبلا بإصبعه القسطنطینیّة، لا یدری أکان ممّا عمله سلیمان أو الإسکندر؛ فکانت الحیتان تجتمع عنده، و تدور حوله فتصاد، فکتب أسامة إلی الولید بن عبد الملک بن مروان یخبره بخبر الصّنم، و یقول: الفلوس عندنا قلیلة، فإن رأی أمیر المؤمنین أن نقطع الصنم و نضربه فلوسا. فأرسل إلیه الولید رجالا أمّنا، فأنزلوا الصنم فوجدوا عینیه یاقوتتین حمراوین، لیس لهما قیمة، فذهبت الحیتان و لم تعد إلی ذلک الموضع.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۷۷

ذکر منارة الإسکندریة و بقیّة عجائبها

قال صاحب مباهج الفکر: من عجائب المبانی بأرض مصر منارة الإسکندریّة، و هی مبنیّة بحجارة مهندمة مضبّبة بالرّصاص، علی قناطر من زجاج، و القناطر علی ظهر سرطان من نحاس، و فیها نحو ثلاثمائة بیت، بعضها فوق بعض، تصعد الدابّة بحملها إلی سائر البیوت من داخلها، و للبیوت طاقات تنظر إلی البحر.

و اختلف أهل التاریخ فیمن بناها؛ فقیل: إنّها من بناء الإسکندر ، و قیل: من بناء دلوکة الملکة. و یقال: إنّ طولها کان ألف ذراع، و کان فی أعلاها تماثیل من نحاس، منها تمثال قد أشار بسبّابة یده الیمنی نحو الشمس أینما کانت من الفلک، یدور معها حیثما دارت. و منها تمثال وجهه إلی البحر، متی صار العدوّ منهم علی نحو من لیلة سمع له صوت هائل ، یعلم به أهل المدینة طروق العدوّ. و منها تمثال کلّما مضی من اللیل ساعة صوّت صوتا مطرّبا، و کان بأعلاه مرآة تری منها قسطنطینیّة، و بینهما عرض البحر، فکلّما جهّز الروم جیشا رئی فی المرآة.

و حکی المسعودیّ أنّ هذه المنارة کانت فی وسط الإسکندریّة، و أنّها تعدّ من بنیان العالم العجیب، بناها بعض ملوک الیونان، یقال إنّه الإسکندر، لما کان بینهم و بین الروم من الحروب، فجعلوا هذه المنارة مرقبا، و جعلوا فیها مرآة من الأحجار المشقّقة، تشاهد فیها مراکب البحر إذا أقبلت من رومیة علی مسافة تعجز الأبصار عن إدراکها، و لم تزل کذلک إلی أن ملکها المسلمون، فاحتال ملک الروم لمّا انتفع بها المسلمون فی ذلک علی الولید بن عبد الملک، بأن أنفذ أحد خواصّه، و معه جماعة إلی بعض ثغور الشام؛ علی أنه راغب فی الإسلام، فوصل إلی الولید، و أظهر الإسلام، و أخرج کنوزا و دفائن کانت بالشام؛ ممّا حمل الولید علی أن صدّقه علی أنّ تحت المنارة أموالا و دفائن و أسلحة، دفنها الإسکندر. فجهزه مع جماعة من ثقاته إلی الإسکندریّة، فهدم ثلث المنارة، و أزال المرآة، ثمّ فطن الناس إلی أنّها مکیدة، فاستشعر ذلک، فهرب فی مرکب کانت معدّة له، ثمّ بنی ما تهدّم بالجصّ و الآجرّ.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۷۸

قال المسعودىّ: و طول المنارة فى وقتنا هذا- و هو سنة ثلاث و ثلاثين و ثلاثمائة- و ثلاثون ذراعا، و كان طولها قديما نحو أربعمائة ذراع، و بناؤها فى عصرنا ثلاثة أشكال، فقريب من الثلث مربّع مبنىّ بالحجارة، ثم بعد ذلك بناء مثمن الشكل مبنىّ بالأجرّ و مائتان و الجصّ نحو ستين ذراعا، و أعلاها مدوّر الشكل.

قال صاحب مباهج الفكر: و كان أحمد بن طولون بنى فى أعلاها قبّة من خشب، فهدمتها الرياح، فبنى مكانها مسجد فى أيّام الملك الكامل صاحب مصر. ثمّ إنّ وجهها البحرىّ تداعى، و كذلك الرصيف الذى بين يديها من جهة البحر، و كادا ينهدمان؛ و ذلك أيام الملك الظّاهر ركن الدين بيبرس، فرمّه و أصلحه. انتهى.

و ذكر ابن فضل اللّه فى مسالكه أنّ هذه المنارة قد خربت و بقيت أثرا بلا عين، و كان هذا وقع فى أيّام قلاوون أو ولده.

و قال ابن المتوّج فى كتاب إيقاظ المتغفّل: من العجائب منارة الإسكندرية التى بناها ذو القرنين، كان طولها أكثر من ثلاثمائة ذراع، مبنيّة بالحجر المنحوت، مربّعة الأسفل، و فوق المنارة المربّعة منارة مثمّنة مبنيّة بالآجرّ، و فوق المنارة المثمّنة منارة مدوّرة، و كانت كلّها مبنية بالصخر المنحوت على أكثر من مائتى ذراع، و كان عليها مرآة من الحديد الصينىّ، عرضها سبعة أذرع، كانوا يرون فيها جميع من يخرج من البحر من جميع بلاد الروم، فإن كانوا أعداء تركوهم حتّى يقربوا من الإسكندريّة، فإذا قربوا منها و مالت الشمس للغروب أداروا المرآة مقابلة الشمس، فاستقبلوا بها السفن، حتّى يقع شعاع الشمس فى ضوء المرآة على السفن، فتحرق السفن فى البحر عن آخرها، و يهلك كلّ من فيها. و كانوا يؤدّون الخراج ليأمنوا بذلك من إحراق المرآة لسفنهم، فلمّا فتح عمرو بن العاص الإسكندريّة احتالت الروم بأن بعثت جماعة من القسّيسين المستعربين، و أظهروا أنّهم مسلمون، و أخرجوا كتابا زعموا أنّ ذخائر ذى القرنين فى جوف المنارة،

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۷۹

فصدّقتهم العرب لقلّة معرفتهم بحيل الروم، و عدم معرفتهم بمنفعة تلك المرآة و المنارة، و تخيّلوا أنهم إذا أخذوا الذخائر و الأموال أعادوا المرآة و المنارة كما كانت، فهدموا مقدار ثلثى المنارة، فلم يجدوا فيها شيئا، و هرب أولئك القسّيسون، فعلموا حينئذ أنّها خديعة، فبنوها بالآجرّ، و لم يقدروا أن يرفعوا إليها تلك الحجارة، فلمّا أتمّوها نصبوا عليها تلك المرآة كما كانت، فصدئت و لم يروا فيها شيئا، و بطل إحراقها. و النصف الأسفل الذى من عمل ذى القرنين، يدخل الآن من الباب الذى للمنارة، و هو مرتفع من الأرض مقدار عشرين ذراعا، يصعد إليه على قناطر مبنيّة بالصخر المنحوت، فإذا دخل من باب المنارة يجد على يمينه بابا، فيدخل منه إلى مجلس كبير عشرين ذراعا مربّعا، يدخل فيه الضوء من جانبى المرآة، ثمّ يجد بيتا آخر مثلها، ثمّ مجلسا ثالثا، و مجلسا رابعا كذلك.

قال: و قد عملت الجنّ لسليمان بن داود عليهما الصلاة و السلام فى الإسكندرية مجلسا من أعمدة الرخام الملوّن المجزّع كالجزع اليمانىّ، المصقول كالمرآة، إذا نظر الإنسان إليها يرى من يمشى خلفه لصفائها. و كان عدد الأعمدة ثلاثمائة عمود، و كلّ عمود ثلاثون ذراعا، و فى وسط المجلس عمود طوله مائة و إحدى عشر ذراعا، و سقفه من حجر واحد أخضر مربّع، قطعته الجن. و من جملة تلك الأعمدة عمود واحد يتحرّك شرقا و غربا، يشاهد ذلك الناس، و لا يرون ما سبب حركته!

قال: و من جملة عجائب الإسكندرية السوارى و الملعب الّذى كانوا يجتمعون فيه فى يوم من السنة، و يرمون بأكرة، فلا تقع فى حجر أحد منهم إلا ملك مصر، و كان يحضر هذا الملعب ما شاء اللّه من الناس ما يزيد على ألف ألف رجل؛ فلا يكون منهم أحد إلا و هو ينظر فى وجه صاحبه. ثمّ إن قرىء كتاب سمعوه جميعا، أو لعب لون من ألوان اللعب رأوه عن آخرهم.

قال: و من عجائبها المسلتان، و هما جبلان قائمان على سرطانات من نحاس فى أركانهما، كلّ ركن على سرطان، فلو أراد أحد أن يدخل من جانبهما شيئا حتّى يعبر إلى جانبهما الآخر فعل.

قال: و من عجائبها عمودا الإعياء، و هما عمودان ملقيان، وراء كلّ عمود منهما جبل حصى كحصى الجمار، فمتى أقبل التّعب النّصب

بسبع حصيّات من ذلك الحصى، فاستلقى على أحدهما، ثمّ يرمى وراءه بالسبع حصيّات، و يقوم و لا يلتفت، و يمضى لطلبّته ، قام كأنّه لم يتعب و لم يحسّ بشىء.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۸۰

قال: و من عجائبها القبّة الخضراء، و هى أعجب قبّة ملبّسة نحاسا، كأنّه الذهب الإبريز ، لا يبليه القدم، و لا يخلقه الدهر.

و قال: و من عجائبها منية عقبة، و حصن فارس، و كنيسة أسفل الأرض؛ و هى مدينة على مدينة، و ليس على وجه الأرض مثلها، و يقال إنّها إرم ذات العماد، سمّيت بذلك لأنّ عمدها لا يرى مثلها طولا و عرضا.

و قال صاحب مرآة الزمان: كان للإسكندر أخ يسمّى الفرما، فلمّا بنى الإسكندر الإسكندريّة، بنى الفرما الفرما على نعت الإسكندريّة. و لم تزل مدينة الإسكندريّة بهجة يرتاح إليها كلّ من رآها، و لم تزل الفرما مذ بنيت رثّة، فلمّا فتحت الإسكندريّة قال عوف بن مالك لأهلها: ما أحسن مدينتكم! فقالوا: إنّ الإسكندر لمّا بناها قال: هذه مدينة فقيرة إلى اللّه تعالى غنيّة عن الناس، فبقيت بهجتها. و لمّا فتحت الفرما قال أبرهة بن الصّباح لأهلها: ما أخلق مدينتكم! قالوا: إنّ الفرما لما بناها قال: هذه المدينة غنيّة عن اللّه، فقيرة إلى الناس، فذهبت بهجتها.

ذكر دخول عمرو بن العاص مصر فى الجاهلية

أخرج ابن عبد الحكم، عن خالد بن يزيد، أنّه بلغه أنّ عمرا قدم إلى بيت المقدس لتجارة فى نفر من قريش، و إذا هم بشمّاس من شمامسة الروم من أهل الإسكندريّة، قدم للصّلاة فى بيت المقدس، فخرج فى بعض جبالها يسيح، و كان عمرو يرعى إبله و إبل أصحابه، و كانت رعية الإبل نوبا بينهم؛ فبينما عمرو يرعى إبله إذ مرّ به ذلك الشمّاس، و قد أصابه عطش شديد فى يوم شديد الحرّ، فوقف على عمرو، فاستسقاه؛ فسقاه عمرو من قربة له، فشرب حتّى روى؛ و نام الشمّاس مكانه، و كان إلى جانب الشمّاس حيث نام حفرة، فخرجت منها حيّة عظيمة، فبصر بها عمرو فنزع لها بسهم فقتلها؛ فلمّا استيقظ الشّماس نظر إلى حيّة عظيمة قد أنجاه اللّه منها، فقال لعمرو: ما هذه؟ فأخبره عمرو أنّه رماها بسهم فقتلها، فأقبل إلى عمرو، فقبّل رأسه، و قال: قد أحيانى اللّه بك مرّتين: مرّة من شدّة العطش، و مرّة من هذه الحيّة، فما أقدمك هذه البلاد؟ قال: قدمت مع أصحاب لى نطلب الفضل من تجارتنا، فقال له

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۸۱

الشمّاس: و كم ترجو أن تصيب من تجارتك؟ قال: رجائى أن أصيب ما أشترى به بعيرا، فإنّى لا أملك إلا بعيرين، فأملى أن أصيب بعيرا آخر، فيكون لى ثلاثة أبعرة.

قال له الشمّاس: أ رأيت دية أحدكم بينكم، كم هى؟ قال: مائة من الإبل، فقال له الشمّاس: لسنا أصحاب إبل، نحن أصحاب دنانير، قال: تكون ألف دينار، فقال له الشمّاس: إنّى رجل غريب فى هذه البلاد، و إنّما قدمت أصلّى فى كنيسة بيت المقدس، أسيح فى هذه الجبال شهرا، جعلت ذلك نذرا على نفسى، و قد قضيت ذلك، و أنا أريد الرجّوع إلى بلادى، فهل لك أن تتبعنى إلى بلادى، و لك عهد اللّه و ميثاقه أن أعطيك ديتين؛ لأنّ اللّه تعالى قد أحيانى بك مرّتين؟ فقال له عمرو: أين بلادك؟ قال: مصر، فى مدينة يقال لها الإسكندريّة، فقال له عمرو: لا أعرفها و لم أدخلها قطّ، فقال له الشمّاس: لو دخلتها لعلمت أنّك لم تدخل قطّ مثلها، فقال له عمرو: تفى لى بما تقول، و عليك بذلك العهد و الميثاق؟ فقال الشمّاس: نعم لك اللّه علىّ بالعهد و الميثاق أن أفى لك، و أن أردّك إلى أصحابك، فقال عمرو: كم يكون مكثى فى ذلك؟ قال:

شهرا، تنطلق معى ذاهبا عشرا، و تقيم عندنا عشرا، و ترجع فى عشر؛ و لك علىّ أن أحفظك ذاهبا، و أن أبعث معك من يحفظك راجعا. فقال له أنظرنى حتّى أشاور أصحابى. فانطلق عمرو إلى أصحابه، فأخبرهم بما عاهد عليه الشمّاس، و قال لهم:

أقيموا حتّى أرجع إليكم، و لكم علىّ العهد أن أعطيكم شطر ذلك، على أن يصحبنى رجل منكم آنس به، فقالوا: نعم، و بعثوا معه

رجلا منهم، فانطلق عمرو و صاحبه مع الشمّاس إلی مصر؛ حتّی انتهی إلی الإسکندریّة، فرأی عمرو من عمارتها و کثرة أهلها و ما بها من الأموال و الخیر ما أعجبه ذلک، و قال: ما رأیت مثل مصر قطّ و کثرة ما فیها من الأموال، و نظر إلی الإسکندریّة و عمارتها و جودة بنائها و کثرة أهلها و ما بها من الأموال، فازداد تعجّبا و وافق دخول عمرو الإسکندریّة عیدا فیها عظیما یجتمع فیها ملوکهم و أشرافهم، و لم أکرة من ذهب مکلّلة، یترامی بها ملوکهم، و هم یتلقّونها بأکمامهم؛ و فیما اختیروا من تلک الأکرة علی ما وضعها من مضی منهم: أنّ من وقعت الأکرة فی کمّه، و استقرّت فیه، لم یمت حتّی یملکهم. فلمّا قدم عمرو الإسکندریّة أکرمه الشمّاس الإکرام کلّه، و کساه ثوب دیباج ألبسه إیّاه، و جلس عمرو و الشمّاس مع الناس فی ذلک المجلس، حیث یترامون بالأکرة، و هم یتلقّونها بأکمامهم، فرمی بها رجل منهم، فأقبلت تهوی حتی وقعت فی کمّ عمرو؛ فتعجّبوا من ذلک، و قالوا: ما کذّبتنا هذه الأکرة قطّ إلّا هذه المرّة، أ تری هذا الأعرابیّ یملکنا؟! هذا لا یکون أبدا!

و إنّ ذلک الشمّاس مشی فی أهل الإسکندریّة و أعلمهم أنّ عمرا أحیاه مرّتین، و أنّه قد ضمن له ألفی دینار، و سألهم أن یجمعوا ذلک له فیما بینهم؛ ففعلوا و دفعوها إلی عمرو،

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۸۲

فانطلق عمرو و صاحبه، و بعث معهما الشمّاس دلیلا و رسولا، و زوّدهما و أکرمهما؛ حتّی رجع هو و صاحبه إلی أصحابهما؛ فبذلک عرف عمرو مدخل مصر و مخرجها، و رأی منها ما علم أنّها أفضل البلاد و أکثرها مالا. فلمّا رجع عمرو إلی أصحابه دفع إلیهم فیما بینهم ألف دینار و أمسک لنفسه ألفا، قال عمرو: فکان أوّل مال اعتقدته و تأثّلته .

ذکر کتاب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم إلی المقوقس

قال ابن عبد الحکم: حدّثنا هشام بن إسحاق و غیره، قال: لمّا کانت سنة ستّ من الهجرة، و رجع رسول اللّه من الحدیبیّة بعث إلی الملوک، فبعث حاطب بن أبی بلتعة إلی المقوقس صاحب الإسکندریّة، فمضی حاطب بکتاب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، فلمّا انتهی إلی الإسکندریّة، وجد المقوقس فی مجلس یشرف علی البحر، فرکب البحر؛ فلمّا حاذی مجلسه، أشار بکتاب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بین إصبعیه، فلمّا رآه أمر بالکتاب فقبض، و أمر به فأوصل إلیه، فلمّا قرأ الکتاب قال: ما منعه إن کان نبیّا أن یدعو علیّ فیسلّط علیّ؟ فقال له: ما منع عیسی ابن مریم أن یدعو علی من أبی علیه أن یفعل به و یفعل؟ فوجم ساعة، ثم استعادها فأعادها حاطب علیه، فسکت؛ فقال له حاطب: إنّه قد کان قبلک رجل یزعم أنّه الربّ الأعلی، فانتقم اللّه به ثمّ انتقم منه؛ فاعتبر بغیرک، و لا یعتبر بک. و إنّ لک دینا لن تدعه إلّا لما هو خیر منه، و هو الإسلام الکافی به اللّه فقد ما سواه، و ما بشارة موسی بعیسی إلّا کبشارة عیسی بمحمّد، و ما دعاؤنا إیّاک إلی القرآن إلّا کدعائک أهل التوراة إلی الإنجیل، و لسنا ننهاک عن دین المسیح، و لکنّا نأمرک به؛ ثمّ قرأ الکتاب، فإذا فیه:

بسم اللّه الرحمن الرحیم. من محمد رسول اللّه، إلی المقوقس عظیم القبط، سلام علی من اتّبع الهدی؛ أمّا بعد، فإنّی أدعوک بدعایة الإسلام، فأسلم تسلم و یؤتک اللّه أجرک مرّتین، یا أَهْلَ الْکِتابِ تَعالَوْا إِلی کَلِمَةٍ سَواءٍ بَیْنَنا وَ بَیْنَکُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لا نُشْرِکَ بِهِ شَیْئاً، وَ لا یَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ [آل عمران: ۶۱].

فلمّا قرأه أخذه، فجعله فی حقّ من عاج، و ختم علیه، ثمّ دعا کاتبا یکتب بالعربیة، فکتب:

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۸۳

لمحمد بن عبد اللّه، من المقوقس عظیم القبط. سلام علیک، أمّا بعد، فقد قرأت کتابک، و فهمت ما ذکرت، و ما تدعو إلیه، و قد علمت أنّ نبیّا قد بقی؛ و کنت أظنّ أنّه یخرج بالشام، و قد أکرمت رسولک، و بعثت إلیک بجاریتین لهما مکان فی القبط عظیم، و بکسوة، و أهدیت إلیک بغلة لترکبها. و السلام.

و أخرج ابن عبد الحكم، عن أبان بن صالح، قال: أرسل المقوقس إلى حاطب ليلة، و ليس عنده أحد إلّا ترجمان له، فقال له: ألا تخبرنى عن أمور أسألك عنها، فإنّى أعلم أنّ صاحبك تخيّرك حين بعثك لى؟! قلت: لا تسألنى عن شىء إلا صدقتك، قال: إلام يدعو محمد؟ قال: إلى أن نعبد اللّه، و لا نشرك به شيئا، و نخلع ما سواه، و يأمر بالصلاة. قال: فكم تصلّون؟

قال: خمس صلوات فى اليوم و الليلة، و صيام شهر رمضان، و حج البيت، و الوفاء بالعهد، و ينهى عن أكل الميتة و الدّم. قال: و من أتباعه؟ قال: الفتيان من قومه و غيرهم، قال: فهل يقاتل قومه؟ قال: نعم، قال: صفه لى، قال: فوصفته بصفة من صفاته، و لم آت عليها، قال: قد بقيت أشياء، لم أرك ذكرتها؛ فى عينيه حمرة قلمّا تفارقه، و بين كتفيه خاتم النبوّة، يركب الحمار، و يلبس الشملة، و يجتزئ بالتمرات و الكسر، لا يبالى من لاقى من عمّ و لا ابن عمّ، قلت: هذه صفته، قال: قد كنت أعلم أنّ نبيّا قد بقى، و قد كنت أظنّ أنّ مخرجه بالشام، و هناك تخرج الأنبياء من قبله، فأراه قد خرج فى العرب، فى أرض جهد و بؤس، و القبط لا تطاوعنى فى اتّباعه، و لا أحبّ أن يعلم بمحاورتى إيّاك، و سيظهر على البلاد، و ينزل أصحابه من بعده بساحتنا هذه حتّى يظهروا على ما ههنا، و أنا لا أذكر للقبط من هذا حرفا فارجع إلى صاحبك.

و أخرج ابن عبد الحكم، عن عبد الرحمن بن عبد القارئ، قال: لمّا مضى حاطب بكتاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، قبل المقوقس الكتاب، و أكرم حاطبا، و أحسن نزله، ثم سرّحه إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و أهدى له مع حاطب كسوة و بغلة بسرجها و جاريتين، إحداهما أمّ إبراهيم، و وهب الأخرى لجهم بن قيس العبدىّ، فهى أمّ زكريا بن جهم، الذى كان خليفة عمرو بن العاص على مصر.

قال ابن عبد الحكم: و يقال بل وهبها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لحسّان بن ثابت، فهى أمّ

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۸۴

عبد الرحمن بن حسّان؛ و يقال: بل وهبها لمحمد بن مسلمة الأنصارىّ، و يقال: بل لدحية بن خليفة الكلبىّ.

ثمّ أخرج من طريق المنذر بن عبيد، عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، عن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت، عن أمّه سيرين، قال: حضرت موت إبراهيم، فرأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كلّما صحت أنا و أختى ما ينهانا؛ فلمّا ماتت نهانا عن الصيّاح. هذا يصحّح قول من قال إنّه وهبها لحسّان.

و قال ابن عبد الحكم: أنبأنا هانىء بن المتوكّل، أنبأنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبى حبيب، أنّ المقوقس لمّا أتاه كتاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ضمّه إلى صدره، و قال: هذا زمان يخرج فيه النبىّ الذى نجد نعته و صفته فى كتاب اللّه، و إنّا لنجد صفته أنّه لا يجمع بين أختين فى ملك يمين و لا نكاح، و أنّه يقبل الهديّة، و لا يقبل الصّدقة، و أنّ جلساءه المساكين، و أنّ خاتم النبوّة بين كتفيه. ثمّ دعا رجلا عاقلا، ثمّ لم يدع بمصر أحسن و لا أجمل من مارية و أختها؛ و هما من أهل حفن من كورة أنصنا . فبعث بهما معه إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و أهدى له بغلة شهباء، و حمارا أشهب، و ثيابا من قباطىّ مصر، و عسلا من عسل بنها، و بعث إليه بمال صدقة، و أمر رسوله أن ينظر: من جلساؤه و ينظر إلى ظهره، هل يرى شامة كبيرة ذات شعر؟ ففعل ذلك الرّسول؛ فلمّا قدم على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قدّم إليه الأختين و الدّابّتين و العسل و الثياب، و أعلمه أنّ ذلك كلّه هديّة. فقبل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الهديّة- و كان لا يردّها من أحد من النّاس- فلمّا نظر إلى مارية و أختها أعجبتاه، و كره أن يجمع بينهما، و كانت إحداهما تشبه الأخرى، فقال: اللهمّ اختر لنبيّك، فاختار له اللّه ماريه، و ذلك أنّه قال لهما: قولا نشهد أنّ لا إله إلا اللّه و أنّ محمدا عبده و رسوله، فبادرت ماريه، فتشهّدت و آمنت قبل أختها، و مكثت بعدها أختها ساعة، ثمّ تشهّدت و آمنت، فوهب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أختها لمحمد بن مسلمة الأنصارىّ:

و كانت البغلة و الحمار أحبّ دوابه إليه، و سمّى البغلة دلدلا، و سمّى الحمار يعفورا، و أعجبه العسل، فدعا لعسل بنها بالبركة، و بقيت تلك الثياب حتّى كفّن فى بعضها صلى اللّه عليه و سلم.

قال ابن عبد الحكم: و يقال إنّ المقوقس بعث مع مارية بخصيّ، فكان يأوى إليها.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۸۵

ثمّ أخرج عن عبد اللّه بن عمرو، قال: دخل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم على أمّ إبراهيم أمّ ولده القبطيّة، فوجد عندها نسيبا كان لها، قدم معها من مصر؛ و كان كثيرا ما يدخل عليها، فوقع فی نفسه شیء، فرجع؛ فلقيه عمر بن الخطاب، فعرف ذلك فی وجهه، فسأله فأخبره، فأخذ عمر السيف، ثمّ دخل على ماريـة فوجده عندها، فأهوى إليه بالسيف، فلمّا رأى ذلك كشف عن نفسه- و كان مجبوبا ليس بين رجليه شیء- فلمّا رجع عمر إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فأخبره، قال: «إنّ جبريل أتانی، فأخبرنی أنّ اللّه قد برّأها و قريبها، و أنّ فی بطنها غلاما منّی، و إنّه أشبه الخلق بی، و أمرنی أن أسمّيه إبراهيم، و كنّانی بأبی إبراهيم».

و أخرج ابن عبد الحكم و البيهقیّ فی الدلائل، من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن أبيه، عن جدّه، قال: بعثنی رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى المقوقس ملك الإسكندريّة، فجئته بكتاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، فأنزلنی فی منزل، و أقمت عنده ليالی، ثمّ بعث إلیّ- و قد جمع بطارقته- فقال: سأكلّمك بكلام، و أحبّ أن تفهمه عنّی، قلت:

هلمّ، قال: أخبرنی عن صاحبك، أليس هو بنبیّ؟ قال: قلت: بلى، هو رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، قال: فماله لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها! قال: فقلت له:

فعيسى ابن مريم، تشهد أنّه رسول اللّه، فماله حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه، ألّا يكون دعا عليهم، بأن يهلكهم اللّه حتّى رفعه اللّه إليه فی السماء الدنيا؟ فقال: أنت حكيم، جاء من عند حكيم؛ هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمد و أرسل معك مبذرقة يبذرقونك إلى مأمنك. و أهدى إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ثلاث جوار، منهنّ أمّ إبراهيم، واحدة وهبها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لأبی جهم بن حذيفة العبدریّ، و واحدة وهبها لحسّان بن ثابت، و أرسل إليه بثياب، مع طرف من طرفهم.

قال ابن أبی مريم: قال ابن لهيعة: و كان اسم أخت ماريـة قيصرا و يقال: سيرين.

قال ابن عبد الحكم: و حدّثنا عبد الملك بن مسلمة، عن ابن لهيعة، عن الأعرج، قال: بعث المقوقس بماريـة و أختها حنّة.

و أخرج ابن عبد الحكم، عن راشد بن سعد، أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال: «لو بقی إبراهيم ما تركت قبطيّا إلّا وضعت عنه الجزية».

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۸۶

و أخرج ابن عبد الحكم، عن ابن مسعود، قال: قلنا يا رسول اللّه، فيم نكفّنك؟

قال: فی ثيابی هذه، أو ثياب مصر.

و أخرج الواقدیّ و أبو نعيم فی الدلائل عن المغيرة بن شعبة، أنّه لمّا خرج مع بنی مالك إلى المقوقس، قال لهم: كيف خلصتم إلیّ من طائفتكم، و محمد و أصحابه بينی و بينكم؟ قالوا: لصقنا بالبحر، و قد خفناه على ذلك، قال: فكيف صنعتم فيما دعاكم إليه؟ قالوا: لم يتبعه منّا رجل واحد، قال: و لم ذاك؟ قالوا: جاءنا بدين مجدّد لا تدين به الآباء، و لا يدين به الملك، و نحن على ما كان عليه آباؤنا. قال: فكيف صنع قومه؟

قال تبعه أحداثهم و قد لاقاه من خالفه من قومه و غيرهم من العرب فی مواطن، مرّة تكون عليهم الدّبرة و مرّة تكون له. قال: ألا تخبرونی، إلى ما ذا يدعو؟ قالوا: يدعو إلى أن نعبد اللّه وحده لا شريك له، و نخلع ما كان يعبد الآباء، و يدعو إلى الصلاة و الزكاة، قال: ألهما وقت يعرف، و عدد ينتهى إليه؟ قالوا: يصلّون فی اليوم و الليلة خمس صلوات كلّها بمواقيت و عدد، و يؤدّون من كلّ ما بلغ عشرين مثقالا، و كلّ إبل بلغت خمسا شاة؛ ثمّ أخبره بصدقة الأموال كلّها، قال: أفرأيتم إن أخذها أين يضعها؟ قال:

يردّها على فقرائهم، و يأمر بصلة الرّحم و وفاء العهد و تحريم الزنا و الربا و الخمر، و لا يأكل ما ذبح لغير اسم اللّه. قال: هو نبیّ مرسل إلى الناس كافة، و لو أصاب القبط و الرّوم تبعوه، و قد أمرهم بذلك عيسى ابن مريم؛ و هذا الّذی تصفونه منه بعثت به الأنبياء من

قبل، و ستكون له العاقبة حتّى لا ينازعه أحد، و يظهر دينه إلى منتهى الخفّ و الحافر و منقطع البحور، قلنا: لو دخل النّاس كلّهم معه ما دخلنا. فأنغض رأسه، و قال: أنتم فى اللعب! ثمّ قال: كيف نسبه فى قومه؟ قلنا: هو أوسطهم نسبا، قال:

كذلك الأنبياء، تبعث فى نسب قومها، قال: فكيف صدق حديثه؟ قلنا: يسمّى الأمين من صدقه، قال: انظروا فى أموركم، أ ترونه يصدق فيما بينكم و بينه، و يكذب على اللّه! ثمّ قال: فمن تبعه؟ قلنا: الأحداث، قال: هم أتباع الأنبياء قبله، قال: فما فعلت يهود يثرب، فهم أهل التوراة؟ قلنا: خالفوه، فأوقع بهم فقتلهم و سباهم، و تفرّقوا فى كلّ وجه، قال: هم قوم حسد حسدوه، أما إنّهم يعرفون من أمره مثل ما نعرف.

قال المغيرة: فقمنا من عنده، و قد سمعنا كلاما ذلّلنا لمحمد صلى اللّه عليه و سلم، و خضّعنا، و قلنا: ملوك العجم يصدّقونه و يخافونه على بعد أرجائهم منه، و نحن أقرباؤه و جيرانه لم ندخل معه، و قد جاءنا داعيا إلى منازلنا!

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۸۷

قال المغيرة: فأقمت بالإسكندرية لا أدع كنيسة إلا دخلتها، و سألت أساقفتها من قبطها و رومها عمّا يجدون من صفة محمد صلى اللّه عليه و سلم، و كان أسقف من القبط لم أر أحدا أشدّ اجتهادا منه، فقلت: أخبرنى، هل بقى أحد من الأنبياء؟ قال: نعم، هو آخر الأنبياء، ليس بينه و بين عيسى نبىّ، قد أمر عيسى باتّباعه، و هو النبىّ الأمّىّ العربىّ، اسمه أحمد، ليس بالطويل و لا بالقصير، فى عينيه حمرة، و ليس بالأبيض و لا بالآدم ، يعفى شعره، و يلبس ما غلظ من الثياب، و يجتزئ بما لقى من الطعام؛ سيفه على عاتقه، و لا يبالى من لاقى، يباشر القتال بنفسه و معه أصحابه يفدونه بأنفسهم، هم أشدّ له حبّا من آبائهم و أولادهم، من حرم يأتى، و إلى حرم يهاجر، إلى أرض سباخ و نخل، يدين بدين إبراهيم. قلت: زدنى فى صفته، قال: يأتزر على وسطه، و يغسل أطرافه، و يخصّ بما لم يخصّ به الأنبياء قبله. كان النبىّ يبعث إلى قومه، و بعث هو إلى الناس كافة، و جعلت له الأرض مسجدا و طهورا: أينما أدركته الصلاة تيمّم و صلّى و كان من قبله مشدّدا عليهم لا يصلّون إلّا فى الكنائس و البيع.

قال المغيرة: فوعيت ذلك كلّه من قوله و قول غيره، ثمّ رجعت و أسلمت.

ذكر بعث أبى بكر الصديق رضى اللّه عنه حاطبا إلى المقوقس

أخرج ابن عبد الحكم عن علىّ بن رباح اللخمىّ، قال: بعث أبو بكر الصدّيق رضى اللّه عنه بعد وفاة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم حاطبا إلى المقوقس بمصر، فمرّ على ناحية قرى الشرقيّة، فهانهم و أعطوه، فلم يزالوا على ذلك حتّى دخلها عمرو بن العاص، فقاتلوه، و انتقض ذلك العهد.

قال عبد الملك بن مسلمة: و هى أوّل هدّنة كانت بمصر.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۸۸

ذكر فتح مصر فى خلافة عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه

قال ابن عبد الحكم: حدّثنا عثمان بن صالح، أنبأنا ابن لهيعة، عن عبيد اللّه بن أبى جعفر و عيّاش بن عباس القتبانىّ و غيرهما، يزيد بعضهم على بعض، قالوا: لما كانت سنة ثمانى عشرة، و قدم عمر بن الخطاب الجابية ، قام إليه عمرو بن العاص، فخلا به، و قال: يا أمير المؤمنين، ائذن لى أن أسير إلى مصر؛ و حرّضه عليها، و قال:

إنّك إن فتحتها كانت قوّة للمسلمين و عونا لهم؛ و هى أكثر الأرض أموالا، و أعجزهم عن القتال و الحرب. فتخوّف عمر بن الخطاب على المسلمين، و كره ذلك، فلم يزل عمرو يعظّم أمرها عند عمر، و يخبره بحالها، و يهوّن عليه فتحها، حتّى ركن لذلك عمر، فعقد له على أربعة آلاف رجل، كلّهم من عكّ ، و يقال: على ثلاثة آلاف و خمسمائة. فقال عمر: سر و أنا مستخير اللّه فى مسيرك، و

سيأتى كتابى إليك سريعا إن شاء اللّه تعالى، فإن أدرككك كتابى و أمرتك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها، أو شيئا من أرضها فانصرف، و إن أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابى، فامض لوجهك، و استعن باللّه و استنصره.

فسار عمرو بن العاص من جوف الليل، و لم يشعر به أحد من الناس، و استخار عمر اللّه؛ فكأنّه تخوّف على المسلمين فى وجههم ذلك، فكتب إلى عمرو بن العاص أن ينصرف بمن معه من المسلمين: فأدرك الكتاب عمرا و هو برفح، فتخوّف عمرو بن العاص؛ إن هو أخذ الكتاب و فتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد إليه عمر، فلم يأخذ الكتاب من الرّسول و دافعه، و سار كما هو، حتّى نزل قرية فيما بين رفح و العريش، فسأل عنها فقيل: إنّها من مصر؛ فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين، فقال عمرو:

أ لستم تعلمون أنّ هذه القرية من مصر؟ قالوا: بلى، فقال: فإنّ أمير المؤمنين عهد إلىّ، و أمرنى إن لحقنى كتابه و لم أدخل مصر أن أرجع، و إن لم يلحقنى كتابه حتّى دخلنا أرض مصر؛ فسيروا و امضوا على بركة اللّه.

فتقدّم عمرو بن العاص. فلمّا بلغ المقوقس قدوم عمرو، توجّه إلى الفسطاط، فكان يجهّز على عمرو الجيوش، فكان أوّل موضع قوتل فيه الفرما، قاتله الرّوم قتالا شديدا نحوا من شهر، ثمّ فتح اللّه على يديه. و كان بالإسكندرية أسقف للقبط، يقال له

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۸۹

أبو بنيامين، فلما بلغه قدوم عمرو بن العاص، كتب إلى القبط يعلمهم أنّه لا يكون للروم دولة، و أن ملكهم قد انقطع، و يأمرهم بتلقّى عمرو. فيقال إنّ القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو أعوانا. ثم توجّه عمرو؛ لا يدافع إلا بالأمر الخفيف، حتّى نزل القواصر . فنزل و من معه، فقال بعض القبط لبعض: ألا تعجبون من هؤلاء القوم، يقدمون على جموع الرّوم، و هم فى قلّة من الناس! فأجابه رجل آخر منهم: إنّ هؤلاء القوم لا يتوجّهون إلى أحد إلا ظهروا عليه، حتّى يقتلوا أخيرهم. فتقدّم عمرو لا يدافع إلّا بالأمر الخفيف، حتّى أتى بلبيس، فقاتلوه بها نحوا من شهر، حتّى فتح اللّه عليه، ثم مضى لا يدافع إلا بالأمر الخفيف، حتّى أتى أمّ دنين ، فقاتلوه بها قتالا شديدا.

و أبطأ عليه الفتح، فكتب إلى عمر يستمدّه، فأمدّه بأربعة آلاف، تمام ثمانية آلاف، فسار عمرو بمن معه حتى نزل على الحصن، فحاصرهم بالقصر الذى يقال له بابليون حينا، و قاتلهم قتالا شديدا؛ يصبّحهم و يمسّيهم. فلمّا أبطأ عليه الفتح، كتب إلى عمر بن الخطاب يستمدّه، فأمدّه عمر بأربعة آلاف رجل، على كلّ ألف رجل منهم رجل، و كتب إليه: إنّى قد أمددتك بأربعة آلاف رجل على كلّ ألف رجل منهم رجل مقام الألف: الزبير بن العوّام، و المقداد بن الأسود، و عبادة بن الصامت، و مسلمة بن مخلّد. و اعلم أنّ معك اثنى عشر ألفا، و لا يغلب اثنا عشر ألفا من قلّة.

و كانوا قد خندقوا حول حصنهم؛ و جعلوا للخندق أبوابا، و جعلوا سككك الحديد موتدة بأفنية الأبواب. فلمّا قدم المدد على عمرو بن العاص أتى إلى القصر، و وضع عليه المنجنيق- و كان على القصر رجل من الروم يقال له الأعيرج واليا عليه، و كان تحت يدى المقوقس- و دخل عمرو إلى صاحب الحصن، فتناظرا فى شىء ممّا هم فيه، فقال: أخرج و أستشير أصحابى، و قد كان صاحب الحصن أوصى الّذى كان على الباب: إذا مرّ به عمرو أن يلقى عليه صخرة فيقتله، فمرّ عمرو و هو يريد الخروج برجل من العرب، فقال: قد دخلت فانظر كيف تخرج، فرجع عمرو إلى صاحب الحصن، فقال: إنّى أريد أن آتيك بنفر من أصحابى، حتّى يسمعوا منك مثل الذى سمعت، فقال العلج فى نفسه: قتل جماعة أحبّ إلىّ من قتل واحد؛ فأرسل إلى الذى كان أمره

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۹۰

بقتل عمرو، ألّا يتعرّض له، رجاء أن يأتى بأصحابه فيقتلهم. و خرج عمرو، فلمّا أبطأ عليه الفتح، قال الزبير: إنّى أهب نفسى للّه، أرجو أن يفتح اللّه بذلك على المسلمين، فوضع سلّما إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام، ثمّ صعد، و أمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعا، فما شعروا إلا و الزّبير على رأس الحصن يكبّر معه السيف، و تحامل الناس على السلّم حتّى نهاهم عمرو خوفا من أن ينكسر. فلمّا اقتحم الزبير، و تبعه من تبعه، و كبّر و كبّر من معه، و أجابهم المسلمون من خارج، لم يشكّ أهل الحصن أنّ العرب قد

اقتحموا جميعا؛ فهربوا، فعمد الزبير و أصحابه إلى باب الحصن ففتحوه، و اقتحم المسلمون الحصن؛ فلمّا خاف المقوقس على نفسه و من معه؛ حينئذ سأل عمروا بن العاص الصلح، و دعاه إليه على أن يفرض للعرب على القبط دينارين دينارين على كلّ رجل منهم، فأجابه عمرو إلى ذلك.

قال الليث بن سعد رضى اللّه عنه: و كان مكثهم على باب القصر حتّى فتحوه سبعة أشهر.

قال ابن عبد الحكم: و حدّثنا عثمان بن صالح، أخبرنا خالد بن نجيح، عن يحيى ابن أيّوب و خالد بن حميد، قالا: حدّثنا خالد بن يزيد، عن جماعة من التابعين، بعضهم يزيد على بعض، أنّ المسلمين لمّا حاصروا بابليون، و كان به جماعة من الروم و أكابر القبط و رؤسائهم، و عليهم المقوقس، فقاتلوهم بها شهرا، فلمّا رأى القوم الجدّ منهم على فتحه و الحرص، و رأوا من صبرهم على القتال و رغبتهم فيه، خافوا أن يظهروا، فتنحّى المقوقس و جماعة من أكابر القبط، و خرجوا من باب القصر القبلىّ، و دونهم جماعة يقاتلون العرب، فلحقوا بالجزيرة، و أمروا بقطع الجسر؛ و ذلك فى جرى النيل، و تخلّف الأعيرج فى الحصن بعد المقوقس، فلمّا خاف فتح الحصن، ركب هو و أهل القوّة و الشرف، و كانت سفنهم ملصقة بالحصن، ثمّ لحقوا بالمقوقس فى الجزيرة.

فأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص: إنّكم قوم قد ولجتم فى بلادنا، و ألححتم على قتالنا، و طال مقامكم فى أرضنا؛ و إنّما أنتم عصبة يسيرة، و قد أظلّتكم الروم، و جهّزوا إليكم، و معهم من العدّة و السلاح، و قد أحاط بكم هذا النّيل، و إنّما أنتم أسارى فى أيدينا، فأرسلوا إلينا رجالا منكم نسمع من كلامهم؛ فلعلّه أن يأتى الأمر فيما بيننا و بينكم على ما تحبّون و نحبّ، و ينقطع عنّا و عنكم هذا القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم، فلا ينفعنا الكلام، و لا نقدر عليه؛ و لعلّكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفا لطلبتكم و رجائكم، فابعث إلينا رجالا من أصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن و هم، و ما بهم من شىء.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۹۱

فلمّا أتت عمرو بن العاص رسل المقوقس حبسهم عنده يومين و ليلتين، حتّى خاف عليهم المقوقس، فقال لأصحابه: أ ترون أنّهم يقتلون الرّسل و يحبسونهم، يستحلّون ذلك فى دينهم؟ و إنّما أراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين.

فردّ عليهم عمرو مع رسله: أن ليس بينى و بينك إلا إحدى ثلاث خصال: إمّا إن دخلتم فى الإسلام فكنتم إخواننا و كان لكم مالنا، و إن أبيتم أعطيتم الجزية عن يد و أنتم صاغرون، و إمّا إن جاهدناكم بالصبر و القتال حتّى يحكم اللّه بيننا و هو خير الحاكمين.

فلما جاءت رسل المقوقس إليه، قال: كيف رأيتموهم؟ قالوا: رأينا قوما الموت أحبّ إليهم من الحياة، و التواضع أحبّ إليهم من الرّفعة، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة و لا نهمة ، و إنّما جلوسهم على التراب، و أكلهم على ركبهم، و أميرهم كواحد منهم، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم، و لا السيّد فيهم من العبد، و إذا حضرت الصلاة لم يتخلّف عنها منهم أحد، يغسلون أطرافهم بالماء، و يتخشّعون فى صلاتهم.

فقال عند ذلك المقوقس: و الّذى يحلف به، لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها، و لا يقوى على قتال هؤلاء أحد، و لئن لم نغتنم صلحهم اليوم و هم محصورون بهذا النيل، لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الأرض، وقووا على الخروج من موضعهم.

فردّ إليهم المقوقس رسله، و قال: ابعثوا إلينا رسلا منكم نعاملهم، و نتداعى نحن و هم إلى ما عسى أن يكون فيه صلاح لنا و لكم.

فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر- و أحدهم عبادة بن الصامت- و هو أحد من أدرك الإسلام من العرب، و طوله عشرة أشبار، و أمره عمرو أن يكون متكلّم القوم، و ألّا يجيبهم إلى شىء دعوه إليه إلا إحدى هذه الثلاث الخصال؛ فإنّ أمير المؤمنين قد تقدّم فى ذلك إلىّ، و أمرنى ألّا أقبل شيئا سوى خصلة من هذه الثلاث الخصال.

و كان عبادة بن الصامت أسود، فلما ركبوا السفن إلى المقوقس، و دخلوا عليه، تقدّم عبادة، فهابه المقوقس لسواده فقال: نحّوا عنّى هذا الأسود، و قدّموا غيره يكلّمنى، فقالوا: إنّ هذا الأسود أفضلنا رأيا و علما، و هو سيّدنا و خيرنا و المقدّم علينا، و إنّا نرجع جميعا إلى قوله و رأيه، و قد أمره الأمير دوننا بما أمره به.

فقال المقوقس لعبادة: تقدّم يا أسود، و كلّمنى برفق؛ فإنّى أهاب سوادك، و إن

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۹۲

اشتدّ علىّ كلامك ازددت لك هيبة. فتقدّم إليه عبادة، فقال: قد سمعت مقالتك، و إنّ فيمن خلّفت من أصحابى ألف رجل أسود كلّهم أشدّ سوادا منّى و أفظع منظرا، و لو رأيتهم لكنت أهيب لهم منك لى. و أنا قد ولّيت، و أدبر شبابى، و إنّى مع ذلك بحمد اللّه ما أهاب مائة رجل من عدوّى لو استقبلونى جميعا، و كذلك أصحابى؛ و ذلك إنّما رغبتنا و بغيتنا الجهاد فى اللّه تعالى و اتّباع رضوان اللّه؛ و ليس غزونا عدوّنا ممّن حارب اللّه لرغبة فى الدّنيا، و لا طلبا للاستكثار منها؛ إلا أنّ اللّه قد أحلّ ذلك لنا، و جعل ما غنمنا من ذلك حلالا، و ما يبالى أحدنا، أكان له قنطار من ذهب، أم كان لا يملك إلّا درهما! لأنّ غاية أحدنا من الدّنيا أكلة يأكلها يسدّ بها جوعته، و شملة يلتحفها، فإن كان أحدنا لا يملك إلّا ذلك كفاه، و إن كان له قنطار من ذهب أنفقه فى طاعة اللّه، و اقتصر على هذا الذى بيده لأنّ نعيم الدّنيا و رخاءها ليس برخاء، إنّما النعيم و الرّخاء فى الآخرة، و بذلك أمرنا ربّنا، و أمر به نبيّنا، و عهد إلينا ألّا تكون همّة أحدنا من الدنيا إلا فيما يمسك جوعته، و يستر عورته، و تكون همّته و شغله فى رضا ربّه، و جهاد عدوّه.

فلمّا سمع المقوقس ذلك منه، قال لمن حوله: هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قطّ؟! لقد هبت منظره؛ و إنّ قوله لأهيب عندى من منظره؛ إنّ هذا و أصحابه أخرجهم اللّه لخراب الأرض؛ و ما أظنّ ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلّها.

ثمّ أقبل المقوقس على عبادة، فقال: أيّها الرجل، قد سمعت مقالتك، و ما ذكرت عنك و عن أصحابك؛ و لعمرى ما بلغتم ما بلغتم إلّا بما ذكرت، و لا ظهرتم على من ظهرتم عليه إلّا لحبّهم الدنيا و رغبتهم فيها، و قد توجّه إلينا لقتالكم من جميع الروم ممّا لا يحصى عدده قوم معروفون بالنّجدة و الشدّة، ممن لا يبالى أحدهم من لقى، و لا من قاتل، و إنّا لنعلم أنّكم لن تقووا عليهم، و لن تطيقوهم لضعفكم و قلّتكم، و قد أقمتم بين أظهرنا أشهرا، و أنتم فى ضيق و شدّة من معاشكم و حالكم، و نحن نرقّ عليكم لضعفكم و قلّتكم و قلّة ما بأيديكم؛ و نحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكلّ رجل منكم دينارين دينارين؛ و لأميركم مائة دينار، و لخليفتكم ألف دينار، فتقبضونها و تنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوّة لكم به.

فقال عبادة بن الصامت رضى اللّه عنه: يا هذا؛ لا تغرّنّ نفسك و لا أصحابك؛ أمّا ما تخوّفنا به من جمع الرّوم و عددهم و كثرتهم، و أنّا لا نقوى عليهم؛ فلعمرى ما هذا بالّذى تخوّفنا به، و لا بالذى يكسرنا عمّا نحن فيه؛ إن كان ما قلتم حقّا فذلك و اللّه أرغب ما يكون فى قتالهم، و أشدّ لحرصنا عليهم؛ لأنّ ذلك أعذر لنا عند ربّنا إذا قدمنا عليه، و إن قتلنا من آخرنا كان أمكن لنا فى رضوانه و جنّته؛ و ما من شىء أقرّ لأعيننا، و لا أحبّ إلينا من ذلك؛ و إنّا منكم حينئذ على إحدى الحسنيين؛ إمّا أن تعظم لنا بذلك

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۹۳

غنيمة الدّنيا إن ظفرنا بكم، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا، و إنّها لأحبّ الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منّا؛ و إنّ اللّه تعالى قال لنا فى كتابه: كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ [البقرة: ۲۴۹]، و ما منّا رجل إلا و هو يدعو ربّه صباحا و مساء أن يرزقه الشهادة، و ألّا يردّه إلى بلده و لا إلى أهله و ولده؛ و ليس لأحد منّا همّ فيما خلّفه، و قد استودع كلّ واحد منّا ربّه أهله و ولده؛ و إنّما همّنا ما أمامنا. و أمّا قولك: إنّا فى ضيق و شدّة من معاشنا و حالنا؛ فنحن فى أوسع السّعة لو كانت الدنيا كلّها لنا، ما أردنا لأنفسنا منها أكثر ممّا نحن فيه، فانظر الذى تريد فبيّنه لنا، فليس بيننا و بينكم خصلة نقبلها منكم، و لا نجيبك إليها إلّا خصلة من ثلاث، فاختر أيّها شئت، و لا تطمع نفسك فى الباطل؛ بذلك أمرنى الأمير، و بها أمره أمير المؤمنين؛ و هو عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من قبل إلينا. أمّا إن أجبتم إلى الإسلام الذى هو الدين الذى لا يقبل اللّه غيره- و هو دين أنبيائه و رسله و ملائكته- أمرنا اللّه أن نقاتل من خالفه و رغب عنه حتّى يدخل فيه، فإن فعل كان له ما لنا و عليه ما علينا، و كان أخانا فى دين اللّه؛ فإن قبلت ذلك أنت و أصحابك، فقد سعدتم فى الدنيا و الآخرة، و رجعنا عن قتالكم، و لا نستحلّ أذاكم، و لا التعرّض لكم، و إن أبيتم إلا الجزية، فأدّوا إلينا الجزية عن يد و أنتم صاغرون، نعاملكم على شىء نرضى به نحن و أنتم فى كلّ عام أبدا ما بقينا و بقيتم، و نقاتل عنكم من

ناوأکم و عرض لکم فی شیء من أرضکم و دمائکم و أموالکم، و نقوم بذلک عنکم؛ إذ کنتم فی ذمّتنا، و کان لکم به عهد اللّه علینا، و إن أبیتم فلیس بیننا و بینکم إلّا المحاکمة بالسّیف حتّی نموت من آخرنا، أو نصیب ما نرید منکم؛ هذا دیننا الذی ندین اللّه به، و لا یجوز لنا فیما بیننا و بینه غیره، فانظروا لأنفسکم.

فقال له المقوقس: هذا ممّا لا یکون أبدا، ما تریدون إلّا أن تأخذونا لکم عبیدا ما کانت الدنیا.

فقال له عبادة: هو ذاک، فاختر ما شئت.

فقال له المقوقس: أفلا تجیبونا إلی خصلة غیر هذه الخصال الثلاث؟

فرفع عبادة یدیه، و قال: لا و ربّ السماء و ربّ هذه الأرض و ربّ کلّ شیء، ما لکم عندنا خصلة غیرها، فاختاروا لأنفسکم.

فالتفت المقوقس عند ذلک إلی أصحابه، فقال: قد فرغ القول فما ترون؟ فقالوا:

أو یرضی أحد بهذا الذلّ؟ أمّا ما أرادوا من دخولنا فی دینهم؛ فهذا لا یکون أبدا، و لا نترک دین المسیح ابن مریم و ندخل فی دین لا نعرفه، و أمّا ما أرادوا من أن یسبونا و یجعلونا عبیدا أبدا، فالموت أیسر من ذلک؛ لو رضوا منّا أن نضعف لهم ما أعطیناهم مرارا، کان أهون علینا.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۹۴

فقال المقوقس لعبادة: قد أبی القوم، فما تری؟ فراجع صاحبک، علی أن نعطیکم فی مرّتکم هذه ما تمنّیتم و تنصرفون.

فقام عبادة و أصحابه، فقال المقوقس لمن حوله عند ذلک: أطیعونی، و أجیبوا القوم إلی خصلة من هذه الثلاث، فواللّه مالکم بهم طاقة، و إن لم تجیبوا إلیها طائعین لتجیبنّهم إلی ما هو أعظم منها کارهین.

فقالوا: أیّ خصلة نجیبهم إلیها؟ قال: إذا أخبرکم ... أمّا دخولکم فی غیر دینکم، فلا آمرکم به؛ و أمّا قتالهم فأنا أعلم أنکم لن تقدروا علیهم، و لن تصبروا صبرهم، و لا بدّ من الثالثة؛ قالوا: فنکون لهم عبیدا أبدا؟ قال: نعم تکونون عبیدا مسلّطین فی بلادکم، آمنین علی أنفسکم و أموالکم و ذراریّکم خیر لکم من أن تموتوا عن آخرکم، و تکونوا عبیدا، و تباعوا و تمزّقوا فی البلاد مستعبدین أبدا، أنتم و أهلوکم و ذراریّکم. قالوا: فالموت أهون علینا.

و أمروا بقطع الجسر بین الفسطاط و الجزیرة؛ و بالقصر من جمع الروم و القبط جمع کثیر. فألحّ المسلمون عند ذلک بالقتال علی من فی القصر حتّی ظفروا بهم، و أمکن اللّه منهم، فقتل منهم خلق کثیر، و أسر من أسر، و انحازت السّفن کلّها إلی الجزیرة، و صار المسلمون قد أحدق بهم الماء من کلّ وجه، لا یقدرون علی أن ینفذوا و یتقدّموا نحو الصّعید، و لا إلی غیر ذلک من المدائن و القری، و المقوقس یقول لأصحابه: أ لم أعلمکم هذا و أخافه علیکم؟ ما تنتظرون؟ فواللّه لتجیبنّهم إلی ما أرادوا طوعا أو لتجیبنّهم إلی ما هو أعظم منه کرها، فأطیعونی من قبل أن تندموا.

فلمّا رأوا منهم ما رأوا، و قال لهم المقوقس ما قال، أذعنوا بالجزیة، و رضوا بذلک علی صلح یکون بینهم یعرفونه. و أرسل المقوقس إلی عمرو بن العاص: إنّی لم أزل حریصا علی إجابتک إلی خصلة من تلک الخصال الّتی أرسلت إلیّ بها، فأبی ذلک علیّ من حضرنی من الروم و القبط، فلم یکن لی أن أفتات علیهم، و قد عرفوا نصحی لهم، و حبّی صلاحهم، و رجعوا إلی قولی، فأعطنی أمانا أجتمع أنا و أنت فی نفر من أصحابی و نفر من أصحابک، فإن استقام الأمر بیننا تمّ لنا ذلک جمیعا؛ و إن لم یتمّ رجعنا إلی ما کنّا علیه.

فاستشار عمرو أصحابه فی ذلک فقالوا: لا نجیبهم إلی شیء من الصلح و لا الجزیة، حتّی یفتح اللّه علینا، و تصیر کلها لنا فیئا و غنیمة، کما صار لنا القصر و ما فیه، فقال عمرو: قد علمتم ما عهد إلیّ أمیر المؤمنین فی عهده، فإن أجابوا إلی خصلة من الخصال الثلاث التی عهد إلیّ فیها أجبتهم إلیها، و قبلت منهم، مع ما قد حال الماء بیننا

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۹۵

و بين ما نريد من قتالهم. فاجتمعوا على عهد بينهم، و اصطلحوا على أن يفرض على جميع من بمصر أعلاها و أسفلها من القبط ديناران ديناران عن كلّ نفس، شريفهم و وضيعهم، و من بلغ الحلم منهم؛ ليس على الشيخ الفانى، و لا على الصغير الذى لم يبلغ الحلم، و لا- على النّساء شىء، و على أنّ للمسلمين عليهم النزل لجماعتهم حيث نزلوا، و من نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك، كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام، و أنّ لهم أرضهم و أموالهم، لا يعرض لهم فى شىء منها.

فشرط هذا كلّه على القبط خاصّة، و أحصوا عدد القبط يومئذ خاصّة من بلغ منهم الجزية، و فرض عليهم الديناران، و رفع ذلك عرفاؤهم بالأيمان المؤكّدة، فكان جميع من أحصى يومئذ بمصر فيما أحصوا و كتبوا أكثر من ستة آلاف ألف نفس؛ فكانت فريضتهم يومئذ اثنى عشر ألف ألف دينار فى كلّ سنة. و قيل: بلغت غلّتهم ثمانية آلاف ألف.

و شرط المقوقس للروم أن يتخيّروا، فمن أحبّ منهم أن يقيم على مثل هذا أقام على هذا لازما له، مفترضا عليه ممّن أقام بالإسكندريّة و ما حوّلها من أرض مصر كلّها، و من أراد الخروج منها إلى أرض الروم خرج، و على أنّ للمقوقس الخيار فى الروم خاصّة؛ حتّى يكتب إلى ملك الروم يعلمه ما فعل، فإن قبل ذلك و رضيه جاز عليهم؛ و إلا كانوا جميعا على ما كانوا عليه.

و كتبوا به كتابا، و كتب المقوقس إلى ملك الروم يعلمه على وجه الأمر كلّه.

فكتب إليه ملك الروم يقبّح رأيه و يعجّزه، و يردّ عليه ما فعل، و يقول فى كتابه: إنّما أتاك من العرب اثنا عشر ألفا، و بمصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى؛ فإن كان القبط كرهوا القتال، و أحبّوا أداء الجزية إلى العرب و اختاروهم علينا، فإنّ عندك بمصر من الرّوم و بالإسكندرية، و من معك أكثر من مائة ألف، معهم العدّة و القوّة. و العرب و حالهم و ضعفهم على ما قد رأيت، فعجزت عن قتالهم، و رضيت أن تكون أنت و من معك من الرّوم فى حال القبط أذلّاء، ألا تقاتلهم أنت و من معك من الرّوم حتّى تموت، أو تظهر عليهم؛ فإنّهم فيكم على قدر كثرتكم و قوّتكم، و على قدر قلّتهم و ضعفهم كأكلة، فناهضهم القتال، و لا يكون لك رأى غير ذلك. و كتب ملك الروم بمثل ذلك كتابا إلى جماعة الروم.

فقال المقوقس لمّا أتاه كتاب ملك الروم: و اللّه إنّهم على قلّتهم و ضعفهم أقوى و أشدّ منّا على كثرتنا و قوّتنا إنّ الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منّا؛ و ذلك أنّهم قوم الموت أحبّ إليهم من الحياة، يقاتل الرجل منهم و هو مستقلّ، و يتمنّى ألّا يرجع

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۹۶

إلى أهله و لا- بلده و لا- ولده، و يرون أنّ لهم أجرا عظيما فيمن قتلوا منّا، و يقولون: إنّهم إن قتلوا دخلوا الجنّة، و ليس لهم رغبة فى الدنيا، و لا لذّة إلا على قدر بلغة العيش من الطعام و اللباس، و نحن قوم نكره الموت و نحبّ الحياة و لذّتها، فكيف نستقيم نحن و هؤلاء، و كيف صبرنا معهم؟ و اعلموا معشر الروم؛ إنّى و اللّه لا- أخرج ممّا دخلت فيه، و صالحت العرب عليه؛ و إنّى لأعلم أنكم سترجعون غدا إلى قولى و رأيى، و تتمنّون أن لو كنتم أطعتمونى؛ و ذلك أنّى قد عاينت و رأيت، و عرفت ما لم يعاين الملك و لم يره، و لم يعرفه، و يحكم! أما يرضى أحدكم أن يكون آمنا فى دهره على نفسه و ماله و ولده، بدينارين فى السنة؟

ثمّ أقبل المقوقس إلى عمرو بن العاص، فقال له: إنّ الملك قد كره ما فعلت و عجّزنى، و كتب إلىّ و إلى جماعة الروم ألّا نرضى بمصالحتك، و أمرهم بقتالك حتّى يظفروا بك أو تظفر بهم؛ و لم أكن لأخرج مما دخلت فيه و عاقدتك عليه؛ و إنّما سلطانى على نفسى و من أطاعنى، و قد تمّ الصلح فيما بينك و بينهم؛ و لم يأت من قبلهم نقض، و أنا متمّ لك على نفسى، و القبط متمّون لك على الصلح الذى صالحتهم عليه و عاهدتهم؛ و أمّا الروم فأنا منهم برىء، و أنا أطلب منك أن تعطينى ثلاث خصال.

قال له عمرو: ما هنّ؟ قال: لا تنقضن بالقبط، و أدخلنى معهم و ألزمنى ما لزمهم، و قد اجتمعت كلمتى و كلمتهم على ما عاهدتك، فهم متمّون لك على ما تحبّ.

و أمّا الثانية فإن سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم فلا- تصالحهم حتّى تجعلهم فيئا و عبيدا، فإنّهم أهل لذلك؛ فإنّى نصحتهم فاستغشّونى، و نظرت لهم فاتّهمونى. و أما الثالثة، أطلب إليك إن أنا متّ، أن تأمرهم أن يدفنونى فى أبى يحنّس بالإسكندرية.

فأنعم له عمرو بن العاص، و أجابه إلى ما طلب، على أن يضمنوا له الجسرين جميعا، و يقيموا له الأنزال و الضّيافة و الأسواق و الجسور؛ ما بين الفسطاط إلى الإسكندرية. ففعلوا و صارت لهم القبط أعوانا، كما جاء فى الحديث، و استعدّت الروم و جاشت، و قدم عليهم من أرض الروم جمع عظيم.

ثمّ التقوا بسلطيس ، فاقتتلوا بها قتالا شديدا، ثمّ هزمهم اللّه، ثمّ التقوا بالكريون ، فاقتتلوا بها بضعة عشر يوما.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۹۷

و كان عبد اللّه بن عمرو على المقدّمة، و حامل اللواء يومئذ وردان مولى عمرو.

و صلّى عمرو يومئذ صلاة الخوف، ثمّ فتح اللّه يومئذ على المسلمين، و قتل منهم المسلمون مقتلة عظيمة، و اتّبعوهم حتّى بلغوا الإسكندرية، فتحصّن بها الروم، و كانت عليهم حصون مبتيّة لا ترام، حصن دون حصن، فنزل المسلمون ما بين حلوة إلى قصر فارس، إلى ما وراء ذلك؛ و معهم رؤساء القبط يمدّونهم بما احتاجوا إليه من الأطعمة و العلوفة، و رسل ملك الروم تختلف إلى الإسكندرية فى المراكب بمادّة الروم، و كان ملك الروم يقول: لئن ظفرت العرب على الإسكندرية، إن ذلك انقطاع ملك الروم و هلاكهم؛ لأنه ليس للروم كنائس أعظم من كنائس الإسكندرية؛ و إنّما كان عيد الروم حين غلبت العرب على الشام بالإسكندرية، فقال الملك: لئن غلبوا على الإسكندريّة لقد هلكت الروم، و انقطع ملكها. فأمر بجهازه و مصلحته لخروجه إلى الإسكندرية، حتّى يباشر قتالها بنفسه إعظاما لها، و أمر ألّا يتخلّف عنه أحد من الروم، و قال: ما بقى للروم بعد الإسكندرية حرمة. فلمّا فرغ من جهازه صرعه اللّه فأماته، و كفى اللّه المسلمين مؤنته، و كان موته فى سنة تسع عشرة.

و قال الليث بن سعد: مات هرقل فى سنة عشرين، فكسر اللّه بموته شوكة الروم، فرجع كثير ممّن قد توجّه إلى الإسكندرية، و انتشرت العرب عند ذلك، و ألّحت بالقتال على أهل الإسكندرية، فقاتلوهم قتالا شديدا، و حاصروا الإسكندرية تسعة أشهر بعد موت هرقل، و خمسة قبل ذلك، و فتحت يوم الجمعة مستهلّ المحرّم سنة عشرين.

و قال ابن عبد الحكم: أنبأنا عثمان بن صالح، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبى حبيب، قال: أقام عمرو بن العاص محاصرا الإسكندرية أشهرا ؛ فلما بلغ ذلك عمر ابن الخطاب رضى اللّه عنه، قال: ما أبطأ بفتحها إلّا لما أحدثوا.

و أخرج ابن عبد الحكم، عن زيد بن أسلم، قال: لمّا أبطأ على عمر بن الخطاب فتح مصر، كتب إلى عمرو بن العاص: أمّا بعد، فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر؛ إنّكم تقاتلونهم منذ سنتين؛ و ما ذاك إلّا لما أحدثتم و أحببتم من الدنيا ما أحبّ عدوّكم، و إنّ اللّه تبارك و تعالى لا ينصر قوما إلا بصدق نيّاتهم، و قد كنت وجّهت إليك أربعة نفر، و أعلمتك أنّ الرجل منهم مقام ألف رجل على ما كنت أعرف، إلّا أن يكون

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۹۸

غيّرهم ما غيّرهم؛ فإذا أتاك كتابى، فاخطب الناس، و حضّهم على قتال عدوّهم، و رغّبهم فى الصبر و النيّة، و قدّم أولئك الأربعة فى صدور الناس، و مر الناس جميعا أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد، و ليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة، فإنّها ساعة تنزل الرحمة فيها، و وقت الإجابة، و ليعجّ الناس إلى اللّه، و يسألوه النصر على عدوّهم.

فلما أتى عمرا الكتاب، جمع الناس، و قرأ عليهم كتاب عمر، ثمّ دعا أولئك النفر، فقدّمهم أمام الناس، و أمر الناس أن يتطهّروا، و يصلّوا ركعتين، ثمّ رغبوا إلى اللّه تعالى، و يسألوه النصر على عدوّهم، ففعلوا ففتح اللّه عليهم.

قال ابن عبد الحكم: حدّثنا أبى، قال: لمّا أبطأ على عمرو بن العاص فتح الإسكندريّة، استلقى على ظهره، ثمّ جلس فقال: إنّى فكّرت فى هذا الأمر؛ فإنّه لا يصلح آخره إلا من أصلح أوّله- يريد الأنصار- فدعا عبادة بن الصامت، فعقد له، ففتح اللّه على يديه الإسكندرية من يومهم ذلك.

قال ابن عبد الحكم: و حدّثنا عبد الملك بن مسلمة، عن مالك بن أنس، أن مصر فتحت سنة عشرين .

قال: و حدّثنا عبد اللّه بن صالح، عن الليث بن سعد، قال: لما هزم اللّه الرّوم، و فتح الإسكندريۀ، و هرب الروم فى البرّ و البحر، خلّف عمرو بن العاص بالإسكندريۀ ألف رجل من أصحابه، و مضى عمرو و من معه فى طلب من هرب من الروم فى البرّ، فرجع من كان هرب من الروم فى البحر إلى الإسكندريۀ، فقتلوا من كان فيها من المسلمين إلّا من هرب منهم. و بلغ ذلك عمرو بن العاص، فكرّ راجعا، ففتحها و أقام بها، و كتب إلى عمر بن الخطاب: إنّ اللّه قد فتح علينا الإسكندريۀ عنوۀ بغير عقد و لا عهد. فكتب إليه عمر بن الخطاب يقبّح رأيه، و يأمره ألّا يجاوزها.

قال: و حدّثنا هانىء بن المتوكّل، حدّثنا حزم بن إسماعيل المعافرىّ، قال: قتل من المسلمين من حين كان من أمر الإسكندريۀ ما كان إلى أن فتحت عنوۀ اثنان و عشرون رجلا.

و حدّثنا عثمان بن صالح، عن ابن لهيعۀ، قال: بعث عمرو بن العاص معاويۀ بن حديج وافدا إلى عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه، بشيرا له بالفتح، فقال له معاويۀ: ألا

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۹۹

تكتب معى كتابا؟ قال له عمرو: و ما تصنع بالكتاب؟ أ لست رجلا عربيّا تبلّغ الرسالۀ؟

و ما رأيت و ما حضرت! فلمّا قدم على عمر، و أخبره بفتح الإسكندريۀ، خرّ عمر ساجدا، و قال: الحمد للّه.

و حدّثنا إبراهيم بن سعد البلوىّ، قال: كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه: أمّا بعد، فإنّى فتحت مدينۀ لا أصف ما فيها، غير أنّى أصبت فيها أربعۀ آلاف منيۀ بأربعۀ آلاف حمّام و أربعين ألف يهودىّ و أربعمائۀ ملهى للملوك.

و أخرج ابن عبد الحكم، عن أبى قبيل و حيوۀ بن شريح، قالا: لمّا فتح عمرو بن العاص الإسكندريۀ، وجد فيها اثنى عشر ألف بقّال يبيعون البقل الأخضر.

و أخرج عن محمد بن سعيد الهاشمىّ، قال: ترحّل فى الليلۀ التى دخل فيها عمرو ابن العاص الإسكندريۀ منها- أو فى الليلۀ التى خافوا فيها دخول عمرو بن العاص- سبعون ألف يهودىّ.

و أخرج عن إبراهيم بن سعد البلوىّ، أنّ سبب فتح الإسكندريّۀ، أنّ رجلا كان يقال له ابن بسّامۀ، كان بوّابا، فسأل عمرو بن العاص أن يؤمّنه على نفسه و أرضه و أهل بيته، و يفتح له الباب، فأجابه عمرو إلى ذلك، ففتح له الباب فدخل.

و أخرج عن حسين بن شفىّ بن عبيد، قال: كان بالإسكندريۀ، فيما أحصى من الحمّامات اثنا عشر ديماسا ، أصغر ديماس منها يسع ألف مجلس، كلّ مجلس منها يسع جماعۀ نفر، و كان عدّۀ من بالإسكندريۀ من الروم مائتى ألف من الرجال، فلحق بأرض الروم أهل القوّۀ، و ركبوا السفن، و كان بها مائۀ مركب من المراكب الكبار، فحمل فيها ثلاثون ألفا مع ما قدروا عليه من المال و المتاع و الأهل، و بقى من بقى من الأسارى ممّن بلغ الخراج، فأحصى يومئذ ستمائۀ ألف سوى النساء و الصبيان، فاختلف الناس على عمرو فى قسمتهم، و كان أكثر الناس يريدون قسمتها، فقال عمرو: لا أقدر أقسمها، حتّى أكتب إلى أمير المؤمنين، فكتب إليه يعلمه بفتحها و شأنها، و يعلمه أنّ المسلمين طلبوا قسمها، فكتب إليه عمر: لا تقسمها ، و ذرهم يكون خراجهم فيئا للمسلمين، و قوّۀ لهم على جهاد عدوّهم، فأقرّها عمرو، و أحصى أهلها، و فرض عليهم الخراج، فكانت مصر صلحا كلّها بفريضۀ دينارين دينارين على كلّ رجل، لا يزاد على

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۰۰

كلّ واحد منهم فى جزيۀ رأسه أكثر من دينارين، إلا أنه بقدر ما يتوسّع فيه من الأرض و الزرع إلا الإسكندريۀ، فإنّهم كانوا يؤدّون الخراج و الجزيۀ على قدر ما يرى من وليهم، لأنّ الإسكندريّۀ فتحت عنوۀ بغير عهد و لا عقد، و لم يكن لهم صلح و لا ذمّۀ.

و أخرج ابن عبد الحكم، عن يزيد بن أبى حبيب، قال: كانت قرى من قرى مصر قاتلت و نقضوا، فسبوا منها قريۀ يقال لها بلهيب ، و قريۀ يقال لها الخيس، و قريۀ يقال لها سلطيس، و فرّق سباياهم بالمدينۀ و غيرها، فردّهم عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه إلى قراهم، و

صیّرهم و جماعة القبط أهل ذمّة.

و أخرج عن یحیی بن أیّوب، أنّ أهل سلطیس و مصیل و بلهیب، ظاهروا الروم علی المسلمین فی جمع کان لهم، فلمّا ظهر علیهم المسلمون استحلّوهم و قالوا: هؤلاء لنا فیء مع الإسکندریّة، فکتب عمرو بن العاص بذلک إلی عمرو بن الخطاب رضی اللّه عنه، و کتب إلیه عمر أن یجعل الإسکندریة و هؤلاء الثلاث قریات ذمّة للمسلمین، و یضرب علیهم الخراج، و یکون خراجهم و ما صالح علیه القبط قوّة للمسلمین علی عدوهم، و لا یجعلوا فیئا و لا عبیدا. ففعلوا ذلک.

و أخرج ابن عبد الحکم، عن هشام بن أبی رقیّة اللخمیّ، أنّ عمرو بن العاص رضی اللّه عنه لمّا فتح مصر قال لقبط مصر: من کتمنی کنزا عنده فقدرت علیه قتلته.

و إنّ قبطیّا من أهل الصعید، یقال له بطرس، ذکر لعمرو أنّ عنده کنزا، فأرسل إلیه فسأله، فأنکر و جحد، فحبسه فی السجن، و عمرو یسأل عنه: هل یسمعونه یسأل عن أحد؟ فقالوا: لا، إنّما سمعناه یسأل عن راهب فی الطّور، فأرسل عمرو إلی بطرس، فنزع خاتمه من یده، ثمّ کتب إلی ذلک الراهب أن ابعث إلیّ بما عندک، و ختمه بخاتمة، فجاءه رسوله بقلّة شامیّة مختومة بالرصاص، ففتحها عمرو، فوجد فیها صحیفة مکتوبا فیها: مالکم تحت الفسقیّة الکبیرة؛ فأرسل عمرو إلی الفسقیّة، فحبس عنها الماء، ثمّ قلع منها البلاط الذی تحتها، فوجد فیها اثنین و خمسین إردبّا ذهبا مضروبة.

فضرب عمرو رأسه عند باب المسجد، فأخرج القبط کنوزهم شفقة أن یسعی علی أحد منهم فیقتل کما قتل بطرس.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۰۱

ذکر الخلاف بین العلماء فی مصر: هل فتحت صلحا أو عنوة؟

فمن قال إنّها فتحت صلحا:

قال ابن عبد الحکم: حدّثنی عثمان بن صالح، أخبرنا اللّیث، قال: کان یزید بن أبی حبیب یقول: مصر کلّها صلح إلا الإسکندریّة، فإنها فتحت عنوة.

حدّثنا عبد الملک بن مسلمة، أنبأنا ابن لهیعة، عن یزید بن أبی حبیب و ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن یزید بن أبی حبیب، عن عون بن حطّان، أنّه کان لقریات من مصر- منهنّ أمّ دنین- عهد.

و أخرج عن یحیی بن أیّوب و خالد بن حمید، قالا: فتح اللّه أرض مصر کلّها بصلح غیر الإسکندریّة و ثلاث قریات ظاهروا الرّوم علی المسلمین: سلطیس، و مصیل ، و بلهیب.

و من قال إنّها فتحت عنوة:

قال ابن عبد الحکم: حدّثنا عبد الملک بن مسلمة و عثمان بن صالح، قالا:

أخبرنا ابن لهیعة، عن ابن هبیرة، أنّ مصر فتحت عنوة.

و قال: أخبرنا عبد الملک، عن عبد الرحمن بن زیاد بن أنعم، قال: سمعت أشیاخنا یقولون: إنّ مصر فتحت عنوة بغیر عهد و لا عقد.

و قال: أنبأنا عبد الملک، حدّثنا ابن لهیعة، عن أبی الأسود، عن عروة، أنّ مصر فتحت عنوة.

و قال: أنبأنا عبد الملک بن مسلمة، عن ابن وهب، عن داود بن عبد اللّه الحضرمیّ أنّ أبا حیّان أیّوب بن أبی العالیة، حدّثه عن أبیه، أنّه سمع عمرو بن العاص یقول: لقد قعدت مقعدی هذا و ما لأحد من قبط مصر علیّ عهد و لا عقد إلّا أهل أنطابلس ، فإنّ لهم عهدا یوفی لهم به.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۰۲

حدّثنا عبد الملک، حدّثنا ابن لهیعة، عن أبی قنان به، و زاد: إن شئت قتلت، و إن شئت خمّست، و إن شئت بعت.

و أخرج عن ربیعة بن أبی عبد الرحمن أنّ عمرو بن العاص فتح مصر بغیر عهد و لا عقد، و أنّ عمر بن الخطاب حبس درّها و صرّها أن یخرج منه شیء، نظرا للإسلام و أهله.

و أخرج عن زید بن أسلم، قال: کان تابوت لعمر بن الخطاب فیه کلّ عهد کان بینه و بین أحد ممّن عاهده، فلم یوجد فیه لأهل مصر عهد.

و أخرج عن الصّلت بن أبی عاصم، أنّه قرأ کتاب عمر بن عبد العزیز إلی حیّان بن شریح: إنّ مصر فتحت عنوة بغیر عهد و لا عقد.

و أخرج نحو ذلک عن أبی سلمة بن عبد الرحمن و عراک بن مالک و سالم بن عبد اللّه.

و أخرج ابن عبد الحکم، و محمد بن الربیع الجیزیّ فی کتاب: من دخل مصر من الصحابة، من طرق عن عبد اللّه بن المغیرة بن أبی بردة: سمعت سفیان بن وهب الخولانیّ یقول: لمّا فتحنا مصر بغیر عهد، قام الزّبیر بن العوّام، فقال: یا عمرو أقسمها، فقال عمرو بن العاص: لا أقسمها، فقال الزبیر: و اللّه لتقسمنّها کما قسم رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم خیبر، فقال عمرو: لم أکن لأحدث حدثا حتّی أکتب بذلک إلی أمیر المؤمنین. فکتب إلیه عمر بن الخطاب: أقرّها حتّی تغزو منها حبل الحبلة .

قال محمد بن الربیع: لم یرو أهل مصر عن الزبیر بن العوام غیر هذا الحدیث الواحد.

و من قال إنّ بعضها صلح و بعضها عنوة:

قال ابن عبد الحکم: حدّثنا یحیی بن خالد، عن رشدین بن سعد، عن عقیل بن خالد، عن ابن شهاب، قال: کان فتح مصر بعضها بعهد و ذمّة، و بعضها عنوة، فجعلها عمر بن الخطاب جمیعا ذمّة، و حملهم علی ذلک؛ فمضی ذلک فیهم إلی الیوم.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۰۳

فصل فی فتح مصر

قد لخّص القضاعیّ فی کتابه الخطط قصّة فتح مصر تلخیصا وجیزا فقال، و من خطّه نقلت: لمّا قدم عمرو بن العاص رضی اللّه عنه من عند عمر رضی اللّه عنه، کان أوّل موضع قوتل فیه الفرما قتالا شدیدا نحوا من شهر، ثمّ فتح اللّه علیه. قال أبو عمر الکندیّ: و کان أوّل من شدّ علی باب الحصن حتّی اقتحمه أسیفع بن وعلة السّبئیّ و أتبعه المسلمون، فکان الفتح. و تقدّم عمرو، لا یدافع إلا بالأمر الخفیف، حتّی أتی بلبیس، فقاتلوه بها نحوا من شهر، حتّی فتح اللّه علیه، ثم مضی لا یدافع إلّا بالأمر الخفیف؛ حتّی أتی أمّ دنین و هی المقس، فقاتلوه بها قتالا شدیدا، و کتب إلی عمر یستمدّه، فأمدّه باثنی عشر ألفا، فوصلوا إلیه أرسالا یتبع بعضهم بعضا، و کان فیهم أربعة آلاف علیهم أربعة، و هم الزّبیر بن العوّام و المقداد بن الأسود و عبادة بن الصامت و مسلمة بن مخلّد- و قیل: إنّ الرابع خارجة بن حذافة دون مسلمة- ثمّ أحاط المسلمون بالحصن، و أمیر الحصن یومئذ المندفور الذی یقال له الأعیرج من قبل المقوقس بن قرقب الیونانیّ، و کان المقوقس ینزل الإسکندریة و هو فی سلطان هرقل، غیر أنّه کان حاضر الحصن حین حاصره المسلمون، و نصب عمرو فسطاطه فی موضع الدّار المعروفة بإسرائیل التی علی باب زقاق الزهریّ، و یقال فی دار أبی الوزام التی فی أوّل زقاق الزّهریّ، ملاصقة لدار إسرائیل. و أقام المسلمون علی باب الحصن محاصرین للروم سبعة أشهر.

و رأی الزبیر خللا ممّا یلی دار أبی صالح الحرّانیّ الملاصقة لحمّام ابن نصر السراج عند سوق الحمّام، فنصب سلّما، و أسنده إلی الحصن، و قال: إنّی أهب نفسی للّه عزّ و جلّ، فمن شاء أن یتبعنی فلیتبعنی، فتبعه جماعة حتی أوفی علی الحصن، فکبّر و کبروا، و نصب شرحبیل بن حسنة المرادیّ سلّما آخر ممّا یلی زقاق الزمامرة، و یقال: إنّ السّلّم الذی صعد علیه الزبیر کان موجودا فی داره التی بسوق وردان إلی أن وقع حریق فاحترق.

فلما رأی المقوقس أنّ العرب قد ظفروا بالحصن، جلس فی سفنه هو و أهل القوّة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۰۴

و کانت ملصقة بباب الحصن الغربیّ، فلحقوا بالجزیرة، و قطعوا الجسر، و تحصّنوا هناک و النّیل حینئذ فی مدّه. حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة ؛ ج۱ ؛ ص۱۰۴

قیل: إنّ الأعیرج خرج معهم. و قیل أقام فی الحصن.

و سأل المقوقس فی الصّلح، فبعث إلیه عمرو بعبادة بن الصامت، فصالحه المقوقس علی القبط و الرّوم، علی أنّ للروم الخیار فی الصلح إلی أن یوافی کتاب ملکهم؛ فإن رضی تمّ ذلک، و إن سخط انتقض ما بینه و بین الروم؛ و أمّا القبط فبغیر خیار. و کان الذی انعقد علیه الصّلح أن فرض علی جمیع من بمصر أعلاها و أسفلها من القبط دیناران عن کلّ نفس فی کلّ سنة من البالغین؛ شریفهم و وضیعهم دون الشیوخ و الأطفال و النساء، و علی أنّ للمسلمین علیهم النّزل حیث نزلوا، و ضیافة ثلاثة أیام لکلّ من نزل منهم؛ و أنّ لهم أرضهم و بلادهم، لا یعترضون فی شیء منها.

فمن قال إنّ مصر فتحت صلحا تعلّق بهذا الصلح، و قال: إنّ الأمر لم یتمّ إلا بما جری بین عبادة بن الصامت و بین المقوقس؛ و علی ذلک أکثر العلماء من أهل مصر؛ منهم عقبة بن عامر و یزید بن أبی حبیب و اللّیث بن سعد و غیرهم، و ذهب الذین قالوا إنّها فتحت عنوة إلی أنّ الحصن فتح عنوة؛ فکان حکم جمیع الأرض کذلک.

و ممّن قال إنّها فتحت عنوة، عبید اللّه بن المغیرة السبئیّ و عبد اللّه بن وهب و مالک بن أنس و غیرهم.

و ذهب بعضهم إلی أنّ بعضها فتح عنوة و بعضها فتح صلحا، منهم ابن شهاب و ابن لهیعة، و کان فتحها یوم الجمعة مستهلّ المحرّم سنة عشرین.

و ذکر یزید بن أبی حبیب أنّ عدد الجیش الذی کان مع عمرو بن العاص خمسة عشر ألفا و خمسمائة.

و ذکر عبد الرحمن بن سعید بن مقلاص، أنّ الذین جرت سهامهم فی الحصن من المسلمین اثنا عشر ألفا و ثلاثمائة بعد من أصیب منهم فی الحصار من القتل و الموت.

و یقال إنّ الذین قتلوا فی مدّة هذا الحصار من المسلمین دفنوا فی أصل الحصن.

ثمّ سار عمرو بن العاص إلی الإسکندریّة فی شهر ربیع الأول سنة عشرین- و قیل فی جمادی الآخرة- فأمر بفسطاطه أن یقوّض، فإذا بیمامة قد باضت فی أعلاه، فقال:

لقد تحرّمت بجوارنا، أقرّوا الفسطاط حتّی یطیر فراخها، فأقرّوا الفسطاط فی موضعه، فبذلک سمّیت الفسطاط.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۰۵

و ذکر ابن قتیبة، أنّ العرب تقول لکلّ مدینة فسطاط، و لذلک قیل لمصر:

فسطاط. و قفل عمرو بن العاص من الإسکندریّة بعد افتتاحها و المقام بها فی ذی القعدة سنة عشرین.

قال اللیث: أقام عمرو بالإسکندریة فی حصارها و فتحها ستّة أشهر، ثمّ انتقل إلی الفسطاط، فاتخذها دارا. انتهی کلام القضاعی بحروفه رحمه اللّه.

ذکر الخطط

أخرج ابن عبد الحکم، عن یزید بن أبی حبیب، أن عمرو بن العاص لمّا فتح الإسکندریة و رأی بیوتها و بناها مفروغا منها، همّ أن یسکنها، و قال: مساکن قد کفیناها، فکتب إلی عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه یستأذنه فی ذلک؛ فسأل عمر الرسول: هل یحول بینی و بین المسلمین ماء؟ قال: نعم یا أمیر المؤمنین، إذا جری النیل. فکتب عمر إلی عمرو: إنّی لا أحبّ أن تنزل المسلمین منزلا یحول الماء بینی و بینهم فی شتاء و لا صیف. فتحوّل عمرو بن العاص من الإسکندریة إلی الفسطاط.

و أخرج ابن عبد الحکم، عن یزید بن أبی حبیب، أنّ عمر بن الخطاب، کتب إلی سعد بن أبی وقّاص، و هو نازل بمدائن کسری، و

إلى عامله بالبصرة و إلى عمرو بن العاص و هو نازل بالإسكندرية؛ ألّا تجعلوا بينى و بينكم ماء، متى أردت أن أركب إليكم راحلتى حتّى أقدم عليكم قدمت. فتحوّل سعد من مدائن كسرى إلى الكوفة، و تحوّل صاحب البصرة من المكان الذى كان فيه، فنزل البصرة، و تحوّل عمرو بن العاص من الإسكندرية إلى الفسطاط.

قال ابن عبد الحكم: و حدّثنا أبى و سعيد بن عفير، أنّ عمرو بن العاص لما أراد التوجّه إلى الإسكندرية لقتال من بها من الرّوم أمر بنزع فسطاطه، فإذا فيه يمام قد فرّخ، فقال: لقد تحرّم منّا بمتحرّم، فأمر به فأقرّه كما هو، و أوصى به صاحب القصر، فلمّا قفل المسلمون من الإسكندريّة، و قالوا: أين ننزل؟ قال: الفسطاط- لفسطاطه الذى كان خلّفه،- و كان مضروبا فى موضع الدار التى تعرف اليوم بدار الحصى.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۰۶

و قال القضاعى: لمّا رجع عمرو من الإسكندريّة، و نزل موضع فسطاطه، انضمّت القبائل بعضها إلى بعض، و تنافسوا فى المواضع، فولّى عمرو على الخطط معاوية بن حديج التّجيبىّ و شريك بن سمىّ القطيفىّ؛ من مراد، و عمرو بن مخزوم الخولانىّ، و حيويل بن ناشرة المعافرىّ؛ فكانوا هم الذين أنزلوا النّاس، و فصلوا بين القبائل، و ذلك فى سنة إحدى و عشرين. ذكره الكندىّ.

قال ابن عبد الحكم: و قد كان المسلمون حين اختطّوا تركوا بينهم و بين البحر و الحصن قضاء لتفريق دوابّهم و تأديبها، فلم يزل الأمر على ذلك حتى ولى معاوية بن أبى سفيان، فأقطع فى الفضاء؛ و بنيت به الدور قال: و أمّا الإسكندرية فلم يكن بها خطط، و إنّما كانت أخائذ، من أخذ منزلا نزل فيه هو و بنو أبيه.

ثمّ أخرج عن يزيد بن أبى حبيب أنّ الزبير بن العوّام اختطّ بالإسكندرية.

ذكر بناء المسجد الجامع

قال ابن عبد الحكم: حدّثنا عبد الملك بن مسلمة، عن اللّيث بن سعد، قال:

بنى عمرو بن العاص المسجد؛ و كان ما حوله حدائق و أعنابا، فنصبوا الحبال حتّى استقام لهم، و وضعوا أيديهم، فلم يزل عمرو قائما حتّى وضعوا القبلة؛ و إنّ عمرا و أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم وضعوها و اتّخذوا فيه منبرا.

و حدّثنا عبد الملك عن ابن لهيعة، عن أبى تميم الجيشانىّ، قال: كتب إليه عمر ابن الخطاب رضى اللّه عنه: أمّا بعد؛ فإنه بلغنى أنّك اتخذت منبرا ترقى به على رقاب المسلمين، أو ما حسبك أن تقوم قائما و المسلمون تحت عقبيك؟! فعزمت عليك لمّا كسرته.

و حدّثنا عبد الملك، أنبأنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبى حبيب، عن أبى الخير، أنّ أبا مسلم اليافعىّ صاحب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كان يؤذّن لعمرو بن العاص، فرأيته يبخّر المسجد.

و قال يزيد بن أبى حبيب: وقف على إقامة قبلة الجامع ثمانون من أصحاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم.

قال ابن عبد الحكم: ثمّ إنّ مسلمة بن مخلّد الأنصارىّ زاد فى المسجد الجامع بعد بنيان عمرو له، و مسلمة الّذى كان أخذ أهل مصر ببنيان المنار للمساجد، كان أخذه

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۰۷

إياه بذلك فى سنة ثلاث و خمسين، فبنيت المنار، و كتب عليها اسمه، ثمّ هدم عبد العزيز بن مروان المسجد فى سنة سبع و سبعين و بناه. ثمّ كتب الوليد بن عبد الملك فى خلافته إلى قرّة بن شريك العبسىّ، و هو يومئذ و اليه على أهل مصر فهدمه كلّه، و بناه هذا البناء و زوّقه، و ذهّب رؤوس العمد الّتى هى فى مجالس قيس، و ليس فى المسجد عمود مذهّب الرأس إلّا فى مجالس قيس. و حوّل قرّة المنبر حين هدم المسجد إلى قيساريّة العسل، فكان الناس يصلّون فيها الصلوات، و يجمعون فيها الجمع، حتّى فرغ من بنيانه، ثمّ زاد موسى بن عيسى الهاشمىّ بعد ذلك فى مؤخّره فى سنة خمس و سبعين و مائة. ثم زاد عبد اللّه بن طاهر فى عرضه بكتابه المأمون

بالإذن له فى ذلك سنة ثلاث عشرة و مائتين، و أدخل فيه دار الرمل و دورا أخرى من الخطط.

هذا ما ذكره ابن عبد الحكم.

و قال ابن فضل اللّه فى المسالك: مسجد عمرو بن العاص مسجد عظيم بمدينة الفسطاط، بناه عمرو موضع فسطاطه و ما جاوره، و موضع فسطاطه حيث المحراب و المنبر، و هو مسجد فسيح الأرجاء، مفروش بالرّخام الأبيض، و عمده كلّها رخام، و وقف عليه ثمانون من الصحابة، و صلّوا فيه، و لا يخلو من سكنى الصلحاء.

ذكر الدار التى بنيت لعمر بن الخطاب رضى اللّه عنه فأمر بجعلها سوقا

أخرج ابن عبد الحكم، عن أبى صالح الغفارىّ، قال: كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضى اللّه عنهما: إنّا قد اختططنا لك دارا عند المسجد الجامع. فكتب إليه عمر: أنّى لرجل بالحجاز يكون له دار بمصر؟ و أمره أن يجعلها سوقا للمسلمين.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۰۸

قال ابن لهيعة: هى دار البركة، فجعلت سوقا، فكان يباع فيها الرقيق.

ذكر أوّل من بنى بمصر غرفة

قال ابن عبد الحكم: حدّثنا شعيب بن الليث و عبد اللّه بن صالح، عن الليث، عن يزيد بن أبى حبيب، قال: أوّل من بنى غرفة بمصر خارجة بن حذافة، فبلغ ذلك عمر ابن الخطاب رضى اللّه عنه، فكتب إلى عمرو بن العاص: سلام عليك، أمّا بعد، فإنّه بلغنى أنّ خارجة بن حذافة بنى غرفة؛ و أراد أن يطّلع على عورات جيرانه، فإذا أتاك كتابى هذا فاهدمها إن شاء اللّه. و السلام.

ذكر حمّام الفأر

و قال ابن عبد الحكم: اختطّ عمرو بن العاص الحمّام التى يقال لها حمّام الفأر، لأنّ حمّامات الروم كانت ديماسات كبار، فلمّا بنى هذا الحمام و رأوا صغره، قالوا: من يدخل هذا؟ هذا حمّام الفأر.

ذكر اختطاط الجيزة

قال ابن عبد الحكم: حدّثنا عثمان بن صالح، أنبأنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبى حبيب و ابن هبيرة، قالا: لما اختطّت القبائل استحبّت همدان و ما والاها الجيزة ، و كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب يعلمه بما صنع اللّه للمسلمين. و ما فتح اللّه عليهم، و ما فعلوا فى خططهم؛ و ما استحبّت همدان و ما والاها من النزول بالجيزة. فكتب إليه عمر، يحمد اللّه على ما كان من ذلك، و يقول له: كيف رضيت أن

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۰۹

تفرّق أصحابك؟ و لم يكن ينبغى لك أن ترضى لأحد من أصحابك أن يكون بينك و بينهم بحر، لا تدرى ما يفجؤهم، فلعلّك لا تقدر على غياثهم حين ينزل بهم ما تكره.

فاجمعهم إليك، فإن أبوا عليك، و أعجبهم موضعهم، فابن عليه من فىء المسلمين حصنا. فعرض ذلك عمرو عليهم فأبوا ، و أعجبهم موضعهم بالجيزة؛ و من والاهم على ذلك من رهطهم يافع و غيرها، و أحبّوا ما هنالك، فبنى لهم عمرو بن العاص الحصن بالجيزة فى سنة إحدى و عشرين، و فرغ من بنائه فى سنة اثنتين و عشرين. قال غير ابن لهيعة من مشايخ أهل مصر: إنّ عمرو بن العاص لمّا سأل أهل الجيزة أن ينضمّوا إلى الفسطاط قالوا: متقدّم قدّمناه فى سبيل اللّه، ما كنّا لنرحل منه إلى غيره، فنزلت يافع بالجيزة، فيها مبرّح بن

شهاب، و همـدان، و ذو أصبح فيهم أبو شـمر بن أبرهة، و طائفة من الحجر، منهم علقمة بن جنادة أحد بنى مالك بن الحجر، و برزوا إلى أرض الحرث و الزرع.

و كـان بين القبائل فضاء، من القبيل إلى القبيل، فلمّا قـدمت الأمـداد فى زمن عثمان ابن عفّان و ما بعـد ذلك، و كثر النّاس، وسّع كلّ قوم لبنى أبيهم حتّى كثر البنيان، و التأم خطط الجيزة.

ذكر المقطّم

اشارة

قال ابن عبد الحكم: حدّثنا عبد اللّه بن صالح، عن الليث بن سـعد، قال: سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سـفح المقطم بسبعين ألـف دينـار، فعجب عمرو من ذلـك و قـال: أكتب فى ذلـك إلى أمير المؤمنين، فكتب فى ذلـك إلى عمر، فكتب إليه عمر: سـله لم أعطاك به ما أعطاك و هى لا تزدرع و لا يستنبط بها ماء، و لا ينتفع بها؟

فسـأله فقـال: إنّـا لنجـد صـفتها فى الكتب؛ إنّ فيهـا غراس الجنّـة. فكتب بـذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر: إنّا لا نعلم غراس الجنـة إلا للمؤمنين، فـاقبر فيهـا من مـات قبلـك من المسـلمين، و لاـ تبعه بشـىء. فكـان أوّل من دفن فيها رجل من المعافر، يقال له عامر، فقيل: عمرت.

حدّثنا هانىء بن المتوكّل، عن ابن لهيعة، أنّ المقوقس قال لعمرو: إنّا لنجد فى كتابنا أنّ ما بين هذا الجبل و حيث نزلتم ينبت فيه شجر الجنّة، فكتب بقوله إلى عمر بن

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۱۰

الخطاب، فقال: صدق، فاجعلها مقبرة للمسلمين.

حدّثنا عثمان بن صالح، عن ابن لهيعة، عمنّ حدّثه، قال: قبر فيها ممّن عرفنا من أصـحاب رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم خمس نفر: عمرو بن العاص، و عبد اللّه بن حذافة السّهمىّ، و عبد اللّه بن الحارث بن جزء الزّبيدىّ، و أبو بصرة الغفارىّ، و عقبة بن عامر الجهنىّ.

و قـال غير عثمـان: و مسـلمة بن مخلّـد الأنصـارىّ. قـال ابن لهيعـة: و المقطّم مـا بين القصـير إلى مقطع الحجـارة، و ما بعـد ذلك فمن اليحموم .

حـدثنا سـعيد بن عفير و عبـد اللّه بن عياد، قالا: حـدّثنا المفضّل بن فضالة، عن أبيه قال: دخلنا على كعب الأحبار، فقال لنا: ممّن أنتم؟ قلنا: من أهل مصـر، قال: ما تقولون فى القصـير؟ قلنا: قصـير موسـى؟ قال: ليس بقصـير موسـى، و لكنّه قصير عزيز مصر، كان إذا جرى النيل يترفّع فيه، و على ذلك إنّه لمقدّس من الجبل إلى البحر.

حدّثنا هانىء بن المتوكّل، عن ابن لهيعة و رشدين بن سـعد، عن الحسن بن ثوبان، عن حسـين بن شـفىّ الأصـبحىّ، عن أبيه شـفىّ بن عبيد، أنّه لما قدم مصـر- و أهل مصـر اتّخذوا مصـلّى بحذاء ساقية أبى عون التى عند العسكر- فقال: ما لهم وضعوا مصلّاهم فى الجبل الملعون، و تركوا الجبل المقـدّس؟! حدّثنا أبو الأسود نصـر بن عبد الجبار، أنبأنا ابن لهيعة، عن أبى قبيل، أنّ رجلا سأل كعبا عن جبل مصر، فقال: إنّه لمقدّس ما بين القصير إلى اليحموم.

و أخرج ابن عسـاكر فى تـاريخه، عن سـفيان بن وهب الخولاـنىّ، قـال: بينمـا نحن نسـير مع عمرو بن العاص فى سـفح المقطّم، و معنا المقوقس، فقال له: يا مقوقس؛ ما بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات و لا شجر على نحو من جبال الشام؟

قال: ما أدرى؛ و لكنّ اللّه أغنى أهله بهـذا النيل عن ذلك؛ و لكنّا نجـد تحته ما هو خير من ذلك، قال: و ما هو؟ قال: ليدفنّ تحته قوم يبعثهم اللّه يوم القيامة لا حساب عليهم، فقال عمرو: اللهمّ اجعلنى منهم.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۱۱

و قال الکندیّ: ذکر أسد بن موسی، قال: شهدت جنازة مع ابن لهیعة ، فجلسنا حوله، فرفع رأسه، فنظر إلی الجبل، فقال: إنّ عیسی علیه الصلاة و السلام مرّ بسفح هذا الجبل، و أمّه إلی جانبه، فقال: یا أمّاه؛ هذه مقبرة أمّة محمد صلی اللّه علیه و سلم.

قال الکندیّ: و سأل عمرو بن العاص المقوقس: ما بال جبلکم هذا أقرع، لیس علیه نبات کجبال الشام؟ فقال المقوقس: وجدّنا فی الکتب أنّه کان أکثر الجبال شجرا و نباتا و فاکهة، و کان ینزله المقطم بن مصر بن بیصر بن حام بن نوح؛ فلمّا کانت اللیلة التی کلّم اللّه فیها موسی، أوحی اللّه تعالی إلی الجبال: إنّی مکلّم نبیّا من أنبیائی علی جبل منکم، فسمت الجبال و تشامخت إلّا جبل بیت المقدس، فإنّه هبط و تصاغر، قال:

فأوحی اللّه إلیه: لم فعلت ذلک؟ فقال: إجلالا لک یا ربّ، قال: فأمر اللّه الجبال أن یعطوه؛ کلّ جبل منها ممّا علیه من النبت، و جاد له المقطّم بکلّ ما علیه من النّبت، حتّی بقی کما ترى، فأوحی اللّه إلیه: إنّی معوّضک علی فعلک بشجر الجنّة أو غراسها.

فکتب بذلک عمرو بن العاص إلی عمر رضی اللّه عنهما، فکتب إلیه: إنّی لا أعلم شجر الجنة أو غراسها لغیر المسلمین، فاجعله لهم مقبرة. ففعل ذلک عمرو، فغضب المقوقس، و قال لعمرو: ما علی هذا صالحتنی! فقطع له عمرو قطیعا من نحو الحبش یدفن فیه النصاری.

قال الکندیّ: و روی ابن لهیعة عن عیّاش بن عبّاس ، أنّ کعب الأحبار سأل رجلا یرید السّفر إلی مصر، فقال له: أهد لی تربة من سفح مقطّمها؛ فأتاه منه بجراب.

فلما حضرت کعبا الوفاة أمر به ففرش فی لحده تحت جنبه.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۱۲

فصل

قد أفتی ابن الجمّیزی و غیره بهدم کلّ بناء بسفح المقطّم، و قالوا: إنّه وقف من عمر علی موتی المسلمین.

و ذکر ابن الرّفعة عن شیخه الظهیر التّزمنتیّ، عن ابن الجمّیزی، قال: جهدت مع الملک الصالح فی هدم ما أحدث بالقرافة من البناء، فقال: أمر فعله والدی، لا أزیله.

قال: و هذا أمر قد عمّت به البلوی و طمّت، و لقد تضاعف البناء حتّی انتقل إلی المباهاة و النّزهة، و سلّطت المراحیض علی أموات المسلمین من الأشراف و الأولیاء و غیرهم.

و ذکر أرباب التاریخ أنّ العمارة من قبّة الإمام الشافعی رضی اللّه عنه إلی باب القرافة؛ إنّما حدثت أیّام الناصر بن قلاوون، و کانت فضاء، فأحدث الأمیر یلبغا الترکمانیّ تربة، فتبعه الناس.

قال الفاکهی فی شرح الرسالة: و لا یجوز التضییق فیها ببناء یحرز به قبرا و لا غیره، بل لا یجوز فی المقبرة المحبّسة غیر الدفن فیها خاصّة؛ و قد أفتی من تقدّم من أجلّة العلماء رحمهم اللّه- علی ما بلغنی ممّن أثق به- بهدم ما بنی بقرافة مصر، و إلزام البنّائین فیها حمل النّقض، و إخراجه عنها إلی موضع غیرها.

و أخبرنی الشیخ الفقیه الجلیل نجم الدین بن الرّفعة، عن شیخه الفقیه العلّامة ظهیر الدین التزمنتیّ، أنّه دخل إلی صورة مسجد بنی بقرافة مصر الصغری، فجلس فیه من غیر أن یصلّی تحیّة، فقال له البانی: ألا نصلّی تحیة المسجد؟! قال: لا، لأنّه غیر مسجد، فإنّ المسجد هو الأرض، و الأرض مسبلة لدفن المسلمین- أو کما قال.

و أخبرنی أیضا المذکور، عن شیخه المذکور، أنّ الشیخ بهاء الدین بن الجمّیزیّ، قال: جهدت مع الملک الصالح فی هدم ما أحدث بقرافة مصر من البناء، فقال: أمر فعله والدی، لا أزیله.

و إذا کان هذا قول ذلک الإمام و غیره فی ذلک الزمان قبل أن یبالغوا فی البناء و التفنّن فیه و نبش القبور لذلک، و تصویب المراحیض علی أموات المسلمین من الأشراف و العلماء و الصالحین غیرهم؛ فکیف فی هذا الزمان، و قد تضاعف ذلک جدّا حتّی کأنّهم لم یجدوا من البناء فیها بدّا، و جاؤوا فی ذلک شیئا إدّا، فیجب علی ولیّ الأمر أرشده اللّه تعالی الأمر بهدمها و تخریبها حتّی یعود طولها عرضا و سماؤها أرضا.

و قال ابن الحاجّ فی المدخل: القرافة جعلها أمیر المؤمنین عمر بن الخطاب رضی

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۱۳

اللّه عنه لدفن موتی المسلمین فیها، و استقرّ الأمر علی ذلک، فیمنع البناء فیها.

قال: و قد قال لی من أثق به و أسکن إلی قوله: إنّ الملک الظاهر- یعنی بیبرس - کان قد عزم علی هدم ما فی القرافة من البناء کیف کان، فوافقه الوزیر فی ذلک، و فنّده و احتال علیه بأن قال له: إنّ فیها مواضع للأمراء، و أخاف أن تقع فتنة بسبب ذلک، و أشار علیه أن یعمل فتاوی فی ذلک فیستفتی فیها الفقهاء: هل یجوز هدمها أم لا؟ فإن قالوا بالجواز فعل الأمیر ذلک مستندا إلی فتاویهم، فلا یقع تشویش علی أحد. فاستحسن الملک ذلک، و أمره أن یفعل ما أشار به. قال: فأخذ الفتاوی، و أعطاها لی، و أمرنی أن أمشی علی من فی الوقت من العلماء، فمشیت بها علیهم مثل الظهیر التّزمّنتیّ و ابن الجمّیزی و نظائرهما فی الوقت، فالکلّ کتبوا خطوطهم، و اتّفقوا علی لسان واحد أنّه یجب علی ولیّ الأمر أن یهدم ذلک کلّه، و یجب علیه أن یکلّف أصحابه رمی ترابها إلی الکیمان، و لم یختلف فی ذلک أحد منهم. قال: فأعطیت الفتاوی للوزیر، فما أعرف ما صنع فیها، و سکت علی ذلک، و سافر الملک الظاهر إلی الشام فی وقته، فلم یرجع، و مات بها.

فهذا إجماع من هؤلاء العلماء المتأخّرین، فکیف یجوز البناء فیها؟! فعلی هذا فکلّ من فعل ذلک فقد خالفهم.

ذکر جبل یشکر

هو الذی علیه جامع أحمد بن طولون، و یقال: إنّه قطعة من الجبل المقدّس، و کان یشکر رجلا صالحا.

و قیل: إنّ الجبل المذکور یستجاب فیه الدعاء. و کان یصلّی علیه التابعون و الصالحون، و قد أشار أهل الفلاح علی ابن طولون أنّه یبنی جامعه علیه.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۱۴

ذکر فتوح الفیّوم

قال ابن عبد الحکم: حدّثنی سعید بن عفیر و غیره، قالوا: لمّا تمّ الفتح للمسلمین بعث عمرو جرائد الخیل إلی القری التی حولها، فأقامت الفیّوم سنة، لم یعلم المسلمون بها و لا مکانها حتّی أتاهم آت، فذکرها لهم؛ فأرسل عمرو معه ربیعة بن حبیش بن عرفطة الصّدفیّ؛ فلمّا سلکوا فی المجابة لم یروا شیئا، فهمّوا بالانصراف، فقالوا: لا تعجلوا، سیروا؛ فإن کان کذبا فما أقدرکم علی ما أردتم! فلم یسیروا إلّا قلیلا حتّی طلع لهم سواد الفیّوم، فهجموا علیها؛ فلم یکن عندهم قتال، و ألقوا ما بأیدیهم.

و یقال: بل خرج مالک بن ناعمة الصّدفیّ علی فرسه و هو صاحب الأشقر ببعض المجابة، و لا علم له بما خلفها من الفیّوم، فلمّا رأی سوادها، رجع إلی عمرو، فأخبره بذلک.

و یقال: بل بعث عمرو بن العاص قیس بن الحارث إلی الصعید، فسار حتّی أتی القیس ، فنزل بها، و به سمّیت القیس، فراث علی عمرو خبره، فقال ربیعة بن حبیش: کفیت. فرکب فرسه، فأجاز علیه البحر- و کانت أنثی- فأتاه بالخبر. و یقال:

إنّه أجاز من ناحیة الشرقیّة حتّی انتهی إلی الفیّوم.

ذکر فتح برقة و النّوبة

قال ابن عبد الحکم: و بعث عمرو بن العاص نافع بن عبد القیس الفهریّ- و کان نافع أخا العاصی بن وائل لأمّه- فدخلت خیولهم أرض النّوبة صوائف کصوائف الرّوم، فلم یزل الأمر علی ذلک حتّی عزل عمرو بن العاص عن مصر، و ولیها عبد اللّه بن سعد بن أبی سرح، و صالحهم، و ذلک فی سنة إحدی و ثلاثین؛ علی أن یؤدّوا کلّ سنة للمسلمین ثلاثمائة رأس و ستین رأسا، و لوالی البلد أربعین رأسا.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۱۵

قال: و کان البربر بفلسطین، و کان ملکهم جالوت؛ فلما قتله داود علیه الصلاة و السلام خرج البربر متوجّهین إلی المغرب؛ حتّی انتهوا إلی لوبیة و مراقبة - و هما کورتان من کور مصر الغربیّة ممّا یشرب من السماء، و لا ینالهما النیل- فتفرّقوا هنالک؛ فتقدّمت زناتة و مغیلة إلی المغرب، و سکنوا الجبال، و تقدّمت لواتة، فسکنت أرض أنطابلس؛ و هی برقة؛ و تفرّقت فی هذا المغرب، و انتشروا فیه، و نزلت هوّارة مدینة لبدة .

فسار عمرو بن العاص فی الخیل حتّی قدم برقة؛ فصالح أهلها علی ثلاثة عشر ألف دینار یؤدّونها إلیه جزیة، علی أن یبیعوا من أحبّوا من أبنائهم فی جزیتهم، و لم یکن یدخل برقة یومئذ جابی خراج، إنّما کانوا یبعثون بالجزیة إذا جاء وقتها.

و وجّه عمرو بن العاص عقبة بن نافع؛ حتّی بلغ زویلة، فصار ما بین برقة و زویلة للمسلمین.

ذکر الجزیة

قال ابن عبد الحکم: کان عمرو بن العاص یبعث إلی عمر بن الخطاب رضی اللّه عنهما بالجزیة بعد حبس ما یحتاج إلیه؛ حدّثنا عثمان بن صالح، عن ابن لهیعة، عن یزید بن أبی حبیب قال: کانت فریضة مصر لحفر خلجها و إقامة جسورها و بناء قناطرها و قطع جزائرها مائة ألف و عشرین ألفا، معهم الطّور و المساحی و الأداة؛ یعتقبون ذلک، لا یدعون ذلک شتاء و لا صیفا.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۱۶

حدّثنا عبد الملک بن مسلمة، عن القاسم بن عبد اللّه، عن عبد اللّه بن دینار، عن عبد اللّه بن عمر رضی اللّه عنهما، قال: کتب عمر بن الخطاب أن یختم فی رقاب أهل الذمّة بالرّصاص، و یظهروا مناطقهم و یجزّوا نواصیهم، و یرکبوا علی الأکف عرضا، و لا یضربوا الجزیة إلّا علی من جرت علیه المواسی ، و لا یضربوا علی النساء و لا علی الولدان، و لا یدعوهم یتشبّهون بالمسلمین فی ملبوسهم.

حدّثنا عبد الملک، عن اللیث بن سعد، قال: کانت ویبة عمر بن الخطاب فی ولایة عمرو بن العاص ستّة أمداد.

قال ابن عبد الحکم: و کان عمرو بن العاص لمّا استوسق له الأمر أقرّ قبطها علی جبایة الروم؛ و کانت جبایتهم بالتّعدیل: إذا عمرت القریة، و کثر أهلها زید علیهم، و إن قلّ أهلها و خربت نقصوا، فیجتمع عرفاء کلّ قریة و رؤساؤها، فیتناظرون فی العمارة و الخراب؛ حتّی إذا أقرّوا من القسم بالزیادة انصرفوا بتلک القسمة إلی الکور، ثمّ اجتمعوا هم و رؤساء القری، فوزّعوا ذلک علی احتمال القری وسعة المزارع، ثمّ ترجع کلّ قریة بقسمهم فیجمعون قسمهم و خراج کلّ قریة و ما فیها من الأرض العامرة فیبدرون و یخرجون من الأرض فدادین لکنائسهم و حمّاماتهم و معدیّاتهم من جملة الأرض، ثم یخرج منها عدد الضّیافة للمسلمین و نزول السلطان؛ فإذا فرغوا نظروا إلی ما فی کلّ قریة من الصنائع و الأجراء، فقسّموا علیهم بقدر احتمالهم؛ فإن کانت فیها جالیة قسّموا علیها بقدر احتمالها، و قلّ ما کانت إلا للرجل الشّابّ أو المتزوّج، ثمّ نظروا فیما بقی من الخراج فیقسمونه بینهم علی عدد الأرض، ثمّ یقسمون بین من یرید الزرع منهم علی قدر طاقتهم؛ فإن عجز أحد و شکا ضعفا عن زرع أرضه وزّعوا ما عجز عنه علی ذوی الاحتمال، و إن کان منهم من یرید الزیادة أعطی ما عجز عنه أهل الضعف؛ فإن تشاحّوا قسموا ذلک علی عدّتهم،

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۱۷

و كانت قسمتهم على قراريط: الدينار أربعة و عشرين قيراطا، يقسمون الأرض على ذلك. و كذلك روى عن النبى صلى اللّه عليه و سلم: «إنّكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا»، و جعل عليهم لكلّ فدّان نصف اردبّ و ويبتين من شعير إلّا القرط ، فلم يكن عليه ضريبة، و الويبة يومئذ ستّة أمداد.

و حدّثنا عثمان بن صالح و عبد اللّه بن صالح حدّثنا الليث بن سعد، قال: لما ولى ابن رفاعة مصر خرج ليحصى عدّة أهلها، و ينظر فى تعديل الخراج عليهم، فقام فى ذلك ستّة أشهر بالصّعيد، حتّى بلغ أسوان و معه جماعة من الأعوان و الكتّاب يكفونه ذلك بجدّ و تشمير، و ثلاثة أشهر بأسفل الأرض، فأحصوا من القرى أكثر من عشرة آلاف قرية، فلم يحص فيها فى أصغر منها أقلّ من خمسمائة جمجمة من الرجال الذين يفرض عليهم الجزية.

حدّثنا عبد اللّه بن صالح، عن الليث بن سعد، أنّ عمرا جبى مصر اثنى عشر ألف ألف، و جباها المقوقس قبله سنة عشرين ألف ألف، فعند ذلك كتب إليه عمر بن الخطاب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ.

من عبد اللّه عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص. سلام عليك؛ فإنّى أحمد إليك اللّه الذى لا إله إلا هو، أمّا بعد؛ فإنّى فكّرت فى أمرك و الذى أنت عليه، فإذا أرضك أرض واسعة عريضة رفيعة، قد أعطى اللّه أهلها عددا و جلدا و قوّة فى برّ و بحر، و أنّها قد عالجتها الفراعنة، و عملوا فيها عملا محكما، مع شدّة عتوّهم و كفرهم، فعجبت من ذلك؛ و أعجب مما عجبت، أنّها لا تؤدّى نصف ما كانت تؤدّيه من الخراج قبل ذلك على غير قحوط و لا جدوب؛ و لقد أكثرت فى مكاتبتك فى الذى على أرضك من الخراج، و ظننت أنّ ذلك سيأتينا على غير نزر، و رجوت أن تفيق فترفع إلىّ ذلك؛ فإذا أنت تأتينى بمعاريض تعبأ بها لا توافق الذى فى نفسى؛ و لست قابلا منك دون الذى كانت تؤخذ به من الخراج قبل ذلك. و لست أدرى ما الذى أنفرك من كتابى و قبضك! فلئن كنت مجزئا كافيا صحيحا، إنّ البراءة لنافعة، و لئن كنت مضيعا نطفا إنّ الأمر لعلى غير ما تحدّث به نفسك. و قد تركت أن أبتغى ذلك منك فى العام الماضى فى

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۱۸

رجاء أن تفيق فترفع إلىّ ذلك؛ و قد علمت أنّه لم يمنعك من ذلك إلّا عمّالك عمّال السوء، و ما توالس عليه و تلفّف؛ اتّخذوك كهفا. و عندى بإذن اللّه دواء فيه شفاء عمّا أسألك عنه؛ فلا تجزع أبا عبد اللّه أن يؤخذ منك الحقّ و تعطاه؛ فإن النّهز يخرج الدّرّ ، و الحقّ أبلج، و دعنى و ما عنه تتلجلج، فإنه قد برح الخفاء. و السلام.

فكتب إليه عمرو بن العاص:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ.

لعبد اللّه عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص؛ سلام عليك، فإنّى أحمد إليك اللّه الذى لا إله إلا هو؛ أمّا بعد، فقد بلغنى كتاب أمير المؤمنين فى الّذى استبطأنى فيه من الخراج، و الذى ذكر فيه من عمل الفراعنة قبل، و إعجابه من خراجها على أيديهم، و نقص ذلك منها منذ كان الإسلام. و لعمرى للخراج يومئذ أوفر و أكثر، و الأرض أعمر، لأنّهم كانوا على كفرهم و عتوّهم أرغب فى عمارة أرضهم منّا منذ كان الإسلام. و ذكرت بأن النّهز يخرج الدرّ، فحلبتها حلبا قطع ذلك درّها. و أكثرت فى كتابك، و أنّبت، و عرّضت و ثرّبت ؛ و علمت أنّ ذلك عن شىء تخفيه على غير خبر؛ فجئت لعمرى بالمفظعات المقذعات؛ و لقد كان لك فيه من الصواب من القول رصين صارم بليغ صادق. و قد عملنا لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و لمن بعده؛ فكنّا بحمد اللّه مؤدّين لأماناتنا، حافظين لما عظّم اللّه من حقّ أئمتنا، نرى غير ذلك قبيحا، و العمل به سيّئا، فيعرف ذلك لنا و يصدق فيه قيلنا. معاذ اللّه من تلك الطعم، و من شرّ الشّيم، و الاجتراء على كلّ مأثم؛ فاقبض عملك؛ فإنّ اللّه قد نزّهنى عن تلك الطّعم الدنيّة و الرغبة فيها بعد كتابك الذى لم تستبق فيه

عرضا و لم تكرم فيه أخا. و اللّه يا بن الخطاب؛ لأنا حين يراد ذلك منّى أشدّ لنفسى غضبا، و لها إنزاها و إكراما. و ما علمت من عمل أرى عليّ فيه متعلّقا؛ و لكنّى حفظت ما لم تحفظ؛ و لو كنت من يهود يثرب ما زدت- يغفر اللّه لك و لنا- و سكت عن أشياء كنت بها عالما؛ و كان اللسان بها منّى ذلولا؛ و لكنّ اللّه عظّم من حقّك ما لا يجهل. و السلام.

فكتب إليه عمر بن الخطاب:

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۱۹

من عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص؛ سلام عليك، فإنّى أحمد إليك اللّه الذى لا إله إلا هو؛ أمّا بعد، فقد عجبت من كثرة كتبى إليك فى إبطائك بالخراج و كتابك إلىّ ببيّنات الطّرق ؛ و قد علمت أنّى لست أرضى منك إلا بالحقّ البيّن؛ و لم أقدمك إلى مصر أجعلها لك طعمة و لا لقومك؛ و لكنّى وجّهتك لما رجوت من توفيرك الخراج، و حسن سياستك؛ فإذا أتاك كتابى هذا فاحمل الخراج، فإنّما هو فىء المسلمين، و عندى من قد تعلم قوم محصورون. و السلام.

فكتب إليه عمرو بن العاص:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ.

لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص، سلام عليك، فإنّى أحمد إليك اللّه الذى لا إله إلّا هو؛ أمّا بعد، فقد أتانى كتاب أمير المؤمنين يستبطئنى فى الخراج، و يزعم أنّى أعند عن الحقّ، و أنكب عن الطريق؛ و إنّى و اللّه ما أرغب عن صالح ما تعلم؛ و لكنّ أهل الأرض استنظرونى إلى أن تدرك غلّتهم؛ فنظرت للمسلمين؛ فكان الرّفق بهم خيرا من أن يخرق بهم، فنصير إلى ما لا غنى بهم عنه. و السلام.

فلمّا استبطأ عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه الخراج، كتب إليه: أن ابعث إلىّ رجلا من أهل مصر؛ فبعث إليه رجلا قديما من القبط، فاستخبره عمر عن مصر و خراجها قبل الإسلام، فقال: يا أمير المؤمنين، كان لا يؤخذ منها شىء إلّا بعد عمارتها، و عاملك لا ينظر إلى العمارة، و إنّما يأخذ ما ظهر له؛ كأنّه لا يريدها إلّا لعام واحد.

فعرف عمر ما قال: و قبل من عمرو ما كان يعتذر به.

قال ابن عبد الحكم: حدّثنا هشام بن إسحاق العامرىّ قال: كتب عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه إلى عمرو بن العاص، أن يسأل المقوقس عن مصر: من أين تأتى عمارتها و خرابها؟ فسأله عمرو، فقال له المقوقس: تأتى عمارتها و خرابها من خمسة وجوه: أن يستخرج الخراج فى إبّان واحد عند فراغ أهلها من زروعهم، و يرفع خراجها فى إبّان واحد عند فراغ أهلها من عصر كرومها، و تحفر فى كلّ سنة خلجها، و تسدّ ترعها و جسورها، و لا يقبل محل أهلها- يريد البغى- فإذا فعل هذا فيها عمرت، و إن عمل فيها بخلافه خربت.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۲۰

قال الليث بن سعد: إنّ عمرا جباها اثنى عشر ألف ألف. و قال غير الليث:

و جباها المقوقس قبله بسنة عشرين ألف ألف. قال الليث: وجباها عبد اللّه بن سعد حين استعمله عليها عثمان أربعة عشر ألف ألف، فقال عثمان لعمرو: يا أبا عبد اللّه، درّت اللّقحة بأكثر من درّها الأول؛ قال عمرو: أضررتم بولدها.

حدّثنا شعيب بن الليث و عبد اللّه بن صالح، عن الليث بن سعد، عن يزيد بن أبى حبيب، قال: كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص: انظر من قبلك ممّن بايع تحت الشجرة، فأتم لهم العطاء مائتين، و أتمّها لنفسك لإمرتك، و أتمها لخارجة بن حذافة لشجاعته، و لعثمان بن أبى العاص لضيافته.

حدثنا سعيد بن عفير، عن ابن لهيعة، قال: كان ديوان مصر فى زمان معاوية أربعين ألفا، و كان منهم أربعة آلاف فى مائتين، فأعطى مسلمة بن مخلّد أهل الديوان أعطياتهم و أعطيات عيالهم و أرزاقهم و نوائبهم و نوائب البلاد من الجسور و أرزاق الكتبة و حملان القمح إلى الحجاز؛ و بعث إلى معاوية بستمائة ألف دينار فضلا.

حدّثنا هانىء، حدّثنا ضمام عن أبى قبيل ، قال: كان معاوية بن أبى سفيان

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۲۱

قد جعل على كلّ قبيلة من قبائل العرب رجلا يصبح كلّ يوم، فيدور على المجالس فيقول: هل ولد الليلة فيكم مولود؟ و هل نزل بكم نازل؟ فيقال: ولد لفلان غلام و لفلان جارية؛ فيقول: سمّوهم، فيكتب. و يقال: نزل بنا رجل من أهل اليمن بعياله فيسمّونه و عياله، فإذا فرغ من القبائل كلّها أتى الديوان.

ذكر المكس على أهل الذمة

قال ابن عبد الحكم: حدّثنا سعيد بن عفير، عن ابن لهيعة، عن ابن هبيرة، قال:

دعا عمرو بن العاص خالد بن ثابت الفهمىّ ليجعله على المكس، فاستعفاه؛ فقال عمرو: ما تكره منه؟ فقال: إنّ كعبا قال: لا تقرب المكس؛ فإنّ صاحبه فى النار؛ فكان ربيعة بن شرحبيل بن حسنة على المكس.

ذكر القطائع

قال ابن عبد الحكم: حدّثنا يحيى بن خالد، عن الليث بن سعد، قال: لم يبلغنا أنّ عمر بن الخطاب أقطع أحدا من الناس شيئا من أرض مصر إلا لابن سندر ، فإنّه أقطعه أرض منية الأصبغ ؛ فحاز لنفسه ألف فدّان؛ فلم تزل له حتّى مات؛ فاشتراها الأصبغ بن عبد العزيز من ورثته؛ فليس بمصر قطيعة أقدم منها و لا أفضل.

حدّثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جدّه، أنّه كان لزنباع الجذامىّ غلام يقال له سندر، فوجده يقبّل جارية له، فجبّه و جدّع أذنيه و أنفه، فأتى سندر إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، فأرسل إلى زنباع، فقال: لا تحمّلوهم ما لا يطيقون، و أطعموهم ممّا تأكلون، و اكسوهم ممّا تلبسون؛ فإن رضيتم فأمسكوا، و إن كرهتموهم فبيعوا، و لا تعذّبوا خلق اللّه، و من مثّل به أو أحرق بالنار فهو حرّ، و هو

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۲۲

مولى اللّه و رسوله. فأعتق سندر، فقال: أوص بى يا رسول اللّه، قال: أوصى بك كلّ مسلم؛ فلمّا توفّى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أتى سندر إلى أبى بكر الصدّيق رضى اللّه عنه، قال:

احفظ فىّ وصية النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، فعاله أبو بكر رضى اللّه عنه حتّى توفّى، ثمّ أتى عمر فقال:

احفظ فىّ وصيّة النبى صلى اللّه عليه و سلم؛ فقال: نعم، إن رضيت أن تقيم عندى أجريت عليك ما كان يجرى عليك أبو بكر، و إلّا فانظر أىّ المواضع أكتب لك؛ فقال سندر: مصر، فإنّها أرض ريف؛ فكتب إلى عمرو بن العاص: احفظ وصيّة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فيه؛ فلمّا قدم على عمرو، قطع له أرضا واسعة و دارا، فجعل سندر يعيش فيها، فلمّا مات سندر قبضت فى مال اللّه تعالى.

قال عمرو بن شعيب: ثمّ أقطعها عبد العزيز بن مروان الأصبغ بعده؛ فكانت خير أموالهم.

ذكر مرتبع الجند

قال ابن عبد الحكم: حدّثنا عبد اللّه بن صالح، عن عبد الرحمن بن شريح ، عن أبى قبيل، قال: كان النّاس يجتمعون بالفسطاط إذا قفلوا؛ فإذا حضر مرافق الرّيف خطب عمرو بن العاص بالنّاس، فقال: قد حضر مرافق ريفكم؛ فانصرفوا، فإذا حمض اللّبن و اشتدّ العود و كثر الذباب، فحىّ على فسطاطكم، و لا أعلمنّ ما جاء أحد قد أسمن نفسه، و أهزل جواده.

حدّثنا أحمد بن عمرو، أنبأنا ابن وهب، عن ابن لهيعة، عن أبى يزيد بن أبى حبيب، قال: كان عمرو يقول للناس إذا قفلوا من غزوهم:

إنّه قد حضر الرّبيع، فمن أحبّ منكم أن يخرج بفرسه يربعه فليفعل؛ و لا أعلمّ ما جاء رجل قد أسمن نفسه و أهزل فرسه؛ فإذا حمض اللّبن و كثر الذباب، و قوى العود، فارجعوا إلى قيروانكم .

حدّثنا سعيد بن ميسرة، عن إسحاق بن الفرات، عن ابن لهيعة، عن الأسود بن مالك الحميرىّ عن بحير بن ذاخر المعافرىّ، قال: رحت أنا و والدى إلى صلاة الجمعة، تهجيرا، و ذلك آخر الشتاء- أظنّه بعد حميم النصارى بأيّام يسيرة، فأطلنا الركوع إذ أقبل رجال بأيديهم السياط، يزجرون الناس، فذعرت، فقلت: يا أبت، من

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۲۳

هؤلاء؟ قال: يا بنىّ هؤلاء الشرط. فأقام المؤذّنون الصلاة، فقام عمرو بن العاص على المنبر، فرأيت رجلا ربعة قصد القامة وافر الهامة، أدعج أبلج، عليه ثياب موشيّة، كأنّ به العقيان ، تأتلق عليه حلّة و عمامة و جبّة، فحمد اللّه و أثنى عليه و صلّى على النبى صلى اللّه عليه و سلم، و وعظ النّاس، و أمرهم و نهاهم، ثمّ قال: يا معشر النّاس إنّه قد نزلت الجوزاء، و ذكت الشّعرى، و أقلعت السماء، و ارتفع الوباء، و قلّ النداء، و طاب المرعى، و وضعت الحوامل، و درجت السخائل، و على الرّاعى حسن النظر لرعيّته، فحىّ لكم على بركة اللّه ريفكم، تنالوا من خيره و لبنه، و خرافه و صيده، و أربعوا خيلكم و أسمنوها و صونوها و أكرموها، فإنها جنّتكم من عدوّكم، و بها مغانمكم و أثقالكم، و استوصوا بمن جاورتموه من القبط خيرا؛ حدّثنا عمر أمير المؤمنين أنّه سمع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يقول: «إنّ اللّه سيفتح عليكم بعدى مصر، فاستوصوا بقبطها خيرا، فإنّ لكم منهم صهرا و ذمّة»، فعفّوا أيديكم و فروجكم، و غضّوا أبصاركم، و لا أعلمنّ ما أتى رجل قد أسمن جسمه، و أهزل فرسه. و اعلموا أنّى معترض بالخيل كاعتراض الرجال؛ فمن أهزل فرسه من غير علّة حططت من فريضته قدر ذلك. و اعلموا أنّكم فى رباط إلى يوم القيامة، لكثرة الأعداء حولكم و تشوّق قلوبهم إليكم و إلى دياركم، معدن الزرع و المال، و الخير الواسع و البركة النامية. و حدّثنى عمر أمير المؤمنين، أنّه سمع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يقول: «إذا فتح اللّه عليكم مصر، فاتّخذوا فيها جندا كثيفا، فذلك الجند أجناد الأرض»، فقال له أبو بكر: و لم يا رسول اللّه؟ قال: «لأنّهم و أزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة»، فاحمدوا اللّه معاشر المسلمين على ما أولاكم، فتمتّعوا فى ريفكم ما طاب لكم؛ فإذا يبس العود و سخن العمود، و كثر الذباب، و حمض اللبن، و صوّح البقل، و انقطع الورد من الشجر، فحىّ على فسطاطكم، على بركة اللّه تعالى و عونه، و لا يقدمنّ أحد منكم ذو عيال على عياله إلّا و معه تحفة لعياله على ما أطاق من سعته أو عسرته؛ أقول قولى هذا و أستغفر اللّه، و أستحفظ اللّه عليكم.

قال: فحفظت ذلك عنه، فقال والدى: يا بنىّ إنّه يجرّىء الناس إذا انصرفوا إليه على الرّباط كما جرّأهم على الريف و الدّعة.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۲۴

ذكر نهى الجند عن الزرع

أخرج ابن عبد الحكم، عن عبد اللّه بن هبيرة، قال: إنّ عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه أمر مناديه أن يخرج إلى أمراء الأجناد يتقدّمون إلى الرعيّة؛ أنّ عطاءهم قائم، و أنّ رزق عيالهم سائل، فلا يزرعون و لا يزارعون.

قال ابن وهب: فأخبرنا شريك بن عبد الرحمن المرادىّ: قال: بلغنا أنّ شريك بن سمىّ الغطيفىّ أتى عمرو بن العاص، فقال: إنّكم لا تعطونا ما يحسبنا ، أفتأذن لى فى الزرع؟ قال: ما أقدر على ذلك، فزرع شريك من غير إذن عمرو، فكتب عمرو إلى عمر ابن الخطاب يخبره أنّ شريكا حرث بأرض مصر فكتب إليه عمر: أن ابعث إلىّ به؛ فبعث به إليه، فقال له عمر: لأجعلنّك نكالا لمن خلفك، قال: أو تقبل منّى ما قبل اللّه من العباد؟ قال: و تفعل؟ قال: نعم، فكتب إلى عمرو بن العاص: إنّ شريك بن سمىّ جاءنى تائبا. فقبلت منه.

ذكر حفر خليج أمير المؤمنين

قال ابن عبد الحكم: حدّثنا عبد اللّه بن صالح و غيره، عن اللّيث بن سعد، أنّ النّاس بالمدينة أصابهم جهد شديد فی خلافة عمر عام الرّمادة ، فكتب إلی عمرو بن العاص و هو بمصر:

من عبد اللّه عمر أمير المؤمنين إلی عمرو بن العاص: سلام عليك؛ أمّا بعد؛ فلعمری يا عمرو ما تبالی إذا شبعت أنت و من معك، أن أهلك أنا و من معی؛ فيا غوثاه، ثمّ يا غوثاء! يردّد قوله.

فكتب إليه عمرو بن العاص:

لعبد اللّه عمر أمير المؤمنين، من عبد اللّه عمرو بن العاص؛ أمّا بعد. فيا لبّيك ثمّ يا لبّيك! قد بعثت إليك بعير أوّلها عندك و آخرها عندی. و السلام عليك و رحمة اللّه.

فبعث إليه بعير عظيمة، فكان أوّلها بالمدينة و آخرها بمصر، يتبع بعضها بعضا، فلمّا قدمت علی عمر وسّع بها علی الناس.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۲۵

و كتب إلی عمرو بن العاص يقدم عليه هو و جماعة من أهل مصر، فقدموا عليه، فقال عمر: يا عمرو؛ إنّ اللّه قد فتح علی المسلمين مصر، و هی كثيرة الخير و الطعام، و قد ألقی فی روعی- لما أحببت من الرّفق بأهل الحرمين، و التوسعة عليهم- أن أحفر خليجا من نيلها حتّی يسيل فی البحر، فهو أسهل لما نريد من حمل الطعام إلی المدينة و مكّة؛ فإنّ حمله علی الظهر يبعد و لا نبلغ معه ما نريد؛ فانطلق أنت و أصحابك، فتشاوروا فی ذلك حتّی يعتدل فيه رأيكم.

فانطلق عمرو، فأخبر بذلك من كان معه من أهل مصر فثقل ذلك عليهم، و قالوا:

نتخوّف أن يدخل فی هذا ضرر علی أهل مصر، فنری أن تعظّم ذلك علی أمير المؤمنين و تقول له: هذا أمر لا يعتدل، و لا يكون، و لا نجد إليه سبيلا.

فرجع عمرو بذلك إلی عمر، فضحك حين رآه، و قال: و الذی نفسی بيده، لكأنّی أنظر إليك يا عمرو و إلی أصحابك حين أخبرتهم بما أمرت به من حفر الخليج، فثقل ذلك عليهم، و قالوا: يدخل فی هذا ضرر علی أهل مصر؛ فنری بأن تعظّم ذلك علی أمير المؤمنين، و تقول له: هذا لا يعتدل، و لا نجد إليه سبيلا.

فعجب عمرو من قول عمر، و قال: صدقت و اللّه يا أمير المؤمنين، لقد كان الأمر علی ما ذكرت، فقال عمر: انطلق يا عمرو بعزيمة منّی حتّی تجدّ فی ذلك، و لا يأتی عليك الحول حتّی تفرغ منه إن شاء اللّه تعالی. فانصرف عمرو، و جمع لذلك من الفعلة ما بلغ منه ما أراد، ثمّ احتفر الخليج الذی فی حاشية الفسطاط، الذی يقال له خليج أمير المؤمنين، فساقه من النّيل إلی القلزم؛ فلم يأت الحوّل حتّی فرغ، و جرت فيه السفن، فحمل فيه ما أراد من الطعام إلی المدينة و مكّة، فنفع اللّه بذلك أهل الحرمين، و سمّی خليج أمير المؤمنين.

ثم لم يزل يحمل فيه الطعام، حتّی حمل فيه بعد عمر بن عبد العزيز رضی اللّه عنه، ثمّ ضيّعه الولاة بعد ذلك، فترك و غلب عليه الرمل، فانقطع، و صار منتهاه إلی ذنب التّمساح من ناحية طحا القلزم.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۲۶

قال ابن عبد الحكم: و حدّثنی أخی عبد الحكم بن عبد اللّه بن عبد الحكم، حدّثنا ابن وهب، عن ابن لهيعة، عن محمد بن عبد الرحمن- قال: حسبته، عن عروة- أنّ عمر بن الخطاب قال لعمرو بن العاص حين قدم عليه: قد عرفت الذی أصاب العرب، و ليس جند من الأجناد أرجی عندی من أن يغيث اللّه بهم أهل الحجاز من جندك؛ فإن استطعت أن تحتال لهم حيلة حتّی يغيثهم اللّه! فقال عمرو: ما شئت يا أمير المؤمنين، قد عرفت أنّه كانت تأتينا سفن فيها تجّار من أهل مصر قبل الإسلام، فلمّا فتحنا مصر، انقطع ذلك الخليج و استدّ، و تركته التّجّار، فإن شئت أن تحفره فتنشیء فيه سفنا يحمل فيها الطعام إلی الحجاز فعلته! قال عمر: نعم؛ فحفره عمرو، و عالجه و جعل فيه السفن.

حدّثنا أبی، حدّثنا سفيان بن عيينة ، عن ابن أبی نجيح، عن أبيه، أنّ رجلا- أتی عمرو بن العاص من قبط مصر، قال: أ رأيتك إن

دللتك على مكان تجرى فيه السفن، حتّى تنتهى إلى مكّة و المدينة، أ تضع عنّى الجزية و عن أهل بيتى؟ قال: نعم، فكتب إلى عمر، فكتب إليه أن افعل؛ فلمّا قدمت السفن الحجاز خرج عمر حاجّا أو معتمرا، فقال للناس: سيروا بنا ننظر إلى السفن التى سيّرها اللّه إلينا من أرض فرعون.

قال ابن زولاق: و ليس بمصر خليج إسلامىّ غيره. قال: و كان حجّاج البحر يركبون فيه من ساحل تنّيس يسيرون فيه، ثم ينتقلون بالقلزم إلى المراكب الكبار .

ذكر انتقاض عهد الإسكندرية و سببه

و ذلك فى خلافة عثمان رضى اللّه عنه، قال ابن عبد الحكم: حدّثنا عثمان بن صالح، عن اللّيث بن سعد، قال: عاش عمر بن الخطاب بعد فتح مصر ثلاث سنين، قدم عليه فيها عمرو قدمتين، استخلف فى إحداهما زكريّا بن جهم العبدرىّ على الجند، و مجاهد بن جبير مولى بنى نوفل على الخراج، فسأله عمر: من استخلفت؟

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۲۷

فذكر له مجاهد بن جبير، فقال عمر: مولى ابنة غزوان؟ قال: نعم؛ إنّه كاتب، فقال عمر: إنّ القلم ليرفع صاحبه. و استخلف فى القدمة الثانية عبد اللّه بن عمر.

حدّثنا عن حيوة بن شريح، عن الحسن بن ثوبان ، عن هشام، عن أبى رقيّة قال: كان سبب نقض الإسكندرية العهد أنّ صاحب إخنا ، قدم على عمرو بن العاص، فقال: أخبرنا، ما على أحدنا من الجزية؟ فقال عمرو: لو أعطيتنى من الرّكن إلى السقف ما أخبرتك؛ إنّما أنتم خزانة لنا؛ إن كثّر علينا كثّرنا عليكم، و إن خفّف عنّا خفّفنا عنكم. فغضب صاحب إخنا، فخرج إلى الروم، فقدم بهم، فهزمهم اللّه، و أسر النّبطىّ، فأتى به إلى عمرو؛ فقال له الناس: اقتله؛ قال: لا، بل انطلق؛ فجئنا بجيش آخر .

حدّثنا سعيد بن سابق، قال: كان اسمه طلما، و إنّ عمرا لمّا أتى به سوّره، و توجّه و كساه برنس أرجوان، و قال له: ائتنا بمثل هؤلاء. فرضى بأداء الجزية، فقيل لطلما: لو أتيت ملك الروم؟ فقال: لو أتيته لقتلنى و قال: قتلت أصحابى.

حدّثنا عبد اللّه بن صالح، عن اللّيث بن سعد، عن يزيد بن أبى حبيب، قال:

كانت الإسكندرية انتقضت و جاءت الروم، و عليهم منويل الخصىّ فى المراكب، حتّى أرسى بالإسكندرية، فأجابهم من بها من الرّوم؛ و لم يكن المقوقس تحرّك و لا نكث؛ و قد كان عثمان بن عفان رضى اللّه عنه عزل عمرو بن العاص، و ولّى عبد اللّه بن سعد؛ فلمّا نزلت الرّوم بالإسكندريّة، سأل أهل مصر عثمان أن يقرّ عمرا حتّى يفرغ من قتال الروم؛ فإنّ له معرفة بالحرب، و هيبة فى قلب العدوّ؛ ففعل. و كان على الإسكندرية سورها؛ فحلف عمرو بن العاص: لئن أظفره اللّه عليهم ليهدمنّ سورها؛ حتّى يكون مثل بيت الزانية يؤتى من كلّ مكان. فخرج عليهم عمرو فى البرّ و البحر، و ضوى إلى المقوقس من أطاعه من القبط؛ فأمّا الروم فلم يطعه منهم أحد، فقال خارجة بن حذافة لعمرو: ناهضهم القتال قبل أن يكثر مددهم، و لا آمن أن تنتقض مصر كلّها، فقال عمرو: لا، و لكن أدعهم حتّى يسيروا إلىّ، فإنّهم يصيبون من مرّوا به، فيخزى اللّه بعضهم ببعض فخرجوا من الإسكندرية، و معهم من نقض من أهل القرى، فجعلوا

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۲۸

ينزلون القرية، فيشربون خمورها، و يأكلون أطعمتها، و ينهبون ما مرّوا به. فلم يتعرّض لهم عمرو حتّى بلغوا نقيوس ، فلقوهم فى البرّ و البحر، فبدأت الروم و القبط، فرموا بالنّشاب فى الماء رميا حتّى أصاب النّشاب يومئذ فرس عمرو فى لبّته، و هو فى البرّ، فعقر، فنزل عنه عمرو، ثمّ خرجوا من البحر فاجتمعوا هم و الذين فى البرّ، فنضحوا المسلمين بالنّشاب؛ فاستأخر المسلمون عنهم شيئا يسيرا و حملوا على المسلمين حملة ولّى المسلمون منها، و انهزم شريك بن سمىّ فى خيله. و كانت الروم قد جعلت صفوفا خلف صفوف، و برز

يومئذ بطريق ممّن جاء من أرض الروم على فرس له، عليه سلاح مذهّب، فدعا إلى البراز، فبرز إليه رجل من زبيد، يقال له حومل، يكنى أبا مذحج، فاقتتلا طويلا برمحين يتطاردان، ثمّ ألقى البطريق الرّمح، و أخذ السيف، و ألقى حومل رمحه، و أخذ سيفه، و كان يعرف بالنّجدة، و جعل عمرو يصيح: أبا مذحج! فيجيبه:

لبّيك! و الناس على شاطىء النّيل فى البرّ على تعبئتهم و صفوفهم، فتجاولا ساعة بالسيفين، ثمّ حمل عليه البطريق، فاحتمله- و كان نحيفا- فاخترط حومل خنجرا كان فى منطقته أو فى ذراعه، فضرب نحر العلج أو ترقوته فأثبته، فوقع عليه و أخذ سلبه، ثمّ مات حومل بعد ذلك بأيّام، فرئى عمرو يحمل سريره بين عمودى نعشه حتّى دفنه بالمقطّم، ثمّ شدّ المسلمون عليهم، فكانت هزيمتهم. فطلبهم المسلمون حتّى ألحقوهم بالإسكندرية، ففتح اللّه عليهم، و قتل منويل الخصىّ.

حدّثنا الهيثم بن زياد، أنّ عمرو بن العاص قتلهم حتّى أمعن فى مدينتهم؛ فكلّم فى ذلك، فأمر برفع السيف عنهم، و بنى فى ذلك الموضع الّذى رفع فيه السيف مسجدا، و هو المسجد الذى بالإسكندرية يقال له مسجد الرّحمة- و إنّما سمّى مسجد الرّحمة لرفع عمرو السيف هناك- و هدم سورها كلّه. و جمع عمرو ما أصابه منهم، فجاءه أهل تلك القرى ممّن لم يكن نقض، فقالوا: قد كنّا على صلحنا، و قد مرّ علينا هؤلاء اللصوص، فأخذوا متاعنا و دوابّنا، و هو قائم فى يديك. فردّ عليهم عمرو ما كان لهم من متاع عرفوه و أقاموا عليه البيّنة.

رجع إلى حديث يزيد بن أبى حبيب. قال: فلمّا هزم اللّه الرّوم، أراد عثمان عمرا أن يكون على الحرب و عبد اللّه بن سعد على الخراج، فقال عمرو: أنا إذا كماسك البقرة بقرنيها و آخر يحلبها! فأبى عمرو.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۲۹

حدّثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا ابن وهب، عن موسى بن علىّ، عن أبيه، عن عمرو بن العاص، أنّه فتح الإسكندرية الفتحة الأخيرة عنوة قسرا فى خلافة عثمان بعد موت عمر بن الخطاب.

حدّثنا عبد الملك، حدّثنا ابن لهيعة، قال: كان فتح الإسكندرية الأوّل سنة إحدى و عشرين، و فتحها الآخر سنة خمس و عشرين.

قال نمير بن لهيعة: و أقام عمرو بعد فتح الإسكندريّة شهرا، ثمّ عزله عثمان رضى اللّه عنه، و ولّى عبد اللّه بن سعد؛ و كان عمر بن الخطاب ولّى عبد اللّه بن سعد من الصّعيد إلى الفيّوم، فكتب عثمان بن عفان، إلى عبد اللّه بن سرح يؤمّره على مصر كلّها. فلمّا كان سنة خمس و ثلاثين مشت الرّوم إلى قسطنطين بن هرقل، فقالوا: نترك الإسكندرية فى أيدى العرب، و هى مدينتنا الكبرى؟ فقال: ما أصنع بكم؟ ما تقدرون أن تمالكوا ساعة إذا لقيتم العرب! قالوا: فاخرج على أنّا نموت. فتبايعوا على ذلك، فخرج فى ألف مركب يريد الإسكندرية، فسار فى أيام غالبة من الريح، فبعث اللّه عليهم ريحا فغرّقتهم، إلا قسطنطين نجا بمركبه، فألقته الريح بسقلّيّة، فسألوه عن أمره فأخبرهم، فقالوا شأمت النصرانية، و أفنيت رجالها، لو دخل العرب علينا لم نجد من يردّهم، فقال: خرجنا مقتدرين، فأصابنا هذا، فصنعوا له الحمّام، و دخلوا عليه، فقال:

ويلكم! تذهب رجالكم، و تقتلون ملككم؟! قالوا: كأنّه غرق معهم؛ ثمّ قتلوه، و خلّوا من كان معهم فى المركب.

ذكر رابطة الإسكندرية

أخرج ابن عبد الحكم ، عن يزيد بن أبى حبيب و عبد اللّه بن هبيرة، قالا: لمّا استقامت البلاد، و فتح اللّه على المسلمين الإسكندرية، قطع عمرو بن العاص من أصحابه لرباط الإسكندرية ربع النّاس خاصّة؛ الرّبع يقيمون ستة أشهر، و الرّبع فى السواحل، و النصف الثانى مقيمون معه.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۳۰

قال غيرهما: و كان عمر بن الخطاب يبعث كلّ سنة غازية من أهل المدينة ترابط بالإسكندريّة، فكانت الولاة لا تغفلها، و تكشف

رابطتها، و لا تأمن الروم عليها.

و كتب عثمان إلى عبد اللّه بن سعد: قد علمت كيف كان همّ أمير المؤمنين بالإسكندريّة، و قد نقضت الرّوم مرّتين، فألزم الإسكندرية رابطتها، ثم أجر عليهم أرزاقهم، و أعقب منهم فى كلّ ستة أشهر.

و أخرج عن أبى قبيل، أنّ عتبة بن أبى سفيان عقد لعلقمة بن يزيد الغطيفيّ على الإسكندريّة، و بعث معه اثنى عشر ألفا، فكتب علقمة إلى معاوية يشكو عتبة حين غدر به و بمن معه. فكتب إليه معاوية: إنّى قد أمددتك بعشرة آلاف من أهل الشام و بخمسة آلاف من أهل المدينة، فكان فيها سبعة و عشرون ألفا.

و أخرج ابن حبّان فى الضعفاء، من طريق عبد الملك بن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن جدّه، عن علىّ مرفوعا: «أربعة أبواب من الجنة مفتّحة فى الدنيا:

الإسكندرية، و عسقلان، و قزوين، و جدّة».

و أخرج ابن الجوزىّ فى الموضعات من طريق عمرو بن صبيح، عن أبان، عن أنس مرفوعا: «يحوّل اللّه يوم القيامة ثلاثة قرى من زبرجدة خضراء: عسقلان، و الإسكندرية، و قزوين».

و قال ابن الجوزىّ: عمرو بن صبيح يضع على الثقات.

و قال الكندىّ فى فضائل مصر: قال أحمد بن صالح، قال لى سفيان بن عيينة: يا مصرىّ، أين تسكن؟ قلت: أسكن الفسطاط، قال: أ تأتى الإسكندرية؟ قلت: نعم، قال لى: تلك كنانة اللّه يحمل فيها خير سهامه.

و قال عبد اللّه بن مرزوق الصّدفىّ: لمّا نعى إلىّ ابن عمّى خالد بن يزيد- و كان توفّى بالإسكندرية- لقينى موسى بن علىّ بن رباح و عبد اللّه بن لهيعة و الليث بن سعد متفرّقين، كلّهم يقولون: أليس مات بالإسكندرية؟ فأقول: بلى، فيقولون: هو حىّ عند اللّه يرزق، و يجرى عليه أجر رباطه ما قامت الدنيا، و له أجر شهيد حتّى يحشر على ذلك.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۳۱

ذكر وسيم

و أخرج ابن عبد الحكم، من طريق ابن لهيعة، عن بكر بن سوادة ، عن أبى غطيف، عن حاطب بن أبى بلتعة، أنّ عمر بن الخطاب قال: يقاتلكم أهل الأندلس بوسيم، حتّى يبلغ الدم ثنن الخيل، ثمّ ينهزمون.

ذكر ما يقع بمصر قرب الساعة

أخرج الحاكم فى المستدرك، و صحّحه من حديث عبد اللّه بن صالح: حدّثنى الليث، حدّثنى أبو قبيل، عن عبد اللّه بن عمر رضى اللّه عنهما، أنّ رجلا من أعداء المسلمين بالأندلس، يقال له ذو العرف، يجمع من قبائل المشركين جمعا عظيما؛ يعرف من بالأندلس أن لا طاقة لهم به، فيهرب أهل القوّة من المسلمين فى السّفن، فيجيزون إلى طنجة، و يبقى ضعفة الناس و جماعتهم، ليس لهم سفن يجيزون عليها، فيبعث اللّه- جلّ و علا- و ينشر لهم فى البحر، فيجيز الوعل، لا يغطّى الماء أظلافه، فيراه الناس فيقولون: الوعل، الوعل! اتّبعوه، فيجيز الناس على إثره كلّهم، ثمّ يصير البحر على ما كان عليه، و يجيز العدوّ فى المراكب؛ فإذا حبسهم أهل إفريقيّة هربوا كلّهم من إفريقيّة، و معهم من كان بالأندلس من المسلمين، حتّى يدخلوا الفسطاط، و يقبل ذلك العدوّ حتّى ينزلوا فيما بين ترنوط إلى الأهرام، مسيرة خمسة برد ، فيملئون ما هناك شرّا، فتخرج إليهم راية المسلمين على الجسر، فينصرهم اللّه عليهم، فيهزمونهم و يقتلونهم إلى لوبية، مسيرة عشر ليال، و يستوقد أهل الفسطاط بعجلهم و أداتهم سبع سنين، و ينقلب ذو العرف من القتل، و معه كتاب لا ينظر فيه إلّا و هو منهزم، فيجد فيه ذكر الإسلام، و أنّه يؤمر فيه بالدخول فى السلم، فيسأل الأمان على

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۳۲

نفسه و علی من أجابه إلی الإسلام من قومه، فیسلم، ثمّ یأتی العام الثانی رجل من الحبشة یقال له أنیس، و قد جمع جمعا عظیما، فیهرب المسلمون منهم من أسوان حتّی لا یبقی فیها و لا فیما دونها أحد من المسلمین، ألّا دخل الفسطاط، فینزل أنیس بجیشه منف، فتخرج إلیهم رایة المسلمین علی الجسر، فینصرهم اللّه علیهم، فیقتلونهم و یأسرونهم، حتّی یباع الأسود بعباءة.

قال الحاکم: صحیح موقوف.

ذکر من دخل مصر من الصحابة رضی اللّه عنهم

قد ألّف الإمام محمد بن الربیع الجیزیّ فی ذلک کتابا فی مجلّد، ذکر فیه مائة و نیّفا و أربعین صحابیا، و قد فاته مثل ما ذکر أو أکثر، و قد ألّفت فی ذلک تألیفا لطیفا، استوعبت فیه ما ذکره، و زدت علیه ما فاته من تاریخ ابن عبد الحکم، و تاریخ ابن یونس و طبقات ابن سعد، و تجرید الذهبی، و غیرها؛ فزاد فی العدّة علی ثلاثمائة؛ وها أنا أسوق کتابی المذکور برمّته، لیستفاد، و هو هذا:

درّ السحابة فیمن دخل مصر من الصحابة

اشارة

بسم اللّه الرحمن الرحیم الحمد للّه حمدا کثیرا، و الصّلاة و السلام علی سیّدنا محمد المبعوث بشیرا و نذیرا، و بعد؛ فقد ألّف الإمام محمد بن الربیع الجیزیّ الّذی والده صاحب الإمام الشافعیّ رضی اللّه عنه کتابا فیمن دخل مصر من الصحابة رضی اللّه عنهم أجمعین فی مجلّد، فأورد منه مائة و نیّفا و أربعین رجلا، و أورد فیه أحادیثهم، و ما رواه أهل مصر، و قد فاته جماعة لم یذکرهم؛ ذکر بعضهم ابن عبد الحکم فی فتوح مصر، و بعضهم ابن یونس فی تاریخ مصر، و بعضهم ابن سعد فی طبقاته. و قد أردت أن ألخص کتاب محمد بن الربیع الجیزیّ، و أرتّبه علی حروف المعجم، و أزید التراجم، فأذکر الاسم و الکنیة و اللّقب، و اسم الأب و الجدّ و النّسب و السنّ و الوفاة، و ما تفرّد الصحابیّ بروایته، و قد أورد نادرة، أو غریبة، أو کرامة. و سمّیته: «درّ السحابة فیمن دخل مصر من الصحابة»، و اللّه أسأل التوفیق، إنّه ولیّ الإجابة، و إلیه الإنابة:

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۳۳

حرف الهمزة

۱- أبرهة بن شرحبیل بن أبرهة بن الصبّاح الحمیریّ. صحابیّ. قال الرّشاطیّ فی الأنساب: وفد علی النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، ففرش له رداءه. و کان بالشام، و کان یعدّ من الحکماء، و له روایة.

وقع فی مرآة الزمان: عن الهیثم أنّ عمرو بن العاص بعثه إلی الفرما، ففتحها بعد ما فرغ من أمر الفسطاط.

۲- أبیض بن حمّال- بالحاء المهملة- بن مرثد بن ذی لحیان - بضمّ اللام- المأربیّ السّبئیّ. قال ابن الرّبیع الجیزیّ: أخبرنی یحیی بن عثمان أنّه شهد فتح مصر. قال البخاریّ و ابن السّکن: له صحبة و أحادیث تعدّ فی أهل الیمن، و روی الطّبرانیّ أنّه وفد علی أبی بکر رضی اللّه تعالی عنه لمّا انتقض علیه عمّال الیمن. و روی حدیثه أصحاب السّنن الأربعة و ابن حبّان، و روی أنّ أبیض بن حمّال، کان بوجهه حزازة، و هی القوباء، فالتقمت أنفه، فمسح النبیّ صلی اللّه علیه و سلم علی وجهه، فلم یمس ذلک الیوم و به أثر:

۳- أبیض. غیر منسوب. کان اسمه أسود، فغیّره النّبی صلی اللّه علیه و سلم بأبیض. قال ابن یونس: له ذکر فیمن دخل مصر؛ و روی من طریق ابن لهیعة عن بکر بن سوادة، عن سهل بن سعد، قال: کان رجل یسمّی أسود، فسمّاه النبیّ صلی اللّه علیه و سلم أبیض. قال

الطّبرانىّ:

تفرّد به ابن لهيعة.

قال الحافظ ابن حجر فى الإصابة: لا أدرى هو أبيض بن حمّال، أو غيره! ۴- أبيض بن هنىّ بن معاوية أبو هبيرة. قال فى الإصابة: أدرك النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و شهد فتح مصر، ذكره ابن منده فى تاريخه، و استدركه أبو موسى و ذكره ابن الكلبىّ فى الجمهرة.

۵- أبىّ بن عمارة - بكسر العين، و قيل بضمّها. أحد من صلّى للقبلتين، ذكره

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۳۴

ابن عبد الحكم فيمن دخل مصر من الصحابة، و قال: لأهل مصر عنه حديث واحد، ذكر ابن الكلبى أنّ أباه عمارة أدرك خالد بن سنان الّذى يقال له إنّه كان نبيّا.

و قال المزّىّ فى التّهذيب: مدنىّ، سكن مصر، له صحبة و حديث فى المسح على الخفّين.

۶- أجمد- بالجيم- بن عجيان- بجيم و مثنّاة تحتيّة بوزن عثمان، و قيل بوزن عليان همدانىّ وفد على النبى صلى اللّه عليه و سلم، و شهد فتح مصر؛ ذكره ابن يونس، و قال: لا أعلم له رواية، و خطّته معروفة بجيزة مصر.

قال فى الإصابة: و ضبطه ابن العربىّ بالحاء المهملة، فوهم.

۷- الأحبّ بن مالك بن سعد اللّه. ذكره ابن الربيع فيمن دخلها ممّن أدرك النبى صلى اللّه عليه و سلم، و لا تعرف له رواية.

و قال فى الإصابة: سمّاه ابن الدباغ «أحبّ»؛ و الصواب «لاحب». و سيأتى.

۸- أحمر بن قطن الهمدانىّ. قال فى الإصابة: شهد فتح مصر؛ يقال له صحبة، ذكره ابن ماكولا عن ابن يونس.

۹- أدهم بن حظرة اللّخمىّ الرّشدى، من بنى راشدة، ابن أذينة بن جديلة بن لخم.

قال ابن ماكولا: هو صحابىّ، ذكره سعيد بن عفير فى أهل مصر، و لم يقع له رواية. و ذكره ابن يونس.

۱۰- الأرقم بن حفيتة التّجيبىّ. من بنى نصر بن معاوية، قال ابن منده: سمعت ابن يونس يقول: إنّه شهد فتح مصر، و عداده فى الصحابة.

۱۱- أسعد بن عطية بن عبيدة القضاعىّ البلوىّ. ذكره ابن يونس، و قال: بايع تحت الشجرة، و شهد فتح مصر. له ذكر، و ليست له رواية.

۱۲- امرؤ القيس بن الفاخر بن الطّماح الخولانىّ أبو شرحبيل. شهد فتح مصر و له ذكر فى الصحابة، قاله ابن منده.

۱۳- أوس بن عمرو بن عبد القارى. نزيل مصر. قال القضاعىّ فى الخطط: له صحبة، ذكره فى الإصابة.

۱۴- إياس بن البكير- و يقال ابن أبى البكير- بن عبد ياليل بن ثابت الليثى. قال

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۳۵

ابن الربيع: بدرىّ شهد فتح مصر، و لأهل مصر عنه حديث واحد، أخبرنيه مقدّم ابن داود؛ حدّثنا أبو الأسود نصر بن عبد الجبار، عن ابن لهيعة، عن عيّاش بن عباس، عن عيسى بن موسى، عن إياس بن البكير، أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال: «من مات يوم الجمعة، كتب اللّه له أجر شهيد، و وقى فتنة القبر».

و قال ابن يونس: شهد فتح مصر، و مات سنة أربع و ثلاثين. و استشهد أخوه عاقل ببدر، و أخوهم خالد يوم الرّجيع، و أخوهم عامر باليمامة.

قال ابن إسحاق: لا يعلم أربعة إخوة شهدوا بدرا غير إياس و إخوته و هاجروا جميعا.

۱۵- إياس بن عبد الأسد القارئ. حليف بنى زهرة، ذكره سعيد بن عفير، فيمن شهد فتح مصر من الصحابة، و اختطّ بها دارا. أخرجه

ابن منده، و ذكره أيضا ابن عبد الحكم.

۱۶- أيمن بن خريم - بالمعجمة ثم الراء- بن الأخرم بن شدّاد بن عمرو بن فاتك الأسدىّ. قال المبرّد فى الكامل: له صحبة.

و قال المرزبانىّ: يقال له صحبة.

و قال ابن عبد البرّ: أسلم يوم الفتح و هو غلام يفعة.

و قال ابن السكن: يقال له صحبة. و أخرج له الترمذىّ حديثا عن النبى صلى اللّه عليه و سلم و استغربه، و قال: لا نعرف لأيمن سماعا عن النبى صلى اللّه عليه و سلم.

و قال الصّولىّ: كان أيمن يسمّى خليل الخلفاء، لإعجابهم به و بحديثه لفصاحته و علمه.

و كان به وضح يغيّره بزعفران، فكان عبد العزيز بن مروان- و هو أمير مصر-

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۳۶

يواكله، و يحتمل ما به من الوضح لإعجابه به؛ كذا نقله فى الإصابة؛ و هو صريح فى أنّه كان بمصر.

و قال المزّىّ فى التهذيب : ذكره ابن منده و غيره فى الصحابة، و كنّاه أبو عطية:

الشاعر؛ و قال: شامىّ مختلف فى صحبته.

و من شعره فى قتل عثمان:

إنّ الذين تولّوا قتله سفهالقوا أثاما و خسرانا و ما ربحوا

۱۷- الأكدر بن حمام بن عامر بن صعب اللّخمى. قال فى الإصابة: له إدراك.

قال سعيد بن عفير: شهد فتح مصر هو و أبوه.

و قال أبو عمر الكندىّ فى كتاب الخندق: حدّثنى يحيى بن أبى معاوية بن خلف ابن ربيعة؛ عن أبيه، حدّثنى الوليد بن سليمان، قال: كان أكدر علويّا، و كان ذا دين و فضل وفقه فى الدين، و جالس الصحابة، و روى عنهم. و هو صاحب الفريضة التى تسمّى الأكدرية ، و كان ممّن سار إلى عثمان؛ و كان معاوية يتألّف قومه به، و كان يكرمه؛ و يدفع إليه عطاءه، و يرفع مجلسه؛ فلمّا حاصر مروان أهل مصر، أجلب عليه الأكدر بقومه، و حاربه بكلّ أمر يكرهه؛ فلما صالح مروان أهل مصر، علم أنّ الأكدر سيعود إلى فعلاته؛ فألّب عليه قوما من أهل الشام، فادّعوا عليه قتل رجل منهم.

فدعاه، فأقاموا عليه الشهادة، فأمر بقتله. قال: فحدثنى موسى بن علىّ بن رباح، عن أبيه، قال: كنت واقفا بباب مروان، حين دعى الأكدر، فجاء و لم يدر فيم دعى له، فما كان بأسرع من أن قتل، فتنادى الجند: قتل الأكدر، قتل الأكدر! فلم يبق أحد حتّى لبس سلاحه، و حضروا باب مروان و هم زيادة على ثمانين ألف إنسان؛ فأغلق مروان بابه خوفا، فمضوا و ذهب دم الأكدر هدرا.

و روى أبو عمر الكندىّ من طريق ابن لهيعة، قال: مرض الأكدر بن حمام بالمدينة ليالى عثمان، فجاءه علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه عائدا، فقال: كيف تجدك؟ قال: بأبى أنت يا أمير المؤمنين! قال: كلّا لتعيشنّ زمانا، و يغدر بك غادر، و تصير إلى الجنّة إن شاء اللّه تعالى.

و قال ابن أبى شيبة: حدّثنا وكيع عن سفيان، قال: قلت للأعمش: لم سمّيتم

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۳۷

الفريضة الأكدريّة؟ قال: طرحها عبد الملك بن مروان على رجل يقال له الأكدر، و كان ينظر فى الفرائض، فأخطأ فيها.

قال فى الإصابة: لعلّه طرحها عليه قديما؛ و عبد الملك يطلب العلم بالمدينة، و إلا فالأكدر قتل قبل أن يلى عبد الملك الخلافة.

و روى ابن المنذر فى التفسير عن ابن جريج فى قوله تعالى: لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ [آل عمران: ۱۷۴]، قال: قدم رجل من المشركين من بدر، فأخبر أهل مكّة بخيل محمد، فرعبوا فجلسوا فقال:

نفرت قلوصى من خيول محمدو كتيبة منثورة كالعسجد

اتخذت ماء قديد موعد زعموا أنّه الأكدر بن حمام؛ أورده الحافظ ابن حجر رحمه اللّه فى الإصابة فى قسم المخضرمين؛ و هم من أدرك النبى صلى اللّه عليه و سلم و لم يسلم إلّا بعد وفاته؛ و هم صحابة فى قول ابن عبد البرّ و طائفة.

حرف الباء

۱۸- بحر- بضمّ أوّله و ضمّ المهملة أيضا- بن ضبع- بضمّتين أيضا- بن أنسة بن يحمد الرّعينىّ. قال ابن يونس: وفد على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و شهد فتح مصر. و قال فى ترجمة حفيده مروان بن جعفر بن خليفة بن بحر: كان شاعرا، و هو القائل:

و جدّى الّذى عاطى الرّسول يمينهو حنّت إليه من بعيد رواحله

قال: و حفيده الآخر أبو بكر بن محمّد بن بحر، ولى مراكب دمياط فى خلافة عمر بن عبد العزيز: ذكره ابن يونس.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۳۸

۱۹- برتا بن الأسود بن عبد شمس القضاعىّ. قال ابن يونس: له صحبة، شهد فتح مصر، و قتل يوم فتح الإسكندريّة.

۲۰- برح- بكسر أوله و سكون الراء بعدها مهملة- بن عسكر، بضم العين المهملة و سكون السين المهملة و ضمّ الكاف بعدها راء. كذا ضبطه ابن ماكولا، و نسبه إلى قضاعة.

و قال المنذرىّ: كان السّلفىّ يقول: عسكل بلام.

و قال ابن عبد الحكم: يقال: ابن حسكل، و الصّواب عسكل.

قال ابن يونس: له وفادة على النبى صلى اللّه عليه و سلم، و شهد فتح مصر و اختطّ بها و سكنها، و هو معروف من أهل البصرة.

۲۱- بسر- بضم أوّله و سكون المهملة- بن أرطأة، أو ابن أبى أرطاة. قال ابن حبّان: و هو الصواب. و قال فى الإصابة: و الأصحّ.

و اسم أبى أرطأة عمير بن عويمر القرشىّ العامرى أبو عبد الرحمن، مختلف فى صحبته ، و صحّح أنّه له صحبة: أهل الشام و ابن حبّان و الدّارقطنى.

قال ابن يونس: كان من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، شهد فتح مصر، و اختطّ بها، و كان من شيعة معاوية، شهد صفّين معه، و ولى البحرين له، و وسوس فى آخر أيّامه.

و قال ابن السّكن: مات و هو خرف .

و قال ابن حبّان: كان يلى لمعاوية الأعمال، و كان إذا دعا ربّما استجيب له.

قال ابن الربيع و ابن السكن: مات أيّام معاوية بدمشق.

و قال خليفة و ابن حبّان: مات فى أيّام عبد الملك بن مروان بالمدينة.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۳۹

و قال المسعودىّ : مات فى خلافة الوليد سنة ست و ثمانين.

و قال الواقدىّ: ولد قبل وفاة النبى صلى اللّه عليه و سلم بسنتين.

و قال يحيى بن معين: مات النبى صلى اللّه عليه و سلم و هو صغير.

و قال ابن الرّبيع: و لأهل مصر عنه حديث واحد و حكاية. ثمّ روى من طريق ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب، قال: كان بسر إذا ركب البحر قال: أنت بحر و أنا بسر، علىّ و عليك الطاعة للّه، سيروا على بركة اللّه.

و قال المزّىّ فى التهذيب: لم يرو عن النبىّ صلى اللّه عليه و سلم سوى حديثين: حديث: «لا تقطعوا الأيدى فى الغزو»، أخرجه أبو داود و التّرمذىّ و النسائىّ و حديث فى الدعاء، أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كان يقول: «اللهمّ أحسن عاقبتنا فى الأمور كلّها، و أجرنا

من خزى الدنيا و عذاب الآخرة».

۲۲- بشر بن ربيعة الخثعمىّ، و يقال الغنوىّ. قال أبو حاتم: مصرىّ له صحبة.

و قال ابن السّكن: عداده فى أهل الشام.

و قال ابن الربيع: دخل مصر؛ روى حديثه أحمد و البخارىّ فى التاريخ، و الطّبرانىّ و ابن السّكن و غيرهم، من طريق المنذر بن المغيرة المعافرىّ، عن عبيد اللّه بن بشر بن ربيعة الغنوىّ عن أبيه، أنّه سمع النبىّ صلى اللّه عليه و سلم يقول: «لتفتحنّ القسطنطينية، و لنعم الأمير أميرها، و لنعم الجيش ذلك جيشها». قال عبيد اللّه: فدعانى مسلمة بن عبد الملك، فسألنى، فحدّثته بهذا الحديث، فغزا القسطنطينية.

۲۳- بشير- بفتح أوله و كسر المعجمة- بن جابر بن عراب- بضم المهملة- العبسىّ. قال ابن يونس: وفد على النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و شهد فتح مصر و لا تعرف له رواية.

و قال فى الإصابة: ضبطه ابن السّمعانىّ بتحتيّة ثمّ بمهملة، مصغّر.

۲۴- بصرة الغفارىّ. قال فى الإصابة: له و لأبيه صحبة، معدود فيمن نزل

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۴۰

مصر. أخرج حديث مالك و الأربعة بسند صحيح.

و قال ابن حبّان: يقال إنّ له صحبة.

و قال المزّىّ فى التهذيب: له عن النبى صلى اللّه عليه و سلم حديث واحد، رواه عنه أبو هريرة، و هو حديث: «لا تعمل المطىّ إلّا إلى ثلاثة مساجد».

قلت: قد ذكره ابن سعد أيضا فيمن نزل مصر من الصّحابة، و قال: هو و أبوه و ابنه صحبوا النبى صلى اللّه عليه و سلم، و رووا عنه.

و قال الذّهبى فى التجريد: هو و أبوه صحابيّان نزلا بمصر.

۲۵- بلال بن حارث بن عصم بن سعيد بن قرّة المزنىّ، أبو عبد الرحمن. من أهل المدينة، أقطعه النبى صلى اللّه عليه و سلم العقيق، و كان صاحب لواء مزينة يوم الفتح، و كان يسكن وراء المدينة، ثمّ تحول إلى البصرة، ذكره ابن سعد فى الطبقة الثالثة من المهاجرين.

و قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، و توفّى سنة ستّين، و هو ابن ثمانين سنة.

۲۶- بدر بن عامر الهذلىّ. ذكر أبو الفرج الأصبهانىّ أنّه شاعر مخضرم، و أسلم فيمن أسلم فى عهد عمر، و نزل هو و ابن عمّه مصر، و أورد له فى ذلك أشعارا.

ذكره فى الإصابة فى قسم المخضرمين.

حرف التاء

۲۷- تميم بن أوس بن حارثة الدارىّ، أبو رقيّة- بقاف مصغّر- من مشاهير

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۴۱

الصحابة، أسلم سنة تسع، هو و أخوه نعيم، و ذكر للنبى صلى اللّه عليه و سلم قصّة الجسّاسة و الدجّال؛ فحدّث عنه النبىّ صلى اللّه عليه و سلم بذلك على المنبر، و عدّ ذلك من مناقبه؛ و أورده أهل الحديث أصلا لرواية الأكابر عن الأصاغر؛ و كان نصرانيّا من علماء أهل الكتاب.

قال أبو نعيم: و كان راهب أهل عصره، و عابد فلسطين، و غزا مع النبىّ صلى اللّه عليه و سلم.

و هو أول من أسرج السّراج فى المسجد، و أوّل من قصّ، و ذلك فى خلافة عمر.

قال ابن الربیع: شهد فتح مصر؛ و لأهل مصر عنه حدیث واحد، و سکن فلسطین بعد قتل عثمان، و کان النبیّ صلی اللّه علیه و سلم أقطعه بها قریة عینون . مات سنة أربعین.

۲۸- تمیم بن إیاس بن البکیر اللیثیّ. تقدّم والده؛ ذکره ابن یونس، و قال: شهد فتح مصر، و قتل بها مع من استشهد.

و قال فی الإصابة: و کان ذلک سنة عشرین؛ و مقتضاه أن یکون ولد فی عهد النبی صلی اللّه علیه و سلم.

۲۹- تبیع بن عامر الحمیریّ أبو عبیدة ، ابن امرأة کعب الأحبار. قال فی الإصابة فی قسم المخضرمین: أدرک الجاهلیة.

و ذکره خلیفة فی الطبقة الأولی من أهل الشام.

و ذکره أبو بکر البغدادی فی الطبقة العلیا من أهل حمص: الّتی تلی الصحابة.

قال: و کان رجلا دلیلا للنّبی صلی اللّه علیه و سلم، فعرض علیه الإسلام، فلم یسلم، حتّی توفّی النبیّ صلی اللّه علیه و سلم فأسلم مع أبی بکر.

قال ابن یونس: مات بالإسکندریة سنة إحدی و مائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۴۲

حرف الثاء

۳۰- ثابت بن الحارث -، و یقال ابن حارثة- الأنصاریّ. قال الذهبیّ فی التجرید: یعدّ فی المصریین، روی عنه الحارث بن یزید.

و قال البغویّ: لا أعلم له غیر حدیث واحد.

قال فی الإصابة: بل له حدیثان آخران، و الثلاثة من طریق ابن لهیعة عن الحارث ابن یزید عنه.

و قال الحسینیّ: مصریّ شهد بدرا.

۳۱- ثابت بن رویفع- و یقال رفیع- الأنصاریّ. قال ابن أبی حاتم: ثابت بن رویفع، له صحبة، سمعت أبی یقول: هو شامیّ. و هو عندی رویفع بن ثابت .

و قال ابن السّکن: نزل مصر.

و روی البخاریّ فی تاریخه و ابن منده و ابن السکن من طریق الحسن البصریّ، قال: أخبرنی ثابت بن رویفع من أهل مصر- و کان یؤمّر علی السرایا- سمعت رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم یقول: «إیاکم و الغلول»، الحدیث.

و قال ابن یونس: ثابت بن رویفع بن ثابت بن السّکن الأنصاریّ، روی عن ابن أبی ملیکة البلویّ، روی عنه یزید بن أبی حبیب، و قد روی الحسن البصریّ عن ثابت ابن رفیع من أهل مصر، و أظنّه ثابت بن رویفع، هذا، فإنّ أباه معروف الصحبة فی المصریین.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۴۳

و قال البخاریّ فی کتاب الصحابة: ثابت بن رویفع بن ثابت الأنصاریّ المصریّ و کان یؤمّر علی السرایا؛ سمع من النبیّ صلی اللّه علیه و سلم حدیث: «إیّاکم و الغلول فی المصریین».

۳۲- ثابت بن طریف المرادیّ. قال فی الإصابة: شهد فتح مصر، و له صحبة، ذکره ابن منده عن ابن یونس.

۳۳- ثابت بن النعمان بن أمیّة بن امرئ القیس أبو حیّة. شهد فتح مصر. قاله ابن البرقیّ و ابن یونس: و لیس هو البدریّ، و وهم ابن منده فوحّدهما.

۳۴- ثابت مولی الأخنس بن شریق. قال فی الإصابة: ذکر عبدان أنّه شهد بدرا، و لا تعرف له روایة، و قد شهد فتح مصر. أخرجه أبو موسی.

و قال الذهبیّ فی التجرید: مهاجر شهد فتح مصر.

۳۵- ثعلبة الأنصاریّ ، والد عبد الرحمن. نزیل مصریّ، روی عنه ابنه عبد الرحمن حدیثا فی السرقة. أخرجه ابن ماجه. قاله فی الإصابة.

۳۶- ثعلبة بن أبی رقیّة اللخمیّ. شهد فتح مصر، ذکره ابن یونس، و أخرجه ابن منده.

۳۷- ثوبان بن یجدد - و یقال ابن جحدر- مولی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، من أهل السّراة، أصابه سباء فاشتراه النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، فأعتقه، و لم یزل معه فی الحضر و السّفر، حتّی توفّی صلی اللّه علیه و سلم، فخرج إلی الشام، فنزل الرملة، ثمّ انتقل إلی حمص، فأقام بها إلی أن مات بها سنة أربع و خمسین. قال ابن کثیر: و یقال: إنه توفّی بمصر.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۴۴

و قال ابن الرّبیع: شهد فتح مصر و اختطّ بها، و لهم عنه حدیث واحد.

و روی ابن السکن عن ثوبان، أنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم دعا لأهله، فقلت: أنا من أهل البیت؟ فقال فی الثالثة: نعم، ما لم تقم علی باب سدّة، أو تأتی أمیرا تسأله.

و روی أبو داود عن ثوبان، قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: «من تکفّل لی ألّا یسأل الناس و أتکفّل له بالجنة؟»، فقال ثوبان: أنا، فکان لا یسأل أحدا شیئا.

۳۸- ثمامة الرّدمانیّ، مولاهم. قال فی الإصابة: له إدراک، شهد مع مولاه خارجة بن عراک فتح مصر صحبة عمرو بن العاص، ذکره ابن یونس.

۳۹- ثمامة بن أبی ثمامة بکر الجذامیّ أبو سوادة. قال فی التجرید: له ذکر فی تاریخ مصر و صحبة.

حرف الجیم

۴۰- جابر بن أسامة الجهنیّ. یکنی أبا سعاد. نزل مصر، و مات بها، قاله ابن یونس.

۴۱- جابر بن عبد اللّه بن عمرو بن حرام الأنصاریّ، یکنی أبا عبد اللّه و أبا عبد الرحمن و أبا محمد، أحد المکثرین عن النبی صلی اللّه علیه و سلم، روی مسلم عنه، أنّه غزا مع النبی صلی اللّه علیه و سلم تسع عشرة غزوة.

و فی مصنّف وکیع، عن هشام بن عروة، قال: کان لجابر بن عبد اللّه حلقة فی المسجد النبویّ، یؤخذ عنه العلم.

قال ابن الربیع: قدم مصر علی عقبة بن عامر- و یقال علی عبد اللّه بن أنیس- یسأله عن حدیث القصاص، و ذلک فی أیام مسلمة بن مخلّد. و لأهل مصر عنه نحو عشرة أحادیث.

أخرج البغویّ، عن قتادة، قال: کان آخر أصحاب النبیّ صلی اللّه علیه و سلم موتا بالمدینة جابر، بعد أن عمی.

قال ابن حبّان: مات بعد أن عمی سنة ثمان و سبعین- و قیل سنة سبع، و قیل

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۴۵

سنة أربع، و قیل سنة ثلاث- و ستین و قیل إنه عاش أربعا و تسعین سنة.

ذکر الحدیث الذی رحل فیه جابر بن عبد اللّه إلی مصر:

قال ابن عبد الحکم: حدّثنا عبد اللّه بن یوسف، حدّثنا سعید بن عبد العزیز التنوخیّ قال: قدم جابر بن عبد اللّه علی مسلمة بن مخلّد- و هو أمیر علی مصر- فقال له: أرسل إلی عقبة بن عامر الجهنی حتّی أسأله عن حدیث سمعه من رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، فأرسل إلیه.

و قال ابن الربیع: حدّثنی أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، حدّثنی عمّی ابن وهب، حدّثنی محمد بن مسلم الطائفیّ، عن القاسم بن عبد الواحد، عن عبد اللّه بن محمد بن عقیل بن أبی طالب، عن جابر بن عبد اللّه الأنصاریّ، قال: کان عبد اللّه بن أنیس الجهنیّ- و کان عداده فی الأنصار- یحدّث عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم حدیثا فی القصاص. قال جابر بن عبد اللّه: فخرجت إلی السوق،

فاشتريت بعيرا، ثمّ شددت عليه رحلا، ثمّ سرت إليه شهرا، فلما قدمت عليه مصر، سألت عنه؛ حتى وقفت على بابه، فسلّمت، فخرج إلىّ غلام أسود، فقال: من أنت؟ قلت: جابر بن عبد اللّه، فدخل عليه؛ فذكر ذلك، فقال: قل له: أصاحب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم؟ فخرج الغلام، فقال ذلك، فقلت: نعم، فخرج إلىّ و التزمنى و التزمته، فقال: ما جاء بك يا أخى؟ قلت:

حديث تحدّث به عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى القصاص، لم يبق أحد يحدّث به عن رسول اللّه غيرك، أردت أن أسمعه منك قبل أن تموت أو أموت، قال: نعم، سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يقول: «إذا كان يوم القيامة حشر اللّه النّاس حفاة عراة غرلا بهما، ثمّ جلس على كرسيه تبارك و تعالى، ثمّ ينادى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب يقول: أنا الملك الديّان، لا ظلم اليوم؛ لا ينبغى لأحد من أهل الجنّة يدخل الجنّة، و لا ينبغى لأحد من أهل النّار يدخل النار عنده مظلمة، حتّى لطمة بيد»، قيل: يا رسول اللّه، فكيف؛ و إنّما نأتى اللّه يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما؟ قال: «من الحسنات و السيئات»، قال له بعض القوم: ما البهم؟ قال: سألت عنها جابر بن عبد اللّه فقال: الّذين لا شىء معهم.

قال ابن الربيع: و حدّثنا علىّ بن الحسن بن الربيع بن إسحاق، عن أحمد بن يحيى بن دريد، عن أبى نعيم، عن ابن المبارك، عن داود، عن عبد الرحمن العطار،

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۴۶

عن القاسم بن عبد الواحد بن محمد بن عقيل، عن جابر بن عبد اللّه، قال: سرت إلى عبد اللّه بن أبى أنيس و هو بمصر أسأله عن حديث ... ثمّ ذكره.

۴۲- جابر بن ماجد الصّدفىّ. قال ابن يونس: وفد على النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و شهد فتح مصر؛ و روى ابن لهيعة، عن عبد الرحمن بن قيس بن جابر الصّدفىّ، عن أبيه، عن جدّه مرفوعا، قال: «سيكون بعدى خلفاء، و بعد الخلفاء أمراء، و بعد الأمراء ملوك، و بعد الملوك جبابرة، و بعد الجبابرة يخرج رجل من أهل بيتى، يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا؛ ثمّ يكون من بعده القحطانىّ؛ و الّذى نفس محمد بيده ما هو بدونه».

قال فى الإصابة: و قد خالف فيه الأوزاعىّ، فرواه عن قيس بن جابر، عن أبيه، عن جدّه؛ فعلى هذا فالرواية لماجد، والد جابر، و يكون الضمير فى رواية ابن لهيعة فى قوله: «عن جدّه» يعود إلى قيس. انتهى.

قلت: قال ابن الربيع: جابر الصّدفىّ، و يقال: قيس الصدفىّ، و أورد الحديث من طريق ابن لهيعة، عن عبد الرحمن بن جابر بن قيس، عن أبيه عن جدّه، ثمّ قال: روى عبد الرحمن بن قيس بن جابر. و اللّه أعلم.

۴۳- جابر بن ياسر بن عويص- بمهملتين بوزن قدير- الرّعينى القتبانىّ. قال ابن منده: له ذكر فى الصحابة. و قال ابن يونس: شهد فتح مصر؛ و هو جدّ عباس بن جابر، لا يعرف له حديث.

۴۴- جاحل أبو محمد الصّدفىّ. روى ابن منده من طريق ابن وهب؛ حدّثنا أبو الأشيم مؤذّن مسجد دمياط، عن شرحبيل بن يزيد، عن محمّد بن مسلم بن جاحل، عن أبيه، عن جدّه، عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، قال: «إنّ أحصناهم لهذا القرآن من أمّتى منافقوهم»، قال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلّا من هذا الوجه.

و ذكره أبو نعيم، فقال: ليست له صحبة؛ و لم يذكره أحد من المتقدّمين و لا من المتأخّرين.

قال فى الإصابة: و قد ذكره محمد بن الرّبيع الجيزىّ فى تاريخ الصحابة الّذين نزلوا مصر، و قال: لا نعرف له حضور الفتح، و لا خطّة بمصر، و للمصريّين عنه حديث واحد، و ذكره.

و ذكره أيضا ابن يونس و ابن زيد؛ فلابن منده فيهم أسوة. انتهى.

قلت: قال ابن الرّبيع: و لم يرو عنه غير أهل مصر فيما أعلم.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۴۷

۴۵- جبارة- بالكسر و التخفيف- بن زرارة البلوىّ. قال ابن يونس: صحب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و شهد فتح مصر، و ليست له رواية.

و قال ابن الرّبيع: بايع تحت الشجرة، و شهد فتح مصر، و كان اسمه حبارة، فسمّاه النبىّ جبارة.

۴۶- جبر بن عبد اللّه القبطىّ، مولى بنى غفار، و يقال مولى أبى بصرة الغفارىّ.

قال فى الإصابة: حكى ابن يونس عن الحسن بن علىّ بن خلف بن قديد، أنّه كان رسول المقوقس بمارية إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم.

قال الحسن: و قد رأيت بعض ولده بمصر.

قال فى التجريد: قال سعيد بن عفير: و القبط تفتخر بأنّ منهم من صحب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم.

و قال هانىء بن المنذر: مات سنة ثلاث و ستين.

و ذكر ابن ماكولا- جبر بن أنس بن سعد بن عبد اللّه من عبد ياليل بن حرام بن غفار الغفارىّ، و قال: و هو جبر بن عبد اللّه القبطىّ. انتهى.

قلت: و فى فتوح عبد الحكم ما نصّه: تزعم القبط أنّ رجلا منهم قد صحب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، يريدون جبرا؛ و هو كان رسول المقوقس إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بمارية و أختها و ما أهدى معهما.

۴۷- جبلة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيد الأنصارىّ، أخو أبى مسعود البدرىّ. ذكره الطبرانىّ فيمن شهد صفّين مع علىّ فى الصحابة.

و روى البخارىّ فى تاريخه و ابن السّكن من طريق بكير بن الأشجّ، عن سليمان بن يسار، أنّهم كانوا فى غزوة بالمغرب مع معاوية بن حديج، فنفّل النّاس و معه أصحاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، فلم يرد ذلك غير جبلة بن عمرو الأنصارىّ. و رواه ابن منده و ابن الربيع من طريق خالد بن أبى عمران، عن سليمان بن يسار، أنّه سئل عن النّفل فى الغزو، فقال:

لم أر أحدا يعطيه، غير ابن حديج، نفّلنا فى إفريقيّة الثلث بعد الخمس، و معنا من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من المهاجرين الأوّلين ناس كثير، فأبى جبلة بن عمرو الأنصارىّ أن يأخذ منه شيئا.

و قال فى التجريد: شهد أحدا، و شهد فتح مصر، و شهد صفّين، و غزا إفريقيّة مع

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۴۸

معاوية بن حديج سنة خمسين. و كان فاضلا من فقهاء الصحابة. قاله ابن عبد البرّ.

و قال: روى عنه من أهل المدينة ثابت بن عبيد و سليمان بن يسار.

و قال ابن سيرين: كان بمصر رجل من الأنصار يقال له جبلة، صحابىّ جمع بين امرأة رجل و ابنته من غيرها.

۴۸- جدرة- بضمّ ثم سكون- بن سبرة الثّقفىّ. قال ابن يونس: له صحبة، و شهد فتح مصر.

۴۹- جديع بن نذير - بالتصغير فيهما- المرادىّ الكعبىّ. قال ابن يونس فى تاريخ مصر: له صحبة، و خدم النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و لا أعلم له رواية؛ و هو جدّ أبى ظبيان عبد الرحمن بن مالك.

۵۰- جرهد بن خويلد بن بحرة الأسلمىّ أبو عبد الرحمن. كان من أهل الصّفّة.

قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، روى الطبرانىّ عن جرهد أنّه أكل بيده الشمال، فقال له النبىّ صلى اللّه عليه و سلم: «كل باليمين»، فقال: إنّها مصابة، فنفث عليها فما شكا حتّى مات.

قال الواقدىّ: كانت له صحبة و له دار بالمدينة، و مات بها فى آخر خلافة يزيد.

و قال غيره: مات سنة إحدى و ستين.

۵۱- جعثم الخير بن خليبة بن ساجى بن موهب الصّدفىّ. بايع تحت الشجرة، و كساه النبىّ صلى اللّه عليه و سلم قميصه و نعليه، و

أعطاه من شعره. قال ابن يونس: شهد فتح مصر.

و وهم ابن عبد البرّ حيث قال: إنّه قتل فى الرّدّة لتصحيف وقع له؛ نبّه عليه فى الإصابة.

۵۲- جميل بن معمر بن حبيب الجمحىّ . قال المبرّد فى الكامل: له صحبة، حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة ؛ ج ۱ ؛ ص ۱۴۹

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۴۹

و كان قاضيا لعمر بن الخطاب، و لا نسب بينه و بين جميل العذرىّ الشاعر، المشهور صاحب بثينة، و هو الذى أخبر قريشا بإسلام عمر حين أخبره، و استكتمه، ثمّ أسلم، و شهد فتح مكّة و حنينا.

قال ابن يونس: و شهد فتح مصر، و مات فى أيّام عمر، و حزن عليه حزنا شديدا؛ و قارب المائة، فإنّه شهد فتح الفجار و هو رجل؛ و كان أبوه من كبار الصحابة.

۵۳- جنادح بن ميمون. قال ابن منده عن ابن يونس: يعدّ فى الصحابة، و شهد فتح مصر.

۵۴- جنادة بن أميّة الأزدىّ ، أبو عبد اللّه الشامىّ. مختلف فى صحبته. قال فى الإصابة: و قد روى حديثين صحيحين دالّين على صحّة صحبته، قال: و لم يصحّ عندى اسم أبيه.

و قال ابن يونس: كان من الصحابة، شهد فتح مصر، و روى عنه أهلها، و ولى البحر لمعاوية. و كذا قال ابن الربيع.

قال خليفة: مات سنة ثمانين، و قال فى التّجريد: له صحبة، شهد فتح مصر، و اسم أبيه كثير.

۵۵- جنادة بن مالك الأزدىّ. قال فى التّجريد: نزل مصر. قال: و قد قال ابن سعد: إنّه غير جنادة بن أبى أميّة، و تابعه على ذلك ابن عبد البرّ.

زاد فى الإصابة: و فرّق بينهما أيضا أبو حاتم و غير واحد.

و أنكر عبد الغنى بن سرور المقدسىّ على أبى نعيم الجمع بينهما، قال: و جمع بينهما أيضا ابن السّكن و ابن منده، و الذى يظهر أنّه و هم.

۵۶- جناب بن مرثد أبو هانىء الرّعينىّ. أسلم فى عهد النبى صلى اللّه عليه و سلم و بايع معاذا باليمن

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۵۰

ثمّ شهد فتح مصر. ذكره ابن يونس و غيره. و أورده فى الإصابة فى قسم المخضرمين.

حرف الحاء

۵۷- حابس بن ربيعة التميمىّ . قال ابن حبّان: له صحبة. و قال ابن السّكن:

يعدّ فى المصريين، و روى عنه ابنه حيّة- بتشديد التحتية- أنّه سمع النبى صلى اللّه عليه و سلم، يقول:

«العين حقّ» رواه أحمد و البخارىّ فى تاريخه، و الترمذى، و ابن خزيمة.

۵۸- حابس بن سعيد الثمالىّ، ذكره عبد الصمد بن سعيد الحمصىّ فى تسمية من نزل بحمص من الصحابة، قال: و كان بحمص، ثمّ ارتحل إلى مصر.

۵۹- الحارث بن تبيع الرّعينىّ. ذكر عبد الغنى بن سعيد، عن ابن يونس أنّه وفد على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، ثمّ شهد فتح مصر و أبوه، ضبطه عبد الغنى بضم الفوقية، و ابن ماكولا بفتحها.

۶۰- الحارث بن حبيب بن خزيمة بن مالك بن جبل بن عامر بن لؤىّ القرشىّ العامرى. ذكره خليفة بن خيّاط فيمن نزل مصر من الصحابة، قال: و قتل بإفريقية مع معبد بن العباس بن عبد المطلب.

۶۱- الحارث بن العباس بن عبد المطلب الهاشمىّ، ابن عمّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم.

قال ابن عبد البرّ: له روایة. و أمّه حجیلة بنت جندب الهلالیة؛ و قیل أمّ ولد؛ غضب أبوه علیه العبّاس، فطرده إلی الشام، فسار إلی الزّبیر بمصر، فقدم به الزّبیر علی العبّاس، و شفع له. قاله ابن الکلبیّ و غیره.

۶۲- حاطب بن أبی بلتعة - بفتح الموحدة و الفوقیّة و المهملة و لام ساکنة- ابن

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۵۱

عمرو بن عمیر اللّخمی. شهد بدرا، و دخل مصر رسولا من النبی صلی اللّه علیه و سلم إلی المقوقس، ثمّ ورد علیه أیضا رسولا من أبی بکر. روی مسلم عن جابر أنّ عبدا لحاطب بن أبی بلتعة جاء یشکو حاطبا، فقال: یا رسول اللّه؛ لیدخلنّ حاطب النار، فقال: «لا، إنّه شهد بدرا و الحدیبیة»، مات سنة ثلاثین، و له خمس و ستون سنة.

قال ابن عبد البرّ: لا أعلم له غیر حدیث واحد: «من زارنی بعد موتی ...» الحدیث، و وجد له ثلاثة أحادیث غیره.

۶۳- حبّان - بکسر أوله علی المشهور، و قیل بفتحها و هو بالموحدة، و قیل بالتحتانیة- ابن بحّ- بضم الموحدة بعدها مهملة مشدّدة. أنصاریّ. ذکره ابن الربیع، و قال: لأهل مصر عنه حدیث واحد. و له عند الطّبرانیّ حدیثان.

و قال فی التجرید: له وفادة، و شهد فتح مصر.

۶۴- حبّان - بالکسر و موحّدة- ابن أبی جبلة. قال فی الإصابة: له إدراک. قال ابن یونس: بعثه عمر بن الخطاب إلی أهل مصر یفقّههم.

و ذکره ابن حبان فی ثقات التابعین. و قال غیره: مات بإفریقیّة.

۶۵- حبیب بن أوس - أو ابن أبی أوس- الثّقفیّ، ذکره ابن یونس فیمن شهد فتح مصر. قال فی الإصابة: فدلّ علی أنّ له إدراکا، و لم یبق من ثقیف فی حجّة الوداع أحد إلا و قد أسلم، و شهدها فیکون صحابیّا.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۵۲

و قد ذکره ابن حبّان فی ثقات التابعین.

۶۶- الحجاج بن خلی السّلفیّ- بضم أوله و فتح اللام وفاء-. قال ابن یونس: له صحبة فیما قیل، و لا أعلم له روایة.

۶۷- حذیفة بن عبید المرادیّ. قال فی التجرید: أدرک الجاهلیّة، و شهد فتح مصر.

زاد فی الإصابة: و لا تعرف له روایة فیما ذکره ابن منده، عن ابن یونس.

۶۸- حزام بن عوف البلویّ. من بنی جعل، قال فی الإصابة: بکسر أوّله و زای.

ذکره ابن الربیع فیمن نزل مصر من الصّحابة، و حکی عن سعید بن عفیر أنّه ممّن بایع تحت الشجرة فی رهط من قومه.

و قال فی التجرید: بالراء، له صحبة، و شهد فتح مصر. قاله ابن یونس.

۶۹- حرملة بن سلمی. من بنی برد. قال فی الإصابة: له إدراک، شهد فتح مصر ذکره الکندیّ.

۷۰- حسّان بن أسد- و فی التجرید: ابن سعید- الحجریّ. ذکر ابن یونس أنّه له صحبة، و أنّه شهد فتح مصر.

۷۱- الحکم بن الصّلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف القرشیّ. قال فی التجرید: شهد فتح مصر؛ و شهد خیبر، و کان من رجال قریش، استخلفه محمد بن أبی حذیفة علی مصر لمّا سار إلی عمرو بن العاص بالعریش، و له حدیث أخرجه أبو موسی من طریق ابن وهب عن حرملة بن عمران، عن عبد العزیز بن حبّان، عن الحکم بن الصلت، رفعه: «لا تقدّموا بین أیدیکم فی صلاتکم و علی جنائزکم سفهاءکم».

۷۲- حمرة- بضم أوله و بالراء- ابن عبد کلال بن عریب الرّعینیّ. أدرک الجاهلیة، و سمع من عمر، و ذکره أبو زرعة فی الطبقة العلیا الّتی تلی الصّحابة.

و قال ابن یونس: شهد فتح مصر، و روی عنه رشدان بن سعد و غیره، و وثّقه ابن حبّان.

۷۳- حمزة بن عمرو الأسلمىّ المدنىّ أبو صالح. و قيل: أبو محمد. قال ابن الرّبيع: شهد فتح مصر.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۵۳

و فى التهذيب للمزّى أنّه الذى بشّر كعب بن مالك بتوبة اللّه عليه. مات سنة إحدى و ستّين، و له إحدى و سبعون سنة. حديثه فى الصحيحين.

۷۴- حميل - بالتصغير- بن بصرة بن أبى بصرة الغفارىّ. ذكره ابن سعد فيمن نزل من الصحابة، و قال صحب النبى صلى اللّه عليه و سلم مع أبيه و جدّه. و روى عنه.

و ذكره البخارىّ فى تاريخ الصحابة، و قال: حديثه فى المصريّين. قال: و يقال جميل، و هو وهم.

و قال علىّ بن المدينى: سألت شيخا من بنى غفار، فقلت له: هل يعرف فيكم جميل بن بصرة؟ قتله بفتح الجيم، فقال: صحّفت يا شيخ؛ و اللّه إنّما هو حميل، بالتصغير و المهملة، و هو جدّ هذا الغلام- و أشار إلى غلام معه.

۷۵- حنظلة صاحب النبى صلى اللّه عليه و سلم. دخل مصر، كذا ذكره ابن الرّبيع و لم يزد عليه.

قلت: فى الصحابة جماعة يسمّون بهذا الاسم، و أقربهم إلى هذا حنظلة الثّقفىّ، أحد من نزل حمص، روى عنه غطيف بن الحارث، أو حنظلة بن الطّفيل السّلمىّ، أحد الأمراء فى فتوح الشام.

۷۶- حيّان - بالتحتية- ابن كرز البلوىّ. شهد فتح مصر، و له صحبة. قاله ابن يونس.

۷۷- حيىّ- بتحتيتين مصغّر- بن حرام اللّيثى. قال ابن الربيع: لأهل مصر عنه حديث واحد، و ذكره ابن يونس فى تاريخ مصر، و قال له صحبة.

و قال ابن السّكن: له صحبة، عداده فى المصريين.

و قال القضاعىّ فى الخطط: يقال إنّ له صحبة. و قال فى التجريد: نزل بالشّام.

۷۸- حيويل بن ناشرة بن عبد عامر الكنفىّ أبو ناشرة. قال فى الإصابة: أدرك النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و لم يره، و شهد فتح مصر و صفّين مع معاوية، و هو جدّ قرّة بن عبد الرحمن ابن حيويل.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۵۴

۷۹- حيوة بن مرثد التّجيبىّ ، ثمّ الأندونىّ. قال فى الإصابة: له إدراك، و شهد فتح مصر، و لا أعلم له رواية.

حرف الخاء

۸۰- خارجة بن حذافة بن غانم بن عامر العدوىّ. أحد الفرسان؛ قيل: كان يعدّ بألف فارس؛ و هو من مسلمة الفتح، و أمدّ به عمر عمرو بن العاص، فشهد معه فتح مصر، و اختطّ بها. و كان على شروط عمرو بن العاص، فحصل لعمرو ليلة مغص، فاستخلفه على الصلاة، فقتله الخارجىّ الذى انتدب لقتل عمرو، و هو يظنّه عمرا، و قال: أردت عمرا و أراد اللّه خارجة؛ و ذلك ليلة قتل علىّ بن أبى طالب، و فيه يقول الشاعر :

فليتها إذ فدت عمرا بخارجةفدت عليّا بمن شاءت من البشر

له حديث واحد فى الوتر. قال ابن الربيع: لم يرو عنه غير المصريين.

قال فى المرآة؛ و له من الولد: عبد الرحمن و أبان.

۸۱- خالد بن ثابت بن ظاعن العجلانى الفهمىّ. قال ابن يونس: شهد فتح مصر، و ولى بحر مصر سنة إحدى و خمسين، و أغزاه مسلمة بن مخلّد إفريقيّة سنة أربع و خمسين.

قال فى الإصابة: ذكرته اعتمادا على أنّهم كانوا لا يؤمّرون فى الفتوح إلّا الصحابة.

۸۲- خالد بن العنبس. صحابیّ دخل مصر، و لا تعرف له روایة، کذا قاله ابن الربیع. و ذکر سعید بن عفیر أنّه من بلیّ ، و أنّه بایع تحت الشجرة، و شهد فتح مصر.

و ذکره ابن یونس أیضا. و تعقب مغلطای علی ابن الأثیر فی نقله إیّاه عن ابن الربیع الجیزیّ، بأنه لیس فی کتاب ابن الربیع.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۵۵

قلت: لیس کما زعم، بل هو فی آخر کتابه کما سبقت عبارته أوّل الترجمة.

۸۳- خرشة بن الحارث - و یقال له: ابن الحرّ- المحاربیّ الأزدیّ. قال ابن السّکن: له صحبة، نزل مصر.

و ذکره ابن سعد فیمن نزل مصر من الصحابة.

و ذکره ابن الربیع، و قال: لأهل مصر عنه حدیث واحد.

و قال فی التجرید: له وفادة، و شهد فتح مصر.

و قال فی الإصابة: الراجح بن الحارث، و أمّا خرشة بن الحرّ فرجل آخر تابعیّ، و قد فرّق بینهما البخاریّ و ابن حبّان.

و قال الحسینیّ فی رجال السند: خرشة بن الحارث أبو الحارث المرادیّ، نزل مصر، له صحبة و روایة عند یزید بن أبی حبیب.

۸۴- خزیمة بن الحارث. مصریّ له صحبة، حدیثه عن ابن لهیعة، عن یزید بن أبی حبیب، قاله ابن عبد البرّ، و تبعه فی التجرید.

قال فی الإصابة : أظنّه و هما نشأ عن تصحیف، و إنّما هو خرشة بن الحارث.

۸۵- خلید المصریّ. قال بکر بن عبد اللّه المزنیّ: إنّ رجلا یقال له خلید، له صحبة کان بمصر، کذا فی التجرید تبعا لعبدان و الباوردیّ.

قال فی الإصابة: و هو غلط نشأ عن تصحیف؛ و المحفوظ أنه مسلمة بن مخلد ، روی عنه یزید بن أبی حبیب، قاله ابن لهیعة.

۸۶- خارجة بن عقال الرّعینیّ الرّمادیّ: قال فی الإصابة: له إدراک، شهد فتح مصر .

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۵۶

۸۷- خیار بن مرثد التّجیبیّ ثمّ الأندونی. قال فی الإصابة: له إدراک. قال ابن یونس: شهد فتح مصر، و کان رئیسا فیهم.

قلت: أخشی أن یکون تصحّف بحیوة بن مرثد السابق.

حرف الدال

۸۸- دحیة بن خلیفة بن فروة بن فضالة الکلبیّ. من مشاهیر الصحابة، أوّل مشاهده الخندق- و قیل أحد- و کان یضرب به المثل فی حسن الصورة، و کان جبریل علیه الصلاة و السلام ینزل علی صورته. روی العجلیّ فی تاریخه عن عوانة بن الحکم قال: أجمل الناس من کان جبریل ینزل علی صورته.

و عن ابن عبّاس: کان دحیة إذا قدم المدینة لم یبق معصر إلا خرجت تنظر إلیه. ذکره ابن قتیبة فی الغریب.

و هو رسول النبیّ صلی اللّه علیه و سلم إلی قیصر. قال ابن البرقیّ: له حدیث عن النبیّ صلی اللّه علیه و سلم.

و قال فی الإصابة: اجتمع لنا عنه نحو ستة أحادیث. قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، و قد نزل دمشق و سکن المزّة ، و عاش إلی خلافة معاویة.

۸۹- دمّیون. قال فی الإصابة: رفیق المغیرة بن شعبة فی سفره إلی المقوقس بمصر، و له معه قصّة فی قتل المغیرة و رفیقة و أخذه أسلابهم، و مجیئه إلی النبیّ صلی اللّه علیه و سلم فقبل منه الإسلام، و لم یتعرّض للمال. ذکره الواقدیّ.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۵۷

۹۰- دیلم بن هوشع الجیشانیّ الحمیریّ- و یقال: هو ابن أبی دیلم، و یقال:

ابن فيروز - قال فى الإصابة: صحابىّ، سأل النبى صلى اللّه عليه و سلم عن الأشربة و غير ذلك، و نزل مصر، فروى عنه أهلها.

قال ابن يونس: كان أوّل وافد وفد على النبىّ صلى اللّه عليه و سلم من عند معاذ بن جبل من اليمن، و شهد فتح مصر- و روى عنه أبو الخير مرثد. و قد ذكر جماعة أنّه يكنى أبا وهب ، و ردّه ابن يونس بأنّ تلك كنية رجل آخر، جيشانى تابعىّ، و صوّبه فى الإصابة. و صوّب أنّ اسم أبى الصحابى هوشع. و قال: إنّ أبا الخير مرثد المصرى تفرّد بالرواية عنه.

و ذكر ابن الربيع أنّه من موالى بنى هاشم، قال: و لأهل مصر عنه حديث واحد.

و قال بعضهم فى اسمه: دليم، قال فى الإصابة: و الصواب ديلم.

حرف الذال

۹۱- ذو قربات- بفتحات- الحميرىّ، ذكره ابن عبد الحكم فيمن دخل مصر من الصحابة.

و قال ابن يونس: يقال إنّ له صحبة، و قال ابن منده: اختلف فى صحبته. و قال فى التجريد: الصحيح أنّه لا صحبة له.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۵۸

حرف الراء

۹۲- رافع بن ثابت. أكل مع النبىّ صلى اللّه عليه و سلم رطبا . نزل مصر، كذا فى التجريد.

قال فى الإصابة: هو رويفع بن ثابت ، فرّق بينهما ابن منده، و هما واحد. قاله أبو نعيم.

۹۳- رافع بن مالك: ذكره الكندىّ فيمن دخل مصر من الصحابة.

و الذى فى الإصابة بهذا الاسم رافع بن مالك بن العجلانى الزّرقىّ ، شهد العقبة و كان أحد النقباء.

۹۴- ربيعة بن زرعة الحضرمىّ. من أصحاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، شهد فتح مصر، قاله اب يونس؛ ذكره فى التجريد و الإصابة.

۹۵- ربيعة بن شرحبيل بن حسنة . قال ابن الربيع: صحابىّ شهد فتح مصر، و لا يعرف له حديث.

و قال فى التجريدة: له رواية، شهد فتح مصر، و روى عنه ابنه جعفر.

و قال ابن يونس: يقال إنّ عمرو بن العاص استعمله على بعض العمل.

۹۶- ربيعة بن عباد الدّيلىّ . قال ابن الرّبيع: ذكره الواقدىّ فيمن دخل مصر من الصحابة لغزو الغرب. قال فى الإصابة: و أبوه بكسر المهملة و تخفيف الموحّدة على الصواب؛ و يقال بالفتح و التشديد. قال ابن عبد البرّ: عمّر ربيعة طويلا. و ذكر خليفة و ابن سعد أنّه مات فى خلافة الوليد.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۵۹

۹۷- ربيعة بن الفراس- و يقال: الفارسىّ. قال فى التجريد و الإصابة: يعدّ فى المصريين، روى عنه زياد بن نعيم، و ذكره ابن يونس.

۹۸- رشيد بن مالك أبو عميرة المزنىّ- بفتح العين- من أصحاب النبى صلى اللّه عليه و سلم، ذكر فى أهل مصر، و لأهل مصر عنه حديث.

قاله ابن الربيع و ابن يونس، و كذا فى التجريد و الإصابة.

۹۹- رشدان المصرىّ. كذا ذكره البخارىّ فى كتاب الصحابة و لم يزد عليه، قال فى الإصابة: رشدان الجهنىّ، له صحبة. قال البخارىّ: روى ابن السّكن عنه أنّه كان يدعى فى الجاهلية غيّان- يعنى بغين معجمة و تحتانية مشدّدة- فقال له النبى صلى اللّه عليه و سلم: بل أنت رشدان .

۱۰۰- ركب المصرىّ. كذا ذكره البخارىّ فى كتاب الصحابة و لم يزد عليه. و قال عباس الدّورىّ: له صحبة.

و قال ابن عبد البرّ: کندیّ، له حدیث حسن، و لیس بمشهور فی الصحابة، و قد أجمعوا علی ذکره فیهم، روی عنه نصیح العبسیّ.

و قال ابن منده: لا یعرف له صحبة. و قال البغویّ: لا أدری، أسمع من النبیّ صلی اللّه علیه و سلم أولا، و قال ابن حبّان: یقال إنّ له صحبة، و ذکره ابن الربیع.

۱۰۱- رویفع بن ثابت بن السّکن البخاریّ الأنصاریّ. نزل مصر، و ولّاه معاویة علی طرابلس سنة ستّ و أربعین، فغزا إفریقیة.

قال ابن یونس: توفّی ببرقة، و هو أمیر علیها من قبل مسلمة بن مخلّد سنة ستّ و خمسین . و قال فی التجرید: یعدّ فی المصریین، له صحبة و روایة، روی عنه جماعة.

و قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، و اختطّ بها، و لأهل مصر عنه نحو عشرة أحادیث .

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۶۰

حرف الزای

۱۰۲- الزبیر بن العوّام بن خویلد بن أسد بن عبد العزّی الأسدیّ أبو عبد اللّه.

حواریّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و ابن عمّته صفیّة، و أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة، و أحد أعلام السادة السالفین البدریّین، أسلم و له اثنتا عشرة سنة- و قیل ثمانی سنین- و هاجر الهجرتین.

قال عروة: و کان الزّبیر طویلا، تخطّ رجلاه الأرض إذا رکب. أخرجه الزبیر بن بکار.

و کان له ألف مملوک یؤدّون إلیه الخراج، و کان لا یدخل بیته منها شیئا، یتصدّق به کلّه. أخرجه یعقوب بن سفیان.

قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، و اختطّ بها، و لأهل مصر عنه حدیث واحد، قتل راجعا من وقعة الجمل بوادی السباع فی جمادی الأولی سنة ستّ و ثلاثین، و له ستّ أو سبع و ستّون سنة.

۱۰۳- زهیر بن قیس البلویّ أبو شدّاد . قال ابن یونس: یقال له صحبة، شهد فتح مصر، و ندبه عبد العزیز بن مروان و هو أمیر علی مصر إلی برقة، فخاطبه بشیء یکرهه، فأجابه زهیر: تقول لرجل جمع ما أنزل اللّه علی نبیّه قبل أن یجتمع أبواک هذا؟! و نهض إلی برقة فلقی الروم فی عدد قلیل، فقاتل حتّی قتل، و ذلک سنة ست و سبعین.

قال فی التجرید: روی عنه سوید بن قیس التّجیبیّ فقط.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۶۱

۱۰۴- زیاد بن الحارث الصّدائیّ، بضمّ المهملة. قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، و لأهل مصر عنه حدیث واحد . و قال فی التّجرید: بایع، و حدیثه فی الأذان فی جامع التّرمذیّ، نزل بمصر.

و قال البخاریّ: قال بعضهم: زیاد بن حارثة، و زیاد بن الحارث أصحّ.

و قال ابن سعد: نزل بمصر، روی عنه المصریون.

۱۰۵- زیاد الغفاریّ. قال فی التّجرید تبعا لابن عبد البرّ: مصریّ له صحبة، روی عنه یزید بن نعیم.

و قال فی الإصابة: یعدّ فی أهل مصر، أخرج حدیثه ابن أبی خیثمة و ابن السّکن من طریق زید بن عمرو، عن یزید بن نعیم: سمعت زیادا الغفاریّ علی المنبر فی الفسطاط، یقول: سمعت رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم یقول : «من تقرّب إلی اللّه شبرا تقرّب إلیه ذراعا ...» الحدیث.

۱۰۶- زیاد بن قائد اللخمیّ. قال فی الإصابة فی قسم المخضرمین: شهد فتح مصر، و عاش إلی أن رثی الأکدر بن حمام لمّا قتل فی جمادی الآخرة سنة خمس و ستین و مروان یومئذ بمصر، ذکره أبو عمر الکندی.

۱۰۷- زیاد بن نعیم الحضرمیّ . قال فی التّجرید: مصریّ، قیل له صحبة.

و قال فى الإصابة: ذكره ابن أبى خيثمة و البغوىّ فى الصّحابة.

۱۰۸- زياد بن جمهور اللخمىّ. قال فى التهذيب: شهد فتح مصر، و نزل فلسطين، روى عنه ابناه.

۱۰۹- زبيد بن عبد الخولانىّ . قال فى الإصابة: له إدراك، شهد فتح مصر،

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۶۲

ثم شهد صفّين مع معاوية، و كانت معه الرّاية، فلما قتل عمّار تحوّل إلى عسكر علىّ.

ذكره ابن يونس و من تبعه.

حرف السين

۱۱۰- السّائب بن خلّاد بن سويد الأنصارىّ . قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، و قدم على عقبة، فاستذكره حديث: «من ستر عورة ...»، الذى رحل فيه السائب بن خلّاد إلى مصر.

قال ابن عبد الحكم: ذكر يحيى بن حسان، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبى حبيب، قال: إنّ السائب بن خلّاد الأنصارىّ قدم على عقبة بن عامر الجهنىّ، فقال:

سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يذكر فى الستر شيئا؟ فقال عقبة: سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يقول:

«من ستر مسلما ستره اللّه»؛ فقال: أنت سمعته من رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم؟ قال: نعم، قال: فراح، و لم يقدم من المدينة إلّا لذلك. أخرجه محمد بن الربيع الجيزىّ.

و حدّثنا عبد اللّه بن صالح، حدّثنا يحيى بن أيوب، عن عيّاش بن عبّاس القتبانىّ، عن وهب بن عبد اللّه المعافرىّ، قال: قدم رجل من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من الأنصار على مسلمة بن مخلّد فألفاه نائما، فقال: أيقظوه؛ فقالوا: بل تنزل حتّى يستيقظ، قال: لست فاعلا فأيقظوا مسلمة، فخرج مسلمة، فقال: انزل، فقال: لا حتّى ترسل إلى عقبة بن عامر، فأرسل إليه، فأتاه؛ فقال: هل سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يقول: «من وجد مسلما على عورة فسترها فكأنّما أحيا موؤدة من قبرها؟»، قال عقبة:

قد سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يقول ذلك.

و قال محمد بن الربيع: أخبرنى يحيى بن عثمان بن صالح، أنبأنا يوسف بن عبد

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۶۳

الأعلى، أخبرنى عبد الجبّار بن عمر، أنّ مسلم بن أبى حرّة، حدّثه عن رجل من أهل قباء، أنّه قدم مصر على مسلمة بن مخلّد، فضرب عليه الباب، و استأذن عليه، فخرج مسلمة إليه، فقال: انزل، فقال: لا، و لكن أرسل معى إلى فلان- رجل من أصحاب النبى صلى اللّه عليه و سلم، قال: حسبت أنّه قال: سرّق- فذهب إليه فى قرية، فقال له: هل تذكر مجلسا كنت أنا و أنت فيه مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، ليس معنا أحد غيرنا؟ فقال: نعم، فقال:

كيف سمعته يقول؟ قال: سمعته يقول: «من اطّلع من أخيه على عورة ثمّ سترها جعلها اللّه له يوم القيامة حجابا من النار»، قال: كنت أعرف ذلك؛ و لكنّى أوهمت، فكرهت أن أحدّث به على غير ما كان. ثمّ ركب على صدر راحلته، ثمّ رجع.

۱۱۱- السائب الغفارىّ. ذكره ابن الربيع، و قال: لا يوقف له على حضور الفتح، و لأهل مصر عنه حديث واحد من طريق ابن لهيعة، عن أبى قبيل، عن رجل من بنى غفار، حدّثه أنّ أمّه أتت به إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و عليه تميمة، قال: فقطع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم تميمتى، و قال: ما اسم ابنك؟ قالت: السائب، فقال النبىّ صلى اللّه عليه و سلم: بل سمّه عبد اللّه، فقلت: أ تجيب بكلتيهما؟ فقال: لا و اللّه؛ ما كنت لأجيب إلا على اسم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الذى سمانى.

۱۱۲- السائب بن هشام بن عمرو العامرىّ. قال فى التجريد: يقال إنّه رأى النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و شهد فتح مصر، و ولى القضاء

بها لمسلمة بن مخلّد، و كان جبانا و أبوه صحابى.

۱۱۳- سخدور- بسين مهملة ثمّ خاء معجمة، و قيل: بشين معجمة ثمّ حاء مهملة- بن مالك الحضرمىّ أبو علقمة. قال فى التجريد: له صحبة، شهد فتح مصر، ذكره ابن يونس. و هو الذى حضّهم على حرب مروان لما قصد مصر.

۱۱۴- سرّق بن أسيد - و يقال: أسد- الجهنىّ، و يقال له الدّيلمىّ، و يقال:

الأنصارىّ. نزل مصر و الإسكندرية. ذكره ابن الرّبيع و ابن سعد؛ و أخرج عن عبد الرحمن السّلمانىّ، قال: كنت بمصر، فقال لى رجل: ألا أدلّك على رجل من أصحاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم؟ قلت: بلى، فأشار إلى رجل، فجئته فقلت: من أنت يرحمك اللّه؟ قال: أنا

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۶۴

سرّق، فقلت: سبحان اللّه! ينبغى لك ألّا تسمّى بهذا الاسم، و أنت رجل من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم؛ قال: إنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم سمّانى سرّقا، فلم أدع ذلك أبدا؛ فقلت: و لم سمّاك سرّقا؟ قال: قدم رجل من البادية ببعيرين له يبيعهما، فابتعتهما منه، و قلت:

انطلق معى حتّى أعطيك حقّهما، فدخلت بيتى، ثمّ خرجت من خلف بيتى، و قضيت بثمن البعيرين حاجة لى، و تغيّبت حتّى ظننت أنّ الأعرابىّ قد خرج، فخرجت فإذا الأعرابى مقيم، فأخذنى فقدّمنى إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، فأخبره الخبر، فقال النبىّ صلى اللّه عليه و سلم: «ما حملك على ما صنعت؟ قلت: قضيت بثمنهما حاجة يا رسول اللّه، قال: فاقضه، قلت: ليس عندى، قال: «أنت سرّق، اذهب به يا أعرابىّ، فبعه حتّى تستوفى حقّك»، فجعل النّاس يسومونه بشىء، فيلتفت إليهم، فيقول: ما تريدون؟ قال: و ما ذا نريد! نريد أن نفتديه منك؛ قال: فواللّه ما منكم أحد أحوج إليه منّى؛ اذهب فقد أعتقتك. أخرجه الحاكم فى المستدرك و صحّحه.

۱۱۵- سعد بن أبى وقّاص - و اسمه مالك- بن أهيب بن عبد مناف القرشىّ أبو إسحاق الزّهرىّ.

أحد العشرة، فارس الإسلام، و سابع سبعة فى الإسلام و صاحب الدعوة المجابة، بدعاء النبى صلى اللّه عليه و سلم له بذلك.

قال الربيع: شهد فتح مصر، و وردها رسولا من قبل عثمان. و لأهل مصر عنه حديث واحد. مات بالعقيق و حمل إلى المدينة، فدفن بالبقيع سنة خمس و خمسين و قيل: سنة ستّ، و قيل سبع، و له بضع و سبعون سنة؛ و هو آخر العشرة وفاة.

۱۱۶- سعد بن سنان الكندىّ . قال فى التّجريد: روى عنه ابنه. ذكره ابن يونس.

۱۱۷- سعد بن مالك بن الأقيصر بن مالك بن قريع، أبو الكنود الأزدىّ. قال ابن

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۶۵

يونس: له وفادة على النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و شهد فتح مصر. و من ولده اليوم بقية بمصر، و روى عنه ابنه الأشيم.

۱۱۸- سعيد بن يزيد الأزدىّ: ذكره ابن سعد فيمن نزل مصر من الصحابة، و لم يزد عليه.

و قال فى التجريد: مصرىّ، روى عنه أبو الخير اليزنىّ، و زعم أنّ له صحبة.

۱۱۹- سفيان بن هانىء بن جير ، أبو سالم الجيشانىّ. قال فى التجريد:

مصرىّ، و له رواية.

قال ابن يونس: شهد فتح مصر، و مات بالإسكندرية، زمن عمر بن عبد العزيز ابن مروان.

۱۲۰- سفيان بن وهب الخولانىّ ، أبو أيمن. له صحبة و رواية و وفادة. شهد حجّة الوداع و فتح مصر و إفريقية، و سكن المغرب. قال ابن الربيع: لم يرو عنه غير أهل مصر فيما أعلم. و لهم عنده حديثان. مات سنة إحدى و تسعين .

۱۲۱- سلامة بن قيصر الحضرمىّ - و قيل: سلمة. قال ابن الرّبيع: شهد فتح مصر، و لأهلها عنه حديث واحد.

۱۲۲- سلكان بن مالك . قال ابن الربيع: ذكره الواقدىّ فيمن دخل مصر من الصحابة لغزو المغرب.

قال فی التجرید: هو من الصحابة الذین دخلوا مصر.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۶۶

۱۲۳- سلم بن نذیر. قال فی التجرید: مصریّ، روی عنه یزید بن أبی حبیب.

۱۲۴- سلمة بن الأکوع - و هو سلمة بن عمرو، و یقال: ابن وهب- بن الأکوع، و اسم الأکوع سنان بن عبد اللّه بن قشیر الأسلمیّ أبو مسلم إیاس. بایع تحت الشجرة. قال ابن الربیع: ذکره الواقدیّ فیمن دخل مصر لغزو المغرب. مات بالمدینة سنة سبع و سبعین ، و هو ابن ثمانین سنة، و کان شجاعا رامیا، و کان یسبق الفرس شدّا علی قدمیه.

۱۲۵- سندر أبو عبد اللّه - و قیل: أبو الأسود- مولی زنباع الجذامیّ. وجده مولاه یقبّل جاریة له، فخصاه و جدعه، فأتی النبی صلی اللّه علیه و سلم، فأعتقه. سکن مصر فی خلافة عمر، و أقطع بها منیة الأصبغ. قال ابن عبد الحکم: یقال سندر بن سندر، و اللّه أعلم بالصواب.

قال ابن أبی الربیع: لأهل مصر عنه حدیثان، ثمّ أوردهما، و أحدهما من طریق یزید بن أبی حبیب، عن ربیعة بن لقیط عن عبد اللّه بن سندر، عن أبیه؛ أنّه کان عبدا نزنباع ... الحدیث؛ و هذا تصریح بأنّ له أبناء؛ فالظاهر أنّه ولد له قبل الخصیّ؛ فیکون صحابیّا أیضا.

۱۲۶- سهل بن سعد بن مالک بن خالد الأنصاریّ الساعدیّ المدنیّ أبو العباس، و قیل: أبو یحیی. قال ابن الربیع: قدم مصر بعد الفتح علی مسلمة بن مخلّد؛ و لأهل مصر عنه أحادیث؛ مات سنة إحدی و تسعین، و قیل: سنة ثمان و ثمانین، و هو ابن مائة سنة؛ و هو آخر من مات من الصحابة بالمدینة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۶۷

۱۲۷- سهل بن أبی سهل . روی عنه سعید بن أبی هلال، عداده فی المصریین، قاله فی التجرید.

۱۲۸- سیف بن مالک الرّعینیّ الجیشانیّ. قال فی التجرید: أسلم فی حیاة النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، و نزل مصر.

حرف الشین

۱۲۹- شبث بن سعد بن مالک البلویّ. شهد فتح مصر، و له صحبة، روی عنه أبان؛ قاله فی التجرید. و ذکره ابن الربیع، عن سعید بن عفیر. و یقال فیه: شعث، و یقال: شیبة.

۱۳۰- شخدور بن مالک. تقدم فی الحرف قبله.

۱۳۱- شرحبیل بن حسنة - و هی أمّه- و اسم أبیه عبد اللّه بن المطاع الکندیّ.

و قیل التمیمیّ. أبو عبد اللّه. حلیف بنی زهرة، أحد أمراء أجناد الشام؛ و هو من مهاجرة الحبشة؛ ذکره ابن عبد الحکم فیمن شهد فتح مصر، و لأهلها عنه حدیث واحد؛ لکن فی تهذیب المزیّ أنّه مات بالشام سنة ثمانی عشرة، و هو ابن سبع و ستّین سنة؛ و هذا یقدح فیما قاله ابن عبد الحکم.

۱۳۲- شریح بن أبرهة. قال فی التجرید: له صحبة، قدم مصر؛ روی عنه محمد ابن وداعة الیمامی، و ذکره ابن قائع.

۱۳۳- شریح الیافعیّ . قال فی التجرید: له صحبة، قدم مصر، و شهد فتحها.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۶۸

۱۳۴- شریک بن أبی الأعقل التّجیبیّ الشاعر. قال فی التجرید: قال ابن یونس:

وفد علی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، و شهد فتح مصر.

۱۳۵- شریک بن سمیّ الغطیفیّ المرادیّ . قال فی التجرید: له وفادة، و کان علی مقدّمة عمرو بن العاص لیوم فتح مصر.

۱۳۶- شفیّ بن ماتع الأصبحیّ المصریّ . قیل: له صحبة؛ و الأصحّ أنّه تابعیّ. مات سنة خمس و مائة.

۱۳۷- شهاب. قال فی التجرید: نزل مصر، روی عنه جابر بن عبد اللّه، و سار إلیه یسأله عن حدیث.

حرف الصاد

۱۳۸- صالح القبطیّ. قال فی التجرید: نزل مصر، ثمّ سار من مصر إلی المدینة مع ماریة القبطیّة.

۱۳۹- صحار بن صخر - و قیل ابن عیّاش، و قیل ابن عباس- العبدیّ قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، روی عنه ابناه: عبد الرحمن و جعفر. نزل البصرة، و کان من الفصحاء، سأله معاویة عن البلاغة فقال: لا تخطیء و لا تبطئ.

قال فی التهذیب: و کان فیمن طلب بدم عثمان.

۱۴۰- صلة بن الحارث الغفاریّ. قال فی التجرید: مصریّ له صحبة. و ذکره ابن الرّبیع، و أورد له أثرا.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۶۹

حرف الضاد

۱۴۱- ضمرة بن الحصین بن ثعلبة البلویّ . قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، و بایع تحت الشجرة.

و قیل فی التجرید: صحابیّ نزل مصر.

حرف العین

۱۴۲- عامر بن الحارث . قال فی التجرید: شهد فتح مصر، و له صحبة، و هو أصبحیّ.

۱۴۳- عامر بن عبد اللّه بن جهیزة الخولانیّ. قال فی التجرید: له صحبة، شهد فتح مصر. قاله ابن یونس.

۱۴۴- عامر بن عمرو بن حذافة أبو بلال التّجیبیّ. قال فی التجرید: صحابیّ شهد فتح مصر.

۱۴۵- عائذ بن ثعلبة بن وبرة البلویّ . قال ابن الربیع: بایع تحت الشجرة، و اختطّ بمصر و استشهد بالبرلّس. و قال فی التجرید: شهد فتح مصر، و استشهد سنة ثلاث و خمسین.

۱۴۶- عبادة بن الصامت بن قیس الأنصاریّ الخزرجیّ أبو الولید: شهد العقبتین، و کان أحد النّقباء، و شهد بدرا و سائر المشاهد، و کان من سادات الصحابة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۷۰

و قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، و لأهلها عنه عشرة أحادیث. قال: و مات بفلسطین سنة أربع و ثلاثین، و له اثنتان و سبعون سنة.

قال فی التّهذیب: مات بالشّام فی خلافة معاویة، و أمّه أسلمت أیضا، و بایعت، و اسمها قرّة العین بنت عبّاد بن فضلة الخزرجیّة؛ و لیس فی الصحابیّات من یسمّی بهذا الاسم سواها.

۱۴۷- عبد اللّه بن أنیس الجهنیّ - قال ابن الربیع: و یقال ابن أنیسة- أبو یحیی المدنیّ. حلیف الأنصار، شهد العقبة مع السّبعین من الأنصار، و أحدا و ما بعدها من المشاهد، و لقّبه النبیّ صلی اللّه علیه و سلم سریّة وحده. نزل مصر، و رحل إلیه جابر بن عبد اللّه فی حدیث القصاص. مات فی خلافة معاویة سنة أربع و خمسین.

و فرّق الذهبیّ فی التجرید بین الثلاثة، فذکر عبد اللّه بن أنیسة الجهنیّ حلیف الأنصار، و عبد اللّه بن أنیس السّلیمیّ، و عبد اللّه بن أبی أنیس، رحل إلیه جابر فی حدیث القصاص، فجعلهم ثلاثة.

۱۴۸- عبد اللّه بن براد بن ربیعة. قال الذّهبیّ: قدم مصر، و روی عنه أبو عبد الرحمن الجبلیّ. ذکره ابن یونس.

۱۴۹- عبد اللّه بن الحارث بن جزء بن عبد اللّه بن معد یکرب الزّبیدیّ المذحجیّ. شهد فتح مصر و اختطّ بها، و سکنها و عمر بها

دهرا. مات سنة ستّ- أو سبع، أو ثمان- و ثمانين، بعد أن عمى؛ و هو آخر صحابىّ مات بها.

قال ابن الرّبيع: لأهل مصر عنه عشرون حديثا .

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۷۱

۱۵۰- عبد اللّه بن حذافة بن قيس بن عدىّ القرشىّ السّهمىّ أبو حذافة. أسلم قديما، و هاجر إلى الحبشة، قيل إنّه شهد بدرا، و كانت فيه دعابة. قال ابن الرّبيع: هو من الصحابة البدريّين الّذين دخلوا مصر، و لا رواية لأهل مصر عنه.

قال أبو نعيم: مات بمصر فى خلافة عثمان. و ذكر ابن أبى نجيح و ابن لهيعة أيضا أنّه مات بمصر. و قال يحيى بن عثمان. هذا وهم ؛ و إنّما الّذى مات بها خارجة بن حذافة.

۱۵۱- عبد اللّه بن حوالة الأزدىّ، أبو حوالة. له صحبة و رواية. قال ابن الرّبيع: شهد فتح مصر، و لأهلها عنه حديث واحد؛ نزل الأردنّ سنة ثمان و خمسين، و هو ابن اثنتين و سبعين سنة.

۱۵۲- عبد اللّه بن الزّبير بن العوّام؛ أمير المؤمنين. أبو بكر و أبو خبيب. أمّه أسماء بنت أبى بكر الصّديق. هاجرت به حملا، فولدته بعد الهجرة بعشرين يوما. و هو أوّل مولود ولد فى الإسلام بالمدينة. و كان فصيحا ذا لسانة و شجاعة، و كان أطلس لا لحية له.

قال ابن الربيع: قدم مصر فى خلافة عثمان، و شهد إفريقيّة، و لأهل مصر عنه حديث واحد، بويع له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية سنة أربع و ستين، و غلب على أهل الحجاز و اليمن و العراق و مصر و أكثر الشام؛ فأقام فى الخلافة تسع سنين؛ إلى أن قتله الحجّاج سنة ثلاث و سبعين.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۷۲

۱۵۳- عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح- و اسمه حسام، و قيل: عريف- بن الحارث القرشىّ العامرىّ أبو يحيى. قال ابن سعد: أسلم قديما، و كتب لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الوحى. ثم افتتن، و خرج من المدينة يريد مكّة مرتدّا، فأهدر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم دمه يوم الفتح، فجاء عثمان بن عفان إلى النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فاستأمنه فأمّنه- و كان أخاه من الرّضاعة- و سأل منه المبايعة، فبايعه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يومئذ على الإسلام، و قال: «الإسلام يجبّ ما قبله» ولّاه عثمان بن عفّان مصر بعد عمرو بن العاص، فنزلها و ابتنى بها دارا، فلم يزل واليا بها حتّى قتل عثمان.

قال ابن الرّبيع: شهد فتح مصر، و لأهلها عنه حديث واحد، و لم يرو عنه غير أهل مصر- فيما أعلم- مات بعسقلان سنة ستّ و ثلاثين، و الحديث الذى رواه فى قصّة اسكن حراء.

۱۵۴- عبد اللّه بن سعد. قال ابن سعد فى الطبقات: رجل من أصحاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم. سكن مصر؛ له حديث فى مؤاكلة الحائض.

۱۵۵- عبد اللّه بن سندر ؛ تقدّمت الإشارة إليه فى أبيه سندر؛ ثمّ رأيت الذهبىّ تقدّمنى إلى ما فطنت إليه، فقال فى التجريد: عبد اللّه بن سندر، أبو الأسود الجذامىّ صحابىّ، و لأبيه صحبة أيضا، روى عنه المصريّون.

۱۵۶- عبد اللّه بن شفىّ الرّعينىّ. قال فى التجريد: له وفادة، ثمّ رجع إلى اليمن مع معاذ، و شهد فتح مصر.

۱۵۷- عبد اللّه بن شمر - و يقال: شمران- الخولانىّ. قال فى التجريد: له صحبة، شهد فتح مصر.

۱۵۸- عبد اللّه بن عبّاس بن عبد المطلب، أبو العبّاس، ابن عمّ النبى صلى اللّه عليه و سلم.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۷۳

كان يسمّى البحر لسعة علمه. قال ابن الرّبيع: دخل مصر فى خلافة عثمان، و شهد فتح المغرب، و لأهل مصر عنه أحاديث . مات بالطائف، سنة ثمان و ستّين، و هو ابن إحدى- أو اثنتين و سبعين. قال مسلم: ما رأيت مثل بنى أمّ واحدة أشرافا ولدوا فى دار واحدة أبعد قبورا من بنى العبّاس: عبد اللّه بالطائف، و عبيد اللّه بالشام، و الفضل بالمدينة، و معبد و عبد الرحمن بإفريقيّة، و قثم بسمرقند، و

کثیر بالینبع.

و قیل: إنّ الفضل بأجنادین، و عبد اللّه بالیمن.

۱۵۹- عبد اللّه بن عدیس البلویّ ، أخو عبد الرحمن. قال فی التجرید: نزل مصر، و یقال: إنّه بایع تحت الشجرة.

و ذکره ابن الربیع، و قال: لا یعرف له روایة عن النبیّ صلی اللّه علیه و سلم.

۱۶۰- عبد اللّه بن عمر بن الخطاب ، أبو عبد الرحمن. قال ابن الرّبیع: شهد فتح مصر و اختطّ بها دار البرکة، و لهم عنه أحادیث . مات بمکّة سنة ثلاث و سبعین،- و قیل سنة أربع- و له من العمر أربع و ثمانون سنة، و قیل: سبعة و ثمانون سنة.

۱۶۱- عبد اللّه بن عمرو بن العاص ، أبو محمّد. أسلم قبل أبیه، و کان أصغر منه بإحدی عشرة.

قال ابن الرّبیع: شهد فتح مصر، و اختطّ بها، و لأهلها عنه أکثر من مائة حدیث.

قال: و مات- فیما ذکره ابن عبد الحکم- بمصر، و قیل: بالشام، و قیل:

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۷۴

بعسقلان، و یقال: بمکّة- سنة خمس و ستین، و له اثنتان و سبعون سنة. و حکی ابن سعد أنّه توفّی بمصر ، و دفن بداره سنة سبع و سبعین فی خلافة عبد الملک.

۱۶۲- عبد اللّه بن عنمة - بفتح المهملة و النون، و قیل بإسکانها- المزنیّ. قال فی التّجرید: شهد فتح مصر، و له صحبة. أخرجه ابن یونس.

۱۶۳- عبد اللّه الغفاریّ، قال فی التجرید: کان اسمه السائب، فغیّره رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، له حدیث فی تاریخ مصر.

۱۶۴- عبد اللّه بن قیس القینیّ. قال فی التجرید: له صحبة، و شهد فتح مصر، و توفّی سنة تسع و أربعین.

۱۶۵- عبد اللّه بن مالک الغافقیّ. روی عنه ثعلبة بن أبی الکنود بمصر. کذا فی التجرید.

۱۶۶- عبد اللّه بن المستورد الأسدیّ. قال فی التجرید: مصریّ؛ جاء ذکره فی حدیث لا یصحّ. روی عنه موسی بن وردان: «أصحابی أمان لأمّتی».

۱۶۷- عبد اللّه بن هشام بن زهرة التیمیّ. جدّ زهرة بن سعید. شهد فتح مصر، و له خطّة، و لأهل مصر عنه حدیث واحد، و هو قول عمر: «لأنت أحبّ إلیّ یا رسول اللّه من نفسی ...». الحدیث؛ و له عنه حکایات.

و قال فی التجرید: ولد سنة أربع، و له روایة.

۱۶۸- عبد الرحمن بن أبی بکر الصّدیق أبو محمّد . شقیق عائشة أمّ المؤمنین. هاجر قبل الفتح.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۷۵

قال ابن الرّبیع: دخل مصر فی سبب أخیه محمد، و لأهل مصر عنه حدیث واحد. مات بمکّة سنة ثلاث و خمسین. و قیل سنة خمس أو ستّ.

۱۶۹- عبد الرحمن بن شرحبیل بن حسنة، أخو ربیعة. قال فی التّجرید: له روایة. و شهد فتح مصر. و کذا قاله ابن الربیع.

۱۷۰- عبد الرحمن بن العبّاس بن عبد المطلب، ابن عمّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم. ولد علی عهد النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، و قتل بإفریقیّة.

۱۷۱- عبد الرحمن بن عدیس بن عمرو البلویّ. قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، و لهم عنه حدیث واحد، متنه: «یخرج أناس من أمّتی یمرقون من الدین کما یمرق السهم من الرمیّة، فیقتلون بجبل لبنان- أو الخلیل». لم یرو عنه غیر أهل مصر. توفّی بالشام سنة ستّ و ثلاثین.

و قال فی التجرید: بایع تحت الشجرة؛ روی عنه جماعة. و کان أحد الجیش القادم من مصر لحصار عثمان.

۱۷۲- عبد الرحمن بن عسیلة الصالحیّ . ذکره ابن منده فی الطبقة الأولی من التابعین من أهل مصر. و روی عنه، أنّه قال: ما فاتنی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم إلّا بخمس لیال، توفّی و أنا بالجحفة، فقدمت علی أصحابه متوافرین. و ذکره جماعة فی الصحابة.

قال فی التهذیب: مختلف فی صحبته.

۱۷۳- عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب، شقیق عبد اللّه و حفصة. قال فی التجرید: أدرک النبوّة. و فی طبقات ابن سعد: أنّه کان بمصر غازیا.

۱۷۴- عبد الرحمن بن غنم الأشعریّ. قال ابن الربیع: له صحبة، دخل مصر فی زمن مروان، و لأهلها عنه حدیث واحد.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۷۶

و قال فی التجرید: أسلم فی زمن النبی صلی اللّه علیه و سلم، و صحب معاذا. و قال بعضهم: وفد مع جعفر إذ هاجر إلی الحبشة.

و قال فی التهذیب: مختلف فی صحبته، مات سنة ثمان و سبعین .

۱۷۵- عبد الرحمن بن معاویة. قال فی التجرید: قیل: له صحبة، و لا یصحّ، و روی عنه سوید بن قیس.

۱۷۶- عبد رضا الخولانیّ، بضم الرّاء و فتح الضاد، ضبطه ابن ماکولا. یکنی أبا مکنف. قال فی التجرید: له وفادة.

۱۷۷- عبد العزیز بن سخبرة الغافقیّ. قال ابن الرّبیع: شهد فتح مصر، هو و ابنه شفعة، و کان اسمه عبد العزّی، فسمّاه النبی صلی اللّه علیه و سلم عبد العزیز. قاله الذهبی فی تجریده.

۱۷۸- عبید بن قشیر- قال فی التجرید: مصریّ، روی عنه لهیعة بن عقبة.

۱۷۹- عبید بن محمد ، أبو أمیّة المعافریّ. قال فی التجرید: شهد فتح مصر، له صحبة؛ و یقال: إنّه أوّل من قرأ القرآن بمصر.

۱۸۰- عبید بن عمر بن صالح الرّعینیّ. قال فی التجرید: صحابیّ، شهد فتح مصر. قاله ابن یونس.

۱۸۱- عبید بن النّدر- بضمّ النون و فتح الدال المهملة- السّلمیّ. قال ابن الربیع:

شهد فتح مصر، و لأهلها عنه حدیث واحد.

و قال فی التهذیب: شامیّ، له صحبة و روایة. مات سنة أربع و ثمانین؛ حدیثه فی سنن ابن ماجة.

۱۸۲- عثمان بن عفان أمیر المؤمنین أبو عمر الأمویّ . قال ابن الرّبیع:

دخل مصر فی الجاهلیة للتجارة، و صار إلی الإسکندریة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۷۷

۱۸۳- عثمان بن قیس بن العاص السهمیّ. قال فی التجرید: شهد فتح مصر مع أبیه، و هو أوّل من قضی بمصر، و کان شریفا سریّا. قیل: له صحبة، قاله ابن یونس.

و قال فی مرآة الزمان: هو أوّل من بنی بمصر دارا للضیافة للناس.

۱۸۴- عجریّ بن مانع السّکسکیّ . قال فی التجرید: صحابیّ، نزل مصر، و لا روایة له.

۱۸۵- عدیّ بن عمیرة - بفتح أوله- الکندیّ، أبو زرارة، قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، و لهم عنه حدیث. روی عنه ابنه عدیّ. قال الواقدیّ: مات بالکوفة سنة أربعین.

۱۸۶- العرس - بضمّ أوّله و سکون الراء- بن عمیرة الندیّ. أخو الذی قبله.

قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، و لأهل مصر عنه حدیثان. روی عنه ابن أخیه عدیّ و غیره.

۱۸۷- عروة الفقیم التمیمیّ . أبو غاضرة. قال البخاریّ: حدیثه فی المصریین.

روی عنه ابنه غاضرة.

۱۸۸- عسجدیّ بن مانع السّکسکیّ. قال فی التجرید: شهد فتح مصر. قاله ابن یونس.

قلت: تقدم عجرى بن مانع؛ فالظاهر أنهما واحد، و أحد الاثنين مصحّف.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۷۸

۱۸۹- عقبة بن بحرة الكندیّ، ثمّ التّجیبیّ المصریّ. صحب أبا بكر؛ و كانت معه رایة كندة یوم الیرموك. ذكره فی التجرید.

۱۹۰- عقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف المكیّ. أبو سروعة ابن مسلمة الفتح . قال ابن الربیع: شهد فتح مصر؛ و هو الذی شرب بها مع عبد الرحمن بن عمر الخمر. و له روایة عن النبی صلی اللّه علیه و سلم. و لیس لأهل مصر عنه شیء.

قلت: حدیثه فی البخاری و السنن.

۱۹۱- عقبة بن الحارث الفهریّ، أمیر المغرب لمعاویة و یزید. قال فی التجرید:

قال ابن یونس: یقال له صحبة، و لم یفتح.

۱۹۲- عقبة بن عامر بن عبس الجهنیّ. أبو عمرو؛ أحد مشاهیر الصحابة. قال فی التجرید: كان من أحسن الناس صوتا بالقرآن. و قال فی العبر: كان مقرئا فصیحا مفوّها من فقهاء الصحابة. قال الذهبیّ: صحابیّ شهد فتح مصر، و یقال: فتح أحدا.

۱۹۳- عقبة بن كریم الأنصاریّ. ذكره ابن عبد الحكم فیمن دخل مصر من الصحابة، قال ابن الربیع: لأهل مصر عنه نحو مائة حدیث؛ مات بمصر سنة ثمان و خمسین.

۱۹۴- عقبة بن نافع الفهریّ . أمیر المغرب، قال فی التجرید: ولد علی عهد رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، لا تصحّ له صحبة. و قد ذكره ابن الربیع فیمن شهد مصر من الصحابة، و لا یعرف له حدیث.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۷۹

و قال الذهبیّ أیضا: عقبة بن رافع، و قیل: ابن نافع- بن عبد القیس بن لقیط القرشیّ الفهریّ الأمیر، شهد فتح مصر، و ولی إمرة المغرب، استشهد بإفریقیة.

قال ابن كثیر: اختطّ القیروان، و لم یزل بها إلی سنة اثنتین و ستین، فغزا قوما من البربر، فقتل شهیدا.

قال ابن عبد الحكم: حدّثنا عبد الملك بن مسلمة، حدّثنا اللیث بن سعد، أنّ عقبة بن نافع غزا إفریقیة، فأتی وادی القیروان، فبات علیه هو و أصحابه؛ حتّی إذا أصبح وقف علی رأس الوادی، فقال: یا أهل الوادی؛ اظعنوا فإنّا نازلون، قال ذلك ثلاث مرّات، فجعلت الحیّات تنساب و العقارب و غیرها، ممّا لا یعرف من الدوابّ، تخرج ذاهبة، و هم قیام ینظرون إلیها من حین أصبحوا حتّی أوجعتهم الشمس؛ و حتّی لم یروا منها شیئا، فنزلوا الوادی عند ذلك.

قال اللیث: فحدّثنی زیاد بن عجلان أنّ أهل إفریقیّة أقاموا بعد ذلك أربعین سنة، و لو التمست حیة أو عقربا بألف دینار ما وجدت.

۱۹۵- عكرمة بن عبید الخولانیّ . قال فی التجرید: له ذكر فی الصحابة، شهد فتح مصر.

۱۹۶- العلاء بن أبی عبد الرحمن بن یزید بن أنیس الفهریّ. قال ابن عبد الحكم: یزعمون أنّه قد رأی النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، و قدم مصر بعد موت أبیه- هو و أخوه- و عاد إلی المدینة فقتل بالحرّة. انتهی.

و قال فی التجرید: رأی النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، و نزل مصر، و ترك له بها عقب.

۱۹۷- علسة بن عدیّ البلویّ. قال فی التجرید: بایع تحت الشجرة و نزل مصر، روی عنه ابنه الولید و غیره.

۱۹۸- علقمة بن جنادة الأزدیّ الحجریّ. قال الذهبیّ صحابیّ شهد فتح مصر، و ولیّ البحر لمعاویة. توفی سنة تسع و خمسین.

۱۹۹- علقمة بن رمثة البلویّ. قال البخاریّ: حدیثه فی المصریین، و قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، و لأهلها عنه حدیث واحد ...

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۸۰

قال الذهبیّ: بایع تحت الشجرة.

و قال الحسینیّ فی رجال السند: مصریّ له صحبة و روایة، روی عنه زهیر بن قیس البلویّ.

۲۰۰- علقمة بن سمیّ الخولانیّ. قال الذهبی: صحابیّ، شهد فتح مصر، و لا یعرف له روایة.

۲۰۱- علقمة بن یزید المرادی ثمّ الغطیفیّ. قال الذهبیّ: و له وفادة، و شهد فتح مصر، و ولی الإسکندریة زمن معاویة.

۲۰۲- عمّار بن یاسر العبسیّ أبو الیقظان. أحد السابقین الأوّلین. قال ابن الربیع: دخل مصر رسولا من قبل عثمان بن عفان و صار إلی صقلّیة، و لأهل مصر عنه حدیث واحد. قتل بصفّین سنة سبع و ثلاثین، و هو ابن ثلاث و تسعین سنة، بتقدیم التاء علی السین .

۲۰۳- عمارة و یقال عمّار - بن شبیب السّبأی. قال فی التجرید: قدم مصر، روی عنه أبو عبد الرحمن الشّیبانی الجبلیّ. حدیثه فی الترمذی .

قال ابن یونس: الحدیث مرسل.

و قال فی التهذیب: مختلف فی صحبته.

۲۰۴- عمر بن الخطاب أمیر المؤمنین. رأیت فی بعض الکتب أنّه دخل مصر

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۸۱

فی الجاهلیّة، و رأی بها الخیام تضرب؛ و لم أقف علی ما یصحّح ذلک فی کلام أحد من أهل الحدیث .

۲۰۵- عمرو بن مالک الأنصاریّ . قال فی التجرید: نزل مصر، روی عنه یزید ابن أبی حبیب، عن لهیعة عن عقبة عنه.

۲۰۶- عمرو بن الحمق بن کاهن بن حبیب الخزاعیّ. قال البخاریّ: حدیثه فی المصریین. و قال ابن الربیع: دخل مصر فی خلافة عثمان، و لهم عنه حدیث فی الجند الغربی.

و قال فی التهذیب: بایع فی حجّة الوداع، و صحب بعد ذلک، و قتل بالحرّة.

و قال ابن سعد: کان فیمن سار إلی عثمان، و أعان علی قتله، ثمّ قتله عبد الرحمن ابن أمّ الحکم.

و عن الشعبیّ قال: أوّل رأس حمل فی الإسلام رأس عمرو بن الحمق.

و قال ابن کثیر: أسلم قبل الفتح و هاجر، و کان من جملة من أعان حجر بن عدیّ فتطلّبه زیاد، فهرب إلی الموصل، فبعث معاویة إلی نائبها، فوجدوه قد اختفی فی غار فنهشته حیّة، فمات؛ فقطع رأسه، و بعث به إلی معاویة، فطیف به فی الشام و غیرها، فکأن أوّل رأس طیف به. قال: و ورد فی حدیث أنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم دعا له أن یمتعه اللّه بشبابه، فبقی ثمانین سنة لا تری فی لحیته شعرة بیضاء.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۸۲

۲۰۷- عمرو بن سعید بن العاص بن أمیّة الأمویّ أبو أمیّة المعروف بالأشدق.

قال ابن کثیر: یقال إنّه رأی النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، و روی عنه حدیثین. دخل مصر مع مروان، و قتله عبد الملک سنة تسع و ستین. و قیل سنة سبعین .

۲۰۸- عمرو بن شغو الیافعی. قال الذهبیّ: شهد فتح مصر، و عدّ فی الصحابة.

۲۰۹- عمرو بن العاص بن وائل السّهمی أبو عبد اللّه، و قیل أبو محمد. أمیر مصر و صاحب فتحها، أسلم بأرض الحبشة عند النجاشی، ثمّ قدم فی صفر سنة ثمان، و مات بمصر لیلة عید الفطر سنة ثلاث و أربعین و هو ابن تسعین سنة.

و قال ابن الجوزیّ: عاش نحو مائة سنة، و دفن بالمقطّم فی ناحیة الفجّ؛ و کان طریق الناس إلی الحجاز.

قال ابن الربیع: لأهل مصر عنه نحو عشرة أحادیث ، و قد روی الترمذیّ عن طلحة بن عبید اللّه. سمعت رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم یقول: «إنّ عمرو بن العاص من صالحی قریش».

۲۱۰- عمرو بن مرّة الجهنیّ : قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، و لهم عنه حدیث روی عنه عیسی بن طلحة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۸۳

و قال فی التهذیب: یکنی أبا طلحة، أسلم قدیما، و شهد المشاهد، و کان قوّالا بالحقّ. مات فی خلافة عبد الملک . حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة ؛ ج ۱ ؛ ص۱۸۳

۲- عمرو الجنیّ. قال فی التجرید: روی عنه عثمان بن صالح المصریّ:

قال: و أوردناه اقتداء بأبی موسی؛ لأنّ الجنّ آمنوا برسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و هو مرسل إلیهم.

۲۱۲- عمیر بن وهب الجمحیّ أبو أمیّة. ذکره ابن عبد الحکم فیمن شهد فتح مصر.

قال الذهبیّ: من أبطال قریش قدم المدینة لیغدر برسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم.

۲۱۳- عنبسة بن عدیّ أبو الولید البلویّ. بایع تحت الشجرة، و شهد فتح مصر، و رجع إلی الحجاز. قاله ابن الربیع و ابن یونس و الذهبیّ.

۲۱۴- عنیس بن ثعلبة بن هلال بن عنبس البلویّ. له صحبة، بایع تحت الشجرة، و شهد فتح مصر. ذکره ابن الربیع و ابن یونس.

۲۱۵- عوف بن مالک الأشجعیّ الغطفانیّ . شهد فتح مکّة. قال الواقدیّ:

شهد فتح خیبر، و کانت رایة أشجع معه یوم الفتح، و تحوّل إلی الشام، و مات سنة ثلاث و سبعین.

قال ابن الرّبیع: دخل مصر مع معاویة، و لأهلها عنه حدیثان .

۲۱۶- عوف بن نجوة- بالنون و الجیم- قال فی التجرید: شهد فتح مصر و لا روایة له.

۲۱۷- عیاض بن سعید الأزدیّ الحجریّ. قال فی التجرید: شهد فتح مصر، و لم یرو شیئا.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۸۴

حرف الغین

۲۱۸- غرفة بن الحارث الکندیّ ، أبو الحارث الیمانیّ. شهد فتح مصر و لهم عنه حدیث. و قال الذهبیّ: سکن مصر، و هو نقل حدیثه فی سنن أبی داود.

و قال المزیّ: له صحبة و وفادة و روایة. و قال البخاری فی کتاب الصحابة: کندیّ حدیثه فی المصریین .

۲۱۹- غنی بن قطیب. قال فی التجرید: شهد فتح مصر، و ذکر فی الصحابة، و لا تعرف له روایة. قاله ابن یونس.

حرف الفاء

۲۲۰- فضالة بن عبید اللّه بن نافد بن قیس الأنصاریّ الأوسیّ أبو محمد.

شهد أحدا و الحدیبیّة، و ولی قضاء دمشق لمعاویة. قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، و لأهلها عنه نحو عشرین حدیثا. مات سنة ثلاث و خمسین، و قیل سنة خمس و خمسین .

۲۲۱- فضالة اللّیثیّ. قال البخاریّ فی کتاب الصحابة: حدیثه فی المصریین.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۸۵

و قال فی التهذیب: له صحبة و روایة، و فی اسم أبیه خلاف؛ روی عنه ابنه عبد اللّه و أبو حرب بن أبی الأسود .

حرف القاف

۲۲۲- قتادة بن قیس الصّدفیّ. قال الذهبیّ: له صحبة، شهد فتح مصر.

۲۲۳- قدامة بن مالک ، من ولد سعد العشیرة. قال الذّهبیّ: له وفادة، و شهد فتح مصر.

۲۲۴- قیس بن ثور الکندیّ السکونیّ . نزل حمص، روی عنه سوید بن قیس المصریّ.

۲۲۵- قیس بن سعد بن عبادة الأنصاریّ أبو عبد اللّه . صحابیّ من زهّاد الصحابة و کرمائهم. قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، و اختطّ بها، و لهم عنه أحادیث . قال أنس: کان قیس بن سعد بن عبادة من النبیّ صلی اللّه علیه و سلم بمنزلة صاحب الشّرطة من الأمیر، أخرجه البخاریّ. ولی إمرة مصر فی خلافة علیّ بن أبی طالب، و مات بالمدینة سنة تسع و خمسین. و کان سیّدا کریما ممدوحا شجاعا مطاعا. قالت له عجوز:

أشکو إلیک قلّة الجرذان، فقال: ما أحسن هذه الکنایة! املئوا بیتها خبزا و لحما و سمنا و تمرا. و کانت له صحفة یدار بها حیث دار، و ینادی له مناد: هلمّوا إلی اللّحم و الثّرید.

و کان أبوه و جدّه من قبله یفعلان کفعله. و کان مدید القامة جدّا. کتب ملک الرّوم إلی معاویة أن ابعث إلیّ سراویل أطول رجل من العرب، فأخذ سراویل قیس، فوضعت علی أنف أطول رجل فی الجیش، فوقعت بالأرض.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۸۶

و فی روایة: إنّ ملک الروم بعث برجلین من جیشه، یزعم أنّ أحدهما أقوی الرّوم، و الآخر أطول الروم، و قال: إنّ کان فی جیشک من یفوقهما؟ هذا فی قوّته، و هذا فی طوله، بعثت إلیک من الأساری کذا و کذا؛ و إن لم یکن فی جیشک من یشبههما فهادنّی ثلاث سنین. فدعا للقویّ بمحمد بن الحنفیّة، فجلس و أعطی الرومیّ یده، فاجتهد الرّومی بکلّ ما یقدر علیه من القوّة أن یزیله عن مکانه، أو یحرّکه لیقیمه؛ فلم یجد إلی ذلک سبیلا، ثمّ جلس الرومیّ، و أعطی ابن الحنفیّة یده، فما لبث أن أقامه سریعا و رفعه إلی الهواء، ثمّ ألقاه إلی الأرض. فسرّ بذلک معاویة سرورا عظیما، و دعا بسراویل قیس بن سعد، و أعطاها الرّومی الطویل فلبسها، فبلغت إلی ثدییه، و أطرافها تخطّ الأرض، فاعترف الرومیّ بالغلب، و بعث ملکهم بما کان التزمه لمعاویة.

قال محمد بن الربیع: أدرک الإسلام عشرة، طول کلّ رجل منهم عشرة أشبار؛ عبادة بن الصامت، و سعد بن معاذ، و قیس بن سعد بن عبادة، و جریر بن عبد اللّه البجلیّ، و عدیّ بن حاتم الطائیّ، و عمرو بن معدی کرب الزّبیدیّ، و الأشعث بن قیس الکندیّ، و لبید بن ربیعة، و أبو زبید الطائیّ، و عامر بن الطفیل- و یقال: طلحة بن خویلد.

۲۲۶- قیس بن أبی العاص بن قیس بن عدیّ السهمیّ. قال الذهبیّ: ولی قضاء مصر لعمر بن الخطاب، و هو من مسلمة الفتح.

۲۲۷- قیس بن عدیّ السهمیّ اللخمیّ الرّاشدی. ذکره الذهبیّ فی التجرید، قال: و لا أعلم له صحبة، لکنه شریف، شهد فتح مصر. و کان طلیعة لعمرو بن العاص؛ و کان ممن شیّعه إلی مصر.

۲۲۸- قیسبة- بتحتانیة مثنّاة ساکنة، ثم مهملة مفتوحة ثم موحّدة- بن کلثوم.

ذکره ابن الرّبیع فیمن دخل مصر من الصحابة. و قال الذهبیّ: له وفادة، و شهد فتح مصر، عداده فی کندة، و کان شریفا مطاعا فی قومه.

حرف الکاف

۲۲۹- کثیر بن أبی کثیر الأزدیّ. قال الذهبیّ: له صحبة، نزل مصر، و روی عنه عقبة بن مسلم.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۸۷

و قال ابن الربیع. لهم عنه حدیث.

۲۳۰- کریب بن أبرهة بن الصبّاح الأصبحی العامریّ أبو رشدین. ذکره ابن عبد البرّ فی الصحابة، و قال: لم نجد له روایة إلّا عن الصحابة، شهد الجابیة، و ولی رابطة الإسکندریة لعبد العزیز بن مروان، و مات بمصر سنة ثمان و سبعین، و قیل خمس، و قیل سبع و سبعین.

۲۳۱- كعب بن عاصم الأشعرىّ ؛ أبو مالك. شامىّ، و قيل: نزل مصر، كذا فى التجريد.

و قال فى التهذيب: كعب بن عاصم، له صحبة و رواية، روى عنه جابر و أمّ الدرداء؛ و الصحيح أنّه غير أبى مالك الأشعرىّ الذى يروى عنه الشاميّون، فإنّ ذاك مشهور بكنيته، و مختلف فى اسمه. و قال البغوىّ: سكن مصر.

۲۳۲- كعب بن عدىّ بن حنظلة التّنوخىّ؛ من أهل الحيرة، قال ابن الربيع:

شهد فتح مصر، و لهم عنه حديث.

و قال الذهبىّ: كان شريك عمر فى الجاهلية، فأرسله سنة خمس عشرة إلى المقوقس، ثمّ روى عنه أنّه قدم على النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و سمع كلامه و قراءته و صلاته، و مات قبل أن يسلم، فأسلم بعده. قال: فهو على هذا من التّابعين الّذين حديثهم موصول.

قلت: الأثر أخرجه ابن الربيع من وجه آخر، و فيه التصريح بأنّه أسلم فى حياة النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و قد سقته فى قصّة المقوقس.

۲۳۳- كعب بن يسار بن ضنّة العبسىّ المخزومىّ. قال ابن الربيع: لأهل مصر عنه حديث.

و قال الذهبىّ: شهد فتح مصر، و ولى القضاء.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۸۸

و قال سعيد بن عفير: و هو أوّل قاض بمصر، و كان قاضيا فى الجاهلية: و أمّا عمّار بن سعد التّجيبىّ، فروى أنّ عمر كتب إلى عمرو بن العاص ليوليه القضاء، فقال كعب: لا و اللّه، لا ينجينى اللّه من ذلك فى الجاهلية ثمّ أعود إليه؛ و أبى أن يقبل.

حرف اللام

۲۳۴- لبدة بن كعب أبو تريس- بمثنّاة من فوق ثمّ راء و آخره مهملة، بوزن عظيم. قال فى التجريد: حجّ فى الجاهليّة، و صلّى خلف ابن عمر. عداده فى المصريين.

۲۳۵- لبيد بن عقبة التّجيبىّ، قال الذهبىّ: نزل مصر، و شهد فتحها، عداده فى الصحابة، و لم يرو.

۲۳۶- لصيب بن جشم بن حرملة. قال الذهبىّ: ذكر فى الصحابة، و شهد فتح مصر.

۲۳۷- لقيط بن عدى اللخمىّ. قال الذهبىّ: من الصحابة المعدودين بمصر، كان على كمين جيش عمرو بن العاص وقت فتح مصر.

۲۳۸- ليشرح بن لحى ، أبو محمد الرّعينىّ. قال الذهبى: مكتوب فى الصحابة، شهد فتح مصر.

حرف الميم

۲۳۹- مأبور الخصىّ ، قال الذهبىّ: أهداه المقوقس مع مارية و سيرين. قاله مصعب.

۲۴۰- مالك بن زاهر- و قيل أزهر- ذكره ابن الربيع فيمن دخل مصر من الصحابة، قال: و لهم عنه حديث.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۱۸۹

و قال فى التجريد: أدرك النبىّ صلى اللّه عليه و سلم.

۲۴۱- مالك بن أبى سلسلة الأزدىّ . قال فى التجريد: أحد الأبطال، شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص، فكان أوّل النّاس صعودا للحصن.

۲۴۲- مالك بن عبد اللّه- و يقال ابن عبدة- المعافرىّ. قال فى التجريد: مصرىّ له أحاديث فى مصنّف ابن أبى عاصم.

۲۴۳- مالك بن عتاهية بن حرب الكندىّ التّجيبىّ. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر و لهم عنه حديث. قال الذهبىّ: مصرىّ له حديث واحد فى مسند أحمد.

و قال الحسینیّ: له صحبة و روایة، عداده فی أهل مصر، و بها کان سکناه.

۲۴۴- مالک بن قدامة: ذکره ابن الربیع فیمن دخل مصر من الصحابة، و قال:

بایع النبیّ صلی اللّه علیه و سلم.

و ذکر ابن وزیر أنّه من أهل مصر. انتهی.

و هو أنصاریّ أوسیّ بدریّ، اسم أمّه عرفجة.

۲۴۵- مالک بن هبیرة بن خالد الکندیّ السّکونیّ التّجیبیّ. قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، و لهم عنه حدیث.

قال فی التّهذیب: له صحبة و روایة.

و قال الذهبیّ: عداده فی المصریین، روی عنه مرثد الیزنیّ، و ولی حمص سنة اثنتین و خمسین، و کان من أمرائها. مات زمن مروان بن الحکم .

۲۴۶- مالک بن هدم التّجیبیّ. قال فی التجرید: مصریّ، روی عنه ربیعة بن لقیط، له حدیث.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۹۰

۲۴۷- مبرّح بن شهاب بن الحارث الیافعیّ- و یقال الرّعینیّ- أحد وفد رعین.

قال فی التجرید: نزل مصر، و کان علی میسرة عمرو بن العاص یوم دخل مصر، و خطّته بالجیزة معروفة.

۲۴۸- محمد بن إیاس بن البکیر . قال ابن منده: له إدراک.

۲۴۹- محمد بن بشیر الأنصاریّ. قال ابن الربیع: شهد فتح مصر.

و قال فی التجرید: له حدیث فی ذمّ البناء، روی عنه ابن یحیی.

۲۵۰- محمد بن أبی بکر الصّدیق . ولد فی حجّة الوداع فی حیاة النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، و ولی إمرة مصر من قبل علیّ، و قتل بها سنة ثمان و ثلاثین.

۲۵۱- محمد بن جابر بن غراب. قال الذهبیّ: یعدّ فی الصحابة، شهد فتح مصر. قاله ابن یونس.

۲۵۲- محمد بن أبی حبیب المصریّ ، ذکره ابن الربیع فیمن دخل مصر من الصحابة، و روی له حدیثا من روایة عبد اللّه بن السعدیّ، متنه: «لا تنقطع الهجرة ما قوتل الکفار».

قال ابن أبی حاتم: روی عنه أبو إدریس الخولانیّ أیضا.

۲۵۳- محمد بن أبی حذیفة بن عتبة بن ربیعة بن عبد شمس أبو القاسم. قال فی التجرید: ولد بالحبشة، أقام بمصر مدّة، و کان أحد المستنفرین علی عثمان رضی اللّه

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۹۱

تعالی عنه، و لما بلغه حصر عثمان تغلّب علی مصر، و أخرج منها عبد اللّه بن أبی سرح، و صلّی بالناس فیها، ثمّ قتل سنة ستّ و ثلاثین. و قیل بعدها، و هو ابن خال معاویة.

۲۵۴- محمد بن علیة القرشیّ : قال فی التجرید: عداده فی المصریین.

۲۵۵- محمد بن عمرو بن العاص السهمیّ: قال العدویّ: له صحبة، توفّی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، و له حدیث ذکره فی التجرید.

۲۵۶- محمد بن مسلمة بن خالد بن عدیّ الأنصاریّ الأوسیّ الحارثیّ أبو عبد الرحمن- و قیل: أبو عبد اللّه- شهد بدرا و المشاهد کلّها، و کان من فضلاء الصحابة، و استخلفه النبیّ صلی اللّه علیه و سلم فی بعض غزواته. قال ابن الربیع: قدم مصر رسولا من عمر إلی عمرو بن العاص، یقاسمه ماله. مات بالمدینة فی صفر سنة ثلاث و أربعین، و له سبع و سبعون سنة .

۲۵۷- محمود بن ربیعة الأنصاریّ : قال فی التجرید: یخرّج حدیثه علی المصریین و الخراسانیین، ذکره ابن عبد البرّ.

۲۵۸- محمیة بن جزء الزّبیدیّ. حلیف بنی جمح، و هو ابن عمّ عبد اللّه بن الحارث بن جزء من مهاجرة الحبشة. قال ابن الربیع: شهد فتح مصر.

و قال ابن سعد: تحوّل إلی مصر، فنزلها.

۲۵۹- مروان بن الحکم بن أبی العاص الأمویّ أبو عبد الملک، و یقال أبو

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۹۲

الحکم، و یقال أبو القاسم. قال ابن کثیر: صحابیّ عند طائفة کثیرة، لأنّه ولد فی حیاة النبی صلی اللّه علیه و سلم، و توفّی و له ثمانی سنین.

و قال غیره: مختلف فی صحبته، ولد بعد الهجرة بسنتین أو نحوهما، و لم یحصل له روایة، لأنه خرج مع أبیه إلی الطائف، فأقام بها، و دخل مصر، و کان کاتبا لعثمان، و بویع له بالخلافة بعد موت معاویة بن یزید، فأقام تسعة أشهر، و مات بدمشق فی رمضان سنة خمس و ستین.

قال ابن عساکر: و ذکر سعید بن عفیر أنّه مات حین انصرف من مصر بالصّیرة، و یقال بلد.

۲۶۰- المستورد بن سلامة بن عمرو الفهریّ. قال ابن یونس: هو صحابیّ، شهد فتح مصر، و اختطّ بها، و توفّی بالإسکندریة سنة خمس و أربعین، روی عنه علیّ بن رباح و أبو عبد الرحمن الجیلیّ. ذکره فی التجرید.

۲۶۱- المستورد بن شدّاد بن عمرو القرشیّ الفهریّ. صحابیّ نزل الکوفة ثمّ مصر، روی عنه جماعة. کذا ذکره فی التجرید بعد ذکره الذی قبله.

و ذکر ابن الربیع هذا فقط، و قال: شهد فتح مصر، و اختطّ بها، و لهم عنه أحادیث .

۲۶۲- مسروح بن سندر الخصیّ. مولی زنباع بن روح الجذامیّ. قال الذهبیّ: له صحبة، نزل مصر، و هو أبو الأسود، سمّاه ابن یونس.

۲۶۳- مسعود بن الأسود البلویّ - و قیل العدویّ. قال الذهبی: بایع تحت الشجرة، یعدّ فی المصریین، و غزا إفریقیّة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۹۳

۲۶۴- مسعود بن أوس بن زید بن أصرم الأنصاری البخاریّ أبو محمد. بدریّ، ذکره ابن الربیع فیمن دخل مصر من الصحابة. قال الذهبیّ: قیل إنّه شهد صفّین مع علیّ.

۲۶۵- مسلمة بن مخلّد - بوزن محمّد- بن الصامت الأنصاریّ الزّرقیّ أبو معمر. ولد عام الهجرة. قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، و اختطّ بها، و لهم عنه حدیثان، مات بمصر سنة اثنتین و ستین، و قیل مات بالإسکندریة.

و قال ابن سعد: مات بالمدینة، تحوّل من مصر إلیها، و قد ولی إمرة مصر زمن معاویة.

قال الذهبی: له صحبة و روایة یسیرة.

و قال ابن کثیر: مات بمصر فی ذی القعدة.

۲۶۶- المسور بن مخرمة بن نوفل الزّهریّ أبو عبد الرحمن. له و لأبیه صحبة، و أمّه عاتکة أخت عبد الرحمن بن عوف. قال ابن الربیع: دخل مصر لغزو المغرب.

مات سنة أربع و ستّین.

۲۶۷- المسیّب بن حزن بن أبی وهب المخزومیّ. والد سعید بن المسیّب، و له و لأبیه صحبة و روایة، ذکره الواقدیّ فیمن دخل مصر لغزو المغرب. قاله ابن عبد الحکم.

۲۶۸- مطعم بن عبید البلویّ. قال ابن الرّبیع: شهد فتح مصر.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۹۴

و قال الذهبیّ: مصریّ له صحبة، و روی عنه ربیعة بن لقیط.

۲۶۹- المطّلب بن أبی وداعة الحارث بن ضبیرة القرشیّ. أبو عبد اللّه السهمیّ . له و لأبیه صحبة، و هما من مسلمة الفتح. قال ابن الربیع: دخل مصر لغزو المغرب، فیما ذکره الواقدیّ.

۲۷۰- معاذ بن أنس الجهنیّ . قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، و لهم عنه ستّة و أربعون حدیثا.

قال المزّیّ: له صحبة و روایة، لم یرو عنه سوی ابنه سهل فقط.

و قال ابن سعد و الذهبیّ: سکن مصر، روی عنه ابنه أحادیث کثیرة.

۲۷۱- معاویة بن حدیج السّکونی التّجیبیّ، و قیل الکندیّ، و قیل الخولانیّ.

قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، و هو الوافد علی عمر بفتح الإسکندریة.

و قال البخاریّ: نزل مصر، و مات قبل عبد اللّه بن عمر.

و قال الذهبیّ: یعدّ فی المصریّین، مشهور، و هو قاتل محمد بن أبی بکر.

و قال المزّی: ذکر البخاریّ و أبو حاتم، و غیر واحد: له صحبة و وفادة و روایة.

و قال ابن کثیر: مات بمصر سنة اثنتین و خمسین.

۲۷۲- معاویة بن أبی سفیان صخر بن حرب الأمویّ أمیر المؤمنین أبو یزید.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۹۵

قال ابن الربیع: دخل مصر، و بلغ إلی سلمنت من کور عین شمس، و رجع من ثمّ. و لهم عنه حدیثان. مات بدمشق فی رجب سنة ستّ و ستّین، و له اثنتان و ثمانون سنة.

۲۷۳- معبد بن العبّاس بن عبد المطّلب، ابن عمّ النبی صلی اللّه علیه و سلم. ذکره ابن عبد الحکم فیمن دخل مصر لغزو المغرب.

قال الذهبیّ: ولد علی عهد النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، و استشهد بإفریقیّة فی زمن عثمان شابّا.

۲۷۴- معن بن حرملة المدلجیّ- و یقال حرملة بن معن- له صحبة. قال ابن یونس: معن أصحّ.

۲۷۵- معیقیب بن أبی فاطمة الدّوسیّ . أسلم قدیما، و هاجر الهجرتین، و شهد بدرا، و کان علی خاتم النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، و استعمله أبو بکر و عمر علی بیت المال، نزل به الجذام، فعالجه بأمر عمر بالحنظل، فوقف.

قال العجلیّ: لم یبتل أحد من الصّحابة إلّا رجلان؛ هذا بالجذام، و أنس بن مالک بالوضح.

قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، مات سنة أربعین فی خلافة عثمان .

۲۷۶- مغیرة بن شعبة بن أبی عامر أبو عیسی- و یقال أبو محمد- الثّقفیّ. أحد

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۹۶

مشاهیر الصحابة، و أحد الزّهاد، و أحد الأمراء، دخل مصر فی الجاهلیّة، و اجتمع بالمقوقس، و ذاکره بأمر النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، ثمّ رجع، فأسلم عام الخندق، و أوّل مشاهده الحدیبیة. مات فی رمضان سنة خمسین عن سبعین سنة.

قال ابن سعد: کان یقال له مغیرة الرأی. و قال الشعبیّ: القضاة أربعة: أبو بکر، و عمر، و ابن مسعود، و أبو موسی. و الزّهاد أربعة: معاویة، و عمر، و المغیرة، و زیاد.

و قال: سمعت المغیرة یقول: ما غلبنی أحد. و قال قبیصة بن جابر: صحبت المغیرة بن شعبة، فلو أنّ مدینة لها ثمانیة أبواب لا یخرج منها إلّا بمکر، لخرج المغیرة من أبوابها کلّها. و کانت إحدی عینیه أصیبت یوم الیرموک. و قیل: بل نظر إلی الشمس و هی کاسفة فذهب ضوء عینه.

۲۷۷- المقداد بن الأسود- و ليس الأسود أباه، و إنما تبنّاه الأسود بن عبد يغوث و هو صغير، فعرف به؛ و اسم أبيه عمرو بن ثعلبة الكندىّ- أبو معبد. أحد السابقين، شهد أحدا و بدرا و المشاهد كلّها، و لم يثبت أنّه شهد بدرا فارس غيره. قال ابن الربيع:

شهد فتح مصر، و لهم عنه حديثان، مات بالمدينة سنة ثلاث و ثلاثين، و له نحو سبعين سنة. أخرج ابن الربيع، عن يزيد بن أبى حبيب، أنّ المقداد بن الأسود غزا مع عبد اللّه بن سعد إفريقيّة، فلمّا رجعوا قال عبد اللّه بن سعد للمقداد فى دار بناها: كيف ترى بنيان هذه الدار؟ فقال له المقداد: إن كان من مال اللّه فقد أفسدت، و إن كان من مالك فقد أسرفت، فقال عبد اللّه: لولا أن يقول قائل: أفسدت مرّتين، لهدمتها.

۲۷۸- المنيذر الأسلمىّ- و يقال المنذر- قال ابن الربيع: دخل مصر، و لهم عنه حديث، و سكن إفريقيّة. و قال ابن يونس: له صحبة، كان بإفريقيّة، روى عنه أبو عبد الرّحمن الجيلىّ. قال عبد الملك بن حبيب: دخل الأندلس من الصحابة منذر الإفريقىّ.

۲۷۹- مهاجر، مولى أم المؤمنين أمّ سلمة ، يكنى أبا حذيفة. قال ابن الربيع:

دخل مصر، و سكن الصعيد، و لهم عنه حديث. و كان يقول: خدمت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خمس سنين، لم يقل لشىء صنعته: لم صنعته؟ و لم يقل لشىء تركته: لم تركته؟ روى عنه بكير جدّ يحيى بن عبد اللّه بن بكير، و لم يرو عنه غير أهل مصر.

حرف النون

۲۸۰- ناشرة بن سمىّ اليزنىّ المصرىّ . أدرك زمن النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و روى عن عمرو أبى عبيد و غيرهما.

۲۸۱- نبيه بن صؤاب المهرىّ ، ذكره ابن يونس فيمن دخل مصر من الصحابة، و قال: إنّه أحد من أسّس الجامع.

و قال الذهبىّ: له وفادة، و كان أحد الأربعة الّذين أقاموا قبلة مصر، و قد شهد فتحها، روى عنه عبد الملك بن أبى رابطة، و يزيد بن أبى حبيب، و عبد العزيز بن مليك، و داود بن عبد اللّه الحضرمىّ.

۲۸۲- النّعمان بن جزء بن النعمان بن قيس العطيفىّ. قال فى التجريد: له وفادة، و شهد فتح مصر. ذكره ابن يونس.

۲۸۳- نعيم بن خبّاب العامرىّ. من وفد نجيب، ذكره ابن الربيع فيمن دخل مصر من الصحابة. و قال الذهبىّ: له وفادة، و ذكره ابن يونس و ابن ماكولا.

حرف الهاء

۲۸۴- هانىء بن جزء بن النّعمان المرادىّ. قال الذّهبى: له وفادة، و شهد فتح مصر.

۲۸۵- هبيب بن مغفل . قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، و اختطّ بها، و لهم عنه حديث، و إليه ينسب وادى هبيب ؛ لأنه كان اعتزل فى فتنة عثمان هناك، و توفّى به.

و قال الحسينىّ فى رجال المسند: كان بالحبشة ثمّ أسلم، و هاجر و شهد فتح مصر، ثم سكنها، و حديثه عندهم فى جرّ الإزار.

و قال الذهبىّ: قيل لأبيه مغفل لأنّه أغفل سمة إبله.

۲۸۶- هوذة بن عرفطة الحميرىّ. قال فى التجريد: له وفادة، و شهد فتح مصر.

حرف الواو

۲۸۷- واقد بن الحارث الأنصارىّ. قال الذهبىّ: له صحبة، عداده فى أهل مصر، روى عنه قيس بن وكيع.

۲۸۸- وهب بن مغفل الغفاریّ، نزیل مصر. روی عنه أبو قبیل المعافریّ. کذا ذکره الذهبیّ فی التجرید.

قلت: أخشی أن یکون هو هبیب بن مغفل السابق.

حرف لا

۲۸۹- لاحب بن مالک بن سعد اللّه البلویّ. صحابیّ، بایع تحت الشجرة، و شهد فتح مصر، و لا روایة له. قاله ابن الربیع و ابن یونس و الذهبیّ.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۱۹۹

حرف الیاء

۲۹۰- یزید بن أنیس بن عبد اللّه أبو عبد الرحمن الفهریّ. قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، و اختطّ بها، و لم یرو إلّا حدیثا واحدا فی غزوة حنین، رواه عنه غیر أهل مصر.

و قال الذهبیّ: شهد فتح مصر، و شهد حنینا، و له حدیث. مات بالشام.

۲۹۱- یزید بن عبد اللّه بن الجرّاح. أخو أبی عبیدة. قال الذهبیّ: له صحبة و روایة، تزوّج بمصر نصرانیة.

۲۹۲- یزید بن أبی زیاد- أو ابن زیاد- الأسلمیّ. قال الذهبیّ: نزل مصر، و روی عنه أبو قبیل.

۲۹۳- یعقوب القبطیّ، مولی أبی مذکور الأنصاریّ. قال الذهبیّ: أعتقه عن دبر، فاشتراه نعیم بن النحام، و القصة فی الصّحیح. و مات فی أیّام ابن الزبیر.

باب الکنی

۲۹۴- أبو الأسود مرثد بن جابر العبدیّ. له وفادة. ذکره ابن یونس و الذهبیّ.

۲۹۵- أبو الأعور السّلمیّ عمرو بن سفیان، حلیف بنی عبد شمس. قال ابن الربیع: قدم مصر مع مروان بن الحکم، و لهم عنه حدیث.

و قال أبو حاتم: لا تصحّ له صحبة.

۲۹۶- أبو أمامة الباهلیّ صدیّ بن عجلان. من مشاهیر الصحابة. قال الذّهبیّ: ثمّ سکن مصر، سکن حمص. قال ابن عیینة: کان آخر من مات بالشام من الصحابة، و کانت وفاته سنة ست و ثمانین، و هو ابن إحدی و تسعین سنة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۰۰

۲۹۷- أبو أیّوب الأنصاریّ، خالد بن زید بن کلیب: حضر العقبة و بدرا و المشاهد کلّها. قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، و غزا بحرها، و لهم عنه نحو عشرین حدیثا. مات بالقسطنطینیة غازیا مع یزید بن معاویة فی سنة اثنتین و خمسین، و قبره هناک یستسقی به الرّوم إذا قحطوا.

۲۹۸- أبو بردة الأنصاریّ الأوسیّ الظّفریّ . روی عنه ابنه معتّب. کذا فی التجرید.

و قال ابن سعد فی الطبقات: صحابی نزل مصر. ثم روی له حدیثا من روایة ابنه معتّب أو مغیث، عنه.

۲۹۹- أبو بصرة الغفاریّ. اسمه حمیل - بالحاء المهملة مصغّر- بن بصرة بن وقّاص. له صحبة و روایة. قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، و اختطّ بها، و لهم عنه عشرة أحادیث، و کانت وفاته بمصر، و دفن بالمقطّم. قاله ابن سعد.

۳۰۰- أبو ثور الفهمیّ . قال ابن عبد البرّ: صحابی لا یعرف أحد اسمه، حدیثه عند أهل مصر. و قال ابن أبی حاتم: سئل أبو زرعة عن أبی ثور الفهمیّ: ما اسمه؟ فقال: لا أعرف اسمه. و له صحبة. قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، و لهم عنه حدیث.

و قال الذّهبی: له صحبة، و حدیثه عند المصریّین، روی عنه یزید بن عمرو.

۳۰۱- أبو جبر. قال ابن الرّبیع: بدریّ، أخبرنی یحیی بن عثمان بذلک، و أنّه دخل مصر.

۳۰۲- أبو جمعة الأنصاریّ السباعیّ- و قیل: الکنانیّ- حبیب بن سباع، و قیل ابن وهب، و قیل: جنید بن سبع. له صحبة و روایة. قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، و لهم عنه حدیث.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۰۱

و قال ابن سعد: کان بالشّام، ثمّ تحوّل إلی مصر فنزلها.

۳۰۳- أبو جندب العتقیّ. قال الذهبیّ: صحابیّ نزل مصر.

۳۰۴- أبو حمّاد- أو أبو حامد - الأنصاریّ. قال الذهبیّ: له صحبة، و حدیثه عند المصریّین مقرون بعقبة بن عامر، من طریق ابن لهیعة.

۳۰۵- أبو خراش السّلمیّ . ذکره ابن سعد فیمن نزل مصر من الصحابة، و أورد له حدیثا من حدیث عمران بن أبی أنس عنه مرفوعا: «من هجر أخاه سنة فهو کسفک دمه».

و قال الذهبیّ فی التجرید: أبو خراش السّلمیّ أو الأسلمیّ، له حدیث، و اسمه حدرد.

۳۰۶- أبو الدرداء عویمر بن عامر- و یقال: ابن مالک - الأنصاریّ الخزرجیّ.

أسلم یوم بدر، و شهد أحدا، فأبلی یومئذ، و قد ألحقه عمر رضی اللّه تعالی عنه بالبدریّین فی العطاء. قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، و لهم عنه خمسة أحادیث، مات سنة اثنتین و ثلاثین.

أخرج أبو نعیم، عن محمد بن یزید الرّحبیّ، قال: قیل لأبی الدرداء: مالک لا تشعر، فإنه لیس رجل له بیت فی الأنصار إلا و قد قال شعرا؟ قال: و أنا قلت، فاسمعوا:

یرید المرء أن یعطی مناهو یأبی اللّه إلا ما أرادا

یقول المرء: فائدتی و أهلیو تقوی اللّه أفضل ما استفادا

۳۰۷- أبو درّة البلویّ. له صحبة، ذکره ابن یونس.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۰۲

۳۰۸- أبو ذرّ الغفاریّ جندب بن جنادة . و قیل: یزید بن عبد اللّه، و قیل: بربر بن جنادة، و قیل: جندب بن سکن، و قیل: خلف بن عبد اللّه. أسلم قدیما بمکّة، و کان من فضلاء الصحابة و نبلائهم و قرّائهم. قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، و اختطّ بها، و لهم عنه عشرون حدیثا، و قد سکن مصر مدّة، ثمّ خرج منها لمّا رأی اثنین یتنازعان فی موضع لبنة، کما أمره رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بذلک. مات بالرّبذة فی ذی الحجّة سنة اثنتین و ثلاثین.

۳۰۹- أبو ذؤیب الهذلیّ الشاعر، خویلد بن خالد. قال الذهبیّ فی التجرید: کان مسلما علی عهد النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، و لم یره. و قدم و شهد السّقیفة و مبایعة أبی بکر و الصّلاة علی النبیّ صلی اللّه علیه و سلم و دفنه، و کان أشعر هذیل. قال ابن کثیر: توفّی غازیا بإفریقیّة فی خلافة عثمان.

۳۱۰- أبو رافع القبطیّ مولی النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، اسمه أسلم، و قیل: إبراهیم، و قیل: صالح، شهد أحدا و الخندق و ما بعدهما. قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، و اختطّ بها، و لهم عنه حدیث. مات بالمدینة بعد عثمان بیسیر.

۳۱۱- أبو رمثة البلویّ . قال الذهبیّ: سکن مصر، و مات بإفریقیّة، و حدیثه عند المصریّین.

و قال فی التهذیب: قیل اسمه رفاعة بن یثربیّ، و قیل بالعکس. له صحبة و روایة.

حدیثه فی المسند و السنن.

۳۱۲- أبو الرّمداء البلویّ. قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، و لهم عنه حدیث.

و قال الذهبیّ: له صحبة، اسمه یاسر.

۳۱۳- أبو رهم السماعیّ -، و قیل السّمعیّ بفتحتین. اسمه أحزاب بن أسید، بالفتح و قیل بالضمّ، و قیل ابن أسد الظهریّ بالکسر و قیل بالفتح. مختلف فی صحبته،

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۰۳

قال ابن یونس: أدرک الجاهلیّة، و عداده فی التابعین، و کذا ذکره فی التابعین البخاریّ و ابن حبّان. و قال أبو حاتم: لیست له صحبة.

و ذکره ابن أبی خیثمة و ابن سعد فی الصحابة فیمن نزل الشام منهم.

۳۱۴- أبو ریحانة الأزدیّ. اسمه شمغون - بالغین المعجمة، و قیل بالمهملة- ابن زید، حلیف الأنصار. له صحبة و روایة، شهد فتح مصر، و لهم عنه حدیثان أو ثلاثة.

۳۱۵- أبو الزّعراء . قال الذّهبیّ: مصریّ له صحبة، روی عنه أبو عبد الرحمن الجیلیّ فی الأئمة الفاضلین، و ذکره ابن الربیع فیمن دخل مصر من الصّحابة، و لهم عنه حدیث.

۳۱۶- أبو زمعة البلویّ. قال الذهبیّ: اسمه عبد- و قیل عبید- بن أرقم. بایع تحت الشجرة، و نزل مصر، و غزا إفریقیّة مع معاویة بن حدیج و قال ابن الربیع: شهد فتح مصر، و لهم عنه حدیث فی الّذی قتل تسعة و تسعین نفسا، و سأل: هل لی من توبة؟ و لم یرو عن النبیّ صلی اللّه علیه و سلم غیره، و مات بإفریقیّة.

قال: و یقال: اسمه مسعود بن الأسود .

۳۱۷- أبو الزهراء البلویّ. قال الذهبیّ: صحابیّ، شهد فتح مصر.

۳۱۸- أبو زید الغافقیّ. روی عنه عمرو بن شرحبیل. عداده فی المصریّین، کذا فی التجرید.

۳۱۹- أبو سعاد ، صاحب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم. سکن مصر، کذا فی طبقات ابن سعد، لم یزد علیه.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۰۴

و قال ابن الربیع: أبو سعید، و یقال: أبو سعاد، و اسمه عبد اللّه بن بشر ، ذکر فیمن دخل مصر من الصحابة. و قال الذهبیّ: أبو سعاد الجهنیّ، قیل هو عقبة بن عامر ، و لیس بشیء، أو لعقبة کنیتان، ثم قال: أبو سعاد، نزل حمص، قیل: اسمه جابر بن أبی أسامة.

۳۲۰- أبو سعد الخیر الأنماریّ . ذکره ابن سعد فی الصّحابة الذین نزلوا مصر، و أورد له حدیثا من روایة قیس بن الحارث العامری عنه.

و قال الذهبیّ: اسمه عامر بن سعد ، و یقال أبو سعید الخیر، شامیّ، له حدیث فی الشفاعة و فی الوضوء، روی عنه قیس بن الحارث و عبادة بن نسیء.

۳۲۱- أبو سعید الإسکندریّ. له حدیث فی السحور، کذا فی التّجرید.

۳۲۲- أبو الشّموس البلویّ . قال ابن سعد: صحب النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، و نزل مصر.

و قال فی التجرید: شهد تبوکا، و له حدیث أورده البخاری فی تاریخه.

۳۲۳- أبو صرمة الأنصاریّ ، اسمه مالک بن قیس بن مالک، و یقا لبابة بن قیس، و قیل: قیس بن مالک. قال ابن عبد البرّ: لم یختلفوا فی شهوده بدرا و ما بعدها، و کان شاعرا محسنا. قال ابن الربیع: شهد فتح مصر.

۳۲۴- أبو ضبیس البلویّ. قال الذهبیّ: مصریّ له صحبة. و قال ابن الربیع:

دخل مصر لغزو المغرب.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۰۵

۳۲۵- أبو عبد الرحمن الجهنیّ . قال الذهبیّ: یعدّ فی المصریین، روی عنه مرثد بن عبد اللّه الیزنیّ حدیثین حسنین. و ذکره ابن الربیع فیمن دخل مصر من الصحابة، و قال: لهم عنه حدیثان.

۳۲۶- أبو عبد الرحمن الفهریّ . قال الذهبیّ: اسمه عبید، و قیل: یزید بن أنیس، شهد حنینا، و قد تقدّم فی حرف الیاء.

۳۲۷- أبو عبد الرحمن القینیّ، ذکره ابن الربیع فیمن دخل مصر من الصحابة، و قال: لهم عنه حدیث.

و قال الذهبیّ: ذکره الطبرانیّ فی الصحابة، و یقال فیه: أبو عبد اللّه القینیّ، روی عنه أبو عبد الرحمن الحبلیّ.

۳۲۸- أبو عثمان الأصبحیّ . قال الذهبیّ: اعتمر فی الجاهلیة، روی عنه أبو قبیل المعافریّ. نزل مصر.

۳۲۹- أبو عطیة المزنیّ. قال فی التجرید. عداده فی المصریین، تفرّد بحدیثه بکر بن سوادة.

۳۳۰- أبو عمیرة المزنیّ، هو رشید بن مالک، تقدّم.

۳۳۱- أبو فاطمة الدّوسی الأزدیّ قال ابن الربیع: شهد فتح مصر: و اختطّ بها، و لهم عنه حدیث.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۰۶

و قال فی التّهذیب: اسمه أنیس، و قیل عبد اللّه بن أنیس، نزل الشام، و شهد فتح مصر.

۳۳۲- أبو فاطمة الضمریّ. ذکره فی التجرید عقب الأوّل، و قال: مصریّ، روی عنه کثیر بن مرّة و أبو عبد الرحمن الحبلیّ.

۳۳۳- أبو فاطمة الأشعریّ کعب بن عاصم . قال ابن الرّبیع: شهد فتح مصر، و لهم عنه حدیث، و قد تقدّم أنّ الصحیح أنّ أبا مالک غیر کعب بن عاصم، و قد اختلف فی اسمه، فقیل: الحارث، و قیل: عبید و قیل: عبید اللّه، و قیل: عمرو. مات فی خلافة عمر.

۳۳۴- أبو مالک . نزل مصر، روی عنه سنان بن سعد، و الصّحیح عن أنس بن مالک کذا فی التجرید.

۳۳۵- أبو المبتذل خلف. روی عنه حیّ المعافری، له صحبة، و نزل إفریقیّة، و قیل: أبو المنیذر، کذا فی التجرید.

۳۳۶- أبو مسلم الغافقیّ: ذکره ابن الربیع فیمن دخل مصر من الصّحابة، قال:

و لهم عنه حدیث.

۳۳۷- أبو مکنف ، قال فی التجرید: له وفادة، و شهد فتح مصر.

۳۳۸- أبو ملیکة البلویّ . ذکره ابن الربیع فیمن دخل مصر من الصحابة، و قال: لهم عنه ثلاثة أحادیث. و قال الذهبیّ: نزل مصر له صحبة، روی عنه علیّ بن رباح.

۳۳۹- أبو منصور الفارسیّ. قال الذهبیّ: نزل مصر، روی عنه دوید بن نافع، خرّجه أبو یعلی، و قیل: هو تابعیّ.

۳۴۰- أبو موسی الغافقیّ مالک بن عبادة- و یقال: ابن عبد اللّه- من حلفاء بنی عبد الدار، قال ابن الربیع: خدم النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، و شهد فتح مصر، و لهم عنه ثلاثة أحادیث.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۰۷

و قال الحسینی فی رجال المسند: صحابیّ، عداده فی المصریین.

و قال الذهبیّ فی التجرید: مصریّ، له صحبة. توفی سنة ثمان و خمسین.

۳۴۱- أبو هریرة الدّوسیّ - فی اسمه و اسم أبیه أقوال کثیرة، قال ابن الربیع:

قدم مصر علی مسلمة بن مخلّد فی خلافة معاویة، و لهم عنه ثلاثة و ثلاثون حدیثا.

۳۴۲- أبو هند الداریّ . اسمه بدیر- و یقال بدیر بن عبد اللّه بن بدیر، و هو ابن عمّ تمیم الدّاریّ و أخوه لأمّه. قال ابن الربیع: دخل مصر، و لهم عنه حدیث.

۳۴۳- أبو الهیثم. ذکره ابن الربیع فیمن دخل مصر من الصحابة. و قال الذهبیّ:

روی عنه ابن لهیعة عن بکر بن سواد عنه، فی معجم الطبرانیّ.

۳۴۴- أبو وحوح البلویّ . ذکره ابن الربیع فیمن دخل مصر من الصحابة، و لهم عنه حدیث.

۳۴۵- أبو الیقظان صاحب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، ذکره ابن سعد فیمن دخل مصر من الصحابة، و أورد من طریق أبی عشانة أنه سمع أبا الیقظان صاحب النبیّ صلی اللّه علیه و سلم یقول:

«أبشروا، فواللّه لأنتم أشدّ حبّا لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و لم تروه من عامّة من رآه».

قلت: أبو الیقظان هذا هو عمّار بن یاسر، و هی کنیته؛ و قد تفطّن لذلک ابن الربیع، فأورد هذا الأثر فی ترجمة عمّار من طرق صرّح فی بعضها بقول أبی عشانة:

سمعت أبا الیقظان عمّار بن یاسر بصقلّیة یقول، فذکره. و قد کنت أتعجّب من ابن سعد، کیف یخفی علیه هذا حتّی رأیته خفی علی الذهبیّ أیضا؛ فقال فی التجرید فی آخر الکنی: أبو الیقظان: ذکره البخاریّ، فی الصحابة، و قد سکن مصر، روی عنه أبو عشانة فقط، هذه عبارته، و هی أعجوبة کبری.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۰۸

باب المبهمات

۳۴۶- رجل من صداء ، ذکره ابن الربیع بعد ما ذکر ابن زیاد بن الحارث الصدائیّ و حبّان بن بحّ الصدائیّ، قال: و لهم عنه حدیث واحد، ثمّ أخرج من طریق أبی عبد اللّه بن جزء، عن أبی بکر بن سوادة، عن رجل من صداء، قال: أتینا النبیّ صلی اللّه علیه و سلم اثنا عشر رجلا فبایعناه و ترک منّا رجلا لم یبایعه، فقلنا: بایعه یا رسول اللّه؛ فقال: لن أبایعه، حتّی ینزع التی علیه، إنّه من کان علیه مثل الذی علیه کان مشرکا ما کانت علیه.

قال: فنظرنا، فإذا فی عضده سیر فیه شیء من لحا شجرة.

۳۴۷- أبو جدیع المرادیّ. قال ابن الربیع: ذکر ابن وزیر و عبد العزیز بن میسرة أنّه کان عاملا للنبی صلی اللّه علیه و سلم، و أنّه کان من أهل مصر.

باب النساء

۳۴۸- ماریة بنت شمعون القبطیة، أمّ إبراهیم بن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم. من أهل حفن من کورة أنصنا، أهداها له المقوقس، فاستولدها السید إبراهیم سیّد الصدّیقین.

قال ابن عبد الحکم: ماتت ماریة فی المحرّم سنة خمس عشرة، و صلّی علیها عمر ابن الخطاب، و دفنت بالبقیع. و قال ابن عبد البرّ: ماتت سنة ست عشرة.

۳۴۹- سیرین أخت ماریة، أهداها المقوقس لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، فوهبها لحسّان بن ثابت، فولدت له عبد الرحمن؛ روی عنها ابنها؛ و لها حدیثان. و سیرین بالسین المهملة، کما ذکره ابن عبد البرّ و الذهبی؛ و قیل: اسم أخت ماریة حسنة. قاله الأعرج، و قیل قیصر، قاله ابن لهیعة. و قد ورد أنّ المقوقس أهدی له ثلاث جوار؛ فلعل هذا اسم الثالثة، و قد وهبها لأبی جهم بن حذیفة العبدیّ، فولدت له زکریا الذی کان خلیفة عمرو بن العاص علی مصر.

۳۵۰- أمّ زکریّا، الجاریة التی أهداها المقوقس، قد شرح أمرها.

۳۵۱- أمّ عبد اللّه نبیه بن الحجّاج. امرأة عمرو بن العاص. صحابیّة قال صلی اللّه علیه و سلم:

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۰۹

«نعم أهل عبد اللّه، و أبو عبد اللّه، و أمّ عبد اللّه»، الظاهر أنّها کانت بمصر مع زوجها، و هو مقیم بها أمیرا عشر سنین.

۳۵۲- أم ذرّ، زوجة أبی ذرّ الغفاریّ. صحابیّة معروفة، و قد سکن زوجها أبو ذرّ فی مصر مدّة.

قلت: فالظاهر أنّها کانت معه، فإنّها کانت تنتقل معه حیث انتقل، و لها روایة عن أبی ذرّ فی المسند، روی الأشتر النخعیّ عنها.

۳۵۳- فاضلة الأنصاریة. امرأة ابن أنیس الجهنیّ. صحابیّة، لها حدیث. کذا فی التجرید.

قلت: و الظاهر أنها کانت بمصر مع زوجها حین أقام بها.

۳۵۴- سودة بنت أبی ضبیس الجهنیّة. قال الذهبیّ: لها و لأبیها صحبة، بایعت بعد الفتح.

قلت: و أبوها کان بمصر، فلعلّها کانت معه.

تنبیه

المقوقس صاحب الإسکندریة ذکره ابن منده و أبو نعیم فی کتابیهما فی الصحابة و ابن قانع فی معجم الصحابة، و أورده الذهبی فی التجرید، قال: و لا مدخل له فی الصحابة فما زال نصرانیّا قال: و اسمه جریج.

خاتمة

قال ابن الربیع: ذکر ابن وزیر أنّه دخل مصر مع عمرو بن العاص من بلیّ ممّن بایع تحت الشجرة مائة رجل، و المقلّل یقول: سبعون رجلا.

و أخرج ابن عبد الحکم، عن سلیمان بن یسار قال: غزونا إفریقیّة مع ابن حدیج، و معنا بشر کثیر من أصحاب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم من المهاجرین و الأنصار.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۱۰

هذا آخر الکتاب. و قال الحافظ الشمس الداوردیّ تلمیذ المؤلّف: قال مؤلّفه رحمه اللّه تعالی: فرغت من تحریره یوم الأحد مستهلّ المحرّم سنة ثمان و ثمانین و ثمانمائة.

ذکر من کان بمصر من مشاهیر التابعین الذین رووا الحدیث

۱- إیاس بن عامر الغافقیّ المصریّ . عن علیّ و عقبة بن عامر، و عنه ابن أخیه موسی بن أیّوب. قال ابن یونس: وفد علی علیّ، و شهد معه مشاهده.

۲- حسّان بن کریب الرّعینیّ الحمیریّ . أبو کریب المصریّ. عن عمر و علیّ.

شهد فتح مصر، وثّقه ابن حبّان.

۳- سلیم بن عنز التجیبیّ. فی المجتهدین، و کذا جملة من التابعین و أتباعهم.

۴- عبد اللّه بن زریر الغافقیّ المصریّ . عن عمرو. قال العجلیّ: مصریّ تابعیّ ثقة. مات سنة ثمانین.

۵- زیاد بن ربیعة بن نعیم الحضرمیّ المصریّ. عن ابن عمر و أبی ذرّ. وثّقه العجلیّ. مات سنة خمس و تسعین.

۶- شقیق بن ثور بن عنبر السّدوسیّ المصریّ. عن أبیه و عثمان و علیّ و معاویة. وثّقه ابن حبّان. مات سنة أربع و ستین .

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۱۱

۷- شیبان بن أمیّة - و یقال ابن قیس القتبانیّ- أبو حذیفة المصریّ. عن رویفع ابن ثابت و أبی عمیرة المزنیّ، و عنه بکر بن سوادة و شییم القتبانیّ. قال فی التهذیب:

فیه جهالة.

۸- قیس بن سمیّ التّجیبیّ . شهد فتح مصر، و روی عن عمرو بن العاص، و عنه سوید بن قیس. لیس بمشهور.

۹- کثیر بن قلب الصّدفیّ الأعرج . عن عقبة بن عامر و أبی فاطمة الدّوسیّ.

۱۰- أبو قیس مولی عمرو بن العاص. عنه و عن أمّ سلمة. وثّقه ابن حبّان.

مات سنة أربع و خمسین.

۱۱- أبو الأزهر المصریّ . عن عمر و حذیفة و سلمان: و عنه عبد اللّه بن أبی جعفر المصریّ و غیره.

۱۲- أسلم بن یزید أبو عمران التّجیبیّ المصریّ. عن أبی أیّوب و عقبة بن عامر و عنه یزید بن أبی حبیب. وثّقه النّسائیّ. کان وجیها بمصر فی أیّامه، و کانت الأمراء یسألونه فی حوائجهم.

۱۳- ثمامة بن شفیّ الهمدانیّ أبو علیّ المصریّ نزیل الإسکندریة. عن عقبة بن عامر و فضالة بن عبید. وثّقة النّسائیّ. مات قبل العشرین و مائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۱۲

۱۴- الحارث بن یزید الحضرمیّ أبو عبد الکریم المصریّ. عن جبیر بن نفیر و عبد الرحمن بن حجیرة. و عنه الأوزاعیّ و اللیث. قال اللیث: کان یصلّی کلّ یوم ستمائة رکعة. مات ببرقة سنة ثلاثین و مائة، و له مائة سنة. قاله الذّهبیّ فی التّجرید.

۱۵- الحکم بن عبد اللّه البلویّ المصریّ. عن علیّ بن رباح، و عنه یزید بن أبی حبیب. وثّقة ابن معین.

۱۶- أبو عشّانة المعافریّ: حیّ بن یومن المصریّ. عن ابن عمرو و عقبة بن عامر. وثّقة أحمد و یحیی، و ابن حبّان و غیرهم. مات سنة ثمانی عشرة و مائة.

۱۷- داود السراج الثّقفیّ المصریّ. عن أبی سعید الخدریّ. و عنه قتادة. وثّقه ابن حبّان.

۱۸- دخین بن عامر الحجریّ أبو لیلی المصریّ. کاتب عقبة بن عامر. عنه و عن بکر بن سوادة و عدّة. وثّقه ابن حبّان، قتله الروم سنة اثنتین و مائة .

۱۹- زهیر بن قیس البلویّ المصریّ . عن علقمة بن رمثة البلویّ، و عنه سوید ابن قیس.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۱۳

۲۰- زیاد بن نافع التّجیبیّ المصریّ. عن علیّ بن رباح، و عنه بکر بن سوادة.

وثّقه ابن حبّان.

۲۱- سالم بن أبی سالم سفیان بن هانیء الجیشانیّ المصریّ. عن أبیه و ابن عمرو، و عنه ابنه عبد اللّه و یزید بن أبی حبیب. وثّقة ابن حبّان.

۲۲- سلیم بن جبیر المصریّ أبو یونس. عن مولاه، عن أبی هریرة و أبی أسید الساعدیّ. وثّقة النّسائیّ. مات سنة ثلاث و عشرین و مائة.

۲۳- سعید بن الصّلت بن یعقوب المصریّ . أرسل عن سهیل بن بیضاء، و روی عن ابن عبّاس و غیره، و عنه محمد بن إبراهیم التّیمیّ و بکر بن سوادة. وثّقة ابن حبّان. قال البخاریّ و أبو حاتم: هو سعید- بفتح أوّله- و قال ابن أبی عاصم فی کتاب الآحاد و المثانی: سعید بالضّم. قال الحسینیّ: و هو الصواب.

۲۴- سلیمان بن عمرو بن عبید اللیثیّ العتواریّ. أبو الهیثم المصریّ. عن أبی سعید و أبی هریرة و أبی بصرة الغفاریّ. و عنه درّاج و غیره. وثّقة ابن معین .

۲۵- سوید بن قیس التّجیبیّ المصریّ. عن ابن عمرو بن عمرو. وثّقه ابن حبّان . حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة ؛ ج۱ ؛ ص۲۱۳

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۱۴

۲۶- شییم بن بیتان القتبانیّ البلویّ المصریّ. عن أبیه و رویفع بن ثابت. وثّقه ابن معین و غیره .

۲۷- صالح بن خیوان- بفتح المعجمة، و قیل بالمهملة- السّبئیّ المصریّ. عن ابن عمر و عقبة بن عامر و الثابت بن خلاد. وثّقه ابن حبّان .

۲۸- عبّاس بن جلید- بالجیم، مصغّر- الحجری المصریّ. عن ابن عمر و عبد اللّه بن الحارث الزّبیدیّ. وثّقه العجلیّ و أبو زرعة. مات قریبا من سنة مائة .

۲۹- عبد اللّه بن رافع الحضرمیّ المصریّ أبو سلمة. عن أبی هریرة، و عنه سلیمان بن راشد. ذکره ابن حبّان فی الثقات .

۳۰- عبد اللّه بن أبی مرّة الزّوقیّ المرادیّ. شهد فتح مصر، و اختطّ بها. روی عن خارجة بن حذافة حدیث الوتر، و عنه عبد اللّه بن راشد و زین بن عبد اللّه الزّوقیّ .

۳۱- عبد اللّه بن منین الیحصبیّ المصریّ. عن ابن عمرو، و عنه الحارث بن سعید العتقیّ .

۳۲- عبد اللّه بن یزید المعافریّ أبو عبد اللّه الحبلیّ المصریّ. عن ابن مسعود و أبی ذرّ و أبی أیّوب و جابر و عدّة. مات بإفریقیّة سنة مائة .

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۱۵

۳۳- عبد الرحمن بن جبیر المصریّ المؤذّن. عن أبی الدرداء و عدّة. مات سنة سبع و تسعین .

۳۴- عبد الرحمن بن زغب الإیادیّ. عن عبد اللّه بن حوالة، و عنه ضمرة بن حبیب. قال الحاکم فی المستدرک: فی تابعیّ أهل مصر.

۳۵- عبد الرحمن بن رافع التّنوخیّ أبو الجهم المصریّ. قاضی إفریقیّة، عن ابن عمرو و غیره، و عنه ابنه إبراهیم، و بکر بن سوادة. قال البخاریّ: فی حدیثه بعض مناکیر .

۳۶- عبد الرحمن بن شماسة المهریّ المصریّ. عن أبی ذرّ و زید بن ثابت و عائشة. مات بعد المائة .

۳۷- عبد الرحمن بن عبد اللّه الغافقیّ أمیر الأندلس. عن ابن عمر، و عنه عبد العزیز بن عمر بن عبد العزیز. قال ابن معین: لا أعرفه. و قال ابن یونس: قتلته الروم بالأندلس سنة خمس عشرة و مائة .

۳۸- عبد الرحمن بن و علة السّبئیّ المصریّ. عن ابن عمر و ابن عباس، و عنه أبو الخیر الیزنیّ .

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۱۶

۳۹- عبد العزیز بن مروان بن الحکم الأمویّ. أمیر مصر. عن أبیه و أبی هریرة و عقبة بن عامر. و عنه ابنه عمر أمیر المؤمنین، و الزّهریّ و طائفة. وثّقه النّسائیّ و ابن سعد. مات سنة اثنتین ، و قیل: خمس و ثمانین.

۴۰- عبد العزیز بن أبی الصّعبة التیمیّ مولاهم المصریّ. عن أبیه، و أبی أفلح الهمدانیّ، و عنه یزید بن أبی حبیب. وثّقه ابن حبّان.

۴۱- عبید بن ثمامة المرادیّ المصریّ. عن عبد اللّه بن الحارث بن جزء، و عنه عبد الملک بن أبی کریمة.

۴۲- عمّار بن سعد التّجیبیّ . شهد فتح مصر. عن عمرو بن العاص و أبی الدرداء، و عنه الضحّاک بن شرحبیل. مات سنة خمس و مائة.

۴۳- عمرو بن مالک الهمدانیّ أبو علیّ الجنبیّ المصریّ. عن أبی سعید الخدریّ و فضالة بن عبید، وثّقه ابن معین.

۴۴- عمرو بن الولید بن عبدة المصریّ . عن ابن عمرو و قیس بن سعد، و عنه

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۱۷

یزید بن أبی حبیب. شهد فتح مصر، و مات سنة مائة. وثّقه ابن حبّان.

۴۵- عمران بن عبد اللّه المعافریّ المصریّ. عن ابن عمر، و عنه عبد الرحمن بن زیاد بن أنعم. ضعّفه ابن معین.

۴۶- عیسی بن هلال الصّدفیّ المصریّ. عن ابن عمرو، و عنه درّاج. وثّقه ابن حبّان.

۴۷- قیصر التّجیبیّ المصریّ. عن ابن عمرو، و عنه یزید بن أبی حبیب و مکحول. وثّقه ابن حبّان و أبو حاتم.

۴۸- کلیب بن ذهل الحضرمیّ المصریّ. عن عبید بن جبر، و عنه یزید بن أبی حبیب. وثّقه ابن حبّان.

۴۹- لهیعة بن عقبة الحضرمیّ- والد عبد اللّه- المصریّ. عن سفیان بن وهب الصحابیّ، و عنه یزید بن أبی حبیب و غیره. وثّقه ابن حبّان. مات سنة مائة .

۵۰- مالک بن سعد التّجیبیّ. عن ابن عبّاس، و عنه مالک بن جبر الزّیادیّ.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۱۸

قال أبو زرعة: مصریّ لا بأس به. وثّقه ابن حبّان.

۵۱- محمد بن هدیّة الصّدفیّ. عن ابن عمرو، و عنه شراحیل المعافریّ. وثّقه ابن حبّان. و قال ابن یونس: لیس له غیر حدیث واحد.

۵۲- مسلم بن مخشیّ المدلجیّ أبو معاویة المصریّ. عن ابن الفراسیّ، و عنه بکر بن سوادة. وثّقه ابن حبّان.

۵۳- مسلم بن یسار المصریّ أبو عثمان الطّنبذیّ. عن ابن عمر و أبی هریرة.

مات بإفریقیّة زمن هشام بن عبد الملک.

۵۴- المغیرة بن أبی بردة العبدریّ المصریّ. عن أبی هریرة، و عنه سعید بن مسلمة المخزومیّ. وثّقه النّسائیّ و غیره.

۵۵- المغیرة بن نهیک الحجریّ المصریّ . عن عقبة بن عامر، و عنه عثمان بن ابن نعیم الرّعینیّ.

۵۶- منصور بن سعید بن الأصبغ الکلبی المصریّ. عن دحیة، و عنه أبو الخیر مرثد. قال العجلی: تابعیّ ثقة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۱۹

۵۷- ناعم بن أجیل الهمدانی أبو عبد اللّه المصریّ مولی أمّ سلمة. عنها و عن عثمان و علیّ و ابن عمر و ابن عبّاس، و عنه الأعرج و یزید بن أبی حبیب.

۵۸- هشام بن أبی رقیّة المصریّ . عن ابن عمرو، و عقبة بن عامر و مسلمة بن مخلد، و عنه عمرو بن الحارث و غیره. وثّقه ابن حبّان.

۵۹- الهیثم بن شفیّ الرّعینیّ المصریّ أبو الحصین . عن ابن عمرو، و أبی ریحانة، و عنه یزید بن أبی حبیب.

۶۰- الولید بن قیس بن الأخرم التّجیبیّ المصریّ. عن أبی سعید الخدری، و عنه ابنه عبد اللّه و سالم بن غیلان و یزید بن أبی حبیب. وثّقه ابن حبّان.

۶۱- یزید بن رباح أبو فراس المصریّ. عن مولاه ابن عمرو و ابن عمر و أمّ سلمة، و عنه الزّهریّ و بکر بن سوادة. مات سنة تسعین.

۶۲- یزید بن صبح المصریّ. عن عقبة بن عامر، و عنه عمرو بن الحارث و جماعة. وثّقه ابن حبّان.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۲۰

۶۳- أبو أفلح الهمدانیّ المصریّ. عن عبد اللّه بن زریر الغافقیّ، و عنه بکر بن سوادة و غیره.

۶۴- أبو الخطاب المصریّ. عن أبی سعید الخدریّ، و عنه أبو الخیر الیزنی. قال النّسائیّ: لا أعرفه .

۶۵- أبو طلحة درع بن الحارث الخولانیّ المصریّ. شهد فتح مصر. عن أبی ذرّ، و عنه یزید بن أبی حبیب.

۶۶- أبو عامر عبد اللّه بن جابر الحجریّ المصریّ. عن أبی ریحانة الأزدیّ، و عنه الهیثم بن شفیّ الرّعینیّ و عبد الملک بن عبد اللّه الخولانیّ.

۶۷- أبو عبیدة بن عقبة بن نافع الفهریّ المصریّ. قیل: اسمه مرّة. عن أبیه و أخیه عیاض و ابن عمرو، عنه عبد الکریم بن الحارث و غیره. وثّقه ابن حبّان.

۶۸- أبو عیاش المعافریّ المصریّ. عن جابر و أبی هریرة، و عنه یزید بن أبی حبیب و غیره، لا یعرف اسمه .

۶۹- أبو الهيثم كثير المصرىّ. مولى عقبة بن عامر. عن مولاه، و عنه كعب بن علقمة التّنوخىّ.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۲۱

۷۰- يزيد الخولانىّ المصرىّ الكبير. عن فضالة بن عبيد، و عنه عطاء بن دينار .

و من صغار التابعين طبقة قتادة و الزّهرىّ

۷۱- إسحاق بن أسيد الأنصارى الخراسانى. نزيل مصر. عن نافع و عطاء، و عنه الليث و طائفة. قال الذهبىّ: ليّن.

۷۲- إسماعيل بن يحيى المعافرىّ المصرىّ. عن سهل بن معاذ، و عنه عبد اللّه ابن سليمان الطويل. فى حديثه نكارة.

۷۳- بكر بن عمرو المعافرىّ المصرىّ. إمام جامعها ، عن عكرمة و بكير بن الأشج، و عنه ابن لهيعة. مات فى خلافة المنصور.

۷۴- ثبات بن ميمون المصرى. عن ثعلب الأسلمىّ و نافع مولى ابن عمر، و عنه عمرو بن الحارث.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۲۲

۷۵- الجلاح أبو كثير الأموى المصرىّ. مولى عبد العزيز بن مروان. عن أبى سلمة بن عبد الرحمن و حنش الصّنعانىّ، و عنه عمرو بن الحارث و الليث. قال ابن يونس: كان عمر بن عبد العزيز قد جعل إليه القصص بالإسكندرية. مات سنة عشرين و مائة.

۷۶- الحارث بن سعيد العتقىّ المصرىّ. عن عبد اللّه بن منين، و عنه نافع ابن يزيد و ابن لهيعة. مجهول.

۷۷- الحارث بن يعقوب الأنصارىّ المصرىّ العابد. مولى قيس بن سعد بن عبادة، والد الفقيه عمرو. عن سهل بن سعد و عبد الرحمن بن شماسة، و عنه ابنه عمرو و الليث. وثّقه ابن معين و غيره.

۷۸- حبّان بن أبى جبلة المصرىّ القرشىّ. عن ابن عبّاس و ابن عمر و عمرو بن العاص و ابنه، و عنه موسى بن علىّ بن رباح. مات بإفريقيّة سنة اثنتين و عشرين مائة.

۷۹- حجّاج بن شدّاد الصّنعانىّ المصرىّ. عن أبى صالح الغفارىّ، و عنه حيوة بن شريح و عدّة. وثّقه ابن حبّان. و مات سنة تسع و عشرين و مائة.

۸۰- حكيم بن عبد اللّه بن قيس بن مخرمة بن المطّلب المطّلبىّ المصرىّ. عن ابن عمر و عامر بن سعد، و عنه يزيد بن أبى حبيب و الليث. مات سنة ثمانى عشرة و مائة.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۲۳

۸۱- حكيم بن عبد الرحمن المصرىّ أبو غسّان. عن الحسن البصرىّ. و عنه الليث.

۸۲- درّاج بن سمعان أبو السّمح المصرىّ القاصّ . مولى عبد اللّه بن عمرو بن العاص. يقال: اسمه عبد الرحمن، و درّاج لقب. عن عبد اللّه بن الحارث بن جزء؛ و عنه الليث. مات سنة ست و عشرين و مائة .

۸۳- خمير بن مالك الكلاعىّ الحميرىّ. قاضى الإسكندرية. عن ابن عمرو، قال الدّارقطنى: عداده فى المصريين.

۸۴- راشد بن جندل اليافعى. عن حبيب بن أوس الثّقفىّ، و عنه يزيد بن أبى حبيب. وثّقه ابن حبّان، و قال: يروى المراسيل.

۸۵- راشد الثّقفىّ. مولى حبيب بن أوس. عن مولاه، و عنه يزيد بن أبى حبيب. وثّقه ابن حبّان، و قال: يروى المراسيل .

۸۶- ربيعة بن سليم التّجيبىّ المصرىّ. عن حنش الصّنعانىّ، و بشر بن عبيد اللّه، و عنه يحيى بن أيّوب و ابن لهيعة. وثّقه ابن حبّان.

۸۷- ربيعة بن سيف المعافرىّ الإسكندرانىّ. عن فضالة بن عبيد، و عنه

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۲۴

اللّيث. قال الدّارقطنىّ: مصرىّ صالح. توفّى فى حدود عشرين و مائة .

۸۸- ربيعة بن لقيط التّجيبىّ المصرىّ. عن عبد اللّه بن حوالة و مالك بن هبيرة، و عنه يزيد بن أبى حبيب و غيره. وثّقه ابن حبّان.

۸۹- زبّان بن عبد العزیز بن مروان الأمویّ. عن أخیه عمر بن عبد العزیز، و عنه أسامة بن زید و اللیث. قال ابن حبّان فی الثقات: یروی المراسیل، و کان أحد الفرسان. قتل ببوصیر مع مروان الحمار سنة اثنتین و ثلاث و مائة.

۹۰- زهرة بن معبد بن عبد اللّه بن هشام التّیمی أبو عقیل. نزیل مصر، عن جدّه، و له صحبة، و عن ابن عمرو بن الزبیر. مات بالإسکندریة سنة خمس و ثلاثین و مائة عن سنّ عالیة، و ذکر أنّه کان من الأبدال.

۹۱- زیاد بن عبید الحمیریّ المصریّ. عن رویفع بن ثابت و عقبة بن عامر، و عنه حیوة بن شریح. ذکره ابن حبّان فی الثقات.

۹۲- سعد بن سنان- و یقال سنان بن سعد، و یقال سعید بن سنان- الکندیّ المصریّ. عن أنس و غیره، و عنه یزید بن أبی حبیب فقط. قال النّسائیّ: لیس بثقة .

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۲۵

۹۳- سلیمان بن راشد، المصریّ. عن عبد اللّه بن رافع الحضرمیّ، و عنه خالد بن یزید و سعید بن أبی هلال. ذکره ابن حبّان فی الثقات.

۹۴- سلیمان بن زیاد الحضرمیّ المصریّ. عن عبد اللّه بن الحارث بن جزء، و عنه ابنه غوث و ابن لهیعة. وثّقه ابن معین، و قال أبو حاتم: شیخ صحیح الحدیث.

۹۵- سهل بن معاذ بن أنس الجهنیّ. شامیّ نزل مصر. عن أبیه، و عنه اللیث و ثور بن یزید. وثّقه ابن حبّان.

۹۶- سوید الجذامیّ . عن أبی عشّانة المعافریّ، و عنه ابنه معروف.

۹۷- سیّار بن عبد الرحمن الصّدفیّ المصریّ عن حنش الصّنعانیّ و عکرمة، و عنه ابن لهیعة و اللّیث. وثّقه ابن حبّان، و ضعّفه ابن معین.

۹۸- صالح بن أبی عریب قلیب بن حرمل الحضرمیّ. عن خلّاد بن السائب.

و عنه کثیر بن مرّة، و عنه حیوة بن شریح و اللّیث. وثّقه ابن حبّان.

۹۹- عامر بن یحیی المعافریّ أبو خنیس المصریّ. عن ابن عمر، و فضالة بن

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۲۶

عبید، و عنه اللیث. مات قبل عشرین و مائة.

۱۰۰- عبد اللّه بن ثعلبة الحضرمیّ المصریّ. عن عبد الرحمن بن حجیرة.

وثّقه ابن حبّان.

۱۰۱- عبد اللّه بن راشد الزّوفیّ أبو الضّحاک المصریّ. عن عبد اللّه بن أبی مرّة، و عنه یزید بن حبیب. وثّقه ابن حبّان.

۱۰۲- عبد اللّه بن مالک بن حذافة. حجازیّ نزل مصر. عن أمّ العالیة بنت سبیع، و عنه کثیر بن فرقد فقط.

۱۰۳- عبد اللّه بن هبیرة السّبتیّ الحضرمیّ أبو هبیرة المصریّ. عن أبی تمیم الجیشانیّ و قبیصة بن ذؤیب. مات سنة ست و عشرین و مائة .

۱۰۴- عبد الکریم بن الحارث الحضرمیّ المصریّ العابد أبو الحارث. عن المستورد بن شدّاد و عنه اللیث. قال ابن یونس: کان من العبّاد المجتهدین. مات ببرقة سنة ستّ و ثلاثین و مائة.

۱۰۵- عثمان بن نعیم الرّعینیّ المصریّ. عن المغیرة بن نهیک، و عنه ابن لهیعة فقط. قال فی التهذیب: فیه نظر.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۲۷

۱۰۶- عطاء بن دینار الهذلیّ أبو الرّیان المصریّ. عن أبی یزید الخولانیّ، و عنه حیوة بن شریح. وثّقه أحمد. مات سنة ست و عشرین و مائة.

۱۰۷- عقبة بن مسلم التّجيبى أبو محمد القاصّ المصرىّ. إمام جامعها، عن ابن عمر و ابن عمرو، و عنه حيوة بن شريح، وثّقه العجلىّ. مات قريبا من سنة عشرين و مائة.

۱۰۸- عمر بن السائب المصرىّ، مولى بنى زهرة. عن أسامة بن زيد، و عنه ابن لهيعة و اللّيث. وثّقه ابن حبّان.

۱۰۹- عمرو بن جابر الحضرمىّ أبو زرعة المصرىّ. عن جابر بن عبد اللّه و سهل بن سعد، و عنه ابنه عمران و ابن لهيعة. قال النّسائىّ: ليس بثقة.

۱۱۰- عمران بن أبى أنس العامرىّ المصرىّ. عن أبى هريرة و سلمان الأغرّ، و عنه ابنه عبد الحميد و يزيد بن أبى حبيب. مات سنة سبع عشرة و مائة.

۱۱۱- قيس بن رافع الأشجعىّ المصرىّ أبو رافع. عن ابن عمر و ابن عمرو

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۲۸

و أبى هريرة، و عنه ابن لهيعة و عبد الكريم بن الحارث و يزيد بن أبى حبيب. ذكره ابن حبّان فى الثقات.

۱۱۲- قيس بن سالم المعافرىّ أبو جزرة المصرى. عن عمر بن عبد العزيز و أبى أمامة بن سهل بن حبيب، و عنه بكر بن مضر و اللّيث و يحيى بن أيّوب. ذكره ابن حبّان فى الثّقات.

۱۱۳- كعب بن علقمة بن كعب التّنوخىّ المصرىّ. عن سعيد بن المسيّب، و عنه اللّيث. مات سنة ثلاثين و مائة.

۱۱۴- مشرح بن هاعان المعافرىّ أبو المصعب المصرىّ. عن عقبة بن عامر، و عنه اللّيث. وثّقه ابن معين، و قال ابن حبّان: يروى عن عقبة مناكيره، لا يتابع عليها.

مات قريبا من سنة عشرين و مائة.

۱۱۵- موسى بن وردان المصرىّ القاصّ أبو عمرو. عن جابر و أبى سعيد و أبى هريرة، و عنه ابنه سعيد، و اللّيث و ابن لهيعة. وثّقه أبو داود و العجلىّ، و ضعّفه أبو حاتم. و قال الدارقطنى: لا بأس به. مات سنة سبع عشرة و مائة .

۱۱۶- واهب بن عبد اللّه المعافرىّ المصرىّ . عن ابن عمر و أبى هريرة، و عنه

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۲۹

ابن لهيعة. وثّقه ابن حبّان. مات سنة سبع و ثلاثين ببرقة.

۱۱۷- وفاء بن شريح الصّدفىّ المصرى. عن سهل بن سعد و المستورد بن شدّاد، و عنه بكر بن سوادة و زيادة بن نعيم. وثّقه ابن حبّان.

۱۱۸- يزيد بن عمرو المعافرىّ المصرىّ. عن ابن عمرو، و عنه اللّيث و ابن لهيعة. قال أبو حاتم: لا بأس به.

۱۱۹- يزيد بن محمد بن قيس المطلبىّ المصرىّ. عن أبى الهيثم العتوارىّ و محمد بن عمرو بن حلحلة، و عنه اللّيث و يزيد بن أبى حبيب. وثقه ابن حبّان.

۱۲۰- أبو طعمة هلال مولى عمر بن عبد العزيز القارئ. عن ابن عمر، و مولاه و عنه ابن لهيعة، شامىّ سكن مصر، ضعّفه أبو أحمد الحاكم، و وثّقه غيره.

۱۲۱- أبو عيسى الخراسانىّ- نزل مصر- قيل اسمه سليمان بن كيسان، و قيل:

محمد بن عبد اللّه . عن الضحّاك و عطاء، و عنه حيوة بن شريح و ابن لهيعة. وثّقه ابن حبّان .

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۳۰

طبقة أخرى أصغر من التى قبلها و هى طبقة الأعمش و أبى حنيفة

۱۲۲- إبراهيم بن نشيط الوعلانىّ. دخل على عبد اللّه بن الحارث بن جزء، و روى عن نافع و الزّهرىّ، و عنه اللّيث و ابن وهب. وثّقه

أبو زرعة و غيره. مات سنة إحدى- أو اثنتين- و ستين و مائة. و قال الذهبيّ: مصريّ تابعيّ، غزا القسطنطينية زمن سليمان.

۱۲۳- بشير بن أبي عمرو الخولانيّ المصريّ أبو الفتح. عن عكرمة و الوليد بن قيس التّجيبيّ. و عنه حيوة بن شريح و ابن لهيعة و الليث. و قال أبو زرعة: مصري ثقة.

۱۲۴- جعفر بن ربيعة الكنديّ أبو شرحبيل المصريّ. رأى عبد اللّه بن الحارث ابن جزء، و روى عن الأعرج، و عنه الليث. قال أحمد: كان شيخا من أصحاب الحديث. ثقة. مات سنة ستّ و ثلاثين و مائة.

۱۲۵- حرملة بن عمران التّجيبيّ أبو حفص المصريّ. جدّ حرملة ابن صاحب الشافعيّ. عن عبد الرحمن بن شماسة، و عنه المبارك و ابن وهب. وثّقه أحمد و يحيى.

۱۲۶- حسان بن عبد اللّه المصرى. عن سعيد بن أبي هلال، و عنه حيوة بن شريح و غيره. وثّقه ابن حبّان.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۳۱

۱۲۷- الحسن بن ثوبان الهوزنيّ المصريّ أبو ثوبان. عن عكرمة، و عنه الليث. وثّقه ابن حبّان. قال ابن يونس: كان له عبادة و فضل. مات سنة أربع و خمسين و مائة.

۱۲۸- حفص بن الوليد بن سيف الحضرميّ أبو بكر المصريّ. أمير مصر. عن الزهريّ، و عنه الليث. وثّقه ابن حبّان. استشهد بمصر في شوال سنة ثمان و عشرين و مائة.

۱۲۹- حميد بن زياد أبو صخر المدنيّ الخرّاط. سكن مصر. عن نافع و المقبريّ، و عنه ابن وهب و جماعة.

۱۳۰- حميد بن زياد الأصبحيّ . مصريّ. حكى عن عمر بن عبد العزيز.

۱۳۱- حميد بن هانىء أبو هانىء الخولانيّ المصريّ. عن أبي عبد الرحمن الحبليّ و عليّ بن رباح، و عنه ابن لهيعة و اللّيث و ابن وهب. مات سنة اثنتين و أربعين و مائة.

۱۳۲- حنين بن أبي حكيم المصريّ. عن عليّ بن رباح و مكحول و نافع. و عنه الليث و ابن لهيعة. وثّقه ابن حبّان.

۱۳۳- حيّ بن عبد اللّه بن شريح المعافريّ الحبليّ أبو عبد اللّه المصريّ. عن

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۳۲

أبي عبد الرحمن الحبليّ. و عنه اللّيث و ابن لهيعة و ابن وهب: قال ابن معين: ليس به بأس، و ضعّفه النّسائيّ، و قال أحمد: أحاديثه مناكير. مات سنة ثلاث و أربعين و مائة.

۱۳۴- دويد بن نافع أبو عيسى الشاميّ. نزل مصر. و يقال ذويد. عن أبي صالح السّمانّ و الزّهريّ، و عنه ابنه عبد اللّه و الليث. قال ابن حبّان: مستقيم الحديث.

۱۳۵- راشد بن يحيى - و يقال: ابن عبد اللّه أو يحيى- المعافريّ. عن أبي عبد الرحمن الحبليّ، و عنه ابن لهيعة و عبد الرحمن بن زياد الإفريقيّ.

۱۳۶- رزيق الثّقفيّ . عن عبد الرحمن بن شماسة، و عنه ابن لهيعة. مجهول.

۱۳۷- زبّان بن فائد المصريّ أبو جوين الحمزاويّ. عن سهل بن معاذ بن أنس، و عنه اللّيث و ابن لهيعة. قال أحمد: أحاديثه مناكير. قال أبو حاتم: صالح، مات سنة خمس و خمسين و مائة.

۱۳۸- زيادة بن محمد الأنصاريّ. عن محمد بن كعب القرظيّ، و عنه اللّيث و ابن لهيعة. قال البخاريّ و غيره: منكر الحديث.

۱۳۹- سالم بن غيلان التّجيبيّ المصريّ. عن يزيد بن أبي حبيب، و عن ابن

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۳۳

لهيعة و ابن وهب. قال أحمد و غيره: ليس به بأس.

۱۴۰- سعید بن أبی هلال اللّیثی أبو العلاء المصریّ. عن نافع و عدّة، و عنه اللّیث. مات سنة تسع و أربعین و مائة.

۱۴۱- سعید بن یزید الحمیریّ القتبانیّ أبو شجاع الإسکندرانیّ. عن خالد بن أبی عمران و درّاج، و عنه اللیث. قال ابن یونس: کان من العبّاد. ثقة فی الحدیث.

مات سنة أربع و خمسین و مائة.

۱۴۲- شراحیل بن یزید المعافریّ أبو محمد المصریّ. عن أبی قلابة، و عنه ابن لهیعة. وثّقه ابن حبّان.

۱۴۳- شرحبیل بن شریک المعافریّ أبو محمد المصریّ. عن أبی عبد الرحمن الحبلیّ. و عنه اللّیث و أبو لهیعة.

۱۴۴- الضّحاک بن شرحبیل بن عبد اللّه الغافقیّ المصریّ. عن ابن عمر و أبی هریرة و زید بن أسلم، و عنه ابن لهیعة و حیوة بن شریح. وثّقه ابن حبّان.

۱۴۵- طلحة بن أبی سعید الإسکندرانیّ أبو عبد الملک المصریّ. عن سعید

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۳۴

المقبریّ، و عنه اللیث و ابن وهب. وثّقه أبو زرعة و غیره.

۱۴۶- عبد اللّه بن جنادة المعافریّ المصریّ. عن أبی عبد الرحمن الحبلیّ، و عنه یحیی بن أیّوب و سعید بن أبی أیّوب. وثّقه ابن حبّان.

۱۴۷- عبد اللّه بن سلیمان بن زرعة الحمیریّ أبو حمزة المصریّ الطویل. عن نافع، و عنه اللّیث و مفضّل بن فضالة، وثّقه ابن حبّان.

۱۴۸- عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمیّ أبو خالد. أمیر مصر. عن الزّهریّ، و عنه اللیث. قال ابن یونس: کان ثبتا فی الحدیث.

مات سنة سبع و عشرین و مائة.

۱۴۹- عبد الرحمن بن زیاد بن أنعم الشّعبانیّ الإفریقیّ. قاضی إفریقیّة. عداده فی أهل مصر. عن أبیه و أبی عبد الرحمن الحبلیّ، و عنه ابن المبارک و ابن وهب. رواه أحمد و غیره. و قال التّرمذیّ: رأیت البخاریّ یقوی أمره، و یقول: هو مقارب الحدیث.

مات سنة ستّ و خمسین و مائة.

۱۵۰- عبد الرحمن بن تمران. مصریّ عن أبی الزّبیر المکیّ، و عنه أبو شریح، کذا وقع فی نسخ ابن ماجه، و الصّواب: عبد اللّه. قاله المزّی و غیره.

۱۵۱- عبد الجلیل بن حمید الیحصبیّ أبو مالک المصریّ. عن الزّهریّ و أیّوب السّختیانیّ، و عنه ابن وهب و آخرون. قال النّسائیّ: لیس به بأس. مات سنة ثمان و أربعین و مائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۳۵

۱۵۲- عبد الرحیم بن میمون المزنیّ . نزیل مصر أبو مرحوم المعافریّ. عن سهل بن معاذ و علیّ بن رباح، و عنه سعید بن أبی أیّوب و ابن لهیعة. ضعّفه ابن معین.

و قال ابن ماکولا: زاهد، یعرف بالإجادة و الفضل. مات سنة ثلاث و أربعین و مائة.

۱۵۳- عبید اللّه بن المغیرة السّبئیّ أبو المغیرة المصریّ. عن عبد اللّه بن الحارث بن جزء، و عنه ابن لهیعة و طائفة. قال أبو حاتم: صدوق، مات سنة إحدی و ثلاثین و مائة.

۱۵۴- عبید بن سویّة بن أبی سویّة الأنصاریّ المصریّ. عن عبد الرحمن بن حجیرة، و عنه حیوة بن شریح و جماعة. مات سنة خمس و ثلاثین و مائة.

۱۵۵- عمیرة بن أبی ناجیة الرّعینیّ أبو یحیی المصریّ. عن أبیه و بکر بن سوادة. و عنه ابن لهیعة و اللّیث. وثّقه النّسائیّ.

۱۵۶- العلاء بن کثیر الإسکندرانیّ. مولی قریش أبو محمد. عن توبة بن نمر الحضرمیّ و سعید بن المسیّب، و عنه بکر بن مضر و

حیوة بن شریح و اللّیث. قال أبو زرعة: مصریّ ثقة. و قال ابن یونس: کان مستجاب الدّعوة. مات بالإسکندریة سنة أربع و أربعین و مائة.

۱۵۷- عیاش بن القتبانیّ أبو عبد الرحیم المصریّ . عن بکیر بن الأشجّ

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۳۶

و أبی عبد الرحمن الحبلیّ. و عنه ابناه: عمرو و عبد اللّه، و حیوة بن شریح و اللّیث.

۱۵۸- قباث بن رزین اللخمیّ أبو هاشم المصریّ. عن عکرمة و علیّ بن رباح، و عنه ابن لهیعة و عدّة. وثّقه ابن حبّان. و قال أحمد: لا بأس به.

۱۵۹- قرّة بن عبد الرحمن بن حیوئیل المعافریّ أبو محمد المصریّ. عن أبیه و الزّهریّ. و عنه الأوزاعیّ و اللّیث.

۱۶۰- قیس بن الحجّاج بن خلی الکلاعیّ الحمیریّ المصریّ. عن حنش الصّنعانیّ و أبی عبد الرّحمن الحبلیّ، و عنه ابن لهیعة و اللّیث. وثّقه ابن حبّان.

۱۶۱- مالک بن خیر الزیادیّ المصریّ. عن مالک بن سعد التّجیبیّ و أبی قبیل المعافریّ. و عنه حیوة بن شریح و ابن وهب. وثّقه ابن حبّان.

۱۶۲- محمد بن شمیر الرّعینیّ المصریّ أبو الصباح. عن أبی علیّ الجنبیّ، و عنه عبد الرحمن بن شریح. وثّقه ابن حبّان.

۱۶۳- محمد بن یزید بن أبی زیاد الثّقفیّ. نزیل مصر. عن أبیه و نافع، و عنه

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۳۷

یزید بن أبی حبیب و عدّة. قل أبو حاتم: مجهول.

۱۶۴- معروف بن سعید التّجیبیّ المصریّ. عن یزید بن أبی حبیب، و عنه بقیة و أبو مطیع. وثّقه ابن حبّان.

۱۶۵- معروف بن سوید الجذامیّ أبو سلمة المصریّ. عن أبیه و علیّ بن رباح و أبی عشّانة، و عنه ابن لهیعة و ابن وهب. وثّقه ابن حبّان.

۱۶۶- موسی بن أیّوب بن عامر الغافقیّ المصریّ. عن أبیه إیاس و عکرمة، و عنه اللیث و ابن لهیعة. وثّقه یحیی و أبو داود و ابن المدینیّ.

۱۶۷- أبو معن المصریّ عبد الواحد بن أبی موسی الإسکندرانیّ. عن أبی عقیل زهرة بن معبد و یزید بن أبی حبیب، و عنه ابن المبارک و غیره. و کان عابدا ناسکا.

۱۶۸- ابن حرشف الأزدیّ . لعلّه تمیم. عن القاسم بن عبد الرحمن، و عنه عمرو بن الحارث المصریّ.

۱۶۹- أبو یزید الخولانیّ المصریّ الصغیر. عن سیّار الصّدفیّ، و عنه ابنه و مزوان الّطاطریّ، و أثنی علیه خیرا.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۳۸

ذکر مشاهیر أتباع التابعین الذی خرّج لهم أصحاب الکتب الستة من أهل مصر

اشارة

۱۷۰- عمرو بن الحرث، حیوة بن شریح، یحیی بن أیّوب الغافقیّ. بکر بن مضر، اللّیث بن سعد بن لهیعة، المفضّل بن فضالة. یأتون.

۱۷۱- جابر بن إسماعیل الحضرمیّ المصریّ. عن حییّ بن عبد اللّه و عقیل بن خالد. و عنه وهب. وثّقه ابن حبّان.

۱۷۲- الحکم بن عبدة الشّیبانیّ- و یقال الرّعینیّ- أبو عبدة البصریّ. نزل مصر. عن أبی هارون العبدیّ و أیّوب السّختیانیّ، و عنه ابنه و

جماعة. ضعّفه الأزدیّ.

۱۷۳- خالد بن حمید أبو حمید المهریّ المصریّ الإسکندرانیّ. عن بکر بن عمرو المعافریّ و أبی عقیل زهرة بن معبد، و عنه ابن وهب و عبد اللّه بن صالح، کاتب اللّیث، و آخر من حدّث عنه بمصر.

۱۷۴- روح بن جناح المصریّ. ذکره ابن حبّان فی الثّقات. مات بالإسکندریّة سنة تسع و ستین و مائة.

۱۷۵- خلّاد بن سلیمان الحضرمیّ أبو سلیمان المصریّ. عن نافع، و عنه ابن وهب. وثّقه ابن الجنید. و قال ابن یونس: کان من الخالفین. مات سنة ثمان و سبعین و مائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۳۹

۱۷۶- سعید بن عبد الرحمن المصریّ . عن سهل بن أبی أمامة، و عنه ابن وهب و غیره. وثّقه ابن حبّان.

۱۷۷- سعید بن أبی أیوب مقلاص الخزاعیّ أبو یحیی المصریّ. عن یزید بن أبی حبیب، و عنه ابن وهب. مات سنة إحدی و ستین و مائة، و قد نیّف عن الستین.

۱۷۸- ضمام بن إسماعیل المصریّ. عن أبی قبیل المعافریّ. قال أبو حاتم:

کان صدوقا متعبّدا. و قال فی العبر: هو من مشاهیر المحدّثین. مات بالإسکندریة سنة خمس و ثمانین و مائة.

۱۷۹- طیسان الإسکندرانیّ. عن أبی شراحیل، عن بلال، عن أبیه، و عنه الهیثم ابن خارجة. مجهول کشیخه.

۱۸۰- عاصم بن حکیم . عن موسی بن علیّ بن رباح، و عنه ابن وهب و ضمرة بن ربیعة. وثّقه ابن حبّان.

۱۸۱- عبد اللّه بن سوید بن حبّان أبو سلیمان المصریّ. عن عیّاش القتبانیّ، و عنه ابن وهب و سعید بن أبی مریم و یحیی بن بکیر. ذکره ابن حبّان فی الثقات.

۱۸۲- عبد اللّه بن طریف أبو خزیمة المصریّ. عن عبد الکریم بن الحارث، و عنه ابن وهب. مجهول.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۴۰

۱۸۳- عبد اللّه بن المسیّب أبو السّواد المصریّ. عن عکرمة، و عنه ابن وهب.

وثّقه ابن حبّان .

۱۸۴- عبد اللّه بن عیّاش بن عباس القتبانیّ المصریّ. عن أبیه و الزّهریّ، و عنه اللّیث و ابن وهب. مات سنة سبعین و مائة.

۱۸۵- عبد الرحمن بن سلمان الحجریّ الرّعینیّ المصریّ. عن عمرو بن أبی عمرو و یزید بن عبد اللّه بن الهاد، و عنه ابن وهب فقط. قال ابن یونس: ثقة، و قال أبو حاتم: مضطرب الحدیث.

۱۸۶- عبد الرحمن بن شریح بن عبد اللّه المعافریّ أبو شریح الإسکندرانیّ.

عن أبی الزّبیر، و عنه ابن وهب. مات سنة سبع و ستین و مائة.

۱۸۷- عمر بن مالک الشّرعبیّ المعافریّ المصریّ. عن عبید اللّه بن أبی جعفر و یزید بن عبد اللّه بن الهاد، و عنه ابن لهیعة و ابن وهب. قال أبو زرعة: صالح الحدیث.

۱۸۸- عیاش بن عقبة الحضرمیّ المصریّ. عن موسی بن وردان، و عنه ابن المبارک. قال النّسائیّ و الدّارقطنیّ: لیس به بأس. حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة ؛ ج۱ ؛ ص۲۴۰

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۴۱

۱۸۹- عیاض بن عبد اللّه بن عبد الرحمن الفهری المدنیّ. نزیل مصر. عن الزّهریّ، و عنه ابن لهیعة و اللّیث.

۱۹۰- الماضی بن محمد المصریّ الغافقی. عن مالک و غیره، و عنه ابن وهب فقط. قال أبو حاتم: لا أعرفه، و حدیثه باطل.

۱۹۱- موسی بن سلمة بن أبی مریم المصریّ. عن داود بن أبی هند، و عنه ابن أخته سعید بن الحکم و ابن وهب. وثّقه ابن حبّان.

۱۹۲- موسی بن علیّ بن أبی رباح اللّخمیّ . أمیر مصر أبو عبد الرحمن. عن أبیه، و الزّهریّ، و عنه أسامة بن زید اللّیثیّ، و ابن المبارک و اللّیث. وثّقه یحیی و العجلیّ و النّسائیّ و أبو حاتم. مات بالإسکندریة سنة ثلاث و ستین و مائة.

۱۹۳- نافع بن یزید الکلاعیّ أبو یزید المصریّ. عن حیوة بن شریح و هشام ابن عروة، و عنه بقیّة و سعید بن الحکم. مات سنة ثمان و ستین و مائة.

۱۹۴- الولید بن المغیرة المعافریّ المصریّ أبو العباس. عن مشرح بن هاعان، و عنه ابن وهب و عبد اللّه بن یوسف التّنّیسیّ. ذکره ابن حبّان فی الثقات. مات فی ذی القعدة سنة اثنتین و سبعین و مائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۴۲

۱۹۵- یحیی بن أزهر المصریّ. عن أفلح بن حمید و عمّار بن سعد. و عنه ابن وهب و جماعة. وثّقه ابن حبّان.

۱۹۶- یحیی بن عبد الرحمن الکنانیّ أبو شیبة المصریّ. عن زید بن أبی أنیسة و عمر بن عبد العزیز، و عنه هشیم و الولید و مسلم و غیرهما. وثّقه ابن حبّان.

۱۹۷- یزید بن عبد العزیز الرّعینیّ المصریّ. عن یزید بن محمد القرشیّ، و عنه سعید بن أبی أیّوب و ابن لهیعة. وثّقه ابن حبّان.

۱۹۸- یزید بن یوسف الفارسیّ. مصریّ مجهول. قاله الذّهبیّ.

۱۹۹- أبو خیرة . عن موسی بن وردان، و عنه سعید بن أبی أیوب. عداده فی المصریین. قیل هو محبّ بن خویلم .

۲۰۰- أبو عبد اللّه القرشیّ . عن أبی بردة بن أبی موسی، و عنه سعید بن أبی أیوب. حدیثه فی المصریین.

۲۰۱- إبراهیم بن أعین الشّیبانیّ البصری. نزیل مصر. عن شعبة و عکرمة بن

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۴۳

عمّار، و عنه سعید الأشجّ و هشام بن عمّار. قال أبو حاتم: منکر الحدیث.

۲۰۲- رشدین بن سعد الفهریّ أبو الحجّاج المصریّ. عن عقیل و یونس بن زید، و عنه قتیبة و أبو کریب، وهّاه ابن معین و غیره. و قال ابن یونس: کان رجلا صالحا لا شکّ فی صلاحه و فضله، فأدرکته غفلة الصّالحین. مخلّط فی الحدیث. مات سنة ثمان و ثمانین و مائة.

۲۰۳- عبد الرحمن بن عبد الحمید المهریّ مولاهم أبو رجاء المصریّ المکفوف ... عن عقیل بن خالد و أبی هانیء، و عنه ابن أخته أبو الطّاهر بن السّرح و غیره. وثّقه أبو داود. مات سنة اثنتین و تسعین و مائة.

۲۰۴- عمرو بن أبی نعیمة المعافریّ . عن مسلم بن یسار، و عنه بکر بن عمرو المعافریّ. وثّقه ابن حبّان. و قال الدّارقطنیّ: مصریّ مجهول، یترک.

۲۰۵- منصور بن وردان . مصریّ. عن سالم، و عنه اللیث و جماعة. وثّقه ابن حبّان.

۲۰۶- موسی بن شیبة الحضرمیّ المصریّ. عن الأوزاعیّ. و عنه ابن وهب.

وثّقه ابن حبان.

۲۰۷- یعقوب بن عبد الرحمن بن محمد القاری . نزل الإسکندریة. عن أبیه

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۴۴

و موسی بن عقبة، و عنه ابن وهب. وثّقه ابن معین. مات سنة إحدی و ثمانین و مائة.

طبقة تلی هذه

۲۰۸- بشر بن بکر البجلیّ التّنّیسیّ أبو عبد اللّه. عن جریر بن عثمان و الأوزاعیّ، و عنه الشافعیّ و الحمیدیّ. مات سنة خمس و مائتین.

۲۰۹- حبیب بن أبی حبیب أبو محمد المصریّ. کاتب مالک. عنه و عن ابن أبی ذیب، و عنه أحمد بن الأزهر و خلق. کذّبه أحمد و أبو داود. مات بمصر سنهٔ ثمانی عشرهٔ و مائتین.

۲۱۰- حجّاج بن إبراهیم الأزرق البغدادیّ نزیل مصر. و عنه الرّبیع المرادیّ و الذّهلیّ و أبو حاتم. وثّقه العجلیّ و أبو حاتم و ابن یونس.

۲۱۱- الخصیب بن ناصح الحارثیّ. بصریّ، نزل مصر. عن الثوریّ و ابن عیینهٔ و شعبهٔ، و عنه أحمد بن عبد المؤمن المصریّ و الربیع بن سلیمان المرادیّ و عبد الرحمن ابن عبد اللّه بن الحکم. ذکره ابن حبّان فی الثّقات .

۲۱۲- زیاد بن یونس أبو سلامهٔ الحضرمیّ الإسکندرانیّ. عن مالک و اللیث،

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۴۵

و عنه یونس بن الأعلی و عدّهٔ. قال ابن حبّان: مستقیم الحدیث. توفّی بمصر سنهٔ إحدی عشر و مائتین.

۲۱۳- سعید بن زکریّا الأدم المصریّ أبو عثمان عن بکر بن مضر و سلیمان بن القاسم الزّاهد المصریّ و ابن وهب و اللیث و المفضل بن فضالهٔ، و عنه أبو الظاهر بن الشرح و الحارث بن مسکین. قال ابن یونس: کان له عبادهٔ و فضل. مات بإخمیم سنهٔ سبع و مائتین.

۲۱۴- سعید بن عیسی بن تلید الرّعینیّ القتبانیّ المصریّ. عن ابن وهب و الشافعی و ابن فضالهٔ، و عنه البخاریّ و أبو حاتم. مات فی ذی الحجّهٔ سنهٔ تسع عشرهٔ و مائتین.

۲۱۵- شعیب بن اللیث بن سعد المصریّ. عن أبیه و موسی بن علیّ، و عنه ابنه عبد الملک و یونس بن عبد الأعلی. وثّقه ابن حبّان. و قال ابن یونس: کان فقیها مفتیا، من أهل الفضل. مات سنهٔ تسع و مائتین.

۲۱۶- شعیب بن یحیی بن السّائب التّجیبی أبو یحیی المصریّ . عن مالک و اللیث. و عنه الحارث بن مسکین و غیره. وثّقه ابن حبّان. و قال ابن یونس: کان رجلا صالحا. مات سنهٔ إحدی و تسعین و مائتین .

۲۱۷- طلق بن السّمح بن شرحبیل المصری الإسکندرانیّ أبو السمح. عن حیوهٔ بن شریح و ابن لهیعهٔ، و عنه ابنه حیوهٔ و الرّبیع الجیزیّ و سعید بن عفیر و عبد الرحمن بن عبد اللّه بن الحکم. مات بالإسکندریهٔ سنهٔ إحدی عشرهٔ و مائتین.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۴۶

۲۱۸- عبد اللّه بن یحیی المعافریّ البرلّسی أبو یحیی. عن حیوهٔ بن شریح و اللّیث. و عنه حفص بن مسافر و آخرون. مات سنهٔ اثنتی عشرهٔ و مائتین.

۲۱۹- علیّ بن معبد بن شدّاد العبدی . نزیل مصر. عن مالک و الشافعیّ. و ابن علیّهٔ، و عنه إسحاق الکوسج و أبو حاتم. و وثّقه. قال ابن یونس: قدم مصر مع أبیه، و مات بها فی رمضان سنهٔ ثمانی عشرهٔ و مائتین.

۲۲۰- عمرو بن خالد بن فرّوخ التمیمیّ أبو الحسن الجزریّ. نزیل مصر. عن زهیر بن معاویهٔ و حمّاد بن سلمهٔ. و عنه البخاری و أبو زرعهٔ و أبو حاتم و خلق. وثّقه العجلیّ و غیره.

۲۲۱- عمرو بن الربیع بن طارق الهلالیّ الکوفیّ المصریّ. عن مالک و ابن لهیعهٔ و اللیث، و عنه البخاریّ و ابن معین و أبو حاتم. مات سنهٔ تسع عشرهٔ و مائتین.

۲۲۲- القاسم بن کثیر بن النعمان أبو العباس. قاضی الإسکندریهٔ. عن اللّیث و غیره. و عنه الدارمیّ و آخرون. وثّقه النّسائیّ و غیره.

۲۲۳- لیث بن عاصم بن کلیب القتبانیّ أبو زرارهٔ المصریّ. عن ابن جریج.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۴۷

و عنه یونس بن عبد الأعلی و غیره. قال ابن یونس: کان رجلا صالحا. مات سنهٔ إحدی عشرهٔ و مائتین.

۲۲۴- لیث بن عاصم الخولانیّ المصریّ. إمام جامع مصر زمن الرّشید. عن الحسن بن ثوبان، و عنه ابن وهب و غیره. وثّقه ابن حبّان.

۲۲۵- محمد بن عاصم بن جعفر المعافری المصریّ. عن مالک و عدّة، و عنه الذّهلی و غیره. وثّقه ابن یونس. مات فی صفر سنة خمس عشرة و مائتین.

۲۲۶- النضر بن عبد الجبّار بن نصیر المرادیّ أبو الأسود المصریّ الزاهد العابد. عن ابن لهیعة و اللّیث و نافع بن یزید، و عنه أبو عبد القاسم و محمد بن إسحاق الصنعانیّ. وثّقه ابن معین و النّسائی. مات سنة تسع عشرة و مائتین.

۲۲۷- یحیی بن حسّان التّنّیسیّ أبو زکریّا. عن حماد بن سلمة و معاویة بن سلّام و مالک و اللیث. و کان إماما حجّة من جملة المصریین. مات فی رجب سنة ثمان و مائتین.

۲۲۸- أحمد بن إشکاب الحضرمیّ أبو عبد اللّه الصفّار الکوفیّ. نزیل مصر.

عن شریک و محمد بن فضیل، و عنه البخاریّ و بکر بن سهل. قال أبو حاتم: ثقة مأمون صدوق. کتبت عنه بمصر. مات سنة سبع عشرة أو بعدها و مائتین.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۴۸

۲۲۹- إسماعیل بن مسلمة بن قعنب القعنبیّ المدنیّ. نزیل مصر. عن شعبة و الحمّادین، و عنه أبو زرعة و أبو حاتم، و قال: صدوق. و وثّقه الحاکم.

۲۳۰- حسّان بن عبد اللّه بن سهل الکندی أبو علی الواسطیّ. نزیل مصر. عن اللّیث و ابن لهیعة، و عنه البخاریّ و أبو حاتم، و وثّقه. قال ابن یونس: صدوق حسن الحدیث. مات بمصر سنة اثنتین و عشرین و مائتین.

۲۳۱- خلف بن خالد القرشیّ مولاهم أبو المهنّأ المصریّ. عن اللیث و ابن لهیعة و عنه البخاریّ. مات قبل الثلاثین و مائتین.

۲۳۲- خلف بن خالد أبو المضاء المصریّ. عن یحیی بن أیّوب.

۲۳۳- زکریّا بن یحیی بن صالح القضاعی المصریّ القاضی کاتب العمریّ.

عن المفضّل بن فضالة، و عنه مسلم. قال ابن یونس: کانت القضاة تقبله. مات فی شعبان سنة اثنتین و أربعین و مائتین.

۲۳۴- سعید بن شبیب الحضرمی أبو عثمان المصریّ. عن مالک. و خلف بن خلیفة، و عنه أبو داود و أبو حاتم و الجوزجانیّ، و قال: کان شیخا صالحا.

۲۳۵- عبد الغنیّ بن رفاعة اللّخمیّ المصریّ. عن ابن عیینة، و عنه أبو داود و الطّحاویّ. مات سنة خمس و خمسین و مائتین.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۴۹

۲۳۶- عمرو بن سواد بن الأسود العامریّ السرحیّ المصریّ. عن الشافعیّ و ابن وهب. و عنه مسلم و النسائیّ و ابن ماجه. مات سنة خمس و أربعین و مائتین.

۲۳۷- عیسی بن حمّاد بن مسلم التّجیبیّ أبو موسی المصریّ زغبة. عن ابن وهب و اللیث. و عنه مسلم و أبو داود و النّسائیّ و ابن ماجة. مات سنة ثمان و أربعین و مائتین.

۲۳۸- أخوه أحمد أبو جعفر المصریّ . عن سعید بن أبی مریم و یحیی بن بکیر، و عنه النّسائی قال: صالح. و قال ابن یونس: کان ثقة مأمونا، بلغ أربعا و تسعین سنة، و مات سنة ستّ و تسعین و مائتین.

۲۳۹- قیس بن حفص البصریّ . نزیل مصر. کان حاجبا للقاضی بکّار.

۲۴۰- محمد بن إبراهیم بن سلیمان الکندیّ أبو جعفر البزّاز الضریر. نزیل مصر. عن عبد السلام بن حرب، و عنه أبو داود، و أبو حاتم. و قال: صدوق. و وثّقه ابن حبّان. مات بمصر فی آخر سنة ثمان و أربعین و مائتین.

۲۴۱- محمد بن الحارث بن راشد الأمویّ مولاهم أبو عبد اللّه المصریّ المؤذّن. عن ابن لهیعة و اللّیث، و عنه ابن ماجة و غیره. قال ابن حبّان فی الثقات:

یغرب.

۲۴۲- محمد بن- أبی ناجیة- داود بن رزق بن ناجیة أبو عبد اللّه المهریّ

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۵۰

الإسکندرانیّ. عن أبیه و ابن وهب. و عنه أبو داود و النّسائیّ؛ و وثّقه. و قال ابن حبّان:

مستقیم الحدیث، مات سنة خمسین و مائتین.

۲۴۳- محمد بن سلمة بن عبد اللّه المرادیّ أبو الحارث المصریّ. عن ابن وهب. و عنه مسلم و أبو داود و النّسائیّ و ابن ماجة. مات سنة ثمان و أربعین و مائتین.

۲۴۴- محمد بن سوّار بن راشد الأزدیّ أبو جعفر الکوفیّ. نزیل مصر. عن عبد السلام بن حرب، و عنه أبو داود و أبو حاتم. قال ابن حبّان فی الثقات: یغرب .

۲۴۵- محمد بن هشام بن أبی خیرة السّدوسیّ البصریّ. نزیل مصر. عن ابن عیینة و یحیی القطّان، و عنه أبو داود و النّسائیّ و أبو حاتم، و قال: صدوق. و قال ابن یونس: کان ثقة ثبتا حسن الحدیث، مات بمصر سنة إحدی و خمسین و مائتین.

۲۴۶- موسی بن هارون بن بشیر القیسیّ أبو عمرو الکوفیّ المعروف بالبنّی.

عن ابن وهب و الولید بن مسلم، و عنه محمد بن یحیی الذّهلیّ. مات بالفیّوم فی جمادی الآخرة سنة أربع و عشرین و مائتین.

۲۴۷- وهب بن بیان الواسطیّ . نزیل مصر. عن ابن عیینة و ابن وهب، و عنه أبو داود و النّسائیّ و وثّقه. مات سنة ستّ و أربعین و مائتین.

۲۴۸- یحیی بن سلیمان بن یحیی أبو سعید الکوفیّ الجعفیّ. نزیل مصر. عن

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۵۱

ابن وهب و الدّراوردیّ، و عنه البخاریّ و أبو زرعة و أبو حاتم. قال ابن حبّان فی الثقات:

ربّما أغرب.

۲۴۹- یوسف بن عدیّ التّیمیّ الکوفیّ. نزیل مصر. عن مالک و شریک، و عنه ابنه محمّد و البخاریّ مات بمصر.

۲۵۰- یوسف بن عمرو بن یزید الفارسیّ أبو یزید المصریّ. عن ابن لهیعة و مالک و اللّیث، و عنه ابنه أبو سعید یزید و آخرون. مات کهلا .

طبقة تلی هذه

۲۵۱- أحمد بن سعد، ابن أبی مریم أبو جعفر المصریّ. عن عمّه سعید و ابن معین و أبی الیمان، و عنه أبو داود، و النّسائیّ و قال: لا بأس به. مات سنة ثلاث و خمسین و مائتین.

۲۵۲- أحمد بن سعید بن بشیر الهمذانیّ أبو جعفر المصریّ. عن ابن وهب و الشّافعیّ، و عنه أبو داود، و ضعّفه النّسائیّ. مات سنة ثلاث و خمسین و مائتین.

۲۵۳- أحمد بن عبد الرحمن بن وهب القرشیّ أبو عبد اللّه المصریّ. عن عمّه

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۵۲

ابن وهب و الشافعیّ، و عنه مسلم و ابن خزیمة. ضعّفه النّسائیّ و ابن یونس و ابن عدیّ و غیرهم. مات سنة أربع و ستین و مائتین.

۲۵۴- أحمد بن عیسی بن حسّان المصریّ بحشل أبو عبد اللّه السّکران المعروف بالتّستریّ. کان متّجرا إلی تستر ، فعرف بذلک. عن ابن وهب و المفضّل بن فضالة، و عنه البخاریّ و مسلم و النسائیّ و ابن ماجة. مات سنة ثلاث و أربعین و مائتین .

۲۵۵- أحمد بن یحیی بن الوزیر التّجیبیّ المصریّ. عن ابن وهب، و عنه النّسائیّ و وثّقه. قال ابن یونس: کان فقیها عالما بالشّعر و الأدب و الأخبار و أیّام الناس.

مات فی شوّال سنهٔ خمسین و مائتین.

۲۵۶- أحمد بن أبی عقیل المصریّ . روی عنه أبو داود.

۲۵۷- إبراهیم بن مرزوق بن دینار البصریّ. نزیل مصر. عن روح بن عبادهٔ، و عنه النّسائیّ و الطّحاویّ. قال النّسائیّ: صالح، و قال الدّارقطنی: ثقهٔ؛ إلا أنه کان یخطئ فیقال له فلا یرجع. مات سنهٔ سبعین و مائتین.

۲۵۸- الحارث بن أسد بن معقل الهمذانیّ أبو الأسد المصریّ. عن بشر بن بکر، و عنه النّسائیّ، و وثّقه. مات سنهٔ ستّ و خمسین و مائتین.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۵۳

۲۵۹- الحسن بن غلیب الأزدیّ مولاهم المصریّ. عن سعید بن أبی مریم، و عنه النّسائیّ.

۲۶۰- حمزهٔ بن نصیر الأسلمیّ المصریّ العسّال. عن سعید بن أبی مریم، و عنه أبو داود. مات سنهٔ خمس و خمسین و مائتین.

۲۶۱- سلیمان بن داود بن حماد المهریّ أبو الربیع المصریّ. عن أبیه و جدّه لأمّه الحجّاج بن رشدین بن سعد و ابن وهب، و عنه أبو داود و النّسائیّ و زکریّا الساجیّ. وثّقهٔ النّسائیّ، و قال أبو داود: قلّ من رأیت فی فضله مثله. مات سنهٔ ثلاث و خمسین و مائتین .

۲۶۲- عبد اللّه محمد بن رمح بن المهاجر التّجیبیّ أبو سعید المصریّ. عن ابن وهب، و عنه ابن ماجهٔ و غیره.

۲۶۳- عبید اللّه بن محمد بن عبد اللّه الرقّیّ المصریّ أبو القاسم. عن یحیی بن عبد اللّه بن بکیر، و عنه النّسائیّ و قال: صالح .

۲۶۴- علیّ بن عبد الرحمن المخزومیّ المصری المعروف بعلّان. عن أبیه و آدم بن أبی إیاس، و عنه ابن جوصاء و خلق.

۲۶۵- علی بن معبد بن نوح البغدادیّ ثمّ المصریّ الصغیر. عن یزید بن هارون، و عنه النّسائیّ و ابن جوصاء. وثّقهٔ العجلیّ، و قال ابن حبّان: مستقیم الحدیث.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۵۴

قال الطحاویّ: مات فی رجب سنهٔ تسع و خمسین و مائتین.

۲۶۶- عمر بن عبد العزیز بن مقلاص المصریّ. عن أبیه و یحیی بن بکیر، و عنه النّسائی و وثّقه.

۲۶۷- عیسی بن إبراهیم بن عیسی بن مثرود الغافقیّ المصریّ عن ابن عیینهٔ و ابن وهب، و عنه أبو داود و النّسائیّ، و قال: لا بأس به.

۲۶۸- محمد بن عبد اللّه بن میمون الإسکندرانیّ . عن ابن عیینهٔ و الولید بن مسلم، و عنه النّسائیّ و أبو داود و أبو عوانهٔ. وثّقه ابن یونس، و قال: مات بالإسکندریهٔ سنهٔ اثنتین و مائتین.

۲۶۹- محمد بن الوزیر المصریّ. عن الشافعیّ و بشر بن بکر و غیرهما، و عنه أبو داود فقط.

۲۷۰- محمد بن أحمد بن جعفر الذّهلیّ الکوفیّ. نزیل مصر. أبو العلاء، و یعرف بالوکیعیّ. عن أحمد و أبی الطّاهر بن السرح، و عنه النّسائی و خلق. وثّقه ابن یونس. مات بمصر سنهٔ ثلاثمائهٔ، عن ستّ و تسعین سنهٔ.

۲۷۱- یاسین بن عبد الأحد القتبانیّ المصریّ عن أبیه و جدّه أبو زرارهٔ و نعیم

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۵۵

ابن حمّاد، و عنه النّسائیّ و قال: لا بأس به. مات سنهٔ تسع و مائتین.

۲۷۲- یحیی بن أیّوب الخولانیّ المصریّ العلّاف. عن عبد الغفّار بن داود الحرّانیّ، و عنه النّسائیّ و قال: صالح.

۲۷۳- یزید بن سنان الأمویّ أبو خالد القزّاز. عن أبی عامر العقدیّ، و عنه النّسائیّ و وثّقه. مات بمصر سنهٔ أربع و ستین و مائتین.

قلت: «قد استوفیت فی هذین الفصلین مع ما سیأتی رجال الکتب السّتّهٔ و مسند أحمد من أهل مصر».

من کان بمصر من الأئمة المجتهدین

۱- سلیم بن عتّر التّجیبیّ المصریّ أبو سلمة. قاضی مصر و قاضیها و ناسکها.

من الطبقة الأولی من التابعین. شهد خطبة عمر بالجابیة، و کان یسمّی النّاسک لکثرة فضله و شدّة عبادته، و کان یختم فی کلّ لیلة ثلاث ختمات، و هو أوّل من قصّ بمصر سنة ثلاثین، و ولّاه معاویة القضاء بها سنة أربعین، فأقام قاضیا عشرین سنة. و هو أوّل من أسجل بمصر سجلّا فی المواریث. مات بدمیاط سنة خمس و سبعین.

۲- أبو تمیم الجیشانیّ عبد اللّه بن مالک بن أبی الأسجم الرّعینیّ المصریّ. قرأ القرآن علی معاذ، و روی عن عمر و علیّ، و عنه أبو الخیر الیزنیّ و غیره. قال فی العبر:

کان من عبّاد أهل مصر و علمائهم. مات سنة سبع و سبعین.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۵۶

۳- أبو علقمة مولی بنی هاشم. قال الذهبیّ فی التجرید: مصریّ فقیه، و قال ابن عدیّ: اسمه مسلم بن یسار، روی عن عثمان و ابن مسعود و أبی هریرة و طائفة، و عنه أبو الزّبیر المکیّ. قال أبو حاتم: أحادیثه صحاح.

۴- عبد الرحمن بن حجیرة الخولانیّ أبو عبد اللّه المصریّ قاضی مصر. روی عن ابن مسعود و أبی ذرّ و أبی هریرة، و کان عبد العزیز بن مروان یرزقه فی السّنة ألف دینار فلا یدّخرها. و روی ابن لهیعة عن عبید اللّه بن المغیرة أنّ رجلا سأل ابن عباس عن مسألة، فقال: تسألنی و فیکم ابن حجیرة ولده؟!

۵- عبد اللّه أبو عبد الرحمن. قاضی مصر أیضا، روی عن أبیه و غیره، و کان عالما زاهدا ورعا، روی عنه عبد اللّه بن الولید و غیره. و ذکره ابن حبّان فی الثقات.

۶- مالک بن شراحیل قاضی مصر. مات سنة خمس و ثمانین.

۷- یونس بن عطیة الحضرمیّ. قاضی مصر، و کان علی الشّرط أیضا، مات سنة ستّ و ثمانین.

۸- أبو النجیب العامری السّرحیّ المصریّ. قیل: اسمه ظلیم. روی عن ابن عمر و أبی سعید، و عنه ابن بکر بن سوادة، و کان فقیها. مات بإفریقیّة سنة ثمان و ثمانین.

۹- أبو الخیر مرثد بن عبد اللّه الیزنیّ الحمیریّ. روی عن ثابت و ابن عمرو و أبی أمامة، و عقبة بن عامر الجهنیّ، و عنه یزید بن أبی حبیب و جعفر بن ربیعة و آخرون. قال ابن یونس: کان مفتی أهل مصر فی زمانه، و کان عبد العزیز بن مروان

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۵۷

یحضره فیجلسه للفتیا. و قال الذهبی فی العبر: تفقّه علی عقبة بن عامر، و کان مفتی أهل مصر فی وقته. مات سنة تسعین من الهجرة.

۱۰- عبد الرحمن بن معاویة بن حدیج الکندیّ أبو معاویة المصریّ قاضی مصر. روی عن أبیه و ابن عمر، و عنه یزید بن أبی حبیب. مات سنة خمس و تسعین.

۱۱- عمر بن عبد العزیز الخلیفة الصالح أمیر المؤمنین. ولد بمصر و أبوه أمیر علیها سنة إحدی- و قیل ثلاث- و ستّین. قال الذهبیّ: و تفقّه حتّی بلغ رتبة الاجتهاد، و مناقبه کثیرة. مات فی رجب سنة إحدی و مائة .

۱۲- حبیب بن الشهید أبو مروان التّجیبیّ مولاهم المصریّ. فقیه طرابلس الغرب، من المتأخّرین. حدّث عن رویفع الأنصاریّ و عمر بن عبد العزیز، و عنه یزید ابن أبی حبیب. مات سنة تسع و مائة .

۱۳- مکحول أبو عبد اللّه الفقیه. أحد الأئمة، عالم الشام. و قیل: إنّه ولد بمصر، روی عن ثوبان و أبی أمامة و واثلة و أنس و غیرهم، و عنه الزّهریّ و أبو حنیفة و خلق. قال أبو حاتم: ما أعلم بالشام أفقه منه، مات سنة اثنتی عشرة و مائة، و قال ابن کثیر: کان نوبیّا.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۵۸

۱۴- علیّ بن رباح اللّخمی المصریّ. قال فی العبر: کان من علماء زمانه، حمل عن عدّة من الصحابة، مات و هو فی عشر المائة سنة أربع عشرة. و قیل سنة سبع عشرة و مائة.

۱۵- یحیی بن میمون الحضرمیّ أبو عمرو المصری. قاضی مصر. روی عن سهل بن سعد الساعدیّ و غیره، و عنه ابن لهیعة و جماعة، وثّقه ابن حبّان .

۱۶- ثوبة بن نمر بن حومل الحضرمیّ أبو محجن المصریّ. قاضی مصر. روی عن ابن عفیر عریف بن سریع، و عنه اللیث و طائفة. قال الدارقطنیّ: جمع له القضاء و القصص بمصر. و کان فاضلا عابدا. توفّی سنة عشرین و مائة.

۱۷- نافع مولی ابن عمر. فقیه أهل المدینة. بعثه عمر بن عبد العزیز إلی مصر یعلّمهم السّنن، فأقام بها مدّة. ذکره الذهبیّ فی العبر. مات سنة عشر، و قیل عشرین و مائة .

۱۸- جعثل بن هاعان بن سعید الرّعینیّ القتبانیّ المصریّ. روی ع ابن تمیم الجیشانیّ، و عنه بکر بن سوادة. قال ابن یونس: کان أحد القرّاء الفقهاء، أمره عمر بن عبد العزیز بالخروج من مصر إلی المغرب لیقرئهم، و ولی القضاء بإفریقیّة لهشام بن عبد الملک. توفّی قریبا من سنة خمس عشرة و مائة .

۱۹- بکیر بن عبد اللّه الأشج المدنیّ الفقیه. نزیل مصر أبو عبد اللّه. عن أبی

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۵۹

أمامة سهل و محمود بن لبید، و عنه اللیث و حمّاد. قال ابن المدینیّ: لم یکن بالمدینة بعد کبار التابعین أعلم من ابن شهاب و یحیی الأنصاریّ و بکیر بن الأشج. و قال ابن حبّان: من ثقات أهل مصر و قرّائهم. قال الذهبیّ: مات سنة اثنتین و عشرین و مائة.

۲۰- بکر بن سوادة الجذامیّ بن ثمامة المصریّ الفقیه مفتی مصر. روی عن ابن عمر و سهل بن سعد، و عنه عمر بن الحارث و اللیث. قال ابن یونس: توفّی بإفریقیّة و قیل: بل غرق فی بحار الإسکندریة سنة ثمان و عشرین و مائة.

۲۱- أبو قبیل المعافریّ المصریّ حیّ بن ناضر - بالمعجمة. روی عن عقبة بن عامر و ابن عمرو، و عنه عمرو بن الحارث و اللیث. و کان له علم بالملاحم و الفتن.

مات سنة ثمان و عشرین و مائة .

۲۲- خالد بن أبی عمران التّجیبی مولاهم أبو عمر التّونسیّ الفقیه. قاضی إفریقیّة. روی عن ابن عمر، و لم یسمع عنه، و عن عبد اللّه بن الحارث بن جزء، و عنه یحیی الأنصاریّ و ابن لهیعة و اللّیث. قال ابن سعد: کان ثقة، و کان لا یدلّس. مات بإفریقیّة سنة تسع و عشرین و مائة.

۲۳- یزید بن أبی حبیب، و اسمه سوید الأزدیّ، أبو رجاء المصری. فقیه مصر و شیخها و مفتیها. لقی عبد اللّه بن الحارث بن جزء و روی عن سالم و نافع و عکرمة و عطاء و خلق، و عنه ابن لهیعة و اللّیث و آخرون. قال ابن سعد: کان ثقة کثیر الحدیث.

و قال ابن یونس: کان مفتی أهل مصر؛ و هو أوّل من أظهر العلم بمصر و المسائل فی الحلال و الحرام. و قبل ذلک کانوا یتحدّثون فی التّرغیب و الملاحم و الفتن؛ و هو أحد

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۶۰

ثلاثة جعل إلیهم عمر بن عبد العزیز الفتیا بمصر. و قال اللیث: هو سیّدنا و عالمنا. مات سنة ثمان و عشرین و مائة.

۲۴- عبید اللّه بن أبی جعفر المصریّ الفقیه أبو بکر، مولی بنی أمیّة. عن أبی عبد الرحمن الحبلیّ و الشّعبیّ و عطاء و نافع و عدّة، و عنه ابن لهیعة و اللیث. قال ابن سعد: و کان ثقة فقیه زمانه، و قال فی العبر: أحد العلماء و الزّهاد، ولد سنة ستّین، و مات سنة اثنتین- و قیل خمس، أو ستّ و ثلاثین- و مائة.

۲۵- جبر بن نعیم بن مرّة الحضرمیّ المصریّ. قاضی مصر، روی عن عطاء و أبی الزّبیر، و عنه اللیث و ابن لهیعة. قال الدارقطنیّ: ولی القضاء و القصص بمصر، و قال یزید بن أبی حبیب: ما أدرکت من قضاة مصر أفقه منه. مات سنة سبع و ثلاثین و مائة.

۲۶- خالد بن یزید الجمحیّ مولاهم أبو عبد الرحیم المصریّ الفقیه. عن عطاء و الزّهریّ، و عنه اللّیث. مات سنة تسع و ثلاثین و مائة.

۲۷- عمرو بن الحارث بن یعقوب بن عبد اللّه الأنصاریّ، مولاهم أبو أمیّة المصریّ. عن أبیه و الزّهریّ، و عنه مجاهد، و هو أکبر منه، و بکیر بن الأشجّ و قتادة و هما من شیوخه، و مالک و ابن وهب، و هو راویته. قال أبو حاتم: کان أحفظ أهل زمانه، و قال ابن وهب: ما رأیت أحفظ منه. مات سنة سبع- أو ثمان- و أربعین و مائة، و له ست و خمسون سنة.

۲۸- حیوة بن شریح بن صفوان التّجیبیّ أبو زرعة المصریّ. الفقیه الزّاهد

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۶۱

العابد، أحد الزّهاد و العلماء السادة. عن یزید بن أبی حبیب، و عنه اللیث. سئل عنه أبو حاتم، فقال: هو أحبّ إلیّ من اللیث بن سعد، و من المفضّل بن فضالة. و قال ابن المبارک: ما وصف لی أحد و رأیته إلا کانت رؤیته دون صفته إلا حیوة بن شریح، فإنّ رؤیته کانت أکبر من صفته. عرض علیه قضاء مصر فأبی. مات سنة ثمان و خمسین و مائة.

۲۹- یحیی بن أیوب الغافقیّ المصریّ. عن بکیر بن الأشجّ و یزید بن أبی حبیب. قال فی العبر: کان کثیر العلم، فقیه النّفس. مات سنة ثلاث و ستین و مائة.

۳۰- عبد الرحمن بن شریح المعافریّ أبو شریح. قال فی العبر: کان ذا جلالة و فضل و عبادة، روی عن أبی قبیل و طبقته. مات بالإسکندریة سنة سبع و ستین و مائة.

۳۱- ابن لهیعة عبد اللّه بن عقبة بن لهیعة الحضرمیّ المصری. أبو عبد الرحمن الفقیه ، قاضی مصر و مسندها. عن عطاء و عمرو بن دینار و الأعرج و خلق، و عنه الثّوریّ و الأوزاعیّ و شعبة، و ماتوا قبله. و ابن المبارک و خلق. وثّقه أحمد و غیره، و ضعّفه یحیی القطّان و غیره. مات بمصر یوم الأحد نصف ربیع الأول سنة أربع و ستین و مائة.

۳۲- اللّیث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمیّ أبو الحارث المصریّ. أحد الأعلام، ولد بقلقشندة سنة أربع و تسعین، و روی عن الزهریّ و عطاء و نافع و خلق، و عنه ابنه شعیب و ابن المبارک و آخرون. قال ابن سعد: کان ثقة کثیر الحدیث صحیحه، و کان قد اشتغل بالفتوی فی زمانه بمصر، و کان سریّا من الرجال، نبیلا سخیّا له ضیافة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۶۲

و قال یحیی بن بکیر: ما رأیت أحدا أکمل من اللیث، کان فقیه النّفس، عربیّ اللسان، یحسن القرآن و النحو، و یحفظ الحدیث و الشعر، حسن المذاکرة. و قال الشافعیّ: کان اللّیث أفقه من مالک إلا أنه ضیّعه أصحابه.

قال ابن کثیر: و قد حکی بعضهم أنّه ولی القضاء بمصر و هو غریب. و قال الذّهبی فی العبر: کان نائب مصر و قاضیها من تحت أوامر اللیث، و إذا رابه من أحد شیء کاتب فیه فیعزل، و قد أراده المنصور أن یلی إمرة مصر فامتنع.

مات یوم الجمعة رابع عشر شعبان سنة خمس و سبعین و مائة، کذا ذکره غیر واحد. و قال ابن سعد: سنة خمس و ستین . و حکی ابن خلّکان أنه سمع قائل یقول یوم مات اللیث:

ذهب اللّیث فلا لیث لکمو مضی العلم غریبا و قبر

فالتفتوا فلم یروا أحدا .

۳۳- عثمان بن الحکم الجذامیّ . قال ابن فرحون: مشهور من أصحاب مالک المصریین، و هو أوّل من أدخل علم مالک مصر، و لم یأت مصر أنبل منه. روی عن مالک و ابن جریج و موسی بن عقبة و سعید بن أبی مریم. مات سنة ثلاث و ستین و مائة.

۳۴- طلیب بن کامل اللخمیّ. من کبار أصحاب مالک و جلسائه، أبو خالد.

أصله أندلسیّ سکن الإسکندریة، روی عنه ابن القاسم و ابن وهب، و به تفقّه ابن القاسم قبل رحلته إلی مالک. مات فی حیاة مالک بالإسکندریة سنة ثلاث و سبعین و مائة.

۳۵- المفضّل بن فضالة بن عبید الرعینیّ أبو معاویة المصری الفقیه قاضی

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۶۳

مصر. عن یزید بن أبی حبیب و خلق، و عنه قتیبة و غیره. و کان زاهدا ورعا قانتا مجاب الدّعوة. مات سنة إحدی و ثمانین و مائة عن أربع و سبعین سنة.

۳۶- عبد اللّه بن وهب بن مسلمة المصریّ الفهریّ مولاهم أبو محمد الخیر.

أحد الأعلام. ولد فی ذی القعدة سنة خمس و عشرین و مائة، و روی عن مالک و السّفیانین و غیرهم. قال ابن عدیّ: من جلّة الناس و ثقاتهم، لا أعلم له حدیثا منکرا، تفقّه بمالک و اللّیث. و قال ابن یونس: جمع بین الفقه و الروایة و العبادة، و له تصانیف کثیرة، و کانوا أرادوه علی القضاء فتغیّب.

و قال ابن فرحون. قالوا: لم یکتب مالک لأحد بالفقیه إلا إلی ابن وهب ، فکان یکتب إلیه: إلی عبد اللّه بن وهب فقیه مصر، و إلی أبی محمد المفتی؛ و لم یکن یفعل هذا لغیره. و قال فیه ابن وهب: عالم، و ابن القاسم فقیه.

و قال أحمد بن صالح. ما رأیت أکثر حدیثا منه، حدّث بمائة ألف حدیث، قرئ علیه کتابه فی أهوال القیامة، فخرّ مغشیّا علیه، فلم یتکلّم بکلمة حتّی مات بعد أیام.

و ذلک فی شعبان سنة سبع و تسعین و مائة.

۳۷- عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العتقیّ المصریّ أبو عبد اللّه الفقیه راویة المسائل عن مالک، روی عن أبی عیینة و غیره، و عنه أصبغ و سحنون و آخرون. قال ابن حبّان: کان حبرا فاضلا، تفقّه علی مذهب مالک، و فرّع علی أصوله، ولد سنة ثمان و عشرین و مائة، و مات فی صفر سنة إحدی و تسعین و مائة. و کان زاهدا صبورا مجانبا للسّلطان.

۳۸- الإمام الشافعیّ أبو عبد اللّه محمد بن إدریس بن العبّاس بن عثمان بن شافع

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۶۴

ابن السائب بن عبید اللّه بن عبد یزید بن هشام بن الحارث بن عبد المطّلب بن عبد مناف، جدّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و السائب جدّه. صحابیّ أسلم یوم بدر؛ و کذا ابنه شافع؛ لقی النبیّ صلی اللّه علیه و سلم و هو مترعرع.

ولد الشافعیّ سنة خمسین و مائة بغزّة أو بعسقلان أو الیمن أو منّی- أقوال- و نشأ بمکّة، و حفظ القرآن و هو ابن سبع سنین، و الموطأ و هو ابن عشر، و تفقّه علی مسلم بن خاله الزنجیّ مفتی مکّة، و أذن له فی الإفتاء و عمره خمس عشرة سنة، ثمّ لازم مالکا بالمدینة، و قدم بغداد سنة خمس و تسعین، فاجتمع علیه علماؤها، و أخذوا عنه، و صنّف بها کتابه القدیم، ثمّ عاد إلی مکّة، ثمّ خرج إلی بغداد سنة خمس و تسعین، فأقام بها شهرا، ثمّ خرج إلی مصر. و صنّف بها کتبه الجدیدة کالأمّ و الأمالی الکبری و الإملاء الصغیر و مختصر البویطیّ و مختصر المزنیّ و مختصر الرّبیع و الرّسالة و السنن، قال ابن زولاق: صنّف الشافعیّ نحوا من مائتی جزء. و لم یزل بها ناشرا للعلم، ملازما للإشغال بجامع عمرو إلی أن أصابته ضربة شدیدة فمرض بسببها أیاما، ثمّ مات یوم الجمعة سلخ رجب سنة أربع و مائتین.

قال ابن عبد الحکم: لمّا حملت أمّ الشافعیّ به رأت کأنّ المشتری خرج من فرجها حتّی انقضّ بمصر، ثمّ وقع فی کل بلد منه شظیّة؛ فتأوّل أصحاب الرؤیا أنّه یخرج عالم یخصّ علمه أهل مصر، ثمّ یتفرّق فی سائر البلدان.

و قال الإمام أحمد: إنّ اللّه تعالی یقیّض للنّاس فی رأس کلّ مائة سنة من یعلّمهم السنن، و ینفی عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم الکذب؛ فنظرنا فإذا فی رأس المائة عمر بن عبد العزیز، و فی رأس المائتین الشافعیّ.

و قال الرّبیع: کان الشافعیّ یفتی و له خمس عشرة سنة؛ و کان یحیی اللیل إلی أن مات.

و قال أبو ثور: کتب عبد الرحمن بن مهدیّ إلی الشافعیّ أن یضع له کتابا فیه معانی القرآن، و یجمع قبول الأخبار فیه و حجّة الإجماع و بیان النّاسخ و المنسوخ من القرآن و السّنّة، فوضع له کتاب الرّسالة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۶۵

قال الإسنویّ: الشافعیّ أوّل من صنّف فی أصول الفقه بالإجماع، و أوّل من قرّر ناسخ الحدیث من منسوخه، و أوّل من صنّف فی أبواب کثیرة من الفقه معروفة.

۳۹- إسحاق بن الفرات أبو نعیم التّجیبیّ. صاحب مالک، قاضی دیار مصر.

قال الشافعیّ: ما رأیت بمصر أعلم باختلاف النّاس من إسحاق بن الفرات. روی عن اللّیث و غیره. مات بمصر سنة أربع و مائتین.

۴۰- أشهب بن عبد العزیز العامریّ أبو عمرو. فقیه دیار مصر، صاحب مالک. انتهت إلیه الریاسة بمصر بعد ابن القاسم، قال الشافعیّ: ما أخرجت مصر أفقه من أشهب لولا طیش فیه. و کان محمد بن عبد اللّه بن عبد الحکم یفضّل أشهب علی ابن القاسم. و قال ابن عبد البرّ: کان فقیها حسن الرأی و النّظر، ولد سنة أربعین و مائة، و مات سنة أربع و مائتین؛ قیل: اسمه مسکین، و أشهب لقب.

۴۱- عبد اللّه بن عبد الحکم بن أعین بن لیث بن رافع المصریّ أبو محمد.

کان من جلّة أصحاب مالک، ألقیت إلیه الریاسة بمصر بعد أشهب، و له مصنّفات فی الفقه و غیره. و قال ابن حبّان: کان ممّن عقد علی مذهب مالک و فرّع علی أصوله. روی عن مالک و ابن لهیعة و اللّیث، و عنه بنوه: محمد و عبد الرحمن و سعد و محمد بن عبد اللّه بن نمیر و آخرون. وثّقه أبو زرعة و غیره. و له سنة خمس و خمسین و مائة و مات فی رمضان سنة خمس عشرة، و قیل أربع عشرة و مائتین. و دفن إلی جانب الشافعیّ.

۴۲- إسحاق بن بکر بن مضر المصریّ الفقیه. قال ابن یونس: کان فقیها

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۶۶

مفتیا، و کان یجلس فی حلقة اللیث، و یفتی بقوله و یحدّث. قال فی العبر: لا أعلمه روی عن غیر أبیه. مات بمصر سنة ثمانی عشرة و مائتین.

۴۳- عثمان بن صالح بن صفوان السهمیّ أبو یحیی المصری. قاضی مصر، روی عن مالک و اللّیث و ابن وهب، و عنه البخاریّ و ابن معین و أبو حاتم و خلق. مات فی المحرّم سنة تسع عشرة و مائتین .

۴۴- أحمد بن صالح المصریّ أبو جعفر. أحد الحفّاظ المبرّزین، و الأئمّة المذکورین؛ کان إماما فقیها نظّارا متقنا، رأسا فی الحدیث و علله، إماما فی القراءات و الفقه و النّحو. قرأ علی ورش و قالون، و سمع من ابن وهب و غیره. روی عنه البخاریّ و أبو داود، و کان یری فی الجنب إذا لم یقدر علی الماء لبرد أنّه یتوضّأ و یجزئه. ولد سنة سبعین و مائة، و مات فی ذی القعدة سنة ثمان و أربعین و مائتین.

۴۵- ابن عمّ الشافعیّ، محمد بن عبد اللّه بن محمد بن العباس بن عثمان بن شافع. قال العبّادی فی طبقاته: کان من فقهاء أصحاب الشافعیّ، و له مناظرات مع المزنیّ، و تزوّج بابنة الشافعیّ زینب فأولدها أحمد.

۴۶- ابن بنت الشّافعیّ أبو بکر- أو أبو عبد الرحمن أو أبو محمد- أحمد. ولد ابن عمّ الشافعیّ المذکور؛ قال العبادیّ: تفقّه بأبیه، و روی الکثیر عنه عن الشافعیّ، و له أوجه منقولة فی المذهب. قال أبو الحسین الرازیّ: کان واسع العلم، فاضلا، لم یکن فی آل شافع بعد الإمام أجلّ منه.

۴۷- البویطیّ أبو یعقوب یوسف بن یحیی القرشیّ الإمام الجلیل؛ أحد أئمة الإسلام و أرکانه و زهّاده. کان خلیفة الشافعیّ فی حلقته بعده. قال الشافعیّ: لیس أحد أحقّ بمجلسی من أبی یعقوب، و لیس أحد من أصحابی أعلم منه. و کان ابن أبی اللیث الحنفیّ قاضی

مصر یحسده، فسعی به إلی الواثق باللّه أیّام المحنة بخلق القرآن، فأمر بحمله إلی بغداد مغلولا مقیّدا، و أرید منه القول بذلک، فامتنع؛ فجلس ببغداد إلی أن مات فی القید و السّجن یوم الجمعة من رجب سنة إحدی و ثلاثین . و کان

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۶۷

الشافعیّ له کرامة یقول له: أنت تموت فی الحدید .

۴۸- حرملة بن یحیی بن عبد اللّه التّجیبیّ أبو حفص المصریّ صاحب الشافعیّ. قال النوویّ فی شرح المهذّب: له مذهب لنفسه، و قال السبکی فی الطبقات:

هو صاحب وجه. و قال الإسنویّ: کان إماما حافظا للحدیث و الفقه، صنّف المبسوط و المختصر، و روی عنه مسلم و ابن ماجة. ولد سنة ست و ستین و مائة، و مات فی شوال سنة ثلاث و أربعین و مائتین.

۴۹- المزنیّ أبو إبراهیم إسماعیل بن یحیی بن إسماعیل بن عمرو بن إسحاق، الإمام الجلیل، ناصر المذهب، قال فیه الشافعیّ: لو ناظر الشیطان لغلبه، و کان إماما ورعا زاهدا مجاب الدّعوة، متقلّلا من الدّنیا. قال الرافعیّ: المزنیّ صاحب مذهب مستقلّ. قال الإسنویّ: صنّف کتبا، منها المبسوط، و المختصر، و المنثور، و المسائل المعتبرة، و الترغیب فی العلم، و کتاب الوثائق و العقارب؛ سمّی بذلک لصعوبته، و صنّف کتابا مفردا علی مذهبه لا علی مذهب الشافعیّ. کذا ذکره البندنیجیّ فی تعلیقه.

و کان إذا فاتته صلاة فی الجماعة صلّاها خمسا و عشرین مرة، و یغسّل الموتی تعبّدا و احتسابا، و یقول: أفعله لیرقّ قلبی، و کان جبل علم، مناظرا محجاجا. ولد سنة خمس و سبعین و مائة، و توفّی لستّ بقین من رمضان سنة أربع و ستین و مائتین، و دفن قریبا من قبر الشافعیّ.

۵۰- أصبغ بن الفرج بن سعید بن نافع الأمویّ أبو عبد اللّه المصریّ. الفقیه مفتی أهل مصر. عن عبد الرحمن بن القاسم و ابن وهب، و عنه البخاریّ و أبو حاتم.

قال ابن معین: کان من أعلم خلق اللّه کلّهم برأی مالک. و قال أبو حاتم: کان أجلّ أصحاب ابن وهب. و قال ابن یونس: کان مضطلعا بالفقه و النّظر. و له تصانیف حسان.

و قال بعضهم: ما أخرجت مصر مثل أصبغ، و قال ابن اللّبّاد: ما انفتح لی طریق الفقه إلّا من أصول أصبغ. ولد بعد الخمسین و مائة، و مات یوم الأحد لأربع بقین من شوّال سنة خمس و عشرین و مائتین.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۶۸

۵۱- سعید بن کثیر بن عفیر أبو عثمان المصریّ. الحافظ العلّامة قاضی الدّیار المصریّة، روی عن مالک و اللّیث، و کان فقیها نسّابة أخباریّا، شاعرا کثیر الاطّلاع قلیل المثل، صحیح النقل. ولد سنة ستّ و أربعین و مائة، و مات سنة ستّ و عشرین و مائتین.

۵۲- عبد الملک بن شعیب بن اللّیث بن سعد المصریّ. عن أبیه و ابن وهب؛ و عنه مسلم و أبو داود و النّسائیّ. قال فی العبر: کان أحد الفقهاء، مات سنة ثمان و أربعین و مائتین.

۵۳- الحارث بن مسکین بن محمد بن یوسف الأمویّ أبو عمرو المصریّ.

الحافظ الفقیه العلّامة، روی عنه أبو داود و النّسائیّ. قال الخطیب: کان فقیها علی مذهب مالک. ثقة فی الحدیث، ثبتا. و له تصانیف. ولد سنة أربع و خمسین و مائة، و مات لیلة الأحد لثلاث بقین من ربیع الأول سنة خمسین و مائتین.

۵۴- أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح الأمویّ مولاهم المصریّ الحافظ الفقیه العلّامة. روی عن ابن عیینة و ابن وهب، و عنه مسلم و أبو داود و النّسائیّ و ابن ماجة، و السّرح هو طاهر بن وهب. قال أبو حاتم: کان ثقة فهما من الصالحین الأثبات. مات یوم الاثنین رابع عشرة ذی القعدة سنة خمسین و مائتین. و ذکره ابن فرحون فی طبقات المالکیة، و قال: فقیها ثقة صدوقا.

۵۵- محمد بن عبد اللّه بن عبد الحکم المصریّ أبو عبد اللّه. ولد سنة اثنتین و ثمانین و مائة، و أخذ مذهب مالک عن ابن وهب، و

أشهب، فلمّا قدم الشافعىّ مصر صحبه، و تفقّه به، فلمّا مات الشافعىّ رجع إلى مذهب مالك. و انتهت إليه الرياسة بمصر. قال ابن يونس: كان المفتى بمصر فى أيامه. و قال غيره: كان من العلماء

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۶۹

الفقهاء، مبرّزا، من أهل النظر و المناظرة و الحجّة، و إليه كانت الرّحلة من الغرب و الأندلس فى العلم و الفقه، و كان فقيه مصر فى عصره على مذهب مالك، و رسخ فى مذهب الشافعىّ، و ربّما تخيّر قوله عند ظهور الحجّة، و كان أفقه أهل زمانه؛ له مصنّفات كثيرة. مات يوم الأربعاء ثانى ذى القعدة سنة ثمان و ستين و مائتين.

۵۶- يونس بن عبد الأعلى بن موسى الصّدفىّ المصرىّ الإمام أبو موسى الفقيه المقرئ المحدّث. روى عن ابن عيينة، و تفقّه على الشافعىّ، و قرأ على ورش، و تصدّر للإقراء و الفقه، و انتهت إليه رياسة العلم و علوّ الإسناد فى الكتاب و السنّة. قال يحيى بن حبّان: يونس كان ركنا من أركان الإسلام، و كان ورعا صالحا عابدا كبير الشأن. ولد فى ذى الحجّة سنة سبعين و مائة، و مات فى ربيع الآخر سنة أربع و ستّين و مائتين، روى عنه مسلم و النّسائىّ و ابن ماجة.

۵۷- ابن الموّاز العلامة أبو عبد اللّه محمد بن إبراهيم الإسكندرانىّ. صاحب التصانيف، أخذ عن أصبغ بن الفرج و عبد اللّه بن عبد الحكم، و انتهت إليه الرياسة فى مذهب مالك، و إليه كان المنتهى فى تفريع المسائل، و له اختيارات خارجة عن مذهب مالك؛ منها وجوب الصّلاة على النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فى الصلاة. مات سنة إحدى و ثمانين و مائتين.

۵۸- قاسم بن محمد بن قاسم الأموىّ مولاهم. القرطبىّ الفقيه. محدّث الأندلس. قال فى العبر: له رحلتان إلى مصر، و تفقّه على الحارث بن مسكين و ابن عبد الحكم. و كان مجتهدا لا يقلّد. قال رفيقه بقىّ بن مخلد: هو أعلم من محمد بن عبد اللّه بن عبد الحكم. و قال ابن عبد الحكم: لم يقدم علينا من الأندلس أعلم من قاسم.

و قال محمد بن عمر بن لبابة: ما رأيت أفقه منه، روى عن إبراهيم بن المنذر الخزامىّ و طبقته. مات سنة ستّ و سبعين و مائتين.

۵۹- محمد بن نصر المروزىّ الإمام أبو عبداللّه. أحد أئمة الفقهاء. ولد ببغداد، و نشأ بنيسابور، و أقام بمصر مدّة و رجع؛ فاستوطن سمرقند. كان من أعلم الناس باختلاف الصّحابة و التابعين فمن بعدهم؛ و له تصانيف جليلة. و كان رأسا فى الفقه، رأسا فى الحديث، رأسا فى العبادة، و قال شيخه فى الفقه محمد بن عبد اللّه بن عبد

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۷۰

الحكم: كان محمد بن نصر عندنا إماما؛ فكيف بخراسان! و قال غيره: لم يكن للشافعيّة فى وقته مثله. و عنه أنه قال: مكثت فى مصر مدّة أنفق فيها فى كلّ سنة عشرين درهما.

مات فى المحرّم سنة أربع و تسعين و مائتين و هو فى عشر التسعين.

قال ابن كثير فى تاريخه: روى أنّه اجتمع فى الديار المصرية محمد بن نصر و محمد بن جرير و محمد بن المنذر؛ فجلسوا فى بيت يكتبون الحديث؛ و لم يكن عندهم فى ذلك اليوم شىء يقتاتونه؛ فاقترعوا فيما بينهم من يسعى لهم فى شىء يأكلونه؛ ليدفعوا عنه ضرورتهم، فجاءت القرعة على أحدهم؛ فنهض إلى الصّلاة، فجعل يصلّى، و يدعو اللّه؛ و ذلك وقت القيلولة، فرأى نائب مصر و هو نائم وقت القيلولة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و هو يقول له: أنت ههنا و المحمّدون ليس عندهم شىء يقتاتونه! فانتبه الأمير من منامه؛ فسأل: من ههنا من المحمّدين؟ فذكر له هؤلاء الثلاثة، فأرسل إليهم فى الساعة بألف دينار.

و يشبه هذا ما حكاه ابن كثير أيضا فى ترجمة الحسن بن سفيان الفسوىّ محدّث خراسان، قال: من غريب ما اتّفق له أنّه كان هو و جماعة من أصحابه بمصر فى رحلتهم للحديث؛ منهم محمد بن خزيمة و محمد بن جرير و محمّد بن هارون الرّويانى؛ فضاق عليهم الحال حتّى مكثوا ثلاثة أيام لا يأكلون شيئا؛ و اضطرهم الحال إلى السؤال؛ فأنفت نفوسهم من ذلك؛ ثمّ ألجأتهم الضّرورة إلى تعاطى ذلك؛ فاقترعوا فيما بينهم، فوقعت القرعة على الحسن بن سفيان، فقام فاختلى فى زاوية المسجد الّذى هم فيه فصلّى ركعتين طال فيها،

و استغاث باللّه و سأل بأسمائه العظام؛ فما انصرف من الصّلاة حتّى دخل المسجد رجل، فقال: أين الحسن بن سفيان و رفقته؟ فقالوا: ها نحن، فقال: الأمير ابن طولون يقرأ عليكم السلام، و يعتذر إليكم فى تقصيره؟ و هذه مائة دينار؛ لكلّ واحد منكم؛ فقالوا له: ما الحامل له على هذا؟ فقال: إنّه أحبّ اليوم أن يختلى بنفسه؛ فبينما هو الآن نائم إذ جاءه فارس فى الهواء، بيده رمح؛ فدخل عليه المنزل، و وضع عقب الرمح فى خاصرته، فوكزه به، و قال: قم فأدرك الحسن بن سفيان و أصحابه قم فأدركهم، قم فادركهم؛ فإنّهم منذ ثلاثة أيام جياع فى المسجد الفلانىّ، فقال له: من أنت؟ قال: أنا رضوان خازن الجنان؛ فاستيقظ الأمير و خاصرته تؤلمه ألما شديدا؛ فبعث بالنفقة فى الحال؛ ثمّ جاء لزيارتهم، و اشترى ما حول ذلك المسجد، و وقفه على الواردين إليه .

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۷۱

۶۰- أبو عبيد ابن جويرية علىّ بن الحسين بن حرب بن عيسى البغدادىّ قاضى مصر. أحد الأئمة. تفقّه على أبى ثور؛ و كان يوافقه فى كثير من اختياراته، و يوافق الشافعىّ تارة؛ و له اختيارات انفرد بها فى نفسه، و من مذهبه أنه منع من تعجيل الزكاة، و أوجب اجتناب الحائض فى جميع بدنها.

قال النووىّ: و قد خالف فى ذلك إجماع المسلمين، ولى قضاء واسط، ثم إقليم مصر، فأقام بها مدّة طويلة، و كانت الخلفاء تعظّمه، ثمّ استعفى من القضاء فأعفى، و عاد إلى بغداد، فمات بها فى صفر سنة تسع عشرة و ثلاثمائة.

۶۱- أبو بكر محمد بن عبد اللّه الصيرفىّ. قال الذهبىّ فى العبر: له مصنّفات فى المذهب، و هو صاحب وجه. توفّى بمصر فى رجب سنة ثلاثين و ثلاثمائة.

۶۲- أبو إسحاق المروزىّ إبراهيم بن أحمد. أحد أئمة الدين، و أحد أصحاب الوجوه. تفقّه على ابن سريج، و كان إماما جليلا غوّاصا على المعانى الدقيقة، بحرا خضمّا، ورعا زاهدا، انتهت إليه رياسة العلم ببغداد، و انتشر الفقه عن أصحابه فى البلاد، و شرح مختصر المزنىّ، و صنّف الأصول، ثمّ انتقل فى آخر عمره إلى مصر سنة القرامطة، و جلس فى مجلس الشافعىّ، و اجتمع الناس عليه، و ضربوا إليه أكباد الإبل، و سار فى الآفاق من مجلسه سبعون إماما من أصحاب الحديث. توفّى بمصر سابع رجب سنة أربعين و ثلاثمائة، و دفن عند الإمام الشافعىّ .

۶۳- أبو بكر بن الحدّاد محمد بن أحمد بن جعفر الكنانىّ المصرىّ. الإمام الجليل، أحد أصحاب الوجوه. ولد يوم موت المزنىّ، و أخذ الفقه عن أبى سعيد محمد ابن عقيل الفريابىّ و بشر بن نصر بن غلام اللّه عرف و جالس أبا إسحاق المروزىّ لما ورد مصر، و دخل إلى بغداد، فاجتمع بابن جرير، و أخذ العرلابية عن محمد بن ولّاد، و روى الحديث عن جماعة؛ منهم أبو عبد الرحمن النّسائىّ و لزمه، و تخرّج به؛ و كان يعرف الأسماء و الكنى و النحو و اللّغة و اختلاف الفقهاء و أيّام الناس و سائر الجاهلية و الشعر و النّسب، و كان كثير التعبّد يصوم يوما و يفطر يوما، و يختم فى كلّ يوم و ليلة ختمة. ولى القضاء بمصر، و صنّف الباهر فى الفقه فى مائة جزء، و كتاب جامع الفقه، و كتاب أدب القضاء فى أربعين جزءا، و كتاب المولدات و هو مشهور. مات فى المحرّم

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۷۲

- و قيل فى صفر- سنة أربع- و قيل خمس- و أربعين و ثلاثمائة، و دفن بسفح المقطّم.

۶۴- الماسرجسىّ أبو الحسن محمد بن علىّ بن سهل النيسابورىّ شيخ القاضى أبى الطيب. أحد أصحاب الوجوه. قال الحاكم: كان من أعرف أصحابنا للمذهب.

أخذ عن أبى إسحاق المروزىّ، و صحبه إلى مصر، و لازمه إلى أن توفّى، فانصرف إلى بغداد، و درّس بها؛ ثمّ إلى خراسان، و مات بها يوم الأربعاء سادس جمادى الآخرة سنة أربع و ثمانين و ثلاثمائة، و هو ابن ستّ و سبعين سنة.

۶۵- ابن شعبان أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان. كان رأس فقهاء المالكية بمصر فى وقته، و أحفظهم لمذهب مالك، و كان شيخ الفتوى، حافظ البلد، انتهت إليه رياسة المالكية بمصر، و له تصانيف و أقوال فى المذهب و ترجيحات. مات فى جمادى الأولى

سنة خمس و خمسين و ثلاثمائة .

۶۶- القاضى عبد الوهاب بن علىّ بن نصر أبو محمد البغدادىّ أحد الأعلام، و أحد أئمة المالكية المجتهدين فى المذهب، له أقوال و ترجيحات. تفقّه على ابن القصّار و ابن الجلّاب، و انتهت إليه رياسة المذهب. قال الخطيب: لم أر فى المالكية مثله، و لا أفقه منه. ولى قضاء داريّا و نحوها، و تحوّل إلى مصر لضيق حاله ببغداد، فأكرم بها، و تموّل و سعد جدّا فأدركه الموت، فكان يقول فى مرضه: لا إله إلا اللّه، عندما عشنا متنا! مات بمصر فى شعبان سنة اثنتين و عشرين و أربع مائة عن ستّين سنة .

۶۷- الحسن بن الخطير أبو علىّ النّعمانىّ الفارسىّ. كان فقيها حنفيّا عالما بالتفسير و الحساب و الهيئة و الطبّ، مبرّزا فى النحو و اللغة و العروض و الأدب و التاريخ، ألّف تفسيرا، و شرح الجمع بين الصحيحين للحميدىّ، و كتابا فى اختلاف الصحابة و التابعين و فقهاء الأمصار. أقام بالقاهرة مدّة يدرس إلى أن مات بها سنة ثمان و تسعين و خمسمائة. و كان يقول: قد انتحلت مذهب أبى حنيفة، و أنتصر له فيما وافق اجتهادى. حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة ؛ ج ۱ ؛ ص ۲۷۲

- الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام بن عبد العزيز بن أبى القاسم بن حسن ابن محمد بن مهذب السّلمىّ أبو محمد. شيخ الإسلام، سلطان العلماء. ولد سنة سبع

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۷۳

أو ثمان- و سبعين و خمسمائة، و تفقّه على الفخر بن عساكر، و أخذ الأصول عن السّيف الأبذّىّ، و سمع الحديث من عمر بن طبرزد و غيره، و برع فى الفقه و الأصول و العربية.

قال الذهبىّ فى العبر: انتهت إليه معرفة المذهب، مع الزّهد و الورع، و بلغ رتبة الاجتهاد، و قدم مصر، فأقام بها أكثر من عشرين سنة؛ ناشرا العلم، آمرا بالمعروف، ناهيا للمنكر، يغلظ على الملوك فمن دونهم. و لمّا دخل مصر بالغ الشيخ زكى الدين المنذرىّ فى الأدب معه، و امتنع من الإفتاء لأجله، و قال: كنّا نفتى قبل حضوره، و أمّا بعد حضوره فمنصب الفتيا متعيّن فيه. و ألقى التفسير بمصر دروسا. و هو أوّل من فعل ذلك.

و له من المصنّفات: تفسير القرآن، و مجاز الفرسان، و الفتاوى الموصليّة، و مختصر النهاية، و شجرة المعارف، و القواعد الكبرى و الصغرى، و بيان أحوال النّاس يوم القيامة.

و له كرامات كثيرة، و لبس خرقة التصوّف من الشهاب السّهروردىّ. و كان يحضر عند الشيخ أبى الحسن الشاذلىّ، و يسمع كلامه فى الحقيقة، و يعظّمه. و قال: الشيخ أبو الحسن الشاذلىّ: قيل لى: ما على وجه الأرض مجلس فى الفقه أبهى من مجلس الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام، و ما على وجه الأرض مجلس فى الحديث أبهى من مجلس الشيخ زكىّ الدين عبد العظيم، و ما على وجه الأرض مجلس فى علم الحقائق أبهى من مجلسك!

و قال ابن كثير فى تاريخه: انتهت إليه رياسة المذهب، و قصد بالفتاوى من الآفاق، ثم كان فى آخر عمره لا يتقيّد بالمذهب، بل اتّسع نطاقه، و أفتى بما أدّى إليه اجتهاده. و قال تلميذه ابن دقيق العيد: كان ابن عبد السّلام أحد سلاطين العلماء. و قال الشيخ جمال الدين بن الحاجب: ابن عبد السلام أفقه من الغزالىّ. و حكى القاضى عز الدين البكارىّ أنّ الشّيخ عز الدين بن عبد السلام أفتى مرة بشىء، ثم ظهر له أنه أخطأ، فنادى فى مصر و القاهرة على نفسه: من أفتى له ابن عبد السلام بكذا، فلا يعمل به، فإنّه خطأ. قال القطب اليونينىّ: و كان مع شدّته و صلابته حسن المحاضرة بالنّوادر و الأشعار، يحضر السماع و يرقص فيه.

و قال ابن كثير: كان لطيفا يستشهد بالأشعار، توفّى بمصر عاشر جمادى الأولى سنة ستّين و ستمائة.

۶۹- القرافىّ العلّامة شهاب الدّين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجىّ البهنسىّ المصرىّ. أحد الأعلام. انتهت إليه رياسة المالكية فى عصره، و برع

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۷۴

فی الفقه و أصوله و العلوم العقلیّة، و لازم الشیخ عزّ الدین بن عبد السلام الشافعیّ، و أخذ عنه أکثر فنونه، و ألّف التّصانیف الشهیرة کالذّخیرة و القواعد و شرح المحصول و التّنقیح فی الأصول و شرحه و غیر ذلک. قال القاضی تقیّ الدین بن شکر: أجمع المالکیّة و الشّافعیة علی أنّ أفضل عصرنا بالدّیار المصریة ثلاثة: القرافیّ، و ناصر الدین ابن المنیّر و ابن دقیق العید. مات فی جمادی الآخرة سنة أربع و ثمانین و ستّمائة و دفن بالقرافة.

۷۰- ابن المنیّر العلّامة ناصر الدین أبو العباس أحمد بن محمد بن منصور الجذامیّ الإسکندرانیّ. أحد الأئمّة المتبحّرین فی العلوم من التفسیر و الفقه و الأصلین و النظر و العربیّة و البلاغة و الأنساب. أخذ عن جماعة منهم ابن الحاجب. و کان الشیخ عزّ الدین بن عبد السلام یقول: الدیار المصریة تفتخر برجلین فی طرفیها: ابن دقیق العید بقوص و ابن المنیّر بالإسکندریة. و من تصانیفه تفسیر القرآن و الانتصاف من الکشّاف و أسرار الإسراء، و مناسبات تراجم البخاریّ، و مختصر التهذیب فی الفقه. ولد سنة عشرین و ستمائة. و مات فی أوّل ربیع الأول سنة ثلاث و ثمانین بالإسکندریّة .

۷۱- أخوه زین الدین علیّ قاضی الإسکندریة بعد أخیه. قرأ علی ابن الحاجب و غیره، و کان بعض الفضلاء یفضله علی أخیه، و إن کان هو أشهر منه. و له شرح عظیم علی البخاریّ. قال ابن فرحون: و کان ممّن له أهلیّة الترجیح و الاجتهاد فی مذهب مالک.

۷۲- ابن دقیق العید الشّیخ تقیّ الدین أبو الفتح محمد بن الشّیخ مجد الدین علیّ ابن وهب بن مطیع القشیریّ القوصیّ. قال ابن السّبکی فی الطبقات: شیخ الإسلام الحافظ الزاهد الورع الناسک المجتهد المطلق ذو الخبرة التامّة بعلوم الشریعة، الجامع بین العلم و الدّین، و السالک سبیل السادة الأقدمین. أکمل المتأخّرین. ولد بظهر البحر الملح قریبا من ساحل الینبع و أبواه متوجّهان من قوص للحجّ یوم السبت خامس عشرین شعبان سنة خمس و عشرین و ستّمائة، و نشأ بقوص و تفقّه بها، ثمّ رحل إلی مصر و الشام، و سمع الکثیر. و أخذ من الشّیخ عزّ الدین بن عبد السلام، و حقّق العلوم، و وصل إلی درجة الاجتهاد، و انتهت إلیه ریاسة العلم فی زمانه، و شدّت إلیه الرحال.

قال الحافظ فتح الدین بن سیّد الناس: لم أر مثله فیمن رأیت، و لا حملت عن أجلّ منه

فیمن رویت. و کان للعلوم جامعا، و فی فنونها بارعا؛ مقدّما فی معرفة علل الحدیث علی أقرانه، منفردا بهذا الفنّ النفیس فی زمانه، بصیرا بذلک، شدید النّظر فی تلک المسالک، أذکی ألمعیّة، و أزکی لوذعیّة، لا یشقّ له غبار، و لا یجری معه سواه فی مضمار، و کان حسن الاستنباط للأحکام و المعانی من السنّة و الکتاب، بنکت تسحر الألباب، و فکر تستفتح له ما استغلق علی غیره من الأبواب، مستعینا علی ذلک بما رواه من العلوم، مبیّنا ما هنالک بما حواه من مدارک الفهوم، مبرّزا فی العلوم النقلیة و العقلیة، و المسالک الأثریّة و المدارک النظریّة، بحیث یقضی له من کلّ علم بالجمیع، و سمع بمصر و الشام و الحجاز، علی تحرّ فی ذلک و احتراز، و لم یزل حافظا للسانه، مقبلا علی شأنه، وقف نفسه علی العلوم و قصرها، و لو شاء العادّ أن یحصر کلماته لحصرها؛ و مع ذلک فله بالتجرید تخلّق، و بکرامات الصالحین تحقّق، و له مع ذلک فی الأدب باع، و کرم طباع، لم یخل فی بعضها من حسن انطباع، حتّی لقد کان الشهاب محمود الکاتب المحمود فی تلک المذاهب، یقول: لم تر عینی آدب منه. و قال أبو حیان: هو أشبه من رأیناه یمیل إلی الاجتهاد.

قال الشیخ تاج الدین السبکی: و لم أر أحدا من أشیاخنا یختلف فی أنّ ابن دقیق العید هو العالم المبعوث علی رأس المائة السابعة، المشار إلیه فی الحدیث؛ فإنّه أستاذ زمانه علما و دینا.

و له مصنّفات، منها الإلمام فی الحدیث و شرحه الّذی لم یؤلّف أعظم منه لما فیه من الاستنباطات العظیمة، و شرح العمدة، و الاقتراح فی مصطلح الحدیث، و شرح العنوان فی أصول الفقه، و کتاب فی أصول الدین، و له دیوان خطب، و شعر حسن.

مات یوم الجمعة حادی عشر صفر سنة اثنتین و سبعمائة.

ورثاه الشرف محمد بن محمد عیسی القوصی بقوله:

سیطول بعدک فی الطّلول وقوفیأروی الثری من مدمعی المذروف

أبکی علی فقد العلوم بأسرهاو المکرمات بناظر مطروف

أ محمد بن علی بن وهب دعوهمن قلب مشجون الفؤاد أسیف

لو کان یقبل فیک حتفک فدیهلفدیت من علمائنا بألوف

أو کان من جمر المنایا مانعمنعتک سمر قنا و بیض سیوف

ما کنت فی الدّنیا علی الدّنیا إذاولّت بمحزون و لا مأسوف

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۷۶ سلمت عداتک لا عداتک کلّها- مذ کنت- من مطل و من تسویف

یا طالبی المعروف أین مسیرکممات الفتی المعروف بالمعروف

المشتری العلیا بأغلی قیمهمن غیر ما بخس و لا تطفیف

ما عنّف الجلساء قطّ و نفسهلم یخلها یوما من التعنیف

یا مرشد الفتیا إذا ما أشکلتطرق الصواب و منجد الملهوف

من للضعیف یعینه أنّی أتیمستصرخا یا غوث کلّ ضعیف

من للیتامی و الأرامل کافلیرجونه فی شتوة و مصیف

لم یثن عزمک عن مواصلة العلاحسناء ذات قلائد و شنوف

أفنیت عمرک فی تقی و عبادةو إفادة للعلم أو تصنیف

و سبحت فی بحر العلوم مکابداأمواجه و الناس دون السّیف

و بذلت سائر ما حویت فلم تدعلک من تلید فی العلا و طریف

یا شمس؛ مالک تطلعین أ لم تریشمس المعارف غیّبت بکسوف؟

و لأنت کنت أحقّ من بدر الحجیو العلم یا بدر الدّجی بخسوف

لهفی علی حبر بکلّ فضیلةعلیاء من زمن الصّبا مشغوف

کان الخفیف علی تقیّ مؤمنلکن علی الفجّار غیر خفیف

تبکی العلوم کأنّها لیلی علیفقدانه و کأنّه ابن طریف

أمنت أحادیث الرسول به من التبدیل و التّحریف و التّصحیف

و الشّرع یخشی عودة الدّاء الذیقد کان منه علی یدیه عوفی

عمّ المصاب به الطوائف کلّهالمّا ألمّ و خصّ کلّ حنیف

و مضی و ما کتبت علیه کبیرةمن یوم حلّ بساحة التکلیف

بشراک یا بن علیّ العالی الذّراإذ بتّ ضیفا عند خیر مضیف

و خلعت من کبد الحسود و رومة الجانی البغیض و جزت کلّ مخوف

و لقد نزلت علی کریم غافربالنّازلین کما علمت رؤوف

صبرا بنیه قوة من بعدهصبر الکریم الماجد الغطریف

و اللّه لو وفّیتموا من حقّهشیئا فلیس الحزن فیه بموفی

۷۳- ابن الرفعة الإمام نجم الدین أبو العباس أحمد بن محمد بن علیّ بن مرتفع الأنصاریّ. واحد مصر، و ثالث الشیخین: الرافعیّ و

النووىّ، فى الاعتماد عليه فى الترجيح. قال الإسنوىّ: كان إمام مصر بل سائر الأمصار، و فقيه عصره فى جميع الأقطار، لم يخرج إقليم مصر بعد ابن الحدّاد من يدانيه، و لا يعلم فى الشافعيّة مطلقا بعد الرافعىّ من يساويه؛ كان أعجوبة فى استحضار كلام الأصحاب؛ لا سيّما من غير

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۷۷

مظانّه، و أعجوبة فى معرفة نصوص الشافعىّ، و أعجوبة فى قوّة التخريج.

ولد بالفسطاط سنة خمس و أربعين و ستمائة، و تفقّه على السديد و الظهير التزمنتىّ و على الشريف العباسىّ، و درّس بالمعزّيّة بمصر، و ولى حسبة مصر، و صنّف التصنيفين العظيمين: الكفاية فى عشرين مجلّدا، و المطلب فى ستّين مجلّدا. و له النّفائس فى هدم الكنائس، و تأليف فى المكيال و الميزان. مات بمصر فى ثانى عشر رجب سنة عشر و سبع مائة .

۷۴- ابن الزّملكانىّ العلّامة كمال الدين محمد بن علىّ بن عبد الواحد بن عبد الكريم الأنصارىّ. قال الذهبىّ: كان عالم العصر، و كان من بقايا المجتهدين، و من أذكياء أهل زمانه، تخرّج به الأصحاب. مولده بدمشق فى شوال سنة سبع و ستّين و ستّمائة، و قرأ الأصول على الصفىّ الهندىّ، و النّحو على بدر الدين بن مالك، و ألّف عدّة تصانيف، و طلب لقضاء مصر، فقدم. فمات ببلبيس فى سادس عشر رمضان سنة سبع و عشرين و سبعمائة، و حمل إلى القاهرة ميتا، و دفن قريبا من قبر الإمام الشافعىّ رضى اللّه عنه.

۷۴- السبكىّ العلّامة تقىّ الدين أبو الحسن علىّ بن عبد الكافى بن تمام بن حمّاد بن يحيى بن عثمان بن على بن سوار بن سليم الأنصارىّ. قال ولده فى الطبقات:

الإمام الفقيه المحدّث الحافظ المفسّر الأصولىّ المتكلّم النحوىّ اللغوىّ الأديب الجدلىّ الخلافىّ النظّار، شيخ الإسلام بقيّة المجتهدين، المجتهد المطلق. ولد بسبك من أعمال المنوفيّة فى صفر سنة ثلاث و ثمانين و ستّمائة، و تفقّه على ابن الرّفعة، و أخذ الحديث عن الشرف الدمياطىّ، و التفسير عن العلم العراقىّ، و القراءات عن التقىّ بن الصائغ، و الأصول و المعقول عن العلاء الباجى، و النحو عن أبى حيّان. و صحب فى التصوّف الشيخ تاج الدين بن عطاء اللّه، و انتهت إليه رياسة العلم بمصر. قال الإسنوىّ: كان أنظر من رأيناه من أهل العلم و من أجمعهم للعلوم، و أحسنهم كلاما فى الأشياء الدقيقة و أجلدهم على ذلك. و قال الصلاح الصفدىّ: النّاس يقولون: ما جاء بعد الغزالىّ مثله، و عندى أنّهم يظلمونه بهذا و ما هو عندى إلا مثل سفيان الثورىّ، و قال ابنه فى الترشيح:

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۷۸

قال الشيخ شهاب الدين بن النقيب، صاحب مختصر الكفاية و غيرها من المصنفات:

جلست بمكة بين طائفة من العلماء و قعدنا نقول: لو قدّر اللّه تعالى بعد الأئمة الأربعة فى هذا الزمان مجتهدا عارفا بمذاهبهم أجمعين يركّب لنفسه مذهبا من الأربعة، بعد اعتبار هذه المذاهب المختلفة كلّها، لازدان الزمان به، و انقاد الناس، فاتّفق رأينا على أنّ هذه الرتبة لا تعدو الشيخ تقىّ الدين السبكىّ، و لا ينتهى لها سواه.

و له من المصنّفات الجليلة الفائقة التى حقّها أن تكتب بماء الذهب، لما فيها من النفائس البديعة، و التدقيقات النفيسة؛ منها الدرّ النظيم فى تفسير القرآن العظيم، تكملة شرح المهذّب للنووىّ وصل فيه إلى أثناء التفليس، الابتهاج فى شرح المنهاج وصل فيه إلى الطلاق. الرّقم الإبريزىّ شرح مختصر التبريزىّ، التحقيق فى مسألة التعليق، رفع الشّقاق فى مسألة الطلاق، أحكام كلّ و ما عليه تدلّ، بيان حكم الرّبط فى اعتراض الشرط، شفاء السّقام فى زيارة خير الأنام، السّيف المسلول على من سبّ الرسول، التّعظيم و المنّة، فى «لتؤمنّ به و لتنصرنّه»، منية الباحث عن حكم دين الوارث، الرياض الأنيقة و قسمة الحديقة، الإقناع فى إفادة «لو» للامتناع، وشى الحلا فى تأكيد النفى بلا الاعتبار ببقاء الجنّة و النار، ضرورة التقدير فى تقويم الخمر و الخنزير، كيف التدبير فى تقويم الخمر و الخنزير، السّهم الصائب فى قبض دين الغائب، الغيث المغدق فى ميراث ابن المعتق، فصل المقال فى هدايا العمّال، مختصره، نور المصابيح فى صلاة التراويح، ضياء المصابيح، ضوء المفاليح، تقييد التراجيح؛ و مصنّفان آخران فى ذلك، تكملة سبعة أجزاء، إبراز الحكم من حديث

رفع القلم، الکلام علی حدیث: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلّا من ثلاث»، کشف الغمّة فی میراث أهل الذّمّة، الاتّساق فی بقاء وجه الاشتقاق، الطوالع المشرقة فی الوقف علی طبقة بعد طبقة، النقول و المباحث المشرقة، طلیعة الفتح و النصر فی صلاة الخوف و القصر، القول الصحیح فی تعیین الذبیح، القول المحمود فی تنزیه داود، قطف النّور مسائل الدّور، الدّور فی الدّور؛ و له فیه مؤلّف ثالث و رابع و خامس، عقود الجمان فی عقود الرّهن و الضّمان، ورد الغلل فی العلل، البصر الناقد فی لا کلمت کلّ واحد، الجمع فی الحضر بعذر المطر، حسن الصنیعة فی ضمان الودیعة، التهدّی إلی معنی التعدّی، بیان المحتمل فی تعدیة العمل، الحکم و الأناة فی إعراب قوله: «غیر ناظرین إناه»، القول الجدّ فی تبعیة الجدّ، الإغریض فی الفرق بین الکنایة و التعریض، المواهب الصمدیة فی المواریث الصفدیّة، تفسیر: یا أَیُّهَا الرُّسُلُ کُلُوا مِنَ الطَّیِّباتِ [المؤمنون: ۵۱] الآیة، کشف الدّسائس فی هدم الکنائس، تنزیل السکینة علی قنادیل المدینة، الطریقة النافعة فی المساقاة

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۷۹

و المخابرة و المزارعة، من أقسطوا و من غلوا فی حکم من یقول لو، نیل العلا فی العطف بلا، حفظ الصیام عن فوت التّمام، معنی قول الإمام المطلبیّ: إذا صحّ الحدیث فهو مذهبی. القول المختطف فی أدلّة: «کان إذا اعتکف»، کشف اللّبس عن المسائل الخمس، غیرة الإیمان الجلیّ لأبی بکر و عمر و عثمان و علیّ، بیع المرهون فی غیبة المدیون، الاقتناص فی الفرق بین الحصر و الاختصاص، تسریح الناظر فی انعزال الناظر، جزء فی تعدّد الجمعة؛ و غیر ذلک. و له فتاوی کثیرة جمعها ولده فی ثلاثة مجلّدات.

توفّی بجزیرة الفیل علی شاطیء النیل، یوم الاثنین رابع جمادی الآخرة سنة ست و خمسین و سبعمائة.

ورثاه شاعر العصر الأدیب جمال الدین بن نباتة بقوله:

نعاه للفضل و العلیاء و النّسبناعیه للأرض و الأفلاک و الشّهب

ندب رأینا وجوب النّدب حین مضیفأیّ حزن و قلب فیه لم یجب!

نعم إلی الأرض ینعی و السماء علافقیدکم یا سراة المجد و الحسب

بالعلم و العمل المبرور قد ملئتأرض بکم و سماء عن أب فأب

مقدّم ذکر ماضیکم و وارثهفی الوقت تقدیم بسم اللّه فی الکتب

آها لمجتهد فی العلم یندبهمن بات مجتهدا فی الحزن و الحرب

بینا وفود العلا و العلم ینزلهمإذا نازلتنا اللیالی فیه عن کثب

و أقبلت نوب الأیّام ثائرةإذ کان عونا علی الأیّام و النّوب

ففاجأتنا ید التفریق مسفرةعن سفرة طال فیها شجو مرتقب

و جاء من نحو مصر مبتدأ خبرلکن به السّمع منصوب علی النّصب

قالت دمشق بدمع النهر و اخبرا«فزعت فیه بآمالی إلی الکذب»

«حتّی إذا لم یدع لی صدقه أملاشرقت بالدمع حتّی کاد یشرق بی»

و کلّمتنا سیوف الکتب قائلة:«السّیف أصدق إنباء من الکتب»

و قال موت فتی الأنصار مغتبطااللّه أکبر کلّ الحسن فی العرب

لقد طوی الموت من ذاک الفرید حلی کانت جلا الدین و الأحکام و الرّیب

و خصّ مغنی دمشق الحزن متّصلابفرقتین أبانتها علی وصب

بین و موت یؤوب الغائبون و من یجمع له مقسما بالله لم یؤب

کادت ریاح الأسی و الشّجو یعکسهاحتّی الغصون بها معکوسة العذب

و الجامع الرّحب أضحی صدره حرجاو النّسر ضمّ جناحیه من الرّهب

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۸۰ و للمدارس همّ کاد یدرسهالولا تدارک أبناء له نجب

من للهدی و الندی لولا بنوه و منللفضل یسحب أذیالا علی السّحب؟

من للفتوّة و الفتوی یجالسهفی الضّیعتین و للآداب و الأدب؟

من للتواضع حیث القدر فی صعدعلی النّجوم و حیث الحکم فی صبب؟

أمضی من النّصل فی نصر الهدی فإذاسلّت نصال العدی أوفی من النکب

من للتصانیف فیها رتبة و هدیو رجم باغ فیاللّه من شهب!

من للفضائل و الإفضال قد جمعتمتن السّراة إلی دان بها درب؟

ذو همّة فی العلا و العلم قد بلغتشأو السماک و ما ینفک فی دأب

من للتهجّد أو من للدّعا بسطتبه و بالجود فینا راحتا تعب؟

حتّی رأی العلم شفع الشافعیّ بهفقال من ذا و ذا أدرکت مطّلبی

من للمدائح فیه قد جلت وصفت کأنّما افترّ منها الطّرس عن شنب

من للمدائح قد قامت خطابتهاعلی معالیه فی قاص و مقترب

لهفی و قد لبست حزنا لفرقتهمدادها أسطر الأشعار و الخطب

لهفی لمظلم مدح فکر أجمعهمبالهمّ لا بالذّکا أمسی أبا لهب

کأنّ أیدی الوری تبّت و قد قعدتمن عیّ أقلامها حمّالة الحطب

لهفی علی الظهر فی عرض و فی سعةو فی لسان و فی حلم و فی غضب

واقی الشریعة من تخلیط من جهلوافما یخوضون فی جدّ و لا لعب

محجّب غیر ممنوع اللّقا بسناعلیائه و مهیب غیر محتجب

أضحی لسبک فخار من مناقبهعلی العراق فخار غیر منتقب

لهفی لعلمین: مرویّ و مجتهدلهفی لفضلین: موروث و مکتسب

آها لمرتحل عنّا و أنعمهمثل الحقائب و الطّلّاب و الحقب

إیمان حبّ علی الأوطان حرّکهحتّی قضی نحبه یا طول منتحب

لهفی لکلّ وقور من بنیه بکیو هو الصواب بصوب و اکف السّرب

و کلّ نادبة للحجب قلن لها«یا أخت خیر أخ یا بنت خیر أب»

إلی الحسین انتهی مسری علیّ فلامنیت یا خارجیّ الهمّ بالغلب

یا ثاویا و الثنا و المجد ینثرهبقیت أنت و أفنتنا ید الکرب

ثمّ فی مقام نعیم غیر منقطعو نحن فی نار حزن غیر متّئب

سهام حزن قسمناها علیک فإنّتقسم برقّ و إن ترم الحشا تصب

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۸۱ ما أعجب الحال لی قلب بمصروفیدمشق جسم و دمع العین فی حلب

من لی بمصر التی ضمّتک تجمعناو لو بطون الثّری فیها فیا طربی

بالرّغم منّا رثاء بعد مدحک لایسلی و نحن مع الأیام فی لجب

ما بین أکبادنا و الهمّ فاصلةو لا نری لصنیع الشعر من سبب

أمّا القريض فلولا نسلكم كسدت‌أسواقه وعدت مقطوعة الجلب

قاضى القضاة عزاء عن إمام تقى‌بالفضل أوصى وصاة المرء بالعقب

فإنت فى رتبة عليا و ما وسقت‌بحر يحدّث عنه البحر بالعجب

ما غاب عنّا سوى شخص لوالدكم‌و علمه و التّقى و الجود لم يغب

جادت ثراك أبا السادات سحب رضاتزهى بذيل على مثواك منسحب

و سار نحوك منّا كلّ شارقة‌سلام كلّ شجىّ القلب مكتئب

تحيّة اللّه نهديها و نتبعهافبعد فقدك ما فى العيش من أرب

و خفف الحزن أنّا لا حقون بمن‌مضى فأمضى شباة الحارب الدّرب

إن لم يسر نحونا سرنا إليه على‌أيّامنا و اللّيالى الدّهم و الشّهب

إنّا من الترب أشباح مخلّقة‌فلا عجيب مآل التّرب للتّرب

ورثاه الصلاح الصفدى بقوله:

أىّ طود من الشريعة مالازعزعت ركنه المنون فمالا

أىّ ظلّ قد قلّصته المناياحين أعيا على الملوك انتقالا

أىّ بحر كم فاض بالعلم حتّى‌كان منه بحر البسيطة آلا

أىّ حبر مضى و قد كان بحرافاض للواردين عذبا زلالا

أىّ شمس قد كوّرت فى ضريح‌ثمّ أبقت بدرا يضى و هلالا

مات قاضى القضاة من كان يرقى‌رتب الاجتهاد حالا فحالا

مات من فضل علمه طبّق الأرض مسيرا و ما تشكّى كلالا

كان كالشمس فى العلوم إذا ماأشرقت أصبح الأنام ذبالا

كان كلّ الأنام من قبل ذا العصر عليه فى كلّ علم عيالا

كان فرد الوجود فى الدّهر يزهى‌بمعالى أهل العلوم جمالا

فمضوا قبله و كان ختامابعدهم فاعتدى الزمان وصالا

كملت ذاته بأوصاف علم‌علّم البدر فى الدياجى الكمالا

و أنام الأنام فى مهد عدل‌شمل الخلق يمنة و شمالا

فلمن بعده نسدّ رحاباو لمن بعده نشدّ رحالا

و هو إن رمت مثله فى علاه‌لم تجد فى السؤال عنه سوى لا

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۸۲ أحسن اللّه للأنام عزاهم‌فهمو بالمصاب فيه ثكالى

و مصاب السبكىّ قد سبك القلب و أودى منّا الجلود انتحالا

خزرجىّ الأصول لو فاخر النّجم علا مجده عليه و طالا

خلق كالنّسيم مرّ على الرّوض سحيرا و عرفه قد توالى

و يد جودها يفوق الغوادى‌تلك ما أنعمت و دامت نوالا

أيّها الذاهب الّذى حين ولّى‌صار منه عزّ الدموع مذالا

لو أفاد الفداء شخصا لجدنابنفوس على الفدا لا تغالى

نفس طال ما تنفّس عنهامنک کرب یکظّها و استحالا

أنت بلّغتها المنی فی أمانفاستفادت عزّا و عزّت منالا

من لنا إن درجت شجوا شکونامن أذاها فی الدّهر داء عضالا

کنت تجلو ظلامها ببیانحلّ من عقلنا الأسیر عقالا

من بعید الفتوی إلی کل قطرمنه جاءت جوابها یتلالا

قد أصبت الصّواب فیها و أهدیت هداها و قد محوت الضّلالا

فیقول الوری إذا ما رأوهاهکذا هکذا و إلّا فلالا

فلیقل ما یشا أما جاء أنّ الموت أزدی الغضنفر الرّئبالا ؟

و إذا ما خلا الجبان بأرضطلب الموت وحده و النّزالا

قد تقضّی قاضی القضاة تقیّ الدّین سبحان من یزیل الجبالا

فالدّراری من بعده کاسفاتو إذا ما بدا نراها خجالی

کان طودا فی علمه مشمخرّامدّ فی النّاس من بنیه ظلالا

فبه عزّها و نعمة تاجفوق فرق العلاء رفّ اعتدالا

هو قاضی القضاة صان حماهمن عوادی الزّمان ربّی تعالی

و هداه للحکم فی کلّ یومفیه یرعی الأیتام و الأطفالا

و حباه الصّبر الجمیل و وافاه ثوابا یزجی سحابا ثقالا

لیفید العدا جلادا و یعدوفیعید النّدی و یبدی الجدالا

۷۶- ولده قاضی القضاة تاج الدین أبو النصر عبد الوهاب. ولد بمصر سنة تسع و عشرین و سبعمائة، و لازم الاشتغال بالفنون علی أبیه و غیره حتّی مهر و هو شابّ، و صنّف کتبا نفیسة، و انتشرت فی حیاته، و ألّف و هو فی حدود العشرین. کتب مرّة ورقة إلی نائب الشام یقول فیها: و أنا الیوم مجتهد الدنیا علی الإطلاق، لا یقدر أحد یرد علی

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۸۳

هذه الکلمة، و هو مقبول فیما قال عن نفسه.

و من تصانیفه: جمع الجوامع و منع الموانع، و شرح مختصر ابن الحاجب، و شرح منهاج البیضاویّ، و التوشیح و الترشیح، و الطبقات، و مفید النّعم و غیر ذلک. مات عشیّة یوم الثلاثاء سابع ذی الحجة سنة إحدی و سبعین و سبعمائة .

۷۷- البلقینی شیخ الإسلام سراج الدین أبو حفص عمر بن رسلان بن نصیر بن صالح الکنانیّ، مجتهد عصره، و عالم المائة الثامنة.

ولد فی ثانی عشر رمضان سنة أربع و عشرین و سبعمائة، و أخذ الفقه عن ابن عدلان و التقیّ و السبکیّ، و النحو عن أبی حیّان، و برع فی الفقه و الحدیث و الأصول، و انتهت إلیه ریاسة المذهب و الإفتاء، و بلغ رتبة الاجتهاد. و له ترجیحات فی المذهب خلاف ما رجّحه النوویّ، و له اختیارات خارجة عن المذهب، و أفتی بجواز إخراج الفلوس فی الزکاة، و قال: إنّه خارج عن مذهب الشافعیّ.

و له تصانیف فی الفقه و الحدیث و التفسیر منها، حواشی الروضة، و شرح البخاری، و شرح الترمذیّ، و حواشی الکشاف.

و ولی تدریس الخشّابیة و غیرها، و تدریس التفسیر بالجامع الطولونیّ.

و کان البهاء بن عقیل یقول: هو أحقّ الناس بالفتوی فی زمانه، مات فی عاشر ذی القعدة سنة خمس و ثمانمائة.

و سمعت ولده شیخنا قاضی القضاة علم الدین یقول: ذکر الشیخ کمال الدین الدمیریّ أنّ بعض الأولیاء قال له: إنّه رأی قائلا یقول: إنّ اللّه یبعث علی رأس کلّ مائة لهذه الأمّة من یجدّد لها دینها، بدئت بعمر، و ختمت بعمر.

قلت: و من اللطائف أنّ شرط المبعوثین علی رؤوس القرون مصریّون: عمر بن عبد العزیز فی الأولی، و الشافعیّ فی الثانیة، و ابن دقیق العید فی السابعة، و البلقینیّ فی الثامنة؛ و عسی أن یکون المبعوث علی رأس المائة التاسعة من أهل مصر.

و قال الحافظ ابن حجر یرثی البلقینیّ، و ضمّنها رثاء الحافظ أبی الفضل العراقیّ:

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۸۴ یا عین جودی لفقد البحر بالمطرو اذری الدّموع و لا تبقی و لا تذری

لو ردّ ترداد دمع ذاهبا سبقتشهب الدّموع بعینی جریة النّهر

تسقی الوری فمتی لام العذول أقلدعها سماویّة تجری علی قدر

یا سائلی جهرة عمّا أکابده«عدتک حالی لا سرّی بمستتر»

لم یعل منّی سوی أنفاسی الصّعداو لست أبصر دمعی غیر منحدر

أقضی نهاری فی غمّ و فی حزنو طول لیلی فی فکر و فی سهر

و غاص قلبی فی بحر الهموم أماتری سقیط دموعی منه کالدّرر؟!

فرحمة اللّه و الرّضوان تشملهسلامة ما بکی باک علی عمر

بحر العلوم الّذی ما کدّرته دلامن المسائل إن تشکل و إن تذر

و الحبر کم حبّرت طرسا یراعتهحتّی تجانس بین الحبر و الحبر

لم أنس حین یحفّ الطالبون بهمثل الکواکب إذ یحففن بالقمر

فیقسم العلم فی مفت و مبتدئکقسمة الغیث بین النّبت و الشجر

و لم یخصّ ببشر منه ذا نسببل عمّهم فضله بالبشر و البشر

لقد أقام منار الدّین متّضحاسراجه فأضاء الکون للبشر

فی القرن الأوّل و القرن الأخیر لقدأحیا لنا العمران الدین عن قدر

فی الاسم و العلم و التّقوی قد اجتمعاو إنّما افترقا فی العصر و العمر

لکن أضاء سراج الدّین منفرداو ذاک مشترک فی سبعة زهر

من للفضائل أو من للفواضل أومن للمسائل یلقیها بلا ضجر

من للفوائد أو من للعوائد أومن للقواعد یبنیها بلا خور

من للفتاوی و حلّ المشکلات إذاجلّ الخطاب و ظلّ القوم فی فکر

لمن یکون اختلاف الناس إن نعقتعمیاء و الحکم فیها غیر مستطر

قالوا إذا عضلت نبّه لها عمراو نم، فمن بعده للمشکل العسر؟!

من لو رآه ابن إدریس الإمام إذاأقرّ أو قر عینا منه بالنّظر

قد کان بالأمّ برّا حین هذّبهاتهذیب منتصر للحقّ معتبر

تری خوارق فی استنباطه عجبابردّها العقل لولا شاهد البصر

قالت حواسده لمّا رأوا غررامن بحثه خبرها یربو علی الخبر

اللّه أکبر ما هذا سوی ملکو حاش للّه ما هذا من البشر

عهدی بأکبرهم قدرا بحضرتهمثل البغاث لدی صقر من الصغر

محدّث قل لمن کانوا قد اجتمعواالیسمعوا عنه: فزتم منه بالوطر

علوتم فتواضعتم علی ثقةلمّا تواضع أقوام علی غرر

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۸۵ محقّق کم له بالفتح من مددتحقیق رجوی نبیّ اللّه فی عمر

حکی الجنید مقامات بها فلهتذکیر ناس و تنبیه لمدّکر

و بابه یتلقّی فیه قاصدهبشر و سهلّ و معروف به و سری

لو قال هذی السواری الخشب من ذهبقامت له حجج یشرقن کالدّرر

و إن تکلّم یوما فی مناظرهٔیدقّ معناه عن إدراک ذی نظر

سل ابن عدلان عن تحقیقه و أباحیّان و اعدل إذا حکّمت و اعتبر

مسدّد الرأی حجّاج الخصوم غدافی سعیه خیر حجّاج و معتمر

کم حجّهٔ و غزاهٔ قد سما بهماو کم حوی عمر الخیرات من عمر

أصمّ ناعیه آذانا، و قیّد أذهانا، و أطلق أجفانا لمنکسر

سعی إلینا به یوم الوقوف فماأجابه الرّکب إلّا بالثّنا العطر

نعاه فی یوم تعریف الحجیج فقدعجّوا و ضجّوا أسی من حادث نکر

یا من له جنّهٔ المأوی غدت نزلاارقد هنیئا فقلبی منک فی سفر

حباک ربّک بالحسنی و رؤیتهزیادهٔ فی رضاه عنک فافتخر

أزال عنک تکالیف الحیاهٔ فماتتلو إذا شئت إلّا آخر الزّمر

أوحشت صحف علوم کنت تجمعهاو منزلا بک معمورا من الخفر

لم یستملک لشاد أو لغانیهٔبیت من الشّعر أو بیت من الشّعر

لکن عکفت علی استنباط مسألهٔأو حلّ معضلهٔ أعیت علی الفکر

بالنّصر قمت لنصّ تستدلّ بهکالسّیف دلّ علی التأثیر بالأثر

طویت عنّا بساط العلم معتلیافاهنأ بمقعد صدق عند مقتدر

کنانهٔ لک مأوی و هی منتسبالدار مصر غدت و البیت فی مضر

تحمی قسیّ رکوع مع سهام دعاتحلّ حاشاک من خاط و من خطر

بضعا و ستّین عاما ظلت منفردابرتبهٔ العلم فیها أیّ مشتهر

فما برحت مجدّا للعلا یقظاو لا انتبهت إلی کأس و لا وتر

قد کنت تحمی حمی الإسلام مجتهداحتّی تقلّد منه الجید بالدّرر

فرّقت جمع عدوّ الدین حیث نجوابجمعهم بین تأنیث و منکسر

طعنت غیر محاب فی مقاتلهمبالسمهریّهٔ دون الوخز بالإبر

طورا بسیف الهدی فی الملحدین سطاو تارهٔ بسهام الذکر فی التتر

رزء عظیم یسرّ الملحدون بهکالإتحادیّ و الشیعیّ و القدری

لیت اللّیالی أبقت واحدا جمعتفیه هدایهٔ أهل النّفع و الضّرر

و لیتها إذ فدت عمرا فدت عمرابطالبیه و أولاهم بذی عمر

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۸۶ هیهات لو قبل الموت الفدا بذلتفی الشیخ من غیر ثنیا أنفس البشر

عجبی لقبر حواه إنّه عجبإذ بان منه اتّساع الصدر للبحر

لهفی علی فقد شیخ المسلمین لقدجلّ المصاب و فیه عزّ مصطبری

لهفی علیه سراجا کان متّقدایسمو ذکا بذکاء غیر منحسر

لولا نداه خشینا نار فکرتهلکنّه بنداه مطفئ الشّرر

من ناره ظلّ بحر النیل محترقاحزنا ألا فاعجبوا من فطنهٔ النّهر

لهفی و هل نافعی إبداع مرثیهٔو کیف یغنی کسیر القلب بالفقر؟!

لهفی علیه للیل کان یقطعهنفلا و ذکرا و قرآنا إلی السحر

لهفی علیه لعلم کان یجمعهیشقّ فیه علیه فرقهٔ السّهر

لهفی علیه لعان کان ینفعهفعلا و قولا فما یؤتی من الحصر

لهفی علیه لضدّ کان یدفعهعن الخلائق من بدو و من حضر

نعم و یا طول حزنی ما حییت علیعبد الرّحیم فحزنی غیر مقتصر

لهفی علی حافظ العصر الّذی اشتهرتأعلامه کاشتهار الشمس فی الظّهر

علم الحدیث انقضی لما قضی و مضیو الدّهر یفجع بعد العین بالأثر

لهفی علی فقد شیخیّ اللّذین هماأعزّ عندی من سمعی و من بصری

لهفی علی من حدیثی عن کمالهمایحیی الرّمیم و یلهی الحیّ عن سمر

اثنان لم یرتق النّسران ما ارتقیانسر السما إن یلح و الأرض إن یطر

ذا شبه فرخ عقاب حجّهٔ صدقتو ذا جهینهٔ إن یسأل عن الخبر

لا ینقضی عجبی عن وفق عمرهماالعام کالعام حتّی الشهر کالشّهر

عاشا ثمانین عاما بعدها سنهٔو ربع عام سوی نقص لمعتبر

الدّین تتبعه الدنیا مضت بهمارزیّهٔ لم تهن یوما علی بشر

بالشمس و هو سراج الدین یتبعهبدر الدیاجیّ زین الدین فی الأثر

ما أظلم الأفق فی عینی و قد أفلتشمس المنیرهٔ عنّی و امّحی قمری

قد ذقت من بین أحبابی العذاب و همّلاح النّعیم فساروا سیر مبتدر

یا قلب ساروا و ما وافقتهم فعلواإلی الرفیق لدی الجنّات و النهر

و عشت بعد نواهم مظهرا جلداتکابد الشوق ما أقساک من حجر

و أنت یا طرف لا تنظر لغیرهمما أنت عندی إن تنظر بذی نظر

و لا یغرّنک بشر من خلافهمو لو أنار فکم نور بلا ثمر

و قل لأسود عینی یعد أبیضهیا آخر الصّفو هذا أوّل الکدر

ما بعدهم غایهٔ یا موت تطلبهابلغت للأفق فی المرقی فلا تطر

حسن المحاضرهٔ فی أخبار مصر و القاهرهٔ، ج۱، ص: ۲۸۷ بدور تمّ خلت منهم منازلهمو القلب ذو کدر و الطّرف ذو سهر

غصون روض ذوت فی التراب أوجههمو وا وحشتاه لذاک المنظر النّضر

دمعی علیهم و شعری فی رثائهمکالدرّ ما بین منظوم و منتثر

دارت کؤوس المنایا حین غبت علیأحباب قلبی فلیت الکأس لم تدر

خرجت أنّی ألقاهم ففات، فقدزهدت فی وطنی إذ فاتنی و طری

لقد رجونا لها قاضی القضاهٔ جلال الدین حیث لنا أدّی من السفر

ولّی عهد أبیه کان نص علی استخلافه، فانتظر یا خیر منتظر

فتیّ سنّ و فی المقدار شبه أب‌هذا اتّفاق فتیّ السنّ و الکبر

جاری أباه و أخلق أن یساویه‌و البدر فی شفق کالبدر فی سحر

له مناقب تسری ما سری قمرو سیرة سار فیها أعدل السّیر

علم و حلم و عدل شامل و تقی‌و عفة و نوال غیر منحصر

خلائق فی العلا لمّا سمت و نمت‌فاحت و لاحت لنا کالزّهر و الزّهر

یا کامل الأصل دانی الفضل وافره‌بسیط فضل العطایا غیر منبتر

یا سیدا فی المعالی طال مطلبه‌ملکتها عنوة بالحقّ فاقتصر

إن فهت بالفقه فقت الأقدمین ذکاوصلت بالحقّ صول الصارم الذّکر

و إن تکلّمت فی الأصلین فاعل وطل‌و قل و لا فخر، ما الرازی بمفتخر

و إن تفسر تحقّق کلّ مشتبه‌و سیف ذهنک شفّاق علی الطّبری

و لیس یرفع رأسا سیبویه إذانصبت للنّحو طرفا غیر منکسر

و من قدیم زمان للحدیث لقدرقیت فی الحفظ و العلیا إلی الزّهر

مولای صبرا فما یخفاک أنّ لنافی رزئنا أسوة فی سیّد البشر

و اعذر محبّک فی إبطاء تعزیةلغربة ظلت فیها أیّ معتذر

و لا تقولنّ لی فی غیر معتبةعلیّ لمّا أطلت المکث فی سفری

أبعد حول توافینا بمرثیةهلّا و نحن علی عشر من العشر

و حقّ رأسک لولا القرب منک لماراجعت فکری و لا حقّقت فی نظری

بأیّ ذهن أقول الشعر کنت و بی‌غمّ یغمّ علی الألباب و الفکر

فکر و حزن بقلبی و الحشا سکناو غربة ظلت فیها أیّ منکسر

هذا علی أنّ رزء الشیخ لیس له‌عندی انقضاء إلی أن ینقضی عمری

فقدت فی سفری إذ مات منه دعافالفقد أوجد ما لاقیت فی سفری

دامت علی لحده سحب الرّضا دیماما ناحت الورق فی الآصال و البکر

أیقنت أنّ ریاضا قبره فهمت‌عینی علیه بمنهل و منهمر

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۸۸ و دم لنا أنت ما عنّ الهلال و ماغنّی المطوّق فی زاه من الزّهر

و دام مجدک محروسا بأربعة:العزّ و النّصر و الإقبال و الظفر

۷۸- ترجمة مؤلّف هذا الکتاب عبد الرحمن بن الکمال أبی بکر بن محمد بن سابق الدین بن الفخر عثمان بن ناظر الدین محمد بن سیف الدین خضر بن نجم الدین أبی الصلاح أیّوب بن ناصر الدین محمد بن الشیخ همام الدین الهمام الخضیریّ الأسیوطیّ.

و إنّما ذکرت ترجمتی فی هذا الکتاب اقتداء بالمحدّثین قبلی، فقلّ أن ألّف أحد منهم تاریخا إلا و ذکر ترجمته فیه؛ و ممّن وقع له ذلک الإمام عبد الغافر الفارسیّ فی تاریخ نیسابور، و یاقوت الحمویّ فی معجم الأدباء، و لسان الدین بن الخطیب فی تاریخ غرناطة، و الحافظ تقیّ الدین الفارسیّ فی تاریخ مکة، و الحافظ أبو الفضل بن حجر فی قضاة مصر، و أبو شامة فی الروضین؛ و هو أروعهم و أزهدهم، فأقول:

أما جدّی الأعلی همام الدّین؛ فکان من أهل الحقیقة، و من مشایخ الطریق، و سیأتی ذکره فی قسم الصوفیّة، و من دونه کانوا من أهل

الوجاهة و الرئاسة؛ منهم من ولی الحکم ببلده، و منهم من ولی الحسبة بها، و منهم من کان تاجرا فی صحبة الأمیر شیخون، و بنی مدرسة بأسیوط، و وقف علیها أوقافا، و منهم من کان متموّلا، و لا أعرف منهم من خدم العلم حقّ الخدمة إلا والدی، و سیأتی ذکره فی قسم الفقهاء الشافعیة.

و أمّا نسبتنا بالخضیریّ، فلا أعلم ما تکون إلیه هذه النسبة إلّا الخضیریّة، محلّة ببغداد؛ و قد حدّثنی من أثق به، أنّه سمع والدی رحمه اللّه تعالی یذکر أنّ جده الأعلی کان أعجمیا أو من الشرق؛ فالظاهر أنّ النسبة إلی المحلّة المذکورة، و کان مولدی بعد المغرب لیلة الأحد مستهلّ رجب سنة تسع و أربعین و ثمانمائة.

و حملت فی حیاة أبی إلی الشیخ محمد المجذوب، رجل کان من کبار الأولیاء بجوار المشهد النفیسیّ، فبرّک علیّ، و نشأت یتیما، فحفظت القرآن ولی دون ثمانی سنین، ثمّ حفظت العمدة، و منهاج الفقه و الأصول، و ألفیّة ابن مالک؛ و شرعت فی الاشتغال بالعلم، من مستهلّ سنة أربع و ستّین، فأخذت الفقه و النحو عن جماعة من الشیوخ، و أخذت الفرائض عن العلّامة فرضیّ زمانه الشیخ شهاب الدین الشار مساحیّ الذی کان یقال إنّه بلغ السنّ العالیة و جاوز المائة بکثیر، و اللّه أعلم بذلک؛ قرأت علیه فی شرحه علی المجموع، و أجزت بتدریس العربیة فی مستهلّ سنة ستّ و ستّین و ثمانمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۸۹

و قد ألّفت فی هذه السنة، فکان أوّل شیء ألّفته شرح الاستعاذة و البسملة، و أوقفت علیه شیخنا شیخ الإسلام علم الدّین البلقینیّ، فکتب علیه تقریظا، و لازمته فی الفقه إلی أن مات؛ فلازمت ولده، فقرأت علیه من أوّل التدریب لوالده إلی الوکالة، و سمعت علیه من أوّل الحاوی الصغیر إلی العدد، و من أوّل المنهاج إلی الزکاة، و من أوّل التنبیه إلی قریب من باب الزکاة، و قطعة من الرّوضة من باب القضاء، و قطعة من تکملة شرح المنهاج للزرکشیّ؛ و من إحیاء الموات إلی الوصایا أو نحوها. و أجازنی بالتدریس و الإفتاء من سنة ستّ و سبعین، و حضر تصدیری.

فلمّا توفّی سنة ثمان و سبعین لزمت شیخ الإسلام شرف الدّین المناویّ. فقرأت علیه قطعة من المنهاج، و سمعته علیه فی التقسیم إلا مجالس فاتتنی، و سمعت دروسا من شرح البهجة، و من حاشیة علیها، و من تفسیر البیضاویّ.

و لزمت فی الحدیث و العربیة شیخنا الإمام العلّامة تقیّ الدین الشّبلیّ الحنفیّ، فواظبته أربع سنین، و کتب لی تقریظا علی شرح ألفیة ابن مالک و علی جمع الجوامع فی العربیة تألیفی، و شهد لی غیر مرّة بالتقدّم فی العلوم بلسانه و بنانه، و رجع إلی قولی مجرّدا فی حدیث؛ فإنّه أورد فی حاشیته علی الشفاء حدیث أبی الجمرا فی الإسراء، و عزاه إلی تخریج ابن ماجة، فاحتجت إلی إیراده بسنده، فکشفت ابن ماجة فی مظنّته، فلم أجده، فمررت علی الکتاب کلّه، فلم أجده، فاتّهمت نظری، فمررت مرة ثانیة فلم أجده، فعدت ثالثة فلم أجده؛ و رأیته فی معجم الصحابة لابن قانع، فجئت إلی الشیخ و أخبرته، فبمجرّد ما سمع منّی ذلک أخذ نسخته، و أخذ القلم فضرب علی لفظ ابن ماجة، و ألحق ابن قانع فی الحاشیة؛ فأعظمت ذلک و هبته لعظم منزلة الشیخ فی قلبی، و احتقاری فی نفسی، فقلت: ألا تصبرون، لعلّکم تراجعون؟! فقال: لا، إنّما قلّدت فی قولی ابن ماجة البرهان الحلبیّ. و لم أنفکّ عن الشیخ إلی أن مات.

و لزمت شیخنا العلّامة أستاذ الوجود محیی الدین الکافیجیّ أربع عشرة سنة؛ فأخذت عنه الفنون من التفسیر و الأصول و العربیة و المعانی و غیر ذلک؛ و کتب لی إجازة عظیمة.

و حضرت عند الشیخ سیف الدین الحنفیّ دروسا عدیدة فی الکشّاف و التوضیح و حاشیته علیه، و تلخیص المفتاح، و العضد.

و شرعت فی التصنیف فی سنة ستّ و ستّین، و بلغت مؤلّفاتی إلی الآن ثلاثمائة کتاب سوی ما غسلته و رجعت عنه.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۹۰

و سافرت بحمد اللّه تعالی إلی بلاد الشام و الحجاز و الیمن و الهند و المغرب و التّکرور ، و لمّا حججت شربت من ماء زمزم، لأمور؛ منها أن أصل فی الفقه إلی رتبة الشیخ سراج الدین البلقینیّ، و فی الحدیث إلی رتبة الحافظ ابن حجر.

و أفتيت من مستهلّ سنة إحدى و سبعين و ثمانمائة.

و عقدت إملاء الحديث من مستهلّ سنة اثنتين و سبعين و ثمانمائة.

و رزقت التبحّر فى سبعة علوم: التفسير، و الحديث، و الفقه، و النحو، و المعانى، و البيان، و البديع؛ على طريقة العرب و البلغاء، لا على طريقة العجم و أهل الفلسفة.

و الذى أعتقده أنّ الذى وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه و النّقول الّتى اطّلعت عليها فيها، لم يصل إليه و لا وقف عليه أحد من أشياخى؛ فضلا عمّن هو دونهم، و أمّا الفقه فلا أقول ذلك فيه؛ بل شيخى فيه أوسع نظرا، و أطول باعا؛ و دون هذه السبعة فى المعرفة: أصول الفقه و الجدل و التصريف، و دونها الإنشاء و التوسّل و الفرائض، و دونها القراءات، و لم آخذها عن شيخ، و دونها الطبّ، و أمّا علم الحساب فهو أعسر شىء علىّ و أبعده عن ذهنى؛ و إذا نظرت فى مسألة تتعلّق به، فكأنّما أحاول جبلا أحمله.

و قد كملت عندى الآن آلات الجهاد بحمد اللّه تعالى؛ أقول ذلك تحدّثا بنعمة اللّه تعالى لا فخرا؛ و أىّ شىء فى الدنيا حتّى يطلب تحصيلها بالفخر، و قد أزف الرحيل، و بدا الشيب، و ذهب أطيب العمر! و لو شئت أن أكتب فى كلّ مسألة مصنّفا بأقوالها و أدلّتها النقليّة و القياسية، و مداركها و نقوضها و أجوبتها، و الموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل اللّه، لا بحولى و لا بقوّتى، فلا حول و لا قوّة إلا باللّه، ما شاء اللّه، لا قوّة إلا باللّه.

و قد كنت فى مبادئ الطلب قرأت شيئا فى علم المنطق، ثمّ ألقى اللّه كراهته فى قلبى. و سمعت أنّ ابن الصلاح أفتى بتحريمه فتركته لذلك، فعوّضنى اللّه تعالى عنه علم الحديث الذى هو أشرف العلوم.

و أما مشايخى فى الرواية سماعا و إجازة فكثير؛ أوردتهم فى المعجم الذى جمعتهم فيه، و عدّتهم نحو مائة و خمسين؛ و لم أكثر من سماع الرواية لاشتغالى بما هو أهمّ و هو قراءة الدراية.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۹۱

و هذه أسماء مصنّفاتى لتستفاد:

فنّ التفسير و تعلقاته و القراءات: الإتقان فى علوم القرآن، الدرّ المنثور فى التفسير المأثور. ترجمان القرآن فى التفسير. المسند، أسرار التنزيل يسمّى قطف الأزهار فى كشف الأسرار، لباب النقول فى أسباب النزول، مفحمات الأقران فى مبهمات القرآن، المهذّب فيما وقع فى القرآن من المعرّب، الإكليل فى استنباط التنزيل، تكملة تفسير الشيخ جلال الدين المحلى، التحبير فى علوم التفسير، حاشية على تفسير البيضاوىّ، تناسق الدرر فى تناسب السور، مراصد المطالع فى تناسب المقاطع و المطالع، مجمع البحرين و مطلع البدرين فى التفسير، مفاتح الغيب فى التفسير، الأزهار الفائحة على الفاتحة، شرح الاستعاذة و البسملة، الكلام على أوّل الفتح، و هو تصدير ألقيته لمّا باشرت التدريس بجامع شيخون بحضرة شيخنا البلقينىّ، شرح الشاطبيّة، الألفيّة فى القراءات العشر، خمائل الزهر فى فضائل السور، فتح الجليل للعبد الذليل فى الأنواع البديعيّة المستخرجة من قوله تعالى: اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ... [البقرة: ۲۵۷] الآية، و عدّتها مائة و عشرون نوعا، القول الفصيح فى تعيين الذبيح، اليد البسطى فى الصلاة الوسطى، معترك الأقران فى مشترك القرآن.

فنّ الحديث و تعلقاته: كشف المغطّى فى شرح الموطّأ، إسعاف المبطّا برجال الموطا، التوشيح على الجامع الصحيح، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، مرقاة الصعود إلى سنن أبى داود، شرح ابن ماجة، تدريب الراوى فى شرح تقريب النووى، شرح ألفية العراقىّ، الألفيّة و تسمّى نظم الدرر فى علم الأثر و شرحها يسمى قطر الدرر، التّهذيب فى الزوائد على التقريب، عين الإصابة فى معرفة الصحابة، كشف التلبيس عن قلب أهل التدليس، توضيح المدرك فى تصحيح المستدرك، اللآلى المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة، النكت البديعات على الموضوعات، الذيل على القول المسدد، القول الحسن فى الذبّ عن السنن، لب اللّباب فى تحرير الأنساب، تقريب العزيب، المدرج إلى المدرج، تذكرة المؤتسى بمن حدّث و نسى، تحفة النابه بتلخيص المتشابه، الروض المكلّل و الورد المعلّل فى المصطلح، منتهى الآمال فى شرح حديث إنّما الأعمال، المعجزات و الخصائص النبويّة، شرح الصدور بشرح حال

الموتی و القبور، البدور السافرة عن أمور الآخرة، ما رواه الواعون فی أخبار الطاعون، فضل موت الأولاد، خصائص یوم الجمعة، منهاج السنّة، و مفتاح الجنّة، تمهید الفرش فی الخصال الموجبة لظل العرش، بزوغ الهلال فی الخصال الموجبة للظلال، مفتاح الجنة فی الاعتصام بالسنة، مطلع البدرین فیمن یؤتی أجرین، سهام الإصابة فی الدعوات المجابة، الکلم الطیّب، القول المختار فی المأثور من الدعوات و الأذکار، أذکار

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۹۲

الأذکار، الطبّ النبویّ، کشف الصلصلة عن وصف الزلزلة، الفوائد الکامنة فی إیمان السیدة آمنة، و یسمّی أیضا التعظیم و المنّة فی أنّ أبویّ النبیّ صلی اللّه علیه و سلم فی الجنّة، المسلسلات الکبری، جیاد المسلسلات، أبواب السعادة فی أسباب الشهادة، أخبار الملائکة، الثغور الباسمة فی مناقب السیدة آمنة، مناهج الصّفا فی تخریج أحادیث الشّفا، الأساس فی مناقب بنی العباس، درّ السحابة فیمن دخل مصر من الصحابة، زوائد شعب الإیمان للبیهقیّ، لمّ الأطراف و ضمّ الأتراف، أطراف الأشراف بالإشراف علی الأطراف، جامع المسانید، الفوائد المتکاثرة فی الأخبار المتواترة، الأزهار المتناثرة فی الأخبار المتواترة، تخریج أحادیث الدرّة الفاخرة، تخریج أحادیث الکفایة یسمّی تجربة العنایة، الحصر و الإشاعة لأشراط الساعة، الدرر المنتثرة فی الأحادیث المشتهرة، زوائد الرجال علی تهذیب الکمال، الدرّ المنظم فی الاسم المعظّم، جزء فی الصلاة علی النبی صلی اللّه علیه و سلم، من عاش من الصحابة مائة و عشرین، جزء فی أسماء المدلّسین، اللمع فی أسماء من وضع، الأربعون المتباینة، درر البحار فی الأحادیث القصار، الریاضة الأنیقة فی شرح أسماء خیر الخلیقة، المرقاة العلیّة فی شرح الأسماء النبویة، الآیة الکبری فی شرح قصة الإسرا، أربعون حدیثا من روایة مالک عن نافع عن ابن عمر، فهرست المرویّات، بغیة الرائد فی الذیل علی مجمع الزوائد، أزهار الآکام فی أخبار الأحکام، الهبة السنیّة فی الهیئة السنیّة، تخریج أحادیث شرح العقائد، فضل الجلد، الکلام علی حدیث ابن عباس: «احفظ اللّه یحفظک»، هو تصدیر ألقیته لمّا ولیت درس الحدیث بالشیخونیة، أربعون حدیثا فی فضل الجهاد، أربعون حدیثا فی رفع الیدین فی الدعاء، التعریف بآداب التألیف، العشاریات، القول الأشبه فی حدیث: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»، کشف النقاب عن الألقاب، نشر العبیر فی تخریج أحادیث الشرح الکبیر، من وافقت کنیته کنیة زوجه من الصحابة، ذمّ زیارة الأمراء، زوائد نوادر الأصول للحکیم الترمذی، تخریج أحادیث الصحاح یسمّی فلق الصباح، ذمّ المکس، آداب الملوک.

فنّ الفقه و تعلقاته: الأزهار الغضّة فی حواشی الروضة، الحواشی الصغری، مختصر الروضة یسمّی القنیة، مختصر التنبیه، یسمّی الوافی، شرح التنبیه، الأشباه و النظائر، اللوامع و البوارق فی الجوامع و الفوارق، نظم الرّوضة یسمّی الخلاصة، شرحه یسمّی رفع الخصاصة، الورقات المقدّمة، شرح الروض، حاشیة علی القطعة للإسنوی، العذب السلسل فی تصحیح الخلاف المرسل، جمع الجوامع، الینبوع فیما زاد علی الروضة من الفروع، مختصر الخادم؛ یسمّی تحصین الخادم، تشنیف الأسماع بمسائل الإجماع، شرح التدریب، الکافی، زوائد المهذّب علی الوافی، الجامع فی الفرائض،

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۹۳

شرح الرحبیّة فی الفرائض، مختصر الأحکام السلطانیة للماوردیّ.

الأجزاء المفردة فی مسائل مخصوصة علی ترتیب الأبواب: الظفر بقلم الظفر، الاقتناص فی مسألة التّماصّ، المستطرفة فی أحکام دخول الحشفة، السلالة فی تحقیق المقر و الاستحالة، الروض الأریض فی طهر المحیض، بذل العسجد لسؤّال المسجد، الجواب الحزم عن حدیث التکبیر جزم، القذاذة فی تحقیق محلّ الاستعاذة، میزان المعدلة فی شأن البسملة، جزء فی صلاة الضحی، المصابیح فی صلاة التراویح، بسط الکفّ فی إتمام الصفّ، اللمعة فی تحقیق الرکعة لإدراک الجمعة، وصول الأمانی بأصول التهانی، بلغة المحتاج فی مناسک الحاج، السّلاف فی التفصیل بین الصلاة و الطواف، شدّ الأثواب فی سدّ الأبواب فی المسجد النبوی، قطع المجادلة عند تغییر المعاملة، إزالة الوهن عن مسألة الرهن، بذل الهمّة فی طلب براءة الذمّة، الإنصاف فی تمییز الأوقاف، أنموذج اللبیب فی خصائص

الحبيب، الزّهر الباسم فيما يزوج فيه الحاكم، القول المضىّ فى الحنث فى المضىّ، القول المشرق فى تحريم الاشتغال بالمنطق، فصل الكلام فى ذمّ الكلام، جزيل المواهب فى اختلاف المذاهب، تقرير الإسناد فى تيسير الاجتهاد، رفع منار الدين و هدم بناء المفسدين، تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء، ذمّ القضاء، فضل الكلام فى حكم السلام، نتيجة الفكر فى الجهر بالذكر، طىّ اللسان عن ذم الطيلسان، تنوير الحلك فى إمكان رؤية النبىّ و الملك، أدب الفتيا، إلقام الحجر لمن زكّى سباب أبى بكر و عمر، الجواب الحاتم عن سؤال الخاتم، الحجج المبينة فى التفضيل بين مكّة و المدينة، فتح المغالق من أنت طالق، فصل الخطاب فى قتل الكلاب، سيف النظار فى الفرق بين الثبوت و التكرار.

فنّ العربية و تعلقاته: شرح ألفية ابن مالك، يسمّى البهجة المضيّة فى شرح الألفية؛ الفريدة فى النحو و التصريف و الخط، النكت على الألفية و الكافية و الشافية و الشذور و النزهة، الفتح القريب على مغنى اللبيب، شرح شواهد المغنى، جمع الجوامع، شرحه يسمى همع الهوامع، شرح الملحة، مختصر الملحة، مختصر الألفيّة و دقائقها، الأخبار المرويّة فى سبب وضع العربيّة، المصاعد العليّة فى القواعد النحوية، الاقتراح فى أصول النحو و جدله، رفع السّنّة فى نصب الزنّة، الشمعة المضيئة، شرح كافية ابن مالك، درّ التاج فى إعراب مشكل المنهاج، مسألة ضربى زيدا قائما، السلسلة الموشّحة، الشهد، شذا العرف فى إثبات المعنى للحرف، التوشيح على التوضيح، السيف الصقيل فى حواشى ابن عقيل، حاشية على شرح الشذور، شرح القصيدة الكافية فى التصريف، قطر الندا فى ورود الهمزة للندا، شرح تصريف العزّى، شرح ضرورىّ التصريف لابن مالك، تعريف الأعجم بحروف المعجم، نكت على شرح الشواهد

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۹۴

للعينى، فجر الثمد فى إعراب أكمل الحمد، الزند الورىّ فى الجواب عن السؤال السكندرىّ.

فنّ الأصول و البيان و التصوّف: شرح لمعة الإشراق فى الاشتقاق، الكوكب الساطع فى نظم جمع الجوامع، شرحه، شرح الكوكب الوقاد فى الاعتقاد، نكت على التلخيص يسمى الإفصاح، عقود الجمان فى المعانى و البيان، شرحه؛ شرح أبيات تلخيص المفتاح، مختصره؛ نكت على حاشية المطوّل لابن الفنرىّ رحمه اللّه تعالى، حاشية على المختصر، البديعيّة، شرحها؛ تأييد الحقيقة العليّة و تشييد الطريقة الشاذليّة، تشييد الأركان فى ليس فى الإمكان أبدع ممّا كان، درج المعالى فى نصرة الغزالى على المنكر المتغالى، الخبر الدالّ على وجود القطب و الأوتاد و النجباء و الأبدال، مختصر الإحياء، المعانى الدقيقة فى إدراك الحقيقة، النقاية فى أربعة عشر علما، شرحها؛ شوارد الفوائد، قلائد الفرائد، نظم التذكرة، و يسمّى الفلك المشحون. الجمع و التفريق فى الأنواع البديعية.

فنّ التاريخ و الأدب: تاريخ الصحابة و قد مرّ ذكره، طبقات الحفاظ، طبقات النحاة: الكبرى و الوسطى و الصغرى، طبقات المفسّرين، طبقات الأصوليّين، طبقات الكتّاب، حلية الأولياء، طبقات شعراء العرب، تاريخ الخلفاء، تاريخ مصر هذا، تاريخ سيوط معجم شيوخى الكبير يسمّى حاطب ليل و جارف سيل، المعجم الصغير يسمّى المنتقى؛ ترجمة النووى، ترجمة البلقينى؛ الملتقط من الدرر الكامنة، تاريخ العمر، و هو ذيل على إنباء الغمر؛ رفع الباس عن بنى العباس، النفحة المسكية و التحفة المكية، على نمط عنوان الشرف؛ درر الكلم و غرر الحكم؛ ديوان خطب؛ ديوان شعر؛ المقامات؛ الرحلة الفيّومية؛ الرحلة المكيّة؛ الرحلة الدمياطية، الرسائل إلى معرفة الأوائل، مختصر معجم البلدان، ياقوت الشماريخ فى علم التاريخ، الجمانة، رسالة فى تفسير ألفاظ متداولة، مقاطع الحجاز، نور الحديقة من نظم القول، المجمل فى الردّ على المهمل، المنى فى الكنى، فضل الشتاء، مختصر تهذيب الأسماء للنووىّ، الأجوبة الزكية عن الألغاز السبكية، رفع شأن الحبشان، أحاسن الأقباس فى محاسن الاقتباس، تحفة المذاكر فى المنتقى من تاريخ ابن عساكر، شرح بانت سعاد، تحفة الظرفاء بأسماء الخلفاء، قصيدة رائية، مختصر شفاء الغليل فى ذم الصاحب و الخليل.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۹۵

ذكر من كان بمصر من حفّاظ الحديث

۱، ۲، ۳- أبو ذرّ، عبد اللّه بن عمرو بن العاص، عقبة بن عامر الجهنیّ؛ الثلاثة صحابة؛ ذکرهم الذهبیّ فی طبقات الحفاظ؛ و قد مرّوا.

۴، ۵، ۶، ۷، ۸- أبو الخیر مرثد، مکحول، نافع مولی ابن عمر، یزید بن أبی حبیب، عبید اللّه بن أبی جعفر؛ مرّوا.

۹- الأعرج عبد الرحمن بن داود المدنیّ صاحب أبی هریرة؛ أحد الحفّاظ و القرّاء، أخذ القراءة عن أبی هریرة و ابن عباس، و أکثر من السّنن عن أبی هریرة. أخذ القراءة عنه نافع بن أبی نعیم، و عنه، قال البخاریّ: أصحّ أسانید أبی هریرة أبو الزّناد، عن الأعرج، عن أبی هریرة. قال الذهبیّ فی طبقات القرّاء: کان الأعرج أوّل من برز فی القرآن و السّنن، و قالوا: هو أوّل من وضع العربیة بالمدینة؛ أخذ عن أبی الأسود، و له خبرة بأنساب قریش، وافر العلم، مع الثقة و الأمانة؛ خرج إلی الإسکندریة؛ فأدرکه أجله بها. مات فی سنة سبع عشرة و مائة.

۱۰- عقیل بن خالد الأیلیّ أبو خالد، مولی عثمان؛ عن عکرمة و نافع، و عنه ابن لهیعة و اللّیث. مات بمصر سنة إحدی و أربعین و مائة.

۱۱- یونس بن یزید الأیلیّ أبو یزید الرّقاشیّ. عن الزّهریّ و نافع. مات بالصّعید سنة تسع و خمسین و مائة.

۱۲، ۱۳، ۱۴، ۱۵، ۱۶- عمرو بن الحارث، حیوة بن شریح، یحیی بن أیوب الغافقیّ، اللیث بن سعد بن لهیعة، المفضّل بن فضالة، مرّوا.

۱۷- بکر بن مضر بن حکم بن سلیمان أبو محمد المصری . عن یزید بن أبی حبیب و غیره. کان ثقة عابدا صالحا؛ ولد سنة اثنتین و مائة؛ و مات یوم عرفة سنة أربع و سبعین و مائة .

۱۸، ۱۹، ۲۰- ابن وهب، ابن القاسم، الإمام الشافعیّ، مرّوا.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۹۶

۲۱- أسد السنّة أسد بن موسی بن إبراهیم بن الولید بن عبد الملک بن مروان ابن الحکم الآمدیّ المصریّ. عن شعبة و روح، و عنه الرّبیع الجیزیّ، و أحمد بن صالح ولد بمصر سنة اثنتین و ثلاثین و مائة؛ و مات بها فی المحرّم سنة اثنتی عشرة و مائتین.

۲۲- سعید بن أبی مریم الحکم بن محمد بن سالم الجمحیّ المصریّ الحافظ المصریّ، أبو محمد. عن مالک و اللیث؛ قال ابن یونس: کان فقیها، ولد سنة أربع و أربعین و مائة، و مات سنة أربع و عشرین و مائتین.

۲۳- عبد اللّه بن صالح بن محمد بن مسلم الجهنیّ مولاهم أبو صالح؛ کاتب اللیث، مات سنة اثنتین و عشرین و مائتین.

۲۴- عبد اللّه بن یوسف التّنّیسیّ أبو محمد الدمشقیّ. قال البخاریّ: کان من أثبت الشامیّین، مات بمصر سنة ثمانی عشرة و مائتین؛ عن ثمانین سنة.

۲۵- عبد اللّه بن الزّبیر الحمیدیّ أبو بکر. أحد الأئمّة، صاحب المسند، کان بمصر ملازما للإمام الشافعیّ، فلما مات رجع إلی مکة یفتی بها إلی أن مات سنة تسع عشرة و مائتین. قال أبو حاتم: هو رئیس أصحاب ابن عیینة، و هو ثقة إمام.

۲۶- نعیم بن حماد المروزیّ أبو عبد اللّه. نزیل مصر. أوّل من جمع المسند، أخرج منها فی فتنة القول بخلق القرآن، فحبس بسامرّاء سنة ثمان و عشرین و مائتین.

۲۷- یحیی بن عبد اللّه بن بکیر المخزومیّ مولاهم المصریّ. راوی الموطّأ؛ صنّف التّصانیف. مات فی صفر سنة إحدی و ثلاثین و مائتین.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۲۹۷

۲۸، ۲۹، ۳۰، ۳۱- أصبغ بن فرج، سعید بن عفیر، حرملة، أحمد بن صالح المصری، مرّوا.

۳۲- أبو عبد اللّه محمد بن رمح بن مهاجر التّجیبیّ مولاهم. المصریّ الحافظ. سمع من اللیث و ابن لهیعة. قال النّسائیّ: ما أخطأ فی حدیث واحد. و قال ابن یونس: ثقة ثبت؛ کان من أعلم النّاس بأخبار بلدنا، مات فی شوّال سنة اثنتین و أربعین و مائتین.

۳۳، ۳۴- الحارث بن مسکین، یونس بن عبد الأعلی، مرّا.

۳۵- الحسن بن عبد العزيز الوزير الجذامىّ أبو علىّ الجروىّ المصرىّ. روى عن بشر بن بكر، و عنه البخارىّ؛ و قال الدارقطنىّ: لم ير مثله فضلا و زهدا؛ حمل من مصر إلى العراق؛ فلم يزل بها حتّى مات سنة سبع و خمسين و مائتين .

۳۶- محمد بن سنجر أبو عبد اللّه الجرجانىّ الحافظ. صاحب المسند؛ عن أبى نعيم و طبقته. قال فى العبر: مات بصعيد مصر فى ربيع الأوّل سنة ثمان و خمسين و مائتين.

۳۷- محمد بن عبد اللّه بن الحكم، مرّ.

۳۸- الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادىّ مولاهم. أبو محمد المصرىّ، صاحب الإمام الشافعىّ و راوى كتبه، و المؤذّن بجامع الفسطاط. روى عنه أصحاب السّنن الأربعة، و الطحاوىّ و أبو زرعة و غيرهم. و أملى الحديث بجامع طولون؛ و هو أوّل من أملى به، و وصله ابن طولون يومئذ بجائزة سنيّة؛ ولد سنة أربع و سبعين و مائتين، و مات يوم الاثنين لعشر بقين من شوّال سنة سبع و مائتين.

۳۹- قبيطة الحافظ الثقة، أبو علىّ الحسن بن سليمان البصرىّ. نزيل مصر.

عن أبى نعيم، و عنه ابن خزيمة. مات سنة إحدى و ستين و مائتين.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۹۸

۴۰- أبو بكر محمد بن عبد اللّه بن عبد الرحيم البرقىّ. عن أسد السنّة، و عنه أبو داود و النّسائىّ. وثّقه ابن يونس، و ذكره ابن فرحون فى طبقات المالكية، و قال: له تصانيف فى الحديث و غيره. مات سنة تسع و أربعين و مائتين.

۴۱- ابن أخت غزال الإمام أبو بكر محمد بن علىّ بن داود البغدادىّ نزل مصر.

قال ابن يونس: كان ثقة فى الحديث، مات بها فى ربيع الأوّل سنة أربع و ستين و مائتين.

۴۲- محمد بن حمّاد الطّهرانىّ الرازىّ الحافظ؛ أحد من رحل إلى عبد الرّازق. حدّث بمصر و الشام و العراق. و كان ثقة. مات سنة إحدى و سبعين و مائتين؛ قال فى العبر.

۴۳- يحيى بن عثمان بن صالح البهمىّ المصرىّ. روى عن أبيه و أصبغ بن فرج و خلف، و عنه ابن ماجة و آخرون. قال ابن يونس: كان حافظا للحديث. توفّى سنة سنة اثنتين و ثمانين و مائتين .

۴۴- عبدان أبو محمد بن محمد بن عيسى المروزىّ الفقيه الحافظ، مفتى مرو و عالمها و زاهدها. أقام بمصر سنين، و قرأ على المزنىّ و الرّبيع، ثمّ انتقل؛ و هو الذى أظهر مذهب الشافعىّ بخراسان؛ تفقّه به ابن خزيمة و أبو إسحاق المروزىّ و خلق صاروا أئمة، و صنّف كتاب المعرفة فى مائة جزء، و كتاب الموطّأ، و كان يرجع إليه فى الفتاوى و المعضلات. ولد ليلة عرفة سنة عشرين و مائتين، و مات ليلة عرفة سنة ثلاث و تسعين و مائتين .

۴۵- النّسائىّ أبو عبد الرّحمن أحمد بن شعيب بن علىّ بن سنان بن يحيى القاضى الحافظ الإمام شيخ الإسلام. أحد الأئمّة المبرّزين، و الحفّاظ المتقنين و الأعلام المشهورين، جال البلاد، و استوطن مصر، فأقام بزقاق القناديل. قال أبو علىّ

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۲۹۹

النيسابورىّ: رأيت من أئمة الحديث أربعة فى وطنى و أسفارى: النّسائىّ بمصر، و عبدان بالأهواز، و محمد بن إسحاق، و إبراهيم بن أبى طالب بنيسابور. و قال الحاكم: كان النّسائىّ أفقه مشايخ مصر فى عصره، و أعرفهم بالصحيح و السّقيم من الآثار، و أعرفهم بالرّجال. و قال الذهبىّ: هو أحفظ من مسلم. له من المصنّفات السّنن الكبرى و الصّغرى و هى إحدى الكتب الستّة، و خصائص علىّ، و مسند علىّ، و مسند مالك. ولد سنة خمس و عشرين و مائتين. قال ابن يونس: كان خروجه من مصر سنة اثنتين و ثلاثمائة، و مات بمكّة- و قيل بالرّملة- فى صفر سنة ثلاث و ثلاثمائة .

۴۶- علىّ بن سعيد بن بشير مهران الحافظ البارع أبو الحسن الرازىّ. يعرف بعلّك. نزيل مصر و محدّثها. قال ابن يونس: كان يفهم و

یحفظ. مات فی ذی القعدة سنة سبع و تسعین و مائتین.

۴۷- یحیی بن زکریّا بن النّیسابوریّ أبو زکریا الأعرج. أحد الحفّاظ، و هو عمّ محمد بن عبد اللّه بن زکریا بن حیوة، روی عن قتیبة و ابن راهویة. قال فی العبر: دخل مصر علی کبر السنّ، و مات بها سنة سبع و ثلاثمائة.

۴۸- محمد بن محمد بن النفّاح بن بدر الباهلیّ أبو الحسن. قال فی العبر:

بغدادیّ حافظ متعفّف، روی عن ابن أبی إسرائیل و طبقته. توفّی بمصر فی ربیع الآخر سنة أربع عشرة و ثلاثمائة.

۴۹- الطحاویّ الإمام العلّامة الحافظ. صاحب التصانیف البدیعة أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن مسلمة الأزدیّ المصری الحنفیّ، ابن أخت المزنیّ. تفقّه بالقاضی أبی حازم، و کان ثقة ثبتا فقیها، لم یخلف بعده مثله، انتهت إلیه رئاسة الحنفیّة بمصر. و له معانی الآثار، و أحکام القرآن، و التاریخ الکبیر، و اختلاف العلماء، و کتاب فی الشروط. ولد سنة تسع و ثلاثین و مائتین، و مات فی ذی القعدة سنة إحدی و عشرین و ثلاثمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۰۰

۵۰- مکحول الحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن عبد اللّه بن عبد السّلام البیروتیّ؛ عن ابن عبد الحکم، و عنه ابن زبر. کان من الثقات العالمین بالحدیث، مات فی جمادی الآخرة سنة إحدی و عشرین و ثلاثمائة.

۵۱- الطحّان الحافظ الإمام أبو بکر أحمد بن عمرو بن جابر الرّملیّ. عن بکّار ابن قتیبة، و عنه ابن زبر. مات سنة ثلاث و ثلاثین و ثلاثمائة.

۵۲- ابن یونس الحافظ الإمام أبو سعید عبد الرحمن بن أحمد بن الإمام یونس ابن عبد الأعلی الصّدفیّ المصریّ، صاحب تاریخ مصر. ولد سنة إحدی و ثمانین و مائتین، و سمع أباه و النّسائیّ، و لم یرحل و لا سمع بغیر مصر، و لکنّه إمام فی هذا الشأن، متیقّظ حافظ مکثر، خبیر بأیّام الناس و تواریخهم. مات فی جمادی الأولی سنة سبع و أربعین و ثلاثمائة.

۵۳- ابن الحداد، مرّ.

۵۴- حمزة بن محمد بن علی بن العباس الکنانیّ المصریّ الحافظ الزّاهد العالم أبو القاسم. مملی جزء البطاقة، عن النّسائیّ و أبی یعلی، و عنه الدّارقطنیّ و ابن سعید. قال الحاکم: متّفق علی تقدّمه فی معرفة الحدیث، یذکر بالورع و الزّهد و العبادة. مات فی ذی الحجة سنة سبع و خمسین و ثلاثمائة.

۵۵- ابن السّکن الحافظ الحجّة أبو علیّ سعید بن عثمان بن السّکن البغدادیّ.

نزیل مصر. ولد سنة أربع و تسعین و مائتین، و سمع أبا القاسم البغویّ و ابن جوصا، و عنه عبد الغنیّ بن سعید، و عنی بهذا الشأن و صنّف الصّحیح المنتقی؛ مات فی المحرّم سنة ثلاث و خمسین و ثلاثمائة.

۵۶- النّقّاش الحافظ الإمام الجوّال أبو بکر محمد بن علیّ بن حسن المصریّ نزیل تنّیس. ولد سنة اثنتین و ثمانین و مائتین، و سمع النّسائیّ و أبا علیّ ، و عنه الدّارقطنیّ. مات رابع شعبان سنة تسع و ستین و ثلاثمائة .

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۰۱

۵۷- الحسن بن رشیق الإمام أبو بکر محمد العسکری المصریّ. عن النّسائیّ، و عنه الدّارقطنیّ و عبد الغنی؛ قال ابن الطحّان: ما رأیت عالما أکثر حدیثا منه؛ ولد فی صفر سنة ثلاث و ثمانین و مائتین، و مات فی جمادی الآخرة سنة سبعین و ثلاثمائة.

۵۸- ابن النّحاس المصریّ الحافظ الإمام أبو العباس أحمد بن محمّد بن عیسی بن الجرّاح، نزیل نیسابور. کان ذا رحلة واسعة. سمع أبا القاسم البغویّ، و منه الحاکم. مات سنة ستّ و سبعین و ثلاثمائة، عن خمس و ثمانین سنة.

۵۹- ابن مسرور الحافظ الجوّال أبو الفتح عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن مسرور البلخیّ. عن أبی سعید بن یونس، و عنه عبد الغنیّ. وطن بمصر، و مات فی ذی الحجّة سنة ثمان و سبعین و ثلاثمائة.

۶۰- أحمد بن أبی اللیث نصر بن محمد الحافظ أبو العبّاس النّصیبیّ المصریّ. قال الحاکم: باقعة فی الحفظ. مات سنة ست و ثمانین و ثلاثمائة.

۶۱- ابن حنزابة الوزیر الکامل الحافظ أبو الفضل جعفر بن الوزیر أبی الفتح الفضل بن الفرات البغدادیّ. نزیل مصر، وزر لصاحب مصر کافور الخادم، و حدّث عن محمد بن هارون الحضرمیّ و غیره. و رحل إلیه الدّارقطنی، و عزم علی التألیف علی مسنده. قال السّلفیّ: کان من الحفّاظ المتقنین، یملی و یروی فی حال الوزارة ، عندی من أمالیه، و من کلامه علی الحدیث، الدالّ علی حدّه فهمه و قوّة علمه. و حنزابة اسم جدّته أمّ أبیه. ولد سنة ثمان و ثلاثمائة، و مات فی ثالث عشر ربیع الأول سنة إحدی و تسعین.

۶۲- عبد الغنیّ بن سعید بن علیّ الأزدیّ الإمام الحافظ المتقن النّسّابة. إمام زمانه فی علم الحدیث و حفظه؛ قال البرقانیّ: ما رأیت بعد الدّارقطنی أحفظ منه؛ له مؤلّفات؛ منها المؤتلف و المختلف و غیره. ولد سنة اثنتین و ثلاثین و ثلاثمائة؛ و مات فی سابع صفر سنة تسع و أربعمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۰۲

۶۳- أبو سعید المالینیّ أحمد بن محمد بن أحمد بن إسماعیل؛ کان أحد الحفّاظ المکثرین الرّاحلین فی الحدیث إلی الآفاق، روی عن ابن عدیّ. مات بمصر فی شوّال سنة اثنتی عشرة و اربعمائة .

۶۴- أبو نصر السّجزیّ الحافظ عبید اللّه بن سعید بن حاتم الوائلیّ البکریّ نزیل مصر. کان متقنا مکثرا بصیرا بالحدیث و السّنّة، واسع الرّحلة. قال أبو طاهر الحافظ: سألت الحبّال عن الصّوریّ و السّجزیّ: أیّهما أحفظ؟ فقال: السّجزیّ أحفظ من خمسین مثل الصّوری؛ مات فی المحرّم سنة أربع و أربعین و أربعمائة.

۶۵- الحبّال الحافظ الإمام المتقن؛ محدّث مصر، أبو إسحاق إبراهیم بن سعید ابن عبد اللّه النّعمانیّ مولاهم المصریّ. ولد سنة إحدی و تسعین و ثلاثمائة، و سمع عبد الغنیّ بن سعید و ابن نظیف، و منه أبو بکر عبد الباقی، و آخر من روی عنه بالإجازة ابن ناصر الحافظ، و جمع عوالی سفیان بن عیینة و غیر ذلک، و کان ثقة حجّة صالحا ورعا کبیر القدر. مات سنة اثنتین و ثمانین و أربعمائة.

۶۶- السّلفیّ الحافظ أبو طاهر عماد الدین أحمد بن محمد بن أحمد الأصفهانیّ. کان إماما حافظا متقنا، ناقدا ثبتا دیّنا خیّرا، انتهی إلیه علوّ الإسناد. روی عنه الحفّاظ فی حیاته. و له تصانیف، و کان أوحد زمانه فی علم الحدیث، و أعلمهم بقوانین الروایة؛ و کان مقیما بالإسکندریة. توفّی یوم الجمعة خامس ربیع الآخر سنة ستّ و سبعین و خمسمائة و له مائة و ست ستین.

۶۷- عبد الغنیّ بن عبد الواحد بن علیّ بن سرور المقدسیّ الحنبلیّ الحافظ الإمام. أوحد زمانه فی علم الحدیث و الحفظ؛ تقیّ الدین أبو محمد الزاهد العابد، صاحب العمدة و الکمال و غیر ذلک من التصانیف. نزل مصر فی آخر عمره، و مات بها یوم الاثنین ثالث عشرین ربیع الأول سنة ستّمائة؛ و له تسع و خمسون سنة، و دفن بالقرافة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۰۳

۶۸- أبو الحسن علیّ بن فاضل بن سعد اللّه الحافظ الصوریّ ثم المصریّ.

قال الذهبیّ: أکثر عن السّلفیّ، و رأس فی الحدیث؛ مات بمصر سنة ثلاث و ستّمائة.

۶۹- أبو الحسن علیّ بن المفضل بن علیّ المالکی المقدسیّ ثمّ السّکندریّ، الحافظ العلامة شرف الدین. ولد سنة أربع و أربعین و خمسمائة، و تخرّج بالسّلفیّ، و کان من حفّاظ الحدیث و أئمّة المذهب العارفین به؛ و له تصانیف. مات بالقاهرة فی شعبان سنة إحدی عشرة و ستمائة.

۷۰- ابن الأنماطیّ الحافظ البارع تقیّ الدین أبو الطاهر إسماعیل بن عبد اللّه بن عبد المحسن المصریّ الشافعیّ. ولد فی حدود سنة سبعین و خمسمائة، و سمع ابن الخشوعیّ، و منه المنذریّ. و کان إماما حافظا مبرّزا مفیدا. مات فی رجب سنة تسع عشرة و ستمائة.

۷۱- ابن دحیة الإمام العلّامة الحافظ الکبیر أبو الخطاب عمر بن حسن الأندلسی السّبتی؛ کان بصیرا بالحدیث معتنیا به، له حظّ وافر من

اللغة، و مشارکة فی العربیة؛ و له تصانیف، وطن مصر، و أدّب الملک الکامل، و درّس بدار الحدیث الکاملیّة، مات رابع عشر ربیع الأول سنة ثلاث و ثلاثین و ستمائة عن نیّف و ثمانین سنة.

۷۲- المنذریّ الحافظ الکبیر الإمام شیخ الإسلام زکیّ الدین أبو محمد عبد العظیم بن عبد القویّ بن عبد اللّه المصریّ الشافعیّ. ولد بمصر فی غرّة شعبان سنة إحدی و ثمانین و خمسمائة، و تفقّه، و طلب هذا الشأن فبرع فیه، و تخرّج بالحافظ أبی الحسن بن المفضّل، و ولی مشیخة الکامليّة، و انقطع بها عشرین سنة، و کان عدیم النظیر فی معرفة علم الحدیث علی اختلاف فنونه، متبحّرا فی معرفة أحکامه و معانیه و مشکله، قیّما بمعرفة غریبه، إماما حجّة بارعا فی الفقه و العربیة و القراءات، ورعا متبحّرا. قال الشیخ تقیّ الدین بن دقیق العید فی حقّه: کان أدین منّی، و أنا أعلم منه. ألّف الترغیب و الترهیب، و شرح التنبیه، و غیر ذلک. مات یوم السّبت رابع ذی العقدة سنة ستّ و خمسین و ستمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۰۴

۷۳- الرّشید العطّار الإمام الحافظ، رشید الدین أبو الحسین یحیی بن علیّ بن عبد اللّه الأمویّ النابلسیّ ثم المصریّ المالکیّ. ولد سنة أربع و ثمانین و خمسمائة؛ و تخرّج بابن المفضّل، و تقدّم فی فنّ الحدیث، و انتهت إلیه ریاسة الحدیث بالدّیار المصریة، و ألف و خرّج. و مات فی جمادی الأولی سنة اثنتین و ستین و ستمائة.

۷۴- الصّدر البکریّ أبو علیّ الحسن بن محمد النیسابوریّ ثم الدّمشقیّ. ولد سنة أربع و سبعین و خمسمائة، و عنی بهذا الشأن، و ألّف و خرّج، و تحوّل إلی مصر، فمات بها فی ذی الحجّة سنة ستّ و خمسین و ستّمائة.

۷۵- ابن العماد الإمام الحافظ وجیه الدین أبو المظفّر منصور بن سلیمان الهمدانیّ الإسکندرانیّ الشافعیّ . ولد فی صفر سنة سبع و ستّمائة، و عنی بالحدیث و فنونه و رجاله و بالفقه، و ألّف فی الحدیث و أنواعه و فی الفقه، و ألّف تاریخ الإسکندریة و معجم شیوخه و غیر ذلک، روی عنه الدّمیاطیّ، مات فی شوّال سنة ثلاث و سبعین و ستّمائة، و لم یخلف بعده فی الثغر مثله.

۷۶- الأبیوردیّ الإمام المحدّث الحافظ زین الدین أبو الفتح محمد بن محمد ابن أبی بکر. نزیل القاهرة؛ ولد سنة إحدی و ستمائة؛ و سمع من السّخاویّ و غیره، و ألّف و خرّج، مات فی جمادی الأولی سنة سبع و ستّین و ستمائة.

۷۷- الإسعردیّ الإمام الحافظ مفید القاهرة تقیّ الدین أبو القاسم عبید بن محمد بن عبّاس. ولد سنة اثنتین و عشرین و ستّمائة، و شرح الکثیر، و برع فی التخریج و أسماء الرجال و العالی و الموافقة. مات فی شعبان سنة اثنتین و تسعین و ستمائة.

۷۸- الشریف عزّ الدین نقیب الأشراف أبو العبّاس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسینی الحلبیّ ثمّ المصریّ، الحافظ المؤرّخ. روی عن فخر القضاة أحمد بن الحباب و أکثر أصحاب البوصیریّ، و عنی بالحدیث و بالغ. مات سادس المحرم سنة خمس و تسعین و ستّمائة. ذکره فی العبر.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۰۵

۷۹- ابن الظاهریّ الحافظ الزاهد القدوة جمال الدین أبو العبّاس أحمد بن محمد ابن عبد اللّه الحلبیّ الحنفیّ المقرئ. کان أحد من عنی بهذا الشأن، و کتب عن سبعمائة شیخ، و خرّج و أعاد. مات بزاویته بالمقس بظاهر القاهرة، فی ربیع الأوّل سنة ستّ و تسعین و ستّمائة، و له سبعون سنة .

۸۰- الدّمیاطیّ الإمام العلّامة الحافظ الحجّة الفقیه النّسابة شیخ المحدّثین شرف الدین أبو محمد عبد المؤمن بن خلف التّونیّ الشافعیّ. ولد سنة ثلاث عشرة و ستّمائة، و تفقّه، و برع و طلب الحدیث، فرحل و جمع فأوعی، و تخرّج بالمنذریّ و ألّف. قال المزنیّ: ما رأیت فی الحدیث أحفظ منه، و کان واسع الفقه، رأسا فی النّسب جیّد العربیة، غزیر اللغة. مات فجأة سنة خمس و سبعمائة .

۸۱- ابن شامة الإمام الحافظ الحجة الفقیه النّسابة، مفید مصر، شمس الدین محمد بن عبد الرحمن بن شامة الحنبلیّ. روی عن ابن عبد الدائم، و کتب الکثیر؛ و کان جیّدا بمعرفة الحدیث. مات فی ذی القعدة سنة ثمان و سبعمائة عن سبع و أربعین سنة.

۸۲- ابن دقیق العید، مرّ .

۸۳- الحارثیّ قاضی القضاة سعد الدین أبو محمد مسعود بن أحمد العراقیّ ثمّ المصریّ الحنبلیّ. ولد سنة اثنتین و خمسین و ستمائة، و سمع من النّجیب و عدّة، و تقدّم فی هذا الشأن، و خرّج و ألّف شرحا علی سنن أبی داود، و کان عارفا بمذهبه. مات فی ذی الحجّة سنة إحدی عشرة و سبعمائة.

۸۴- القطب الحلبیّ مفید الدّیار المصریة و شیخها الحافظ قطب الدین أبو علیّ عبد الکریم بن عبد النور بن منیر الحنفیّ. ولد فی رجب سنة أربع و ستّین و ستّمائة، و عنی بالفنّ، و برع فیه، و ألّف شرح البخاریّ و شرح سیرة عبد الغنی، و تاریخ مصر فی بضعة عشر مجلّدا، و غیر ذلک. مات فی رجب سنة خمس و ثلاثین و سبعمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۰۶

۸۵- فتح الدین بن سیّد النّاس الإمام العلّامة الحافظ الأدیب البارع أبو الفتح محمد بن محمد بن سیّد النّاس الیعمریّ الأندلسیّ الأصل المصریّ. ولد فی ذی القعدة سنة إحدی و سبعین و ستّمائة، و لازم ابن دقیق العید، و تخرّج به، و کان أحد الأعلام الحفّاظ؛ أدیبا شاعرا بلیغا مترسلا، ولی درس الحدیث بالظاهریة و غیرها، و ألّف السیرة النبویّة، و شرح الترمذیّ، و مات فی شعبان سنة أربع و ثلاثین و سبعمائة.

۸۶- التقیّ السّبکیّ، مرّ.

۸۷- أحمد بن أیبک بن عبد اللّه الحسامیّ الدّمیاطیّ الحافظ شهاب الدین أبو الحسین محدّث مصر. ولد سنة سبعمائة، و برع فی الفنّ، و خرّج و ألّف. مات فی رمضان سنة تسع و أربعین و سبعمائة بالطاعون.

۸۸- أحمد بن أحمد بن أحمد بن الحسین الهکّاریّ شهاب الدین أبو الحسین.

کان عارفا بالرّجال، ألّف کتابا فی رجال الصحیحین، و أعاد بالجامع الحاکم. مات فی جمادی الآخرة سنة ثلاث و ستّین و سبعمائة.

۸۹- البهائیّ عبد اللّه بن محمد بن عبد اللّه بن أبی بکر بن خلیل العثمانیّ المکّیّ نزیل القاهرة، الشافعیّ الحافظ الفقیه الزاهد القدوة، أبو محمد. ولد سنة أربع و تسعین و ستّمائة. و عنی بالفقه و برع فیه. مات بالقاهرة فی جمادی الأولی سنة سبع و سبعین و سبعمائة.

۹۰- الزّیلعیّ جمال الدین عبد اللّه بن یوسف بن محمد الحنفیّ. سمع من أصحاب النّجیب، و أخذ عن الفخر الزیلعیّ شارح الکنز و العلائیّ بن الترکمانیّ و ابن عقیل، و ألّف تخریج أحادیث الهدایة، و تخریج أحادیث الکشّاف. مات فی محرّم سنة اثنتین و ستین و سبعمائة.

۹۱- الحافظ بن جماعة قاضی القضاة الشیخ عز الدین أبو عمر قاضی القضاة ابن بدر الدین محمد بن إبراهیم بن سعد اللّه بن جماعة الکنانیّ الشافعیّ. ولد فی المحرّم سنة أربع و تسعین و ستمائة، و أکثر السّماع، فبلغت شیوخه ألفا و ثلاثمائة نفس، و عنی بالشأن، و صنّف تخریج أحادیث الرافعیّ و غیره، و ولی القضاء بالدّیار المصریة، و تدریس الخشابیة، و کانت معرفته بالحدیث أمثل من معرفته بالفقه. مات بمکّة فی جمادی الأولی سنة سبع و ستین و سبعمائة. حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة ؛ ج۱ ؛ ص۳۰۶

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۰۷

۹۲- مغلطای بن قلیج الحنفیّ الإمام الحافظ علاء الدین. ولد سنة تسع و ثمانین و ستّمائة، و کان حافظا عارفا بفنون الحدیث، علّامة فی الأنساب، و له أکثر من مائة تصنیف، کشرح البخاریّ و شرح ابن ماجة و غیر ذلک؛ مات فی شعبان سنة اثنتین و ستین و سبعمائة.

۹۳- ابن سند الحافظ شمس الدین أبو العباس محمد بن موسی بن سند المصریّ. ولد فی ربیع الآخر سنة تسع و عشرین و سبعمائة، و أخذ عن الإسنویّ، و لازم التاج السبکیّ، و ألّف و خرّج. مات فی صفر سنة اثنتین و تسعین و سبعمائة.

۹۴- البلقینیّ مرّ.

۹۵- ابن الملقّن، یأتی فی الفقهاء.

۹۶- العراقیّ الحافظ الإمام الکبیر؛ زین الدین أبو الفضل عبد الرّحیم بن الحسین ابن عبد الرحمن، حافظ العصر. ولد بمنشاة المهرانیّ بالقاهرة فی جمادی الأولی سنة خمس و عشرین و سبعمائة، و عنی بالفنّ، فبرع فیه و تقدّم بحیث کان شیوخ عصره بالغون فی الثناء علیه بالمعرفة، کالسبکیّ و العلائیّ و ابن کثیر و غیرهم؛ و نقل عن الإسنویّ فی المهمّات، و وصفه بحافظ العصر؛ و کذلک وصفه فی الترجمة ابن سیّد الناس. و له مؤلّفات فی الفنّ بدیعة، کالألفیّة التی اشتهرت فی الآفاق و شرحها و نظم الاقتراح، و تخریج أحادیث الإحیاء، و تکملة شرح الترمذیّ لابن سیّد الناس؛ و شرع فی إملاء الحدیث من سنة ستّ و تسعین فأحیا اللّه تعالی به سنّة الإملاء بعد أن کانت دائرة، فأملی أکثر من أربعمائة مجلس. و کان صالحا متواضعا ضیّق المعیشة. مات فی ثامن شعبان سنة ستّ و ثمانمائة .

و رثاه الحافظ ابن حجر بقوله:

مصاب لم ینفّس للخناق‌أصار الدّمع جارا للمآقی

فروض العلم بعد الزّهو ذاوو روح الفضل قد بلغ التّراقی

و بحر الدّمع یجری باندلاق‌و بدر الصّبر یسری فی المحاق

و للأحزان بالقلب اجتماع‌ینادی الصّبر: حیّ علی افتراق

فأمّا بعد بأس من تلاق‌فهذا صبره مرّ المذق

لقد عظمت مصیبتنا و جاءت‌تسوق أولی العلوم إلی السّباق

و أشراط القیامة قد تبدّت‌و أذّن بالنّوی داعی الفراق

و کان بمصر و البیت البقایاو کانوا بالفضائل فی استباق

فلم تبق الملاحم و الرّزایابأرض الشام للفضلاء باق

و طاف بأرض مصر کلّ علم‌بکأس الحین للعلماء ساقی

فأطفأت المنون سراج علم‌و نور لاح لا داعی النّفاق

و أخلفت الرّجا فی ابن الحسین الإمام فألحقته بالسّباق

فیا أهل الشآم و مصر فابکواعلی عبد الرّحیم بن العراقی

علی الحبر الّذی شهدت قروم‌له بالإنفراد علی اتّفاق

و من فتحت له قدما علوم‌غدت عن غیره ذات انغلاق

و جاز إلی الحدیث قدیم عهدفأحرز دونه خیل السّباق

و بالسّبع القراءات العوالی‌أقل بما إلی السّبع الطّباق

فسل إحیا علوم الدّین عنه‌أما داواه مع ضیق النّطاق!؟

فصیّر ذکره یسمو و ینموبتخریج الأحادیث الرّفاق

و شرح الترمذیّ لقد ترقّی‌به قدما إلی أعلی المراقی

و نظم ابن الصّلاح له صلاح‌و هذا شرحه فی الأفق راق

و فی نظم الأصول له وصول‌إلی منهاج حقّ باستباق

و نظم السّیرة الغرّا یجازی‌علیها الأجر من راقی البراق

دعاه بحافظ العصر الإمام الکبیر الإسنویّ لدی الطّباق

و علّی قدره السبکیّ و ابن العلائی و الأئمة باتّفاق

و من ستّین عاما لم یجاری‌و لا طمع المجاری فی اللّحاق

و یقضی الیوم فی تصنیف علمو طول تهجّد فی اللّیل راق

فأصبح بالکرامة فی اصطباحو بالتّحف الکریمة فی اغتباق

فما شغلته کأس بالتثامو لا ألهاه ظبی باعتناق

فتی کرم یزید و شیخ علمیری الطلاب مع حمل المشاق

فیقرىء طالبی علم وفرقری؛ و قراه فی ذات اتّساق

فیا أسفا و یا حزنا علیهأرقّ من النّسیمات الرّقاق

و یا أسفا لتقییدات علمتولّت بعد ذات انطلاق

علیه سلام ربّی کلّ حینیلاقیه الرّضا فیما یلاقی

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۰۹ و أسقت لحده سحب الغوادیإذا انهملت همّمت ذات انطباق

و زانت رئیه فی کلّ یومتحیّات إلی یوم التّلاقی

۹۷- الهیثمیّ الحافظ نور الدین أبو الحسن علیّ بن أبی بکر بن سلیمان، رفیق أبی الفضل العراقیّ. ولد سنة خمس و ثلاثین و سبعمائة، و رافق العراقیّ فی السّماع، و لازمه، و ألّف و جمع. مات فی تاسع عشر رمضان سنة سبع و ثمانمائة.

۹۸- ابن عشائر، الحافظ ناصر الدین أبو المعالی محمد بن علی السالمیّ الحلبیّ. ولد فی ربیع سنة اثنتین و أربعین و سبعمائة، و أخذ عن التاج السبکیّ و ابن قاضی الجبل و الأعمی، و البصیر، و له مجامیع و تاریخ و تعالیق. مات بمصر فی ربیع سنة تسع و ثمانین و سبعمائة .

۹۹- الأقفهسیّ صلاح الدین خلیل بن محمد بن عبد الرحمن المصریّ .

ولد سنة ثلاث و ستّین و سبعمائة و عنی بالفنّ و خرّج، و صنّف. مات سنة إحدی و عشرین و ثمانمائة.

۱۰۰- ولیّ الدین أبو زرعة أحمد ابن الحافظ أبو الفضل العراقیّ الإمام العلّامة الحافظ الفقیه الأصولیّ، ذو الفنون. ولد فی ذی الحجّة اثنتین و ستّین و سبعمائة، و تخرّج فی الفنّ بوالده، و لازم البلقینیّ فی الفقه، و برع فی الفنون؛ و ألّف الکتب النافعة المشهورة، کشرح البهجة و النّکت، و مختصر المهمّات، و شرح جمع الجوامع فی الأصلین، و شرح تقریب الأسانید لوالده، و غیر ذلک. و أملی أکثر من ستمائة مجلس، و ولی قضاء الدیار المصریة. مات فی سابع عشرین شعبان سنة ستّ و عشرین و ثمانمائة .

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۱۰

۱۰۱- البوصیریّ شهاب الدین أحمد بن أبی بکر بن إسماعیل الکنانیّ. ولد فی المحرّم سنة اثنتین و ستّین و سبعمائة، و سمع الکثیر و عنی بالفنّ، و ألّف و خرّج. مات فی المحرم سنة أربعین و ثمانمائة.

۱۰۲- ابن حجر، إمام الحفّاظ فی زمانه، قاضی القضاة شهاب الدین أبو الفضل أحمد بن علیّ بن محمد بن محمد بن علیّ الکنانیّ العسقلانیّ ثمّ المصریّ. ولد سنة ثلاث و سبعین و سبعمائة، و عانی أولا الأدب و علم الشعر فبلغ فیه الغایة، ثمّ طلب الحدیث، فسمع الکثیر، و رحل و تخرّج بالحافظ أبی الفضل العراقیّ، و برع فیه، و تقدّم فی جمیع فنونه، و انتهت إلیه الرّحلة و الریاسة فی الحدیث فی الدنیا بأسرها، فلم یکن فی عصره حافظ سواه، و ألّف کتبا کثیرة کشرح البخاریّ، و تعلیق التعلیق، و تهذیب التهذیب، و تقریب التهذیب، و لسان المیزان، و الإصابة فی الصحابة، و نکت ابن الصّلاح، و رجال الأربعة، و النّخبة و شرحها، و الألقاب، و تبصیر المنتبه بتحریر المشتبه، و تقریب المنهج بترتیب المدرج ؛ و أملی أکثر من ألف مجلس؛ توفّی فی ذی الحجّة سنة اثنتین و خمسین و ثمانمائة، و ختم به الفنّ .

حدّثنی الشهاب المنصوریّ شاعر العصر أنّه حضر جنازته، فأمطرت السماء علی نعشه و قد قرب إلی المصلّی و لم یکن زمان مطر. قال: فأنشدت فی ذلک الوقت:

قد بکت السّحب علی‌قاضی القضاة بالمطر

و انهدم الرّکن الّذی‌کان مشیدا من حجر

و قال شیخنا الأدیب شهاب الدین الحجازیّ یرثیه:

کلّ البریّة للمیّة صائره‌وقفوا لها شیئا فشیئا سائره

و النّفس إن رضیت بذا ربحت و إن‌لم ترض کانت عند ذلک خاسره

و أنا الّذی راض بأحکام مضت‌عن ربّنا البرّ المهیمن صادره

لکن سئمت العیش من بعد الّذی‌قد خلّف الأفکار منّا حائره

هو شیخ الإسلام المعظّم قدره‌من کان أوحد عصره و النّادره

قاضی القضاة العسقلانیّ الّذی‌لم ترفع الدّنیا خصیما ناظره

و شهاب دین اللّه ذی الفضل الّذی‌أربی علی عدد النّجوم مکاثره

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۱۱ لا تعجبوا لعلوّه فأبوه فی الدّنیا علا من قبله و الآخره

هو کیمیاء العلم کم من طالب‌بالکسر جاء له فأضحی جابره

لا بدع إن عادت علوم الکیمیامن بعد ذا الحجر المکرّم بائره

لهفی علی من أورثتنی حسرةدرس الدّروس علیه إذ هی خاسره

لهفی علی المدح استحالت للرّثاو قصور أبیاتی عدت متقاصره

لهفی علیه عالما، بوفاته‌درست دروس و المدارس داثره

لهفی علی الإملاء عطّل بعده‌و معاهد الأسماع إذ هی شاغره

لهفی علیه حافظ العصر الّذی‌قد کان معدودا لکلّ مناظره

لهفی علی الفقه المهذّب و المحرّر حاوی المقاصد عند کلّ محاضره

لهفی علی النّحو الذی تسهیله‌مغنی اللّبیب مساعد لمذاکره

لهفی علی اللّغة الغریبة کم أرانا معربا بصحاحها المتظاهره

لهفی علی علم العروض تقطّعت‌أسبابه بفواصل متغایره

لهفی علیه خزانة العلم الّتی‌کانت بها کلّ الأفاضل ماهره

لهفی علی شیخی الّذی سعدت به‌صحب و أوجه ناظریه ناضره

لهفی علی التّقصیر منّی حیث لم‌أملا النّواحی بالنّواح صادره

لهفی علی عذری عن استیفاء مایحوی، و عجزی أن أعدّ مآثره

لهفی علی لهفی، و هل ذا مسعدی‌أو کان ینفعنی شدید محاذره!

لهفی علی من کلّ عام للهناتأتی الوفود إلی حماه مبادره

و الآن فی ذا العام جاؤوا للقرافیه، و عادوا بالدّموع الهامره

قد خلّف الدّنیا خرابا بعده‌لکنّما الأخری لدیه عامره

و بموته شغر الفؤاد و أعلم العین انثنت فی حالتیها شاغره

ولی المحاجر طابقت إذ للرّثاأنا ناظم، و هی المدامع ناثره

فکأنّه فی قبره سرّ غدافی الصّدر و الأفهام عنه قاصره

و كأنّه فى اللّحد منه ذخيرةأعظم بها درر العلوم الفاخره

و كأنّه فى رمسه سيف ثوىفى الغمد مخبوء ليوم مثائره

قهرتنى الأيّام فيه فليتنىفى مصر متّ و ما رأيت القاهره

هجرتنى الأحلام بعدك سيّدىو احرّ قلبى قد رمى بالهاجره

من شاء بعدك فليمت أنت الّذى كانت عليك النّفس قدما حاذره

و سهرت مذ صدح النعىّ بزجرهفإذا هم من مقلتى بالسّاهره

و رزئت فيه فليت أبّى لم أكن‌أو ليت أنّى قد سكنت مقابره

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۱۲ رزء جميع النّاس فيه واحدطوبى لنفس عند ذلك صابره

يا نوم عينى لا تلمّ بمقلتىفالنّوم لا يأوى لعين ساهره

يا دمع و اسقى تربه و لو أنّهابعلومه جرت البحار الزّاخره

يا صبرى ارحل ليس قلبى فارغاسكنته أحزان غدت متكاثره

يا نار شوقى بالفراق تأجّجىيا أدمعى بالمزن كونى ساخره

يا قبرطب قد صرت بيت العلم أوعينا به إنسان قطب الدّائره

يا موت إنّك قد نزلت بذى النّدىو مذ استضفت حباك نفسا حاضره

يا ربّ فارحمه واسق ضريحهبسخائب من فيض فضلك غامره

يا نفس صبرا فالتأسّى لائقبوفاة أعظم شافع فى الآخره

المصطفى زين النّبيّين الّذىحاز العلا و المعجزات الباهره

صلّى عليه اللّه ما جال الرّدىفينا و جرّد للبريّة باتره

و على عشيرته الكرام و آلهو على صحابته النّجوم الزّاهره

ذكر من كان بمصر من المحدّثين الذين لم يبلغوا درجة الحفظ و المنفردين بعلوّ الإسناد

۱- بكر بن سهل الدّمياطىّ المحدّث. عن عبد اللّه بن يوسف التّنّيسىّ و طائفة.

مات فى ربيع الأول سنة تسع و ثمانين و مائتين.

۲- الدّينورىّ صاحب المجالسة، أبو بكر أحمد بن مروان المالكىّ. نزيل مصر، و بها مات.، أخذ عن القاضى إسماعيل و يحيى بن معين؛ و غلب عليه الحديث، و له كتاب فى فضائل مالك. مات فى صفر سنة ثلاث و تسعين و مائتين، و له أربع و ثمانون سنة؛ ذكره ابن فرحون فى طبقات المالكية.

۳- أبو شيبة داود بن إبراهيم بن روزبة البغدادىّ. عن محمد بن بكّار بن الرّيان و طائفة. مات بمصر سنة عشر و ثلاثمائة.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۱۳

۴- علىّ بن الحسن بن خلف بن فرقد أبو القاسم المصرىّ المحدّث. روى عن محمد بن رمح و حرملة. مات سنة اثنتى عشرة و ثلاثمائة، و له بضع و ثمانون سنة .

۵- علىّ بن أحمد بن سليمان بن الصّيقل أبو الحسن المصرىّ، و لقبه علّان المعدّل. عن محمد بن رمح و طائفة. مات فى شوال سنة سبع عشرة و ثلاثمائة عن تسعين سنة.

۶- محمد بن زبّان بن حبيب أبو بكر المصرىّ. عن زكريا بن يحيى. كاتب العمرىّ، و محمد بن رمح. مات فى جمادى الأولى سنة

عشر و ثلاثمائة، عن اثنتين و تسعين سنة.

۷- إسماعيل بن داود بن وردان المصرى البزانى. عن زكريا كاتب العمرى و محمد بن رمح. مات فى ربيع الآخر سنة ثمانى عشرة و ثلاثمائة، عن اثنتين و تسعين سنة.

۸- أحمد بن عبد الوارث بن جرير أبو بكر الأسوانىّ العسّال، آخر من حدّث عن محمد بن رمح، وثّقه ابن يونس. مات فى جمادى الآخرة سنة إحدى و عشرين و ثلاثمائة.

۹- قاضى مصر أبو جعفر أحمد بن عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة الدينورىّ المالكىّ.

من أهل العلم و الحفظ، و حدّث بكتب أبيه كلّها من حفظه بمصر، و لم يكن معه كتاب، و هى إحدى و عشرون مصنّفا. قال فى العبر: ولى قضاء مصر شهرين و نصف شهر، و مات بها فى ربيع الأول سنة اثنتين و عشرين و ثلاثمائة .

۱۰- عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن الحجاج و أبو محمد الرشيدىّ المهرىّ المصرىّ الناسخ. عن أبى الطّاهر بن السّرح، و سلمة بن شبيب. مات سنة ست و عشرين و ثلاثمائة.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۱۴

۱۱- أبو عبد اللّه بن أحمد بن بدر الرّبعى البغدادىّ. عن عباس الدّورىّ و طبقته. ولى قضاء مصر، و له عدّة تصانيف، ضعّفه غير واحد فى الحديث. مات سنة تسع و عشرين و ثلاثمائة، و له بضع و سبعون سنة.

۱۲- محمد بن أيوب بن الصموت الرّقىّ. نزيل مصر، روى عن هلال بن العلاء و طائفة. مات سنة إحدى و أربعين و ثلاثمائة.

۱۳- عثمان بن محمد بن أحمد أبو عمرو السّمرقندى. قال فى العبر: روى بمصر عن أحمد بن شيبان الرّملىّ و أبى أمية الطّرسوسىّ و طائفة. مات سنة خمس و أربعين و ثلثمائة، و له خمس و تسعون سنة.

۱۴- الوزير الماذرائىّ أبو بكر محمد بن علىّ البغدادىّ الكاتب. وزر لخمارويه صاحب مصر، و حدّث عن العطاردىّ. و كان من صلحاء الكبراء. مات سنة خمس و أربعين و ثلثمائة عن نحو تسعين سنة. و أمّا معروفه فإليه المنتهى، أعتق فى عمره مائة ألف رقبة، و أنفق فى حجّة حجّها مائة ألف دينار، و بلغ ارتفاع مغلّه بمصر من أملاكه فى العام أربعمائة ألف دينار. قاله فى العبر.

۱۵- أحمد بن مهران أبو الحسن السيرافىّ. حدّث عن الربيع المرادىّ و القاضى بكّار. مات سنة ستّ و أربعين و ثلاثمائة.

۱۶- أبو الفوارس الصابونىّ أحمد بن محمد بن حسين بن السّندىّ. الثقة المعمّر مسند ديار مصر. عن يونس بن عبد الأعلى و المزنىّ و الكبار و آخرين. روى عنه ابن نظيف. مات فى شوّال سنة تسع و أربعين و ثلثمائة، و له مائة و خمس سنين.

۱۷- أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن جامع السكّرىّ. عن علىّ بن عبد العزيز البغوىّ. مات بمصر سنة إحدى و خمسين و ثلثمائة.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۱۵

۱۸- أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن عطيّة البغدادىّ. يعرف بابن الحدّاد. عن بكر بن سهل الدّمياطىّ. مات بمصر سنة أربع و خمسين و ثلثمائة.

۱۹- الرّافعىّ أبو الفضل العباس بن محمد بن نصر بن السّرىّ بن هلال بن العلاء. مات بمصر سنة ست و خمسين و ثلثمائة .

۲۰- أبو على الحسن بن الخضر الأسيوطىّ. عن النسائىّ و المنجنيقىّ. مات فى ربيع الأول سنة إحدى و ستين و ثلثمائة.

۲۱- محمد بن بدر الحمامىّ الأمير أبو بكر الطولونىّ. عن بكر بن سهل الدّمياطىّ و النّسائىّ. وثّقه أبو نعيم. مات سنة أربع و ستين و ثلثمائة.

۲۲- أبيض بن محمد بن أبيض بن أسود الفهرىّ المصرىّ. آخر من روى عن النّسائى. مات سنة سبع و سبعين و ثلثمائة.

۲۳- أبو بكر بن المهتدى بالله أحمد بن محمد بن إسماعيل . محدّث ديار مصر. عن البغوىّ و محمد بن محمد الباهلىّ، مات سنة خمس و ثمانين و ثلثمائة.

۲۴- أبو الحسن الأذنیّ القاضی علی بن الحسین بن بندار المحدّث. نزیل مصر. روی الکثیر عن ابن قبیل و علیّ الغضائریّ و أبی عروبة و محمد بن الفیض الدّمشقیّ. مات فی ربیع الأول سنة خمس و ثمانین و ثلثمائة.

۲۵- أبو القاسم عبید اللّه بن محمد بن خلف بن سهل المصریّ البزاز، و یعرف بابن أبی غالب. عن محمد بن أحمد الباهلیّ و علیّ بن أحمد علّان. و کان من کبراء المصریین و متموّلیهم. مات سنة سبع و ثمانین و ثلثمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۱۶

۲۶- عبد الوهاب بن عیسی أبو العلاء بن ماهان البغدادی، ثمّ المصریّ. روی صحیح مسلم عن أبی بکر أحمد بن محمد الأشقر، سوی ثلاثة أجزاء یرویها عن الجلودی. مات سنة ثمان و ثمانین و ثلثمائة.

۲۷- أحمد بن عبد اللّه بن حمید بن رزیق البغدادیّ أبو الحسن. نزیل مصر، یروی عن المحامليّ و محمد بن مخلد، و کان صاحب حدیث. مات سنة إحدی و تسعین و ثلثمائة.

۲۸- المؤمّل بن أحمد بن أبی القاسم الشیبانیّ البزاز. بغدادیّ ثقة، نزل مصر و حدث عن البغویّ و ابن صاعد، و عمّر دهرا. مات سنة إحدی و تسعین و ثلثمائة.

۲۹- أبو محمد الضّراب الحسن بن إسماعیل المصریّ المحدّث. راوی المجالسة، عن الدینوریّ. مات فی ربیع الآخر سنة إحدی و تسعین و ثلثمائة، و له تسع و سبعون سنة.

۳۰- أبو الفتح إبراهیم بن علی بن سیبخت البغدادیّ. نزیل مصر، حدّث عن البغویّ و أبی بکر بن أبی داود. مات بمصر سنة أربع و تسعین و ثلثمائة .

۳۱- أبو الحسین محمد بن أحمد أبو العباس الإخمیمی المصریّ. عن محمد بن زیان بن حبیب و علیّ بن أحمد علّان. مات سنة أربع و تسعین و ثلثمائة .

۳۲- محمد بن أحمد بن شاکر القطّان أبو عبد اللّه المصریّ. مؤلّف فضائل الشافعیّ. روی عن عبد اللّه بن الورد. مات فی المحرم سنة سبع و أربعمائة.

۳۳- أبو الحسن بن ثرثال أحمد بن عبد العزیز بن أحمد التمیمی البغدادیّ.

عن المحامليّ و محمد بن مخلد، و له جزء واحد. رواه عنه الصّوریّ و الحبّال. مات بمصر فی ذی القعدة سنة ثمان و أربعمائة، و له إحدی و تسعون سنة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۱۷

۳۴- منیر بن الحسن بن علیّ بن منیر الخشّاب أبو العباس المصریّ العدل.

شیخ الخلّص ، عن علیّ بن عبد اللّه بن أبی مطیر، قال الحبّال: کان ثقة لا یجوز علیه تدلیس. مات فی ذی القعدة سنة اثنتی عشرة و أربعمائة .

۳۵- أحمد بن محمد بن یحیی أبو العبّاس الإشبیلیّ المعدّل. سمع عثمان بن محمد السّمرقندیّ و أبا الفوارس الصابونیّ. تفقّه علیه أبو نصر السّجزیّ. مات بمصر فی صفر سنة خمس عشرة و أربعمائة.

۳۶- القاضی أبو الحسین الحصیب بن عبد اللّه بن محمد بن الحسین بن الحصیب المصریّ. حدّث عن أبیه و عثمان بن السّمرقندیّ. مات سنة ستّ عشرة و أربعمائة. قاله فی العبر.

۳۷- أبو محمد بن النّحاس عبد الرحمن بن عمر المصریّ البزّاز. مسند الدیار المصریة و محدّثها. عن ابن الأعرابیّ و أبی الطاهر المدینیّ و علیّ بن عبد اللّه بن أبی مطر. مات سنة ستّ عشرة و أربعمائة، و له بضع و تسعون سنة.

۳۸- أبو النعمان تراب بن عمر بن عبید الکاتب المصریّ. عن أبی أحمد بن الناصح. مات فی ذی القعدة سنة سبع و عشرین و

أربعمائة، و له خمس و ثمانون سنة.

۳۹- محمد بن الفضل بن نظیف أبو عبد اللّه المصریّ الفرّاء. مسند الدیار المصریة، عن أبی الفوارس الصّابونیّ و العباس بن محمد الرافقیّ. و کان شافعیّا. مات فی ربیع الآخر سنة إحدی و ثلاثین و أربعمائة، عن تسعین سنة و شهرین.

۴۰- علی بن منیر بن أحمد الخلّال أبو الحسن المصریّ. عن أبی حامد النّاصح و الذهلیّ. مات فی ذی القعدة سنة تسع و ثلاثین و أربعمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۱۸

۴۱- أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد بن نصر الحکیمیّ المصریّ الوراق. عن أبی الطاهر الذّهلیّ. مات یوم الأضحی سنة أربعین و أربعمائة، و له إحدی و ثمانون سنة.

۴۲- علیّ بن ربیعة أبو الحسن التمیمیّ. المصریّ البزاز. راویة الحسن بن رشیق. مات فی صفر سنة أربعین و أربعمائة.

۴۳- أبو الحسن علیّ بن عمر الحرّانیّ المصریّ الصوّاف. یعرف بابن حمّصة.

راوی جزء البطاقة عن حمزة الکنانیّ. مات فی رجب سنة إحدی و أربعین و أربعمائة .

۴۴- أبو القاسم علیّ بن محمد بن علیّ. مسند الدّیار المصریّة، أکثر عن أبی أحمد بن النّاصح و الذّهلیّ و ابن رشیق. مات فی شوّال سنة ثلاث و أربعین و أربعمائة.

۴۵- ابن الطّفال أبو الحسن محمد بن الحسین بن محمد النّیسابوریّ، ثمّ المصریّ المقرئ البزّاز. ولد سنة تسع و خمسین و ثلثمائة، و روی عن ابن حیوة و أبی الطار الذّهلیّ و ابن رشیق؛ مات سنة ثمان و أربعین و أربعمائة.

۴۶- علیّ بن بقاء أبو الحسن المصریّ الورّاق. محدّث دیار مصر. عن القاضی أبی الحسین المحامليّ. مات سنة خمسین و أربعمائة.

۴۷- أبو الحسین محمد بن مکّی بن عثمان الأزدیّ المصریّ. عن أبی الحسن الحکیمیّ و محمد بن أحمد الإخمیمیّ. مات بمصر فی جمادی الأولی سنة إحدی و ستّین و أربعمائة، عن ستّ و سبعین سنة.

۴۸- الخلعیّ یأتی فی الفقهاء.

۴۹- ابن رفاعة.

۵۰- أبو صادق مرشد بن یحیی بن القاسم المدینیّ ثمّ المصریّ. عن أبی الحسن ابن الطفّال و علیّ بن محمد الفارسیّ. و کان أسند من بقی بمصر، مع الثقة و الخیر.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۱۹

مات فی ذی القعدة سنة سبع عشرة و خمسمائة، عن سنّ عالیة .

۵۱- أبو عبد اللّه الرازیّ ، صاحب السّداسیات و المشیخة محمد بن أحمد بن إبراهیم. یعرف بابن الحطّاب، مسند الدّیار المصریة، و أحد عدول الإسکندریّة. مات فی جمادی الأولی سنة خمس و عشرین و خمسمائة، عن إحدی و تسعین سنة.

۵۲- أبو محمد عبد اللّه بن عبد الرحمن بن یحیی العثمانیّ الدّیباجیّ. محدّث الإسکندریّة بعد السّلفیّ فی الرتبة، روی عن أبی القاسم بن الفحّام و الطّرسوسیّ و خلق.

مات فی شوّال سنة اثنتین و سبعین و خمسمائة، عن ثمان و تسعین سنة.

۵۳- أبو المفاخر المأمونیّ- راوی صحیح- مسلم بمصر- سعد بن الحسین بن سعید العباسیّ. مات سنة ستّ و سبعین و خمسمائة بالقاهرة.

۵۴- الأثیر محمد بن محمد بن أبی الطّاهر محمد بن بیان الأنماریّ ثمّ المصریّ الکاتب. روی عن أبی صادق مرشد المدینیّ و غیره، و روی ببغداد صحاح الجوهریّ عن أبی البرکات الصّوفیّ. مات فی ربیع الآخر سنة ستّ و تسعین و خمسمائة ، و ولد سنة تسع و

ثمانين.

۵۵- أبو القاسم البوصيرىّ هبة اللّه بن علىّ بن مسعود الأنصارىّ الكاتب الأديب. مسند الدّيار المصرية، ولد سنة ستّ و خمسمائة، و سمع من أبى صادق المدينىّ و محمد بن بركات السعيدىّ و طائفة، و تفرّد فى زمانه، و رحل إليه؛ مات فى ثانى صفر سنة ثمان و تسعين و خمسمائة.

۵۶- أبو القاسم عبد الرحمن بن مكّى بن حمزة بن موقا الأنصارى التاجر. مسند الإسكندرية، و آخر من حدّث عن أبى عبد اللّه الرازىّ. مات فى ربيع الآخر سنة تسع و تسعين و خمسمائة، و له أربع و تسعون سنة .

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۲۰

۵۷- علىّ بن حمزة أبو الحسن البغدادىّ الكاتب. حاجب باب النّوبىّ. حدّث بمصر عن ابن الحصين. مات فى شعبان سنة تسع و تسعين و خمسمائة.

۵۸- صنيعة الملك القاضى أبو محمد هبة بن يحيى بن علىّ بن حيدرة المصرىّ.

يعرف بابن ميسّر العدلىّ ، راوى كتاب السّيرة. مات فى ذى الحجّة سنة ستمائة .

۵۹- عبد الرحمن الرومىّ عتيق أحمد بن باقا البغدادىّ. قرأ القراءات على أبى الكرم الشهرزورىّ، و روى صحيح البخارىّ بمصر و الإسكندرية عن أبى الوقف. مات فى ذى القعدة سنة ثمان و ستمائة.

۶۰- عبد الرّحمن بن عبد الجبّار العثمانىّ أبو محمد الإسكندرانىّ التاجر الكارمىّ المحدّث. أكثر عن السّلفىّ. مات فى ذى الحجّة سنة أربع عشرة و ستمائة، عن سبعين سنة.

۶۱- أبو طالب أحمد بن عبد اللّه بن أبى الحسين بن حديد الإسكندرانىّ المالكىّ. من بيت قضاء و حشمة، روى عن السّلفىّ و غيره. مات فى جمادى الآخرة سنة تسع عشرة و ستمائة.

۶۲- الحسين بن يحيى بن أبى الرّدّاد المصرىّ: آخر من روى بمصر عن ابن رفاعة الخلعيات. مات فى ذى القعدة سنة عشرين و ستمائة.

۶۳- ابن الحباب القاضى الأسعد أبو البركات عبد القوىّ بن القاضى الجليس عبد العزيز بن الحسين التميمىّ السعدىّ الأغلبىّ المصرىّ المالكىّ الأخبارىّ المعدّل.

راوى السّيرة عن ابن رفاعة، كان ذا فضل و نبل و سؤدد و علم و وقار و حلم، جمالا لبلده. مات فى شوّال سنة إحدى و عشرين و ستمائة، و له خمس و ثمانون سنة.

۶۴- أبو الحسن علىّ بن أبى الكرم نصر بن المبارك القرافىّ الخلّال المعروف

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۲۱

بابن النباراوىّ. جامع الترمذىّ عن الكرخىّ. و حدّث بمصر و الإسكندرية و قبرص. مات بمكّة فى صفر سنة اثنتين و عشرين و ستمائة.

۶۵- نظام الدّين علىّ بن محمد بن يحيى يعرف بابن رحّال العدل. سمع السّلفىّ و غيره. مات فى شوّال سنة ثمان و عشرين و ستمائة.

۶۶- عبد الغفار بن سخىّ المحلّى الشّروطىّ. عن السّلفىّ و غيره. مات فى شوّال سنة تسع و عشرين و ستمائة.

۶۷- يعقوب بن محمد بن حسن الأمير شرف الدّين الهذبانىّ الإربلىّ. عن يحيى الثقفىّ. كان ذا علم و أدب. مات بمصر فى ربيع الأوّل سنة ستّ و أربعين و ستمائة.

۶۸- منصور بن سندىّ الدّباغ أبو علىّ الإسكندرانىّ النحّاس. عن السّلفىّ.

مات فى ربيع الأوّل سنة ست و أربعين و ستمائة.

۶۹- عبد العزيز بن عبد الوهّاب بن العلّامة أبى طاهر إسماعيل بن مكّى الزهرىّ العوفىّ الإسكندرانىّ المالكىّ. سمع من جدّه الموطّأ، و

کان ذا زهد و ورع.

مات فی صفر سنة سبع و أربعین و ستمائة عن ثمانین سنة.

۷۰- جمال الدین الساوی یوسف بن محمود أبو یعقوب المصریّ الصوفیّ.

عن السّلفیّ و ابن برّی. مات فی رجب سنة سبع و أربعین و ستّمائة عن ثمانین سنة.

۷۱- فخر القضاة بن الجبّاب أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد العزیز بن الحسن السّعدیّ المصریّ. عن المأمونی و السّلفیّ و ابن برّیّ. مات فی رمضان سنة ثمان و أربعین و ستّمائة، عن سبع و ثمانین سنة.

۷۲- ابن رواح المحدّث رشید الدین أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن علیّ

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۲۲

ابن فتوح الإسکندرانیّ المالکیّ. ولد سنة أربع و خمسین و خمسمائة، و سمع من السّلفیّ، و خرّج الأربعین، و کان ذا دین وفقه و تواضع. مات فی ثامن عشر ذی القعدة سنة ثمان و أربعین و ستمائة.

۷۳- مظفّر بن السّریّ أبی منصور بن عبد الملک بن عتیق الفهریّ الإسکندرانیّ المالکیّ الشاهد. عن السّلفیّ. مات فی ثامن عشر ذی القعدة سنة ثمان و أربعین و ستمائة، عن تسعین سنة.

۷۴- هبة اللّه بن محمّد بن الحسین بن مفرج جمال الدین أبو البرکات المقدسیّ ثم الإسکندریّ. یعرف بابن الواعظ. من عدول الثّغر، عن السّلفیّ. مات فی صفر سنة خمسین و ستمائة، عن إحدی و ثمانین سنة.

۷۵- صالح بن شجاع بن محمّد بن سیّدهم، أبو البقاء المدلجیّ المصریّ.

روی صحیح مسلم عن أبی المفاخر المأمونیّ. مات فی صفر سنة إحدی و خمسین و ستمائة.

۷۶- سبط السّلفیّ جمال الدین أبو القاسم عبد الرحمن بن مکّی بن عبد الرحمن الطّرابلسیّ الإسکندرانیّ. ولد سنة سبعین و خمسمائة، و سمع من جدّه السّلفیّ الکثیر، و أجاز له عبد الحقّ. و شهده، و انتهی إلیه علوّ الإسناد بالدیار المصریة. مات بمصر فی رابع شوّال سنة إحدی و خمسین و ستمائة.

۷۷- ابن المقدسیّة العدل شرف الدین أبو بکر محمد بن الحسن بن عبد السلام التمیمیّ السّفاقسیّ الأصل، الإسکندرانیّ. ولد سنة ثلاث و سبعین و خمسمائة، و أحضره خاله الحافظ بن المفضّل عند السّلفیّ، و له مشیخة خرّجها له الحافظ منصور بن سلیم.

مات فی جمادی الأولی سنة أربع و خمسین و ستمائة.

۷۸- أبو الکرم لاحق بن عبد المنعم بن قاسم الأنصاریّ الأرتاحیّ اللّبان.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۲۳

سمع من عمّ جدّه أبی عبد اللّه الأرتاحیّ، و تفرّد بالإجازة من ابن المبارک بن الطبّاخ.

مات بمصر فی جمادی الآخرة سنة ثمان و خمسین و ستمائة.

۷۹- أبو العباس أحمد بن حامد بن أحمد الأنصاریّ. سمع جدّه لأمّه أبی عبد اللّه الأرتاحیّ و ابن یاسین و البوصیریّ و الحافظ عبد الغنیّ. مات فی رجب سنة تسع و خمسین و ستمائة.

۸۰- المتّیجیّ محمّد بن عبد اللّه بن إبراهیم بن عیسی ضیاء الدّین الإسکندرانیّ المحدّث الرّحّال. أحد من عنی بالحدیث، روی عن عبد الرحمن بن موقا فمن بعده.

مات فی جمادی الآخرة سنة تسع و خمسین و ستمائة .

۸۱- الضیاء عیسی بن سلیمان بن رمضان التغلبیّ المصریّ العراقیّ. آخر من روی البخاریّ عن منجب المرشدیّ مولی مرشد المدینیّ.

مات فی رمضان سنة ستین و ستمائة عن تسعین سنة.

۸۲- ابن عرق الموت أبو بکر بن محمد بن فتوح بن خلوف بن یخلف بن مصال الهمدانیّ الإسکندرانیّ. عن التاج المسعودیّ و ابن موقا. أجاز له أبو سعد بن أبی عصرون و الکبار، و تفرّد عن جماعة. مات فی جمادی الأولی سنة ستین و ستمائة.

۸۳- أبو بکر بن علیّ بن مکارم بن فتیان الأنصاریّ المصریّ. عن البوصیریّ.

مات فی المحرّم سنة ستّین و ستمائة.

۸۴- الحسن بن علیّ بن منتصر أبو علیّ الفارسی ثم الإسکندرانیّ. آخر أصحاب عبد المجید بن دلیل. مات فی ربیع الآخر سنة إحدی و ستین و ستمائة.

۸۵- ابن بنین أثیر الدین عبد الغنی بن سلیمان بن بنین المصری. ولد سنة خمس و سبعین و خمسمائة، و سمع من عشیر الحنبلیّ ؛ فکان آخر أصحابه، و أجاز له ابن

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۲۴

برّی، و انتهی إلیه علوّ الإسناد بمصر. مات فی ثالث ربیع الأول سنة إحدی و ستین و ستمائة.

۸۶- إسماعیل بن صارم أبو الطاهر الکنانیّ العسقلانیّ، ثمّ المصریّ. عن الأبوصیریّ و ابن یاسین. مات فی جمادی الأولی سنة اثنتین و ستمائة.

۸۷- ابن سراقة الإمام محیی الدین أبو بکر محمد بن محمد بن إبراهیم الأنصاریّ الشاطبیّ. شیخ دار الحدیث الکامليّة. ولد سنة اثنتین و تسعین و خمسمائة، و سمع من أبی القاسم أحمد بن بقیّ، و بالعراق عن أبی علیّ بن الجوالیقیّ، و له مؤلّفات فی التصوّف. مات فی العشرین من شعبان سنة اثنتین و ستین و ستمائة.

۸۸- إسماعیل بن عبد القویّ بن عزون زین الدین أبو الطاهر الأنصاریّ المصریّ. عن البوصیریّ و ابن یاسین، مات فی المحرّم سنة سبع و ستّین و ستمائة.

۸۹- شرف الدین أبو الطّاهر محمد بن الحافظ أبی الخطّاب عمر بن دحیة.

ولد سنة إحدی و ستمائة، و سمع أباه و جماعة، و ولی مشیخة دار الحدیث الکامليّة، و حدّث. و کان فاضلا. مات سنة سبعین و ستمائة.

۹۰- أحمد بن قاضی القضاة زین الدین علیّ بن یوسف بن بندار معین الدین. عن البوصیری و ابن یاسین. ولد سنة ستّ و ثمانین و خمسمائة؛ مات فی رجب سنة سبعین و ستمائة .

۹۱- أبو البرکات أحمد بن عبد اللّه بن محمد الأنصاریّ الإسکندرانیّ النحّاس. عن عبد الرحمن بن موقا. مات فی جمادی الأولی سنة إحدی و سبعین و ستمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۲۵

۹۲- النجیب عبد اللطیف بن عبد المنعم بن الصیقل أبو الفرج الحرّانیّ الحنبلیّ.

مسند الدیار المصریة، عن ابن کلیب و ابن المعطوش و ابن الجوزیّ و ابن أبی المجد.

ولی مشیخة دار الحدیث الکامليّة. ولد سنة سبع و سبعین و خمسمائة ، مات فی صفر سنة اثنتین و سبعین و ستمائة.

۹۳- ابن علّاق أبو عیسی عبد اللّه بن عبد الواحد بن محمد بن علّاق الأنصاریّ المصریّ. یعرف بابن الحجّاج، آخر من روی عن البوصیریّ و إسماعیل بن یاسین. مات فی ربیع الأول سنة اثنتین و سبعین و ستمائة، و له ستّ و ثمانون سنة.

۹۴- یکن الدین الحصنی المحدّث أبو الحسن بن عبد العظیم بن أحمد المصریّ. ولد سنة ستّمائة، و سمع الکثیر، و تعب و اجتهد، و کان فاضلا. مات فی رجب سنة أربع و سبعین و ستمائة .

۹۵- محمد بن مهلهل بن بدران سعد الدین أبو الفضل الهیثمیّ. عن الأرتاحیّ و الحافظ عبد الغنیّ. مات فی ربیع الأول سنة أربع و

سبعین و ستمائة.

۹۶- أبو الفتح عثمان بن هبة اللّه بن عبد الرّحمن بن مكّی بن إسماعیل بن عوف الزّهریّ الإسكندرانیّ. آخر أصحاب عبد الرحمن بن موقا. مات سنة أربع و سبعین و ستّمائة.

۹۷- ابن النّنن شمس الدین محمد بن عبد اللّه بن محمد البغدادیّ. عن عبد العزیز بن منینا و سلیمان الموصلیّ. مات بالإسكندریة فی رجب سنة إحدی و سبعین و ستمائة عن ثمانین سنة .

۹۸- المجد ابن الخلیل عبد العزیز بن الحسین الدارئ المصریّ. والد

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۲۶

الصاحب فخر الدین. عن أبی الحسن بن جبیر الكتانیّ، و الفتح بن عبد السلام. و كان رئیسا دیّنا خیّرا . مات فی ربیع الأول سنة ثمانین و ستمائة عن إحدی و ثمانین سنة.

۹۹- أبو بكر بن الحافظ أبی الطاهر إسماعیل بن الأنماطیّ. ولد سنة تسع و ستمائة، و سمع من الكندیّ و ابن الحرستانیّ و ابن ملاعب. مات بالقاهرة فی ذی الحجّة سنة أربع و ثمانین و ستمائة.

۱۰۰- السراج بن فارس أبو بكر عبد اللّه بن أحمد بن إسماعیل التمیمیّ الإسكندرانیّ. عن التاج الكندی و ابن الحرستانیّ. مات بإسكندریة فی ربیع الأوّل سنة خمس و ثمانین و ستمائة.

۱۰۱- ابن المهتار [المحدّث الورع مجد الدین یوسف بن محمد بن عبد اللّه المصریّ، ثمّ الدّمشقیّ. قارئ دار الحدیث الأشرفیّة. ولد سنة عشر و ستمائة، و سمع من ابن الزبیدیّ و ابن الصبّاح، و روی الكثیر. مات فی تاسع ذی القعدة سنة خمس و ثمانین و ستمائة] .

۱۰۲- جمال الدین أبو صادق محمد بن الحافظ رشید الدین یحیی العطّار.

سمع من محمد بن عمّار و ابن باقا، و خرّج الموافقات. مات فی ربیع الآخر سنة ستّ و ثمانین و ستّمائة عن بضع و ستّین سنة.

۱۰۳- عزّ الدین عبد العزیز بن عبد المنعم بن الصیقل الحرانیّ أبو العزّ. مسند الوقت. ولد سنة أربع و تسعین و خمسمائة، و سمع من أبی حامد و یوسف بن كامل، و أجاز له ابن كلیب، و كان آخر من روی عن أكثر شیوخه. استوطن مصر إلی أن مات بها فی رجب سنة ستّ و ثمانین و ستمائة.

۱۰۴- النجیب أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن محمد بن المؤیّد بن علیّ الهمذانیّ ثمّ المصریّ المحدّث. أجاز له ابن طبرزد و عفیفة، و سمع من عبد القویّ بن الحباب و ابن باقا. مات فی ذی العقدة سنة سبع و ثمانین و ستمائة.

۱۰۵- محمد بن عبد الخالق بن طرخان شرف الدین أبو عبد اللّه الأمویّ

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۲۷

الإسكندرانیّ. أجاز له أسعد بن روح، و سمع من علیّ بن البنّاء و الحافظ بن المفضل.

مات سنة سبع و ثمانین و ستمائة عن اثنتین و ثمانین سنة.

۱۰۶- غازی الحلاوی أبو محمد بن أبی الفضل بن عبد الوهاب الدّمشقیّ.

عن حنبل و ابن طبرزد. عمر دهرا، و انتهی إلیه علوّ الإسناد بمصر. مات بالقاهرة فی صفر سنة تسعین و ستمائة عن خمس و تسعین سنة.

۱۰۷- محمد بن إبراهیم بن ترجم أبو عبد اللّه المصریّ. آخر من روی عن الترمذیّ، عن علیّ بن البناء. مات سنة اثنتین و تسعین و ستمائة.

۱۰۸- التاج إسماعیل بن إبراهیم بن قریش المخزومیّ المصریّ المحدّث. عن جعفر الهمذانیّ و ابن المقیّر. مات فی رجب سنة أربع و تسعین و ستمائة.

۱۰۹- ابن الحامض أبو الخطاب محفوظ بن عمر بن أبی بکر البغدادیّ. عن عبد السلام الزّاهدیّ . مات بمصر یوم الأضحی سنة أربع و تسعین و ستمائة.

۱۱۰- سعد الدین عبد الرحمن بن علیّ بن القاضی الأشرف أحمد بن القاضی الفاضل عبد الرحیم. عن عبد الصمد الغضاریّ و جعفر الهمدانیّ. مات فی رجب سنة خمس و تسعین و ستمائة، و قد قارب السبعین.

۱۱۱- ابن الدّمیری محیی الدین عبد الرحیم بن عبد المنعم المصریّ. آخر من سمع من الحافظ علیّ بن المفضل و أبی طالب بن حدید، و أکثر عن الفخر الفارسیّ. مات فی المحرّم سنة خمس و تسعین و ستمائة، و له تسعون سنة.

۱۱۲- الجلال عبد المنعم بن أبی بکر بن محمد الأنصاریّ الشافعیّ. قاضی القدس، عالم دیّن، حدّث عن ابن المقیّر. مات بالقدس فی ربیع الآخر سنة خمس و تسعین و ستمائة.

۱۱۳- الوجیه النّفریّ المحدّث موسی بن محمد. أحد من عنی بمصر

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۲۸

بالحدیث، و أکثر عن أصحاب بن طبرزد. مات فی جمادی الآخرة سنة خمس و تسعین و ستمائة.

۱۱۴- ابن الأعلاقیّ أبو العبّاس أحمد بن عبد الکریم، ابن غازی الواسطیّ ثمّ المصریّ. عن عبد القویّ بن الحباب و ابن باقا. مات فی صفر سنة ست و تسعین و ستمائة.

۱۱۵- الضیاء السّبنیّ أبو الهدی عیسی بن یحیی بن أحمد الأنصاریّ الشافعیّ الصّوفیّ المحدّث . ولد سنة ثلاث عشرة و ستمائة، و سمع من الصّفراویّ و ابن المقیّر، و لبس الخرقة من السّهروردیّ. مات بالقاهرة فی رجب سنة ستّ و تسعین و ستمائة.

۱۱۶- محمد بن صالح بن خلف الجهنیّ المصریّ المغربیّ. عن ابن باقا، و عنه الذهبیّ. مات سنة سبع و تسعین و ستمائة.

۱۱۷- ابن الصّیرفیّ شرف الدین الحسن بن علیّ بن عیسی اللخمیّ المصریّ المحدّث. أحد من عنی بالحدیث. روی عن ابن رواح. مات فی ذی الحجّة سنة تسع و تسعین و ستمائة.

۱۱۸- محمد بن عبد الکریم بن عبد القویّ أبو السعود المنذریّ المصریّ. مات فی ربیع الأوّل سنة تسع و تسعین و ستّمائة عن خمس و سبعین سنة.

۱۱۹- الفخر محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن الحباب التمیمیّ المصریّ. ناظر الخزانة عن علیّ بن الجمل. مات فی ربیع الأوّل سنة تسع و تسعین و ستمائة عن خمس و سبعین سنة.

۱۲۰- محمد بن مکّی بن أبی المذکّر القرشی الصّقلیّ الرّقام. روی بمصر عن ابن صبّاح و الأیلیّ . مات فی ربیع الآخر سنة تسع و تسعین و ستمائة عن خمس و سبعین سنة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۲۹

۱۲۱- أبو المعالی أحمد بن إسحاق الأبرقوهیّ مسند الدیار المصریة، تفرّد بأشیاء. مات بمکّة حاجّا فی ذی الحجّة سنة إحدی و سبعمائة و له سبع و ثمانون سنة.

۱۲۲- علاء الدین علیّ بن عبد الغنی بن الفخر بن تیمیّة الشاهد. عن الموفّق عبد اللطیف و ابن روزبة. مات بمصر سنة إحدی و سبعمائة.

۱۲۳- الصاحب فتح الدّین عبد اللّه بن محمد بن أحمد المخزومیّ، ابن القیسرانیّ . من بیت الرّیاسة و الوزارة، ولی وزارة دمشق، ثمّ أقام بمصر مدّة موقّعا، و کان شاعرا أدیبا محدّثا، ألّف فی رجال الصحیحین من الصحابة، روی عنه الدّمیاطیّ.

مات بالقاهرة فی ربیع الآخر سنة ثلاث و سبعمائة.

۱۲۴- تاج الدین علیّ بن أحمد بن عبد المحسن الحسینیّ الغرّافیّ الشریف.

محدّث الإسکندریّة، عن أبی الحسن القطیعیّ و جماعة، تفرّد و رحل إلیه. مات فی ذی الحجّة سنة أربع و سبعمائة عن ستّ و سبعین سنة.

۱۲۵- محمد بن عبد المنعم شهاب الدین المصریّ، عن ابن باقا، و عنه السّبکیّ. مات بمصر سنة خمس و سبعمائة.

۱۲۶- زینب بنت سلیمان بن أحمد الإسعردیة. عن الزّبیدیّ و أحمد بن عبد الواحد البخاریّ. و تفرّدت بأشیاء. ماتت بمصر سنة خمس و سبعمائة عن بضع و ثمانین سنة.

۱۲۷- الصاحب تاج الدین محمد ابن الصاحب فخر الدین محمد ابن الوزیر بهاء الدین علیّ بن محمد بن حنّا . حدث عن سبط السّلفیّ، و کان رئیسا شاعرا. مات سنة سبع و سبعمائة.

۱۲۸- جمال الدین أبو بکر محمد بن عبد العظیم بن علیّ السّقطیّ القاضی.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۳۰

عن ابن باقا، و العلم ابن الصابونیّ. مات بالقاهرة سنة سبع و سبعمائة عن خمس و ثمانین سنة.

۱۲۹- شهاب الدین بن علیّ المحسنیّ أبو علیّ. عن ابن المقیّر و ابن رواج.

مات بمصر سنة ثمان و سبعمائة عن ثمانین سنة.

۱۳۰- نبیه الدّین حسن بن حسین بن جبریل الأنصاریّ. عن ابن المقیّر و ابن رواج. مات بمصر سنة تسع و سبعمائة عن تسع و سبعین سنة.

۱۳۱- عبد اللّه بن رعاف البغویّ. عن ابن المقیّر و ابن رواح، و العلم الصّابونی.

مات بمصر سنة عشر و سبعمائة.

۱۳۲- بهاء الدین علیّ بن الفقیه عیسی بن سلیمان الثعلبیّ المصری، ابن القیّم. عن الفخر الفارسی و ابن باقا. و کان ناظر الأوقاف. و ذکر مرّة للوزارة. مات بمصر فی ذی القعدة سنة عشر و سبعمائة عن سبع و تسعین سنة.

۱۳۳- عمر بن عبد النصیر القرشیّ الإسکندرانیّ أبو حفص الزّاهد العابد. عن ابن المقیّر و ابن الجمّیزیّ. مات فی المحرّم سنة إحدی عشرة و سبعمائة.

۱۳۴- القاضی المنشئ جمال الدین محمد بن مکرّم بن علیّ الأنصاریّ.

یروی عن مرتضی و ابن المقیّر. حدّث، و اختصر تاریخ ابن عساکر، و له نظم و نثر.

مات بمصر فی شعبان سنة إحدی عشرة و سبعمائة عن اثنتین و ثمانین.

۱۳۵- أبو الحسن علیّ بن هارون الثعلبیّ المحدّث. مسند دیار مصر. عن ابن صبّاح و ابن الزّبیدیّ و ابن اللّتّیّ. و تفرّد بالعوالی، و اشتهر. مات بمصر فی ربیع الآخر سنة اثنتی عشرة و سبعمائة عن ستّ و ثمانین سنة.

۱۳۶- عماد الدین أحمد بن القاضی شمس الدین محمد بن العماد إبراهیم المقدس الحنبلیّ عن الکاشغریّ و ابن الخازن و ابن رواح. تفرّد بأجزاء. مات بمصر فی جمادی الآخرة سنة اثنتی عشرة و سبعمائة عن خمس و تسعین سنة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۳۱

۱۳۷- نور الدّین علیّ بن نصر اللّه بن عمر القرشی المصریّ، ابن الصّواف.

راوی سنن النّسائیّ عن ابن باقا. سمع جعفرا الهمدانیّ، و العلم بن الصابونیّ، و أجاز له أبو الوفاء محمود بن منده. تفرّد و اشتهر. مات فی رجب سنة اثنتی عشرة و سبعمائة و قد قارب التسعین.

۱۳۸- ست الأکیاس موفقیة بنت عبد الوهاب بن عتیق بن وردان المصریة.

عن الحسن بن دینار و العلم ابن الصّابونیّ و عبد العزیز بن البیطار، و تفرّدت. ماتت سنة اثنتی عشرة و سبعمائة عن اثنتین و ثمانین سنة.

۱۳۹- زین الدین أبو محمد الحسن عبد الکریم بن عبد السلام الغماریّ المصریّ. سبط الفقیه زیادة. عن أبی القاسم بن عیسی المقرئ و محمد بن عمر القرطبیّ ، و تفرّد عنهما. مات سنة اثنتی عشرة و سبعمائة عن خمس و تسعین سنة.

۱۴۰- عماد الدّین علیّ بن الفخر عبد العزیز بن قاضی القضاة عماد الدین عبد الرحمن السکریّ. خطیب جامع الحاکم، و مدرّس مشهد الحسین. حدّث عن جدّه لأمّه ابن الجمّیزیّ. مات سنة ثلاث عشرة و سبعمائة و له أربع و سبعون سنة .

۱۴۱- فاطمة بنت عبّاس البغدادیة، الشیخة العالمة الفقیهة الزّاهدة الفاتنة الواعظة، سیّدة نساء زمانها، أمّ زینب. کانت وافرة العلم، حریصة علی النفع و التذکیر، ذات إخلاص و حشمة و أمر بالمعروف؛ انصلح بها نساء دمشق ثمّ نساء مصر. و کان لها قبول زائد، و وقع فی النفوس. ماتت بمصر فی ذی الحجّة سنة أربع عشرة و سبعمائة، عن نیّف و ثمانین سنة.

۱۴۲- جمال الدین عطیة بن إسماعیل بن عبد الوهاب اللّخمیّ الإسکندرانیّ، المنفرد بکرامات الأولیاء. عن المظفّر الفوّیّ. مات سنة أربع عشرة و سبعمائة، و هو من أبناء الثمانین.

۱۴۳- عز الدین أبو الفتح موسی بن علیّ بن أبی طالب العلویّ الموسویّ.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۳۲

عن الإربلیّ و المکرّم و السخاویّ و ابن الصّلاح، و تفرّد و رحل إلیه. مات بمصر فی ذی الحجّة سنة خمس عشرة و سبعمائة.

۱۴۴- فخر الدین عثمان بن بلبان المقاتلیّ المحدّث. مفید المنصوریّة، حدّث عن أبی حفص بن القوّاس و طبقته، و ارتحل و حصّل، و کتب و خرّج. مات بمصر سنة سبع عشرة و سبعمائة، عن اثنتین و خمسین سنة.

۱۴۵- زین الدین محمد بن سلیمان بن أحمد بن یوسف الصّنهاجیّ المراکشیّ ثمّ الإسکندرانیّ. عن ابن رواح و مظفّر بن الفوّیّ. مات فی ذی الحجّة سنة سبع عشرة و سبعمائة .

۱۴۶- الجلال محمد بن محمد بن عیسی القاهریّ. طبّاخ الصّوفیة. عن ابن قمیرة و ابن الجمّیزیّ و السارى . مات فی سنة ثمانی عشرة و سبعمائة.

۱۴۷- بدر الدین محمد بن منصور المصریّ، ابن الجوهریّ. روی عن إبراهیم بن خلیل و الکمال الضریر، و تلا بالسّبع و تفقّه. و ذکر للوزارة. مات بدمشق سنة تسع عشرة و سبعمائة.

۱۴۸- أبو علیّ الکردیّ الحسن بن عمر بن عیسی، تلا علی عیسی و سمع منه و من ابن اللّتیّ. و حدّث. مات بمصر فی ربیع الآخر سنة عشرین و سبعمائة، عن نیّف و تسعین سنة.

۱۴۹- کمال الدین عبد الرحمن بن عبد المحسن بن ضرغام الکنانیّ المصریّ خطیب جامع المقسیّة . عن السّبط؛ مات فی ربیع الآخر سنة عشرین و سبعمائة، و له ثلاث و تسعون سنة.

۱۵۰- شرف الدین یعقوب بن أحمد، ابن الصابونیّ. عن ابن عزّون و ابن علّاق.

مات بمصر سنة عشرین و سبعمائة عن ستّ و سبعین سنة.

۱۵۱- فخر الدین أبو الهدی أحمد بن إسماعیل بن علیّ بن الحباب الکاتب.

تفرّد بأجزاء عن سبط السّلفیّ. مات بمصر سنة عشرین، عن سبع و سبعین سنة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۳۳

۱۵۲- تاج الدین أحمد بن محبّ الدین محمد بن الکمال الضریر القیّاسیّ.

روی عن جدّه و ابن رواح و السّبط، مات بمصر فی جمادی الأولی سنة إحدی و عشرین عن تسع و سبعین سنة.

۱۵۳- تقیّ الدین محمد بن عبد الحمید بن محمد الهمدانیّ ثمّ المصریّ المهلبیّ. المحدّث الرحّال. عن إسماعیل بن عزّون و النجیب. مات سنة إحدی و عشرین عن نیّف و سبعین سنة.

۱۵۴- تقیّ الدین عتیق بن عبد الرحمن بن أبی الفتح العمریّ المحدث الزاهد.

له رحلة و فضائل. عن النّجیب و ابن علّاق. مات بمصر فی ذی القعدة سنة اثنتین و عشرین و سبعمائة.

۱۵۵- محیی الدین أبو القاسم عبد الرحمن بن أبی صالح بن مخلوف، ابن جماعة الرّبعیّ المالکیّ. مسند الإسکندریة. عن جعفر و التسارسیّ و ابن رواح، و تفرّد. مات فی ذی الحجّة سنة اثنتین و عشرین و سبعمائة.

۱۵۶- زین الدین عبد الرحمن بن أبی صالح رواحة بن علیّ بن الحسین بن مظفّر ابن نصیر بن رواحة الأنصاریّ الحمویّ الشافعیّ. عن جده لأمّه أبی القاسم بن رواحة و صفیّة القرشیة، و أجاز له ابن روزبة السّهروردیّ، و تفرّد، و رحل إلیه. مات بأسیوط فی ذی الحجّة سنة اثنتین و عشرین و سبعمائة عن أربع و سبعین سنة .

۱۵۷- زکیّ الدین عمر رکن الدین بن محمد بن یحیی القرشیّ. تفرّد عن السِّبط بجزء سفیان ، و بالدعاء للمحامليّ و مشیخته. مات بالإسکندریة فی صفر سنة أربع و عشرین عن خمس و ثمانین سنة.

۱۵۸- نور الدین علیّ بن جابر الهاشمی المحدّث. شیخ الحدیث بالمنصوریة.

حدّث عن زکی البیلقانیّ. مات سنة خمس و عشرین عن بضع و سبعین سنة.

۱۵۹- کمال الدین محمد بن علیّ بن عبد القادر التمیمیّ الهمدانیّ ثمّ المصریّ.

عن النجیب. مات فی المحرّم سنة ستّ و عشرین عن إحدی و سبعین سنة. حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة ؛ ج۱ ؛ ص۳۳۳

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۳۴

۱۶۰- نور الدین أبو الحسن علیّ بن عمر بن أبی بکر الوانیّ الصوفیّ. عن ابن رواج و السِّبط و المرسیّ. تفرد بعوالی. مات سنة سبع و عشرین و سبعمائة عن اثنتین و تسعین سنة.

۱۶۱- عز الدین إبراهیم بن أحمد بن عبد المحسن الحسینیّ القرافیّ . سمع من أبیه و المردینیّ، و أجاز له ابن یعیش و ابن رواح، و تفرّد. مات فی المحرّم سنة ثمان و عشرین و سبعمائة عن تسعین سنة.

۱۶۲- فتح الدین یونس بن إبراهیم بن عبد القویّ الکنانیّ العسقلانیّ مسند مصر.

آخر من روی عن ابن المقیّر. مات فی جمادی الأولی سنة تسع و عشرین و سبعمائة، و قد جاوز التسعین.

۱۶۳- عثمان بن الحافظ جمال الدین الظاهریّ. عن ابن علّاق و النّجیب، و کان مکثرا. مات فی رجب سنة ثلاثین و سبعمائة عن ستّین سنة.

۱۶۴- بدر الدین یوسف بن عمر الختنیّ. عن ابن رواج و البکریّ و الرشیدی، تفرّد بأشیاء. مات بمصر فی صفر سنة إحدی و ثلاثین و سبعمائة عن أربع و ثمانین سنة .

۱۶۵- تاج الدین أبو القاسم عبد الغفّار بن محمد بن عبد الکافی السعدیّ الشافعیّ المحدّث. عن ابن عزّون و النّجیب و عدّة، و خرّج التّساعیات و المسلسلات، و تمیّز و أتقن، و ولی مشیخة الصالحیة و أفتی. مات فی ربیع الأول سنة اثنتین و ثلاثین و سبعمائة.

۱۶۶- نور الدین علیّ بن التاج إسماعیل بن قریش المخزومیّ. عن المنذریّ و الرشیدی و ابن عبد السلام. مات فی رجب سنة اثنتین و ثلاثین و سبعمائة عن ثمانین سنة.

۱۶۷- وجیهة بنت علیّ بن یحیی الأنصاریة البوصیریّة . عن البخاریّ و یوسف الشاولیّ و یعقوب الهذبانیّ. ماتت بالإسکندریة فی رجب سنة اثنتین و ثلاثین و سبعمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۳۵

۱۶۸- شمس الدین حسین بن أسد بن مبارک، ابن الأثیر الواعظ. عن المنذریّ و النّجیب. و کان حسن العلم و المذاکرة. مات بمصر سنة خمس و ثلاثین و سبعمائة عن أربع و ثمانین سنة.

۱۶۹- شرف الدین یحیی بن یوسف المقدسیّ. مسند مصر، عن ابن رواج و ابن الجمّیزیّ و تفرّد. مات فی جمادی الآخرة سنة سبع و ثلاثین و سبعمائة عن نیّف و تسعین سنة.

۱۷۰- محیی الدین یحیی بن فضل اللّه العمریّ. کاتب السرّ بمصر. روی عن ابن عبد الدائم و غیره. مات فی رمضان سنة ثمان و ثلاثین و سبعمائة، عن ثلاث و تسعین سنة.

۱۷۱- موفّق الدین أحمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن مکیّ .

آخر من حدّث بالسّماع عن جدّ أبیه. مات بمصر فی جمادی الأولی سنة تسع و ثلاثین و سبعمائة، و کان من أبناء التسعین.

۱۷۲- محمد بن غالی بن نجم الدّمیاطیّ. عن النّجیب، و عنه البلقینیّ. ولد سنة خمس و ستمائة، مات سنة إحدی و أربعین و سبعمائة.

۱۷۳- إبراهیم بن علیّ بن یوسف بن سنان الزرزاریّ. عن ابن علاق و النّجیب، و عنه البلقینیّ و ابن الشیخة. مات فی ذی القعدة سنة إحدی و أربعین و سبعمائة.

۱۷۴- الجاولیّ الأمیر علم الدین سنجر بن عبد اللّه، أحد مقدّمی الألوف بالدیار المصریة. روی مسند الشافعیّ عن ابن دانیال، و شرحه بشرح جمع فیه بین شرحی الرافعی و ابن الأثیر، و رتّب الأمّ للشافعیّ. روی عنه العسجدیّ و ابن رافع. مات فی رمضان سنة خمس و أربعین و سبعمائة.

۱۷۵- جمال الدین عبد الرحیم بن عبد اللّه بن یوسف الأنصاریّ. یعرف بابن شاهد الجیش، سمع من إسماعیل بن عبد القوی بن عزّون و غیره، و أجاز له الرشیدیّ العطّار و ابن سراقة و الکمال الضریر. مات فی صفر سنة ستّ و أربعین و سبعمائة.

۱۷۶- أبو العباس أحمد بن إبراهیم بن المهندس. شیخ دار الحدیث بالکامليّة.

عن أحمد بن شیبان و ابن البخاریّ و خلق. مات فی شوّال سنة سبع و أربعین و سبعمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۳۶

۱۷۷- عمر بن حسین بن مکیّ الشّطنوفیّ سراج الدین. عن النّجیب و غیره. مات فی رمضان سنة سبع و أربعین.

۱۷۸- الصاحب شرف الدین محمد بن الصاحب زین الدین أحمد بن الصاحب فخر الدین بن الصاحب بهاء الدین بن حنّا. الفقیه الشافعیّ. سمع من العزّ الحرانیّ و غیره، و حدّث و درّس بالشریفیّة. مات سنة سبع و أربعین و سبعمائة فی رمضان.

۱۷۹- قطب الدین أبو بکر بن عامر بن الشیخ تقیّ الدین بن دقیق العید. عن جدّه و جماعة، و ولی قضاء المحلة، و درس بالسروریة. مات فی صفر سنة خمس و خمسین و سبعمائة.

۱۸۰- ناصر الدین محمد بن إسماعیل بن عبد العزیز بن عیسی بن أبی بکر بن أیّوب. یعرف بابن الملوک. مسند القاهرة، عن العزّ الحرانیّ و غیره. مات سنة ستّ و خمسین عن نحو ثمانین سنة.

۱۸۱- شرف الدین علی بن الحسین الأمویّ ثمّ المصریّ الشافعیّ، الشریف.

نقیب الأشراف، ولی قضاء العسکر، و وکالة بیت المال، و درّس بالمشهد الحسینیّ، و حدّث عن ستّ الوزراء. مات فی جمادی الآخرة سنة سبع و خمسین و سبعمائة.

۱۸۲- فخر الدین محمد بن محمد بن الحارث بن مسکین الزهریّ نائب الحکم بالقاهرة. حدّث عن جماعة، و أجاز له العزّ الحرانیّ و ابن البخاریّ و خلق. ولد سنة ثمان و ستین و ستّمائة. مات فی شعبان سنة إحدی و ستّین و سبعمائة.

۱۸۳- تقیّ الدین عبد الرحمن بن أحمد بن علیّ الواسطیّ الأصل، المصریّ المولد و الوفاة، المحدّث. ولد سنة سبع و تسعین و ستمائة، و تصدّر للإقراء بأماکن، و ولی مشیخة الحدیث بالشیخونیّة. مات فی شعبان سنة إحدی و ثمانین و سبعمائة.

۱۸۴- ابن الشیخة زین المدبر أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن المبارک الغزّیّ . عن الحجّار و غیره. ولد سنة خمس عشرة و سبعمائة. و مات فی ربیع الآخر سنة تسع و تسعین و سبعمائة.

۱۸۵- أحمد بن الحسن بن محمد بن محمد بن زکریا السویداویّ شهاب

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۳۷

الدّین. عن أبی القماح و المزنیّ و غیرهما. ولد سنة خمس و عشرین و سبعمائة. مات فی ربیع سنة أربع و ثمانمائة.

ذکر من کان بمصر من الفقهاء الشافعیة

۱- أبو عثمان محمد بن عمّ الإمام الشافعیّ. قال ابن یونس: کان فقیها توفّی بمصر سنة إحدی و ثلاثین و مائتین. قال الدّارقطنی: أخذ عن أبیه. ابن عمّ الشافعیّ.

۲، ۳، ۴، ۵- ابن بنت الشافعیّ، البویطیّ، حرملة، المزنیّ. مرّوا فی المجتهدین.

۶، ۷- الرّبیع بن سلیمان المرادیّ، یونس بن عبد الأعلی، مرّا فی الحفّاظ.

۸- عبد الحمید بن الولید بن المغیرة المصری النّحویّ أبو زید المعروف بکید.

أخذ عن الشافعیّ. و کان فقیها عالما بالأخبار، أعجوبة فیها. مات فی شوّال سنة إحدی و عشرین و مائتین.

۹- أبو علیّ عبد العزیز بن عمران بن أیّوب بن مقلاص الخزاعی المصریّ. کان فقیها فاضلا، زاهدا ثقة، و کان من أکابر العلماء المالکیّة، فلمّا قدم الشافعیّ مصر لزمه، و تفقّه علی مذهبه. مات فی ربیع الآخر سنة أربع و ثلاثین و مائتین.

۱۰- الرّبیع بن سلیمان بن داود الأزدیّ الجیزیّ أبو محمد. مات بالجیزة، و دفن بها فی ذی الحجة سنة ستّ و خمسین و مائتین.

۱۱- قحزم بن عبد اللّه الأسوانیّ، یکنی بأبی حنیفة. کان أصله قبطیّا، و کان من جلّة أصحاب الشافعیّ الآخذین عنه. کان مقیما بأسوان، یفتی بها علی مذهبه مدّة سنین. مات بها سنة إحدی و سبعین و مائتین.

۱۲- أخت المزنیّ، کانت تحضر مجلس الشافعیّ، و نقل عنها الرافعیّ فی الزّکاة. و ذکرها ابن السّبکیّ و الإسنویّ فی الطبقات.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۳۸

۱۳- أبو علیّ کنیز، خادم الخلیفة المنتصر بن المتوکل. قال الذهبیّ: کان من أئمة المذهب، تفقّه علی الزعفرانیّ، فلما قتل المنتصر خرج إلی مصر، و أخذ الفقه عن حرملة و الرّبیع، و کان یجلس فی حلقة ابن عبد الحکم و یناظرهم فقامت قیامتهم منه، فسعوا به إلی أحمد بن طولون، و قالوا: هذا جاسوس، فحبسه سبع سنین، فلما مات ابن طولون ذهب إلی الإسکندریة، فأقام بها سبع سنین، و أعاد کلّ صلاة صلّاها فی الحبس، ثمّ ذهب إلی الشام و أقام یقرئ بجامع دمشق.

۱۴- یوسف بن عبد الأعلی. قال العبادیّ: کان أحد فقهاء عصره، من أصحاب المزنیّ.

۱۵- عبدان المروزیّ. مرّ فی الحفّاظ.

۱۶- أبو زرعة محمد بن عثمان بن إبراهیم الدّمشقیّ. ولی قضاء مصر عن أحمد ابن طولون، فأقام فیه ثمانی سنین، ثمّ ولّی قضاء دمشق، فأدخل فیها مذهب الشافعیّ، و حکم به القضاة بعد أن کان الغالب علیهم مذهب الأوزاعیّ، و کان عفیفا شدید التوقّف فی الأحکام، بالغا فی الکرم أکولا، توفّی سنة اثنتین و ثلاثمائة.

۱۷- و ولده أبو عبد اللّه الحسین، عارف بالقضاء، کریم، جمع له بین قضاء مصر و الشام. مات یوم عید الأضحی سنة سبع و عشرین و ثلثمائة، عن ثلاث و أربعین سنة.

۱۸- أبو القاسم بشر بن نصر بن منصور البغدادیّ. یعرف بغلام عرق، قال، ابن یونس: ارتحل إلی مصر و تفقّه علی مذهب الشافعیّ، و کان متضلّعا فی الفقه دیّنا. توفّی بمصر فی جمادی الآخرة سنة اثنتین و ثلثمائة.

۱۹- النّسائی، مرّ فی الحفّاظ.

۲۰- منصور بن إسماعیل بن عمر أبو الحسن الفقیه. أحد أئمّة الشافعیّة، له مصنّفات فی المذهب و شعر حسن، سکن الرّملة، ثمّ قدم

مصر فمات بها سنة ستّ و ثلثمائة. ذکره ابن کثیر.

۲۱، ۲۲، ۲۳، ۲۴- ابن جویریة، أبو إسحاق المروزیّ، ابن الحدّاد، الماسرجسیّ، مرّوا فی المجتهدین.

۲۵- عبد اللّه بن محمد بن جعفر القزوینیّ أبو القاسم. سکن مصر، و أخذ عن یونس بن عبد الأعلی و الرّبیع بن سلیمان المرادیّ. و کان له حلقة للفتوی و الإشغال بمصر و للروایة. مات سنة خمس عشرة و ثلثمائة، نقل عنه الرافعیّ.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۳۹

۲۶- أبو علیّ الرّوذباریّ محمد بن أحمد بن القاسم البغدادیّ الزاهد. قال فی العبر: نزیل مصر و شیخها، صحب الجنید و جماعة، و کان إماما مفتیا، ورد عنه أنّه قال: أستاذی فی التصوّف الجنید، و فی الحدیث إبراهیم الحربیّ، و فی الفقه ابن سریج، و فی الأدب ثعلب. مات بمصر سنة اثنتین و عشرین و ثلثمائة .

۲۷- أبو هاشم إسماعیل بن عبد الواحد الرّبعیّ المقدسیّ. قال الذهبیّ: کان من کبار الشافعیّة، تولّی قضاء مصر فی سنة إحدی و عشرین و ثلثمائة، ثم عزل و أصابه فالج، فتحوّل إلی الرّملة، فمات بها سنة خمس و عشرین.

۲۸- أبو بکر محمد بن علیّ المصریّ المعروف بالعسکریّ. نسبته إلی حارة من مدینة مصر تسمی بالعسکر، نزلها عسکر صالح بن علیّ أمیر مصر. قال ابن یونس:

کان مختار أهل العسکر و مفتیهم. روی عن یونس بن عبد الأعلی و الرّبیع بن سلیمان.

مات یوم الأربعاء سابع ربیع الأول سنة سبع عشرة و ثلثمائة.

۲۹- أبو بکر محمد بن بشر بن عبد اللّه الزّبیریّ العسکریّ- بفتح المهملة و الکاف- قال ابن الصلاح: من أهل مصر، حدّث عن الربیع بمختصر البویطیّ و غیره . و قال ابن یونس: توفّی یوم الخمیس تاسع شوال سنة اثنتین و ثلاثین و ثلثمائة.

۳۰- أبو رجاء محمد بن أحمد بن الربیع الأسوانیّ. کان فقیها أدیبا شاعرا، سمع و حدّث و ألّف قصیدة نظم فیها قصص الأنبیاء و کتاب المزنیّ و الطبّ و الفلسفة مائة بیت و ثلاثین ألفا. مات فی ذی الحجّة سنة خمس و ثلاثین و ثلثمائة.

۳۱- عبد الرحمن بن سلمویه الرّازیّ. قال ابن یونس: قدم مصر و تفقّه بها، و أفتی و درّس فی جامعها العتیق. و توفّی بها سنة تسع و ثلاثین و ثلثمائة.

۳۲- محمد بن إبراهیم بن الحسین بن الحسن بن عبد الخالق ، أبو الفرج البغدادیّ الفقیه الشافعیّ. یعرف بابن سکّرة. قال ابن کثیر: سکن مصر، و حدّث بها، مات سنة اثنتین و أربعین و ثلثمائة.

۳۳- أبو بکر عبد اللّه بن محمد بن الحسین بن الخصیب بن الصّقر الخصیبیّ

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۴۰

الأصبهانیّ. له کتاب فی الفقه یسمّی المجالسة. ولی قضاء دمشق، ثمّ قضاء مصر سنة أربعین و ثلثمائة، فأقام بها إلی أن مات بها فی المحرّم سنة ثمان و أربعین، و ولّی بعده ابنه محمد، فأقام شهرا واحدا، ثمّ مرض، و مات فی سادس ربیع الأوّل من السنة.

۳۴- أبو بکر محمد بن موسی بن عبد العزیز الکندیّ المصریّ. یعرف بابن الجبّیّ ، نسبة إلی جبّة موضع بمصر. یلقّب سیبویه. و کان فقیها شاعرا فصیحا أخذ عن ابن الحدّاد، و کان یتظاهر بالاعتزال. ولد سنة أربع و ثمانین و مائتین، و مات فی صفر سنة ثمان و خمسین و ثلثمائة.

۳۵- أبو طاهر محمد بن عبد العزیز بن حسّون الإسکندرانیّ الفقیه الشافعیّ.

حدّث بدمشق، و توفّی فی رجب سنة تسع و خمسین و ثلثمائة.

۳۶- أبو أحمد عبد اللّه بن محمّد بن عبد اللّه بن الناصح المفسّر. کان فقیها شافعیّا، روی عنه الدّارقطنیّ و أثنی علیه. ولد بدمشق فی ربیع الأول سنة ثلاث و سبعین و مائتین. و سکن مصر، و مات بها یوم الثلاثاء فی رجب سنة خمس و ستّین و ثلثمائة.

۳۷- أبو الحسن محمّد بن عبد اللّه بن زكريّا بن حيويه القاضی النيسابوریّ ثم المصریّ. كان إماما من أئمة الشافعيّة فی الفرائض، رحل مع عمّه الحافظ يحيی بن زكريا الأعرج إلی مصر و استوطنها. ولد سنة ثلاث و سبعين و مائتين، و توفّی بمصر فی رجب سنة ستّ و ثلثمائة .

۳۸- أبو العبّاس أحمد بن محمد الديبلیّ. نزيل مصر، كان جيّد المعرفة بالمذهب، كثير النظر فی الأمّ، صالحا زاهدا، صاحب كرامات، كثير العبادات. مات فی رمضان سنة ثلاث و سبعين و ثلثمائة، و كان يری الجمع بين الصلاتين بعذر المرض، و كانت جنازته شيئا عجيبا، لم يبق بمصر أحد إلا حضرها.

۳۹- أبو الحسن الحلبیّ علیّ بن محمد بن إسحاق القاضی الشافعیّ. نزيل مصر، و روی عن علیّ بن عبد الحميد الغضائری و طبقته. توفّی سنة ستّ و تسعين و ثلثمائة، و قد عاش مائة سنة. قاله فی العبر.

۴۰- القاضی أبو الفضل محمد بن أحمد بن عيسی البغدادیّ. تفقّه علی الشيخ

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۴۱

أبی حامد، و سمع من جماعة كثيرة، و سكن مصر و أملی و أفاد. مات بها فی شعبان سنة إحدی و أربعين و أربعمائة.

۴۱- أبو الحسن عبد الملك بن عبد اللّه بن محمود بن صهيب بن مسكين المصریّ المعروف بالزّجاج. كان فقيها، سمع من أبيض بن محمد الفهریّ صاحب النّسائیّ. مات سنة سبع و أربعين و أربعمائة.

۴۲- أبو عبد اللّه محمد بن سلامة بن جعفر القضاعیّ . صاحب الشهاب و الخطط و غيرهما. كان فقيها شافعيّا، تولّی القضاء بالديار المصرية، روی عنه الخطيب البغدادیّ. قال ابن ماكولا: كان متفنّنا فی عدّة علوم. توفّی بمصر ليلة الخميس سابع عشر ذی القعدة سنة أربع و خمسين و أربعمائة.

۴۳- أبو القاسم نصر بن بشر بن علیّ العراقیّ نزيل مصر. كان فقيها محقّقا مناظرا مبرّزا. سمع و حدّث. و مات فی ذی الحجّة سنة سبع و سبعين و أربعمائة.

۴۴- أبو عبد اللّه الحسين بن عبد اللّه بن الحسين بن شريح الأمویّ. كان فقيها شافعيّا. سمع و حدّث. و توفّی بمصر سنة ستّين و أربعمائة.

۴۵- أبو القاسم علیّ بن محمد بن علیّ بن أحمد بن المعروف بالمصّيصیّ. كان فقيها فرضيّا. تفقّه علی القاضی أبی الطيب الطّبریّ. و روی الحديث عن جماعة بمصر و الشام و العراق، و أصله من المصّيصة، ولد بمصر فی رجب سنة أربعمائة، و مات بدمشق فی جمادی الآخرة سنة سبع و ثمانين و أربعمائة.

۴۶- الخلعیّ القاضی أبو الحسن علیّ بن الحسين الموصلیّ. و نسبته إلی بيع الخلع؛ لأنّه كان يبيعها لملوك مصر. ولد بمصر فی المحرّم سنة خمس و أربعمائة، و كان فقيها صالحا، له كرامات و تصانيف و روايات متّسعة. و كان أعلی أهل مصر إسنادا، جمع له أبو نصر أحمد بن الحسن الشيرازیّ عشرين جزءا، و خرّجها عنه، و سمّاها الخلعيات. و ولی قضاء الديار المصرية يوما واحدا ثمّ استعفی و اختفی بالقرافة.

مات بمصر فی ذی الحجة سنة اثنتين و تسعين و أربعمائة؛ و كان والده أيضا فقيها شافعيّا توفّی بمصر فی شوّال سنة ثمان و أربعين و أربعمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۴۲

۴۷- أبو الفتح سلطان بن إبراهيم بن مسلم المقدسیّ. قال السّلفیّ فی معجم شيوخه: كان من أفقه الفقهاء بمصر، و عليه قرأ أكثرهم؛ و هو شيخ صاحب الذخائر.

ولد بالقدس سنة اثنتين و أربعين و أربعمائة، و تفقّه علی الشيخ نصر المقدسیّ، و دخل مصر بعد السّبعين، و توفّی سنة ثمانی عشرة و

خمسمائة.

۴۸- أبو الحسين يحيى اللخمىّ المقدسىّ. تفقّه على الشيخ نصر المقدسىّ، و حدّث عنه، و تولّى قضاء الإسكندرية.

۴۹- أبو الحجّاج يوسف بن عبد العزيز بن على اللخمىّ الميورقىّ . كان عالما بارعا فقيها أصوليّا خلافيّا، زاهدا. تفقّه على الكيا الهراسىّ ببغداد، و استوطن الإسكندريّة، و صنّف تعليقة فى الخلاف. روى عنه السّلفىّ. مات فى آخر سنة ثلاث و عشرين و خمسمائة.

۵۰- مجلّى بن جميع بن نجا المخزومىّ الأرسوفىّ الأصل، ثمّ المصرىّ القاضى أبو المعالى. صاحب الذّخائر. تفقّه على الفقيه سلطان المقدسىّ، و برع فصار من كبار الأئمة، و تفقّه عليه جماعة، منهم العراقىّ شارح المذهب . و ولى قضاء الديار المصرية سنة سبع و أربعين و خمسمائة، ثمّ عزل سنة تسع و أربعين. و مات فى ذى القعدة سنة خمسين و خمسمائة. و من تصانيفه: كتاب أدب القضاء، و كتاب الجهر بالبسملة، نقل عنه فى الروضة.

۵۱- أبو محمد عبد اللّه بن رفاعة بن غدير السعدىّ المصرى. قاضى الجيزة، كان فقيها ماهرا فى الفرائض و المقدّرات، صالحا ديّنا، تفقّه على القاضى الخلعىّ، و لازمه، و هو آخر من حدّث عنه، ثمّ ترك القضاء و اعتزل فى القرافة، مشتغلا بالعبادة. ولد فى ذى القعدة سنة سبع و ستّين و أربعمائة، و مات فى ذى القعدة سنة إحدى و ستّين و خمسمائة.

۵۲- عمارة- بضم أوّله- بن علىّ بن زيدان اليمنىّ نجم الدين أبو محمد. كان فقيها فرضيّا شاعرا ماهرا. ولد سنة خمس عشرة و خمسمائة، و دخل مصر سنة خمسين، و مدح الخليفة الفائز و وزيره الصّالح بن رزّيك و استوطنها، فلمّا أزال السلطان صلاح

الدين رحمه اللّه تعالى دولة بنى عبيد، اتّفق عمارة هذا مع جماعة من الرؤساء على إعادة دولتهم، فعلم بهم السلطان، فأمر بشنقهم، و من جملتهم عمارة هذا، فشنقوا فى رمضان سنة تسع و ستّين و خمسمائة.

۵۳- أبو القاسم علىّ بن أبى المكارم بن فتيان الدّمشقىّ. أحد الأعيان بمصر.

قال النّووىّ: تفقّه على أبى المحاسن يوسف الدّمشقىّ، و له معرفة بفنون. مات سنة تسع و سبعين و خمسمائة.

۵۴- الخيوشانىّ نجم الدين أبو البركات محمد بن سعيد بن علىّ. كان فقيها فاضلا، كثير الورع، و به يضرب المثل فى الزّهد. تفقّه على محمد بن يحيى تلميذ الغزالىّ. و ألّف تحقيق المحيط فى شرع الوسيط فى ستّة عشر مجلدا، و تفقّه بالمدرسة الصلاحيّة المجاورة لضريح الإمام الشافعىّ. و كان شيخها و ناظرها، و له بنيت. ولد فى رجب سنة عشر و خمسمائة، و مات يوم الأربعاء ثانى عشر ذى القعدة سنة سبع و ثمانين، و دفن فى قبّة مفردة تحت رجلى الإمام الشافعى.

۵۵- أبو العبّاس أحمد بن المظفّر بن الحسين الدمشقىّ، المعروف بابن زين التّجار. كان من أعيان الشافعيّة. تولّى تدريس النّاصريّة المجاورة للجامع العتيق بمصر، و طالت مدّته فيها، فعرفت المدرسة به، و هى الآن معروفة بالشريفيّة؛ لأنّ الشريف العباسىّ شيخ ابن الرّفعة تولّاها، و طالت مدّته أيضا بها. مات فى ذى القعدة سنة إحدى و تسعين و خمسمائة.

۵۶- الشّهاب الطوسى أبو الفتح محمد بن محمود بن محمد. قال النّووىّ فى طبقاته: كان شيخ الفقهاء، و صدر العلماء فى عصره، إماما فى فنون؛ تفقّه على جماعة من أصحاب الغزالىّ؛ منهم محمد بن يحيى، و قدم مصر فنشر بها العلم، و وعظ و ذكر، و انتفع به الناس، و كان معظّما عند الخاصّة و العامّة، و عليه مدار الفتوى فى مذهب الشافعىّ. ولد سنة اثنتين و عشرين و خمسمائة، و توفّى بمصر فى ذى القعدة سنة ستّ و تسعين و خمسمائة، و حمله أولاد السلطان على رقابهم.

۵۷- العراقىّ شارح المهذّب أبو إسحاق إبراهيم بن منصور بن المسلم المصرىّ.

و إنّما قيل له العراقىّ، لأنّه سافر إلى بغداد و أقام بها مدّة يشتغل بها. ولد بمصر سنة عشر و خمسمائة، و اشتغل على صاحب الذخائر، و بالعراق على ابن الخلّ و غيره؛ ثمّ عاد إلى مصر، و تولّى خطابة الجامع العتيق بها، و شرح المهذّب شرحا حسنا. مات يوم الخميس

حادی عشر جمادی الأولی سنة ستّ و تسعین، و دفن بسفح المقطّم، و له ولد فاضل جلیل القدر اسمه أبو محمد عبد الحکم، ولی الخطابة بعد وفاة والده، و له خطب جیّدة و شعر لطیف.

۵۸- أبو القاسم هبة اللّه بن معدّ بن عبد الکریم القرشیّ الدمیاطیّ المعروف بابن البوریّ، نسبة إلی بور بلد قرب دمیاط، ینسب إلیها السمک البوریّ. تفقّه علی ابن أبی عصرون، و ابن الخلّ، ثمّ انتقل إلی الإسکندریة، و درس بمدرسة السّلفیّ. توفّی سنة تسع و تسعین و خمسمائة .

۵۹- إسماعیل بن محمد بن حسان القاضی أبو طاهر الأسوانیّ الأنصاریّ. رحل إلی بغداد، و تفقه علی ابن فضلان، و رجع فأقام بأسوان حاکما مدرّسا. مات بالقاهرة فی رمضان سنة تسع و تسعین و خمسمائة.

۶۰- صدر الدین أبو القاسم عبد الملک بن عیسی بن درباس الکردیّ الموصلیّ قاضی القضاة بالدیار المصریة. ولد سنة ستّ عشرة و خمسمائة، و تفقّه بحلب علی أبی الحسن المرادیّ. مات بمصر فی رجب سنة خمس و ستمائة.

۶۱- أخوه ضیاء الدین أبو عمرو عثمان بن عیسی بن درباس الکردیّ الموصلیّ.

صاحب الاستقصاء فی شرح المهذّب. کان من أعلم الفقهاء فی وقته بالمذهب، ماهرا فی أصول الفقه، قرأ علی الخضر بن عقیل الإربلیّ و ابن أبی عصرون، و شرح اللّمع لأبی إسحاق، و ناب عن أخیه صدر الدین فی الحکم بالقاهرة. مات فی الثانی من ذی القعدة سنة اثنتین و عشرین و ستّمائة، قد قارب التسعین، و دفن بالقرافة.

و له ولد یقال له:

۶۲- جمال الدین أبو إسحاق إبراهیم، کان فقیها محدّثا شاعرا، رحل، فمات بین الهند و الیمن سنة اثنتین و عشرین و ستمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۴۵

۶۳- السدید بن سماقة أبو إسحاق إبراهیم بن عمر الإسعردیّ. کان عالما صالحا. حدّث بمصر و الإسکندریّة، و ولیّ قضاء دمیاط، ثمّ عاد إلی بلاده، فمات بها سنة اثنتی عشرة و ستّمائة.

۶۴- المقترح تقیّ الدین مظفّر بن عبد اللّه بن علی المصریّ؛ و لقّب بالمقترح لأنّه کان یحفظه، و هو کتاب فی الجدل؛ کان إماما کبیرا، له التصانیف فی الفقه و الأصول و الخلاف، دیّنا متورّعا، کثیر الإفادة، متواضعا، تخرّج به جماعة بالقاهرة و الإسکندریة. ولد سنة ستّ و عشرین و خمسمائة، و مات فی شعبان سنة اثنتی عشرة و ستمائة.

۶۵- عبد الواحد بن إسماعیل بن ظافر الدّمیاطیّ صابر الدین. کان إماما فقیها متکلّما، درّس و أفاد، ولد سنة ستّ و خمسین و خمسمائة، و مات فی ربیع الأول سنة ثلاث عشرة و ستمائة.

۶۶- ضیاء الدین أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن إسماعیل القرشیّ المصریّ المعروف بابن الورّاق. کان إماما عالما، تفقّه بالطوسیّ و أعاد عنده، و سمع من ابن برّیّ. تفقّه علی المنذریّ. مات فی جمادی الآخرة سنة ست عشرة و ستمائة.

۶۷- صدر الدین شیخ الشیوخ محمد بن شیخ الشیوخ عماد الدین محمود بن حمویه الجوینیّ . برع فی المذهب، و أفتی و درّس، و ولی تدریس الشافعیّ و المشهد الحسینیّ و مشیخة سعید السعداء. و کان کبیر القدر، بعثه الملک الکامل رسولا إلی الخلیفة یستنجد به علی الفرنج لما أخذوا دمیاط، فأدرکه الموت بالموصل سنة سبع عشرة و ستمائة عن ثلاث و سبعین سنة.

۶۸- شهاب الدین محمد بن إبراهیم الحمویّ المعروف بابن الجاموس. کان من کبار الشافعیة، تفقه بحماة، و قدم الدیار المصریّة، فولی خطابة الجامع العتیق، و تدریس المشهد الحسینیّ. مات فی ربیع الأول سنة خمس عشرة و ستمائة.

۶۹- عبد السلام بن علیّ بن منصور الدّمیاطیّ المعروف بابن الخرّاط. ولد بدمیاط و رحل إلی بغداد، فتفقّه بها، و تمیّز فی الفقه و الخلاف، و رجع إلی بلده فأقام بها قاضیا مدرّسا، ثمّ ولی قضاء مصر و الوجه القبلیّ. ولد سنة إحدی و سبعین و خمسمائة، و مات سنة تسع عشرة و ستّمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۴۶

۷۰- أمین الدین مظفّر بن محمد بن إسماعیل التّبریزیّ. صاحب المختصر المشهور، لخّصه من الوجیز. کان عالما عابدا زاهدا. ولد سنة ثمان و خمسین و خمسمائة، و تفقّه ببغداد علی ابن فضلان، و قدم مصر فأعاد بالمدرسة الشریفیّة، و اختصر المحصول، و صنّف کتابا فی الفقه، ثلاثة مجلّدات، سمّاه سماط سمط الفوائد. سافر إلی شیراز، فمات بها فی ذی الحجّة سنة إحدی و عشرین و ستمائة.

۷۱- صدقة بن أبی کرم الیعقوبیّ. تفقّه ببغداد علی ابن فضلان و غیره، و قدم مصر، و ولی القضاء بأعمال الأشمونین، ثمّ رجع إلی بغداد، و أعاد بالنظامیّة. و ولی قضاء یعقوبا.

۷۲- عماد الدین أبو عمرو عثمان الکردیّ. تفقّه بالموصل علی جماعة، ثمّ رحل إلی أبیه عصرون، فتفقّه علیه، ثمّ قدم مصر فتولّی قضاء دمیاط، ثمّ ناب بالقاهرة، و درّس بالجامع الأقمر و غیره. مات فی ربیع الأول سنة عشرین و ستّمائة.

۷۳- أبو الطاهر طاهر خطیب الجامع العتیق بمصر. کان علّامة، فقیها ورعا، نقل عنه ابن الرّفعة فی المطلب.

۷۴- الجمال المصریّ یونس بن بدران بن فیروز. ولد بمصر فی حدود خمس و خمسین و خمسمائة، و سمع من السّلفیّ و غیره، و کان یشارک فی علوم کثیرة، و اختصر الأمّ للشافعیّ، و ألّف فی الفرائض، و درّس التفسیر بالعادلیة بدمشق، و ولی قضاء الشام.

مات فی ربیع الآخر سنة ثلاث و عشرین و ستّمائة .

۷۵- زین الدین أبو الحسن علیّ بن أبی المحاسن یوسف بن عبد اللّه بن بدران الدمشقیّ. تفقّه ببغداد علی والده، و برع فی المذهب، و سمع و حدّث، و ولی قضاء الدیار المصریّة، و مات بها فی جمادی الآخرة سنة اثنتین و عشرین و ستّمائة، و له اثنتان و سبعون سنة.

۷۶- عماد الدین عبد الرحمن بن عبد العلیّ المعروف بابن السّکّری. ولد بمصر سنة ثلاث و خمسین و خمسمائة، و تفقّه علی الشهاب الطوسیّ. و له مصنّف فی الدّور، و حواش علی الوسیط ، نقل عنه ابن الرّفعة فی المطلب، ولی قضاء الدیار المصریة، و مات فی شوّال سنة أربع و عشرین و ستمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۴۷

۷۷- تقیّ الدین صالح بن بدر بن عبد اللّه الزفتاویّ. تفقّه علی الشهاب الطوسیّ و تولّی القضاء. مات فی ذی القعدة سنة ثلاث و ستمائة، و هو ابن سبعین سنة.

۷۸- جلال الدّین أبو الغنائم همّام الدین بن راجی اللّه بن سرایا الصعیدیّ.

ولد بالصّعید سنة تسع و خمسین و خمسمائة، و قدم القاهرة، و أخذ العربیة عن ابن بریّ، و الأصول عن ابن ظافر بن الحسین، و رحل إلی العراق فتفقّه علی ابن فضلان و المجیر البغدادیّ. ثم عاد إلی مصر، و تولّی الخطابة بجامع الصّالح بن رزّیک، و درّس و أفتی، و صنّف فی الفقه و الخلاف و الأصول. مات فی ربیع الأول سنة ثلاثین و ستمائة.

و له حفید یقال له:

۷۹- تقی الدین أبو الفتح محمد بن محمد؛ صنّف کتابا فی الأدعیة و الأذکار، سمّاه سلاح المؤمن. مات فی ربیع الأول سنة خمس و أربعین و ستمائة بشاطئ النیل.

۸۰- شمس الدین عثمان بن سعید بن کثیر الصّنهاجیّ. قدم فی صباه مصر و استوطنها، و تفقّه بها علی الشهاب الطوسیّ، و برع فی المذهب، و درّس بالجامع الأقمر، و تولّی قضاء الأعمال القوصیّة. ولد فی حدود سنة خمس و ستّین و خمسمائة و مات بالقاهرة فی جمادی الأولی سنة تسع و ثلاثین و ستمائة.

۸۱- شرف الدین أبو المکارم محمد بن عبد اللّه بن الحسن السکندریّ المعروف بابن عین الدولة. قال المنذریّ: کان عالما بالأحکام الشرعیّة علی غوامضها.

ولد بالإسکندریة سنة إحدی و خمسین و خمسمائة، و تفقّه بالعراقیّ شارح المهذّب، و ولی قضاء الدیار المصریة. مات فی ذی القعدة

سنة تسع و ثلاثين و ستّمائة. و له ولد يقال له:

۸۲- محيى الدين عبد اللّه. ولى قضاء مصر أيضا، توفّى فى رجب سنة ثمان و سبعين، و مولده سنة سبع و تسعين و خمسمائة.

۸۳- علم الدّين على بن محمد بن عبد الصمد السخاوىّ أبو الحسن. كان فقيها مفتيا إماما فى القراءات و التفسير و النّحو و اللّغة. لازم الشاطبىّ، ثمّ سكن دمشق، و تصدّر للإقراء، و انتفع به النّاس، و له مصنّفات كثيرة؛ منها التفسير، و شرح المفصّل و شرح الشاطبية، مات ليلة الأحد ثانى عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث و أربعين و ستمائة.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۴۸

۸۴- شرف الدين عبد اللّه بن محمد بن علىّ الفهرىّ المعروف بابن التّلمسانىّ.

و صنّف إماما عالما بالفقه و الأصلين، تصدّر للإقرار بمدينة مصر، و انتفع به النّاس، و صنّف الكتب المفيدة؛ منها شرح التنبيه، و شرحان على المعالم للإمام محيى الدين عثمان بن يوسف القليوبىّ. ولد سنة سبع و ستين و خمسمائة، و أجاز له أبو اليمن الكندىّ، و ناب فى الحكم بالقاهرة، و ألّف المجموع فى الفقه، و شرح الخطب النّباتيّة، أجاز للدمياطىّ. مات بالقاهرة ليلة السبت حادى عشر جمادى الآخرة سنة أربع و أربعين و ستمائة.

۸۵- بهاء الدين أبو الحسن علىّ بن هبة اللّه بن سلامة اللخمى المعروف بابن الجمّيزىّ. كان فقيها مقرئا، محدّثا. ولد بمصر يوم عيد الأضحى سنة تسع و خمسين و خمسمائة، و قرأ على الشاطبىّ، و تفقّه بالعراقىّ و الشهاب الطوسىّ و ابن أبى عصرون، و سمع من الحافظ بن عساكر و السّلفىّ. كتب له ابن أبى عصرون ما نصّه: «لمّا ثبت عندى علم الولد الفقيه الإمام بهاء الدين- وفقه اللّه- و دينه و عدالته رأيت تمييزه من بين أبناء جنسه، و تشريفه بالطّيلسان ...» إلى آخر ما كتب. قال فى العبر: تفرّد فى زمانه، و رحل إليه الطلبة، و انتهت إليه مشيخة العلم بالديار المصرية. مات بمصر فى رابع عشر ذى الحجّة سنة تسع و أربعين و ستمائة.

۸۶- الشريف شمس الدّين محمد بن الحسين بن محمد الحسينىّ الأموىّ المصرىّ المعروف بقاضى العسكر. كان إماما فقيها أصوليّا، نظّارا ديّنا، درّس بالشريفيّة، و شرح المحصول و فرائض الوسيط، و ولى نقابة الأشراف و قضاء العسكر.

مات فى ثالث عشر شوّال سنة خمسين و ستّمائة، و قد جاوز السبعين.

۸۷- الشّهاب القوصىّ أبو المحامدىّ إسماعيل بن حامد بن أبى القاسم الأنصارىّ ولد بقوص فى المحرّم سنة أربعة و سبعين و خمسمائة، و سمع و تفقّه، و درّس و حدّث، و خرّج لنفسه معجما فى أربع مجلّدات. و كان بصيرا بالفقه، أديبا أخباريّا.

روى عنه الدمياطىّ و غيره، و وقف دار حديث بدمشق، و مات بها فى سابع عشر ربيع الأوّل سنة ثلاث و خمسين و ستّمائة.

۸۸، ۸۹- الزكى المنذرىّ، الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام، مرّا.

۹۰- الشّريف عماد الدين العباسىّ. كان إماما عالما بالفروع، درّس بالشريفيّة مدّة

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۴۹

طويلة، و به عرفت، و اشتغل عليه ابن الرّفعة، و نقل عنه فى المطلب.

۹۱- ابن الأستاذ كمال الدّين أحمد بن القاضى زين الدين عبد اللّه بن عبد الرحمن الحلبىّ. كان عالما فقيها، محدّثا أصيلا فى العلم و الرّياسة و الوجاهة. شرح الوسيط فى عشرة مجلّدات، و ولى قضاء حلب، ثمّ لمّا أخذها التتار ارتحل إلى مصر، و درّس بالكهارية و غيرها، مات فى شوّال سنة اثنتين و ستّين و ستّمائة، و مولده سنة إحدى و عشرين.

۹۲- تاج الدين أبو بكر عبد اللّه بن أبى طالب الإسكندرانىّ. تفقّه على الفخر ابن عساكر؛ حتّى برع فى المذهب، و درّس و أفتى، و حدّث. مات فى سابع ذى الحجّة سنة ثلاث و ستّين و ستمائة.

۹۳- شرف الدين يعقوب بن عبد الرحمن قاضى القضاة شرف الدّين أبى سعد عبد اللّه بن أبى عصرون. روى و حدّث، و درّس بالمدرسة القطبيّة بالقاهرة مدّة، مات بالمحلّة فى رمضان سنة خمس و ستّين و ستّمائة، و له مسائل جمعها على المذهب.

۹۴- صدر الدین موهوب بن عمر بن موهوب الجزریّ. ولد بالجزیرة فی جمادی الآخرة سنة تسعین و خمسمائة، و أخذ عن العلم السخاویّ و الشیخ عزّ الدین بن عبد السلام، و تفقّه و برع فی المذهب و الأصول و النحو، و تخرّجت به الطلبة، و جمعت عنه الفتاوی المشهورة، و ولی القضاء بمصر. مات فجأة فی تاسع رجب سنة خمس و ستین و ستمائة.

۹۵- ابن بنت الأعزّ تاج الدین أبو محمد عبد الوهاب بن خلف بن بدر العلائیّ - و الأعزّ کان وزیر الکامل- کان المذکور عالما فاضلا صالحا، نزها، ولی قضاء الدیار المصریة، و تدریس الشافعیّ و الصالحیّة و الوزارة و غیر ذلک. مات فی سابع عشر رجب سنة خمس و ستّین و ستمائة. و له ولدان.

۹۶- أحدهما: صدر الدین عمر. کان فقیها عارفا بالمذهب له معرفة بالعربیّة، و دین و صلابة، درّس بالصالحیة و غیرها، مات یوم عاشوراء سنة ثمانین و ستّمائة، عن خمس و خمسین سنة.

۹۷- و الآخر تقیّ الدین أبو القاسم عبد الرحمن . کان فقیها إماما بارعا،

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۵۰

شاعرا. تفقّه علی والده، و علی ابن عبد السلام. و ولی قضاء القضاة و الوزارة و تدریس الشریفیّة و الشافعیّ و الصالحیّة و غیرها. مات فی سادس عشر جمادی الأولی سنة خمس و تسعین و ستّمائة.

و لصدر الدین ولد یقال له:

۹۸- محیی الدین، ولی نظر الخزانة و قضاء الإسکندریة و مات فی ربیع الآخر سنة اثنتین و سبعین و سبعمائة.

۹۹- نجم الدین أبو نصر الفتح بن موسی بن جماد المغربیّ الخضراویّ. کان عالما فاضلا فی فنون کثیرة. ولد بالجزیرة الخضراء سنة ثمان و ثمانین و خمسمائة، و تفقّه بدمشق، و أخذ النحو عن الکندیّ، و الأصول عن الآمدیّ، و نظم السیرة لابن هشام، و المفصّل للزمخشریّ و الإشارات لابن سینا. تولّی قضاء أسیوط و تدریس الفائزیّة بها. و مات فی رابع جمادی الأولی سنة ثلاث و ستّین و ستمائة.

۱۰۰- النصیر ابن الطبّاخ، نصیر الدین المبارک بن یحیی بن أبی الحسن البصریّ.

کان إماما متبحّرا فی الفروع. له اعتناء بالتنبیه، یدّعی أنه یخرج وسائل الفقه کلّها منه، درّس بالقطبیّة، و أعاد بالصالحیّة عند ابن عبد السلام. ولد فی ذی القعدة سنة تسع و ثمانین و خمسمائة، و مات فی جمادی الآخرة سنة تسع و ستّین و ستمائة.

۱۰۱- أبو إسحاق إبراهیم بن عیسی المرادیّ الأندلسیّ. قال النوویّ: کان شافعیّا إماما حافظا، متقنا محقّقا، زاهدا، ورعا، لم تر عینی مثله فی وقته، و کان بارعا فی معرفة الحدیث و علومه؛ ذا عنایة بالفقه و النحو و اللغة و معارف الصوفیّة. توفّی بمصر سنة ثمان و ستّین و ستّمائة.

۱۰۲- الکمال التّفلیسیّ أبو الفتح عمر بن عمر . کان فقیها فاضلا، أصولیّا بارعا خیّرا. ولد سنة إحدی و ستّمائة، و ولی قضاء الشام، و أقام بمصر مدّة ینشر العلم إلی أن مات فی ربیع الأوّل سنة اثنتین و سبعین و ستّمائة.

۱۰۳- سدید الدین عثمان بن عبد الکریم بن أحمد التّزمنتی. ولد بتزمنت سنة خمس و ستّمائة، و تفقّه بالقاهرة، و صار إماما بارعا عارفا بالمذاهب، و درّس بالفاضلیّة

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۵۱

و ناب فی الحکم، مات فی ذی القعدة سنة أربع و سبعین و ستمائة.

۱۰۴- ابن العامریّة، مرّ فی الحفّاظ.

۱۰۵- أبو الفضل محمد بن علیّ بن الحسین الخلاطیّ. سمع ببغداد و دمشق، ثمّ انتقل إلی القاهرة، فناب فی الحکم. و حدّث، و صنّف کتبا، منها قواعد الشرع و ضوابط الأصل، و الفرع علی الوجیز. مات بالقاهرة فی رمضان سنة خمس و سبعین و ستمائة.

۱۰۶- الکمال طه بن إبراهیم بن بکر الإربلیّ. کان فقیها أدیبا، ولد بإربل و دخل القاهرة شابّا، و انتفع به خلق کثیرون، روی عنه الدمیاطیّ. مات بمصر فی جمادی الأولی سنة سبع و سبعین و ستّمائة و قد جاوز الثمانین.

۱۰۷- جلال الدین أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الکندیّ الدّشناویّ. کان إماما فقیها ورعا، تفقّه بقوص رفیقا للشیخ تقیّ الدین بن دقیق العید ثمّ بالقاهرة علی ابن عبد السلام، هو و إیّاه. و شرح التّنبیه، و ألّف مناسک و کتابا فی الأصول، و آخر فی النحو و عاد إلی قوص، فتفقّه علیه بها جماعة، و تحکی عنه مکاشفات و أحوال صالحة.

مات بقوص فی رمضان سنة سبع و سبعین و ستّمائة.

۱۰۸- و له ولد یقال له: تاج الدین محمد، کان فقیها محدّثا أدیبا قارئا بالسبع.

ولد فی رجب سنة ستّ و أربعین و ستّمائة، و تفقّه علی والده و غیره. سمع و حدّث و درّس، و أفتی بقوص، مات بها لیلة الجمعة، ثالث الحجّة سنة اثنتین و عشرین و سبعمائة.

۱۰۹- ابن رزین تقیّ الدین أبو عبد اللّه محمد بن الحسین بن رزین العامریّ.

کان إماما بارعا فی الفقه و التفسیر، مشارکا فی علوم کثیرة، قال الإسنویّ: و یکفیک أنّ النّوویّ نقل عنه فی الأصول و الضوابط، مع تأخّر موته عنه. ولد بحماة یوم الثلاثاء ثالث شعبان سنة ثلاث و ستّمائة. و قرأ النّحو علی ابن یعیش، و الفقه علی ابن الصلاح، و لازمه، و انتقل إلی الدّیار المصریة، فانتفع به الطّلبة، و ولی قضاءها و تدریس الشافعیّ.

مات لیلة الأحد، ثالث رجب سنة ثمانین و ستّمائة، و دفن بالقرافة. و له ولدان:

۱۱۰- أحدهما: صدر الدین عبد البرّ، کان إماما فاضلا، و مدرّسا. مات بدمشق فی رجب سنة خمس و تسعین.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۵۲

۱۱۱- و الآخر: بدر الدین أبو البرکات عبد اللطیف. کان فقیها فاضلا معتنیا بالحدیث، درّس و أفتی، و ناب فی الحکم. مات بالقاهرة فی جمادی الآخرة سنة عشر و سبعمائة. و لبدر الدین ولد یقال له:

۱۱۲- علاء الدین عبد المحسن، کان فقیها فاضلا، عارفا بالأدب و التاریخ. مات فی شعبان سنة ثلاث و ثلاثین و سبعمائة.

۱۱۳- الجمال یحیی بن عبد المنعم المصریّ. کان إماما کبیرا فی مذهب الشافعیّ، أخذ عن أبی الطاهر المحلّی، و تولّی قضاء الغربیّة. مات فی رجب سنة ثمانین و ستمائة و قد قارب الثمانین.

۱۱۴- ظهیر الدین جعفر بن یحیی التّزمنتیّ. کان شیخ الشافعیة فی زمانه، تفقّه علی ابن الجمّیزیّ. و شرح مشکل الوسیط، و أخذ عنه فقهاء زمانه کابن الرّفعة فمن دونه، مات سنة اثنتین و ثمانین و ستمائة.

۱۱۵- سراج الدین موسی، أخو الشیخ تقیّ الدین بن دقیق العید. کان فقیها نظّارا شاعرا، تصدّر بقوص لنشر العلم و الفتوی، و صنّف المغنی فی الفقه. ولد بقوص سنة إحدی و أربعین و ستمائة، و مات فی شوّال سنة خمس و ثمانین.

۱۱۶- الوجیه البهنسیّ عبد الوهاب بن الحسن. کان إماما کبیرا فی الفقه دیّنا، ولی قضاء الدیار المصریة، و مات سنة خمس و ثمانین و ستمائة.

۱۱۷- القطب القسطلانیّ ، قطب الدین أبو بکر محمد بن أحمد بن علیّ المصریّ. ولد بمصر سنة أربع عشرة و ستّمائة، و تفقّه و أفتی، و کان ممّن جمع العلم و العمل، و ألّف فی الحدیث و التصوّف، و ولی مشیخة دار الحدیث الکامليّة. مات فی المحرّم سنة ستّ و ثمانین و ستّمائة.

۱۱۸- الکمال القلیوبیّ أحمد بن عیسی بن رضوان. کان عالما صالحا، له مصنّفات کثیرة، منها شرح التّنبیه، ولی قضاء المحلّة، و مات سنة تسع و ثمانین و ستمائة.

و له ولد یقال له:

۱۱۹- فتح الدین أحمد. کان فقیها أدیبا شاعرا، و له موشّحات فائقة، مات سنة خمس و عشرین و سبعمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۵۳

۱۲۰- ابن المرحّل زین الدین أبو حفص عمر بن مکّی بن عبد الصّمد. کان من علماء زمانه، دیّنا متمسّکا بطریقة السلف، تفقّه بابن عبد السّلام، و سمع من المنذریّ، و قرأ الأصلین علی الخسروشاهیّ، و درّس و أفتی و ناظر، و ولی خطابة دمشق و وکالة بیت المال بها. مات فی ربیع الأول سنة إحدی و تسعین و ستّمائة.

۱۲۱- ولده الشیخ صدر الدین محمد. کان إماما جامعا للعلوم الشرعیّة و العقلیة و اللّغویّة. ولد بدمیاط فی شوّال سنة خمس و ستّین و ستمائة، و تفقّه بأبیه و غیره، و درّس بالخشابیّة و المشهد الحسینیّ و النّاصریّة. و جمع کتاب الأشباه و النظائر، و مات قبل تحریره، فحرّره و زاد علیه ابن أخیه. مات بالقاهرة فی ذی الحجّة سنة ست عشرة و سبعمائة.

۱۲۲- ابن أخیه زین الدین محمد بن عبد اللّه الشیخ زین الدین عمر. کان عالما فاضلا فی الفقه، و الأصلین. ولد بدمیاط، و تفقّه علی عمّه و غیره. مات فی رجب سنة ثمان و ثلاثین و سبعمائة.

۱۲۳- عماد الدین عبد الرحمن بن أبی الحسن بن یحیی الدّمنهوریّ. کان فقیها فاضلا، له نکت علی التنبیه. ولد فی ذی القعدة سنة ست و ستمائة، و مات فی رمضان سنة أربع و تسعین.

۱۲۴- عبد اللطیف بن الشیخ عزّ الدین بن عبد السلام. ولد سنة ثمان و عشرین و ستّمائة، و تفقّه بأبیه، و تمیّز فی الفقه و الأصول، و مات بالقاهرة فی ربیع الآخر سنة خمس و تسعین.

۱۲۵- بهاء الدین هبة اللّه بن عبد اللّه بن سیّد الکلّ القفطیّ . ولد سنة ستّمائة، و قیل فی أواخر المائة قبلها، و تفقّه و برع فی علوم کثیرة، و ولی الحکم بإسنا، و درّس، و قصده الطلبة من کلّ مکان، و انتهت إلیه ریاسة العلم فی إقلیمه، و صنّف تفسیرا و کتبا کثیرة فی علوم متعدّدة، مات بإسنا سنة سبع و تسعین و ستمائة عن مائة سنة أو نحوها.

۱۲۶- ضیاء الدین أبو الفضل جعفر بن محمد بن الشیخ عبد الرحیم القناویّ الشریف. أحد کبار الشافعیّة. کان إماما فقیها أصولیّا أدیبا مناظرا. ولد سنة ثمانی

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۵۴

عشرة و ستّمائة، و تفقّه علی المجد بن دقیق العید، و البهاء القفطیّ، و تولّی قضاء قوص، و وکالة بیت المال، و اشتهر بمعرفة المذهب، و حدّث، و مات فی ربیع الأول سنة ستّ و تسعین.

و له ولد یقال له:

۱۲۷- تقیّ الدین أبو البقاء محمد. کان عالما صالحا، شاعرا زاهدا ورعا.

و کانت والدته أخت الشیخ تقیّ الدین بن دقیق العید. ولد بقوص سنة خمس و أربعین و ستمائة، و تولّی مشیخة الرسلانیة بمنشاة المهرانیّ، و أقام بها إلی أن مات فی جمادی الأولی سنة ثمان و عشرین و سبعمائة. و لتقیّ الدین ولدان:

۱۲۸- أحدهما فتح الدین علیّ. کان فقیها فاضلا، أدیبا شاعرا، کثیر الانقطاع، له ید فی حلّ الألغاز، درّس بإسنا، و مات بقوص فی رمضان سنة ثمان و سبعمائة.

۱۲۹- و الآخر عز الدین أحمد بن محمد، أعاد بالجامع الطّولونیّ، و ولی حسبة القاهرة، و مات بها سنة إحدی عشرة و سبعمائة.

۱۳۰- عبد العزیز بن أحمد بن سعید الدیرینیّ. کان عالما صالحا، نظم التّنبیه و الوجیز و سیرة نبویّة، و له تفسیر. مات سنة سبع و تسعین و ستمائة.

۱۳۱، ۱۳۲، ۱۳۳- ابن دقیق العید، الشرف الدّمیاطیّ، ابن الرّفعة، مرّوا.

۱۳۴- العلم العراقیّ عبد الکریم بن علیّ بن عمر الأنصاریّ. کان إماما فاضلا فی فنون کثیرة، خصوصا التفسیر، و کان أبوه من

الأندلس، فقدم مصر، فولد ولده هذا بها سنة ثلاث و عشرين و ستّمائة. و قيل له العراقيّ نسبة إلى جدّه لأمّه العراقى شارح المهذّب. و اشتغل هذا و برع؛ و صنّف الإنصاف بين الزّمخشرى و ابن المنير، و شرح التنبيه، و أقرأ الناس مدّة طويلة، و ولى مشيخة التفسير بالمنصوريّة. مات فى سابع صفر سنة أربع و سبعمائة.

۱۳۵- نور الدين علىّ بن هبة اللّه بن أحمد المعروف بابن الشهاب الإسنائىّ، كان إماما فى الفقه، ديّنا صالحا، تفقّه بالبهاء القفطىّ، و الجلال الدّشناوىّ. و لما حجّ كتب الرّوضة بمكّة، و هو أوّل من أدخلها إلى قوص، و أقام بقوص يدرّس و يفتى إلى أن مات بها سنة سبع و سبعمائة.

۱۳۶- عزّ الدين الحسن بن الحارث المعروف بابن مسكين. كان من أعيان الشافعية الصّلحاء، كتب ابن الرّفعة تحت خطّه على فتوى: «جوابى كجواب سيدى

و شيخى». درّس بالشّافعيّ، و مات فى جمادى الأولى سنة عشر و سبعمائة.

۱۳۷- عزّ الدين عبد العزيز بن عبد الجليل الغمراوىّ . كان عالما نظّارا، تصدّى للاشتغال و الإفتاء، و ولى درس التّفسير بالمنصوريّة. مات فى ذى القعدة سنة إحدى عشرة و سبعمائة .

۱۳۸- محبّ الدّين علىّ بن الشيخ تقىّ الدين بن دقيق العيد. ولد بقوص، فى صفر سنة سبع و خمسين و ستمائة، و كان فاضلا ذكيّا، شرح التعجيز شرحا جيّدا، و ولى تدريس الكهارية و السيفيّة. مات فى رمضان سنة ستّ عشرة و سبعمائة، و دفن عند والده. قال فى العبر: و هو زوج ابنة أمير المؤمنين الحاكم بأمر اللّه.

۱۳۹- عزّ الدين النّشائىّ أبو حفص عمر بن أحمد بن مهدىّ. كان إماما بارعا فى الفقه و النّحو و العلوم الحسابيّة، أصوليّا محقّقا، ديّنا ورعا، زاهدا متصوّفا، يحبّ السماع و يحضره، درّس بالفاضليّة و الجامع الأقمر، و تخرّج به خالق؛ منهم المجد الزّنكلونىّ. و صنّف نكتا على الوسيط. مات فى ذى القعدة سنة إحدى و تسعين و سبعمائة.

۱۴۰- ولده كمال الدين أبو العباس أحمد. ولد فى ذى القعدة سنة إحدى و تسعين و ستّمائة، و أخذ عن والده. و كان إماما حافظا للمذهب، متصوّفا طارحا للتّكلّف، درس بجامع الخطيرىّ، ببولاق، و صنّف جامع المختصرات و شرحه، و المنتقى و نكت التنبيه. مات يوم السبت عاشر صفر سنة سبع و خمسين و سبعمائة و دفن بالقرافة.

۱۴۱- محيى الدين يحيى بن عبد الرحيم بن زكير القرشىّ الفرضىّ. كان فقيها بارعا، أخذ عن الجلال الدشناوىّ. و انتصب للتدريس و الإفتاء. و كان مدار ذلك عليه فى إقليمه، اختصر الرّوضة، و انتشرت طلبته. مات بقوص فى المحرّم سنة ثمانى عشرة و سبعمائة.

۱۴۲- قطب الدين محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السّنباطىّ. كان إماما حافظا للمذهب، عارفا بالأصول، ديّنا سريع الدّمعة، صنّف تصحيح التعجيز، و أحكام

البعض ، و استدراكات على تصحيح التّنبيه، و اختصر قطعة من الرّوضة. مات بالقاهرة فى ذى الحجّة سنة اثنتين و عشرين و سبعمائة .

۱۴۳- نور الدين إبراهيم بن هبة اللّه بن علىّ الإسنائىّ. كان إماما عالما ماهرا فى فنون كثيرة: الفقه و الأصول و النحو، أخذ عن البهاء القفطىّ، و الشمس الأصبهانىّ، و البهاء ابن النّحاس، و اختصر الوسيط و الوجيز، و شرح المنتخب فى الأصول و ألفيّة ابن مالك. مات بالقاهرة سنة إحدى و عشرين و سبعمائة.

۱۴۴- نور الدين علىّ بن يعقوب بن جبريل البكرىّ، كان عالما صالحا نظّارا، ذكيّا متصوّفا، أوصى إليه ابن الرّفعة بأن يكمل المطلب، لما علمه من أهليّته لذلك دون غيره، فلم يتّفق له ذلك، لما كان يغلب عليه من التّجلّى و الانقطاع. مات سنة أربع و عشرين و سبعمائة .

۱۴۵- سراج الدین یونس بن عبد المجید الأرمنتیّ . ولد فی المحرّم سنة أربع و أربعین و ستمائة. و اشتغل بقوص علی المجد بن دقیق العید، و أجازه بالفتوی، ثمّ ورد مصر، فأخذ عن علمائها، و صار فی الفقه من کبار الأئمة مع أفضلیته فی النّحو و الأصول، و تصدّر للإقراء، و صنّف کتاب الجمع و الفرق و المسائل المهمة فی اختلاف الأئمة. لسعه ثعبان بقوص، فمات فی ربیع الآخر سنة خمس و عشرین و سبعمائة.

۱۴۶- القمولیّ نجم الدین أبو العباس أحمد بن محمد بن أبی الحزم مکیّ.

کان إماما فی الفقه، عارفا بالأصول العربیّة، صالحا متواضعا، صنّف البحر المحیط فی شرح کافیة ابن الحاجب، و شرح الأسماء الحسنی، ولی حسبة مصر ، مات فی رجب سنة سبع و عشرین و سبعمائة.

۱۴۷- فخر الدین محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن الصّقلیّ: تفقّه بالقطب السّنباطیّ، و صنّف التنجیز فی تصحیح التعجیز، مات فی ذی القعدة سنة سبع و عشرین و سبعمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۵۷

۱۴۸- عزّ الدین عبد العزیز بن أحمد بن عثمان الکردیّ. یعرف بابن خطیب الأشمونین. درّس و أفتی، و ألّف علی حدیث الأعرابیّ الذی جمع فی رمضان کتابا نفیسا فیه ألف فائدة و فائدة، ولی قضاء الأعمال القوصیّة و المحلّة، و درّس بالمعزّیة بمصر، مات فی أواخر سنة سبع و عشرین و سبعمائة.

۱۴۹- جمال الدین أحمد بن محمد بن سلیمان الواسطیّ، المعروف بالوجیزیّ، لکونه کان یحفظ الوجیز للغزالیّ، کان إماما حافظا للفقه؛ ولد بأشمون الرمّان سنة ثلاث و أربعین و سبعمائة، و تفقّه بالقاهرة إلی أن برع، و ناب فی الحکم بها. نقل عنه ابن الرّفعة علی حاشیة المطلب. مات فی رجب سنة سبع و عشرین و سبعمائة؛ أخذ عنه الإسنویّ.

۱۵۰- نجم الدین محمد بن عقیل بن أبی الحسن البالسیّ. کان فقیها محدّثا؛ ورعا قوّاما فی الحقّ، شرح التنبیه، و درّس بالمعزّیة ، و ناب فی الحکم بمصر عن ابن دقیق العید. مات سنة تسع و عشرین و سبعمائة.

۱۵۱- بدر الدین محمد بن إبراهیم بن سعد اللّه بن جماعة الکنانیّ الحمویّ.

قاضی القضاة بالدیار المصریة. ولد سنة تسع و ثلاثین و ستّمائة، و اشتغل بعلوم کثیرة، و أفتی قدیما، و عرضت فتواه علی النوویّ فاستحسن جوابه، و ألّف فی فنون کثیرة و حدّث و درّس بالکامليّة و غیرها. مات فی جمادی الأولی سنة ثلاث و ثلاثین و سبعمائة، و دفن بالقرافة.

۱۵۲، ۱۵۳، ۱۵۴، ۱۵۵- و ولده قاضی القضاة عزّ الدین. تقدّم فی الحفّاظ، و کذا ابن سیّد النّاس، و تقدم الکمال بن الزّملکانیّ فی المجتهدین، و کذا الشیخ تقی الدین السبکیّ.

۱۵۶- زین الدین عمر بن أبی الحزّم بن الکنانیّ ، شیخ الشافعیة فی عصره بالاتّفاق. ولد بالقاهرة سنة ثلاث و خمسین و ستّمائة، و تفقّه علی التّاج بن الفرکاح، و أفتی، و ولی قضاء دمیاط عن ابن دقیق العید، و ناب بالقاهرة و درّس بعدّة أماکن، و له حواش علی الرّوضة. مات فی رمضان سنة ثمان و ثلاثین و سبعمائة .

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۵۸

۱۵۷- نجم الدین حسین بن علیّ بن سیّد الکلّ الأسوانیّ. کان ماهرا فی الفقه فاضلا فی غیره؛ أفتی و تصدّر للإقراء بالقاهرة، و مات فیها فی صفر سنة تسع و ثلاثین و سبعمائة، و قد قارب المائة .

۱۵۸- الزّنکلونیّ مجد الدین أبو بکر بن إسماعیل بن عبد العزیز. کان إماما فی الفقه أصولیّا، محدّثا، نحویّا صالحا، قانتا للّه، صاحب کرامات؛ لا یتردّد إلی أحد من الأمراء، و یکره أن یأتوا إلیه، ملازما للاشتغال. و له شرح التنبیه الّذی عمّ النفع به؛ و شرح المنهاج. ولی مشیخة البیبرسیّة؛ و درّس الحدیث بها و بجامع الحاکم. مات سنة أربعین و سبعمائة.

۱۵۹- ابن القمّاح شمس الدین محمد بن أحمد بن إبراهیم بن حیدرة. کان عالما فقیها فاضلا محدّثا، سریع الحفظ. ولد بالقاهرة سنة ستّ و خمسین و ستّمائة، و اشتغل علی الظّهیر التّزمنتیّ . و ولی تدریس الشافعیّ. مات فی ربیع الأول سنة إحدی و أربعین و سبعمائة .

۱۶۰- أبو الفتح السّبکی تقیّ الدین محمد بن عبد اللطیف. کان فقیها أصولیّا، أدیبا شاعرا، تفقّه علی قریبه العلّامة تقیّ الدین السبکیّ. و ألّف تاریخا. مات فی ذی القعدة سنة أربع و أربعین و سبعمائة.

۱۶۱- ضیاء الدین محمد بن إبراهیم المناوی. ولد بمنیة القائد، سنة خمس و خمسین و ستمائة، و أخذ عن ابن الرّفعة و الأصبهانیّ و البهاء ابن النحّاس، و درّس بالشافعیّ، و شرح التنبیه. مات فی رمضان سنة ست و أربعین و سبعمائة .

و له ولدا أخ، أحدهما:

۱۶۲- شرف الدّین إبراهیم بن بهاء الدین إسحاق، عالم فاضل منقطع عن أبناء الدنیا، أخذ عن عمّه، و درّس و أفتی، و شرح فرائض الوسیط، مات فی رجب سنة سبع و خمسین.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۵۹

۱۶۳- و الآخر: تاج الدین محمد، أخو أشرف الدین. کان علی نمط أخیه، و تولّی قضاء العسکر و تدریس الشافعیّ. مات فی جمادی الأولی سنة خمس و ستّین و سبعمائة.

۱۶۴- الشّهاب بن الأنصاریّ أبو العباس أحمد بن محمد بن قیس، و یعرف بابن الظّهیر أیضا. شیخ الشافعیّة بالدیار المصریة، کان إماما فی الفقه و الأصلین. ولد فی حدود ستّین و ستّمائة بالجیزة، و أخذ عن الظّهیر و السدید التّزمنتیّ. و سمع من ابن خطیب المزّة، و درّس بالخشّابیة و الکهّاریة و المشهد الحسینیّ. مات بالطاعون سنة تسع و أربعین و سبعمائة.

۱۶۵- زین الدین عمر بن محمد بن عبد الحکم بن عبد الرازق البلفیائیّ. من إقلیم البهنسا. کان إماما فی الفقه، غوّاصا علی المعانی الدقیقة، منزّلا للحوادث علی القواعد و النظائر تنزیلا عجیبا، تفقّه علی العلم العراقیّ و العلاء الباجیّ، و شرح مختصر التّبریزیّ. مات فی ربیع الأول سنة تسع و أربعین و سبعمائة بالطّاعون. و کان والده أیضا عالما. شرع فی شرح الوسیط و لم یتمّه.

۱۶۶- عماد الدین محمد بن إسحاق بن محمد بن المرتضی البلبسیّ. کان من حفّاظ المذهب، أخذ عن ابن الرّفعة و غیره، و ولی قضاء الإسکندریة، مات بالطاعون فی شعبان سنة تسع و أربعین و سبعمائة. و قد قارب السبعین.

۱۶۷- ابن عدلان شمس الدّین محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهیم الکنانیّ.

کان إماما یضرب به المثل فی الفقه، عارفا بالأصلین و النّحو و القراءات ذکیّا نظّارا، فصیحا. ولد بمصر فی صفر سنة ثلاث و ستّین و ستمائة، و أخذ الفقه عن الوجیه البهنسیّ، و الأصول عن الشمس الأصبهانیّ، و النحو عن البهاء ابن النحاس، و شرح مختصر المزنیّ، مات بالطاعون فی ذی القعدة سنة تسع و أربعین و سبعمائة.

۱۶۸- ابن اللبّان شمس الدین محمد بن أحمد الدّمشقیّ ثمّ المصریّ. کان عارفا بالفقه و الأصلین و العربیّة. أدیبا شاعرا، ولد بدمشق ثمّ قدم إلی الدیار المصریة، فأنزله ابن الرّفعة بمصر و أکرمه إکراما کثیرا، و ولی تدریس الشافعیّ، و اختصر الرّوضة، و رتّب الأمّ. مات بالطاعون فی شوّال سنة تسع و أربعین و سبعمائة.

۱۶۹- نجم الدین الأصفونیّ أبو القاسم عبد الرحمن بن یوسف بن إبراهیم.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۶۰

ولد سنة سبع و سبعین و ستّمائة، و تفقّه علی البهاء القفطیّ، و غیره، و انتفع به خلق بقوص، و ألّف مختصر الرّوضة المشهور. مات بمکّة فی ذی الحجّة سنة خمسین و سبعمائة، و کان صالحا یتبرّک به .

۱۷۰- الفخر المصریّ محمد بن علیّ بن عبد الکریم. کان فقیها أصولیّا، نحویّا ذکیّا، تفقّه بابن الزّملکانیّ، و اشتهر بمعرفة المذهب، و أفتی و ناظر، و أشغل الناس مدّة، ولد سنة اثنتین و تسعین و ستّمائة، و مات فی ذی القعدة سنة إحدی و خمسین و سبعمائة.

۱۷۱- ناصر الدین محمد بن إبراهیم النّویریّ. کان خبیرا بالمذهب، مطّلعا علی دسائس متعلّقة بالرّوضة. ولی قضاء المحلّة، و مات بها فی صفر سنة إحدی و خمسین و سبعمائة.

۱۷۲- محیی الدین سلیمان بن جعفر الإسنویّ، خال الشیخ جمال الدین. کان فاضلا فی علوم، ماهرا فی الجبر و المقابلة، صنّف طبقات الشافعیّة، و درّس بالمشهد النّفیس. ولد سنة سبعمائة، و مات فی جمادی الأولی سنة ستّ و خمسین.

۱۷۳- نجم الدین محمد بن ضیاء الدّین أحمد بن عبد القویّ الإسنویّ. کان عالما فاضلا، انتفع به خلق، و ألّف فی علوم متعدّدة. مات فی ذی الحجّة سنة ثلاث و ستین و سبعمائة، و کان والده أیضا عالما فاضلا من کبار الصّالحین. له کرامات، تفقّه بالبهاء القفطیّ. مات سنة اثنتی عشرة و سبعمائة فی شوّال.

۱۷۴- العماد الإسنویّ محمد بن الحسن بن علیّ الإسنویّ. قال أخوه الشیخ جمال الدین فی طبقاته: کان فقیها إماما فی الأصلین و الخلاف و الجدل و التصوّف نظّارا بحاثا، طارحا للتکلّف، مؤثرا للتقشّف. ولد سنة خمس و تسعین و ستّمائة، و أخذ عن مشایخ القاهرة، و انتصب للتدریس و الإفتاء و التّصنیف. مات فی رجب سنة أربع و ستّین و سبعمائة.

۱۷۵- أخوه الشیخ جمال الدین عبد الرحیم، شیخ الشافعیّة، و صاحب التصانیف السائرة. ولد سنة أربع و سبعمائة، و أخذ عن التقیّ السّبکیّ و الزّنکلونیّ و القونویّ و أبی حیّان و غیرهم، و برع فی الأصول العربیّة و العروض، و تقدّم فی الفقه فصار إمام زمانه،

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۶۱

و انتهت إلیه ریاسة الشافعیة. و من تصانیفه المهمّات و الجواهر، و شرح المنهاج، و الألغاز، و الفروع، و مختصر الشرح الصغیر، و الهدایة إلی أوهام الکفایة، و شرح منهاج البیضاویّ، و شرح عروض ابن الحاجب، و التّمهید و الکوکب و تصحیح التنبیه، و التنقیح، و أحکام الخناثی، و الزوائد علی منهاج البیضاویّ، و طبقات الفقهاء، و الریاسة الناصریة فی الردّ علی من یعظم أهل الذمّة و یستخدمهم علی المسلمین، و کتاب الأشباه و النظائر، مات عن مسودّة، و شرح التنبیه، کتب منه مجلّدا؛ و شرح الألفیة لابن مالک، کتب منه ستّة عشر کرّاسا، و شرح التسهیل، کتب منه قطعة. مات فی جمادی الأولی سنة سبع و سبعین و سبعمائة، ورثاه البرهان القیراطیّ بقوله:

نعم قبضت روح العلا و الفضائلبموت جمال الدّین صدر الأفاضل

تعطّل من عبد الرحیم مکانهو غیّب عنه فاضل أیّ فاضل

أ حقّا وجوه الفقه زال جمالهاو حطّت أعالی هضبها للأسافل؟!

لقد هاب طرق المذهب الیوم سالکهو لو کان یحمی بالقنا و القنابل

لقد حلّ فی ذا العام فقدان عالمیقول فلا یلفی له غیر قائل

قفوا خبّرونا من یقوم مقامهو من ذا یردّ الآن لهفة سائل؟!

قفوا خبّرونا من یوقّف ظالماو یجزئ فی میدان کلّ مناضل؟!

قفوا خبّرونا هل له من مشابهقفوا خبّرونا هل له من مماثل؟!

فأعظم بحبر کان للعلم ساعیابعزم صحیح لیس بالمتکاسل

و أعظم به یوم الجدال مناظراإذا قال لم یترک مقالا لقائل

و أسیافه فی البحث قاطعة الظّبابجوهرها لم یفتقر للصّیاقل

یقوم بإنضاج المسائل مرشدالمستفهم أو طالب أو مسائل

و یجمع أشتات الفوائد جاهداو یسعی بجدّ نحوها غیر هازل

طوی الموت حقّا شافعیّ زمانهفمن بعده للأمّ وجد الثّواکل

و مذ رأته خیر نجل لبرّهبها أرضعته من ثدیّ الحوافل

أبان الخفايا شارحا ببيانهمنزّهة فی الوصف عن سحر بابل

له قدم فی الفقه سابقة الخطايقصّر عنها كلّ حاف و ناعل

تبارك من أعطاه فيه مراتبايقرّ له بالفضل كلّ مجادل

فكم كان يبدی فيه كلّ غريبةو يظهر من أبكاره بالعقائل

و كم بات يحيی فيه ليلا كأنّمايصيد درارى زهره بالحبائل

فأقلامه قيد الأوابد لم تزليقيّد منها كلّ صعب التّناول

مثقّفة ألفاظه حلوة الجنیفما هزّ فی الحالين غير عوامل

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۶۲ مضی فمضی فقه كثير إلی الثّریو هالت عليه التّرب راحة هائل

تنكّرت الدنيا و لكن تعرّفتبطيب الثنا عن فضله المتكامل

و ما شقّت الأقلام إلّا تعسّفالفقدانها بالرّغم خير أنامل

و كم لبست ثقوب الحداد محابرلحبر غدا فی سندس أیّ رافل

لقد كان للأصحاب منه بلا مراجمال، فدع قول الغبیّ المجامل

حوی من مواريث النبوّة إرثهو حاز حقيقا سهمه غير عائل

هو النّجم إلّا أنه البدر كاملاعلی أنّه شمس الضّحی فی التعادل

و بلدته إسنا محلّا و محتداو منزله فی الخلد أسنی المنازل

إذا ما أفاد النّقل فهو ختامهفلا تسمعن من بعد نقل ناقل

صدوق لدی عزو النقول محقّقو حاشاه من تلك النقول البواطل

و سحبان نطق فی الدّروس فصاحةفدع من له فی درسه عیّ باقل

يؤدّی من الأشغال بالعلم للوریفروضا و يفتی مقدما بالنوافل

و ينصر نصّ الشافعیّ و لم يزليناضل عنه كلّ خصم مناضل

حوی العلم و العلياء و الجود و التّقیو حاز بسبق فضل هذی الخصائل

هو النّجم من أفق المعارف قد هویفعاد دجی ضوء البدور الكوامل

هو الجبل الراسی تصدّع ركنهفللأرض ميد بعده بالزلازل

فمن ذا تطيب النّفس يوما بقولهإذا هو أفتی فی عويص المسائل

لئن مهّد التّمهيد مضجعه لهفكوكبه من بعده غير آفل

فيا عالما قد أذكر الناس آخرامزايا أولی العلم الكرام الأوائل

كفيت الوری أمر المهمّات ناهضابأعبائها، يا خير كاف و كافل

و أعملت فيها الدّهر حتّی تنقّحتو لم تشتغل عن أمرها بالشواغل

و أبرزت مكنون الجواهر للوریلأنّك بحر ماله من مساحل

و أوضحت فی الإيضاح للخلق مشكلافليس يری فی حسنه من مشاكل

و إن جعمت أهل العلوم محافلفألغازك العليا طراز المحافل

فروقك يا من كان للعلم جامعاتحيّر أذهان الرّجال الأماثل

تصانيف لا تخفی محاسنها الّتیهدايتها تهدی الوری بالدلائل

و تبدو فتغنی عن ریاض أنیقةو تتلی فتغنی عن سماع البلابل

تمحّض منها القصد فیها فأرشدتحیاری ثووا من جهلهم فی مجاهل

توفّرت سهما فی الأصول لأجلهغدا السّیف نائی الحدّ واهی الحمائل

لعمرک إنّ النّحو یا زید قد بدالموتک فی حال من الحزن حائل

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۶۳ فلو فارسیّ الفنّ غامرک اغتدیلنحوک یسعی و هو فی زیّ راجل

عدمناک شیخا کم جلا من علومهعقائل صینت بعده فی معاقل

و کم جاء فی فنّ الخلیل بن أحمدبأحمد أقوال أتت بالفواصل

لئن نال أسباب السماء بعلمهفأوتاده فی المجد غیر مزایل

و أدمعنا بحر مدید و حزنناطویل لبحر وافر الجود کامل

و کان أبا للطالبین یریهمفواضله مقرونة بالفضائل

نصیحا لطلّاب العلوم جمیعهمفلم یأل جهدا عند تعلیم جاهل

یحرّر فی علم ابن إدریس للوریدروسا تولّی حملها خیر حامل

و یرشد بالتهذیب طلّاب علمهفینظر منهم کاملا بعد کامل

و لا یرتئی فی شکره غیر حاسدو لا یمتری فی علمه غیر ناکل

یجود بأنواع الفضائل جهرةو یجهد فی إخفائها للفواضل

هو البحر علما بل هو البحر فی ندیلقد مرج البحرین منه لآمل

و إنّ ابن رفعة لو تقدّم عصرهطوی نحوه البیداء سیر المحامل

و لو شاهد القفّال یوما دروسهلما کان یوما عن حماه بقافل

ترنّم فی أمداحه کلّ صادقفأطرب فی إنشادها سمع ذاهل

سأبکیه بالدّرّین دمع و منطقلبحرین من علم و برّ حواصل

لقد هجرت صاد المناصب نفسه کما هجرت راء الهجا نفس واصل

تنزّه عنها و هی لا تستفزّهبزخرفها الخدّاع خدع المجامل

و ما مدّ عینا نحوها إذ تبرّجتتبرّج حسناء الحلی فی الغلائل

و یلقاک بالترحیب و البشر دائمافلم تره إلّا کریم الشمائل

صفت منه أخلاق لقاصده کماصفا منه للعافین شرب المناهل

أعزّی محاریب العلا بإمامهاو إن کان مأموما بأعظم نازل

أعزّی دروس الفقه بعد دروسهالتصدیرهمّ من بعده کلّ خامل

فقل لحسود لا یسدّ مکانهسیفضحک التخجیل بین المحافل

بحقّ حوی عبد الرّحیم سیادةو أعداؤها کم حاولوها بباطل

تطاول قوم کی یحلّوا محلّهفما ظفروا ممّا تمنّوا بطائل

أ تمتدّ نحو النجم راحة قاصرو أین الثریّا من ید المتناول!

و من رام فی الإقراء عالی شأنهفذلک عند النّاس لیس بعاقل

أحلّ جمال الدین فی الخلد ربّهلیحظی بعفو منه شاف و شامل

و روّاه مولاه الرّحیم برحمةیحیّیه منها هاطل بعد هاطل

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۶۴ و وافاه رضوان الجنان مبادرابشیرا برضوان سریع معاجل

و حیّاه بالرّیحان و الرّوح و الرّضاإله البرایا فی الضّحی و الأصائل

لقد کان فی الأعمال و العلم مخلصالمن لم یضیّع فی غد سعی عامل

فلهفی لأمداح علیه تحوّلتمراثی تبکی بالدموع الهوامل

یساعدنی فیه الحمام بشجوهاو أغلبها من لوعتی بالبلابل

صرفت علیه کنز صبری و أدمعیفأفنیت من هذا و هذا حواصلی

سأنشد قبرا حلّ فیه رثاءهو أسمع ما أملیه صمّ الجنادل

و ما نحن إلا رکب موت إلی البلیتسیّرنا أیّامنا کالرّواحل

قطعنا إلی نحو القبور مراحلاو ما بقیت إلّا أقلّ المراحل

و هذا سبیل العالمین جمیعهمفما النّاس إلّا راحل بعد راحل

و له أخ یقال له:

۱۷۶- نور الدین علیّ، کان فقیها، فاضلا. شرح التعجیز. مات فی رجب سنة خمس و سبعین و سبعمائة.

۱۷۷- شهاب الدین بن النقیب، أبو العباس أحمد بن لؤلؤ، أحد علماء الشافعیّة، و صاحب مختصر الکفایة و نکت التنبیه و تصحیح المهذّب، و غیر ذلک. ولد بالقاهرة سنة اثنتین و سبعمائة، و مات بها فی رمضان سنة تسع و ستّین و سبعمائة.

۱۷۸- بهاء الدین أبو حامد بن الشیخ تقیّ الدین السبکیّ. ولد فی جمادی الآخرة سنة تسع عشرة و سبعمائة، و أخذ عن أبیه و أبی حیّان و الأصبهانیّ و ابن القمّاح و الزّنکلونیّ و التقیّ الصائغ و غیرهم. و برع و هو شابّ، و ساد و هو ابن عشرین سنة.

و ولی تدریس الشافعیّ و الشیخونیّة أوّل ما فتحت. و له تصانیف، منها شرح الحاوی، و تکملة شرح المنهاج لأبیه، و عروس الأفراح فی شرح تلخیص المفتاح. مات بمکّة فی رجب سنة ثلاث و سبعین.

و قال البرهان القیراطیّ یرثیه:

ستبکیک عینی أیّها البحر بالبحرفیومک قد أبکی الوری من ورا النّهر

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۶۵ لقد کنت بحرا للشریعة لم تزلتجود علینا بالنّفیس من الدّرّ

لقد کنت فی کلّ الفضائل أمّةمقالة صدق لا تقابل بالنّکر

لقد کنت فی الدّنیا جلیلا یعدّهبنوها لتیسیر الجلیل من العسر

إلیک یردّ الأمر فی کلّ معضلإلی أن أتی ما لا یردّ من الأمر

تعزّی بک الأمصار مصرا لعلمهابأنّک ما زلت العزیز علی مصر

مضیت فما وجه الصباح بمسفرو بنت، فما ثغر الأقاحی بمفترّ

و زلت فما و دق النّوال بهاطلو غبت فما برق المنی باسم الثّغر

و أوحش أرض العلم منک و أفقهفذاک بلا زهر و هذا بلا زهر

تکاملت أوصافا و فضلا و سؤدداو لا بدّ من نقص فکان من العمر

نحاک بهاء الدین ما لا یردّهإذا ما أتی تدبیر زید و لا عمرو

لئن غادرتک الأرض حملا ببطنهافإنّا حملنا کلّ قاصمة الظّهر

و أطلقت منّی دمع عینی بأسرهو صیّرت منّی مطلق القلب فی أسر

بكت عين شمس الأمن للبدر موت من‌مناقبه تزهو على الأنجم الزّهر

تبوّأ بالفردوس ممدود ظلّه‌و أصبح من قصر يسير إلى قصر

توقّع قلب النّيل فقدان ذاته‌أ لست تراه فى احتراق و فى كسر؟!

أضاء بشمس منه مغرب لحده‌و أظلم لمّا أن مضى مطلع البدر

لئن عطّرت أعماله ترب قبره‌سيبعث فى يوم اللّقا طيّب النّشر

فلا حلو لى بالصّبر من بعد يوم من‌بكته عيون النّاس فى الحول و الشّهر

و قد كان شهدى حين منطقه و قدترحّل، لا شهدى أقام و لا صبرى

و لو أنّ عينى يطرق النّوم جفنهاتعلّلت بالطّيف الذى منه لى يسرى

تطهّر أخلاقا و نفسا و عنصراو صار لجنّات الرّضا كامل الطّهر

ثوى فى الثرى جسما و لكنّ روحه‌سمت نحو علّيين عالية القدر

فروّاه تحت التّرب للّه درّه‌سحاب من الغفران متّصل الدّر

و وافاه رضوان برضوان ربّه‌بشيرا و لاقى ما يؤمّل من ذخر

و حيّاه ريحان الإله و روحه‌و آنسه بالعفو فى وحشة القبر

عفا اللّه عن ذاك المحيّا فإنّه‌محلّى بأنواع البشاشة و البشر

مع السلف الماضين يذكر فضله‌و يحسب و هو الصّدر من ذلك الصّدر

لقد عطّلت منه الرّياسة جيدهاو قد كان حلّاها بعقد من الفخر

و طرف الدواة الأسود ابيضّ بعده‌من الحزن يشكو فقد أقلامه الخضر

لقد كان للتفسير فى الذّكر آية‌يفوق إذا قابلته بفتى حبر

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۶۶

۱۷۹- أخوه جمال الدين الحسين أبو الطيب بن الشيخ تقىّ الدّين السّبكىّ. ولد فى رجب سنة اثنتين و عشرين و سبعمائة، و أخذ عن أبيه و الأصبهانىّ و الزّنكلونىّ، و أبى حيّان و فضل و درّس بعدّة أماكن، و ألّف كتابا فى «من اسمه الحسين بن علىّ». مات فى حياة أبيه فى رمضان سنة خمس و خمسين .

۱۸۰- قاضى القضاة أبو البقاء محمد بن عبد البرّ بن الصّدر يحيى بن علىّ بن تمّام السبكىّ. ولد سنة ثمان و سبعمائة ، و أخذ عن القطب السّنباطىّ و الزّنكلونىّ و الكتنانىّ و أبى حيّان و القونوىّ . و كان إماما فى علوم شتّى، و له شرح الحاوى، و اختصر قطعة من المطلب، و ولى قضاء الدّيار المصرية، و تدريس الشافعىّ. مات فى ربيع الأول سنة سبع و سبعين و سبعمائة .

۱۸۱- ولده بدر الدين محمد. ولى قضاء الديار المصرية مرارا، و تدريس الشافعىّ، و كان ماهرا فى الفنون، منصفا فى البحث، مات سنة اثنتين و ثمانمائة.

۱۸۲- بدر الدين محمد بن عبد اللّه بن بهادر الزركشىّ. ولد سنة خمس و أربعين و سبعمائة، و أخذ عن الإسنوىّ و مغلطاى و ابن كثير و الأذرعىّ و غيرهم. و ألّف تصانيف كثيرة فى عدّة فنون، منها الخادم على الرافعىّ و الروضة، و شرح المنهاج، و الدّيباج، و شرح جمع الجوامع و شرح البخارىّ و التّنقيح على البخارىّ و شرح التّنبيه، و البرهان فى علوم القرآن، و القواعد فى الفقه، و أحكام المساجد، و تخريج أحاديث الرافعىّ، و تفسير القرآن، وصل إلى سورة مريم، و البحر فى الأصول، و سلاسل الذّهب فى الأصول و النّكت على ابن الصلاح و غير ذلك. مات يوم الأحد ثالث رجب سنة أربع و تسعين و سبعمائة، و دفن بالقرافة الصغرى .

۱۸۳- البرهان الأبناسىّ، إبراهيم بن موسى بن أيّوب، الورع الزاهد، شيخ الشيوخ بالديار المصرية. ولد سنة خمس و عشرين و

سبعمائة، و أخذ عن الإسنوىّ و غيره. و له تصانيف، و ولى مشيخة سعيد السعداء، و عيّن لقضاء الشافعية فاختفى.

و كان مشهورا بالصلاح، تقرأ عليه الجنّ. مات فى المحرّم سنة اثنتين و ثمانمائة، راجعا من الحجّ، و دفن بعيون القصب .

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۶۷

ورثاه الحافظ زين الدين العراقىّ بقصيدة يقول فيها: حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة ؛ ج ۱ ؛ ص ۳۶۷

زهدت حتّى فى القضاء إذ أتى إليك مسئولا بلا تردّد

۱۸۴- ابن الملقّن سراج الدين أبو حفص عمر بن على بن أحمد بن محمّد الأنصارىّ . ولد سنة ثلاث و عشرين و سبعمائة، و سمع على ابن سيّد الناس، و لازم الزّين الرّحبىّ و مغلطاى، و اشتغل بالتّصنيف و هو شابّ حتّى كان أكثر أهل العصر تصنيفا. مات فى ربيع الأوّل سنة أربع و ثمانمائة.

و من تصانيفه شرح البخارىّ و شرح العمدة، و شرحان على المنهاج و على التّنبيه، و على الحاوى، و على منهاج البيضاوىّ، و الأشباه و النظائر و غير ذلك .

۱۸۵، ۱۸۶، ۱۸۷- البلقينى و العراقىّ و ولده مرّوا.

۱۸۸- بدر الدين محمد بن شيخ الإسلام سراج الدين البلقينىّ، أبو اليمن، ولد سنة إحدى و تسعين و سبعمائة.

۱۸۹- أخوه جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن قاضى القضاة. ولد فى رمضان سنة ثلاث و ستّين و سبعمائة، و اشتغل على والده و غيره. و كان ذكيّا قوىّ الحافظة، و اشتهر اسمه، و طار ذكره فى البلاد، و خصوصا بعد موت والده، و انتهت إليه رياسة الفتيا، و كان حسن السّيرة فى القضاء، عفيفا نزها، قامعا للمبتدعة. مات فى عاشر شوّال سنة أربع و عشرين و ثلثمائة .

۱۹۰- الكمال الدّميرى محمد بن موسى بن عيسى. لازم البهاء السّبكى، و تخرّج به و بالإسنوىّ. و غيرهما. و سمع على العرضىّ و غيره، و مهر فى الأدب، و درّس الحديث بقبّة بيبرس. و له تصانيف؛ منها شرح المنهاج و المنظومة الكبرى و حياة الحيوان. و اشتهرت عنه كرامات و أخبار بأمور مغيّبات. مات فى جمادى الأولى سنة ثمان و ثمانمائة.

۱۹۱- ابن العماد شهاب الدين أحمد بن عماد بن يوسف الأقفهسىّ. اشتغل

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۶۸

قديما، و أخذ عن الإسنوىّ و غيره، و له تصانيف كثيرة، منها التعقبات على المهمّات، و شرح المنهاج. مات سنة ثمان و ثمانمائة.

۱۹۲- البرهان البيجورىّ إبراهيم بن أحمد. ولد فى حدود الخمسين و سبعمائة، و أخذ عن الإسنوى و لازم البلقينىّ، و رحل إلى الأذرعىّ بحلب، و كان الأذرعىّ يعترف له بالاستحضار، و شهد العماد الحسبانىّ عالم دمشق بأنّه أعلم الشافعيّة بالفقه فى عصره، و كان يسرد الرّوضة حفظا، و انتفع به الطلبة، و لم يكن فى عصره من يستحضر الفروع الفقهيّة مثله، و لم يخلف بعده من يقاربه فى ذلك. مات سنة خمس و عشرين و ثمانمائة.

۱۹۳- البرماوىّ شمس الدين محمد بن عبد الدّائم بن موسى . ولد فى ذى القعدة سنة ثلاث و ستّين، و لازم البدر الزّركشىّ، و تمهّر به، و أخذ عن السّراج البلقينىّ.

و له تصانيف؛ منها شرح العمدة، و منظومة فى الأصول. مات سنة إحدى و ثلاثين و ثمانمائة .

۱۹۴- المجد البرماوىّ إسماعيل بن أبى الحسن علىّ بن عبد اللّه. ولد فى حدود الخمسين و سبعمائة، و مهر فى الفقه و الفنون، و تصدّى للتّدريس، و أخذ عنه شيخنا البلقينىّ و غيره. مات فى ربيع الآخر سنة أربع و ثلاثين و ثمانمائة.

۱۹۵- ابن المحمّرة شهاب الدين أحمد بن صلاح بن محمد بن محمد بن عثمان ابن علىّ بن السمسار. ولد سنة سبع و تسعين ، و لازم البلقينىّ و الزّين العراقىّ. و ولى مشيخة الصّلاحية بالقدس. مات فى ربيع الآخر سنة أربعين و ثمانمائة.

۱۹۶- ابن المجدىّ شهاب الدين أحمد بن رجب بن طيبغا. ولد سنة ستّين و سبعمائة، و اشتغل بالعلوم فبرع فى كثير منها، و صار رأس

النّاس فی الفرائض و الحساب بأنواعه و الهندسة و علم الوقت بلا منازعة، و له فی ذلک مصنّفات فائقة. مات لیلة السبت عاشر ذی القعدة سنة خمسین و ثمانمائة.

۱۹۷- الونائیّ محمد بن إسماعیل بن محمد بن أحمد القرافیّ قاضی القضاة،

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۶۹

شمس الدین الشافعیّ. ولد فی شعبان سنة ثمان و ثمانین و سبعمائة، و أخذ عن الشیخ شمس الدین البرماویّ و طبقته، و برع فی الفقه و العربیّة و الأصول، و اشتهر بالفضیلة.

و کان ممّن جمع المنقول و المعقول، ولی تدریس الشّیخونیّة و الصّلاحیّة المجاورة لضریح الإمام الشافعیّ رضی اللّه عنه، و قضاء الشام مرّتین، ثمّ صرف. و مات یوم الثلاثاء ثامن عشر صفر سنة تسع و أربعین و ثمانمائة.

۱۹۸- القایاتی محمد بن علیّ بن یعقوب قاضی القضاة شمس الدین الشافعیّ العلّامة النحویّ المفنّن. ولد تقریبا سنة خمس و ثمانین و سبعمائة، و حضر درس الشیخ سراج الدّین البلقینیّ، و أخذ عن البدر الطنبذیّ و العزّ بن جماعة و العلاء البخاریّ و غیرهم. و برع فی الفقه و العربیّة و الأصلین و المعانی، و سمع الحدیث، و حدّث بالیسیر، و ولی تدریس الحدیث بالبرقوقیّة، و درّس الفقه بالأشرفیّة و الشافعیّ و الشیخونیة و قضاء الشافعیّة بمصر، فباشره بنزاهة و عفّة، و أقرأ زمانا، و انتفع به خلق، و لازمه والدی رحمه اللّه ثلاثین سنة، و شرع فی شرح علی المنهاج للنّوویّ. مات یوم الاثنین ثامن عشری المحرّم سنة خمسین و ثمانمائة.

۱۹۸- والدی الإمام العلّامة کمال الدّین أبو المناقب أبو بکر بن محمد بن سابق الدّین أبی بکر الخضیری السیوطیّ. ولد رحمه اللّه بسیوط بعد ثمانمائة تقریبا، و اشتغل ببلده، و تولّی بها القضاء قبل قدومه إلی القاهرة، ثمّ قدمها فلازم العلّامة القایاتیّ، و أخذ عنه الکثیر من الفقه و الأصول و الکلام و النّحو و الإعراب و المعانی و المنطق؛ و أجازه بالتدریس فی سنة تسع و عشرین. و أخذ عن الشیخ باکیر، و عن الحافظ ابن حجر علم الحدیث، و سمع علیه صحیح مسلم إلّا فوتا، مضبوطا بخطّ الشیخ برهان الدین بن خضر سنة سبع و عشرین، و قرأ القرآن علی الشیخ محمد الجیلانیّ. و أخذ أیضا عن الشیخ عزّ الدین القدسیّ و جماعة، و أتقن علوما جمّة، و برع فی کلّ فنون، و کتب الخطّ المنسوب، و بلغ فی صناعة التوقیع النهایة، و أقرّ له کلّ من رآه بالبراعة فی الإنشاء، و أذعن له فیه أهل عصره کافة، و أفتی و درّس سنین کثیرة، و ناب فی الحکم بالقاهرة عن جماعة، بسیرة حمیدة، و عفّة و نزاهة، و ولی درس الفقه بالجامع الشّیخونیّ، و خطب بالجامع الطولونی؛ و کان یخطب من إنشائه، بل کان شیخنا قاضی القضاة شرف الدین المناویّ فی أوقات الحوادث یسأله فی إنشاء خطبة تلیق بذلک لیخطب بها فی القلعة. و أمّ بالخلیفة المستکفی بالله، و کان یجلّه إلی الغایة

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۷۰

و یعظّمه، و لم یکن یتردّد إلی أحد من الأکابر غیره. و أخبرنی بعض القضاة أنّ الوالد دار یوما علی الأکابر لیهنئهم بالشهر، فرجع آخر النهار عطشان، فقال له: قد درنا فی هذا الیوم و لم تحصل لنا شربة ماء، و لو ضیّعنا هذا الوقت فی العبادة لحصل لنا خیر کثیر، أو ما هذا معناه، و لم یهنّئ أحدا بعد ذلک الیوم بشهر و لا غیره. و عیّن مرّة لقضاء مکّة، فلم یتّفق له. و کان علی جانب عظیم من الدّین و التحرّی فی الأحکام و عزّة النفس و الصّیانة، یغلب علیه حبّ الانفراد و عدم الاجتماع بالناس، صبورا علی کثرة أذاهم له، مواظبا علی قراءة القرآن، یختتم کلّ جمعة ختمة، و لم أعرف من أحواله شیئا بالمشاهدة إلا هذا.

و له من التصانیف: حاشیة علی شرح الألفیة لابن المصنّف، وصل فیها إلی أثناء الإضافة، و حاشیة علی شرح العضد کتب منها یسیرا، و رسالة علی إعراب قول المنهاج: «و ما ضبّب بذهب أو فضّة ضبّة کبیرة»، و أجوبة اعتراضات ابن المقرئ علی الحاوی. و له کتاب فی التصریف و آخر فی التوقیع؛ و هذان لم أقف علیهما.

توفّی شهیدا بذات الجنب وقت أذان العشاء، لیلة الاثنین من صفر سنة خمس و خمسین و ثمانمائة. و تقدّم فی الصلاة علیه قاضی القضاة شرف الدین المناویّ.

و ذکر لی بعض الثقات أنّه قیل له و هو ینتظر الصلاة علیه: لم یبق هنا مثله، فقال: لا هنا و لا هناک- یشیر إلی المدینة- و دفن بالقرافة قریبا من الشمس الأصفهانیّ.

و لصاحبنا الشیخ شهاب الدین المنصوریّ فیه أبیات یرثیه بها و هی:

مات الکمال فقالوا:ولّی الحجا و الجلال

فللعیون بکاءو للدّموع انهمال

و فی فؤادی حزنو لوعة لا تزال

للّه علم و حلموارته تلک الرّمال

بکی الرّشاد علیهدما و سرّ الضّلال

قد لاح فی الخیر نقصلمّا مضی و اختلال

و کیف لم تر نقصاو قد تولّی الکمال

علومه راسخاتتزول منها الجبال

یقبره العلم ثاوو الفضل و الإفضال

۱۹۹- علاء الدین القرقشندیّ علیّ بن أحمد بن إسماعیل. ولد فی ذی الحجّة

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۷۱

سنة ثمان و ثمانین و سبعمائة، و تفقّه بعلماء مصر، و أفتی و درّس، و انتفع به جماعة. و تولّی عدّة مدارس، و رشّح لقضاء الدیار المصریة. مات فی المحرّم سنة ستّ و خمسین و ثمانمائة.

۲۰۰- الشیخ جلال الدین المحلیّ محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهیم بن أحمد. ولد بمصر سنة إحدی و تسعین و سبعمائة، و اشتغل و برع فی الفنون؛ فقها و کلاما و أصولا- و نحوا و منطقا و غیرها. و أخذ عن البدر محمود الأقصرائی و البرهان البیجوریّ و الشمس البساطیّ و العلاء البخاریّ و غیرهم. و کان علّامة آیة فی الذّکاء و الفهم؛ کان بعض أهل عصره یقول فیه: إنّ ذهنه یثقب الماس. و کان یقول عن نفسه: أنا فهمی لا- یقبل الخطأ؛ و لم یکن یقدر علی الحفظ، و حفظ کرّاسا من بعض الکتب، فامتلأ بدنه حرارة. و کان غرّة هذا العصر فی سلوک طریق السّلف، علی قدم من الصّلاح و الورع و الأمر بالمعروف و النّهی عن المنکر، یواجه بذلک أکابر الظلمة و الحکّام، و یأتون إلیه فلا یلتفت إلیهم، و لا یأذن لهم بالدّخول علیه؛ و کان عظیم الحدّة جدّا، لا یراعی أحدا فی القول، یوصی فی عقود المجالس علی قضاة القضاة و غیرهم؛ و هم یخضعون له، و یهابونه و یرجعون إلیه؛ و ظهرت له کرامات کثیرة، و عرض علیه القضاء الأکبر فامتنع. و ولی تدریس الفقه بالمؤیّدیة و البرقوقیّة، و قرأ علیه جماعة، و کان قلیل الإقراء، یغلب علیه الملل و السآمة. و کان سمع الحدیث من الشّرف بن الکویک، و حدّث. و کان متقشّفا فی ملبوسه و مرکوبه، و یتکسّب بالتجارة، و ألّف کتبا تشدّ إلیها الرّحال؛ فی غایة الاختصار و التحریر و التنقیح، و سلامة العبارة و حسن المزج، و الحلّ بدفع الإیراد؛ و قد أقبل علیها الناس و تلقّوها بالقبول، و تداولوها؛ منها شرح جمع الجوامع فی الأصول، و شرح بردة المدیح، و مناسک؛ و کتاب فی الجهاد؛ و منها أشیاء لم تکمل؛ کشرح القواعد لابن هشام، و شرح التسهیل؛ کتب منه قلیلا جدّا، و حاشیة علی شرح جامع المختصرات، و حاشیة علی جواهر الإسنویّ، و شرح الشمسیّة فی المنطق، و مختصر التنبیه، کتب منه ورقة. و أجلّ کتبه التی لم تکمل تفسیر القرآن، کتب منه من أوّل الکهف إلی آخر القرآن فی أربعة عشر کراسا؛ فی قطع نصف البلدیّ، و هو ممزوج محرّر فی غایة الحسن؛ و کتب علی الفاتحة و آیات یسیرة من البقرة، و قد أکملته بتکملة علی نمطه من أوّل البقرة إلی آخر الإسراء. توفّی فی أوّل یوم من سنة أربع و ستّین و ثمانمائة .

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۷۲

۲۰۱- البلقينىّ شيخنا قاضى القضاة علم الدين صالح بن شيخ الإسلام سراج الدّين، حامل لواء مذهب الشافعىّ فى عصره؛ ولد سنة إحدى و تسعين و سبعمائة، و أخذ الفقه عن والده و أخيه، و النّحو عن الشّطنوفى و الأصول عن العزّ بن جماعة، و سمع على أبيه جزء الجمعة و ختم الدلائل و غير ذلك؛ و على الشهاب بن حجّى جزء ابن نجيد، و حضر عند الحافظ أبى الفضل العراقىّ فى الإملاء، و تولّى مشيخة الخشابيّة، و التفسير بالبرقوقيّة بعد أخيه؛ و تدريس الشريفيّة بعد القمنىّ، و الحديث بمدرسة قايتباى. و تولّى القضاء الأكبر سنة ستّ و عشرين، بعزل الشيخ ولى الدين، و تكرر عزله و إعادته؛ و تفرّد بالفقه؛ و أخذ عنه الجمّ الغفير، و ألحق الأصاغر بالأكابر، و الأحفاد بالأجداد. و ألّف تفسير القرآن، و كمل التدريب لأبيه و غير ذلك. قرأت عليه الفقه، و أجازنى بالتدريس و حضر تصديرى؛ و قد أفردت ترجمته بالتأليف. مات يوم الأربعاء خامس رجب سنة ثمان و ستّين و ثمانمائة.

۲۰۲- المناوى قاضى القضاة شرف الدّين يحيى بن محمد بن محمد بن محمد، شيخنا شيخ الإسلام، ولد سنة ثمان و تسعين و سبعمائة، و لازم الشيخ ولىّ الدين العراقىّ، و تخرّج به فى الفقه و الأصول، و سمع الحديث عليه، و على الشرف بن الكويك، و تصدّى للإقراء و الإفتاء و تخرّج به الأعيان، و ولى تدريس الشافعىّ و قضاء الديار المصريّة، و له تصانيف، منها شرح مختصر المزنىّ. توفّى ليلة الاثنين ثانى عشر جمادى الآخرة سنة إحدى و سبعين و ثمانمائة، و هو آخر علماء الشافعيّة و محقّقيهم.

و قد رثيته بقولى:

قلت لمّا مات شيخ العصر حقّا باتّفاق

حين صار الأمر ما بين جهول و فسّاق

أيّها الدنيا لك الويل إلى يوم التّلاق

ذكر من كان بمصر من الفقهاء المالكية

۱- عثمان بن الحكم الجذامىّ .

۲- سعيد بن عبد اللّه بن أسعد المعافرىّ المصرىّ؛ من كبار أصحاب مالك، تفقّه

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۷۳

بابن وهب و ابن القاسم، مات بالإسكندرية سنة ثلاث و سبعين و مائة.

۳، ۴، ۵، ۶، ۷، ۸، ۹- عبد الرحمن بن القاسم، ابن وهب، إسحاق بن الفرات، أشهب، عبد اللّه بن عبد الحكم، ولده محمد، أصبغ بن الفرج الغازى، مرّوا.

۱۰، ۱۱، ۱۲- ابن الموّاز، أبو بكر الدينورىّ صاحب المجالسة، أبو جعفر بن قتيبة، مرّوا.

۱۳- عبد الرحمن بن عبد اللّه بن عبد الحكم المصرىّ. أبو القاسم، مصنّف فتوح مصر، روى عن أبيه و شعيب بن اللّيث و خلق، و عنه النّسائىّ و أبو حاتم و وثّقه.

۱۴- عبد الحكم بن عبد اللّه بن عبد الحكم أبو عثمان. قال ابن فرحون: هو أكبر أولاد ابن عبد الحكم و أفقههم، و أجلّ أصحاب ابن وهب، مات بمصر سنة سبع و ثلاثين و مائتين معذّبا فى فتنة خلق القرآن، و دخّن بالكبريت عليه حتّى مات.

۱۵- عبد الرّحمن بن أبى جعفر الدّمياطىّ. روى عن مالك، و تفقّه بكبار أصحابه: ابن وهب و ابن القاسم و أشهب؛ و له مؤلّفات، مات سنة ستّ و عشرين و مائتين.

۱۶- هارون بن عبد اللّه الزّهرىّ الكوفىّ . نزيل بغداد. الإمام أبو يحيى، تفقّه بأصحاب مالك. قال الشيخ أبو إسحاق الشيرازىّ: هو أعلم من صنّف الكتب فى مختلف قول مالك، ولى قضاء مصر، و مات سنة اثنتين و ثلاثين و مائتين .

۱۷- عبد الرحمن بن عمر بن أبى الفهم، مولى بنى سهم أبو زيد؛ من أهل مصر. أكثر عن ابن القاسم و ابن وهب، و كان فقيها مفتيا.

روی عنه البخاریّ و أبو زرعة. ولد سنة ستّین و مائة، و مات سنة أربع و ثلاثین و مائتین.

۱۸- إبراهیم بن عبد الرحمن بن أبی العاص أبو إسحاق البرقیّ المصریّ. أخذ عن أشهب و ابن وهب. مات سنة خمس و أربعین و مائتین.

۱۹- موسی بن عبد الرحمن بن القاسم الفقیه، ابن الإمام المشهور.

۲۰- سلیمان بن داود بن حماد بن سعد الرشدینیّ أبو الربیع المصریّ. قال ابن یونس: کان فقیها علی مذهب مالک، و کان من أجلّة القرّاء و عبّادهم، قرأ علی ورش؛

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۷۴

و روی عن ابن وهب و أشهب، و عنه أبو داود و النّسائیّ. و کان زاهدا، قال أبو داود: قلّ من رأیت فی فضله. ولد سنة ثمان و سبعین و مائة، و توفّی فی ذی القعدة سنة ثلاث و خمسین و مائتین .

۲۱- عبد الغنیّ بن عبد العزیز المعروف بالعسّال. من أهل مصر. روی عن ابن وهب و ابن عیینة، و عنه النّسائیّ، و قال: لا بأس به. و کان حافظا فقیها مفتیا مذکورا فی فقهاء المالکیة. مات سنة أربع و خمسین و مائتین.

۲۲- زکریا بن یحیی الوقّار المصریّ، قرأ علی نافع بن أبی نعیم، و تفقّه بابن وهب و ابن القاسم و أشهب. و کان فقیها، و لم یکن بالمحمود فی روایته، مات سنة أربع و خمسین و مائتین بمصر.

۲۳- ولده أبو بکر محمد بن زکریّا. کان حافظا للمذهب، تفقّه بأبیه و ابن عبد الحکم و أصبغ، و له تصانیف. مات فی رجب سنة تسع و ستّین و مائتین.

۲۴- محمد بن أصبغ بن الفرج. کان فقیها مفتیا، مات بمصر سنة خمس و سبعین و مائتین.

۲۵- روح بن الفرج أبو الزّنباع الزّبیریّ. قال ابن فرحون: عالم فقیه بمذهب مالک، من أهل مصر، أخذ عنه أبو الذکر الفقیه، و کان من أوثق النّاس فی زمانه، و رفعه اللّه بالعلم. روی عن عمرو بن خالد و أبی مصعب، و عنه محمد بن سعد و قاسم ابن أصبغ. ولد سنة أربع و مائتین و مات سنة اثنتین و ثمانین.

۲۶- أحمد بن موسی بن عیسی بن صدفة الصّدفیّ المصریّ أبو بکر الزّیات. فقیه مشهور بمصر من أصحاب محمد بن عبد الحکم. مات بها سنة ستّ و ثلاثمائة.

۲۷- أحمد بن الحارث بن مسکین أبو بکر. جلس مجلس أبیه بعده بجامع عمرو، و أخذ الناس عنه. ولد سنة تسع و ثلاثین و مائتین، و مات سنة إحدی عشرة و ثلاثمائة.

۲۸- أحمد بن محمد بن خالد بن میسّر أبو بکر الإسکندرانیّ. تفقه بابن الموّاز، و انتهت إلیه الریاسة بمصر بعده. و له تصانیف. مات سنة تسع و ثلاثمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۷۵

۲۹- أحمد بن محمد بن عبید أبو جعفر الأزدیّ. کان فقیها مالکیا موصوفا بحفظ المذهب، له کتاب فی إثبات الکرامات.

۳۰- هارون بن محمد بن هارون الأسوانیّ أبو موسی. قال ابن یونس: کان فقیها علی مذهب مالک، کتب الحدیث، و مات فی ربیع الأول سنة سبع و عشرین و ثلثمائة.

۳۱- محمد بن أحمد بن أبی یوسف، أبو بکر بن الخلّال. من فقهاء مصر، درّس بجامعها، و أخذ عنه الناس، و ألّف. مات سنة اثنتین و عشرین و ثلثمائة.

۳۲- أبو الحسن علیّ بن عبد اللّه بن أبی مطر المعافریّ الإسکندرانیّ الفقیه.

قاضی الإسکندریة، روی عن ابن أبی الدنیا. مات سنة تسع و ثلاثین و ثلاثمائة، و له مائة سنة .

۳۳- محمد بن یحیی بن مهدیّ التمّار الأسوانیّ أبو الذکر الفقیه المالکیّ. قاضی مصر، روی عن المعافی و محمد بن عمیر الأندلسیّ. مات فی شوال سنهٔ أربعین و ثلثمائهٔ.

۳۴- بکر بن محمد بن العلاء العلّامهٔ أبو الفضل القشیریّ البصریّ المالکیّ.

صاحب التصانیف فی الأصول و الفروع. روی عن أبی مسلم الکجّیّ، و نزل مصر، و بها توفّی سنهٔ أربع و أربعین و ثلاثمائهٔ. قاله فی العبر.

۳۵- أحمد بن جعفر الأسوانیّ المالکیّ الصوّاف. قال أبو القاسم بن الطّحان:

روی عن ابن بشر الدّولابیّ و أبی جعفر الطحّان، و روی عنه عبد الغنی بن سعید. مات سنهٔ أربع و ستّین- و قیل: أربع و سبعین- و ثلثمائهٔ.

۳۶- أبو الطاهر محمد بن عبد اللّه البغدادیّ. قال فی العبر: کان مالکیّ المذهب، فصیحا فقیها شاعرا، أخباریّا، حاضر الجواب، غزیر الحفظ، ولی قضاء واسط، ثمّ قضاء بعض بغداد، ثمّ قضاء دمشق، ثمّ قضاء الدّیار المصریهٔ، و استناب علی دمشق. حدّث عن بشر بن موسی و أبی مسلم الکجّی و طبقتهما. توفّی سنهٔ سبع و ستین و ثلثمائهٔ و قد قارب التسعین .

قال ابن ماکولا: کان یذهب إلی قول مالک، و ربّما اختار، و کان متفنّنا فی علوم، و له تصانیف.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۷۶

۳۷- محمد بن یوسف بن بلال الأسوانیّ المالکیّ أبو بکر. روی عن ابن أبی سفیان الورّاق. سمع منه أبو القاسم بن الطحّان، و قال: توفّی سنهٔ ستّ و سبعین و ثلثمائهٔ.

۳۸- محمد بن سلیمان أبو بکر النعالیّ، إمام المالکیهٔ بمصر فی وقته. أخذ عن ابن شعبان، و بکر بن العلاء، و عظم شأنه، و إلیه کانت الرّحلهٔ و الإمامهٔ بمصر، و کانت حلقته فی الجامع تدور علی سبعهٔ عشر عمودا من کثرهٔ من یحضرها. مات سنهٔ ثمانین و ثلثمائهٔ.

۳۹- أبو القاسم الجوهریّ عبد الرحمن بن عبد اللّه بن محمد الغافقیّ المصریّ، الفقیه المالکیّ الّذی صنف مسند الموطّأ. کان فقیها ورعا مستفیضا خیّرا، من جلّهٔ الفقهاء. مات فی رمضان سنهٔ إحدی و ثمانین و ثلثمائهٔ. قاله فی العبر.

۴۰- رجاء بن عیسی بن محمد أبو العبّاس الأنصاریّ. قال ابن کثیر: نسبهٔ إلی قریهٔ من قری مصر یقال له أنصار، کان فقیها مالکیّا، ثقهٔ، قدم بغداد فحدّث بها، و سمع منه الحفّاظ، ثمّ عاد إلی بلده، فمات بها سنهٔ تسعین و أربعمائهٔ، و قد جاوز الثمانین.

۴۱- الأبهریّ الصغیر محمد بن عبد اللّه أبو جعفر، قال ابن فرحون: تفقّه بأبی بکر الأبهریّ، و سکن مصر، فتفقّه علیه خلق کثیر، و سمع من المروزیّ.

۴۲- عبد الجلیل بن مخلوف الصّقلیّ الفقیه المالکی. قال ابن میسّر: أفتی بمصر أربعین سنهٔ، و مات بها سنهٔ تسع و خمسین و أربعمائهٔ.

۴۳- عبد اللّه بن الولید بن سعید أبو محمد الأنصاریّ الأندلسیّ الفقیه المالکیّ. أخذ عن أبی محمد بن أبی زید و خلق، و سکن مصر، و مات بالشام فی رمضان سنهٔ ثمان و أربعین و أربعمائهٔ عن ثمان و ثمانین سنهٔ.

۴۴- علیّ بن الحسن بن محمد بن العباس بن فهر أبو الحسن الفهریّ. من أهل مصر. فقیه مالکیّ، ألّف فی فضائل مالک، قال المهلّب: لقیته بمصر، و لم ألق مثله.

قلت: رأیت تألیفه المذکور، و نقلت منه فی شرح الموطّأ.

۴۵- أبو بکر الطّرطوشیّ محمد بن الولید الفهریّ الأندلسیّ. نزیل

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۷۷

الإسکندریهٔ. أحد الأئمهٔ الکبار، أخذ عن أبی الولید الباجیّ، و رحل، و سمع ببغداد من رزق اللّه التمیمیّ و طبقته، و کان إماما عالما زاهدا، ورعا متقشّفا، متقلّلا، له تصانیف کثیرهٔ. مات فی جمادی الأولی سنهٔ خمس و عشرین و خمسمائهٔ عن خمس و سبعین سنهٔ. و

من کراماته أنّ خلیفة مصر العبیدی امتحنه، و أخرجه من الإسکندریة، و منع الناس من الأخذ عنه، و أنزله الأفضل وزیر العبیدیّ فی موضع لا یبرح منه، فضجر من ذلک، و قال لخادمه: إلی متی نصبر؟! اجمع لی المباح من الأرض، فجمع له فأکله ثلاثة أیام؛ فلمّا کان عند صلاة المغرب، قال لخادمه: رمیته الساعة، فرکب الأفضل من الغد، فقتل، و ولی بعده المأمون البطائحیّ، فأکرم الشیخ إکراما کثیرا، و صنّف له الشیخ کتاب سراج الملوک.

۴۶- سند بن عنان بن إبراهیم الأزدیّ. أبو علیّ، تفقّه بالطّرطوشیّ، و جلس فی حلقته بعده، و انتفع به الناس، و شرح المدوّنة، و کان من زهّاد العلماء و کبار الصالحین؛ فقیها فاضلا، مات بالإسکندریة سنة إحدی و أربعین و خمسمائة، و رئی فی النّوم، فقیل له: ما فعل اللّه بک؟ فقال: عرضت علی ربّی، فقال لی: أهلا بالنّفس الطاهرة الزکیّة العالمة!.

۴۷- صدر الإسلام أبو الطاهر إسماعیل بن مکیّ بن إسماعیل بن عیسی بن عوف الزّهریّ الإسکندرانیّ. تفقّه علی أبی بکر الطّرطوشیّ، و سمع منه و من أبی عبد اللّه الرازیّ، و برع فی المذهب، و تخرّج به الأصحاب، و قصده السلطان صلاح الدین، و سمع منه الموطّأ، و له مصنّفات. مات فی شعبان سنة إحدی و ثمانین و خمسمائة، عن ستّ و تسعین سنة. قال ابن فرحون: کان إمام عصره فی المذهب، و علیه مدار الفتوی، مع الزهد و الورع .

۴۸- حفیدة أبو الحرم مکّی نفیس الدین. ألّف شرحا عظیما علی التهذیب للبرادعیّ فی جلد، و شرحا علی ابن الجلّاب فی عشر مجلّدات.

۴۹- أبو القاسم بن مخلوف المغربیّ ثمّ الإسکندریّ. أحد الأئمة الکبار من المالکیّة، تفقّه به أهل الثغر زمانا، مات سنة ثلاث و ثلاثین و خمسمائة. قاله فی العبر.

۵۰- أبو العباس أحمد بن عبد اللّه بن أحمد بن هشام بن الحطیئة اللخمیّ الفاسیّ. کان رأسا فی القراءات السبع، و من مشاهیر الصّلحاء و أعیانهم. ولد بفاس فی

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۷۸

جمادی الآخرة سنة ثمان و سبعین و أربعمائة، و انتقل إلی الدیار المصریة، فقرأ علی ابن الفحّام، و قرأ الفقه و العربیّة، و سکن مصر، و تصدّر بها للإقراء، و کان صالحا عابدا، کبیر القدر، قرأ علیه شجاع بن محمد بن سیدهم، و روی عنه السّلفیّ. مات آخر المحرم سنة ستّین و خمسمائة، و دفن بالقرافة. و قد شغرت مصر عن قاض ثلاثة أشهر، فی سنة ثلاث و ثلاثین و خمسمائة أیام الخلیفة العبیدیّ، فعرض القضاء علی أبی العباس هذا، فاشترط ألّا یقضی بمذهب الدولة، فأبوا و تولّی غیره.

۵۱- الحضرمیّ قاضی الإسکندریة أبو عبد اللّه محمد بن عبد الرحمن بن محمد المالکیّ، روی عن محمد بن أحمد الرازیّ و غیره. مات سنة تسع و ثمانین و خمسمائة. قاله فی العبر.

۵۲- ظافر بن الحسین أبو منصور الأزدیّ المصریّ شیخ المالکیة. کان منتصبا للإفادة و الفتیا، انتفع به بشر کثیر. مات بمصر فی جمادی الآخرة سنة سبع و تسعین و خمسمائة. قاله فی العبر.

۵۳- شیث بن إبراهیم بن محمد بن حیدرة أبو الحسن القفطیّ. کان فقیها فاضلا نحویّا بارعا زاهدا، و له فی الفقه تعالیق، و فی النّحو تصانیف، حدّث عن السّلفیّ. ولد بقفط سنة خمس عشرة و خمسمائة، و مات سنة ثمان و تسعین.

۵۴- الحافظ أبو الحسن بن المفضل، مرّ فی الحفاظ.

۵۵- ابن شاس العلّامة جلال الدین أبو محمد عبد اللّه بن محمد بن شاس بن قرار الجذامیّ السّعدی المصریّ شیخ المالکیة، و صاحب کتاب الجواهر الثمینة فی المذهب. کان من کبار الأئمّة العالمین، حجّ فی آخر عمره، و رجع، فامتنع من الفتیا إلی أن مات بدمیاط مجاهدا فی سبیل اللّه فی رجب سنة ستّ عشرة و ستمائة، و الفرنج محاصرون لدمیاط. قاله ابن کثیر و الذهبیّ، و کان جدّه شاس من الأمراء.

۵۶- أبو الحسن الإبیاریّ علیّ بن إسماعیل بن علیّ. أحد العلماء الأعلام، و أئمة الإسلام. برع فی علوم شتّی: الفقه، و الأصول، و الکلام. و کان بعض الأئمة یفضّله علی الإمام فخر الدین فی الأصول، تفقّه بأبی الطاهر بن عوف، و درّس بالإسکندریة، و انتفع به النّاس، و تخرّج به ابن الحاجب. ولد سنة سبع و خمسین و خمسمائة، و مات سنة ثمانی عشرة و ستمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۷۹

۵۷- الحسین بن عتیق بن رشیق، جمال الدین أبو علیّ الرّبعیّ. قال ابن فرحون:

کان من العلماء الورعین، و شیخ المالکیّة فی وقته، و علیه مدار الفتیا بالدیار المصریة، عالما بالأصلین و الخلاف. ولد سنة سبع و أربعین و خمسمائة، و مات سنة اثنتین و ثلاثین و ستّمائة.

۵۸- کمال الدین أبو العبّاس أحمد بن علیّ القسطلانیّ ثمّ المصریّ الفقیه المالکیّ الزاهد. تلمیذ الشیخ أبی عبد اللّه القرشیّ. قال فی العبر: درّس و أفتی، ثمّ جاور بمکّة مدّة، و مات بها فی جمادی الآخرة سنة ستّ و ثلاثین و ستّمائة عن سبع و سبعین سنة.

۵۹- ولده تاج الدین علیّ، قال فی العبر: مفت مدرّس، سمع من زاهر بن رسم و یونس الهاشمیّ، و ولی مشیخة الکامليّة، مات فی شوّال سنة خمس و ستین و ستّمائة، عن سبع و سبعین سنة.

۶۰- جعفر بن علیّ بن هبة اللّه أبو الفضل الهمدانیّ الإسکندرانیّ المالکیّ المقرئ الأستاذ المحدّث. ولد سنة ستّ و أربعین و خمسمائة و قرأ القرآن علی عبد الرحمن بن خلف اللّه صاحب ابن الفحّام، و أکثر عن السّلفیّ، و تصدّر للإقراء، روی عنه التقیّ سلیمان و عیسی المطعم. مات بدمشق فی صفر سنة ستّ و ثلاثین و ستمائة .

۶۱- ابن الصفراویّ جمال الدین أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد المجید بن إسماعیل الإسکندرانیّ المالکیّ الفقیه المقرئ. ولد سنة أربع و أربعین و خمسمائة، و سمع من السّلفیّ، و تفقّه بأبی طالب صالح بن بنت معافی، و قرأ القراءات علی أبی القاسم عبد الرحمن بن خلف اللّه، و طال عمره، و بعد صیته، و انتهت إلیه ریاسة الإقراء و الإفتاء ببلده. مات بالإسکندریة فی خامس عشری ربیع الآخر سنة ستّ و ثلاثین و ستمائة.

۶۲- ابن الحاجب العلّامة جمال الدین أبو عمرو عثمان بن أبی بکر الکردیّ الإسنانیّ ثمّ المصریّ المالکیّ الفقیه المقرئ النحویّ الأصولیّ. صاحب التصانیف

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۸۰

البدیعة، کان أبوه حاجبا للأمیر عزّ الدین موسک الصلاحیّ، فاشتغل هو، و قرأ القراءات علی الغزنویّ و الشاطبیّ، و برع فی الأصول و الفروع و العربیّة و غیرها، و کان رکنا من أرکان الدین فی العلم و العمل، صنّف المختصر فی الأصول، و منتهی السؤال فی الأصول، و المختصر فی الفقه، و الکافیة فی النّحو و شرحها، و الوافیة و شرحها، و الشافیة فی التّصریف، و شرح المفصّل و الأمالی النحویّة و قصیدة فی العروض. مات بالإسکندریّة سادس عشری شوّال سنة ستّ و أربعین و ستّمائة عن خمس و ثمانین سنة، حدّث عنه الشرف الدمیاطیّ و غیره.

۶۳- عبد الکریم بن عطاء اللّه أبو محمد الإسکندرانیّ. کان إماما فی الفقه و الأصول و العربیّة، تفقّه علی أبی الحسن الإبیاریّ، رفیقا لابن الحاجب. و له تصانیف، منها شرح التّهذیب، و مختصر التهذیب، و مختصر المفصّل. توفّی فی شهر رمضان سنة اثنتی عشرة و ستمائة.

۶۴- القرطبیّ أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهیم الأنصاریّ المالکیّ، الفقیه المحدّث نزیل الإسکندریة. ولد سنة ثمان و سبعین و خمسمائة، و سمع الکثیر، و قدم الإسکندریّة، فأقام بها یدرّس، و صنّف المفهم فی شرح صحیح مسلم، و اختصر الصحیحین. مات فی ذی القعدة سنة ستّ و خمسین و ستمائة.

۶۵- ابن الجرج أبو عبد اللّه محمد بن إبراهیم بن عبد الرحمن التّلمسانیّ المالکیّ نزیل الثّغر. کان من صلحاء العلماء، سمع بسبته

الموطّأ من أبی محمد بن عبید اللّه الحجریّ. مات فی ذی القعدة سنة ستّ و خمسین و ستّمائة عن اثنتین و سبعین سنة.

۶۶- عبد اللّه بن عبد الرحمن بن عمر الشارمساحیّ . نشأ بالإسکندریة، و تفقّه و برع، و کان من أئمّة المالکیّة، بحرا لا تکدّره الدلاء. و له تصانیف فی الفقه و النّظر و الخلاف، وصل إلی بغداد فأکرمه الخلیفة المستنصر و ولّاه تدریس المستنصریّة. ولد سنة تسع و ثمانین و خمسمائة، و مات سنة تسع و ستّین و ستمائة.

۶۷- العلّامة مجد الدین علیّ بن وهب بن دقیق العید، والد الشیخ تقیّ الدین، شیخ أهل الصّعید، و نزیل قوص. کان جامعا لفنون العلم، موصوفا بالصلاح و التّألّه، معظّما فی النفوس، روی عن علیّ بن المفضّل و غیره. مات فی المحرّم سنة سبع و ستّین و ستّمائة عن ستّ و ثمانین سنة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۸۱

۶۸- قاضی القضاة شرف الدین أبو حفص عمر بن عبد اللّه بن صالح السّبکیّ.

ولد سنة خمس و ثمانین و خمسمائة، و تفقّه و أفتی، و درّس بالصالحیّة، و ولی حسبة القاهرة، ثمّ قضاء الدیار المصریّة لما ولّوا من کلّ مذهب قاضیا، و کان مشهورا بالعلم و الدّین، روی عنه البدر بن جماعة. مات فی ذی القعدة سنة تسع و ستّین و ستمائة.

۶۹- قاضی القضاة نفیس الدین بن هبة اللّه بن شکر، قاضی الدیار المصریّة. ولد سنة خمس و ستّمائة، و مات سنة ثمانین و ستّمائة.

۷۰- محمد بن الحسین بن عتیق بن رشیق الرّبعیّ المصریّ علم الدین، شیخ المالکیّة. کان من سادات المشایخ، جمع بین العلم و العمل و الورع، ولی قضاء الإسکندریّة. ولد سنة خمس و تسعین و خمسمائة، و مات سنة ثمانین و ستمائة.

۷۱- شمس الدین محمد بن أبی القاسم بن حمید التونسیّ الرّبعی. العلّامة المفتی، ولی قضاء الإسکندریّة مرة، و مات سنة خمسین و ثمانمائة عن ستّ و ثمانین سنة.

۷۲- قاضی القضاة زین الدین علیّ بن مخلوف بن ناهض النّویریّ. ولی قضاء الدیار المصریة ثلاثا و ثلاثین سنة من بعد ابن شاس، و کان مشکور السّیرة. مات سنة ثلاث عشرة و سبعمائة.

۷۳- زین الدین أبو القاسم محمد بن العلم محمد بن الحسین بن عتیق بن رشیق المالکیّ. ولی قضاء الإسکندریة اثنتی عشرة سنة، و ذکر لقضاء دمشق، روی عن ابن الجمّیزیّ، و له نظم و فضائل. مات فی المحرّم سنة خمس و عشرین و سبعمائة عن اثنتین و سبعین سنة.

۷۴- تاج الدین الفاکهانی عمر بن علیّ بن سالم اللّخمیّ الإسکندریّ. کان فقیها متفنّنا فی العلوم، صالحا عظیما، صحب جماعة من الأولیاء، و تخلّق بآدابهم. صنّف شرح العمدة و شرح الأربعین النوویّة و غیر ذلک. ولد سنة أربع و خمسین و ستّمائة و مات سنة أربع و ثلاثین و سبعمائة.

۷۵- عبد الواحد بن شرف الدین بن المنیّر، ابن أخی القاضی ناصر الدین. قال ابن فرحون: کان شیخ الإسکندریّة، و یلقّب بعزّ القضاة، فاضلا أدیبا عمّر و انتفع به الناس، أخذ الفقه عن عمّیه ناصر الدین وزین الدین، و ألّف تفسیرا فی عشرة مجلدات.

ولد سنة إحدی و خمسین و ستمائة، و مات سنة ستّ و ثلاثین و سبعمائة.

۷۶- ابن الحاج صاحب المدخل، أبو عبد اللّه بن محمد بن محمد العبدریّ

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۸۲

الفاسیّ. أحد العلماء العاملین المشهورین بالزّهد و الصلاح، من أصحاب أبی محمد بن أبی جمرة، کان فقیها عارفا بمذهب مالک، و صحب جماعة من أرباب القلوب. مات بالقاهرة سنة سبع و ثلاثین و سبعمائة.

۷۷- ابن القوبع رکن الدین محمد بن محمد بن عبد الرحمن التّونسیّ، نزیل القاهرة. قال ابن فرحون: شیخ المالکیة بالدیار المصریّة و الشامیّة، العلّامة الفرید فی فنون العلم، لم یخلف بعده مثله، ولد سنة أربع و ستّین و ستّمائة، و مات بالقاهرة سنة ثمان و ثلاثین و

سبعمائة.

۷۸- أبو الحسین بن أبی بکر الکندیّ، قاضی الإسکندریّة. شیخ العلماء، وحید عصره و فرید زمانه، حدّث عن الدّمیاطیّ، و صنّف و أفتی، و انتفع به الناس. ولد سنة أربع و خمسین و ستّمائة، و مات سنة إحدی و أربعین و سبعمائة، ذکره ابن فرحون

۷۹- الزّواویّ عیسی بن مسعود أبو الرّوح. کان فقیها عالما متفنّنا، انتفع به الناس، و انتهت إلیه ریاسة المالکیّة بالدیار المصریة و الشامیّة، و له تصانیف؛ منها شرح مسلم و شرح مختصر ابن الحاجب، و شرح المدوّنة، و تاریخ و مناقب مالک، و الردّ علی ابن تیمیّة فی مسألة الطلاق. ولد سنة أربع و ستّین و ستمائة، و مات بالقاهرة سنة ثلاث و أربعین و سبعمائة.

۸۰- جمال الدین عبد اللّه بن محمد المسیلیّ العلّامة البارع. صاحب المصنّفات البدیعة. مات بالقاهرة سنة أربع و أربعین و سبعمائة.

۸۱- عیسی بن مخلوف بن عیسی المغیلیّ. قال ابن فرحون: کان من فضلاء المالکیّة و أعیانهم بالدیار المصریّة، ولی القضاء بها؛ فحمدت سیرته. مات سنة ستّ و أربعین و سبعمائة.

۸۲- قاضی الدیار المصریة تقیّ الدین محمد بن أبی بکر السعدیّ المعروف بابن الأخنائیّ. کان فقیها صالحا، سمع من الدّمیاطی، و له تصانیف حسنة، و کان من عدول القضاة و خیارهم، و کان بقیّة الأعیان و فقهاء الزمان. ولد سنة ثمان و خمسین و سبعمائة، و مات سنة خمسین و سبعمائة.

۸۳- خلیل بن إسحاق الجندیّ، أحد أئمة المالکیّة بالقاهرة، و صاحب المختصر المشهور، و له أیضا شرح مختصر ابن الحاجب، و مناسک الحجّ و غیر ذلک، تفقّه

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۸۳

بالشیخ عبد اللّه المنوفیّ، و کان ممّن جمع بین العلم و العمل، و الزهد و التقشّف. تخرّج به جماعة من الفضلاء، و مات سنة سبع و ستّین و سبعمائة.

۸۴- الزّهونیّ شرف الدین یحیی بن عبد اللّه الفقیه المالکیّ. قال الحافظ ابن حجر: أصله من المغرب، و اشتغل و مهر و اشتهر، و درّس بالشیخونیّة، و درّس الحدیث فی الصّرغتمشّیة، و أفتی. و له تخاریج و تصانیف، تخرّج به المصریّون. مات فی ثالث شوال سنة ثلاث و سبعین و سبعمائة، ورثاه ابن الصائغ.

۸۵- القفصیّ عبد اللّه بن عبد الرحمن المالکی. قال ابن حجر: کان مشهورا بالعلم منصوبا للفتوی، مات فی رمضان سنة ستّ و سبعین و سبعمائة.

۸۶- الإخنائی برهان الدین إبراهیم بن محمد بن أبی بکر، کان شافعیّا، ثم تحوّل مالکیا کعمّه، و ولی الحسبة، و نظر الخزانة، و ناب فی الحکم، ثمّ ولی القضاء استقلالا سنة ثلاثین و ستمائة، فاستمرّ إلی أن مات. و کان مهیبا صارما قوالا بالحق، قائما بنصر الشرع، رادعا للمفسدین. صنّف مختصرا فی الأحکام، مات فی رجب سنة سبع و سبعین و سبعمائة.

۸۷- ناصر الدین أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عطاء اللّه الزّبیریّ الإسکندرانیّ. تفقّه و مهر، وفاق الأقران فی العربیّة، و شرح التّسهیل و مختصر ابن الحاجب، و ولی قضاء الدیار المصریة. مات فی رمضان سنة إحدی و ثمانمائة.

۸۸- ابن مکین شمس الدین محمد بن محمد بن إسماعیل البکریّ. برع فی الفقه، و ولی تدریس الظاهریّة و عیّن للقضاء فامتنع، مات فی ربیع الأول سنة ثلاث و خمسین و ثمانمائة، و قد بلغ السّتین.

۸۹- بهرام بن عبد اللّه بن عبد العزیز بن عمر بن عوض. ولد سنة أربع و ثلاثین و سبعمائة، و أخذ عن الشیخ خلیل و غیره، و صنّف الشامل فی الفقه، و شرح مختصر الشیخ خلیل، و شرح أصول ابن الحاجب، و شرح ألفیّة ابن مالک و غیر ذلک، و ولی تدریس الشیخونیّة و قضاء المالکیّة، أجاز للکمال الشّمنّیّ، و مات فی جمادی الآخرة سنة خمس و ثمانمائة .

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۸۴

۹۰- ابن خلدون قاضی القضاة ولیّ الدین عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمیّ. ولد سنة ثلاث و ثلاثین و سبعمائة، و سمع من الوادی آشیّ و غیره، و أخذ الفقه عن قاضی الجماعة ابن عبد السلام و غیره، و برع فی العلوم، و تقدّم فی الفنون، و مهر فی الأدب و الکتابة، و ولی کتابة السرّ بمدینة فاس، ثمّ دخل القاهرة فولی مشیخة البیبرسیّة و قضاء المالکیّة، و صنّف التاریخ الکبیر. مات فی رمضان سنة ثمان و ثمانمائة.

۹۱- البساطیّ قاضی القضاة شمس الدین محمد بن أحمد بن عثمان شیخ الإسلام، ولد سنة ستّ و خمسین و سبعمائة، و برّز فی الفنون، و درّس بالشیخونیّة و غیرها، و ولی قضاء المالکیّة، و صنّف تصانیف، مات فی رمضان سنة اثنتین و أربعین و ثمانمائة.

۹۲- الشیخ عبادة بن علیّ بن صالح بن عبد المنعم الأنصاریّ الزرزائیّ الإمام العلّامة. ولد فی جمادی الأولی سنة ثمان و سبعین و سبعمائة، و مهر فی الفقه و الأصلین و العربیّة، و صار رأس المالکیّة، و عیّن للقضاء بعد موت البساطیّ فامتنع، فألحّ علیه، فتغیّب إلی أن ولّی غیره، و ولی تدریس الأشرفیّة و الشیخونیّة و الظاهریّة، و انقطع فی آخر عمره إلی اللّه تعالی، و أعرض عن الاجتماع بالناس، و امتنع من الإفتاء.

مات فی شوّال سنة ستّ و أربعین و ثمانمائة.

ذکر من کان بمصر من الفقهاء الحنفیة

۱- إسماعیل بن سبیع الحنفیّ أبو محمد الکوفی قاضی مصر. روی عن أبی رزین و أبی مالک. روی عنه إسرائیل، و حفص بن غیّاث، و خرّج له مسلم و أبو داود و النّسائیّ.

۲- القاضی بکّار بن قتیبة بن أسد الثقفیّ. من ولد أبی بکر الصحابیّ البصریّ.

أبو بکر الفقیه قاضی الدیار المصریة، سمع أبا داود الطیالسیّ و أقرانه، روی عنه أبو

عوانة فی صحیحه و ابن خزیمة، و ولّاه المتوکّل القضاء بمصر سنة ستّ و أربعین و مائتین، و له أخبار فی العدل و العفّة و النزاهة و الورع، و تصانیف فی الشروط و الوثائق و الردّ علی الشافعیّ فیما نقضه علی أبی حنیفة. ولد سنة اثنتین و ثمانین و مائة، و مات فی ذی الحجّة سنة سبعین و مائتین.

۳- أحمد بن أبی عمران موسی بن عیسی البغدادیّ الإمام أبو جعفر الفقیه قاضی الدیار المصریة. من أکابر الحنفیّة، تفقّه علی محمد بن سماعة، و حدّث عن عاصم بن علیّ و طائفة، و روی الکثیر، و هو شیخ الطحاویّ. مات فی المحرم سنة خمس و ثمانین و مائتین بمصر، وثّقه ابن یونس فی تاریخه.

۴- الطحاوی مرّ.

۵- الحسن بن داود بن بابشاذ أبو الحسن المصریّ. قال ابن کثیر: قدم بغداد، و کان من أفاضل النّاس و علمائهم بمذهب أبی حنیفة، مفرط الذکاء قویّ الفهم. مات ببغداد سنة تسع و ثلاثین و ثلاثمائة، و لم یبلغ من العمر أربعین سنة.

۶- عبد المعطی بن مسافر بن یوسف بن الحجّاج أبو محمد الرشیدیّ؛ من أصحاب الفقیه أبی بکر محمد بن إبراهیم الرازیّ نزیل الإسکندریة، کان إماما حنفیّا، سمع منه السّلفیّ بالإسکندریة، و قال: سألته عن مولده، فقال: سنة ستّین و أربعمائة.

۷- عبد اللّه بن محمد بن سعد اللّه الجریریّ. یعرف بابن الشاعر، برع فی مذهب أبی حنیفة، و قدم صحبة صلاح الدین بن أیّوب مصر، فأقام بها یفتی و یدرّس بالمدرسة السیوفیّة و یعظ، إلی أن مات سنة أربع و ثمانین و خمسمائة، و مولده فی صفر سنة ثلاث عشرة ببغداد.

۸- الحسین بن أحمد بن الحسین بن سعید بن علیّ بن بندار الإمام أبو الفضل الهمدانیّ الیزدیّ. کان تحت یده فی بلاده اثنتا عشرة

مدرسة، فيها من الطلبة ألف و مائتا طالب، قدم من جدّة إلى قوص، فمات بها سنة إحدى و تسعين و خمسمائة، و حمل إلى مصر ميتا، فدفن بسفح المقطم.

۹- محمد بن يوسف بن علىّ بن محمد الغزنوىّ الإمام أبو الفضل. أحد الفقهاء و القرّاء و الرواة المسندين، تفقّه على عبد الغفور بن لقمان الكردىّ، و سمع الحديث من أبى الفضل بن ناصر، روى عنه الرشيد العطّار و المنذرىّ بالإجازة، ولد سنة اثنتين و عشرين و خمسمائة، و مات بالقاهرة سنة تسع و تسعين.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۸۶

۱۰- عبد الوهاب الحنفىّ أبو محمد بن النحاس المعروف بالبدر بن المجن.

قال ابن العديم: تفقّه و برع فى المذهب، و أفتى، و كان مجيدا فى مناظرته، فريدا فى محاورته، ناظر الفحول الواردين من وراء النهر و خراسان. قدم القاهرة و درّس بالسيوفيّة، و مات بها سنة تسع و تسعين و خمسمائة.

و له ولد يقال له محمد.

۱۱- عبد القوىّ بن عبد الخالق بن وحشىّ المسكىّ الكنانىّ المصرىّ أبو القاسم.

كان فقيها حنفيّا، فاضلا حسن الكلام فى مسائل الخلاف، مناظرا أديبا شاعرا. أخذ عن أبى موسى و غيره، و رحل إلى بغداد و أصبهان و نيسابور، و مات ببخارى سنة اثنتين و خمسين و ستّمائة، و قد جاوز الخمسين.

۱۲- الملك المعظّم عيسى بن أبى بكر بن أيوب. ولد بالقاهرة سنة ستّ و سبعين و خمسمائة، و برع فى الفقه و الأدب، و شرح الجامع الكبير، و صنّف فى العروض. ملك دمشق ثمانى سنين و أشهرا، مات فى ذى الحجّة سنة أربع و عشرين و ستّمائة.

۱۳- علىّ بن أحمد بن محمود العماد بن الغزنوىّ أبو الحسن. كان فقيها فاضلا، درّس بالسيفيّة و غيرها. ولد سنة سبع و سبعين و خمسمائة، و مات فى جمادى الأولى سنة ثلاث و ثلاثين و ستّمائة.

۱۴- إسماعيل بن إبراهيم بن غازى المارديّ أبو الطاهر. يعرف بابن فلوس، كان عالما مبرّزا فى الفقه، له يد طولى فى الأصلين، و يعرف الطبّ و المنطق و الحكمة و علوم الأوائل. قدم مصر و درّس بها. و ذكره القطب فى تاريخ مصر. ولد سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة، و مات بدمشق سنة سبع و ثلاثين و ستمائة.

۱۵- عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز اللخمىّ وجيه الدين أبو القاسم القوصىّ الفقيه النحوىّ. قال الحافظ الدمياطىّ: كان متبحّرا فى مذهب أبى حنيفة، درّس و ناظر، و طال عمره. و له تصانيف فى علوم عديدة، نظما و نثرا، تفقّه على عبد اللّه بن محمد بن سعد البجلىّ مدرّس السيوفية، و أخذ النّحو عن ابن برّىّ. ولد بقوص سنة خمس و خمسين و خمسمائة، و مات بالقاهرة فى ذى القعدة سنة ثلاث و أربعين و ستمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۸۷

۱۶- عمر بن أحمد بن هبة اللّه الصاحب كمال الدين بن العديم الحلبىّ، الملقّب رئيس الأصحاب. الإمام العالم المحدّث المؤرّخ الأديب الكاتب البليغ. ولد بحلب سنة ثمان و ثمانين و خمسمائة، و برع و ساد، و صار أوحد عصره فضلا و نبلا، و رياسة، ألّف فى الفقه و الحديث و الأدب، و له تاريخ حلب. مات بمصر فى جمادى الأولى سنة ستّين و ستّمائة، و دفن بسفح المقطّم.

۱۷- ولده مجد الدين عبد الرحمن . كان عالما بالمذهب، عارفا بالأدب؛ و هو أول حنفىّ خطب بجامع الحاكم، و أوّل حنفىّ درّس بالظاهرية حين بناها الظاهر بيبرس بالقاهرة، ثمّ ولى قضاء الشام، و انتهت إليه رياسة الحنفيّة بمصر و الشام. ولد سنة ثلاث عشرة و ستّمائة، و مات فى ربيع الآخر سنة سبع و سبعين.

۱۸- الصّدر سليمان بن أبى العزّ بن وهيب بن عطاء الأذرعىّ العلّامة. قال الصفدىّ: كان إماما عالما متبحّرا عارفا بدقائق الفقه و غوامضه، انتهت إليه رياسة الأصحاب بمصر و الشام، تفقّه على الجمال الحصيرىّ و غيره، و سكن مصر، و حكم بها، و ولى بها قضاء

العسکر، و درّس بالصالحیّة، ثمّ ولی قضاء الشام. مات سنة سبع و سبعین و ستّمائة عن ثلاث و ثمانین سنة. و له مؤلّفات .

۱۹- لؤلؤ بن أحمد بن عبد اللّه الضّریر أبو الدرّ نجیب الدین. قال الدّمیاطیّ:

کان عارفا بالفقه و النّحو، تصدّر للإقراء بجامع الحاکم، و أعاد بالسیوفیّة. ولد سنة ستمائة، و مات فی رجب سنة اثنتین و سبعین.

۲۰- أبو بکر بن محمد بن عبد اللّه القزوینیّ الأصل الإسنویّ المولد جمال الدین. برع فی مذهب أبی حنیفة، و أکبّ علی العبادة، و اشتهر، و قصده النّاس للاشتغال علیه، و درّس بالصالحیة و السیوفیّة. مات بالقاهرة فی حدود الثمانین و ستّمائة، ذکره فی الطالع السعید.

۲۱- النعمان بن الحسن بن یوسف الخطیبیّ معزّ الدین قاضی الحنفیّة بالدیار المصریّة. کان عارفا بالمذهب، خیّرا، مات بالقاهرة فی شعبان سنة اثنتین و تسعین و ستمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۸۸

۲۲- علیّ بن نصر بن عمر الإمام نور الدین بن السوسیّ. ناب فی الحکم بالقاهرة عن ابن بنت الأعزّ، و جمع کتابا فیه زوائد الهدایة علی القدوریّ. مات فی جمادی الأولی سنة خمس و تسعین و ستمائة.

۲۳- ابن النقیب الإمام المفسّر العلّامة المفتی جمال الدین أبو عبد اللّه محمد ابن سلیمان بن حسن البلخیّ ثمّ المقدسیّ. مدرّس العاشوریّة بالقاهرة. ولد فی شعبان سنة إحدی عشرة و ستّمائة، و قدم مصر، فسمع بها من یوسف بن المخیلیّ، و أقام مدّة بالجامع الأزهر، و صنّف تفسیرا کبیرا إلی الغایة، و کان إماما عابدا زاهدا أمّارا بالمعروف، کبیر القدر، یتبرّک به بدعائه و زیارته. مات بالقدس فی المحرّم سنة ثمان و تسعین. ذکره فی العبر.

۲۴- حسام الدین الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنوشروان الرازیّ. کان إماما علّامة، کثیر الفضائل. ولی قضاء الحنفیّة بالدیار المصریة و قضاء الشام، و عدم فی وقعة التتار سنة تسع و تسعین و ستمائة، و مولده فی المحرّم سنة إحدی و ثلاثین.

۲۵- السّروجیّ العلّامة شمس الدین أحمد بن إبراهیم بن عبد الغنی. کان بارعا فی علوم شتّی، تفقّه علی الصّدر سلیمان، و شرح الهدایة، و ولی قضاء الدیار المصریة.

مات فی ربیع الآخر سنة إحدی و سبعمائة، و مولده سنة سبع و ثلاثین و ستمائة.

۲۶- رشید الدین إسماعیل بن عثمان بن المعلّم القرشیّ الدمشقیّ العلّامة شیخ الحنفیّة. سمع من ابن الزبیدیّ و غیره، و تفرّد، و تلا علی السخاویّ، و أفتی و درّس، و سکن القاهرة من سنة خمس و خمسین و سبعمائة إلی أن مات بها فی رجب سنة أربع عشرة عن إحدی و تسعین سنة. و له ولد یقال له تقیّ الدین مفت أیضا، مات قبل والده بقلیل.

۲۷- شمس الدین محمد بن عثمان بن أبی الحسن الدمشقیّ الحریریّ قاضی الدیار المصریة. کان رأسا فی المذهب، عادلا مهیبا، حدّث عن ابن الصّیرفیّ و ابن أبی الیسر و القطب بن أبی عصرون. ولد فی صفر سنة ثلاث و خمسین و ستمائة، و مات فی جمادی الآخرة سنة ثمان و عشرین و سبعمائة.

۲۸- علاء الدین علیّ بن یلبان الفارسیّ أبو الحسن المصریّ. ولد سنة خمس

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۸۹

و سبعین و ستّمائة، و سمع من الدّمیاطیّ و تفقّه بالسروجیّ، و برع فی المذهب و أصوله، و شرح الجامع الکبیر، و رتّب صحیح ابن حبّان علی الأبواب، و رتّب معجم الطّبرانیّ علی الأبواب، و شرح التلخیص للخلاطیّ. مات بالقاهرة فی شوّال سنة إحدی و ثلاثین و سبعمائة.

۲۹- برهان الدین بن علیّ بن أحمد بن علیّ، سبط ابن عبد الحق الواسطیّ قاضی الدیار المصریة. روی عن جدّه و ابن البخاریّ، و کان إماما عالما، فقیها عارفا بغوامض المذهب، محدّثا، درّس و ناظر، و صنّف شرح الهدایة و غیره، و اختصر سنن البیهقیّ الکبیر. مات فی ذی الحجّة سنة أربع و أربعین و سبعمائة.

۳۰- فخر الدین عثمان بن إبراهیم بن مصطفی المارديني المشهور بابن التركماني. شیخ الأصحاب فی وقته، انتهت إلیه ریاسة الحنفیّة بالدیار المصریة، و تخرّج به خلق كثیر، و شرح الجامع الكبیر، و ألقاه دروسا بالمنصوریّة. مات بالقاهرة فی رجب سنة إحدی و ثلاثین و سبعمائة، عن إحدی و ثمانین سنة.

و له ولدان:

۳۱- أحدهما: تاج الدین أحمد . ولد بالقاهرة فی ذی الحجّة سنة إحدی و ثمانین و ستّمائة، و تفقه و درّس، و أفتی و صنّف فی الفقه و أصوله و الفرائض و النّحو و الهیئة و المنطق. و من تصانیفه شرح الهدایة، و شرح الجامع الكبیر. مات بالقاهرة سنة أربع و أربعین و سبعمائة.

۳۲- و الآخر: علاء الدین علیّ. ولد سنة ثلاث و ثمانین و سبعمائة ، و كان إماما فی الفقه و الأصول، و الحدیث، ملازما للاشتغال، و الإفادة. له تصانیف بدیعة منها مختصر الهدایة، و مختصر علوم الحدیث لابن الصلاح، و الردّ علی البیهقیّ: ولی قضاء الدیار المصریة، و مات فی المحرّم سنة خمس و أربعین و سبعمائة.

و له ولدان:

۳۳- أحدهما: عبد العزیز، كان فقیها فاضلا، درّس بعدّة أماكن. مات بالطاعون سنة تسع و أربعین فی حیاة أبیه.

۳۴- و الآخر: جمال الدین عبد اللّه. ولی قضاء الدیار المصریة بعد موت أبیه،

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۹۰

و درّس الحدیث بالكاملیة بنزول من القاضی عزّ الدین بن جماعة، و درّس التفسیر بجامع ابن طولون، و أفتی و صنّف. ولد سنة تسع عشرة و سبعمائة، و مات فی شعبان سنة تسع و ستین.

۳۵- ولده صدر الدین محمد. أفتی و درّس، و ولی قضاء الدیار المصریة. ولد سنة ثلاث و أربعین و سبعمائة، و مات شابّا فی ذی القعدة سنة ستّ و سبعین.

۳۶- الزّیلعی شارح الكنز فخر الدّین عثمان بن علیّ بن محجن البارعیّ. قدم القاهرة سنة خمس و سبعمائة، و درّس و أفتی، و نشر الفقه، و انتفع به الناس. مات فی رمضان سنة ثلاث و أربعین و سبعمائة، و دفن بالقرافة.

۳۷- أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم تاج الدین أبو محمد القیسیّ. جمع الفقه و النحو و اللغة، و صنّف تاریخ النّحاة، و الدرّ اللقیط من البحر المحیط. ولد فی ذی الحجّة سنة اثنتین و ثمانین و ستّمائة، و مات سنة تسع و أربعین و سبعمائة.

۳۸- أمیر كاتب بن أمیر عمر بن أمیر غازی قوام الدین أبو حنیفة الإتقانیّ.

درّس ببغداد و دمشق، ثمّ قدم إلی مصر فدرّس بالجامع المارداني، و بالصّرغتمشیة أوّل ما فتحت. و كان رأسا فی مذهب الحنفیّة، بارعا فی الفقه و اللغة و العربیة. صنّف شرح الهدایة، و شرح الأخسیكثیّ، و رسالة فی عدم صحّة الجمعة فی موضعین من البلد. ولد فی شوّال سنة خمس و ثمانین و ستمائة، و مات فی شوّال سنة ثمان و خمسین و سبعمائة.

۳۹- السراج الهندیّ عمر بن إسحاق بن أحمد الغزنویّ قاضی القضاة بالدیار المصریة. تفقّه علی الوجیه الرازیّ، و السّراج الثّقفیّ، و صنّف شرح الهدایة، و الشامل فی الفروع، و شرح البدیع ، و شرح المغنی و شرح تائیّة ابن الفارض، و غیر ذلك.

مات سنة ثلاث و سبعین و سبعمائة .

۴۰- عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر اللّه بن سلّام ، محیی الدین أبو محمد بن أبی الوفا القرشیّ. درّس و أفتی، و صنّف شرح معانی الآثار، و طبقات الحنفیّة، و شرح الخلاصة، و تخریج أحادیث الهدایة و غیر ذلك. ولد سنة ستّ و سبعین

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۹۱

و ستمائة، و مات فی ربیع الأول سنة خمس و سبعین و سبعمائة .

۴۱- ابن الصائغ شمس الدین محمد بن عبد الرحمن بن علیّ الزمردیّ. برع فی الفقه و العربیّة و الأدب، و درّس و أفاد، و له تصانیف فی فنون، من ذلک شرح ألفیّة ابن مالک، و شرح البردة، و شرح مشارق الأنوار. مات فی شعبان سنة سبع و سبعین و سبعمائة.

۴۲- أحمد بن علیّ بن منصور بن شرف الدین أبو العباس الدمشقیّ. ولی القضاء بالدیار المصریة، و اختصر المختار فی الفقه، و سمّاه التحریر، و علّق علیه شرحا، و له تصانیف أخر. مات فی شعبان سنة اثنتین و ثمانین و سبعمائة.

۴۳- إکمال الدّین محمد بن محمد بن محمود البابرتیّ علّامة المتأخّرین، و خاتمة المحقّقین. برع و ساد، و درّس و أفاد، و صنّف شرح الهدایة، و شرح المشارق ، و شرح المنار، و شرح البردویّ، و شرح مختصر ابن الحاجب، و شرح تلخیص المعانی و البیان، و شرح ألفیّة ابن معط، و حاشیته علی الکشّاف، و غیر ذلک. و ولی مشیخة الشیخونیّة أوّل ما فتحت، و عرض علیه القضاء فأبی. مات فی رمضان سنة ستّ و ثمانین و سبعمائة .

۴۴- جلال ابن أحمد بن یوسف التّبانیّ . أخذ عن القوام الإتقانیّ و القوام السکاکیّ و ابن عقیل و ابن هشام، و کان فقیها أصولیّا نحویّا بارعا، تنصّب للاشتغال و الفتوی مدّة طویلة، و سئل بقضاء مصر فلم یرض، و ولی تدریس الصّرغتمشیّة و مدرسة الجائیّ . و له تصانیف، منها شرح المنار و رسالة فی عدم جواز صحة الجمعة فی مواضع. مات فی رجب سنة ثلاث و تسعین و سبعمائة .

۴۵- العجمیّ جمال الدین محمود بن علیّ القیصریّ. قدم القاهرة قدیما، و اشتغل بالفنون، و مهر. و ولی الحسبة مرارا، و نظر الجیش، و قضاء الحنفیّة و مشیخة

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۹۲

الشیخونیّة و الصّرغتمشیّة، و درّس التفسیر بالمنصوریة، و درّس الحدیث بها. مات فی سابع ربیع الأوّل سنة تسع و تسعین و سبعمائة.

۴۶- الطرابلسیّ قاضی القضاة شمس الدین محمد بن أحمد بن أبی بکر. تفقّه بالسّراج الهندیّ و غیره، و کان فقیها مشارکا فی الفنون، عارفا بالوثائق، خبیرا بالأقضیة.

و ولی القضاء بالقاهرة مرّتین، و مات فی ذی الحجّة سنة تسع و تسعین و سبعمائة، و قد زاد علی السبعین.

۴۷- الکلستانیّ بدر الدین محمود بن عبد اللّه. اشتغل ببلاده، و قدم القاهرة فولی مشیخة الصّرغتمشیّة. و له نظم السّراجیة فی الفرائض و غیره، و کان بارعا فی الفنون. مات سنة إحدی و ثمانمائة.

۴۸- القاضی مجد الدّین إسماعیل بن إبراهیم بن محمد بن علیّ بن موسی الکنانیّ البلبیسیّ. تخرّج بمغلطای و التّرکمانی، و مهر فی الفقه و الفرائض، و شارک فی الأدب، و له تألیف فی الفرائض، و اختصر الأنساب للرّشاطیّ، و ولی قضاء الحنفیّة بالقاهرة. مات فی ربیع الأوّل سنة اثنتین و ثمانمائة .

۴۹- الملطیّ یوسف بن موسی بن محمد بن أحمد. اشتغل بحلب حتّی مهر، ثمّ دخل إلی الدیار المصریة، و تفقّه علی القوام الإتقانیّ و غیره، و أفتی و درّس، و ولی قضاء الحنفیّة بالقاهرة. مات فی ربیع الآخر سنة ثلاث و ثمانمائة، و قد قارب الثمانین.

۵۰- الدّیریّ قاضی القضاة شمس الدین محمد بن عبد اللّه المقدسیّ. و ولد بعد سنة أربع و خمسین و سبعمائة، و اشتغل و واظب، و مهر فی الفنون، و ناظر العلماء، و استدعاه المؤیّد، فقرّره فی قضاء الحنفیّة و فی مشیخة المؤیّدة. مات فی ذی الحجّة سنة سبع و عشرین و ثمانمائة.

۵۱- قارئ الهدایة سراج الدین عمر بن علیّ. کان فی أوّل أمره خیّاطا بالحسینیّة، ثمّ اشتغل و مهر فی الفقه إلی أن صار المشار إلیه فی مذهب الحنفیّة، و کثرت تلامذته و الآخذون عنه، و ولی مشیخة الشیخونیّة، و مات فی ربیع الآخر سنة تسع و عشرین و ثمانمائة، و قد نیّف علی الثمانین.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۹۳

۵۲- التّفهنیّ قاضی القضاة زین الدین عبد الرحمن بن علیّ بن عبد الرحمن بن علیّ بن هاشم. قال الحافظ ابن حجر: لازم الاشتغال

فمهر فی الفقه و العربیّة و المعانی، و اشتهر اسمه و ناب فی الحکم، ثمّ قرأ تدریس الصّرغتمشیّة و مشیخة الشیخونیّة، ثمّ قضاء الحنفیّة. مات- قیل- مسموما فی شوّال سنة خمس و ثلاثین و ثمانمائة .

۵۳- العینیّ قاضی القضاة بدر الدین محمود بن أحمد بن موسی بن أحمد بن حسین بن یوسف بن محمود. ولد فی رمضان سنة اثنتین و ستّین و سبعمائة، و تفقّه، و اشتغل بالفنون، و برع و مهر و دخل القاهرة، و ولی الحسبة مرارا و قضاء الحنفیّة، و له تصانیف؛ منها شرح البخاریّ و شرح الشواهد، و شرح معانی الآثار، و شرح الهدایة و شرح الکنز، و شرح المجمع . و شرح درر البحار، و طبقات الحنفیّة. و غیر ذلک.

مات فی ذی الحجّة سنة خمس و خمسین و ثمانمائة .

۵۴- ابن الهمام العلّامة کمال الدین محمد بن عبد الواحد بن عبد الحمید بن مسعود السیواسیّ ثم السکندریّ. ولد تقریبا سنة تسعین و سبعمائة، و تفقّه بالسراج قارىء الهدایة و غیره، و تقدّم علی أقرانه فی أنواع العلوم، من الفقه و الأصول و النحو و المعانی و غیرها. و کان علّامة محقّقا جدلیّا نظارا، قرّره الأشرف شیخا فی مدرسته، فباشرها مدّة ثم ترکها. و ولی مشیخة الشّیخونیّة ثمّ ترکها أیضا. و له تصانیف، منها شرح الهدایة و التحریر فی أصول الفقه. مات فی رمضان سنة إحدی و ستین و ثمانمائة.

۵۵- قاضی القضاة سعد الدین سعد بن قاضی القضاة شمس الدین الدّیریّ. ولد فی رجب سنة ثمان و ستین و سبعمائة، و أخذ عن والده و غیره و انتهت إلیه ریاسة الحنفیّة فی زمانه، و ولی مشیخة المؤیدیّة و قضاء الحنفیّة. و له تصانیف، منها تکملة شرح الهدایة للسروجی. مات سنة سبع و ستین و ثمانمائة.

۵۶- شیخنا الشّمّنیّ الإمام تقیّ الدین أبو العباس أحمد بن الشیخ المحدّث کمال الدین محمد بن محمد بن حسن التمیمیّ الدّاریّ. قدوة عین الزمان و إنسانها، و واحد عصره فی العلوم بحیث خضعت له رجالها و فرسانها، و شجرة المعارف التی طاب

أصلها فزکت فروعها و أغصانها، و ریاض الآداب التی فاضت ینابیعها و فاحت زهورها و تنوّعت أفنانها. إن أخذ فی التفسیر کلّ عنده الکشاف و اختفی، أو الحدیث کان عن ألفاظه الغریبة مزیل الخفا، أو الفقه عدّ للنعمان شقیقا، أو النحو کان للخلیل رفیقا، أو الکلام فلو رآه النظّام اختل نظامه، و لو أدرکه صاحب المواقف لقال: أنت فی کلّ موقف مقدّمه و إمامه، أو الأصول، و لو جادله السیف لاختفی فی غمده، و لقطع له بالإمامة و لم یقطع بحضرته لکلال حدّه، أو الإمام الفخر لقال: ما لأحد أن یتقدّم بین یدی هذا الحبر، و خاطبه لسان حاله: أنت إمام الطائفة، و الرازی علی فرقة هی عن الحقّ صادفة، و لا فخر.

ولد بالإسکندریة فی رمضان سنة إحدی و ثمانمائة، و تلا علی الزراتیتی و تفقّه بالشیخ یحیی السّیرامیّ، و أخذ النحو عن الشمس الشّطنوفیّ و الحدیث عن الشیخ ولیّ الدین العراقیّ، و لازم البساطی فی المعقول، و برع فی الفنون، و سمع الکثیر، و أجاز له العراقیّ و البلقینی و الحلاویّ و المراغیّ و غیرهم، و قرأ الفنون، و انتفع به الخلق، و صنّف حاشیة علی المغنی، و حاشیة علی الشفا و شرح النقایة فی الفقه، و شرح نظم النخبة لأبیه، و أرفق المسالک لتأدیة المناسک. و طلب لقضاء الحنفیة فامتنع. مات فی ذی الحجّة سنة اثنتین و سبعین و ثمانمائة.

و قلت أرثیه:

رزء عظیم به تستنزل العبرو حادث جلّ فیه الخطب و الغیر

رزء مصاب جمیع المسلمین بهو قلبهم منه مکلوم و منکسر

ما فقد شیخ شیوخ المسلمین سوی انهدام رکن عظیم لیس ینعمر

رزیّة عظمت بالمسلمین و قدعمّت و طمّت فما للقلب مصطبر

تبکیه عین أولی الإسلام قاطبةو یضحک الفاجر المسرور و الغمر

من قام بالدّین فی دنیاه مجتهداو قام بالعلم لا یألو و یقتصر

کلّ العلوم تناغیه و تنشدهلمّا قضی: مهلا یا أیها البشر

إذ کان فی کلّ علم آیهٔ ظهرتو ما العیان کمن قد جاءه الخبر

باع طویل ید علیاء مع قدملها رسوخ سواها ماله ظفر

النقل و العقل حقا شاهدان رضابأنّه فاق من یأتی و من غبروا

أبان علم أصول الدین متّضحاو کم جلا شبها حارت بها الفکر

و فی الکتاب و فی آیاته ظهرتآیاته حین یتلوها و یعتبر

محقّق کامل الآلات مجتهدو ما عسی تبلغ الأبیات و السّطر؟!

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۹۵ و فی الحدیث أیادیه قد انتشرتآثارها و شذا فیاحها العطر

قد توّج الفقه بالشرح المفید و قدحلّته بالسیرا أبحاثه الغرر

أنعم بنعمان عینا حین یذکر فیأصحابه الشیخ دامت فوقه الدّرر

یسطو بسیف علی الرازیّ مفتخرالدی الأصول و ما فی القوم مفتخر

کلامه فی علوم العرب أجمعهامغنی اللبیب إذا أعیت به الفکر

و النّظم فی الرّتبهٔ العلیاء فضلتهیحکیه فیه انسجام القطر و النّهر

علی هدی الأقدمین الغرّ منهجهعلما و قولا و فعلا ما به نکر

نقیّ عرض تقیّ الدین لا دنسیشینه، لا و لا فی شأنه غبر

سعی إلیه قضاء العصر یخطبهفردّه خائبا زهدا به حصر

له مکارم أخلاق یسود بهاأکابر العصر إن طالوا و إن فخروا

وجود حاتم یجری من أنامللهلوافدیه و إن قلّوا و إن کثروا

له فصاحهٔ سحبان و شاهدهاإجماع کلّ الوری و النصّ و النّظر

لو یحلف الخلق بالرحمن إنّ لهکلّ المحاسن و الإحسان ما فجروا

عمّ الوری منه علم ماله مددو من فوائده ما لیس ینحصر

و کلّ أعیان أهل العصر مرتفعبالأخذ عنه لعلیاه و مفتخر

المنهل العذب حقّا للورود فماعن غیره لهم ورد و لا صدر

شیخ الشیوخ و لا أوحشت من سکنو لا عفا لک ربع زانه الخفر

حیاتک الحق فی الدارین ثابتهٔما العالمون بأموات و إن قبروا

قطعت عمرک إمّا ناشرا لهدیأو نافعا لفتی قد مسّه الضرر

علی سواک ربیع العلم رونقهمحرّم و هم من فهمه صفروا

غرست دوحهٔ علم للوری فهممن مستظلّ و من دان له الثمر

و کم قصدت إلی إیضاح مشکلهٔأو حلّ معضلهٔ طارت بها الشّرر

و لم تشنک و لایات القضاء فلاتراع من حاسب یحصی و یختبر

و من یکن عمره التّقوی بضاعتهفلا یخاف، و نعم العمر و العمر

حزت العلا فی الوری علما و منقبهسوی الّذی لک عند اللّه مدّخر

أبشر بروح و ریحان و دار رضاو رحمة و صفاء ما به کدر

أبشر و بشراک صدق ما بها ریب کما بها یشهد التنزیل و الأثر

یثنی علیک جمیع الخلق قاطبةإنّ الثناء علی هذا لمعتبر

یذکّر الموت قرب الانتقال و ماکمثل موت تقیّ الدین مذّکر

فاللّه یخلفه فی نسله کرماو اللّه أعظم من یرجی و ینتظر

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۹۶ و اللّه یقضی بإسراع اللحوق فماللقلب بعد هداة الدّین مصطبر

دهر عجیب یطمّ السمع منکرهو ما به الهدی عون و لا وزر

و کلّ وقت تری الأخیار قد ذهبواو للأشرّة فیه النار تستعر

حبر فحبر إمام بعد آخر لایری لهم خلف کلّا و لا نظر

إذا نجوم الهدی و الرّشد قد أفلتضلّ الوری فلهم فی غیّهم سکر

هم الألی تشرق الدنیا ببهجتهالا شمسها و أبو إسحاق و القمر

و إن تکن أعین الإسلام ذاهبةتری فعمّا قلیل یذهب الأثر

۵۷- الشیخ أمین الدین، الأقصرائی یحیی بن محمد شیخ الحنفیّة فی زمانه. ولد سنة نیّف و تسعین و سبعمائة، و انتهت إلیه رئاسة الحنفیة فی زمانه. مات فی أواخر المحرّم سنة ثمانین و ثمانمائة.

۵۸- الشیخ سیف الدین الحنفیّ محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا البکتمریّ العلّامة الورع الزاهد العابد. ولد تقریبا علی رأس ثمانمائة، و أخذ عن السّراج قارىء الهدایة و التّفهنیّ، و لازم ابن الهمام، و انتفع به، و برع فی الفقه و الأصول و النّحو، و کان شیخه ابن الهمام یقول عنه: هو محقّق الدیار المصریّة، مع ما هو علیه من سلوک طریق السّلف و العبادة و الخیر، و عدم التردّد إلی أحد أبدا مدّة عمره، و لم یر مثله تورّعا، و ولی التدریس بأماکن، منها درّس التفسیر بالمنصوریّة، و آخر ما تولّی مشیخة المؤیدیّة ثمّ الشیخونیة. و له حاشیة علی التّوضیح کثیرة الفوائد. مات فی ذی القعدة سنة إحدی و ثمانین و ثمانمائة.

و هو آخر شیوخی موتا لم یتأخّر بعده أحد ممّن أخذت عنه العلم إلا رجل قرأت علیه ورقات من المنهاج. و قلت أرثیه:

مات سیف الدّین منفرداو غدا فی اللّحد منغمدا

عالم الدّنیا و صالحهالم تزل أحواله رشدا

یبکیه دین النبیّ إذاما أتاه ملحد کمدا

إنما یبکی علی رجلقد غدا فی الخیر معتمدا

لم یکن فی دینه وهنلا و لا للکبر منه ردا

عمره أفناه فی نصبلإله العرش مجتهدا

من صلاة أو مطالعةأو کتاب اللّه مقتصدا

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۹۷ لا یوافیه لمظلمةبشر أو مدّع فندا

فی الذی قد کان من ورعلم یخلّف بعده أحدا

دنت الدنیا لمنصرمو رحیل النّاس قد أفدا

لیت شعری من نؤمّلهبعد هذا الحبر ملتحدا!

ثلمة فی الدین موتتهما لها من جابر أبدا

قد روینا ذاک فی خبرو هو موصول لنا سندا

فعليه هامعات رضاو من الغفران سحب ندى

و بعثنا ضمن زمرتهمع أهل الصّدق و الشّهدا

ذكر من كان بمصر من أئمة الفقهاء الحنابلة

هم بالديار المصرية قليل جدّا، و لم أسمع بخبرهم فيها إلّا فى القرن السابع و ما بعده؛ و ذلك أنّ الإمام أحمد رضى اللّه عنه كان فى القرن الثالث، و لم يبرز مذهبه خارج العراق إلا فى القرن الرابع، و فى هذا القرن ملكت العبيديّون مصر، و أفنوا من كان بها من أئمة المذاهب الثلاثة، قتلا و نفيا و تشريدا، و أقاموا مذهب الرّفض و الشّيعة، و لم يزالوا منها إلى أواخر القرن السادس، فتراجعت إليها الأئمة من سائر المذاهب.

١- و أوّل إمام من الحنابلة علمت حلوله بمصر، الحافظ عبد الغنىّ المقدسىّ صاحب العمدة، و قد مرّت ترجمته فى الحفّاظ.

٢- نجم الدين أبو عبد اللّه أحمد بن حمدان الحرانىّ النّميرى الحنبلىّ العلّامة الكبير شيخ الفقهاء. مصنّف الرّعاية الكبيرة، روى عن عبد القادر الرّهاوىّ و فخر الدين ابن تيميّة، و انتهت إليه معرفة المذهب. مات بالقاهرة فى صفر سنة خمس و تسعين و ستّمائة، و له اثنتان و تسعون سنة. قاله فى العبر.

٣- قاضى الديار المصرية عز الدين عمر بن عبد اللّه بن عمر بن عوض المقدسىّ. قال ابن كثير: سمع الحديث، و برع فى المذهب، و ولى قضاء الحنابلة بالقاهرة، و كان مشكور السّيرة مات فى صفر سنة ستّ و تسعين و ستمائة، و له خمس و ستون سنة.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۳۹۸

قال فى العبر: روى عن ابن اللّتّى و جعفر الهمذانىّ.

۴- عفيف الدين عبد السلام بن محمد بن مزروع بن أحمد عوارى المصرىّ الحنبلىّ. العالم القدوة. ولد سنة خمس و عشرين و ستّمائة و سمع الحديث، و جاور بالمدينة خمسين سنة، و مات بها فى صفر سنة ستّ و تسعين.

۵- قاضى القضاة شرف الدين عبد الغنى بن يحيى بن عبد اللّه الحرّانىّ. لم يكن فى زمانه مثله علما و رئاسة. ولد بحرّان سنة إحدى و تسعين و ستّمائة، و قدم مصر فولى نظر الخزانة و تدريس الصالحية ثمّ القضاء، و كان مشكور السيرة. مات فى ربيع الأول سنة تسع و خمسين و سبعمائة.

۶- سعد الدين الحارثى. مرّ فى الحفّاظ.

۷- قاضى القضاة موفّق الدين عبد اللّه بن عبد الملك المقدسىّ. أقام فى القضاء بديار مصر أكثر من ثلاثين سنة. مات فى المحرّم سنة تسع و ستّين و سبعمائة .

۸- أبو بكر بن محمد العراقىّ ثمّ المصرىّ تقى الدين الحنبلىّ. قال الحافظ ابن حجر: كان من فضلاء الحنابلة. مات فى جمادى الأولى سنة ثلاث و سبعين و سبعمائة.

۹- قاضى القضاة ناصر الدين أبو الفتح نصر اللّه بن أحمد الكنانىّ العسقلانىّ.

أقام فى قضاء الديار المصرى ستّا و عشرين سنة، و كان مشكور السّيرة. مات فى شعبان سنة خمس و تسعين و سبعمائة.

۱۰- ولده برهان الدين إبراهيم. ولد فى رجب سنة ثمان و ستّين و سبعمائة، و ولى القضاء بعد والده، و عمره بضع و عشرون سنة، و سلك طريق أبيه فى الفقه و التعفّف فى الأحكام، مع بشاشة و لين جانب. و كان الظاهر برقوق يعظّمه. مات فى ربيع الأول سنة اثنتين و ثمانمائة .

۱۱- أخوه موفّق الدين أحمد بن القاضى ناصر الدين. ولد فى المحرّم سنة تسع و ستّين و سبعمائة، و ولى القضاء مرتين، و مات فى رمضان سنة ثلاث و خمسين و ثمانمائة.

۱۲- أبو بکر بن أبی المجد ماجد السعد الحنبلیّ عماد الدین. ولد سنة خمس و ثلاثین و سبعمائة، و سمع من المزیّ و الذهبیّ، و حصّل طرفا صالحا من الحدیث،

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۳۹۹

و اختصر تهذیب الکمال، و سکن مصر، فقرّر طالبا بالشیخونیة، فلم یزل بها حتّی مات فی جمادی الأولی سنة أربع و خمسین و ثمانمائة. و من تصانیفه تجرید الأوامر و النواهی من الکتب الستّة.

۱۳- نور الدین الحکریّ علیّ بن خلیل بن علیّ. کان فاضلا نبیها، درّس و أفاد، ولی قضاء الحنابلة عوضا عن موفّق الدین، ثمّ عزل. مات فی المحرّم سنة ستّ و خمسین و ثمانمائة.

۱۴- عبد المنعم بن سلیمان بن داود بن الشیخ شرف الدین البغدادیّ. ولد ببغداد، و اشتغل بها و تفقّه و مهر و أفتی، و درّس و أخذ الفقه عن الموفّق الحنبلیّ و عیّن للقضاء غیر مرّة، و استوطن القاهرة إلی أن مات فی شوّال سنة سبع و خمسین و ثمانمائة.

۱۵- جلال الدین نصر اللّه بن أحمد بن محمد بن عمر البغدادیّ نزیل القاهرة.

ولد سنة ثلاث و ثلاثین و سبعمائة، و أخذ عن الکرمانیّ و غیره، و ولی غالب تداریس الحدیث ببغداد، ثم قدم القاهرة، فولّی تدریس الحنابلة بالبرقوقیّة، و غالب تداریس الحدیث بمصر. مات فی صفر سنة اثنتی عشرة و ثمانمائة .

۱۶- نجم الدین الباهی محمد بن محمد بن محمد بن عبد الدائم. سمع علی العرضیّ و جماعة، و أفتی و درّس، و شارک فی العلوم. قال الحافظ ابن حجر: کان أفضل الحنابلة بالدیار المصریة، و أحقّهم بولایة القضاء. مات سنة اثنتین و خمسین و ثمانمائة.

۱۷- الحبتیّ شمس الدین محمد بن أحمد بن معالی. ولد سنة خمس و أربعین و سبعمائة، و مهر فی الفنون، و ناب فی الحکم، و تکلّم علی الناس. مات فی المحرّم سنة خمس و عشرین و ثمانمائة.

۱۸- ابن مغلی قاضی القضاة علاء الدین علیّ بن محمود بن أبی بکر الحمویّ. ولد سنة إحدی و سبعین و سبعمائة، و کان آیة فی سرعة الحفظ، ولی قضاء الدیار المصریة، و مات فی صفر سنة ثمان و عشرین و ثمانمائة.

۱۹- قاضی القضاة محبّ الدین أحمد بن العلّامة جلال الدین نصر اللّه بن

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۰۰

أحمد بن محمد بن عمر البغدادیّ. ولد فی صفر سنة خمس و ستّین و سبعمائة ببغداد، و نشأ علی الخیر و الاشتغال بالعلوم، ثمّ رحل إلی دمشق، ثمّ دخل القاهرة، فقرّر صوفیا بالبرقوقیة، و ناب فی القضاء عن ابن مغلی و المجد بن سالم، ثمّ ولی قضاء الحنابلة بالقاهرة استقلالا. و مات فی جمادی الأولی سنة أربع و أربعین و ثمانمائة.

۲۰- الزّرکشیّ زین الدین عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللّه بن محمد، أبو ذرّ.

ولد فی رجب سنة ثمان و خمسین و سبعمائة، و تفقّه علی قاضی القضاة ناصر الدین بن نصر اللّه و غیره، و سمع صحیح مسلم علی البیانیّ، و ولی تدریس الحنابلة بالأشرفیّة الجدیدة، و له تصانیف.

۲۱- أحمد بن إبراهیم بن نصر اللّه بن أحمد بن محمد بن أبی الفتح بن هاشم ابن إسماعیل بن نصر اللّه بن أحمد الکنانیّ العسقلانیّ الأصل المصریّ المولد، شیخنا قاضی القضاة عزّ الدین أبو البرکات بن قاضی القضاة برهان الدین بن قاضی القضاة ناصر الدین الحنبلیّ. قاض مشی علی طریقة السلف، و سعی إلی أن بلغ العلا- لما کلّ غیره و وقف، من أهل بیت فی العلوم و القضاء عریق، و بالریاسة و النفاسة حقیق، خدم فنون العلم إلی أن بلغ منها المنی، و تفرّد بمذهب الإمام أحمد فما کان فی عصره من یشیر إلی نفسه بأنا، و ولی القضاء فأحیا سنّة التواضع و التقشّف، و ترک الناموس و طرح التکلّف. سهل الباب، عدیم الحجاب، حشن الأثواب، لیّن الخطاب، للدنیا به فخار، و للکسیر به انجبار، تعتقده الملوک و الأمراء، و یتردّد إلیه الفضلاء و الفقراء، یصل إلیه لتواضعه المرأة و الصغیر، و یهابه لفرط دینه الجبار و الأمیر، و لم یزل علی حاله الجمیل، سائرا من أنواع المحاسن فی أحسن سبیل، ما بین تألیف و

مطالعة، و إفتاء و مراجعة؛ إلی أن أتاه من الموت ما لا محید عنه، و حلّ به ما لا بد منه، فضحک له وجه الدار الآخرة و أقبل، و بکی علی فراقه مذهب ابن حنبل. ولد فی ذی القعدة سنة ثمانمائة، و أخذ عن المحبّ بن نصر اللّه، و العزّ بن جماعة، و الشیخ عبد السلام البغدادیّ و غیرهم، و سمع الکثیر. و أجاز له العراقیّ و المراغیّ و خلق، و ناب فی القضاء عن ابن مغلی و له نحو العشرین سنة، ثمّ ولی قضاء الحنابلة بالدیار المصریة، فباشره بعفّة و نزاهة و تواضع مفرط بحیث لم یتّخذ نقیبا و لا حاجبا، و درّس للحنابلة بغالب مدارس البلد، و له تعالیق و تصانیف و مسودّات کثیرة، فی الفقه و أصوله، و الحدیث و العربیة و التاریخ و غیر ذلک.

مات فی جمادی الأولی سنة ستّ و سبعین و ثمانمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۰۱

ذکر من کان بمصر من أئمة القراءات

۱- عقبة بن عامر الجهنیّ .

۲- أبو تمیم الجیشانیّ .

۳- عبد الرحمن بن هرمز الأعرج .

۴- ورش عثمان بن سعید أبو سعید المصریّ- و قیل أبو عمرو، و قیل أبو القاسم- أصله قبطیّ مولی آل الزّبیر بن العوّام. ولد سنة خمس عشرة و مائة، و أخذ القراءة عن نافع، و هو الذی لقّبه بورش لشدّة بیاضه، و قیل لقّبه بالورشان ثمّ خفّف.

انتهت إلیه ریاسة الإقراء بالدیار المصریة فی زمانه، و کان ماهرا فی العربیة. مات بمصر سنة سبع و تسعین و مائة.

۵- سقلاب بن شنینة أبو سعید المصریّ. قرأ علی نافع، و کان یقرئ فی أیام ورش. أخذ عنه یونس بن عبد الأعلی و یعقوب بن الأزرق. مات سنة إحدی و تسعین و مائة.

۶- معلّی بن دحیة أبو دحیة. قرأ علی نافع، و علیه یونس بن عبد الأعلی، و عبد القویّ بن کمونة، و أبو مسعود المدنیّ.

۷- الغازی بن قیس. مرّ.

۸- داود بن أبی طیبة المصریّ أبو سلیم بن هارون بن یزید مولی آل عمر بن الخطاب. قرأ علی ورش، و علیه ابنه عبد الرحمن. قال ابن یونس: مات فی شوال سنة ثلاث و عشرین و مائتین.

۹- أبو سعید یحیی بن سلیمان الجعفیّ الکوفیّ المقرئ الحافظ نزیل مصر.

سمع عبد العزیز الدراوردیّ و طبقته. مات سنة ثمان- و قیل سبع- و ثلاثین و مائتین. قاله فی العبر.

۱۰- أبو یعقوب الأزرق یوسف بن عمرو بن یسار المدنیّ ثمّ المصریّ. لزم

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۰۲

ورشا مدّة طویلة، و أتقن عنه الأداء، و خلّفه فی الإقراء بالدیار المصریة، و انفرد عنه بتغلیظ اللّامات و ترقیق الراءات. قال أبو الفضل الخزاعیّ: أدرکت أهل مصر و المغرب علی أبی یعقوب و ورش، لا یعرفون غیرهما. توفّی فی حدود الأربعین و مائتین.

۱۱- عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم العتقیّ أبو الأزهر المصریّ. أخذ الأئمة الأعلام کوالده، حدّث عن أبیه و ابن عیینة و ابن وهب، و قرأ القرآن علی ورش، و لمکان أبی الأزهر اعتمد الأندلسیون علی قراءة ورش، و هو أخو الفقیه موسی بن عبد الرحمن.

مات سنة إحدی و ثلاثین و مائتین.

۱۲- سلیمان بن داود الرشیدیّ مرّ فی المالکیّة.

۱۳- أحمد بن صالح المصریّ مرّ فی المجتهدین.

۱۴- یونس بن عبد الأعلی مرّ فی المجتهدین.

۱۵- أحمد بن محمد بن الحجاج بن رشدین بن سعد، الحافظ أبو جعفر المصریّ المقری. قال فی العبر: قرأ القرآن علی أحمد بن صالح، و روی عن سعید بن عفیر و طبقته و فیه ضعف. قال ابن عدیّ: یکتب حدیثه. مات سنهٔ اثنتین و تسعین و مائتین.

۱۶- إسماعیل بن عبد اللّه بن عمرو بن سعید بن عبد اللّه أبو الحسن النحاس.

مقرئ الدیار المصریهٔ. قرأ علی أبی یعقوب الأزرق، و تصدّر للإقراء مدّهٔ بجامع عمرو فقرأ علیه خلق لإتقانه و تحریره. قرأ علیه أبو الحسن بن شنبوذ. مات سنهٔ بضع ثمان و عشرین.

۱۷- أبو بکر بن عبد اللّه بن مالک بن عبد اللّه بن سیف التّجیبیّ المقرئ المصریّ. شیخ الإقلیم فی القراءات فی زمانه. قرأ علی أبی یعقوب الأزرق، و عمّر دهرا طویلا- حدّث عن محمد بن رمح صاحب اللّیث بن سعد، و حدّث عنه ابن یونس. مات فی جمادی الآخرهٔ سنهٔ سبع و خمسین و ثلثمائهٔ.

۱۸- محمد بن محمد بن عبد اللّه بن النقاح بن بدر الباهلیّ أبو الحسن البغدادیّ المقرئ. نزیل مصر، أخذ القراءهٔ عن الدوریّ، و حدّث عن أحمد بن إبراهیم الدّورقیّ و إسحاق بن أبی إسرائیل. روی عنه حمزهٔ الکنانی و أبو سعید بن یونس، و قال: کان ثقهٔ ثبتا صاحب حدیث متقلّلا من الدنیا. مات بمصر فی ربیع الأول سنهٔ أربعین و ثلثمائهٔ.

حسن المحاضرهٔ فی أخبار مصر و القاهرهٔ، ج۱، ص: ۴۰۳

۱۹- محمد بن سعید الأنماطیّ أبو عبد اللّه المصریّ. قرأ علی أبی یعقوب الأزرق و عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم. قال أبو عمرو الدّانیّ: هو من کبار أصحابهما من جلّهٔ المصریّین. أخذ عنه عبد المجید بن مسکین و محمد بن خیرون المقرئ.

۲۰- أحمد بن محمد بن شبیب أبو بکر الرّازیّ. نزیل مصر. أخذ عن موسی بن محمد بن هارون صاحب البزیّ و الفضل بن شاذان، قرأ علیه أبو الفرج الشّنبوذیّ. مات بمصر سنهٔ اثنتی عشرهٔ و ثلثمائهٔ.

۲۱- أحمد بن عبد اللّه بن محمد بن هلال أبو جعفر الأزدیّ المصریّ. أحد الأئمهٔ القرّاء بمصر، قرأ علی أبیه و علی إسماعیل بن عبد اللّه النّحاس، و تصدّر للإقراء.

مات فی ذی القعدهٔ سنهٔ خمس عشرهٔ و ثلثمائهٔ.

۲۲- عامر بن أحمد بن حمدان أبو غانم المصریّ المقرئ النحویّ. أحد أصحاب أحمد بن هلال و أضبطهم. قرأ علیه محمّد بن علیّ الأدفویّ و عامهٔ أهل مصر، و له مؤلّف فی اختلاف السبعهٔ. مات فی ربیع الأوّل سنهٔ ثلاث و ثلاثین و ثلثمائهٔ.

۲۳- أحمد بن أسامهٔ بن أحمد بن أسامهٔ بن عبد الرحمن بن عبد اللّه بن السّمح أبو جعفر بن أبی سلمهٔ التمیمیّ مولاهم المصریّ المقرئ. قرأ لورش علی إسماعیل بن عبد اللّه النحاس، قرأ علیه محمد بن النعمان، و عبد الرحمن بن یونس، و روایته فی التیسیر. مات سنهٔ اثنتین و أربعین و ثلثمائهٔ، و قد جاوز المائهٔ. و قیل: مات فی رجب سنهٔ ستّ و خمسین و ثلثمائهٔ.

۲۴- حمدان بن عون أبو جعفر الخولانیّ المصریّ. أحد الحذّاق. قرأ علی أحمد بن هلال ثلثمائهٔ ختمهٔ، ثمّ علی إسماعیل بن عبد اللّه النحاس ختمتین. قرأ علیه عمر بن محمد بن عرّاک. مات سنهٔ خمس و أربعین و ثلثمائهٔ.

۲۵- محمد بن أحمد بن عبد العزیز بن منیر أبو بکر بن أبی الأصبغ الحرّانیّ نزیل مصر: قرأ علی أحمد بن هلال، و کان بصیرا بمذهب مالک. مات فی شوّال سنهٔ تسع و ثلاثین و ثلثمائهٔ.

۲۶- أحمد بن عبد العزیز بن بدهن أبو الفتح البغدادیّ المقرئ نزیل مصر.

قرأ علی أحمد بن سهل الأشنانیّ و ابن مجاهد، و حذق و مهر، و طال عمره و اشتهر،

حسن المحاضرهٔ فی أخبار مصر و القاهرهٔ، ج۱، ص: ۴۰۴

و کان من أطیب النّاس صوتا، و أفصحهم أداء. أخذ عنه عبد المنعم بن غلبون و ابنه طاهر. مات سنهٔ تسع و خمسین و ثلثمائهٔ.

۲۷- محمد بن عبد اللّه المعافریّ أبو بکر المصریّ. قرأ علی أبی بکر بن حمید ابن القباب، قرأ علیه خلف بن إبراهیم بن خاقان. مات

بمصر سنة بضع و خمسين و ثلثمائة.

۲۸- عبد اللّه بن الحسين بن حسنون بن أحمد السامرىّ البغدادىّ مسند القرّاء بالديار المصرية. قرأ على أحمد بن سهل الأشنانىّ و يموت بن المزرّع و ابن مجاهد و ابن شنبوذ، و سمع من أبى بكر بن أبى داود و ابن الأنبارىّ و جماعة. و كان عارفا بالقراءات شديد العناية بها. قال الدانىّ: مشهور ضابط ثقة مأمون؛ غير أنّ أيّامه طالت فاختلّ حفظه و لحقه الوهم. أخذ عنه فى وقت حفظه و ضبطه فارس بن أحمد و محمد بن الحسين بن النعمان و خلق من المصريّين. ولد سنة خمس و تسعين و مائتين، و مات فى المحرّم سنة ستّ و ثمانين و ثلثمائة. قال الذهبىّ: آخر من قرأ عليه موتا أبو العباس بن نفيس.

۲۹- غزوان بن القاسم بن علىّ بن غزوان أبو عمرو المازنىّ. أخذ عن ابن مجاهد و ابن شنبوذ، و كان ماهرا ضابطا شديد الأخذ، واسع الرواية. ولد سنة اثنتين و تسعين و ثلثمائة، و مات بمصر سنة اثنتين و ثمانين و ثلثمائة. حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة ؛ ج۱ ؛ ص۴۰۴

- محمد بن الحسن بن علىّ بن طاهر الأنطاكىّ. أحد أعلام القرّاء، نزيل مصر. أخذ عن إبراهيم بن عبد الرزّاق، و أخذ عنه عبد المنعم بن غلبون و فارس الضّرير، خرج من مصر إلى الشام، فمات فى الطريق، قيل: سنة ثمانين و ثلثمائة.

۳۱- عبد العزيز بن علىّ بن محمد بن إسحاق بن الفرج أبو عدىّ المصرىّ.

يعرف بابن الإمام، مسند القراء فى زمانه بمصر، تلى على أبى بكر بن عبد اللّه بن مالك ابن سيف، قرأ عليه أئمة كطاهر بن غلبون و مكىّ بن أبى طالب و أبى عمر الطّلمنكىّ و جماعة، آخرهم موتا أبو العباس أحمد بن نفيس. مات فى عاشر ربيع الأول سنة إحدى و ثمانين و ثلثمائة عن تسعين سنة أو أكثر.

۳۲- محمد بن علىّ بن أحمد الإمام أبو بكر الأدفوىّ المصرىّ المقرئ

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۰۵

النحوىّ المفسّر. قرأ القرآن على أبى غانم المظفّر بن أحمد، و لزم أبا جعفر النحّاس النحوىّ، و حمل عنه كتبه، و برع فى علوم القرآن، و كان سيّد أهل عصره بمصر. قال الدّانىّ: انفرد أبو بكر بالإمامة فى وقته فى قراءة نافع، مع سعة علمه و براعة فهمه و صدق لهجته و تمكّنه من علم العربيّة، و بصره بالمعانى. له كتاب التفسير فى مائة و عشرين مجلّدا، و سمّاه كتاب الاستغناء فى علوم القرآن. مات فى سابع ربيع الأوّل سنة ثمان و ثمانين و ثلثمائة.

۳۳- عمر بن محمد بن عرّاك أبو حفص الحضرمىّ المصرىّ. قرأ على حمدان ابن عون و عبد الحميد بن مسكين، و كان متبحّرا فى قراءة ورش. مات سنة ثمان و ثمانين و ثلثمائة.

۳۴- عبد المنعم بن عبيد اللّه بن غلبون بن المبارك أبو الطيّب الحلبىّ المقرئ المحقّق، مؤلّف كتاب الإرشاد فى القراءات. قال الذهبىّ: عداده فى المصريّين، سكنها مدّة. قرأ على إبراهيم بن عبد الرزاق، قرأ عليه ولده مكّى بن أبى طالب و أبو عمر الطّلمنكىّ. و كان حافظا للقراءة، ضابطا، ذا عفاف و نسك و فضل، و حسن تصنيف.

ولد فى رجب سنة تسع و خمسين و ثلثمائة، و مات بمصر فى جمادى الأولى سنة تسع و ثمانين.

۳۵- ولده أبو الحسن طاهر. أحد الحذّاق المحقّقين، مصنّف التذكرة فى القراءات، برع فى الفنّ، و كان من كبار المقرئين فى عصره بالديار المصرية، قرأ عليه الدّانىّ، و قال: لم نر فى وقته مثله. مات بمصر فى سنّ الكهولة لعشر بقين من شوّال سنة تسع و تسعين و ثلثمائة.

۳۶- عبد الباقى بن الحسن بن أحمد بن السّقّا أبو الحسن الخراسانى. أحد الحذّاق. قرأ على نظيف بن عبد اللّه الحلبىّ، و قرأ عليه فارس بن أحمد و جماعة، و كان إماما فى القراءات، عالما بالعربيّة، بصيرا بالمعانى، خيّرا مأمونا. قدم مصر، فقامت له بها شهرة عظيمة، و كنّا لا نظنّه هناك، إذ كان ببغداد. و مات بالإسكندريّة سنة نيّف و ثمانين و ثلثمائة.

۳۷- محمّد بن الحسن بن أحمد بن علیّ بن الحسین أبو مسلم الکاتب البغدادیّ نزیل مصر. کاتب الوزیر أبی الفضل بن حنزابة، أخذ عن ابن مجاهد، و سمع

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۰۶

الحدیث من أبی القاسم البغویّ و أبی بکر بن أبی داود و ابن درید و نفطویه و ابن صاعد.

روی عنه الدّانی و الحافظ عبد الغنی و رشا بن نظیف و القضاعی و خلق. قال الذهبیّ: هو آخر من روی عن البغویّ و غیره، و آخر من روی السّبعة عن ابن مجاهد. مات فی ذی القعدة سنة تسع و تسعین و ثلثمائة.

۳۸- خلف بن إبراهیم بن محمد بن جعفر بن خاقان أبو القاسم المصریّ.

أحد الحذّاق فی قراءة ورش، قرأ علی أحمد بن أسامة التّجیبیّ، قرأ علیه الدّانیّ و قال:

کان مشهورا بالفضل و النّسک، واسع الروایة. مات بمصر سنة اثنتین و أربعمائة، و هو فی عشر الثمانین.

۳۹- عبد الجبار بن أحمد الطرسوسیّ أبو القاسم. شیخ القراء بمصر فی زمانه، قرأ علی أبی عدیّ عبد العزیز و أبی أحمد السامریّ. قرأ علیه أبو الطاهر إسماعیل بن خلف صاحب العنوان. و له کتاب المجتبی فی القراءات. مات غرّة ربیع الأوّل سنة عشرین و أربعمائة.

۴۰- قسیم بن أحمد بن مطیر أبو القاسم الظهراویّ المصریّ. من ساکنی قریة أبی الیبس. قری علی جدّه لأمّه محمد بن عبد الرحمن الظّهراویّ صاحب أبی بکر بن سیف، و کان ضابطا لروایة ورش، یقصد فیها، و تؤخذ عنه، خیّرا فاضلا. مات سنة ثمان أو تسع و تسعین و ثلثمائة.

۴۱- فارس بن أحمد بن موسی بن عمران أبو الفتح الحمصیّ المقرئ الضریر. أحد الحذّاق بهذا الشأن، و مؤلّف کتاب المنشأ فی القراءات الثّمان، قرأ علی أبی أحمد السامریّ و عبد الباقی بن السقّا و أبی الفرج الشّنبوذیّ. قرأ علیه ابنه عبد الباقی، و الدّانیّ. مات بمصر سنة إحدی و أربعمائة و له ثمانون سنة و هو المذکور فی باب التکبیر من الشاطبیّة.

۴۲- ولده عبد الباقی أبو الحسن المصریّ. جوّد القراءات علی والده و علی عمر ابن عرّاک و قسیم الظهراویّ، و جلس للإقراء و عمّر دهرا، قرأ علیه ابن الفحّام و ابن بلیمة. مات فی حدود الخمسین و أربعمائة.

۴۳- إسماعیل بن عمرو بن إسماعیل بن راشد الحدّاد أبو محمد المصریّ، المقرئ الصالح. قرأ علی أبی عدیّ عبد العزیز بن الإمام و غزوان بن القاسم، قرأ علیه

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۰۷

أبو القاسم الهذلیّ و المصریّون، و حدّث عنه أبو الحسن الخلعیّ، مات سنة تسع و عشرین و أربعمائة.

۴۴- إبراهیم بن ثابت بن أخطل أبو إسحاق الأقلیشیّ، نزیل مصر. قرأ علی أبی الحسن طاهر بن غلبون و عبد الجبّار الطّرسوسیّ، و أقرأ الناس بمصر مکان عبد الجبار بعد موته. مات سنة اثنتین و ثلاثین و أربعمائة، و قد شاخ.

۴۵- إسماعیل بن محمود بن أحمد أبو الطاهر المحلّی. خطیب جامع المحلّة من دیار مصر، تصدّر للإقراء، و کان ظاهر الصلاح. مات سنة نیّف و ثلاثین و أربعمائة.

۴۶- الحسن بن محمد بن إبراهیم أبو علیّ البغدادی المقرئ المالکیّ.

مصنّف کتاب الروضة فی القراءات. قرأ علی أبی أحمد الفرضیّ و أبی الحسن بن الحمامیّ، و سکن مصر، و صار شیخ القرّاء بها، قرأ علیه أبو القاسم الهذلیّ و ابن شریح صاحب الکافی. مات فی رمضان سنة ثمان و ثلاثین و أربعمائة.

۴۷- أحمد بن علیّ بن هاشم، تاج الأئمة أبو العبّاس المصریّ. قرأ علی عمرو بن عراک و أبی عدیّ عبد العزیز بن الإمام و أبی الطّیب بن غلبون، و أقرأ الناس دهرا طویلا بمصر. قرأ علیه أبو القاسم الهذلیّ، و حدّث عنه أبو عبد اللّه محمد بن أحمد الرازیّ فی مشیخته. مات فی شوّال سنة خمس و أربعین و أربعمائة.

۴۸- محمد بن أحمد بن علی أبو عبد اللّه القزوینیّ نزیل مصر. قرأ علی طاهر ابن غلبون. قرأ علیه یحیی بن الخشاب و علیّ بن بلیمة. مات فی ربیع الآخر سنة اثنتین و خمسین و أربعمائة.

۴۹- أحمد بن سعید بن أحمد بن نفیس أبو العباس المصریّ. انتهی إلیه علوّ الإسناد، قرأ علی أبی أحمد السامریّ و عبد المنعم بن غلّبون، و حدث عن أبی القاسم الجوهریّ صاحب المسند، قرأ علیه أبو القاسم الهذلیّ و ابن الفحّام، و حدّث عنه أبو عبد اللّه محمد بن أحمد الرازیّ. مات فی رجب سنة ثلاث و خمسین و أربعمائة و هو فی عشر المائة.

۵۰- نصر بن عبد العزیز بن أحمد بن نوح الفارسیّ الشّیرازیّ أبو الحسین.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۰۸

مقرئ الدیار المصریة و مسندها، قرأ علی أبی الحسن الحمامیّ، و حدّث عن أبی الحسین بن بشران. قرأ علیه ابن الفحّام، و حدّث عنه روزبة بن موسی. مات سنة إحدی و ستّین و أربعمائة.

۵۱- إسماعیل بن خلف بن سعد بن عمران أبو الطاهر الأنصاریّ الأندلسیّ ثم المصریّ. مصنّف العنوان فی القراءات، أخذ عن عبد الجبار الطّرسوسیّ، و تصدّر للإقراء زمانا و لتعلیم العربیة، و کان رأسا فی ذلک، اختصر کتاب الحجّة لأبی علیّ الفارسیّ. مات فی أوّل المحرّم سنة خمس و خمسین و أربعمائة.

۵۲- یحیی بن علیّ بن الفرج الأستاذ أبو الحسین المصریّ المعروف بابن الخشّاب. مقرئ الدیار المصریة فی وقته. قرأ علی ابن نفیس و إسماعیل بن خلف، و علیه ناصر بن الحسین و جماعة. مات سنة أربع و خمسمائة.

۵۳- الحسن بن خلف بن عبد اللّه بن بلیمة الأستاذ أبو الحسن القیروانیّ. نزیل الإسکندریة، و مصنّف کتاب تلخیص العبارات فی القراءات. ولد سنة سبع و عشرین و أربعمائة، و عنی بالقراءات، و تقدّم فیها، و تصدّر للإقراء مدّة. مات بالإسکندریة فی ثالث عشر رجب سنة أربع عشرة و خمسمائة .

۵۴- عبد الرحمن بن أبی بکر عتیق بن خلف العلّامة الأستاذ أبو القاسم بن الفحّام الصّقلیّ صاحب کتاب التجرید فی القراءات. انتهت إلیه ریاسة الإقراء بالإسکندریة علوّا و معرفة. قال سلیمان بن عبد العزیز الأندلسیّ: ما رأیت أحدا أعلم بالقراءات منه؛ لا بالمشرق و لا بالمغرب. قرأ العربیّة علی ابن بابشاذ، و شرح مقدّمته.

ولد سنة اثنتین و عشرین و أربعمائة، و مات فی ذی القعدة سنة ستّ عشرة و خمسمائة، روی عنه السّلفیّ.

۵۵- عبد الکریم بن الحسن بن المحسن بن سوّار الأستاذ أبو علیّ المصریّ التّککیّ المقرئ النحویّ. سمع من الخلعیّ، و منه السّلفیّ، و قرأ علی أبی الحسن علیّ ابن محمد بن حمید الواعظ، و برع فی القراءات و عللها و التفسیر و وجوهه و العربیة و غوامضها، و کان له حلقة إقراء بمصر. مات فی ربیع الآخر سنة خمس و عشرین و خمسمائة، و له ثمان و ستون سنة.

۵۶- ناصر بن الحسن بن إسماعیل الشریف أبو الفتوح الزیدیّ الخطیب مقرئ

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۰۹

الدیار المصریة. قرأ علی یحیی بن الخشّاب، و سمع من ابن القطّاع اللغویّ و غیر واحد. انتهت إلیه ریاسة الإقراء بالدیار المصریة، و کان من جلّة العلماء فی زمانه. قرأ علیه غیاث بن فارس، و آخر من روی عنه سماعا القاضی أبو الکرم و أسعد بن قادوس المتوفّی فی حدود الأربعین و ستمائة مات یوم عید الفطر سنة ثلاث و ستین و خمسمائة عن إحدی و ثمانین سنة.

۵۷- أبو العباس مرّ فی المالکیة.

۵۸- عبد الرحمن بن خلف اللّه أبو القاسم الإسکندرانیّ المالکیّ المقرئ المؤدّب. قرأ علی ابن الفحّام و ابن بلیمة، و حدّث عن أبی عبد اللّه الرازیّ، و أقرأ الناس مدّة علی صدق و استقامة. قرأ علیه أبو القاسم الصفراوی و الفضل الهمدانیّ، روی عنه علیّ بن المفضّل الحافظ. مات قریبا من سنة اثنتین و سبعین و خمسمائة.

۵۹- الیسع بن حزم أبو یحیی الغافقیّ الأندلسیّ الجیّانیّ. أخذ عن أبیه و غیره، و أجاز له أبو محمد بن عتّاب، و رحل فسکن الإسکندریّة، و أقرأ بها ثمّ رحل إلی مصر فأکرمه الناصر صلاح الدین بن أیّوب، و کان فقیها مشاورا مقرئا، حافظا نسّابة. و له تاریخ المغرب، سماه المغرب. روی عنه المفضّل المقدسیّ. مات فی رجب سنة خمس و سبعین و خمسمائة.

۶۰- عساکر بن علیّ بن إسماعیل الجیوشیّ المصریّ المقرئ النحویّ الشافعیّ. ولد سنة تسعین و أربعمائة، و أخذ عن الشریف ناصر الزیدیّ و إبراهیم بن أغلب النحویّ، و تفقّه علی مجلّی، و تصدّر للإقراء، و انتفع به الناس. أخذ عنه السخاویّ و غیره. مات فی المحرّم سنة إحدی و ثمانین و خمسمائة.

۶۱- أحمد بن جعفر بن أحمد بن إدریس الإمام أبو القاسم الغافقیّ الخطیب المقرئ. ولد سنة خمس و خمسین و خمسمائة، و قرأ علی أبی البرکات محمد بن عبد اللّه بن عمر المقرئ صاحب أبی معشر الطبریّ، و علیه أبو القاسم الصفراویّ، مات سنة خمس و ستّین و ستمائة بالإسکندریّة.

۶۲- القاسم بن فیرة بن خلف بن أحمد الإمام أبو محمد و أبو القاسم الرّعینیّ الشاطبیّ المقرئ الضریر. أحد الأعلام. ولد سنة ثمان و ثلاثین و خمسمائة، و قرأ علی

أبی عبد اللّه المقرئ الشریف، و سمع من أبی الحسن بن هذیل، و ارتحل للحجّ، فسمع من السّلفیّ، و استوطن مصر، و اشتهر اسمه، و بعد صیته، و قصده الطلبة من النّواحی.

و کان إماما علّامة کثیر الفنون، منقطع القرین، رأسا فی القراءات، حافظا للحدیث، بصیرا بالعربیّة، واسع العلم، و قد سارت الرکبان بقصیدتیه حرز الأمانی و الرائیة .

و خضع لهما فحول الشعراء و حذّاق القرّاء. قرأ علیه أبو الحسن السخاویّ و الکمال الضریر، و آخر من روی عنه الشاطبیّة أبو محمد عبد اللّه بن عبد الوارث الأنصاریّ المعروف بابن فار اللبن، و هو آخر أصحابه موتا.

قال ابن الأبّار: انتهت إلیه الریاسة فی الإقراء. مات بمصر، فی ثامن عشر جمادی الآخرة سنة تسعین و خمسمائة.

و قال الذهبیّ: کان موصوفا بالزهد و العبادة و الانقطاع، تصدّر للإقراء بالمدرسة الفاضلیّة.

و من شعره:

قل للأمیر نصیحةلا ترکننّ إلی فقیه

إنّ الفقیه إذا أتیأبوابکم لا خیر فیه

و ترک الشاطبیّ أولادا، منهم زوجة الکمال الضریر، و منهم أبو عبد اللّه محمد، بقی إلی سنة خمس و خمسین و خمسمائة، و روی عنه و عن البوصیریّ، و عاش قریبا من ثمانین سنة.

۶۳- شجاع بن محمّد بن سیدهم الإمام أبو الحسن المدلجیّ المصریّ المقرئ المالکیّ. ولد سنة ثمان و عشرین و خمسمائة، و قرأ علی أبی العباس بن الحطیئة، و سمع من السّلفیّ، و تفقّه علی أبی القاسم عبد الرحمن بن الحسین الحباب، و تصدّر للإقراء بجامع مصر، و انتفع به الناس. مات فی ربیع الآخر سنة إحدی و تسعین و خمسمائة.

۶۴- محمد بن یوسف بن علیّ بن شهاب الدین، أبو الفضل الغزنویّ المقرئ الفقیه النحویّ. نزیل القاهرة. ولد سنة اثنتین و عشرین و خمسمائة، و قرأ علی أبی محمد سبط الخیّاط، و سمع من أبی بکر قاضی المارستان، و تصدّر للإقراء، فأخذ عنه العلم السخاویّ و الجمّال بن الحاجب، و روی عنه ابن خلیل و الضیاء المقدسیّ و الرّشید

العطّار، و درّس المذهب بمسجد الغزنویّ المعروف به. مات بالقاهرة فی نصف ربیع الأول سنة تسع و تسعین.

۶۵- غیاث بن فارس بن سکن. الأستاذ أبو الجود اللخمیّ المنذریّ المصریّ المقرئ الفرضیّ النحویّ الضریر شیخ القرّاء بدیار مصر. قرأ علی الشریف ناصر، و سمع من عبد اللّه بن رفاعة السّعدیّ. و تصدّر للإقراء من شبیبته، و قرأ علیه خلق، و رحل إلیه. ولد سنة ثمانی عشرة و خمسمائة، و مات فی تاسع رمضان سنة خمس و ستمائة.

۶۶- عبد الصمد بن سلطان بن أحمد بن الفرج أبو محمد الجذامیّ المصریّ المقرئ النحویّ المعروف بالمعتمد بن قراقیش. ولد سنة أربعین و خمسمائة، و قرأ علی الشریف ناصر؛ و کان متقنا للعربیّة، رأسا فی الطبّ. مات فی جمادی الآخرة سنة ثمان و ستمائة.

۶۷- عبد السّلام بن عبد الناصر بن عبد المحسن أبو محمد المصریّ المقرئ.

شیخ عالی الإسناد فی القراءات، یعرف بابن عدیسة. قرأ علی الشریف ناصر، و أقرأ بدمیاط مدّة. مات سنة ثلاث عشرة و ستمائة.

۶۸- عیسی بن عبد العزیز بن عیسی الأستاذ أبو القاسم بن المحدّث أبی محمد اللخمیّ الشّریشیّ ثمّ الإسکندرانیّ المقرئ. سمع من السّلفی و غیره، و قرأ علی أبی الطیب عبد المنعم بن الخلوف و غیره، و عنی بهذا الشأن، و رأس فیه، و تصدّر مدّة، روی عنه المنذریّ و غیره، و آخر من روی عنه بالإجازة القاضی تقیّ الدین سلیمان.

مات فی جمادی الآخرة سنة تسع و عشرین و ستمائة.

۶۹- علیّ بن عبد الصمد بن محمد بن نفیع بن الرماح عفیف الدّین أبو الحسن المصری المقرئ الشافعیّ. قرأ علی عساکر و غیاث، و سمع من السّلفیّ، و تصدّر للإقراء بالفاضلیّة. ولد سنة سبع و خمسین و خمسمائة، و مات فی جمادی الأولی سنة ثلاث و ثلاثین و ستمائة.

۷۰، ۷۱، ۷۲، ۷۳، ۷۴- أبو الفضل الهمدانیّ، ابن الصفراویّ، ابن الحاجب، العلم السخاوی، البهاء بن الجمیزیّ- مرّوا.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۱۲

۷۵- علیّ بن علی بن عبد اللّه بن یاسین بن نجم الدین الإمام أبو الحسن الکنانیّ العسقلانیّ ثم التّنّیسیّ المصریّ. یعرف بابن البلان المقرئ النحویّ. ولد سنة بضع و خمسین و خمسمائة، و قرأ علی أبی الجود، و العربیة علی ابن برّی، و سمع منه و من مشرف بن علیّ الأنماطیّ، و تصدّر بالجامع العتیق بمصر. مات فی ذی القعدة سنة ستّ و ثلاثین و ستمائة.

۷۶- زیادة بن عمران بن زیادة أبو النماء المصریّ المالکیّ المقرئ الضریر. قرأ علی أبی الجود، و تفقّه علی أبی المنصور ظافر، و تصدّر للإقراء بمصر و بالفاضلیّة.

مات فی شعبان سنة تسع و عشرین و ستمائة.

۷۷- عبد الکریم بن غازی بن أحمد الفقیه أبو نصر الواسطیّ المقرئ المصریّ بن الأعلاقیّ. قدم مصر، و أقرأ بها. مات فی نصف رجب سنة أربعین و ستمائة بالقاهرة.

۷۸- عبد القویّ بن المغربل تقیّ الدین المقرئ. قرأ علی أبی الجود، و تصدّر و أقرأ، أخذ عنه البرهان الوزیریّ. مات سنة أربعین و ستمائة.

۷۹- عبد القویّ بن عزّون بن داود أبو محمد المصریّ. أخذ عن أبی الجود، و سمع من البوصیریّ و الخشوعیّ. مات سنة أربعین و ستمائة، و له ثلاث و سبعون سنة.

۸۰- منصور بن عبد اللّه بن جامع بن مقلد الأنصاریّ المصریّ المقرئ الأستاذ شرف الدین أبو علی الدهشوریّ. قرأ علی أبی الجود و أبی الیمن الکندیّ، و أقرأ بالفیّوم، و کان بصیرا بهذا الشأن. مات سنة أربعین و ستمائة.

۸۱- عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر الإمام رشید الدین أبو محمد الجذامیّ المصریّ المقرئ الضریر. قرأ علی أبی الجود، و سمع من أبی القاسم البوصیریّ، و برع فی العربیّة و تصدّر للإقراء، و انتهت إلیه ریاسة الفنّ فی زمانه، و کان ذا جلالة ظاهرة، و حرمة وافرة، و خبرة تامّة بوجوه القراءات. مات فی جمادی الأولی سنة ستّ و أربعین و ستّمائة، و هو والد الکاتب البلیغ محیی الدین بن عبد

الظاهر.

۸۲- أحمد بن علیّ بن محمد بن علیّ بن سکن الإمام أبو العباس الأندلسیّ، أحد الحذّاق. قرأ علی أبی الفضل جعفر الهمدانیّ، و سکن الفیّوم. اختصر التیسیر، و شرح الشاطبیّة. مات فی حدود الأربعین و ستمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۱۳

۸۳- السدید أبو القاسم عیسی بن أبی الحرم مکیّ بن حسین بن یقظان العامریّ المصریّ. إمام جامع الحاکم. قرأ القراءات علی الشاطبیّ، و أقرأها مدّة. مات فی شوال سنة تسع و أربعین و ستّمائة عن ثمانین سنة.

۸۴- منصور بن سرار بن عیسی بن سلیم أبو علیّ الأنصاریّ الإسکندرانیّ المعروف بالمسدی. کان من حذّاق القراء؛ نظم أرجوزة فی القراءات. ولد سنة سبعین و خمسمائة، و مات فی رجب سنة إحدی و خمسین و ستمائة.

۸۵- ابن وثیق شیخ القراء أبو إسحاق إبراهیم بن محمد بن عبد الرحمن الأمویّ الإشبیلیّ. ولد سنة سبع و ستّین و خمسمائة، و أخذ عن أصحاب أبی الحسن بن شریح، و تنقّل فی البلاد، و قرأ بمصر و الشام و الموصل، و کان عالی الإسناد. مات بالإسکندریة فی ربیع الآخر سنة أربع و خمسین و ستمائة.

۸۶- الناشریّ البارع تقیّ الدین عبد الرحمن بن مرهف المصریّ. قرأ علی أبی الجود، و تصدّر للإقراء، و بعد صیته. مات سنة إحدی و ستّین و ستّمائة عن نیّف و ثمانین سنة.

۸۷- الکمال الضریر شیخ القرّاء أبو الحسن علیّ بن شجاع بن سالم الهاشمیّ العباسیّ المصریّ صاحب الشاطبیّ، و زوج بنته. و قرأ علی الشاطبیّ و شجاع المعطی و أبی الجود، و سمع من البوصیریّ و طائفة، و تصدّر للإقراء دهرا، و انتهت إلیه ریاسة القرّاء، و کان إماما یجری فی فنون العلم. مات فی سابع ذی الحجّة سنة إحدی و ستین و ستمائة .

۸۸- ابن فار اللّبن معین الدین أبو الفضل عبد اللّه بن محمد بن عبد الوارث الأنصاریّ المصریّ. آخر من قرأ الشاطبیّة علی مؤلّفها، قرأها علیه البدر التاذفیّ. مات سنة أربع و ستین و ستمائة.

۸۹- أبو الحسن الدّهان علیّ بن موسی السّعدیّ المصریّ المقرئ الزاهد.

قال فی العبر: ولد سنة سبع و تسعین و خمسمائة، و قرأ القراءات علی جعفر

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۱۴

الهمدانیّ و غیره، و تصدّر بالفاضلیة، و کان ذا علم و عمل. مات فی رجب سنة خمس و ستین و ستمائة.

۹۰- علیّ بن عبد اللّه بن أبی بکر الإمام زین الدین أبو الحسن بن القلّال الجزائریّ: نزیل مصر. مات بالقاهرة سنة ثمان و ستین و ستمائة.

۹۱- القصّال أبو عبد اللّه محمد بن محمد المغربیّ نزیل الصعید. قرأ علی أبی عبد اللّه محمد بن أحمد بن مسعود الشاطبیّ؛ و التقیّ ابن ماسویه، و تصدّر للإقراء. مات سنة بضع و خمسین و ستّمائة.

۹۲- عبد الهادی بن عبد الکریم بن علیّ أبو الفتح القیسیّ المصریّ. خطیب جامع المقیاس. ولد سنة سبع و سبعین و خمسمائة، و قرأ علی أبی الجود، و سمع من قاسم بن إبراهیم المقدسیّ، و أجاز له أبو الطاهر بن عوف و أبو طالب أحمد بن المسلم اللخمیّ و تفرّد بالروایة عنهم. مات فی شعبان سنة إحدی و سبعین و ستمائة .

۹۳- الکمال المحلّیّ أحمد بن علی الضریر شیخ القرّاء بالقاهرة. انتفع به جماعة. مات فی ربیع الآخر سنة اثنتین و سبعین و ستمائة عن إحدی و خمسین سنة.

۹۴- الکمال بن فارس أبو إسحاق إبراهیم بن الوردی بن نجیب الدین أحمد ابن إسماعیل بن فارس التمیمیّ الإسکندرانیّ. آخر من قرأ بالروایة علی الکندیّ. ولد سنة ستّ و تسعین و خمسمائة، و مات فی صفر سنة ست و سبعین و ستمائة.

۹۵- إسماعيل بن هبة اللّه بن عليّ أبو الطاهر الحليميّ المصريّ. قرأ على أبى الجود غياث بن فارس، و عمّر دهرا، و احتيج إلى إسناده العالى، فقرأ عليه جماعة منهم أبو حيّان، و ختم بموته أصحاب أبى الجود، و كان تاركا للفنّ؛ و إنّما ازدحموا عليه لعلوّ روايته. مات فى رمضان سنة إحدى و ثمانين و ستمائة.

۹۶- عبد اللّه بن محمد بن عبد اللّه القاضى معين الدين أبو بكر النكزاويّ الإسكندرانيّ النحويّ المقرئ. ولد بالإسكندرية سنة أربع عشرة و ستمائة، و قرأ على أبى القاسم الصفراويّ، و صنّف كتابا فى القراءات، و تصدّر و أفاد، و تخرّج به جماعة.

مات سنة ثلاث و ثمانين و ستمائة.

۹۷- برهان الدين إبراهيم بن إسحاق بن المظفّر المصريّ الوزيريّ. ولد سنة

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۱۵

تسع عشرة و ستمائة، و قرأ على أصحاب الشاطبيّ و أبى الجود، و أقرأ بدمشق. مات فى ذى الحجّة سنة أربع و ثمانين و ستمائة.

۹۸- الرضيّ الشاطبى. يأتى فى النحاة و اللغويين.

۹۹- عبد النصير المريوطيّ أبو محمد. من كبار القرّاء بالإسكندرية، قرأ على أبى القاسم الصفراويّ و أبى الفضل الهمدانيّ. قرأ عليه أبو حيّان. مات سنة ثمانين و ستمائة.

۱۰۰- الراشديّ المقرئ الأستاذ القدوة أبو عليّ الحسن بن عبد اللّه بن ويحيان، الرجل الصالح. تصدّر للإقراء و الإفادة، و أخذ عنه مثل الشيخ مجد الدين التونسيّ و شهاب الدين بن جبارة، و لم يقرأ على غير الكمال الضرير. مات فى صفر سنة خمس و ثمانين و ستّمائة بالقاهرة؛ ذكره فى العبر.

۱۰۱- الصفىّ خليل بن أبى بكر بن محمد بن صديق المراغىّ الفقيه الحنبلىّ المقرئ. ولد سنة بضع و تسعين و خمسمائة، سمع من الحرستانيّ و ابن ملاعب، و تفقّه على الموفّق المقدسيّ. و قرأ القراءة على ابن ماسويه، و هو آخر من قرأ عليه، و تصدّر بالقاهرة للإقراء، و ناب فى القضاء، مع وفور الديانة و الورع. مات فى ذى القعدة سنة خمس و ثمانين و ستّمائة، روى عنه المزنيّ و ابن حيّان.

۱۰۲- الجرائديّ تقيّ الدين يعقوب بن بدران بن منصور المصريّ. شيخ القرّاء فى وقته بالديار المصرية. أخذ عن السخاويّ، و تصدّر. مات فى شعبان سنة ثمان و ثمانين و ستمائة، عن نيّف و ثمانين سنة، و قد حدّث عن ابن الزبيديّ و ابن المنجى و ابن اللّتيّ.

۱۰۳- نور الدين بن الكفتى أبو الحسن عليّ بن ظهير بن شهاب الدين المصريّ.

شيخ القرّاء بديار مصر، أخذ عن ابن وثيق و أصحاب أبى الجود، و اشتهر بالاعتناء بالقراءات و عللها، و سمع من ابن الجمّيزيّ، مع الورع و التقى و الجلالة. مات فى ربيع الآخر سنة تسع و ثمانين و ستمائة.

۱۰۴- المكين الأسمر عبد اللّه بن منصور الإسكندرانيّ. شيخ القرّاء

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۱۶

بالإسكندرية. أخذ عن أبى القاسم بن الصفراويّ، و أقرأ الناس مدّة. مات فى ذى القعدة سنة اثنتين و تسعين و ستمائة عن نيّف و ثمانين سنة.

۱۰۵- شمس الدين محمد بن عبد العزيز الدمياطيّ المقرئ. أخذ عن السخاويّ، و تصدّر، و احتيج إلى علوّ روايته. مات فى صفر سنة ثلاث و تسعين و ستّمائة، و له نيّف و سبعون و سنة.

۱۰۶- شهاب الدين أحمد بن عبد البارئ الصعيديّ ثم الإسكندرانيّ، قرأ على أبى القاسم عيسى، و روى عن الصفراويّ و الهمدانيّ، و كان أحد الصالحين. مات فى أوائل سنة خمس و تسعين و ستّمائة عن ثلاث و ثمانين سنة.

۱۰۷- سحنون العلّامة صدر الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكيم بن عمران الأوسيّ الدكّالى المالكيّ المقرئ النحويّ. قرأ على الصفراويّ، و سمع منه و من عليّ بن مختار. و كان إماما عارفا بالمذهب مفتيا. مات بالإسكندرية فى شوّال سنة خمس و تسعين

و ستّمائة، و قد جاوز الثمانين.

۱۰۸- يحيى بن أحمد بن عبد العزيز الإمام شرف الدين أبو الحسين بن الصوّاف الجذاميّ الإسكندرانيّ. ولد سنة تسعين و ستّمائة، و قرأ على أبى القاسم بن الصفراويّ؛ و هو آخر من قرأ عليه وفاة، و آخر من حدّث عن ابن عماد و جماعة، سمع منه المزيّ و البرزاليّ و ابن سيّد الناس و السّبكيّ. مات فى شعبان سنة خمس و سبعمائة، و نزل القراء بموته درجة.

۱۰۹- إبراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم برهان الدين أبو إسحاق الجذاميّ الإسكندرانيّ. قرأ على علم الدين القاسم و غيره، و تفقّه بالنوويّ و أفتى و درّس، و تصدّر للإقراء مدّة طويلة. قرأ عليه البدر بن نصحان. مات بدمشق فى شوال سنة اثنتين و سبعمائة، و هو فى عشر الثمانين.

۱۱۰- إسحاق بن البرهان الوزيريّ السابق أبو الفضل. اعتنى به أبوه فأسمعه من الكمال الضرير و الحافظ عبد العظيم، و قرأ القراءت على والده و الكمال بن فارس. ولد سنة خمس و خمسين و ستمائة، و مات بعد السبعمائة.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۱۷

۱۱۱- محمد بن عبد المحسن شمس الدين المصريّ الضرير الملقّب بالمزراب.

قرأ على الكمال المحلّيّ و ابن فارس. مات سنة ثلاث و سبعمائة و قد جاوز الستين.

۱۱۲- محمد بن نصير بن صالح الإمام أبو عبد اللّه المصريّ المقرئ الصوفيّ نزيل دمشق. ولد فى حدود سنة خمسين و ستّمائة، و قرأ على الرّشيد بن أبى الدرّ و الزّواويّ، و جلس للإقراء، و كان شيخ الإقراء بدار الحديث الأشرفيّة. مات بعد السبعمائة.

۱۱۳- علىّ بن يوسف بن جرير اللخميّ الشّطنوفيّ الإمام الأوحد نور الدين أبو الحسن. شيخ الإقراء بالديار المصرية. ولد بالقاهرة سنة أربع و أربعين، و ستمائة، و قرأ على التّقيّ الجرائديّ و الصفيّ خليل، و سمع من النّجيب عبد اللطيف، و تصدّر للإقراء بالجامع الأزهر، و تكاثر عليه الطلبة. مات فى ذى الحجة سنة ثلاث عشرة و سبعمائة.

۱۱۴- محمد بن أحمد بن علىّ بن غدير شمس الدين الواسطيّ. ولد فى حدود سنة سبعين و ستمائة، و قرأ على العزّ الفاروثيّ و غيره، و عنى بهذا الشأن حتى تقدّم فيه، و صار من كبار المقرئين، تحوّل إلى مصر فسكنها.

۱۱۵- محمد بن عبد اللّه بن عبد المنعم بن رضوان أمين الدين أبو بكر الكنانيّ المصريّ يعرف بابن الصوّاف. تصدّر بجامع عمرو لإقراء القرآن، و أخذ عنه جماعة.

مات سنة خمس عشرة و سبعمائة.

۱۱۶- محمد بن أبى بكر بن عبد الرزاق الصّقلّيّ الضرير شرف الدين. قرأ على الكمال الضرير، و أقرأ زمانا. ولد سنة بضع و عشرين و ستمائة، و مات بالقاهرة سنة ثلاثين و سبعمائة.

۱۱۷- محمد بن مجاهد الضرير شرف الدين الملقّب بالوراب. قرأ على أبى طاهر المليجيّ، و تصدّر بالقاهرة لإقراء القرآن، و أخذ عنه جماعة.

۱۱۸- إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل القوصيّ جلال الدين أبو طاهر. تصدّر مدّة بجامع ابن طولون لإقراء القرآن و النحو، و مات سنة خمس عشرة و سبعمائة.

۱۱۹- الصدر بن الأعمى محمد بن عثمان بن عبد اللّه المدلجيّ. قرأ على

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۱۸

إسماعيل بن المليجيّ، و تصدّر. مات بالقاهرة سنة سبع عشرة و سبعمائة.

۱۲۰- أبو العلاء رافع بن محمد بن هجرس بن شافع الصميديّ السّلاميّ المقرئ المحدّث جمال الدين، والد الحافظ تقيّ الدين محمد بن رافع. تفقّه فى مذهب الشافعيّ على العلم العراقيّ، و أخذ النحو عن البهاء بن النحاس، و سمع من أبى الحسن ابن البخاريّ و

جماعة، و تلا على أبى عبد اللّه محمد بن الحسن الإربلىّ الضرير، و تصدّر للإقراء بالفاضليّة. ولد بدمشق سنة ثمان و ستّين و ستمائة، و مات بالقاهرة فى ذى الحجة سنة ثمانى عشرة و سبعمائة.

۱۲۱- التقىّ الصائغ شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الخالق. المصرىّ شيخ القرّاء فى عصره. قرأ على الكمال الضرير و الكمال إبراهيم بن فارس، و رحلت إليه الطلبة من أقطار الأرض لانفراده بالقراءة دراية و رواية. و كان أيضا فقيها شافعيّا مشاركا فى فنون أخرى. ولد فى جمادى سنة ستّ و ثلاثين و ستّمائة، و مات بمصر فى صفر سنة خمس و عشرين و سبعمائة، ذكره ابن مكتوم فى ذيله.

و ذكر الإسنوى فى طبقاته أنّه بلغ من العمر أربعا و تسعين سنة.

۱۲۲- ضياء الدين موسى بن علىّ بن يوسف الزرازرى القطبىّ، لسكنه بالمدرسة القطبيّة بالقاهرة. قرأ على أبى الحسن بن الكفتىّ، و تصدّر للإقراء بالجامع الظاهرىّ، و حدّث عن أبى الفرج الحرّانىّ و أبى عيسى بن علاق. ولد سنة إحدى و ستّين و ستمائة و مات فى رجب سنة ثلاثين و سبعمائة.

۱۲۳- أبو حيّان. يأتى فى النّحاة.

۱۲۴- شمس الدين محمد بن محمد بن نمير المعروف بابن السراج. قرأ على ابن الكفتىّ و المكين الأسمر و تصدّر للإقراء، و أخذ عنه جماعة، و كتب الخطّ المنسوب، و برع فيه، و صار معلّما له بالجامع الأزهر. ولد بعد السبعين و ستّمائة، و مات بالقاهرة فى شعبان سنة سبع و أربعين و سبعمائة.

۱۲۵- برهان الدين إبراهيم بن لاجين الرّشيدىّ. كان عالما بالقراءات و النحو شافعيّا. تصدّر بجامع أمير حسن مدّة، و انتفع به الناس، و ولى درس التفسير بالمنصوريّة بعد موت أبى حيّان. مات بالطاعون فى شوّال سنة تسع و أربعين و سبعمائة .

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۱۹

۱۲۶- برهان الدين إبراهيم بن عبد اللّه بن علىّ الحكرىّ. كان إماما فى القراءات نحويّا مفسّرا، يضرب به المثل فى حسن التلاوة. تصدّر للإقراء، و انتفع به الخلق. مات بالطاعون فى ذى القعدة سنة تسع و أربعين و سبعمائة.

۱۲۷- محمد بن مسعود المقرئ المالكىّ. تلا بالسبع على التقىّ الصائغ، و كان متصدّرا للإقراء حتّى إنّ القاضى محبّ الدين ناظر الجيش كان يقرأ عليه. مات سنة خمس و سبعين و سبعمائة.

۱۲۸- التقىّ الواسطىّ. مرّ فى المحدّثين.

۱۲۹- العسقلانىّ إمام جامع ابن طولون فتح الدين أبو الفتح محمد بن أحمد ابن محمد المصرىّ. ولد بعد العشرين و سبعمائة، و تلا على التقىّ الصائغ، و سمع عليه الشاطبيّة، و كان خاتمة أصحابه بالسماع، و أقرأ الناس بأخرة، فتكاثروا عليه. مات فى المحرّم سنة ثلاث و تسعين و سبعمائة.

۱۳۰- نور الدين علىّ بن عبد اللّه بن عبد العزيز الدّميرىّ أخو القاضى تاج الدين بهرام. كان إماما فى القراءات، مشاركا فى فنون، ولى مشيخة القرّاء بالشّيخونيّة.

مات سنة ثمان و تسعين و سبعمائة.

۱۳۱- خليل بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الجليل المقرئ، المعروف بالمشبّب أقرأ الناس بالقرافة دهرا طويلا، و كان منقطعا بسفح الجبل، و للسلطان و غيره فيه اعتقاد كبير. مات فى ربيع الأول سنة إحدى و ثمانمائة .

۱۳۲- علىّ بن محمد بن الناصح نور الدين المقرئ. قرأ على المجد الكفتىّ، و نظم قصيدة فى القراءات، و كان يقرئ بجامع المارداني. مات فى ذى الحجّة سنة إحدى و ثمانمائة.

۱۳۳- عثمان بن عبد الرحمن المخزومىّ البلبيسىّ، فخر الدين الضرير إمام الجامع الأزهر. انتهت إليه الرياسة فى فنّ القراءات، و انتفع

به من لا یحصی عددهم فی القراءات و صار أمّة وحده، و أخبر أنّ الجنّ کانوا یقرءون علیه، و کان صالحا خیّرا.

مات فی ذی القعدة سنة أربع و ثمانمائة عن ثمانین سنة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۲۰

۱۳۴- محمد بن محمد البغدادیّ المقرئ الزرکشیّ. أصله من شیراز، ثمّ سکن القاهرة، أتقن القراءة و العروض، مات فی ذی الحجّة سنة ثلاثین و ثمانمائة.

۱۳۵- الزراتیتی شمس الدین محمد بن علیّ بن محمد الغزولیّ. ولد سنة ثمان و أربعین و سبعمائة، و اشتغل بالعلم، و عنی بالقراءات من سنة ثلاث و ستّین و هلمّ جرّا. مات فی جمادی الآخرة سنة خمس و عشرین و ثمانمائة.

ذکر من کان بمصر من الصلحاء و الزهّاد و الصوفیة

۱- سلیم بن عتر .

۲- ابن حجیرة.

۳- أبو عقیل.

۴- زهرة بن معبد.

۵- الحارث بن یزید الحضرمیّ.

۶- ولده عبد الکریم بن الحارث الحضرمیّ.

۷- عبد الرحیم بن میمون المدنیّ.

۸- حیوة بن شریح .

۹- أبو الأسود النّضر بن عبد الجبّار المرادیّ .

۱۰- السیدة نفیسة بنت الأمیر حسن بن زید بن الحسن بن علیّ بن أبی طالب رضی اللّه عنهم. کان أبوها أمیر المدینة للمنصور، و له روایة فی سنن النسائیّ، و دخلت هی مصر مع زوجها المؤتمن إسحاق بن جعفر الصادق، فأقامت بها، و کانت عابدة زاهدة، کثیرة الخیر. و کانت ذات مال؛ فکانت تحسن إلی الزّمنی و المرضی و عموم الناس. و لمّا ورد الشافعیّ مصر کانت تحسن إلیه، و ربّما صلّی بها فی شهر رمضان.

و لما توفّی أمرت بجنازته فأدخلت إلیها المنزل، فصلّت علیه. ماتت فی رمضان سنة ثمان و مائتین. و کان عزم زوجها علی أن ینقلها فیدفنها بالمدینة النبویة؛ فسأله أهل مصر أن یدفنها عندهم، فدفنت بمنزلها بدرب السّباع؛ محلّة بین مصر و القاهرة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۲۱

۱۱- ذو النون المصریّ ثوبان بن إبراهیم أبو الفیض، أحد مشایخ الطریق المذکورین فی رسالة القشیریّ؛ و هو أوّل من عبّر عن علوم المنازلات، و أنکر علیه أهل مصر، و قالوا: أحدث علما لم تتکلّم فیه الصحابة، وسعوا به إلی الخلیفة المتوکّل، و رموه عنده بالزندقة، و أحضره من مصر علی البرید، فلمّا دخل سرّ من رأی، وعظه، فبکی المتوکّل، و ردّه مکرّما. و کان مولده بإخمیم، و حدّث عن مالک و اللّیث و ابن لهیعة، روی عنه الجنید و آخرون. و کان أوحد وقته علما و ورعا و حالا- و أدبا، مات فی ذی القعدة سنة خمس و أربعین و مائتین، و قد قارب التسعین. قال السّلمیّ: کان أهل مصر یسمّونه الزّندیق، فلمّا مات أظلّت الطیر الخضر جنازته ترفرف علیه إلی أن وصل إلی قبره، فلمّا دفن غابت، فاحترم أهل مصر بعد ذلک قبره .

۱۲- القاضی بکار. مرّ فی الحنفیة.

۱۳- أبو بکر أحمد بن نصر الدّقاق الکبیر، من أقران الجنید و أکابر مشایخ مصر.

قال الکتّانیّ: لمّا مات الدقّاق انقطعت حجّة الفقراء فی دخولهم إلی مصر. و من کلامه:

من لم یصحبه التقی فی فقره، أکل الحرام المحض. و قال: کنت مارّا فی تیه بنی إسرائیل، فخطر ببالی أنّ علم الحقیقة مباین لعلم الشریعة، فهتف بی هاتف من تحت شجرة: کلّ حقیقة لا تتبع الشریعة، فهی کفر.

۱۴- فاطمة بنت عبد الرحمن بن أبی صالح الحرّانیة الصوفیّة أمّ محمد. من الصالحات المتعبّدات. قال الخطیب: ولدت ببغداد، و حملت إلی مصر، فطال عمرها؛ حتّی جاوزت الثمانین، و أقامت ستّین سنة لا تنام إلا و هی فی مصلّاها بغیر وطاء، سمعت من أبیها، و روی عنها ابن أخیها عبد الرحمن بن القاسم. ماتت سنة اثنتی عشرة و ثلثمائة.

۱۵- أبو الحسن بن بنان بن محمد بن حمدان الحمّال الزّاهد الواسطیّ. نزیل مصر و شیخها. من کبار مشایخ مصر و مقدّمیهم، قال ابن فضل اللّه فی المسالک:

صحب الخزّاز، و إلیه ینتمی، مات فی التّیه؛ و ذلک أنّه ورد علیه وارد فهام علی وجهه، فمات به. و من کلامه: اجتنبوا ریاء الأخلاق کما تجتنبوا الحرام. و قال: الوحدة جلسة الصّدّیقین. و قال: ذکر اللّه باللسان یورث الدّرجات، و ذکر اللّه بالقلب یورث القربات.

و قال الذهبیّ فی العبر: صحب الجنید، و حدّث عن الحسن بن محمد الزعفرانیّ

و جماعة، و کان ذا منزلة عظیمة فی النّفوس، و کانوا یضربون بعبادته المثل. وثّقة ابن یونس، و قال: توفّی فی رمضان سنة ستّ عشرة و ثلاثمائة، و خرج فی جنازته أکثر أهل مصر؛ و کان شیئا عجبا، و من کراماته أنّه أنکر علی ابن طولون یوما شیئا من المنکرات، و أمره بالمعروف، فأمر به فألقی بین یدی الأسد؛ فکان یشمّه و یحجم عنه؛ فرفع من بین یدیه، و زاد تعظیم الناس له. و سأله بعض الناس: کیف کان حالک و أنت بین یدی الأسد؟ فقال: لمن یکن علیّ بأس؛ و لکن کنت أفکّر فی سؤر السّباع أهو طاهر أم نجس؟ و جاءه رجل، فقال: لی علی رجل مائة دینار، و قد ذهبت الوثیقة، و أخشی أن ینکر، فادع لی، فقال له: إنّی رجل قد کبرت، و أنا أحبّ الحلوی، فاذهب فاشتر لی رطلا و ائتنی به حتّی أدعو لک، فذهب الرجل فاشتری فوضع له البائع الحلوی فی ورقة؛ فإذا هی وثیقته بالمائة دینار؛ فجاء إلی الشیخ فأخبره، فقال: خذ الحلوی فأطعمها صبیانک .

۱۶- أبو علی الرّوذباریّ. مرّ فی الشافعیّة.

۱۷- أبو الحسن علیّ بن محمد بن سهل الدینوریّ الصائغ الزاهد.

قال فی العبر: أحد المشایخ الکبار، توفّی بمصر فی رجب سنة إحدی و ثلاثین و ثلثمائة، و من کلامه: من أیقن أنّه لفترة فما له یبخل بنفسه.

قال ابن کثیر: و من کراماته أنّه رئی یصلّی بالصحراء فی شدّة الحرّ، و نسر قد نشر جناحیه یظلّه من الحرّ.

و حکی صاحب المرآة أنّه أنکر علی تکین أمیر مصر شیئا- و کان تکین ظالما- فسیّره تکین إلی القدس، فلمّا وصل القدس، قال: کأنّی بالبائس- یعنی تکین- و قد جیء به فی تابوت إلی هنا، فإذا أدنی من الباب عثر البغل، و وقع التابوت، فبال علیه البغل. فلم نلبث إلّا مدّة یسیرة، و إذا بقائل یقول: قد وصل تکین، و هو میّت فی تابوت، فلمّا وصل إلی الباب عثر البغل فی المکان الذی أشار إلیه الدّینوریّ، فوقع التابوت و غفل عنه المکاریّ، فبال علیه البغل، و خرج الدینوریّ، فقال للتابوت: جئت بالبائس إلی المکان الذی نفانا إلیه! ثمّ رکب الدینوریّ، و عاد إلی مصر، فمات بها.

و دفن بالقرافة .

۱۸- أبو الخیر الأقطع المعروف بالتیناتیّ. أصله من المغرب، و صحب أبا عبد

اللّه بن الجلّاد و غیره، و کان أوحد عصره فی طریقة التوکّل، و کانت السباع و الهوامّ تأنس به، و له فراسة حادّة. مات سنة ثلاث و

أربعين و ثلثمائة.

۱۹- أبو علىّ الحسن بن أحمد الكاتب المصرىّ. من كبار مشايخ المصريين، صحب أبا بكر المصرىّ و أبا على الرّوذبارى و غيرهما، و كان أوحد مشايخ وقته، و من كلامه: إذا انقطع العبد إلى اللّه بكلّيته، أوّل ما يفيده اللّه الاستغناء به عن الناس. و قال: يقول اللّه: من صبر علينا وصل إلينا. و قال: إذا سكن الخوف فى القلب، لم ينطق اللسان بما لا يعنيه. مات سنة ثلاث و أربعين و ثلثمائة.

۲۰- أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل الرّملى النابلسىّ. قال فى العبر: كان عابدا صالحا زاهدا قوّالا بالحقّ، قال: لو كان معى عشرة أسهم، رميت الرّوم بسهم و رميت بنى عبيد بتسعة، فبلغ صاحب مصر المعزّ فقتله فى سنة ثلاث و ستّين و ثلثمائة.

حكى صاحب المرآة أنّ كافورا الإخشيدىّ بعث إليه بمال، فردّه و قال: قال اللّه تعالى: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، فالاستعانة باللّه تكفى. فردّ كافور الرّسول بالمال إليه، و قال: قل له: قال اللّه تعالى: لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما وَ ما تَحْتَ الثَّرى [طه: ۶]، فأين ذكر كافور هنا؟! فقال أبو بكر: صدق، الملك و المال للّه، كافور صوفىّ لا أنا، ثمّ قبل المال.

۲۱- عيسى بن يوسف المصرىّ الزاهد. مات بعد السبعين و ثلثمائة.

۲۲- ابن التّرجمان محمد بن الحسين بن علىّ الغزىّ شيخ الصوفيّة بديار مصر. قال فى العبر: مات بمصر فى جمادى الأولى سنة ثمان و أربعين و أربعمائة، و له خمس و تسعون سنة، و دفن بتربة ذى النون.

۲۳- أبو القاسم الصّامت أحد الصالحين، و قبره أحد المزارات بالقرافة، مات فى رمضان سنة سبع و ثلاثين و أربعمائة، ذكره ابن ميسر.

۲۴- عبد الرحيم بن أحمد بن حجون القنائىّ الشريف الحسنى السيد الكبير الإمام الشهير. أصله من سبتة، و قدم من المغرب فأقام بمكّة سبع سنين، ثمّ قدم قنا فأقام بها سنين كثيرة إلى أن مات. قال الحافظ المنذرىّ: كان أحد الزّهاد المشهورين، و العبّاد المذكورين، ظهرت بركاته على جماعة ممّن صحبه، و تخرّج به جماعة من أعيان الصالحين بصالح أنفاسه. و كان مالكىّ المذهب، و كراماته كثيرة. مات فى تاسع صفر سنة اثنتين و تسعين و خمسمائة.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۲۴

۲۵- و كان للشيخ ولد يقال له الحسن، كان أيضا من الصوفيّة الفقهاء الفضلاء العلماء أرباب الأحوال و الكرامات و علوّ المقامات؛ روى عنه المنذرىّ من شعره، و تبرّك بدعائه. مات بقنا فى جمادى الأولى سنة خمس و خمسين و ستمائة، و قد قارب الثمانين.

۲۶- و للحسن هذا ولد يقال له محمّد، جمع بين العلم و العبادة، و الورع و الزهادة، فقيها مالكيّا، و يقرئ مذهب الشافعىّ، نحويّا فرضيّا، حاسبا، انتفع بعلومه و بركته طوائف من الخلق، و له كرامات و مكاشفات؛ حكى عنه أنّه قال: كنت فى بعض السياحات، فكنت أمرّ بالحشائش فتخبرنى عن منافعها. مات فى ربيع الآخر سنة اثنتين و تسعين و ستمائة.

۲۷- علىّ بن أحمد بن إسماعيل بن يوسف، الشيخ أبو الحسن الصبّاغ القوصىّ.

صاحب المعارف و الكرامات، أخذ عن الشيخ عبد الرحيم القنائىّ. قال المنذرىّ:

و ظهرت بركاته على الّذين صحبوه، و هدى اللّه به خلقا، و كان حسن التربية للمريدين، و صحبه جماعة من العلماء منهم الشيخ مجد الدين بن دقيق العيد. مات بقنا منتصف شعبان سنة ثلاث عشرة و ستّمائة، و فى العبر سنة اثنتى عشرة.

۲۸- يوسف بن محمد بن علىّ بن أحمد الهاشمىّ أبو الحجاج المغاورىّ. قدم من المغرب، فأقام بقنا إلى أن توفّى بها، و صحب الشيخ أبا الحسن بن الصبّاغ. و كان من المشهورين بالولاية، و له كرامات كثيرة. مات فى صفر سنة تسع عشرة و ستمائة؛ و يقال إنّه عاش مائة و ثلاثين سنة. ذكره فى الطالع السعيد.

۲۹- الشيخ أبو العباس البصير أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر بن جزىّ الخزرجىّ الأنصارىّ الأندلسىّ. كان أبوه من ملوك المغرب، فولد له الشيخ أبو العباس أطمس العينين، فخافت أمّه سطوة أبيه، فأمرت به فألقى فى البريّة فأرضعته الغزلان. ثمّ إنّ

والده خرج إلی الصید فلقیه فأخذه، و هو لا یشعر أنّه ابنه و قال لزوجته:

ربّیه، لعلّ اللّه أن یجعل لنا فیه خیرا. فلمّا کبر قرأ القرآن، و اشتغل بالعلوم الشرعیّة إلی أن برع فیها، و صحب فی التصوّف جعفر بن عبد اللّه بن شیندبونة الخزاعیّ الأندلسیّ، ثمّ سافر علی قدم التجرید، فدخل الصعید، و أقام بالقاهرة یقرئ الناس و ینفعهم. قال الشیخ برهان الدین الأبناسی فی ترجمته: کان الشیخ أبو العباس یشغل الناس بالقراءات السبع، و کان حافظا بارعا فی علم الحدیث، حافظا لمتونه، عارفا بعلله و رجاله، حسن الاستنباط بذهن وقّاد، و کانت له الأحوال الغریبة و الأسالیب العجیبة، أجاز سبعة آلاف رجل بالقراءات السبع. توفّی سنة ثلاث و عشرین و ستمائة، و قد بلغ ثلاثا و ستّین سنة، و دفن بالقرافة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۲۵

۳۰- یحیی بن موسی بن علی القنائی یعرف بابن الحلاویّ. قال الحافظ رشید الدین العطّار: کان من المشایخ المعروفین بالزهد و الصلاح، سمعته یقول: سمعت الشیخ العارف عبد الرحیم بن أحمد بن حجون المغربیّ- و کان شیخ وقته و إمام عصره- یقول فی قوله صلی اللّه علیه و سلم: «من طلب العلم تکفّل اللّه برزقه»، معناه و اللّه أعلم: محّضه بالحلال من الرزق لمکان طلب العلم. قال الرّشید: و سمعت منه جزءا منتخبا من کلام شیخه عبد الرحیم. مات بقنا فی ذی القعدة سنة خمس و عشرین و ستمائة.

۳۱- ابن الفارض شرف الدین أبو القاسم عمر بن علیّ بن مرشد الحمویّ الأصل المصریّ. ولد بالقاهرة فی ذی القعدة سنة ستّ و سبعین و خمسمائة؛ و کان أبوه یکتب فروض النّساء. ترجمه الرشید العطار فی معجمه، فقال: الشیخ الفاضل الأدیب.

کان حسن النظم، متوقّد الخاطر، و کان یسلک طریق التصوّف، و ینتحل مذهب الشافعیّ، و أقام بمکّة مدّة، و صحب جماعة من المشایخ. و ترجمه أیضا المنذریّ فی معجمه و غیره. مات فی ثالث جمادی الأولی سنة اثنتین و ثلاثین و ستمائة.

۳۲- أبو الحجّاج الأقصریّ الشیخ العارف یوسف بن عبد الرحیم بن غزیّ، شیخ الزمان و واحد الأوان، صاحب المعارف و الکرامات و المکاشفات و الاستغراقات.

انتفع به خلق من أصحابه، و کان من أوّل أمره مشارف الدیوان ثمّ تجرّد، و صحب الشیخ عبد الرزاق تلمیذ الشیخ أبی مدین، فحصل له من الفتح ما حصل. توفی فی رجب سنة اثنتین و أربعین و ستّمائة بالأقصر من الصعید الأعلی.

۳۳- و ولده نجم الدین أحمد. مشهور أیضا بالصلاح، له کرامات و مکاشفات.

مات ببلده سنة نیّف و ثمانین و ستّمائة.

۳۴- و ولد نجم الدین هذا جمال الدین محمد، له أیضا مکاشفات، منها أنّه أخبر بفتح عکّا یوم وقوعه. توفّی فی شعبان سنة ستّ و تسعین و ستّمائة.

۳۵- أبو السعود بن أبی العشائر بن شعبان بن الطیب الباذینیّ. مولده بباذیین بلد بقرب واسط العراق؛ ذکره کذلک المنذریّ فی معجمه، و قال: سمعته یقول: ینبغی للسالک الصادق فی سلوکه أن یجعل کتابه قلبه. قال: و مات بالقاهرة یوم الأحد تاسع شوال سنة أربع و أربعین و ستّمائة، و دفن بسفح المقطّم.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۲۶

۳۶- أبو بکر و أبو یحیی بن شافع القنائیّ، شیخ عصره. صحب الشیخ أبا الحسن ابن الصبّاغ، و له کرامات استفاضت و أحوال اشتهرت، و معارف بهرت، و انتفع به جماعة. مات فی شوّال سنة سبع و أربعین و ستّمائة.

۳۷- مفرّج بن موفّق بن عبد اللّه الدّمامینیّ أبو الغیث. صاحب المکاشفات الموصوفة، و المعانی المعروفة، صحب أبا الحسن بن الصباغ، قال الحافظ الرشید العطار: کان من مشاهیر الصالحین، و ممّن ترجی برکاته، و اشتهرت کراماته. مات فی جمادی الأولی سنة ثمان و أربعین و ستّمائة، و قد قارب التسعین.

۳۸- إسماعیل بن إبراهیم بن المنفلوطیّ ثمّ القنائیّ الشیخ علم الدین. أحد أصحاب أبی الحسن بن الصبّاغ. کان ممّن جمع الشریعة و

الحقيقة، فقيها مالكيّا. له كرامات و مكاشفات و معارف صوفيّة. مات بقنا فى صفر سنة اثنتين و خمسين و ستّمائة.

۳۹- رفاعة بن أحمد بن رفاعة القنائىّ الجذامىّ. من أصحاب الشيخ أبى الحسن ابن الصباغ. أحد المشهورين بالصلاح و الكرامات و المقامات، حكى الشيخ عبد الغفار ابن نوح أنّ الشيخ أبا الحسن بن الصبّاغ تحدّث مع والى قوص أن يعزل والى قنا، فامتنع، و كان رفاعة حاضرا، فقال رفاعة: يا سيّدى؛ أقول؟ قال: لا؛ فلمّا خرج سأله الفقراء، ما الذى كنت تريد تقول؟ فقال: إنّ الوالى لمّا ردّ على الشيخ عزل فى ساعته.

فأرّخوا ذلك الوقت، فجاء المرسوم بعزله فى ذلك التاريخ.

۴۰- إبراهيم بن علىّ بن عبد الغفّار بن أبى القاسم بن محمد بن فضل بن أبى الدنيا الأندلسىّ ثمّ القنائىّ. قال الأدفوىّ فى الطالع السعيد: كان من المشهورين بالكرامات، و ذكروا أنّ الشيخ عبد الرحيم كان يذكره، و يقول: يأتى بعدى رجل من الغرب يكون له شأن، فقدم هذا. مات بقنا يوم الجمعة مستهلّ صفر سنة ستّ و خمسين و ستّمائة.

۴۱- الشيخ أبو الحسن الشاذلىّ شيخ الطائفة الشاذليّة. هو الشريف تقىّ الدين علىّ بن عبد اللّه بن الجبّار. قال الشيخ تقىّ الدين بن دقيق العيد: ما رأيت أعرف باللّه من الشاذلىّ. و قال الشيخ تاج الدين بن عطاء اللّه: منشؤه بالغرب الأقصى، و مبدأ ظهوره بشاذلة، و له السياحات الكثيرة، و المنازلات الجليلة، و العلوم الكثيرة، لم يدخل

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۲۷

فى طريق اللّه حتّى كان يعدّ للمناظرة فى العلوم الظاهرة، و علوم جمّة، جاء فى هذا الطريق بالعجب العجاب، و شرح من علم الحقيقة الأطناب، و وسّع للسالكين الرّكاب.

و كان الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام يحضر مجلسه، و يسمع كلامه. قال الشيخ تاج الدين: أخبرنى والدى قال: دخلت على الشيخ أبى الحسن الشاذلىّ، فسمعته يقول:

و اللّه لقد يسألوننى عن المسألة لا يكون لها عندى جواب، فأرى الجواب مسطّرا فى الدواة و الحصير و الحائط. مات فى ذى القعدة سنة ستّ و خمسين و ستّمائة بصحراء عيذاب متوجّها إلى مكّة.

۴۲- أبو القاسم بن منصور بن يحيى المالكىّ الإسكندرىّ المعروف بالقبّارىّ.

أحد العبّاد المشهورين بكثرة الورع و التحرّى و الانقطاع، أفرد ناصر الدين بن المنيّر ترجمته بتأليف. مات بظاهر الإسكندرية فى سادس شعبان سنة اثنتين و ستّين و ستّمائة عن خمس و سبعين سنة. و من غريب ما حكى عنه أنّه باع دابّة لرجل، فأقامت أياما لم تأكل عنده شيئا فجاء إليه و أخبره، فقال له الشيخ: ما صنعتك؟ قال: رقّاص عند الوالى، فقال: إنّ دابتنا لا تأكل الحرام، ثمّ ردّ إليه دراهمه.

۴۳- أبو الحسن بن قفل. ذكره ابن فضل اللّه فى المسالك فى صوفيّة مصر و قال: من كلامه: إن شئت أن تصير من الأبدال، فحوّل خلقك إلى بعض خلق الأطفال، فقيهم خمس خصال لو كانت فى الكبار لكانوا أبدالا: لا يهتمّون للرزق، و لا يشكون من خالقهم إذا مرضوا، و يأكلون الطعام مجتمعين، و إذا تخاصموا لم يتحاقدوا و تسارعوا إلى الصلح، و إذا خافوا جرت عيونهم بالدموع.

۴۴- الجنيد بن مقلد السمهودىّ. من المشهورين بالصلاح و الكرامات. مات ببلده سنة اثنتين و سبعين و ستّمائة، ذكره فى الطالع السعيد.

۴۵- الشاطبىّ الزاهد نزيل الإسكندريّة أبو عبد اللّه محمد بن سليمان المعافرىّ.

كان أحد المشهورين بالعبادة و التألّه. مات سنة اثنتين و سبعين و ستمائة عن بضع و ثمانين سنة.

۴۶- أبو العبّاس الملثّم أحمد بن محمد. كان مقيما بالصّعيد، و له كرامات و عجائب. صحب الشيخ عبد الغفار. مات بقوص فى رجب سنة اثنتين و سبعين و ستمائة.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۲۸

۴۷- مسلم البرقيّ صاحب الرباط بالقرافة. كان صالحا متعبّدا يقصد للتبرّك بدعائه. مات سنة ثلاث و سبعين و ستمائة. ذكره ابن كثير.

۴۸- خضر بن أبى بكر المهرانيّ. له حال و كشف، و كان الظاهر بيبرس يخضع له، ثمّ تغيّر عليه، فأراد قتله فى سنة إحدى و سبعين، فقال له: إنّما بينى و بينك فى الموت شيء يسير، فوجم لها السلطان و تركه، فأقام إلى أن مات فى سادس المحرّم سنة ست و سبعمائة، و مات الظاهر بعده باثنين و عشرين يوما.

۴۹- سيدى أحمد البدويّ، هو أبو الفتيان أحمد بن علىّ بن إبراهيم بن محمد بن أبى بكر القدسىّ الأصل الملثّم. ولد سنة ستّ و تسعين و خمسمائة مع أبيه و أهله، و أقام بمكّة إلى أن مات أبوه سنة سبع و عشرين، و عرف بالبدويّ لملازمته اللثام. و لبس لثامين لا يفارقهما، و عرض على التزويج فأبى، لإقباله على العبادة. و كان حفظ القرآن، و قرأ شيئا من الفقه على مذهب الشافعيّ، و اشتهر بالعطّاب لكثرة ما يقع بمن يؤذيه من الناس، ثمّ لازم الصمت حتّى كان لا يتكلّم إلا بالإشارة، و اعتزل الناس جملة، و ظهر عليه الوله. فلمّا كان فى المحرّم سنة ثلاث و ثلاثين، ذكر أنّه رأى فى النوم من بشّره بأنه ستكون له حالة حسنة. ثمّ إن أخاه حسن بن علىّ دخل العراق، و هو صحبته، و لازم أحمد الصّيام، و أدمن عليه حتّى كان يطوى أربعين يوما لا يتناول طعاما و لا شرابا، و لا ينام و هو فى أكثر حاله شاخص البصر إلى السماء و عيناه كالجمرتين، ثمّ صار إلى مصر سنة أربع و ثلاثين، فأقام بطندتا من الغربية على سطح دار لا يفارقه، و إذا عرض له الحال يصبح صياحا متصلا. و كان طوالا غليظ الساقين، عبل الذراعين، كبير الوجه، و لونه بين البياض و السمرة، و تؤثر عنه كرامات و خوارق، من أشهرها قصّة المرأة التى أسر الفرنج ولدها، فلاذت به، فأحضره إليها فى قيوده، و مرّ به رجل يحمل قربة لبن فأومأ إليها بأصبعه، فانقدّت فانسكب اللبن، فخرجت منه حيّة قد انتفخت. توفّى يوم الثلاثاء ثانى عشرى ربيع الأول سنة خمس و سبعين و ستّمائة .

۵۰- ابن النعمان القدوة الزاهد أبو عبد اللّه محمد بن موسى بن النّعمان التّلمسانىّ ثمّ المرسىّ. قدم الإسكندريّة شابّا، فسمع بها من الصفرائىّ، و كان عارفا بمذهب مالك، راسخ القدم فى العبادة و النسك، ولد سنة سبع و ستّمائة، و مات فى رمضان سنة ثلاث و ثمانين و دفن بالقرافة، ذكره فى العبر.

۵۱- شرف الدين محمد بن الحسن بن إسماعيل الإخميمىّ الزّاهد. قال فى

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۲۹

العبر: كان صاحب توجّه و تعبّد، و للناس فيه عقيدة عظيمة. مات بدمشق فى جمادى الأولى سنة أربع و ثمانين و سبعمائة .

۵۲- الشيخ أبو العبّاس المرسى . أحمد بن عمر الأنصارىّ العارف الشهير.

قطب زمانه و رأس أصحاب الشيخ أبى الحسن الشاذلىّ، ذكر الشيخ تاج الدين بن عطاء اللّه عنه أنّه قال يوما: و اللّه لو حجب عنّى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم طرفة عين ما عددت نفسى مع المسلمين. مات بالإسكندرية سنة ستّ و ثمانين و ستّمائة.

۵۳- الجعبرىّ أبو إسحاق إبراهيم بن معضاد الزّاهد الواعظ المذكّر. قال فى العبر: روى عن السخاوىّ، و سكن القاهرة و كان لكلامه وقف فى القلوب لصدقه و إخلاصه و صدعه بالحقّ. مات فى المحرّم سنة سبع و ثمانين و ستمائة عن سبع و ثمانين سنة و شهر.

۵۴- ولده ناصر الدين محمّد. كان صالحا معتقدا يعظ الناس مكان والده و لوعظه رونق. مات سنة سبع و ثلاثين و سبعمائة.

۵۵- الإمام أبو محمد بن أبى جمرة المقرئ المالكى العالم البارع الناسك.

قال ابن كثير: كان قوّالا بالحق أمّارا بالمعروف. مات بمصر فى ذى القعدة سنة خمس و تسعين و ستمائة.

۵۶- الشيخ كمال الدين بن عبد الظاهر علىّ بن محمد بن جعفر الهاشمىّ الجعفرىّ القوصىّ. صاحب المناقب المأثورة و الكرامات المشهورة ولد بقوص، و تفقّه بالمجد بن دقيق العيد، و أجازه بالتدريس ثمّ تصوّف و انقطع للذكر و العبادة، و صحب الشيخ إبراهيم الجعبرىّ بالقاهرة، ثمّ استوطن إخميم و انتصب لتذكير الناس، و انتفع به كثيرون. مات بها فى رجب سنة إحدى و سبعمائة.

۵۷- و له ولد يقال له أبو العبّاس، نحوه فى العلم و العمل و الاجتهاد و تذكير الناس. انتفع به الخلق الكثير. و مات بإخميم فى رجب

سنة سبع و خمسين و سبعمائة.

۵۸- عبد الغفّار بن أحمد بن عبد المجيد الأقصرىّ ثم القوصىّ المعروف بابن

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۳۰

نوح. صحب أبا العباس الملثّم و عبد العزيز المنوفىّ، و تجرّد زمانا و تعبّد، و له أحوال و كرامات. ألّف الوحيد فی علم التوحيد، و له شعر حسن. مات بالقاهرة فی ذی القعدة سنة ثمان و سبعمائة و له ثلاث و ستّون سنة.

۵۹- الشيخ تاج الدين بن عطاء اللّه أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الكريم الجذامی الإسكندرانىّ الإمام المتكلّم على طريقة الشاذلىّ. كان جامعا لأنواع العلوم من تفسير و حديث و نحو و أصول و فقه على مذهب مالك، و صحب فی التصوّف الشيخ أبا العباس المرسی- و كان أعجوبة زمانه فيه- أخذ عنه التقىّ السبكىّ، و له تصانيف منها التّنوير فی إسقاط التدبير، و الحكم و لطائف المنن فی مناقب الشيخ أبی العباس و الشيخ أبی الحسن، و المرقى إلى القدس الأبقى، و مختصر تهذيب المدوّنة للبرادعىّ فی الفقه.

مات بالمدرسة المنصوريّة من القاهرة فی ثالث عشر جمادى الآخرة سنة تسع و سبعمائة و دفن بالقرافة.

۶۰- عمر بن أبی الفتوح الدّماميّنى. صاحب كرامات و مكاشفات. مات بالقاهرة فی ذی القعدة سنة أربع عشرة و سبعمائة، و مولده سنة سبع و أربعين و ستّمائة. ذكره فی الطالع السعيد.

۶۱- نصر بن سلمان بن عمر المنبجىّ أبو الفتح. القدوة العابد شيخ مصر.

حدّث عن إبراهيم بن خليل، و تلا على الكمال الضرير، و تفقّه على مذهب أبی حنيفة، ثمّ اعتزل، وزاره السلطان و الأعيان و العلماء. مات بزاويته بالحسينيّة فی جمادى الآخرة سنة تسع عشرة و سبعمائة عن بضع و ثمانين سنة .

۶۲- ياقوت بن عبد اللّه الحبشىّ القرشىّ العارف، تلميذ الشيخ أبی العباس المرسىّ تسلّك عليه، قال ابن أيبك: كان شيخا صالحا مباركا ذا هيبة و وقار. أخذ الطريق عن الشيخ أبی العباس المرسىّ و صحبه مدّة و سمع من كلامه، و كان يقصد للدعاء و التبرّك، و لم يخلف بناحيته بعده مثله. مات بالإسكندرية ليلة الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة اثنتين و ثلاثين و سبعمائة، و هو من أبناء الثمانين.

۶۳- عبد العال خليفة سيّدى أحمد البدوىّ. كان له شهرة بالصلاح، يقصد للزيارة و التبرّك. مات بطندتا فی ذی الحجّة سنة اثنتين و ثلاثين و سبعمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۳۱

۶۴- أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن إبراهيم المرشدىّ. من أهل منية مرشد من الوجه البحرىّ، ذكره ابن فضل اللّه فی صوفيّة مصر، و قال: إنّه كان مع اشتهاره بالصلاح فقيها على مذهب الشافعىّ، يفتی من استفتاه من غير أن يكتب خطّه. مات فی شعبان سنة سبع و ثلاثين و سبعمائة.

۶۵- عبد اللّه بن محمد بن سليمان المنوفىّ. قال ابن فضل اللّه: جمع بين العلم و العمل و الصلاح، تفقّه على مذهب مالك، و اعتزل، و انقطع بالمدرسة الصالحية مقتصرا على خويصة نفسه، لا يكاد يخرج إلّا إلى الصلاة، و له كرامات ظاهرة، حكى الأمير الجائىّ الدوادار قال: وقع فی نفسی إشكال فی مسألة، و كان لی صاحب من الفقهاء الحنفية أتردّد إليه، فركبت إليه لأسأله على تلك المسألة فلم أجده، فأتيت الشيخ عبد اللّه المنوفىّ، فلمّا جلست قال لی: كأنك مشتغل بشیء من الفقه! فقلت: نعم، قال: فما قولك فی كذا و كذا؟ لتلك المسألة بعينها، فقلت: منكم تستفاد، فأخذ يتكلّم فی تلك المسألة و ما عليها من الإيرادات- و ذكر الإشكال الذی وقع فی نفسی- ثمّ شرع يجيب عنه حتّى انجلى، فسألته عن شیء آخر، قال: لا، قم مع السلامة، و القصد قد حصل. ولد سنة ستّ و ثمانين و ستمائة، و توفّی فی رمضان سنة تسع و أربعين و سبعمائة، رأيت بخطّ الشيخ كمال الدين الشّمنّى قال: سمعت شيخنا الحافظ أبا الفضل العراقىّ يقول: لم أر قطّ جنازة أكثر جمعا من جنازة الشيخ عبد اللّه المنوفىّ، و ذلك أنّه صادف اليوم الذی خرج فيه أهل مصر ليدعوا

ربّهم لمّا کثر الفناء. قال العراقیّ: و کان النّاس إنّما خرجوا فی الحقیقة لأجل جنازة الشیخ. قال: ثمّ رأیت بعد ذلک فی مناقب الشیخ التی جمعها تلمیذه الشیخ خلیل، قال: لمّا حصل الفناء، و أرد الناس أن یخرجوا لیدعوا ربّهم جئت إلی الشیخ، و طلبت منه الحضور مع النّاس، فقال لی: نعم، أنا أکون معهم فی ذلک الیوم؛ و لکن لا أظهر؛ فکان ذلک یوم موته، ففهمت أنّه أشار إلی خفائه عنهم بالکفن.

۶۶- مسلم السلمیّ. کان مقیما بجامع الفیلة، و کان صالحا عابدا، له کرامات.

ربّی سبعا فصار عنده کالهرّ یدور فی البیوت، فلمّا مات الشیخ أخذه السبّاعون، فتوحّش عندهم فی الغابة و عجزوا عنه. مات سنة أربع و ستین و سبعمائة.

۶۷- سیدی یوسف العجمیّ العارف المسلّک جمال الدین أبو المحاسن عبد اللّه ابن عمر بن علیّ بن خضر الکورانیّ. إمام المسلکین فی عصره، و له رسالة فی

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۴۳۲

التصوف. مات سنة ثمان و ستّین و سبعمائة، و قبره مشهور بالقرافة.

۶۸- یحیی بن علی بن یحیی الصّنافیریّ المجذوب. صاحب کرامات و مکاشفات و أحوال خارقة، و کان الغالب علیه السکرة. مات فی شعبان سنة اثنتین و سبعمائة.

۶۹- صالح بن نجم المصریّ. کان علی قدم عظیم من العبادة و الزّهد و الورع، و للناس فیه اعتقاد کبیر، مات بمنیة السّیرج فی رمضان سنة ثمان و سبعمائة.

۷۰- نهار المغربیّ السکندریّ المجذوب. صاحب کرامات و أحوال. مات فی جمادی الأولی سنة ثمانین و سبعمائة.

۷۱- الشیخ عبد اللّه الجیرتی الزیلعیّ. أحد الصلحاء المعتقدین. مات فی المحرّم سنة ثمانین و سبعمائة، و قبره مشهور بالقرافة.

۷۲- حسن بن عبد اللّه الفرات. أحد المشایخ المعتقدین. قال الحافظ بن حجر:

کان أبی یعتقده. قال: و ذکر لی شمس الدین الأسیوطی أنّه غضب علیه، فرمی بسهم فی الهواء، فقال: أصابه، فلم یلبث إلا یسیرا حتّی مات. مکات الشیخ حسن فی ربیع الآخر سنة إحدی و ثمانین و سبعمائة.

۷۳- إسماعیل بن یوسف الإنبابیّ. صاحب الزاویة بإنبابة. نشأ علی طریقة حسنة، و اشتغل بالعلم، ثم انقطع بزاویته. مات فی شعبان سنة تسعین و سبعمائة.

۷۴- حسن بن عبد اللّه الحبار. صحب یاقوت العرشیّ، و تزوّج بابنته، و جلس للوعظ، و انتفع به الناس. مات فی ربیع الآخر سنة إحدی و تسعین و سبعمائة.

۷۵- ابن المللیق قاضی القضاة ناصر الدین أبو المعالی محمد بن عبد الدئم بن محمد بن سلامة المصریّ الشاذلیّ. ولد سنة إحدی و ثلاثین و سبعمائة، و اشتغل و حصّل، و تصوّف و تزهّد، و تکلّم علی الناس دهرا، ثم ولّی قضاء الشافعیّة، فباشره بعفّة و نزاهة. مات سنة سبع و تسعین و سبعمائة.

۷۶- الزهوریّ أحمد بن أحمد بن عبد اللّه العجمیّ نزیل القاهرة. کان صاحب مکاشفات، و للناس فیه اعتقاد کثیر، و کان برقوق یجلّه و یجلسه معه فی مجلسه العام

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۴۳۳

علی المقعد الّذی هو علیه، و کان هو یسبّ برقوقا بحضرة الأمراء، و ربما بصق فی وجهه و لا یتأثّر. مات سنة إحدی و ثمانمائة.

۷۷- خلف بن حسین بن عبد اللّه الطوخیّ. أحد المعتقدین بمصر. کان کثیر التلاوة، ملازما لداره و الخلق یهرعون إلیه، و شفاعاته مقبولة عند السلطان فمن دونه، مات فی ربیع الآخر سنة إحدی و ثمانمائة.

۷۸- صلاح الدین محمد الکلائیّ. أحد المذکورین علی طریقة الشاذلیّة. صحب حسن الحبار، و خلفه فی مکانه، فصار یذکر الناس. مات فی ربیع الأوّل سنة إحدی و ثمانمائة.

۷۹- إبراهیم بن عبد اللّه الرفّا. کان مقیما بزاویة فی مصر، و للناس فیه اعتقاد کبیر، و له کرامات. مات فی جمادی الأولی سنة أربع و ثمانمائة.

۸۰- محمد بن عبد اللّه الخوّاص. أحد من کان یعتقد بمصر. مات بالروضة فی جمادی الآخرة سنة خمس و ثمانمائة.

۸۱- محمود بن عبد اللّه الصامت. کان لا یتکلّم البتّة. أقام بالجیزة مدّة طویلة، و للناس فیه اعتقاد کبیر. مات فی ذی القعدة سنة خمس و ثمانمائة.

۸۲- محمد بن حسن بن الشیخ مسلم السّلمیّ. أحد المشایخ المعتقدین بمصر.

مات فی ربیع الأوّل سنة ستّ و ثمانمائة.

۸۳- سیدی علی بن وفا الشاذلیّ العارف الکبیر أبو الحسن بن العارف الکبیر سیدی محمد بن محمد. ولد بالقاهرة سنة تسع و خمسین و سبعمائة، و کان یقظا حادّ الذّهن، مالکی المذهب، و له نظم کثیر، و کان أبوه معجبا به، و أذن له فی الکلام علی الناس و هو دون العشرین. مات فی ذی الحجّة سنة سبع و ثمانمائة.

۸۴- ابن زقّاعة برهان الدین إبراهیم بن محمّد بن بهادر الغزّیّ. ولد سنة خمس و أربعین و سبعمائة، و أخذ القراءة من الحکریّ، و الفقه عن ناصر الدین القونویّ، و التصوّف عن الشیخ عمر حفید عبد القادر، و سمع الحدیث من نور الدین الفوّیّ، و اشتغل بالآداب، و قال الشعر، ثمّ ساح فی الأرض، و تجرّد و تزهّد، و عظم قدره، و شاع ذکره. مات فی ذی الحجّة سنة ستّ عشرة و ثمانمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۴۳۴

۸۵- شمس الدین البلاطیّ محمد بن علیّ بن جعفر العجلونیّ. نزیل القاهرة. ولد قبل الخمسین و سبعمائة، و اشتغل بالعلم قلیلا، و سلک طریق الصوفیّة، فمهر؛ و صارت له بإحیاء علوم الدین ملکة، و اختصره اختصارا حسنا، و ولی مشیخة سعید السعداء، و کان خیّرا معتقدا. مات فی شوال سنة اثنتی عشرة و ثمانمائة.

۸۶- یوسف بن إسماعیل بن یوسف الإنبابیّ. ولد سنة ستّ ... ، و أخذ عن العراقیّ و ابن جماعة، و کان أبوه ممّن یعتقد فی ناحیته. ثمّ صار ابنه کذلک، مع ملازمة الاشتغال و الإشغال و الخشوع و التعبّد. مات فی شوّال سنة ثلاث و عشرین و ثمانمائة .

۸۷- ابن عرب أبو العباس أحمد بن إبراهیم بن محمد الیمانیّ الزاهد بالشیخونیّة.

نشأ نشأة حسنة، و اشتغل و نسخ بالأجرة ثم انقطع عن الناس، فلم یکن یجتمع بأحد، و اختار العزلة مع مواظبته علی الجمعة و الجماعة، و اقتصر علی ملبس خشن جدّا، و قنع بیسیر من القوت، و أقام علی هذه الطریقة أکثر من ثلاثین سنة، و لم یکن فی عصره من داناه فی طریقته، و کان یدری القراءات. مات فی ربیع الأوّل سنة ثلاث عشرة و ثمانمائة.

۸۸- أبو بکر بن عبد اللّه بن أیّوب بن أحمد الملّویّ الشاذلیّ الشیخ زین الدین.

کان جدّه أیّوب معتقدا، و ولد هذا سنة اثنتین و ستّین و سبعمائة، و صحب القرّاء، و تلمذ للشیخ حسن الحبّار، ثمّ لازم صاحبه صلاح الدین الکلاعیّ، و صار یتکلّم علی الناس، و کان کثیر الذکر و العبادة، یتکسّب بدلالة الغزل، و للناس فیه اعتقاد کبیر. مات لیلة الجمعة خامس ذی الحجة سنة إحدی و أربعین و ثمانمائة.

۸۹- الشیخ شمس الدین الحنفیّ محمد بن حسن بن علیّ الشاذلیّ. ولد سنة خمس و سبعین و سبعمائة، و أخذ ... ابن هشام و غیره، و أخذ طریق القوم عن الشیخ ناصر الدین بن الملیق، و حضر إملاء الشیخ زین الدین العراقیّ، و سمع علی غالب سیرة ابن سیّد الناس، و اشتهر اسمه، و شاع ذکره. مات فی ربیع الآخر سنة سبع و أربعین و ثمانمائة.

۹۰- الشیخ أبو العبّاس الحنفیّ أحمد بن محمد بن عبد الغنی المرسیّ صاحب الشیخ شمس الدین الحنفیّ. و کان یقال إنّه أعظم منه،

و كان الشيخ كمال الدين بن الهمام يتردّد إليه، و أتى إليه يوما و معه تأليف التحرير فى أصول الفقه، فنظره الشيخ أبو

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۴۳۵

العباس، فقال: هو كتاب مليح، إلّا أنه لا ينتفع به أحد، فكان الأمر كما قال. مات الشيخ أبو العبّاس فى جمادى الآخرة سنة إحدى و ستّين و ثمانمائة.

۹۱- أحمد بن إسماعيل بن أبى بكر بن عمر بن خالد الشيخ شهاب الدين الأبشيطىّ العلّامة الصالح الزاهد الولىّ الكبير، و الإمام الشهير. رجل يستسقى به الغيث. و يهابه لفرط صلاحه الليث، معرض عن الدنيا، حالّ بالمرتبة العليا، بعيد عن الخلق، قريب من الحقّ، مواظب على الصلاة و الصيام، قائم بخدمة مولاه و الناس نيام، هذا مع تفنّن و علوم كثيرة، و تصانيف ما بين منظومة و منثورة، ازدان به هذا الزمان، و انتفع بإقرائه الإنس و الجان، اتّخذ طيبة المشرّفة دارا، و فاز بجوار سيّد المرسلين و ما أكرمه جارا، إلى أن جاءه الرسول من ربّه بالبشرى، و الارتحال من دار الدنيا إلى الدار الأخرى. كان مولده بأبشيط، و أخذ عن البرهان البيجورىّ و الشمس البرماوىّ و جماعة، و نبغ فى العلوم. و ألّف تصانيف نظما و نثرا، ثمّ تزهّد و انقطع، و سافر إلى المدينة فأقام بها إلى أن مات سنة ثمان و ثمانين و ثمانمائة. اجتمعت به لمّا حججت، فسألته أن يحدثنى بشىء لأكتبه عنه فى المعجم، فامتنع، فقلت له: لم يا سيدى، و هذا خير؟

فقال: قال الشافعىّ رضى اللّه عنه:

فإن تجتنبها كنت سلما لأهلهاو إن تجتذبها نازعتك كلابها

فعلمت أنّه يشير إلى أن ذلك من أمور الدنيا.

ذكر من كان بمصر من أئمة النحو و اللغة

۱- عبد الملك بن هشام بن أيّوب المعافرىّ أبو محمد. صاحب السيرة، هذّب سيرة ابن إسحاق فصارت تنسب إليه. كان إماما فى اللغة و النحو و العربية، أديبا أخباريا نسّابة. قال الذهبىّ: سكن مصر و مات فى سنة ثمانى عشرة و مائتين.

و قال ابن كثير: كان مقيما بديار مصر و قد اجتمع به الشافعىّ حين وردها، و تناشدا من أشعار العرب أشياء كثيرة. مات لثلاث خلت من ربيع الآخر.

۲- محمد بن عبد اللّه بن محمد بن مسلم أبو بكر. قال ابن يونس فى تاريخ مصر: كان نحويّا يعلّم أولاد الملوك النحو، حدّث عن القاضى بكار، و أمّ بالجامع العتيق بمصر. مات يوم السبت لأربع و عشرين خلت من ربيع الآخر سنة ثلاثين و ثلاثمائة.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۴۳۶

۳- ابن ولّاد أبو العباس أحمد بن محمد بن الوليد التميمىّ المصرىّ. مصنّف كتاب الانتصار لسيبويه على المبرّد. قال فى العبر: كان شيخ الديار المصرية فى العربية مع أبى جعفر النحّاس. توفّى سنة اثنتين و ثلاثين و ثلاثمائة.

۴- أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادىّ المصرىّ النحوىّ. قال فى العبر: كان ينظر بابن الأنبارىّ و نفطويه ببلده، له تصانيف كثيرة. مات فى ذى الحجّة سنة ثمان و ثلاثين و ثلاثمائة، و قد أخذ عن الأخفش الصغير و غيره، و روى الحديث عن النّسائىّ. و من تصانيفه: تفسير القرآن، و الناسخ و المنسوخ، و شرح أبيات سيبويه، و شرح المعلّقات. غرق تحت المقياس و لم يدر أين ذهب.

۵- ابن الجبّىّ محمد بن موسى بن عبد العزيز الكندىّ المصرىّ. أخذ أئمة النحو كان يلقّب سيبويه، لاعتنائه بذلك. مات فى صفر سنة ثمان و خمسين و ثلاثمائة، و مولده سنة أربعين و ثمانين و مائتين.

۶- أبو بكر الأدفوى. مرّ فى القرّاء.

۷- الحوفىّ صاحب إعراب القرآن الإمام أبو الحسن علىّ بن إبراهيم بن سعيد. كان إماما فى العربيّة و النحو و الأدب، و له تصانيف

كثيرة، و هو من قريـة يقال لها شبرا من أعمال الشـرقيّة. قال فى العبر: أخذ عن الأدفوىّ، و انتفع به أهل مصـر. مات مسـتهلّ ذى الحجّة سنة ثلاثين و أربعمائة.

۸- ابن بابشاذ أبو الحسن طاهر بن أحمـد المصـرىّ الجوهرىّ صاحب التصانيف، دخل بغـداد تاجرا فى الجوهر، و أخذ عن علمائها، و خـدم بمصـر فى ديوان الإنشاء ثمّ تزهّد بأخرة. و من تصانيفه: المقدّمة و شـرحها، و شـرح الجمل، و تعليقة فى النحو نحو خمسة عشـر مجلّدا. سقط من سطح جامع عمرو بن العاص، فمات فى ساعته فى رجب سنة تسع و ستّين و أربعمائة.

۹- محمـد بن إسـحاق بن أسـباط الكندىّ أبو النضـر المصـرىّ. أخذ عن الزّجاج، و كان شـيخ أهل الأدب. صـنّف فى النحو المغنى و غيره.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۳۷

۱۰- محمد بن بركات بن هلال أبو عبد اللّه السـعيدىّ المصرىّ النحوىّ اللغوىّ. سمع من كريمة و القضاعىّ و عبد العزيز بن الصّراب. مات فى ربيع الآخر سنة عشرين و خمسمائة، و له مائة سنة و ثلاثة أشهر.

۱۱- ابن القطّاع أبو القاسم علىّ بن جعفر بن علىّ السـعدى الصّـقلّىّ، ثمّ المصـرىّ اللغوىّ، مصنّف كتاب الأفعال. قدم مصر فى حدود سنة خمسمائة. فأكرمه أهلها، و أقام بها إلى أن مات سنة خمس عشرة و خمسمائة، و قد جاوز الثمانين .

۱۲- عبد اللّه بن برّىّ بن عبد الجبّار أبو محمد المصرىّ النحوىّ اللغوىّ.

صاحب التصانيف. قال فى العبر: روى عن أبى صادق المـدينىّ و طائفـة، و انتهى إليه علم العربيـة و اللّغـة فى زمانه، و قصـد من البلاد لتحقّقه. و قال غيره: له حواش على صـحاح الجوهرىّ. ولد بمصـر فى رجب سـنة تسع و تسعين و أربعمائة، و مات بها يوم الأحد تاسع عشر شوال سنة اثنتين و ثمانين و خمسمائة.

۱۳- يحيى بن معـط بن عبـد النور زين الـدين الزواوىّ. كان إماما مبرّزا فى العربيّـة، شاعرا محسـنا، قرأ على الجزولىّ، و تصـدّر بجامع عمرو لإقراء النّحو، و حمل النّاس عنه. و صـنّف الألفيّـة المشـهورة و الفصول. ولد سـنة أربع و ستّين و خمسـمائة، و مات سـنة ثمان و عشرين و ستّمائة.

۱۴- أمين الـدين المحلّى محمد بن علىّ بن موسـى الأنصارىّ. أحد أئمّة النحو بالقاهرة. تصدّر لإقرائه، و انتفع به الناس. و له تصانيف حسنة، مات فى ذى القعدة سنة ثلاث و سبعين و ستّمائة.

۱۵- حافى رأسه محمد بن عبد اللّه بن عبد العزيز بن محيى الدّين الإسكندرانىّ.

ولد بتاهرت بظاهر تلمسان سـنة ستّ و سـتّمائة، و كان من أئمّة العربيّة تصدر لإقرائها أزمانا. قال أبو حيّان: كان شيخ أهل الإسكندرية فى النّحو. تخرّج به أهلها. مات فى رمضان سنة ثلاث و تسعين و ستمائة.

۱۶- الرضـىّ الشاطبىّ محمد بن على بن يونس. ولد ببلنسـية سنة إحدى و ستّمائة، و كان إمام عصره فى اللغة. تصدّر بالقاهرة، و أخذ عنه الناس، روى عنه أبو

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۳۸

حيّان و غيره. مات سنة أربع و ثمانين و ستمائة .

۱۷- صاحب لسان العرب ، محمـد بن مكرّم الإفريقىّ المصـرىّ جمال الدين أبو الفضل. ولد سـنة ثلاثين و سـتّمائة و مات فى شـعبان سنة إحدى عشرة و سبعمائة.

۱۸- أبو حيّان الإمام أثير الدين محمّد بن يوسف بن علىّ بن يوسف بن حيّان الأندلسـىّ الغرناطىّ. نحوىّ عصـره و لغويّه و مقرئه. ولد فى شوّال سـنة أربع و خمسـين و سـتّمائة، و أخـذ عن أبى الحسن الأبّـذىّ و ابن الصائغ و خلق. و أخذ بمصـر عن البهاء بن النحّاس، و تقدّم فى النحو فى حياة شـيوخه، و اشـتهر اسـمه، و طار صـيته، و ألّف الكتب المشـهورة، و أخذ عنه أكابر عصـره و تقدّموا فى حياته.

مات فی صفر سنة خمس و أربعین و سبعمائة.

و رثاه الصلاح الصفدیّ بقوله:

مات أثیر الدّین شیخ الوریفاستعر البارق و استعبرا

و رقّ من حسن نسیم الصّباو اعتلّ فی الأسحار لمّا سری

و صادحات الأیک فی نوحهارثته فی السجع علی حرف را

یا عین جودی بالدموع التیيروی بها ما ضمّه من ثری

و أجری دما فالخطب فی شأنهقد اقتضی أکثر ممّا جری

مات إمام کان فی علمهیری إماما و الوری من ورا

أمسی منادی للبلا مفردافضمّه القبر علی ما تری

یا أسفا کان هدی ظاهرافعاد فی تربته مضمرا

و کان جمع الفضل فی عصرهصحّ فلمّا أن قضی کسّرا

و عرّف الفضل به برهۀو الآن لما أن مضی نکّرا

و کان ممنوعا من الصرف لایطرق من وافاه خطب عرا

لا أفعل التفضیل ما بینهو بین من أعرفه فی الوری

لا بدل عن نعته بالتّقیففعله کان له مصدرا

لم یدّغم فی اللّحد إلّا و قدفکّ من الصبر وثیق العرا

بکی له زید و عمرو فمنأمثلة النّحو و ممّن قرا

ما عقل التسهیل من بعدهفکم له من عمره یسّرا

و جسّر الناس علی خوضهإذ کان فی النحو قد استبحرا

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۳۹ من بعده قد حال تمییزهو حظّه قد رجع القهقری

شارک من ساواه فی فنّهو کم له فنّ به استأثرا

دأب بنی الآداب أن یغسلوابدمعهم فیه بقایا الکری

و النحو قد سار الرّدی نحوهو الصّرف للتصریف قد غیّرا

و اللّغة الفصحی غدت بعدهیلغی الذی فی ضبطها قرّرا

تفسیره البحر المحیط الّذییهدی إلی وارده الجوهرا

فوائد من فضله جمّةعلیه فیها نعقد الخنصرا

و کان ثبتا نقله حجّةمثل ضیاء الصّبح إذ أسفرا

و رحلة فی سنّة المصطفیأصدق من تسمع إن خبّرا

له الأسانید التی قد علتفاستسفلت عنها سوامی الذّرا

ساوی بها الأحفاد أجدادهمفاعجب لماض فاته من طرا

و شاعرا فی نظمه مغلقاکم حرّر اللفظ و کم حبّرا

له معان کلّما خطّهاتستر ما یرقم فی تسترا

أفدیه من ماض لأمر الردیمستقبلا من ربه بالقری

ما بات فی أبیض أکفانهإلا و أضحی سندسا أخضرا

تصافح الحور له راحةکم تعبت فی کلّ ما سطّرا

إن مات فالذّکر له خالدیحیا به من قبل أن ینشرا

جاد ثری واراه غیث إذامسّاه بالسقیا له بکّرا

و خصّه من ربّه رحمةتورده فی حشره الکوثرا

۱۹- ابن أمّ القاسم المرادیّ بدر الدین حسن بن قاسم بن عبد اللّه بن علیّ.

ولد بمصر. و أخذ عن أبی حیّان و غیره، و أتقن العربیّة و القراءات، و ألّف کتبا، منها شرح التسهیل، و شرح الألفیة، و شرح المفصّل و الجنی الدانی فی حروف المعانی.

مات یوم عید الفطر سنة تسع و أربعین و سبعمائة .

۲۰- ابن هشام جمال الدین عبد اللّه بن یوسف بن عبد اللّه المصریّ الإمام المشهور. ولد فی ذی القعدة سنة ثمان و سبعمائة، و لازم الشّهاب عبد اللطیف بن المرحّل، و تلا علی ابن السرّاج، و أتقن العربیة، ففاق الأقران بل الشیوخ، و تخرّج به خلق، و انفرد بالفوائد الغریبة و المباحث الدقیقة و الاستدراکات العجیبة و التحقیق البالغ

و الاطلاع المفرط و الاقتدار علی التصرّف فی الکلام. قال ابن خلدون: ما زلنا و نحن بالمغرب نسمع أنّه ظهر بمصر عالم بالعربیة یقال له ابن هشام أنحی من سیبویه. مات فی ذی القعدة سنة إحدی و ستّین و سبعمائة.

۲۱- السمین صاحب. الإعراب المشهور شهاب الدین أحمد بن یوسف بن عبد الدائم الحلبیّ نزیل القاهرة. قال الحافظ ابن حجر: تعانی النّحو، فمهر فیه، و لازم أبا حیّان. إلی أن فاق أقرانه، و أخذ القراءات عن التقیّ الصائغ، و مهر فیها، و ولیّ تدریس القراءات بجامع ابن طولون، و الإعادة بالشافعیّ و ناب فی الحکم، و له تفسیر القرآن و الإعراب و شرح التسهیل و شرح الشاطبیّة. مات فی جمادی الأولی سنة ستّ و خمسین و سبعمائة .

۲۲- ابن عقیل قاضی القضاة بهاء الدین عبد اللّه بن عبد الرحمن بن عقیل العقیلیّ من ولد عقیل بن أبی طالب. ولد فی المحرم سنة ثمان و تسعین و ستمائة، و أخذ القراءات عن التقیّ الصائغ، و الفقه عن الزّین الکتنانیّ ، و لازم العلاء القونویّ و الجلال القزوینیّ و أبا حیّان، و تفنّن فی العلوم، و ولی قضاء الدیار المصریة و تدریس الخشابیة، و التفسیر بالجامع الطولونیّ. و له تصانیف، منها المساعد فی شرح التسهیل، و شرح الألفیة. مات فی ربیع الأول سنة تسع و ستین و سبعمائة .

۲۳- ناظر الجیش محبّ الدین محمد بن یوسف بن أحمد بن عبد الدائم الحلبیّ. ولد سنة سبع و تسعین و ستّمائة، و اشتغل ببلاده، ثمّ قدم القاهرة، و لازم أبا حیّان و الجلال القزوینیّ و التاج التّبریزیّ، و تلا علی التقیّ الصائغ، و مهر فی العربیة و غیرها، و له شرح التسهیل و شرح التلخیص، و ولی نظر الجیش، و درّس التفسیر بالمنصوریة. مات فی ذی الحجة سنة ثمان و سبعین و سبعمائة.

۲۴- برهان الدین إبراهیم بن عبد اللّه الحکریّ المصریّ. کان عارفا بالعربیّة، شرح الألفیة. مات فی جمادی الآخرة سنة ثمان و سبعمائة.

۲۵- محبّ الدین محمد بن الشیخ جمال الدین بن هشام. ولد سنة خمسین و سبعمائة و کان أوحد عصره فی تحقیق النحو. مات سنة تسع و تسعین و سبعمائة.

۲۶- الغماریّ شمس الدین محمد بن محمد بن علیّ بن عبد الرزّاق. أخذ عن

أبی حیّان، و غیره، و سمع من الیافعیّ و الشیخ خلیل المالکیّ، و حدّث. و کان عارفا باللغة و العربیة بارعا فیها، کثیر المحفوظ للشعر،

قال بعضهم: تفرّد على رأس الثمانمائة خمسة بخمسة: البلقينيّ بالفقه، و العراقيّ بالحديث، و الغماريّ بالنحو، و صاحب القاموس باللغة، و ابن الملقّن بكثرة التصانيف.

ولد الغماريّ فی ذی القعدة سنة عشرين و سبعمائة، و مات فی شعبان سنة اثنتين و ثمانمائة .

۲۷- شمس الدين الأسيوطيّ محمد بن الحسن. كان عالما بالعربيّة ماهرا فيها انتفع به خلق. مات سنة سبع و ثمانمائة.

۲۸- شمس الدين محمد بن إبراهيم- و قيل: ابن أبی بكر- الشّطّنوفيّ . ولد بعد الخمسين و سبعمائة، و مهر فی العربية، و تصدّر بالجامع الطولونيّ فی القراءات و بالشيخونية فی الحديث، و انتفع به خلق، منهم شيخنا الشّمنّی. مات فی ربيع الأوّل سنة اثنتين و ثلاثين و ثمانمائة .

۲۹- ابن الدّمامينی بدر الدين محمد بن أبی بكر بن عمر الإسكندرانيّ. ولد بالإسكندرية سنة ثلاث و ستّين و سبعمائة، و تعانى الآداب ففاق فی النحو و النظم و النثر، و شارك فی الفقه و غيره، و مهر و اشتهر ذكره، و تصدّر بالجامع الأزهر لإقراء النحو، و صنّف حاشية على مغنی اللبيب و شرح التسهيل و شرح البخاريّ و شرح الخزرجية. مات بالهند فی شعبان سنة سبع و عشرين و ثمانمائة .

ذكر من كان بمصر من أرباب المعقولات و علوم الأوائل و الحكماء و الأطباء و المنجمين

۱- بليطان . طبيب نصرانيّ. كان بديار مصر. ذكره ابن فضل اللّه فی المسالك. مات سنة ستّ و ثمانين و مائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۴۲

۲- سعيد بن ترفيل . طبيب نصرانيّ، كان فی خدمة أحمد بن طولون. ذكره ابن فضل اللّه فی حكماء مصر.

۳- سعيد بن البطريق . نصرانيّ مشهور بالطبّ. له مؤلّفات. مات فی رجب سنة ثمان و عشرين و ثلاثمائة.

۴- محمد بن أحمد بن سعيد التميميّ أبو عبد اللّه. من أطبّاء مصر. له مؤلفات، كان فی خدمة العزيز بن المعزّ. مات فی حدود سنة سبعين و ثلاثمائة.

۵- أبو الحسن علیّ بن الإمام الحافظ أبی سعيد بن يونس صاحب تاريخ مصر. قال ابن كثير: كان منجّما شديد الاعتناء بعلم الرّصد، له زيج مفيد يرجع إليه أصحاب أهل الفنّ، كما يرجع المحدثون إلى أقوال أبيه و تواريخه، و يسمّی الزيج الحاكميّ. و له شعر جيّد، و كان مغفّلا. مات سنة تسع و تسعين و ثلثمائة.

۶- أبو الصلت أميّة بن عبد العزيز بن أبی الصّلت الدانيّ الأندلسيّ. قال فی العبر: كان ماهرا فی علوم الأوائل، رأسا فی معرفة الهيئة و النجوم و الموسيقی و الطبيعی و الرياضيّ و الإلهيّ، كثير التصانيف بديع النظم. مات سنة ثمان و عشرين و خمسمائة عن ثمان و ستّين سنة.

۷- الرّشيد بن الزّبير الأسوانيّ أبو الحسن أحمد بن أبی الحسن علیّ بن إبراهيم.

قال العماد فی الخريدة: كان ذا علم غزير، و فضل كثير، عالما بالهندسة و المنطق و علوم الأوائل، شاعرا، تولّی نظر الإسكندريّة ثم قتل بها فی المحرّم سنة ثلاث و ستّين و خمسمائة. حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة ؛ ج۱ ؛ ص۴۴۲

المبشّر بن فاتك الأموی أبو الوفا. قال ابن أبی أصيبعة: من أعيان أمراء مصر و أفاضل علمائها إمام فی الهيئة و العلوم الرياضيّة و الطّبّ، و له تصانيف جليلة فی المنطق و غيره.

۹- شرف الدين عبد اللّه بن علیّ الشيخ السّديد، شيخ الطبّ بالديار المصرية.

قال فی العبر: أخذ الصنّاعة عن الموفّق بن العين زربیّ، و خدم العاضد، صاحب مصر،

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۴۳

و عمّر دهرا. أخذ عنه نفيس الدين بن الزبير. مات سنة اثنتين و تسعين و خمسمائة.

۱۰- الحسين بن منصور أبو علىّ الحسام الطبيب الإسنائىّ. قال فى الطالع السعيد: اشتهر بصناعة الطبّ، فكان بها قيّما، و كان أديبا فاضلا. توفّى فى أوائل المائة السادسة.

۱۱- الفخر. الفارسىّ أبو عبد اللّه محمد بن إبراهيم بن أحمد الشيرازىّ نزيل مصر. كان فاضلا بارعا، له مصنّفات فى الأصول و الكلام. مات بمصر فى ذى القعدة سنة اثنتين و عشرين و ستّمائة، و قد نيّف على التسعين.

۱۲- القطب المصرىّ قطب الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علىّ بن محمد السّلمىّ. أصله من المغرب، ثمّ انتقل إلى مصر، و أقام بها مدّة، ثمّ سافر إلى العجم، و أخذ عن الإمام فخر الدين، و كان من أشهر تلامذته، عالما بالمعقولات، و ألّف كتبا كثيرة فى الطبّ و الحكمة، منها شرح كلّيات القانون، قتله التتار بنيسابور لمّا استولوا عليها و قتلوا أهلها سنة ثمانى عشرة و ستمائة .

۱۳- الموفّق عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادىّ موفق الدين أبو محمد كان عالما بأصول الدين و النّحو و اللّغة و الطب و الفلسفة و التاريخ، فى غاية الذكاء شافعيّا محدّثا. ولد ببغداد سنة سبع و خمسين و خمسمائة، و تفقّه، على ابن فضلان، و صنّف التصانيف الكثيرة فى أنواع من العلوم، منها شرح المقامات و الجامع الكبير فى المنطق و الطبيعىّ و الإلهى عشرة مجلّدات. أقام بمصر، و مات ببغداد فى ثانى عشر المحرّم سنة تسع و عشرين و ستمائة.

۱۴- السيف الآمدىّ أبو الحسن علىّ بن علىّ. صاحب التصانيف النافعة منها، الأحكام و غيره. ولد سنة إحدى و خمسين و خمسمائة و اشتغل بمذهب الحنابلة، ثم انتقل إلى مذهب الشافعىّ، و مهر فى المعقولات حتّى لم يكن فى زمانه أعلم منه بها.

ثم سكن مصر، و تصدّر مدّة للإقراء بالجامع الظافرىّ، و انتفع به النّاس ثمّ حسده جماعة و نسبوه إلى فساد العقيدة، فخرج إلى الشام فمات بها فى ثالث صفر سنة إحدى و ثلاثين و ستّمائة.

۱۵- أفضل الدين الخونجىّ محمد بن ناماوار بن عبد الملك الفيلسوف. ولد

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۴۴۴

سنة تسعين و خمسمائة، و برع فى علوم الأوائل حتّى صار أوحد وقته فيها، و صنّف الموجز فى المنطق و الجمل، و كشف الأسرار فى الطبيعىّ، و شرح مقالة ابن سينا و غير ذلك. ولى قضاء الديار المصرية بعد عزل الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام.

قلت: فاعتبروا يا أولى الأبصار، يعزل شيخ الإسلام و إمام الأئمة شرقا و غربا و يولّى عوضه رجل فلسفىّ! ما زال الدهر يأتى بالعجائب! مات الخونجىّ فى رمضان سنة اثنتين و أربعين و ستمائة.

۱۶- ابن البيطار الطبيب البارع ضياء الدين عبد اللّه بن أحمد المالقىّ. أوحد زمانه صاحب كتاب الأدوية المفردة. انتهت إليه معرفة تحقيق النبات و صفاته و أماكنه و منافعه. خدم الملك الكامل، ثمّ ابنه الصالح. مات بدمشق فى شعبان سنة ستّ و أربعين و ستّمائة.

۱۷- قيصر بن أبى القاسم بن عبد الغنىّ بن مسافر. ينعت بالعلم، و يعرف بتعاسيف الأصفونىّ. كان عالما بالرياضيّات و أنواع الحكمة و الموسيقى عارفا بالقراءات فقيها حنفيّا، ولد بأصفون من الصعيد سنة أربع و ستّين و خمسمائة، و توفّى بدمشق فى رجب سنة تسع و أربعين و ستمائة.

۱۸- جعفر بن مطهّر بن نوفل الأدفوىّ، نجم الدين. قال فى الطالع السعيد: كان عالما بعلوم الأوائل من الطبّ و الفلسفة، أديبا شاعرا فاضلا. توفىّ ببلده فى حدود الستّين.

۱۹- ابن النفيس العلّامة علاء الدين علىّ بن أبى الحزم القرشىّ. شيخ الطبّ بالديار المصرية و صاحب التصانيف الموجزة و شرح القانون و غير ذلك، و أحد من انتهت إليه معرفة الطبّ؛ مع الذكاء المفرط و الذهن الحاذق بالمشاركة فى الفقه و الأصول و الحديث و العربيّة و المنطق. مات فى ذى القعدة سنة سبع و ثمانين و ستمائة، و قد قارب الثمانين، و لم يخلف بعده مثله.

۲۰- الأصبهانىّ شارح المحصول شمس الدين محمد بن محمود. كان إماما بارعا فى الأصلين و الجدل و المنطق. صنّف كتابا فى هذه العلوم سمّاه القواعد، و كان عارفا بالنحو و الشعر، مشاركا فيما عداها. ولد بأصبهان سنة ستّ عشرة و ستّمائة،

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۴۵

و اشتغل ببغداد، و قدم القاهرة فولّاه تاج الدین بن بنت الأعزّ قضاء قوص، فانتفع به خلق هناک، و عاد فولی تدریس الشافعیّ و مشهد الحسین. مات بالقاهرة لیلة الثلاثاء و العشرین من رجب سنة ثمان و ثمانین و ستّمائة، و دفن بالقرافة .

۲۱- الخویّ قاضی القضاة شهاب الدین أبو عبد اللّه محمد بن قاضی القضاة شمس الدین، أحمد بن الخلیل بن سعادة الشافعیّ. کان من أعلم أهل زمانه بالفتوی.

له تصانیف منها کتاب فی عشرین فنّا، و نظم علوم الحدیث لابن الصلاح، و کفایة المتحفّظ و روی عن ابن أحمد اللّتّی و ابن المقیّر. ولی قضاء الدیار المصریة و قضاء الشّام، و مات بها فی رمضان سنة ثلاث و تسعین و ستمائة عن سبع و ستّین سنة.

۲۲- التقیّ شبیب بن حمدان بن شعیب الحرّانیّ الطبیب الکحّال الشاعر. له نظم فائق و تقدّم فی الطبّ، روی عن أبی الحسن بن روزبة و غیره. و مات سنة خمس و تسعین و ستّمائة بمصر. ذکره فی العبر.

۲۳- شمس الدین محمد بن أبی بکر بن محمد الفارسی المعروف بالأیکیّ. کان إماما فی الأصلین و المنطق و علوم الأوائل، شرح مختصر ابن الحاجب، و درّس بالغزالیّة بدمشق، ثمّ قدم مصر فولی مشیخة الشیوخ بها، فتکلّم فیه الصوفیّة، فرجع إلی دمشق، فمات بالمزّة یوم الجمعة ثالث رمضان سنة سبع و عشرین و ستمائة.

۲۴- عزّ الدین إسماعیل بن هبة اللّه بن علیّ الحمیری الإسنائیّ. کان إماما فی العلوم العقلیّة. أخذ عن الشمس الأصفهانی و البهاء بن النحاس و انتصب للإقراء، و تخرّج به خلق، و ألّف. مات بمصر سنة خمس و خمسین و سبعمائة.

۲۵- أخوه المفضّل. قال الإسنوی فی طبقاته: کان ذکیا إلی الغایة، فاضلا یضرب به المثل، و لکن غلب علیه علم الطبّ و الحکمة و المنطق، و مهر فیها إلی أن فاق أبناء جنسه. مات و هو شاب.

و قال فی الطالع السعید: تمیّز فی الفقه و الأصول و النحو و غلب علیه الطبّ و الحکمة و المنطق و الفلسفة، و ألّف فی الترياق مجلّدا. مات بمصر فی حدود تسعین و ستمائة.

۲۶- العلم بن أبی خلیفة رئیس الطبّ بمصر. مات سنة ثمان و سبعمائة.

۲۷- علاء الدین الباجیّ علیّ بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب، کان إماما

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۴۶

فی الأصلین و المنطق فاضلا فیما سواهما، و کان أنظر أهل زمانه لا یکاد ینقطع فی المباحث. ولد سنة إحدی و ثلاثین و ستمائة، و تفقّه علی الشیخ عزّ الدین بن عبد السلام، و استوطن القاهرة، و صنّف مختصرات فی علوم متعددة، و أخذ عنه التقیّ السبکیّ. مات یوم الأربعاء سادس ذی القعدة سنة أربع عشرة و سبعمائة.

۲۸- شمس الدین أبو عبد اللّه محمد بن یوسف بن عبد اللّه الجزری ثمّ المصریّ. قال الإسنویّ: کان فقیها عارفا بالأصلین و النّحو و البیان و المنطق و الطبّ.

ولد سنة سبع و ثلاثین و ستمائة، و اشتغل بقوص علی قاضیها الشمس الأصفهانی، ثمّ استوطن مصر، و درّس بالشریفیّة و شرح منهاج البیضاویّ و أسئلة الأرمودیّ علی التحصیل. مات بمصر فی ذی القعدة سنة إحدی عشرة و سبعمائة.

۲۹- الصفیّ الهندی محمد بن عبد الرحمن بن محمد. کان فقیها أصولیّا متکلّما دیّنا متعبدا. ولد بالهند فی ربیع الآخر سنة أربع و أربعین و ستمائة، و دخل الدیار المصریة فأقام بها أربع سنین، و انتقل إلی دمشق یدرّس و یفتی و یصنّف. مات بها فی صفر سنة خمسین و سبعمائة.

۳۰- تاج الدین محمد بن علیّ البارنباریّ الشافعیّ الملقّب طویر اللّیل. کان فاضلا فی الفقه و الأصلین و العربیّة و المنطق. ولد سنة أربع و خمسین و ستّمائة، و اشتغل علی الأصفهانیّ شارح المحصول، و مات بالقاهرة سنة سبع عشرة و سبعمائة .

۳۱- فخر الدّین أحمد بن سلامة بن أحمد الإسکندرانیّ المالکیّ العلّامة الأصولیّ البارع. ولی قضاء دمشق، و مات بها فی ذی الحجّة سنة ثمان عشرة و سبعمائة عن سبع و خمسین سنة.

۳۲- التاج التّبریزیّ أبو الحسن علیّ بن عبد اللّه نزیل القاهرة. کان عالما فی علوم کثیرة، تخرّج به فضلاؤها، له تصانیف. مات بالقاهرة سنة ستّ و أربعین و سبعمائة.

و قال الصلاح الصفدی یرثیه:

یقول تاج الدین لمّا قضی:من ذا رأی مثلی بتبریز

و أهل مصر بات إجماعهم یقی علی الکلّ بتبریزی

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۴۷

۳۳- الأصفهانیّ شمس الدین أبو القناء محمود بن عبد الرحمن بن أحمد. کان إماما بارعا فی العقلیات، عارفا بالأصلین، فقیها. ولد سنة أربع و سبعین و ستمائة، و اشتغل بتبریز، و قدم الدیار المصریة فولی تدریس المعزّیة بمصر و مشیخة خانقاه قوصون بالقرافة. و صنّف الکتب المحرّرة النافعة، و انتشرت تلامیذه. مات شهیدا بالطاعون فی أواخر سنة تسع و أربعین و سبعمائة.

۳۴- محمد بن إبراهیم المتطبّب صلاح الدین المعروف بابن الدهّان. قال ابن فضل اللّه: قرأ الطبّ علی ابن نفیس و غیره، و المعقولات علی الشمس محمود الأصفهانیّ، و کان طبیبا حکیما، فاضلا متفلسفا.

۳۵- أرشد الدین محمود بن قطلوشاه السرائی. کان غایة فی العلوم العقلیّة و الأصول و الطبّ أقدمه صرغتمش بعد وفاة القوام الإتقانیّ، فولّاه مدرسته، فلم یزل بها إلی أن مات فی رجب سنة خمس و سبعین و سبعمائة و قد جاوز الثمانین .

۳۶- شمس الدین محمد بن عبد اللّه بن عبد الرحمن المصریّ. مدرّس الأطباء بجامع ابن طولون. کان فاضلا له نظم. مات فی شوّال سنة ستّ و سبعین و سبعمائة.

۳۷- محمد بن محمد التّبریزیّ . قال ابن حجر: قدم من بلاد العجم، و أخذ عن القطب التحتانیّ و برع فی المعقول، و شغل الناس کثیرا بالقاهرة و انتفعوا به. مات فی ذی الحجّة سنة ستّ و سبعین و سبعمائة.

۳۸- صلاح الدین یوسف بن عبد اللّه المعروف بابن المغربیّ الطبیب، رئیس الأطباء بالقاهرة و صاحب الجامع الذی علی الخلیج الحاکمیّ. مات فی جمادی الآخرة سنة ستّ و سبعین و سبعمائة.

۳۹- العلاء علیّ بن أحمد بن محمد بن أحمد السرای علاء الدین. کان من أکابر العلماء بالمعقولات و إلیه المنتهی فی علم المعانی و البیان، استدعی به برقوق، فقرّره شیخا فی مدرسته. مات فی جمادی الأولی سنة تسعین و سبعمائة و قد جاوز السبعین.

۴۰- ضیاء الدین عبد اللّه بن سعد القرمیّ الشافعیّ. کان إماما فی المعقولات.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۴۸

أخذ عنه العزّ بن جماعة، و درّس بالشیخونیّة بعد البهاء بن السبکی. مات فی ذی الحجّة سنة ثمانین و سبعمائة، و کانت لحیته طویلة جدّا تصل إلی رجلیه و إذا نام یجعلها فی کیس، و إذا رکب انفرقت فرقتین، فکلّ من رآه یقول: سبحان الخالق: فکان یقول: أشهد أنّ العوامّ مؤمنون بالاجتهاد لا بالتقلید، لأنّهم یستدلّون بالصنعة علی الصانع.

۴۱- مولانا زاده شهاب الدین أحمد بن أبی یزید بن محمد السرای الحنفیّ.

کان إماما فی فنون العلم لا سیّما دقائق المعانی و العربیّة. ولی تدریس الحدیث بالصّرغتمشیّة و البرقوقیّة و انتفع به الخلق. مات فی المحرّم سنة إحدی و تسعین و سبعمائة و مولده سنة أربع و خمسین.

۴۲- ابن صغیر الرئیس علاء الدین علیّ بن عبد الواحد بن محمد الطبیب.

کان أعجوبة الدهر فی الفنّ. ولی ریاسة الطبّ دهرا طویلا، و له فیه المعرفة التّامّة، بحیث کان یصف الدّواء الواحد للمریض الواحد

بما یساوی ألفا و بما یساوی درهما، و کان الشیخ عزّ الدین بن جماعة یثنی علی فضائله. مات فی ذی الحجّة سنة ستّ و تسعین و سبعمائة.

۴۳- قنبر بن عبد اللّه السبزوانیّ . اشتغل فی بلاده، و قدم الدیار المصریة قبل التسعین، فأقام بالجامع الأزهر یشغل الطلبة، و کان ماهرا فی العلوم العقلیّة حسن التقریر، معرضا عن الدنیا، قانعا بالیسیر، لا یتردّد إلی أحد، مذکور بالتشیّع. یمسح علی رجلیه من غیر خفّ، و کان یحبّ السماع و الرقص. مات فی شعبان سنة إحدی و ثمانمائة.

۴۴- الشیخ زاده الخرزبانیّ. کان فاضلا فی المعقول و الهیئة و الحکمة و المنطق و العربیّة و له تصانیف و اقتدار علی حلّ المشکلات، طلبه برقوق من صاحب بغداد، فولّاه مشیخة الشیخونیة عوضا عن الکلستانیّ. مات فی ذی الحجّة سنة ثمان و ثمانمائة، و دفن بالشیخونیّة مع شیخها أکمل الدین.

۴۵- السّیرامیّ سیف الدین محمد بن عیسی. کان عالما فاضلا، نشأ بتبریز، ثمّ قدم حلب، ثمّ استدعاه الظاهر برقوق من حلب، فقرّره شیخا بمدرسته عوضا عن علاء

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۴۹

الدین السّیرامیّ سنة تسعین، ثمّ ولّاه مشیخة الشیخونیّة، بعد وفاة عزّ الدین الرازیّ مضافة إلی الظاهریّة، و أذن له أن یستنیب عنه فی الظّاهریّة ولده، فباشر مدّة ثمّ ترک الشیخونیّة، و اقتصر علی الظاهریّة، و کان الشیخ عز الدین بن جماعة یثنی علی فضائله.

مات فی ربیع الأول سنة إحدی و ثمانمائة.

۴۶- ابن جماعة الشیخ عزّ الدین محمد بن شرف الدین أبی بکر بن قاضی القضاة عز الدین عبد العزیز بن قاضی القضاة بدر الدین محمد. ولد سنة تسع و خمسین و سبعمائة، و اشتغل صغیرا، و مال إلی فنون المعقول فأتقنها إتقانا بالغا إلی أن صار هو المشار إلیه فی الدیار المصریة و المفاخر به علماء العجم، تخضع له الرقاب و تسلّم إلیه المقالید. و له تصانیف عدیدة تقرب من ألف مصنّف. مات بالطاعون فی جمادی الآخرة سنة تسع عشرة و ثمانمائة.

۴۷- الشیخ همام الدین همام بن أحمد الخوارزمیّ. ولد فی حدود الأربعین و سبعمائة و قدم القاهرة شیخا فدرّس بها، و کان یقرّر الکشاف و العربیّة، ولی مشیخة الجمالیة و مات سنة تسع عشرة و ثمانمائة.

۴۸- الهروی قاضی القضاة شمس الدین بن عطاء اللّه بن محمد بن أحمد بن محمود. ولد بهراة سنة سبع و ستین و سبعمائة، و اشتغل فی بلاده بالعلوم وفاق فی العقلیّات، ثمّ قدم القاهرة فولی قضاء الشافعیّة و کتابة السرّ. مات فی ذی القعدة سنة تسع و عشرین و ثمانمائة.

۴۹- علاء الدین الرّومیّ علیّ بن موسی بن إبراهیم. تفنّن فی العلوم ببلاده و دخل بلاد العجم و لقی الکبار، ثمّ قدم القاهرة سنة سبع و عشرین، فولی مشیخة الأشرفیّة. مات فی شعبان سنة إحدی و أربعین و ثمانمائة.

۵۰- الشیخ علاء الدین البخاریّ علیّ بن محمد بن محمد الحنفیّ. علامة الوقت، ولد سنة تسع و سبعین و سبعمائة، و أخذ عن أبیه و عمه و الشیخ سعد الدین التفتازانیّ و رحل إلی الأقطار، و أخذ عن علماء عصره حتی برع فی المعقول و صار إمام عصره. قدم القاهرة، و تصدّر للإقراء بها، و أخذ عنه غالب أهله، و کان مع ما اشتمل علیه من العلم غایة فی الورع و الزّهد و التحرّی و عدم التردّد إلی بنی الدنیا. مات فی

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۵۰

رمضان سنة إحدی و أربعین و ثمانمائة.

۵۱- الشیخ باکیر زین الدین أبو بکر بن إسحاق بن خالد الکختاویّ. ولد فی حدود سنة سبعین و سبعمائة، و کان إماما بارعا فی العلوم و تفرّد بالمعانی و البیان و ولی مشیخة الشیخونیّة. مات فی جمادی الأولی سنة سبع و أربعین و ثمانمائة.

۵۲، ۵۳- البساطىّ و ابن الهمام. مرّا.

۵۴- الشروانىّ شمس الدين محمد علّامة الوقت فى المعقولات و التحقيق. مات سنة سبع و أربعين و ثمانمائة.

۵۵- الكافيجىّ شيخنا العلّامة محيى الدين محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الإمام المحقّق علّامة الوقت أستاذ الدنيا فى المعقولات. ولد قبل ثمانمائة تقريبا، و أخذ عن البرهان حيدرة، و الشمس ابن العنزىّ و جماعة، و تقدّم فى فنون المعقول حتّى صار إمام الدنيا فيها، و له تصانيف كثيرة.

مات ليلة الجمعة رابع جمادى الأولى سنة تسع و سبعين و ثمانمائة.

و قال الشهاب المنصورى يرثيه:

بكت على الشيخ محيى الدين كافيجىعيوننا بدموع من دم المهج

كانت أسارير هذا الدهر من دررتزهى فبدّل ذاك الدرّ بالسّبج

فكم نفى بسماح من مكارمهفقرا و قوّم بالإعطاء من عوج

يا نور علم أراه اليوم منطفئاو كانت الناس تمشى منه فى سرج

فلو رأيت الفتاوى و هى باكيةرأيتها من نجيع الدمع فى لجج

و لو سرت بثناء عنه ريح صبالاستنشقوا من شذاها أطيب الأرج

يا وحشة العلم من فيه إذا اعتركتأبطاله فتوارت فى دجى الرّهج

لم يلحقوا شأو علم من خصائصهأنّى و رتبته فى أرفع الدّرج؟

قد طال ما كان يقرينا و يقرئنافى حالتيه بوجه منه مبتهج

سقيا له، و كساه اللّه نور سنامن سندس بيد الغفران منتسج

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۵۱

ذكر من كان بمصر من الوعّاظ و القصاص

۱- سليم بن عنزة.

۲- عبد الرحمن بن حجيرة.

۳- توبة بن نمر.

۴- عقبة بن مسلم التّجيبىّ.

۵- الحلّاج.

۶- أبو كثير.

۷- موسى بن وردان .

۸- دراج أبو السمح.

۹- خير بن نعيم.

۱۰- أبو الحسن علىّ بن محمد بن أحمد بن الحسن الواعظ البغدادى ثمّ المصرىّ. قال ابن كثير: ارتحل إلى مصر، فأقام بها حتّى عرف بالمصرىّ. روى عنه الدّارقطنىّ و غيره. و كان له مجلس وعظ عظيم.

و قال فى العبر: كان مقدّم زمانه فى الوعظ، و له مصنّفات كثيرة فى الحديث و الوعظ و الزهد. مات فى ذى القعدة سنة ثمان و ثلاثين و ثلثمائة، و له سبع و ثمانون سنة.

۱۱- ابن نجا الواعظ زین الدین أبو الحسن علیّ بن إبراهیم بن نجا الدمشقیّ، الحنبلیّ نزیل مصر. ولد سنة ثمانین و خمسمائة، و تفقّه ببغداد، و عاد إلی دمشق و قدم مصر و صحب السلطان صلاح الدین بن أیّوب و حظی عنده، و کان له مکانة بمصر.

مات فی رمضان سنة تسع و تسعین و خمسمائة.

۱۲- زین الدین أحمد بن محمد الأندلسیّ الأصل المعروف بکثاکث و المصریّ الواعظ الأدیب الشاعر. کان إماما فی الوعظ. ولد سنة خمس و ستمائة. و مات بالقاهرة فی ربیع الآخرة سنة أربع و ثمانین و ستمائة.

۱۳- شهاب الدین أبو العباس أحمد بن میلق الشاذلیّ الواعظ. کان یجلس للوعظ و لوعظه تأثیر فی القلوب. مات سنة تسع و أربعین و سبعمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۵۲

ذکر من کان بمصر من المؤرخین

۱- سعید بن عفیر.

۲- عبد الرّحمن بن عبد اللّه بن الحکم.

۳- محمد بن الربیع الجیزیّ. مرّوا.

۴- عمارة بن وثیمة بن موسی أبو رفاعة الفارسیّ، صاحب التاریخ علی السنین.

قال ابن کثیر: ولد بمصر، و حدّث عن أبی صالح کاتب اللیث و غیره. مات سنة تسع و ثمانین و مائتین.

۵- الطحاویّ- مرّ.

۶- الحسن بن القاسم بن جعفر بن دحیة أبو علیّ الدمشقیّ. من أبناء المحدّثین. قال ابن کثیر: کان أخباریا له فی ذلک مصنّفات، حدّث عن العباس بن الولید السّدوسیّ و غیره. مات بمصر سنة سبع و عشرین و ثلثمائة، و قد أناف علی الثمانین.

۷- أبو سعید بن یونس، صاحب تاریخ مصر، مرّ فی الحفّاظ.

۸- أبو عمر الکندیّ محمد بن یوسف بن یعقوب، صنّف فضائل مصر، و کتاب قضاة مصر. کان فی زمن کافور.

۹- ابن زولاق أبو محمد الحسن بن إبراهیم بن الحسین المصریّ المؤرّخ. صنف کتابا فی فضائل مصر، و ذیلا علی قضاة مصر للکندیّ. مات فی ذی القعدة سنة سبع و ثمانین و ثلثمائة عن إحدی و ثمانین سنة .

۱۰- المسبّحیّ الأمیر المختار عزّ الملک محمد بن عبد اللّه بن أحمد الحرّانیّ صاحب التصانیف. قال فی العبر: کان رافضیّا، صنّف تاریخ مصر، و کتابا فی النّجوم و کتاب التلویح و التصریح من الشعر، و کتاب أنواع الجماع. مات سنة عشرین و أربعمائة عن أربع و خمسین سنة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۵۳

۱۱- القضاعیّ. مرّ فی الشافعیة.

۱۲- القفطیّ الوزیر جمال الدین علیّ بن یوسف بن إبراهیم الشّیبانیّ. وزیر حلب، صاحب تاریخ النحاة، و تاریخ الیمن، و تاریخ مصر، و تاریخ بنی بویه و تاریخ بنی سلجوق. ولد بقفط سنة ثمان و ستّین و خمسمائة، و مات بحلب سنة ستّ و أربعین و ستمائة.

۱۳- محمد بن عبد العزیز الإدریسیّ الشریف الفاویّ. کان من فضلاء المحدّثین و أعیانهم، سمع الکثیر و ألّف: المفید فی أخبار الصعید. ولد فی رمضان سنة ثمان و ستّین و خمسمائة؛ و توفّی بالقاهرة فی صفر سنة تسع و أربعین و ستمائة.

۱۴- ولده جعفر. ولد بالقاهرة فی شوال سنة إحدی عشرة و ستمائة، و سمع من ابن الجمّیزیّ و ابن المقیّر، روی عنه الدّمیاطیّ و أبو حیّان. و کان نسّابة الشرفاء بمصر أدیبا، صنّف تاریخا للقاهرة، و مات سنة ستّ و سبعین و ستمائة.

۱۵- ابن خلّکان قاضی القضاة شمس الدین أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهیم بن أبی بکر الإربلیّ الشافعیّ. صاحب وفیات الأعیان. ولد سنة ستّمائة، و أجاز له المؤید، الطوسیّ، و تفقّه بابن یونس و ابن شدّاد، و لقی کبار العلماء، و سکن مصر مدّة، و ناب فی القضاء بها، ثمّ ولی قضاء الشّام عشر سنین ثم عزل فأقام بمصر سبع سنین، ثمّ ردّ إلی قضاء الشام. قال فی العبر: کان سریّا ذکیا أخباریّا عارفا بأیّام النّاس.

مات فی رجب سنة إحدی و ثمانین و ستمائة.

۱۶- أبو الحسن بن سعید علیّ بن موسی بن عبد الملک بن سعید الغرناطیّ الأدیب الأخباریّ الشهیر صاحب التصانیف الأدبیة. ولد بغرناطة سنة عشر و ستّمائة، و أخذ عن الشّلوبین و غیره، و جال فی الأقطار، و دخل مصر و الشام و بغداد، و ألّف المغرب فی حلیّ المغرب، و المشرق فی حلیّ المشرق، و الطالع السعید فی تاریخ بلده. مات بتونس سنة خمس و ثمانین و ستمائة.

۱۷- الأمیر رکن الدین بیبرس المنصوریّ الدوادار صاحب التّاریخ المسمّی بزبدة الفکرة، فی أحد عشر مجلّدا، و التفسیر. مات سنة خمس و عشرین و سبعمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۵۴

۱۸- ابن المتوّج تاج الدین محمد بن عبد الوهاب ابن المتوّج بن صالح الزبیریّ.

أحد العدول بمصر. ولد بها فی ربیع الأول سنة تسع و ثلاثین و ستّمائة، و سمع و حدّث، و ألّف تاریخ مصر سمّاه: إیقاظ المتغفّل و اتّعاظ المتأمّل. روی عنه البدر بن جماعة.

مات بمصر فی المحرم سنة ثلاثین و سبعمائة .

۱۹- الکمال الأدفویّ أبو الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر. کان فاضلا أدیبا شاعرا. صنّف الطالع السعید فی تاریخ الصعید، و الإمتاع فی أحکام السماع. مات بالطاعون بالقاهرة سنة تسع و أربعین و سبعمائة، و قد قارب التسعین.

۲۰- النویریّ شهاب الدین أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد البکریّ المؤرّخ صاحب التاریخ المشهور. مات فی رمضان سنة ثلاث و ثلاثین و سبعمائة.

۲۱- القطب الحلبی، مرّ فی الحفّاظ.

۲۲- ابن الفرات ناصر الدین محمد بن عبد الرحیم بن علیّ بن الحسن المصریّ الحنفیّ. کان لهجا بالتاریخ، فکتب تاریخا کبیرا جدّا، و سمع من أبی بکر بن الصناج، و أجاز له أبو الحسن البندنیجیّ و تفرّد بهما. مات لیلة عید الفطر سنة خمس و سبعین و ثمانمائة، و له اثنتان و سبعون سنة.

۲۳- صارم الدین إبراهیم بن محمد بن دقماق. مؤرّخ الدیار المصریة. جمع تاریخا علی الحوادث، و تاریخا علی التراجم، و طبقات الحنفیّة. مات فی ذی الحجّة سنة تسعین و سبعمائة و قد جاوز الثمانین.

۲۴- شهاب الدین الأوحدیّ أحمد بن عبد اللّه بن الحسن بن طوغان. ولد سنة إحدی و ستین و سبعمائة، و کان لهجا بالتاریخ، ألّف کتابا کبیرا فی خطط مصر و القاهرة و کان مقرئا أدیبا، تلا علی التقیّ البغدادیّ. مات فی جمادی الأولی سنة إحدی عشرة و ثمانمائة.

۲۵- المقریزی تقیّ الدین أحمد بن علیّ بن عبد القادر بن محمد مؤرّخ الدیار المصریة. ولد سنة تسع و ستّین و سبعمائة، و اشتغل فی الفنون و خالط الأکابر، و ولی حسبة القاهرة، و نظم و نثر، و ألّف کتبا کثیرة، منها درر العقود الفریدة فی تراجم الأعیان المفیدة، و المواعظ و الاعتبار بذکر الخطط و الآثار، و عقد جواهر الأسفاط من أخبار

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۵۵

مدینة الفسطاط، و اتعاظ الخفاء بأخبار الفاطمیین الخلفاء، و السلوک بمعرفة دول الملوک، و التاریخ الکبیر، و غیر ذلک مات سنة أربعین و ثمانمائة.

۲۶- ابن حجر، مرّ فی الحفّاظ.

۲۷- شیخنا العزّ الحنبلی، مرّ فی الحنابلة.

ذکر من کان بمصر من الشعراء و الأدباء

۱- جمیل بن عبد اللّه بن معمر العذریّ. صاحب بثینة، أحد عشّاق العرب.

شاعر إسلامی من أفصح الشّعراء فی زمانه. قال: ابن میسّر و غیره: قدم مصر علی عبد العزیز بن مروان فأکرمه، و مات بها سنة عشرین و ثمانمائة.

و أنشد لما احتضر:

بکر النعیّ و ما کأن بجمیلو ثوی بمصر ثواء غیر قفول

قومی بثینة فاندبی بعویلو ابکی خلیلک قبل کلّ خلیل

۲- کثیرة عزّة بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر أبو صخر الخزاعیّ. یقال إنّه أشعر الإسلامیین. مات سنة خمسین - و قیل سبعین- و مائة. أقام بمصر مدّة یمدح عبد العزیز بن مروان و هو فی کنفه، و زار قبر صاحبته عزّة بها.

۳- عزّة بنت جمیل بن حفص أمّ عمرو الضّمریة صاحبة کثیّر. کانت أبرع الخلق أدبا، و أحلاهم حدیثا، و قد أمر عبد الملک بن مروان بإدخالها علی حرمه لیتعلّمن من أدبها. قال ابن کثیر: ماتت بمصر فی أیّام عبد العزیز بن مروان و قد زار کثیّر قبرها، و رثاها، و تغیّر شعره بعدها، فقال له قائل: ما بال شعرک قد قصّرت فیه؟

فقال: ماتت عزّة فلا أطرب، و ذهب الشباب فلا أعجب، و مات عبد العزیز بن مروان فلا أرغب، و إنّما الشعر عن هذه الخلال.

۴- نصیب بن رباح الشاعر أبو محجن مولی عبد العزیز بن مروان. من الطبقة

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۵۶

السادسة من شعراء الإسلام و من شعراء الحماسة، کان بمصر أیّام مولاه. مات سنة ثمانین و مائة. قاله فی المرآة.

۵- أبو نواس الحسن بن هانیء الشّاعر المشهور. أقام بمصر مدّة، و رکب ذات یوم فی النّیل، فحذر من التمساح، فقال:

أضمرت للنیل هجرانا و تقلیةإذ قیل لی إنّما التّمساح فی النّیل

مات ببغداد سنة خمس و تسعین و مائة.

۶- أبو تمّام حبیب بن أوس الطائی المشهور صاحب الحماسة ملک شعراء العصر، قال ابن خلّکان: أصله من قریة جاسم بالقرب من طبریّة ، و کان بدمشق، ثمّ صار إلی مصر و هو فی شبیبته.

و قال الخطیب: هو شامیّ، و کان بمصر فی حداثته یسقی الماء فی المسجد الجامع، ثمّ جالس الأدباء و أخذ عنهم حتّی قال الشعر فأجاد، و شاع ذکره، و سار شعره. و بلغ المعتصم خبره، فحمله إلیه، فقدم بغداد، فجالس الأدباء، و عاشر العلماء، و تقدّم علی شعراء وقته. مات بالموصل سنة ثمان و عشرین و مائتین، و قیل بعد الثمانین.

۷- أبو العباس النّاشیء الشاعر المتکلّم المعتزلیّ عبد اللّه بن محمد. أصله من الأنبار و أقام ببغداد مدّة، ثم انتقل إلی مصر، فمات بها سنة ثلاث و تسعین و مائتین.

و کان شاعرا مطیفا مفنّنا فی علوم منها المنطق، ذکیّا فطنا، و له قصیدة فی فنون من العلم علی رویّ واحد تبلغ أربعة آلاف بیت، و له عدة تصانیف و أشعار کبیرة.

۸- أحمد بن محمّد بن إسماعیل بن إبراهیم طباطبا الشریف الحسنیّ أبو القاسم المصریّ الشاعر. کان نقیب الطالبیّین بمصر، مات فی شعبان سنة خمس و أربعین و ثلاثمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۵۷

۹- کشاجم اسمه محمود بن محمد بن الحسین بن السدیّ بن شاهک. یکنی أبا نصر. قال صاحب سجع الهدیل: کان أقام بمصر مدّة فاستطابها، ثمّ رحل عنها، فکان یتشوّق إلیها، ثمّ عاد إلیها فقال:

قد کان شوقی إلی مصر یؤرّقنیفالآن عدت و عادت مصر لی دارا

۱۰- المتنبیّ أحمد بن الحسین أبو الطیب الشاعر المشهور. أقام بمصر مدّة أربع سنین عند کافور الإخشیدیّ یمدحه. ولد بالکوفة سنة ستّ و ثلثمائة، و قتل فی رمضان سنة أربع و خمسین، و سبب قتله أنّه کان یرکب فی جماعة من ممالیکه فتوهّم منه کافور فجفاه، فخاف منه المتنبی و هرب، فأرسل کافور فی أثره فأعجزه، فقیل لکافور: ما قیمة هذا حتّی تتوهّم منه؟! فقال: هذا رجل أراد أن یکون نبیّا بعد محمد صلی اللّه علیه و سلم، فهلّا یروم أن یکون ملکا بدیار مصر؟! فدسّ إلیه من قتله .

۱۱- تمیم بن صاحب القاهرة الخلیفة المعزّ العبیدیّ. کان من أکابر أمراء دولة أبیه و أخیه العزیز، و کان شاعرا، و له فضل. ذکره ابن سعید فی شعراء مصر، و تبعه ابن فضل اللّه فی المسالک، فقال: تشبّه بابن عمّه ابن المعتزّ، و تشبّث بذیله فما قدر أن یبتزّ، و هو و إن لم یزاحم ابن المعتزّ، فإنّه لا یقع دون مطاره، و لا یقصر ذهبه الموزون عن قنطاره.

قال ابن کثیر: و قد اتّفق له کائنة غریبة و هی أنّه أرسل إلی بغداد، فاشتریت له جاریة مغنّیة بمال جزیل، و کانت تحبّ شخصا ببغداد، فلمّا حضرت عند تمیم، غنّت فاشتد طربه. فقال لها: لا بدّ أن تسألینی حاجة. فقالت: عافیتک، فقال: و مع هذا؟

قالت: أحجّ و أمرّ علی بغداد. فآسلها مع بعض أصحابه فأحججها، ثمّ سار بها علی طریق العراق، فلمّا کانت علی مرحلة من بغداد، ذهبت فی اللّیل فلم یدر أین ذهبت! فلمّا وصل الخبر إلی تمیم تألّم ألما شدیدا .

مات تمیم سنة ثمان و ستّین و ثمانمائة .

۱۲- علیّ بن النعمان القیروانیّ. قاضی قضاة مصر للدولة العبیدیة. قال فی

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۵۸

العبر: کان شیعیّا غالیا، شاعرا مجوّدا. مات سنة أربع و سبعین و ثلثمائة.

۱۳- المقداد المصریّ. ذکره ابن فضل اللّه فی شعراء مصر، و قال: جاء بالبیان و حبّره، و حقّق الإحسان و حرّره، و جاء بسحر عظیم، و درّ نظیم.

۱۴- أبو الرقعمق الشاعر صاحب المجون و النّوادر أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاکیّ. دخل مصر، و مدح المعزّ و أولاده و الوزیر ابن کلّس، و مات سنة تسع و تسعین و ثلثمائة. قاله فی العبر.

۱۵- صریع الدلاء الشاعر المشهور الماجن أبو الحسن علیّ بن عبد الواحد البغدادیّ. له مقصورة فی الهزل، عارض بها مقصورة ابن درید، یقول فیها:

و ألف حمل من متاع تشتریأنفع للمسکین من لقط النّوی

من طبخ الدیک و لا یذبحهطار من القدر إلی حیث انتهی

من أدخلت فی عینه مسلّةفسله من ساعته کیف العمی

و الذقن شعر فی الوجوه طالع کذلک العقصة من خلف القفا

إلی أن ختمها بالبیت الّذی حسد علیه و هو قوله:

من فاته العلم و أخطاه الغنیفذاک و الکلب علی حدّ سوا

قال ابن کثیر: قدم مصر، و مدح صاحبها، فمات بها فی رجب سنة اثنتی عشرة و أربعمائة.

۱۶- صنّاجة الدوح محمد بن القاسم بن عاصم. شاعر الحاکم. ذکره ابن فضل اللّه فی شعراء مصر، و هو صاحب البیت المشهور:

ما زلزلت مصر من سوء یراد بهالکنّها رقصت من عدله فرحا

۱۷- هاشم بن العباس المصریّ. قال ابن فضل اللّه: ما حکت مصر بمثله إقلیمها و لا حکت شبیه فضله قدیمها. و من شعره:

کأنّ بیاض البدر من خلف نخلهبیاض بنان فی اخضرار نقوش

۱۸- علیّ بن عبّاد الإسکندریّ. شاعر، کان یمدح ابن الأفضل، فلما قتل الحافظ بن الأفضل قتل هذا معه.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۴۵۹

۱۹- إبراهیم بن شعیب المصریّ. ذکره ابن فضل اللّه و أورد له:

یا ذا الذی یدخر أموالهعن مثل هذا الأسمر الفائق

ما الذهب الصامت إنفاقهمستنکر فی الذهب الناطق

۲۰- أبو الصّلت أمیّة بن عبد العزیز الأندلسی. مرّ.

۲۱- ظافر بن القاسم الحدّاد الجذامیّ الإسکندریّ الشاعر المحسن، صاحب الدّیوان. مات سنة تسع و عشرین، و خمسمائة.

۲۲- أبو الغمر محمد بن علیّ الهاشمیّ الإسنائیّ. ذکره العماد فی الخریدة، و قال: کان أشعر أهل زمانه، و أفضل أقرانه. مات سنة أربع و أربعین و خمسمائة.

۲۳- محمود بن إسماعیل بن قادوس أبو الفتح الدمیاطیّ. کاتب الإنشاء بالدیار المصریة و شیخ القاضی الفاضل، و کان یسمّیه ذا البلاغتین، ذکره العماد الکاتب فی الخریدة. مات سنة إحدی و خمسین و خمسمائة.

۲۴- عبد العزیز بن الحسین بن الحباب الأغلبیّ السعدیّ القاضی أبو المعالی المعروف بالجلیس، لأنّه کان یجالس صاحب مصر. ذکره العماد فی الخریدة، و قال: له فضل مشهور، و شعر مأثور. مات سنة إحدی و ستّین و خمسمائة.

۲۵- الرّشید بن الزّبیر الأسوانیّ. مرّ.

۲۶- الحسن بن علیّ بن إبراهیم الأسوانیّ المعروف بالمهذّب بن الزبیر، أخو الرشید بن الزبیر. ذکره العماد فی الخریدة، و قال: لم یکن بمصر فی زمنه أشعر منه، و أنه أعرف به من أخیه الرّشید. توفّی سنة إحدی و ستّین و خمسمائة.

۲۷- القاضی موفّق الدین یوسف بن محمد المصریّ أبو الحجّاج بن الخلّال صاحب دیوان الإنشاء بالدیار المصریة، اشتغل علی القاضی الفاضل فی هذا الفنّ، و تخرّج به. مات فی جمادی الأولی سنة ثمان و عشرین و خمسمائة.

۲۸- ابن قلاقس الإسکندریّ نصیر الدین عبد اللّه بن مخلوف بن علیّ بن عبد

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۴۶۰

القویّ اللخمیّ، و یلقّب بالقاضی الأعزّ. من شعراء الدولة الصلاحیة، قال ابن خلّکان:

کان شاعرا مجیدا فاضلا نبیلا، و لم یکن له لحیة، صحب السّلفیّ فانتفع به. ولد بالإسکندریة فی ربیع الآخر سنة اثنتین و ثلاثین و خمسمائة، و مات ثالث شوال سنة سبع و ستّمائة فی عیذاب عن خمس و ثلاثین سنة.

۲۹- عمارة الیمنیّ مرّ.

۳۰- فخر الدولة الأسوانیّ إبراهیم بن محمد بن إبراهیم بن أحمد بن نصر الأدیب الشاعر الکاتب. کتب الإنشاء للملک الناصر صلاح الدین بن أیوب، ثمّ کتب لأخیه العادل. مات بحلب سنة إحدی و ثمانین و خمسمائة.

۳۱- علیّ بن عمر أبو الحسن الهاشمی القوصیّ. ذکره العماد فی الخریدة، فقال: شاب بقوص، له بالأدب خصوص.

۳۲- القاضی الفاضل أبو علی عبد الرّحیم بن علی بن الحسن اللخمیّ البیسانیّ ثمّ العسقلانیّ ثم المصریّ محیی الدین. و قیل مجیر الدین. الوزیر صاحب دیوان الإنشاء و شیخ البلاغة. ولد سنة تسع و عشرین و خمسمائة، و قیل: إنّ مسوّدات رسائله لو جمعت بلغت مائة مجلد، و کان له حدبة یخفیها الطیلسان، و له آثار جمیلة و أفعال حمیدة. مات فی سابع ربیع الآخر سنة ستّ و تسعین و خمسمائة،

و دفن بالقرافة.

۳۳- العماد الکاتب الوزیر العلّامة أبو عبد اللّه محمد بن محمد بن حامد الأصبهانیّ. ولد سنة تسع عشرة و خمسمائة بأصبهان، و تفقّه ببغداد علی ابن الرزّاز، و أتقن الفقه و الخلاف و العربیّة، ثمّ تعانی الکتابة، و الترسّل و النّظم، ففاق الأقران، و حاز قصب السبق، و صنّف التصانیف الأدبیة، و ختم به هذا الشأن. مات فی رمضان سنة سبع و تسعین .

۳۴- علیّ بن أحمد بن عرّام الرّبعیّ الأسوانیّ. ذکره العماد فی الخریدة، و قال:

شیخ من أهل الأدب بأسوان، و أثنی علیه. مات فی حدود الثمانین و خمسمائة.

۳۵- الأسعد بن الخطیر مهذّب بن ممّاتی المصریّ الکاتب الشاعر، من شعراء الدولة الصلاحیة. کان ناظر الدواوین، و فیه فضائل، و له مصنّفات عدیدة و نظم السیرة الصلاحیة، و نظّم کتاب کلیلة و دمنة، و له دیوان شعر. مات فی جمادی الأولی سنة

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۶۱

ستّ عشرة و ستّمائة عن اثنتین و ستّین سنة، و جدّه ممّاتی نصرانیّ.

۳۶- السعید أبو القاسم هبة اللّه بن الرّشید جعفر بن سناء الملک المصریّ الشاعر المشهور. صاحب الدیوان البدیع الموشّحات، الذی سمّاه درّ الطّراز. کان أحد الفضلاء الرؤساء النّبلاء، أخذ الحدیث عن السّلفیّ و النّحو عن ابن برّیّ، و کتب بدیوان الإنشاء مدّة، و کان بارع الترسّل و النظم، و اختصر کتاب الحیوان للجاحظ، و سمّاه روح الحیوان. ولد فی حدود خمسین و خمسمائة، و مات سنة ثمان و خمسین و ستمائة.

۳۷- وجیه الدین علیّ بن الحسین بن الذرویّ أبو الحسن. من مشاهیر الشعراء بمصر، کان فاضلا نبیلا، ذا معرفة تامّة له نظم فائق، و نثر رائق.

۳۸- علیّ بن المنجّم أبو الحسن المصریّ. کان أشعر أهل زمانه، و أفضل أقرانه، و کان من أعلام أدباء مصر المشاهیر. مدح الملوک و الوزراء و فیه فضائل. ولد فی المحرّم سنة تسع و أربعین و خمسمائة، و مات سنة ستّ عشرة و ستّمائة.

۳۹- النّجیب بن الدّبّاع المصریّ الشاعر الأدیب. ولد فی جمادی الآخرة سنة اثنتین و خمسین و خمسمائة، و أقام بمصر مدّة، و کان له فضل مشهور، و شعر مأثور.

مات فی ربیع الآخر سنة عشرین و ستّمائة.

۴۰- جعفر بن شمس الخلافة محمد بن مختار المصریّ أبو الفضل الأفضلیّ الشاعر. یلقّب مجد الملک الأدیب الکبیر، له دیوان و تصانیف. ولد فی المحرّم سنة ثلاث و أربعین و خمسمائة، و مات فی المحرم سنة اثنتین و عشرین و ستمائة.

۴۱- مظفّر بن إبراهیم بن جماعة بن علیّ العیلانیّ الحنبلیّ الأعمی. ولد فی جمادی الآخرة سنة أربع و أربعین و خمسمائة، و مات فی المحرم سنة ثلاث و عشرین و ستمائة.

۴۲- ابن النّبیه علیّ بن محمد بن النبیه الشاعر المشهور، أحد شعراء العصر.

مات سنة إحدی و عشرین و ستمائة.

۴۳- راجح بن إسماعیل الحلّیّ الأدیب شرف الدین الشاعر. سار شعره و مدائحه للملوک. مات فی شعبان سنة سبع و عشرین و ستمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۶۲

۴۴- البرهان بن الفقیه نصر. من شعراء مصر، ولی النّظر علی دیوان الخراج بالصّعید، و کان حسن الأدب. ذکره ابن فضل اللّه.

۴۵- الحسن بن شاور بن العاضد، ذکره ابن فضل اللّه، و أورد له:

لا تثق من آدمیّ فی وداد بصفاء

کیف ترجو منه صفواو هو من طین و ماء!؟

۴۶- شرف الدین الدّیباجیّ محمد بن الحسن بن أحمد. کان أبوه وزیر الکامل و أخیه إسماعیل بن العادل. و کان هو و ابنه ممّن جریا فی الأدب إلی غایة. ذکره ابن فضل اللّه.

۴۷- ابن بصاقة کاتب الإنشاء فخر القضاة نصر اللّه بن هبة اللّه بن عبد الباقی الغفاریّ. کان أکتب أهل زمانه بلا مدافعة، و أعرفهم بالقواعد الإنشائیة و أجودهم ترسّلا، و أحسنهم عبارة، و أطولهم باعا فی الأدب، و له دیوان شعر. ولد بقوص سنة سبع و سبعین و خمسمائة، و مات بدمشق فی جمادی الآخرة سنة ستّ و أربعین و ستمائة.

۴۸- ابن مطروح الصاحب جمال الدین أبو الحسن یحیی بن عیسی بن إبراهیم ابن مطروح المصریّ. أحد الشعراء المجیدین، و صاحب التصانیف المفیدة فی الأدب.

توفّی سنة أربع و خمسین و ستمائة.

۴۹- ابن أبی الإصبع عبد العظیم بن عبد الواحد بن ظافر البغدادیّ ثمّ المصریّ. أحد الشعراء المجیدین، و صاحب التصانیف المفیدة فی الأدب. توفّی سنة أربع و خمسین و ستمائة.

۵۰- البهاء زهیر بن محمد بن علیّ بن یحیی بن الحسن الأزدیّ المصری الشاعر الکاتب صاحب الدیوان المشهور. ولد بمکّة و نشأ بقوص، و قدم القاهرة، و خدم الملک الصالح. مات بمصر فی ذی القعدة سنة ستّ و خمسین و ستمائة.

۵۱- سیف الدین أبو الحسن علیّ بن عمر بن قزل المعروف بالمشدّ الشاعر المشهور. ولد بمصر فی شوال سنة عشرین و ستمائة، و تولّی شدّ الدواوین، و له دیوان شعر مشهور. مات یوم عاشوراء سنة ستّ و خمسین و ستمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۶۳

۵۲- أمین الدولة علیّ بن عمّار السلیمانیّ. أحد الشعراء. ولد سنة اثنتین و خمسین و ستمائة، و مات بالفیّوم سنة خمس و سبعین و ستمائة.

۵۳- أحمد بن موسی بن یغمور بن جلدک الأمیر شهاب الدین. ذکره ابن فضل اللّه فی شعراء مصر. مات بالمحلّة فی جمادی الأولی سنة ثلاث و سبعین و ستّمائة.

۵۴- أبو الحسین الجزّار الأدیب جمال الدین یحیی بن عبد العظیم بن یحیی ابن محمد المصریّ الشاعر المشهور. مدح الملوک و الأمراء و الوزراء و الکبراء. مات فی شوّال سنة تسع و سبعین و ستمائة و له ستّ و سبعون سنة.

و من شعره:

سقی اللّه أکناف الکنانة بالقطرو جاد علیها سکّر دائم الدّرّ

و تبّا لأوقات المخلّل إنّهاتمرّ بلا نفع و تحسب من عمری

أهیم غراما کلّما ذکر الحمیو لیس الحمی إلّا العطارة بالسعر

و أشتاق إن هبّت نسیم قطائف السحور سحیرا و هی عاطرة النشر

ولی زوجة إن تشتهی قاهریّةأقول لها: ما القاهریّة فی مصر

۵۵- الشرف النساج بن غنّوم الإسکندریّ. نزیل مصر. کان شاعرا أدیبا، له معرفة. تامّة، و فضائل عامة.

۵۶- البدر یوسف بن لؤلؤ الشاعر. المشهور من کبار شعراء الدولة الناصریة.

مات فی شعبان سنة ثمانین و ستّمائة و قد نیّف علی السبعین.

۵۷- المعین ابن لؤلؤ الشاعر المشهور عثمان بن سعید الفهریّ المصریّ. مات بالقاهرة فی ربیع الأول سنة خمس و ثمانین و ستّمائة، و له ثمانون سنة، و به تخرّج الحکیم بن دانیال، و تأدّب.

۵۸- ابن الخيمىّ شهاب الدين أبو الفضل محمد بن عبد المنعم الأنصارىّ اليمنىّ. ثم المصرىّ. قال ابن فضل اللّه: قدوة فى الطريقة، و أسوة فى علم الحقيقة؛ إلّا أنّ صناعة الأدب عليه أغلب، و علم الشعر فيه أرجح.

و قال فى العبر: صوفىّ شاعر محسن، حامل لواء النّظم فى وقته، سمع التّرمذىّ

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۴۶۴

من علىّ بن البنّاء، و أجاز له عبد الوهاب بن سكينة. مات فى رجب سنة خمس و ثمانين و ستمائة عن نيّف و ثمانين سنة.

۵۹- مجاهد بن أبى الربيع سليمان بن مرهف بن أبى الفتح التميمى المصرىّ.

قال ابن فضل اللّه: من أعلام أدباء مصر المشاهير. مات فى جمادى الآخرة سنة اثنتين و سبعين و ستّمائة.

۶۰- نصير الحمامىّ. كان حجّة فى الأدب، ماهرا فى الشعر. له تصانيف عديدة فى فنّ الآداب المفيدة، و له معرفة كبيرة، و فضائل كثيرة.

۶۱- يوسف بن سيف الدولة أبى المعالى بن رباح بدر الدين أبو الفضل بن الهمندار. شاعر له معرفة بالنسب، مدح الظاهر بيبرس، و أقام بمصر مدّة، و له فضل مشهور و شعر مأثور.

۶۲- ابن النقيب محمد بن الحسن بن شاور الكنانىّ ناصر الدين. من مشاهير الشعراء. مات فى ربيع الأول سنة سبع و ثمانين و ستمائة، عن تسع و سبعين سنة.

۶۳- محمد بن باخل الأمير شمس الدين أبو عبد اللّه الأموىّ.

۶۴- علم الدين الصوابى عبد اللّه. والى البحر. قال ابن فضل اللّه: جندىّ متأدّب، له شعر بديع.

۶۵- أبو بكر محمد بن عمّار بن إسماعيل التّلمسانىّ. قال ابن فضل اللّه: من شعراء مصر.

۶۶- الجمال التلمسانىّ.

۶۷- الشرف البوصيرى صاحب البردة محمد بن سعيد بن حماد الدلاصىّ المولد المغربىّ الأصل البوصيرىّ المنشأ. ولد بناحية دلاص فى يوم الثلاثاء أوّل شوال سنة ثمان و ستّمائة، و برع فى النظم. قال فيه الحافظ فتح الدين بن سيّد الناس: هو أحسن شعرا من الجزّار و الورّاق. مات سنة خمس و تسعين و ستمائة.

۶۸- محيى الدين عبد اللّه بن عبد الظاهر بن نشوان المصرىّ الأديب. كاتب الإنشاء بالديار المصرية، و أحد البلغاء المذكورين، له النظم الفائق و النثر الرائق،

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج ۱، ص: ۴۶۵

و مصنّفات، منها سيرة الملك الظاهر. ولد سنة عشرين و ستّمائة، و مات بمصر فى رجب سنة اثنتين و تسعين و دفن بالقرافة.

۶۹- ولده فتح الدين محمد صاحب ديوان الإنشاء، و أوّل من سمّى بكاتب السرّ.

ولد بالقاهرة سنة ثمان و ثلاثين و ستّمائة، و سمع الحديث من ابن الجمّيزى، و تفقّه و مهر فى الإنشاء و ساد، و تقدّم على والده. مات فى رمضان سنة إحدى عشرة و ستمائة قبل والده.

۷۰- تاج الدين أحمد بن شرف الدين سعيد بن محمد، ابن الأثير الحلبىّ الكاتب المنشئ. باشر كتابة الإنشاء بدمشق ثمّ بمصر بعد موت فتح الدين بن عبد الظاهر، و كان فاضلا نبيلا؛ له يد فى النظم و النثر. مات سنة إحدى و تسعين و ستّمائة.

۷۱- شهاب الدين أحمد بن عبد الملك العزازىّ الشاعر المحسن. ديوانه فى مجلدين. مات بمصر سنة اثنتين و تسعين و ستمائة.

۷۲- شرف الدين عبد الوهاب بن فضل اللّه بن مجلىّ العدوىّ كاتب السرّ بمصر، و أحد أرباب الإنشاء و الخطّ الحسن. روى عن ابن عبد الدائم. مات فى رمضان سنة سبع عشرة و سبعمائة عن أربع و تسعين سنة.

۷۳- علاء الدين علىّ بن الصاحب فتح الدين محمد بن عبد اللّه بن عبد الظاهر الأديب. من كبار المنشئين و علمائهم. مات بمصر سنة

سبع عشرة و سبعمائة.

۷۴- ناصر الدین شافع بن علیّ بن عباس الکنانیّ، سبط محیی الدین بن عبد الظاهر. الکاتب المنشئ الشاعر الأدیب الفاضل. ولد سنة تسع و أربعین و ستمائة، و مات سنة ثلاثین و سبعمائة.

۷۵- شهاب الدین أحمد بن محیی الدین بن فضل اللّه کاتب السرّ بالدیار المصریة. الأدیب البلیغ الناظم، الناثر، صاحب مسالک الأبصار فی ممالک الأمصار و غیره. ولد فی شوّال سنة سبعمائة، و مات فی ذی الحجّة سنة تسع و أربعین و سبعمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۶۶

۷۶- المعمار الأدیب إبراهیم المصریّ المشهور. مات سنة تسع و أربعین و سبعمائة .

۷۷- ابن نباتة الأدیب المشهور جمال الدین أبو بکر محمد بن محمد بن محمد ابن محمد بن الحسن الجذامیّ المصریّ. ولد بمصر سنة ستّ و ثمانین و ستّمائة، وفاق أهل زمانه فی النّظم و النثر؛ و هو أحد من حذا بحذو القاضی الفاضل و سلک طریقه.

مات بالقاهرة فی صفر سنة ثمان و ستین و سبعمائة.

۷۸- علاء الدین علیّ بن القاضی محیی الدین یحیی بن فضل اللّه العمریّ. کاتب السرّ بالدیار المصریة أکثر من ثلاثین سنة، کان أوحد عصره فی الکتابة. مات سنة تسع و ستّین و سبعمائة.

۷۹- ابن أبی حجلة شهاب الدین أحمد بن یحیی بن أبی بکر بن عبد الواحد التّلمسانیّ، نزیل القاهرة. ولد سنة خمس و عشرین و سبعمائة و مهر فی الأدب و النظم الکثیر، و نثر فأجاد، و ترسّل فأفاق ، و عمل المقامات و غیرها. و له مجامیع کثیرة؛ منها السّکردان، و حاطب لیل، و دیوان الصبابة و غیر ذلک. مات فی ذی الحجّة سنة ستّ و سبعین و سبعمائة.

۸۰- القیراطیّ برهان الدین إبراهیم بن شرف الدین بن عبد اللّه بن محمد البارع المفنّن. ولد فی صفر سنة ستّ و عشرین و سبعمائة، و لازم علماء عصره و برع فی الفنون و درّس بعدّة أماکن وفاق فی النظم و الشعر و له دیوان مشهور. مات بمکة فی ربیع الأول سنة إحدی و ثمانین.

۸۱- ابن العطار الأدیب شهاب الدین أحمد بن محمد بن علیّ الدنیسریّ.

شاعر مشهور، مات فی ربیع الآخر سنة أربع و تسعین و سبعمائة.

۸۲- ابن مکانس الوزیر فخر الدین أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد الرزاق القبطیّ، وزیر دمشق، و ناظر الدولة بمصر. الشاعر المشهور، أحد فحول الشعراء، و له دیوان إنشاء. مات فی ذی الحجّة سنة أربع و ستّین و ثمانمائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۶۷

۸۳- ولده مجد الدین فضل اللّه. ولد فی شعبان سنة تسع و ستّین و سبعمائة و تعانی الأدبیّات، و مهر. مات بالطاعون فی ربیع الآخر سنة اثنتین و عشرین و ثمانمائة.

۸۴- البارزیّ ناصر الدین محمد بن محمد بن الفخر عثمان بن الکمال محمد بن عبد الرحیم بن عبد اللّه بن المسلم. ولد فی شوال سنة تسع و ستّین و سبعمائة، و برع فی الأدب و تنقّلت به الأحوال إلی أن ولی کتابة السرّ بالدیار المصریة. مات فی شوّال سنة ثلاث و أربعین و ثمانمائة.

۸۵- ولده مجد الدین محمد. ولد فی ذی الحجّة سنة ستّ و تسعین و سبعمائة، و مات سنة خمسین و ثمانمائة.

۸۶- البدر البشتکیّ محمد بن إبراهیم بن محمد الدمشقیّ الأصل الأدیب الفاضل المشهور. ولد سنة ثمان و أربعین و سبعمائة. و مات فی جمادی الآخرة سنة ثلاثین و ثمانمائة.

۸۷- ابن حجّة رأس أدباء العصر تقیّ الدین أبو بکر بن علیّ الحمویّ نزیل القاهرة. صاحب البدیعیّة المشهورة و شرحها، و ثمار الأوراق، و غیر ذلک من التصانیف الأدبیّة. مات فی شعبان سنة سبع و ثلاثین و ثمانمائة.

۸۸- ابن کمیل القاضی شمس الدین محمد بن أحمد بن عمر المنصوریّ. ولد فی صفر سنهٔ خمس و سبعین و سبعمائهٔ و عنی بالأدب کثیرا، و تقدّم علی أقرانه. مات فی شعبان سنهٔ سبع و أربعین و ثمانمائهٔ.

۸۹- النّواجی أدیب العصر شمس الدّین محمد بن حسن بن علیّ بن عثمان. ولد سنهٔ بضع و ثمانین و سبعمائهٔ، و أمعن النّظر فی علوم الأدب حتّی فاق أهل العصر، و ألّف کتبا منها تأهیل الأدیب و الشفاء فی بدیع الاکتفاء، و روضهٔ المجالسهٔ فی بدیع المجانسهٔ، و حلبهٔ الکمیت فی وصف الخمر و غیر ذلک. مات فی یوم الثلاثاء خامس عشر جمادی الأولی سنهٔ تسع و خمسین و ثمانمائهٔ.

۹۰- الشهاب الحجازیّ أبو الطیب أحمد بن محمد بن علیّ بن حسن بن إبراهیم

حسن المحاضرهٔ فی أخبار مصر و القاهرهٔ، ج۱، ص: ۴۶۸

الأنصاریّ الخزرجیّ. الفاضل الأدیب الشاعر البارع. ولد فی شعبان سنهٔ تسعین و سبعمائهٔ، و سمع علی المجد الحنفیّ و البرهان الأبناسیّ، و أجاز له العراقیّ و الخیثمیّ، و عنی بالأدب کثیرا حتّی صار أحد أعیانه، و صنّف کتبا أدبیّهٔ، منها: روض الآداب و القواعد و المقامات من شرح المقامات، و التذکرهٔ و غیر ذلک. مات فی رمضان سنهٔ خمس و سبعین و ثمانمائهٔ .

و قال الشهاب المنصوری یرثیه:

لهف قلبی علی أفول الشهابتحفهٔ القوم نزهٔ الأصحاب

کان فی مطلع البلاغهٔ یسریفتواری من الثّری بحجاب

فقدت برّه أیامی المعانیو یتامی جواهر الآداب

هطلت أدمع السحاب علیهو قلیل فیه دموع السحاب

و ذوو الجمع أصبحوا حین ولّی کلّهم جامعا بلا محراب

ربع بلوای آهل منذ أخلی کتبی من سؤاله و الجواب

یا شهابا طلوعه فی سما الفضل و لکن أفوله فی التراب

لک فیما ألّفت تذکرهٔ ممّاانتقی درّه أولو الألباب

روضهٔ أینعت بفاکههٔ منحسن لفظ کثیرهٔ و شراب

فسقی تربها الرباب التهتزّ و تربو علی سماع الرباب

و رأی کسره فقابله اللّه تعالی بالجبر یوم الحساب

۹۱- الشهاب المنصوریّ أبو العبّاس أحمد بن محمد بن علیّ بن محمد بن أحمد بن عبد الدائم السلمیّ المعروف بالهائم. الأدیب البارع. ولد سنهٔ تسع و تسعین و سبعمائهٔ و اشتغل، و فهم شیئا من العلم و برع فی الشعر و فنونه و تفرّد به فی آخر عمره، و له دیوان کبیر. مات فی جمادی الآخرهٔ سنهٔ سبع و ثمانین و ثمانمائهٔ.

۹۲- القادریّ الشیخ شمس الدین محمد بن أبی بکر بن عمر بن عمران بن نجیب الأنصاریّ السعدیّ الدنجاویّ، شاعر العصر. ولد سنهٔ خمس عشرهٔ و ثمانمائهٔ، و اشتغل بالعلم علی جماعهٔ من الشّیوخ مع ذکاء مفرط، و قال الشّعر فأکثر، و برع فی فنون الأدب نظما و نثرا و هو الآن شاعر الدنیا علی الإطلاق، لا یشارکه فی طبقته أحد. مات فی جمادی الأولی سنهٔ ثلاث و تسعمائهٔ.

حسن المحاضرهٔ فی أخبار مصر و القاهرهٔ، ج۱، ص: ۴۶۹

و من نظمه، و أنشده عندی فی الإملاء:

شجاک بربع العامریّهٔ معهدبه أنکرت عیناک ما کنت تعهد

ترحّل عنه أهله بأهلّهٔبأحداجها غید من العین خرّد

کواعب أتراب حسان کأنّهابدور بأغصان النّقا یتأوّد

و ممّا شجانی فوق عود حمامةترجّع ألحانا لها و تغرّد

کأنّ بدمعی الکفّ منها مخضّبو بالحزن منّی الجید منها مقلّد

و بی غادة کالشمس فی أفق حسنهانأت و بقلبی حرّها یتوقّد

و لو هدّدت رضوی بتبریح هجرهالأمسی من التهدید و هو مهدّد

خفیفة أعطاف نشاوی من الصّباثقیلة أرداف تقیم و تقعد

من النافثات السحر فی عقد النّهیبنجلاء عنها سحر هاروت یسند

و عینی تروّی عن معین دموعهاو سمعی عن عذل العذول مسدّد

و أعجب من جسم حکی الماء رقّةیقلّ بلطف قلبها و هو جلمد

محیّا کبدر النّمّ فی جنح طرّةیظلّ به غصن النّقا یتأوّد

و جنّات و جنات بماء نعیمهاعلی النّور نار أصبحت تتوقّد

مهاة إذا استنّت بعود أراکةعلی متن سمطی لؤلؤ یتردّد

تریک ثنیّات العقیق ببارقجلالی النقا منه العذیب المبرّد

کأنّ بفیها من سنا العلم جوهراجلاه جلال الدین فهو منضّد

إمام اجتهاد عالم العصر عاملبجامع فضل ناسک متهجّد

و یحسد طرف النجم بالعلم طرفهإذا بات لیلا فیه و هو مسهّد

و یقدح زند العزم زند ذکائهفیصبح منه فکره یتوقّد

و من مدد المولی و عین عنایةو توفیقه یحیا و یحمی و یحمد

و مجتهد قد طال فی العلم مدرکاو باعا، ففی کلّ العلوم له ید

و مستنبط من آیة بعد آیةتلی آیة الکرسیّ معنی یخلّد

فوائد أشتات البدیع التی بهاتفرّد فیها جمعه فهو مفرد

و أنواعها عشرون مع مائة و قدتوحّد فیها بالذکا فهو أوحد

و لم یک للماضین فی الجمع مثلهافسحقا لمن للفضل فی الناس یجحد

فحقّ له دعوی اجتهاد لأنّهو البحر علما زاخر اللّجّ مزبد

علیم بآلات اجتهاد أولی النهیأئمة دین اللّه من حیث تقصد

فمن ذاک علم بالکتاب و سنّةتبیّن ما فی بحره فهو مورد

و ما کان فیها مجملا و مفصلاو من مطلق ینفکّ عنه المقیّد

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۷۰ و فحوی خطاب ثمّ مفهوم ما بهیدلّ علی مفهومه حیث یوجد

و معرفة الإجماع فهی لدیناثلاث علیها بالخناصر یعقد

و باللغة الفصحی من العرب التیبها نزل الذکر العزیز الممجّد

و معرفة الأخبار ثمّ رواتهاعدولا و من بالطعن فیه تردّد

و بالعلم بالفرق الذی بین واجبو ندب و ما فیه الإباحة تقصد

و ما بین حظر موبق و کراهةو تقییدها و العلم نعم المقیّد

و فی النّحو و التصریف للمرء عصمةمن اللحن فاللحان باللحن مکمد

و معرفة الإعراب أرفع مرتقیفطوبی لمن یرقی إلیه و یصعد

و علم المعانی و البیان کلاهمامراق إلی علم البدیع و مصعد

و سلطان منقول الفقیه متی یجدوزیرا من المعقول فهو مؤیّد

و إنّ الجلالیّ السیوطیّ للهدیلکوکب علم بالضیا یتوقّد

و قد جاد صیب العلم روضة أصلهفطاب له بالعلم فرع و محتد

و ذی حسد مغری ببغداد فضلهعلی نفسه یبکی أسی و یعدّد

فلو أبصر الکفّار فی العلم درسهو قد شاهدوا تقریره لتشّهدوا

فخذها جلال الدین فی المدح کاعبالها جید حسن بالنجوم مقلّد

و لا تبتئس من قول واش و حاسدفما برحت أهل الفضائل تحسد

و من لحظت مسعاه عین عنایةفطرف أعادیه مدی الدهر أرمد

و بالعلم، من یأمن وعید إلههفإنّ بوعد الفوز موعده غد

و حیث و هی ثوب اجتهاد فذو العلایقیّض فی الدنیا له من یجدّد

بمن أخبر المختار عنهم و إنّهملطائفة بالحقّ للدین تعضد

بإخلاصهم لا الهجو یوما یسوءهمو لا سرّهم مدح الذی راح یحمد

و هذا اعتقاد المؤمنین أولی النّهیفلا یک فی هذا لدیک تردّد

و إنّ جلال الدین منهم فإنّهبیمنی علوم الدّین سیف مجرّد

و إنّ القوافی ضقن ذرعا عن الذیله من تصانیف فلیست تعدّد

و إنّ الفقیر القادریّ لعاجزعن المدح فی علیاه إذ یتقصّد

وقاه إله العرش من کلّ محنةو ما أضمرت یوما عداه و حسّد

بجاه رسول اللّه أحمد مرسلبأمداحه جاء الکتاب الممجّد

علیه مع الآل الکرام و صحبهصلاة علی طول المدی تتجدّد

تم الجزء الأول، و یلیه الجزء الثانی و أوله: «ذکر أمراء مصر من حین فتحت إلی أن ملکها بنو عبید»

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۷۱

الفهرس

التعریف بالمؤلّف ۵

التعریف بکتاب حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة ۷

مقدمة المؤلّف ۹

بسم اللّه الرحمن الرحیم ۹

ذکر المواضع التی وقع فیها ذکر مصر فی القرآن صریحا أو کنایة ۱۱

لطیفة ۱۴

فائدة ۱۵

ذکر الآثار التی ورد فیها ذکر مصر ۱۵

ذکر إقلیم مصر ۲۵

ذکر من نزل مصر من أولاد آدم علیه الصلاة و السلام ۳۱

ذکر من ملک مصر قبل الطوفان ۳۲

ذکر من ملک مصر بعد الطوفان ۳۴

ذکر من دخل مصر من الأنبیاء علیهم الصلاة و السلام ۴۸

ذکر من کان بمصر من الصدیقین کماشطة ابنة فرعون، و ابنها، و مؤمن آل فرعون ۵۳

ذکر السحرة الذین آمنوا بموسی علیه الصلاة و السلام ۵۴

ذکر من کان بمصر من الحکماء فی الدهر الأوّل ۵۵

ذکر قتل عوج بمصر ۵۸

ذکر عجائب مصر القدیمة ۵۸

ذکر الأهرام ۶۳

ذکر ما قیل فی الهرمین اللذین فی الجیزة من الأشعار ۷۰

ذکر بناء الإسکندریة ۷۳

ذکر منارة الإسکندریة و بقیّة عجائبها ۷۷

ذکر دخول عمرو بن العاص مصر فی الجاهلیة ۸۰

ذکر کتاب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم إلی المقوقس ۸۲

ذکر بعث أبی بکر الصدیق رضی اللّه عنه حاطبا إلی المقوقس ۸۷

ذکر فتح مصر فی خلافة عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه ۸۸

ذکر الخلاف بین العلماء فی مصر: هل فتحت صلحا أو عنوة؟ ۱۰۱

ذکر الخطط ۱۰۵

ذکر بناء المسجد الجامع ۱۰۶

ذکر الدار التی بنیت لعمر بن الخطاب رضی اللّه عنه فأمر بجعلها سوقا ۱۰۷

ذکر أوّل من بنی بمصر غرفة ۱۰۸

ذکر حمّام الفأر ۱۰۸

ذکر اختطاط الجیزة ۱۰۸

ذکر المقطّم ۱۰۹

ذکر جبل یشکر ۱۱۳

ذکر فتوح الفیّوم ۱۱۴ حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة ؛ ج۱ ؛ ص۴۷۱

ر فتح برقة و النّوبة ۱۱۴

ذکر الجزیة ۱۱۵

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۱، ص: ۴۷۲

ذکر المکس علی أهل الذمة ۱۲۱

ذکر القطائع ۱۲۱

ذکر مرتبع الجند ۱۲۲

ذکر نهی الجند عن الزرع ۱۲۴

ذکر حفر خلیج أمیر المؤمنین ۱۲۴

ذکر انتقاض عهد الإسکندریة و سببه ۱۲۶

ذکر رابطة الإسکندریة ۱۲۹

ذکر و سیم ۱۳۱

ذکر ما یقع بمصر قرب الساعة ۱۳۱

ذکر من دخل مصر من الصحابة رضی اللّه عنهم ۱۳۲

درّ السحابة فیمن دخل مصر من الصحابة ۱۳۲

باب الکنی ۱۹۹

باب المبهمات ۲۰۸

باب النساء ۲۰۹

خاتمة ۲۰۹

ذکر من کان بمصر من مشاهیر التابعین الذین رووا الحدیث ۲۱۰

و من صغار التابعین طبقة قتادة و الزّهریّ ۲۲۱

طبقة أخری أصغر من التی قبلها و هی طبقة الأعمش و أبی حنیفة ۲۳۰

ذکر مشاهیر أتباع التابعین الذی خرّج لهم أصحاب الکتب الستة من أهل مصر ۲۳۸

طبقة تلی هذه ۲۴۴

طبقة تلی هذه ۲۵۱

من کان بمصر من الأئمة المجتهدین ۲۵۵

ذکر من کان بمصر من حفّاظ الحدیث ۲۹۵

ذکر من کان بمصر من المحدّثین الذین لم یبلغوا درجة الحفظ و المنفردین بعلوّ الإسناد ۳۱۲

ذکر من کان بمصر من الفقهاء الشافعیة ۳۳۷

ذکر من کان بمصر من الفقهاء المالکیة ۳۷۲

ذکر من کان بمصر من الفقهاء الحنفیة ۳۸۴

ذکر من کان بمصر من أئمة الفقهاء الحنابلة ۳۹۷

ذکر من کان بمصر من أئمة القراءات ۴۰۱

ذکر من کان بمصر من الصلحاء و الزهّاد و الصوفیة ۴۲۰

ذکر من کان بمصر من أئمة النحو و اللغة ۴۳۵

ذکر من کان بمصر من أرباب المعقولات و علوم الأوائل و الحکماء و الأطباء و المنجمین ۴۴۱

ذکر من کان بمصر من الوعّاظ و القصاص ۴۵۱

ذکر من کان بمصر من المؤرخین ۴۵۲

ذکر من کان بمصر من الشعراء و الأدباء ۴۵۵

[الجزء الثانى]

اشارة

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

ذكر أمراء مصر من حين فتحت إلى أن ملكها بنو عبيد

أوّل أمير عمرو بن العاص رضى اللّه عنه، ولّاه عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه على الفسطاط و أسفل الأرض، و ولى عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح على الصّعيد إلى القيّوم.

أخرج ابن عبد الحكم، عن أنس، قال: أتى رجل من أهل مصر إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين، عائذ بك من الظّلم، قال: عذت معاذا، قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربنى بالسّوط، و يقول: أنا ابن الأكرمين! فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم عليه، و يقدم بابنه معه. فقدم فقال عمر: أين المصرىّ؟

خذ السوط فاضرب، فجعل يضربه بالسّوط و يقول عمر: اضرب ابن الأكرمين. ثمّ قال للمصرىّ: ضعه على صلعة عمرو، قال: يا أمير المؤمنين، إنّما ابنه الّذى ضربنى و قد اشتفيت منه، فقال عمر لعمرو: مذ كم تعبّدتم النّاس و قد ولدتهم أمّهاتهم أحرارا؟ قال:

يا أمير المؤمنين، لم أعلم و لم يأتنى.

و أخرج ابن عبد الحكم عن نافع مولى ابن عمر، أنّ صبيغا العراقىّ جعل يسأل عن أشياء من القرآن فى أجناد المسلمين، حتّى قدم مصر، فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب، فضربه و نفاه إلى الكوفة، و كتب إلى أبى موسى الأشعرىّ أن ألّا يجالسه أحد من المسلمين.

و قال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل فى كتابه: حدّثنا عبد اللّه بن صالح، حدّثنى ابن لهيعة، عن يزيد بن أبى حبيب أنّ عمرو بن العاص استحلّ مال قبطىّ من قبط مصر لأنّه استقرّ عنده أنّه كان يظهر الرّوم على عورات المسلمين يكتب إليهم بذلك، فاستخرج منه بضعا و خمسين إردبا دنانير. قال أبو صالح: و الإردبّ ستّ و يبات و عيّرنا الويبة، فوجدناها تسعا و ثلاثين ألف دينار.

قال الحافظ عماد الدين بن كثير: فعلى هذا يكون مبلغ ما أخذ من هذا القبطىّ يقارب ثلاثة عشر ألف ألف دينار.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۴

قال ابن عبد الحكم: توفّى عمر، و على مصر أميران: عمرو بن العاص بأسفل الأرض و عبد اللّه بن سعد على الصعيد. فلما استخلف عثمان بن عفان عزل عمرو بن العاص و ولّى عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح أميرا على مصر كلّها؛ و ذلك فى سنة خمس و عشرين.

و قال الواقدىّ و أبو معشر: فى سنة سبع و عشرين.

فانتقل عمرو بن العاص إلى المدينة، و فى نفسه من عثمان أمر كبير؛ و جعل عمرو ابن العاص يؤلّب الناس على عثمان؛ و كره أهل مصر عبد اللّه بن سعد بعد عمرو بن العاص؛ و اشتغل عبد اللّه بن سعد عنهم بقتال أهل المغرب و فتحه بلاد البربر و الأندلس و إفريقيّة، و نشأ بمصر ناس من أبناء الصحابة يؤلّبون الناس على حرب عثمان، و الإنكار عليه فى عزل عمرو، و تولية من دونهم؛ و كان عظم ذلك مسندا إلى محمد بن أبى بكر و محمد بن أبى حذيفة، حتّى استنفرا نحوا من ستّمائة راكب يذهبون إلى المدينة لينكروا على عثمان، فساروا إليها، و سألوه أن يعزل عنهم ابن أبى سرح، و يولّى محمد بن أبى بكر أميرا، فأجابهم إلى ذلك، فلمّا رجعوا إذا هم براكب، فأخذوه و فتّشوه ، فإذا فى إداوته كتاب إلى ابن أبى سرح على لسان عثمان بقتل محمد بن أبى بكر و جماعة معه، فرجعوا و داروا بالكتاب على الصحابة؛ فلام النّاس عثمان على ذلك، فحلف: ماله علم بذلك، و ثبت أنه زوّره على لسانه مروان بن الحكم، و زوّره على خاتمه، فكان ذلك سبب تحريض المصريّين على قتل عثمان حتّى حصروه و قتلوه. و كان الذى باشر قتله رجلا من أهل

مصر من کندة یسمی أسود بن حمران، و یکنی أبا رومان، و یلقب حمارا، و قیل: اسمه رومان، و قیل اسمه سودان بن رومان المرادیّ. و کان أشقر أزرق، و قتل هو أیضا فی الحال- لعنه اللّه و رضی عن عثمان أمیر المؤمنین- و فعل المصریون فی المدینة من الشرّ ما لا یفعله فارس و الرّوم، و نهبوا دار عثمان، و عدلوا إلی بیت المال فأخذوا ما فیه، و کان فیه شیء کثیر جدّا، و ذلک فی ذی الحجّة سنة خمس و ثلاثین.

و أخرج الواقدیّ عن عبد الرحمن بن الحارث، قال: الذی قتل عثمان کنانة بن بشر بن غیاث التّجیبیّ، حتّی قال القائل:

ألا إنّ خیر الناس بعد ثلاثةقتیل التّجیبیّ الّذی جاء من مصرا

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۵

و أخرج ابن عساکر عن سعید بن المسیّب، قال: کانت المرأة تجیء فی زمان عثمان إلی بیت المال، فتحمل وقرها، و تقول: اللهمّ بدّل، اللهمّ غیّر. فلمّا قتل عثمان، قال حسّان بن ثابت:

قلتم بدّل فقد بدّلکمسنة حرّی و حربا کاللّهب

ما نقمتم من ثیاب خلفةو عبید و إماء و ذهب

و روی محمد بن عائذ، عن إسماعیل بن عیّاش، عن صفوان بن عمرو، عن عبد الرحمن بن جبیر، قال: سمع عبد اللّه بن سلام رجلا یقول لآخر: قتل عثمان بن عفّان فلم ینتطح فیها عنزان. فقال ابن سلام: أجل، إنّ البقر و الغنم لا تنتطح فی قتل الخلیفة، و لکن تنتطح فیه الرجال بالسلاح؛ و اللّه لیقتلنّ به أقوام إنّهم لفی أصلاب آبائهم ما ولدوا بعد.

و بقیت المدینة خمسة أیام بلا خلیفة، و المصریّون یلحّون علی علیّ أن یبایعوه و هو یهرب منهم؛ و یطلب الکوفیّون الزّبیر فلا یجدونه، و البصریّون طلحة فلا یجیبهم، فقالوا فیما بینهم: لا نولّی أحدا من هؤلاء الثلاثة، فمضوا إلی سعد بن أبی وقّاص فلم یقبل منهم، ثمّ جاءوا إلی ابن عمر، فأبی علیهم، فحاروا فی أمرهم، و قالوا: إن نحن رجعنا بقتل عثمان عن غیر إمرة، اختلف الناس؛ فرجعوا إلی علیّ، فألحوا علیه فبایعوه، فأشار علیه ابن عباس باستمرار نوّاب عثمان فی البلاد إلی حین آخر، فأبی علیه، و عزل عبد اللّه ابن سعد بن أبی سرح عن مصر و ولّی علیها قیس بن سعد بن عبادة.

و کان محمد بن أبی حذیفة لمّا بلغه حصر عثمان تغلّب علی الدیار المصریة، و أخرج منها ابن أبی سرح، و صلّی بالناس فیها، فسار ابن أبی سرح، فجاءه الخبر فی الطریق بقتل عثمان، فذهب إلی الشام، فأخبر معاویة بما کان فی أمره بدیار مصر، و أنّ محمد بن أبی حذیفة قد استحوذ علیها، فسار معاویة و عمرو بن العاص لیخرجاه منها، فعالجا دخول مصر، فلم یقدرا، فلم یزالا به حتّی خرج إلی العریش فی ألف رجل، فتحصّن بها. و جاء عمرو بن العاص، فنصب علیه المنجنیق حتّی نزل فی ثلاثین من أصحابه فقتلوا؛ ذکره ابن جریر .

ثم سار إلی مصر قیس بن سعد بن عبادة بولایة من علیّ، فدخل مصر فی سبعة نفر، فرقی المنبر، و قرأ علیهم کتاب أمیر المؤمنین علیّ، ثمّ قام قیس فخطب الناس،

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۶

و دعاهم إلی البیعة لعلیّ، فبایعوا، و استقامت له طاعة بلاد مصر سوی قریة منها یقال لها خربتا، فیها أناس قد أعظموا قتل عثمان، و کانوا سادة الناس و وجوههم، و کانوا فی نحو من عشرة آلاف، منهم بسر بن أرطأة، و مسلمة بن مخلّد، و معاویة بن حدیج و جماعة من الأکابر، و علیهم رجل یقال له یزید بن الحارث المدلجیّ، و بعثوا إلی قیس ابن سعد فوادعهم و ضبط مصر، و سار فیها سیرة حسنة.

قال ابن عبد الحکم: لمّا ولی قیس مصر اختطّ بها دارا قبلیّ الجامع، فلما عزل کان الناس یقولون: إنّها له، حتّی ذکرت له، فقال: و أیّ دار لی بمصر؟ فذکروها له فقال: إنّما تلک بنیتها من مال المسلمین، لا حقّ لی فیها.

و يقال: إن قيسا أوصى لمّا حضرته الوفاة: إنى كنت بنيت دارا بمصر و أنا و اليها، و استعنت فيها بمعونة المسلمين؛ فهى للمسلمين ينزلها ولاتهم.

و كانت ولاية قيس مصر فى صفر سنة ست و ثلاثين. فكتب معاوية إلى قيس يدعوه إلى القيام بطلب دم عثمان، و أن يكون هو أزرا له على ما هو بصدده من القيام فى ذلك، و وعده أن يكون نائبه على العراقين إذا تمّ له الأمر. فلمّا بلغه الكتاب- و كان قيس رجلا حازما- لم يخالفه و لم يوافقه، بل بعث يلاطف معه الأمر؛ و ذلك لبعده من علىّ، و قربه من بلاد الشام؛ و ما مع معاوية من الجنود، فسالمه قيس و تاركه؛ فأشاع بعض أهل الشام أنّ قيس بن سعد يكاتبهم فى الباطن، و يمالئهم على أهل العراق.

و روى ابن جرير أنّه جاء من جهته كتاب مزوّر بمبايعته معاوية، فلمّا بلغ ذلك عليّا اتّهمه، و كتب إليه أن يغزو أهل خربتا الذين تخلّفوا عن البيعة، فبعث يعتذر إليه بأنّهم كثير عددهم، و هم وجوه الناس، و كتب إليه: إن كنت إنّما أمرتنى بهذا لتختبرنى لأنّك اتّهمتنى، فابعث على عملك بمصر غيرى.

فولّى علىّ على مصر محمد بن أبى بكر، و ارتحل قيس إلى المدينة، ثم ركب إلى علىّ، و اعتذر إليه، و شهد معه صفّين، فلم يزل محمد بن أبى بكر بمصر قائم الأمر، مهيبا بالديار المصرية، حتّى كانت وقعة صفّين، و بلغ أهل مصر خبر معاوية و من معه من أهل الشام على قتال أهل العراق، و صاروا إلى التحكيم. فطمع أهل مصر فى محمد بن أبى بكر، و اجترؤوا عليه، و بارزوه بالعداوة، و ندم علىّ بن أبى طالب على عزل قيس من مصر لأنّه كان كفؤا لمعاوية و عمرو. فلمّا فرغ علىّ من صفّين، و بلغه أنّ

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۷

أهل مصر استخفّوا بمحمد بن أبى بكر لكونه شابا ابن ستّ و عشرين سنة أو نحو ذلك، عزم على ردّ مصر إلى قيس بن سعد.

ثمّ إنّه ولّى عليها الأشتر النّخعىّ، فلمّا بلغ معاوية تولية الأشتر ديار مصر، عظم ذلك عليه؛ لأنّه كان طمع فى استنزاعها من يد محمد بن أبى بكر، و علم أنّ الأشتر سيمنعها منه لحزمه و شجاعته. فلمّا سار الأشتر إليها و انتهى إلى القلزم، استقبله الجايسار- و هو مقدّم على الخراج- فقدّم إليه طعاما، و سقاه شرابا من عسل، فمات منه. فلما بلغ ذلك معاوية و أهل الشام قالوا: إنّ للّه جندا من عسل. و قيل: إن معاوية كان تقدّم إلى هذا الرجل فى أن يحتال على الأشتر ليقتله ففعل ذلك، ذكره ابن جرير.

فلمّا بلغ عليا وفاة الأشتر تأسّف عليه لشجاعته، و كتب إلى محمد بن أبى بكر باستقراره و استمراره بديار مصر، و كان ضعف جأشه مع ما فيه من الخلاف عليه من العثمانيّة الذين ببلد خربتا، و قد كانوا استفحل أمرهم؛ و كان أهل الشام حين انقضت الحكومة سلّموا على معاوية بالخلافة، و قوى أمرهم جدّا، فعند ذلك جمع معاوية أمراءه، و استشارهم فى السير إلى مصر، فاستجابوا له؛ و عيّن نيابتها لعمرو بن العاص إذا فتحها، ففرح بذلك عمرو، فكتب معاوية إلى مسلمة بن مخلّد و معاوية بن خديج- و هما رؤساء العثمانية ببلاد مصر- يخبرهم بقدوم الجيش إليهم سريعا، فأجابوه، فجهّز معاوية عمرو بن العاص فى ستة آلاف، فسار إليها، و اجتمعت عليه العثمانيّة و هم عشرة آلاف. فكتب عمرو إلى محمد بن أبى بكر: أن تنحّ عنّى بدمك، فإنّى لا أحبّ أن يصيبك منّى ظفر، و إنّ الناس قد اجتمعوا بهذه البلاد على خلافك. فأغلظ محمد بن أبى بكر لعمرو فى الجواب، و ركب فى ألفى فارس من المصريّين، فأقبل عليه الشاميّون، فأحاطوا به من كلّ جانب، و تفرّق عنه المصريون، و هرب هو فاختفى فى خربة، و دخل عمرو بن العاص فسطاط مصر، ثمّ دلّ على محمد بن أبى بكر، فجىء به؛ و قد كاد يموت عطشا، فقدّمه معاوية بن حديج فقتله، ثمّ جعله فى جيفة حمار، فأحرقه بالنار؛ و ذلك فى صفر سنة ثمان و ثلاثين.

و كتب عمرو بن العاص إلى معاوية يخبره بما كان من الأمر، و أنّ اللّه قد فتح عليه بلاد مصر، فأقام عمرو أميرا بمصر إلى أن مات بها ليلة عيد الفطر سنة ثلاث و أربعين على المشهور، و دفن بالمقطّم، من ناحية الفجّ؛ و كان طريق الناس يومئذ إلى الحجاز، فأحبّ أن يدعو له من مرّ به؛ و هو أوّل أمير مات بمصر.

و فى ذلك يقول عبد اللّه بن الزّبير:

أ لم تر أنّ الدهر أخنت ريوبهعلى عمرو السّهميّ تجبى له مصر

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۸ فأضحى نبيذا بالعراء و ضلّلتمكائده عنه و أمواله الدّثر

و لم يغن عنه جمعه المال برهؤ و لا كيده حتّى أتيح له الدّهر

فلما مات عمرو بن العاص ولّى معاوية على ديار مصر ولده عبد اللّه بن عمرو.

قال الواقدىّ: فعمل له عليها سنتين. و قال غيره: بل أشهرا. ثمّ عزله و ولّى عتبة بن أبى سفيان.

ثمّ عزله و ولّى عقبة بن عامر سنة أربع و أربعين، فأقام إلى سنة سبع و أربعين فعزله.

و ولّى معاوية بن حديج، فأقام إلى سنة خمسين، فعزله.

و ولّى مسلمة بن مخلّد و جمعت له مصر و المغرب ؛ و هو أوّل وال جمع له ذلك.

قال ابن عبد الحكم: حدّثنا عبد الملك بن مسلمة، عن ابن لهيعة عن بعض شيوخ أهل مصر، قال: أوّل كنيسة بنيت بفسطاط مصر الكنيسة التى خلف القنطرة أيّام مسلمة بن مخلّد، فأنكر ذلك الجند على مسلمة، و قالوا له: أ تقرّ لهم أن يبنوا الكنائس! حتّى كاد يقع بينهم و بينه شرّ، فاحتجّ عليهم مسلمة يومئذ. فقال: إنّها ليست فى قيروانكم، و إنّما هى خارجة فى أرضهم، فسكتوا عند ذلك.

فأقام مسلمة أميرا إلى سنة تسع و خمسين.

و كان عبد الرحمن بن عبد اللّه بن عثمان بن ربيعة الثقفىّ المشهور بابن أم الحكم- و أمّ الحكم هى أخت معاوية- أميرا على الكوفة، فأساء السيرة فى أهلها، فأخرجوه من بين أظهرهم طريدا، فرجع إلى خاله معاوية، فقال: لأولينّك مصر خيرا منها، فولّاه مصر، فلمّا سار إليها تلقّاه معاوية بن حديج على مرحلتين من مصر، فقال: ارجع إلى خالك، فلعمرى لا تسير فينا سيرتك فى أهل الكوفة، فرجع ابن أمّ الحكم و لحقه معاوية بن حديج وافدا على معاوية. فلمّا دخل عليه وجده عند أخته أمّ الحكم- و هى أم عبد الرحمن الذى طرده عن مصر- فلما رآه معاوية، قال: بخ بخ! هذا معاوية بن حديج؛ فقالت أمّ الحكم: لا مرحبا! تسمع بالمعيدىّ خير من أنّ تراه. فقال معاوية

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۹

ابن حديج: على رسلك يا أمّ الحكم، أما و اللّه لقد تزوجت فما أكرمت، و ولدت فما أنجبت؛ أردت أن يلى ابنك الفاسق علينا، فيسير فينا كما سار فى أهل الكوفة، فما كان اللّه ليريه ذلك، و لو فعل لضربنا ابنك ضربا يطأطئ منه- و إن كره هذا الجالس- فالتفت إليها معاوية، فقال: كفى؛ فاستمرّ مسلمة على إمرة مصر إلى أن مات فى خلافة يزيد فى ذى الحجة سنة اثنتين و ستين.

فولى بعده سعيد بن يزيد بن علقمة الأزدىّ.

فلما ولى الزبير الخلافة بعد موت يزيد، و ذلك فى سنة أربع و ستّين، استناب على مصر عبد الرحمن بن قحزم القرشىّ الفهرىّ، فقصد مروان مصر و معه عمرو بن سعيد الأشدق فقاتل عبد الرحمن، فهزم عبد الرحمن و هرب.

و دخل مروان إلى مصر، فتملّكها، و جعل عليها ولده عبد العزيز، و ذلك فى سنة خمس و ستّين، فلم يزل أميرا بها عشرين سنة. و كان أبوه جعل إليه عهد الخلافة بعد عبد الملك، فكتب إليه عبد الملك يستنزله عن العهد الذى له من بعده لولده الوليد فأبى عليه. ثمّ إنه مات من عامه.

قال ابن عبد الحكم: وقع الطّاعون بالفسطاط، فخرج عبد العزيز إلى حلوان، و كان ابن حديج يرسل إليه فى كلّ يوم بخبر ما يحدث فى البلد من موت و غيره، فأرسل إليه ذات يوم رسولا- فأتاه، فقال له عبد العزيز: ما اسمك؟ قال: أبو طالب، فثقل ذلك على عبد العزيز و غاظه، فقال: أسألك عن اسمك فتقول: أبو طالب! ما اسمك؟ قال: مدرك، فتفاءل عبد العزيز بذلك فمرض، فدخل نصيب الشاعر فأنشأ يقول:

و نزور سيّدنا و سيّد غيرناليت التّشكّى كان بالعوّاد

لو کان یقبل فدیة لفدیتهبالمصطفی من طارفی و تلادی

فأمر له بألف دینار، ثمّ مات عبد العزیز بحلوان، فحمل فی البحر إلی الفسطاط، و دفن بمقبرتها.

و کانت وفاته لیلة الاثنین ثانی عشر جمادی الأولی سنة ست و ثمانین. و کتب علی قصره بحلوان:

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۰ أین ربّ القصر الّذی شیّد القصر، و أین العبید و الأجناد؟

أین تلک الجموع و الأمر و النّهی و أعوانهم، و أین السواد؟

و قال عمر بن أبی الجدیر العجلانیّ یرثی عبد العزیز بن مروان و ابنه أبا زبّان:

أبعدک یا عبد العزیز لحجّةو بعد أبی زبّان یستعتب الدّهر

فلا صلحت مصر لحیّ سواکماو لا سقیت بالنّیل بعدکما مصر

فأمر بعده عبد الملک، فأقام شهرا إلّا لیلة، ثمّ صرف و ولّی بعده ابنه عبد اللّه بن أمیر المؤمنین عبد الملک. قال اللیث بن سعد: و کان حدثا، و کان أهل مصر یسمّونه نکیس، و هو أوّل من نقل الدواوین إلی العربیة؛ و إنّما کانت بالعجمیّة، و هو أوّل من نهی الناس عن لباس البرانس، فأقام إلی التسعین، فعزله أخوه الولید.

و ولّی قرّة بن شریک العبسیّ، فقدمها یوم الاثنین ثالث عشر ربیع الأوّل، و فی ذلک یقول الشاعر:

عجبا ما عجبت حین أتاناأن قد أمّرت قرّة بن شریک

و عزلت الفتی المبارک عنّاثمّ قیّلت فیه رأی أبیک

و کان قرّة ظلوما عسوفا، قیل: کان یدعو بالخمر و الملاهی فی جامع مصر؛ أخرج أبو نعیم فی الحلیة، قال: قال عمر بن عبد العزیز: الولید بالشام، و الحجّاج بالعراق، و قرّة بمصر، و عثمان بن حیّان بالحجاز. امتلأت و اللّه الأرض جورا!

و قال ابن عبد الحکم: أنبأنا سعید بن عفیر، أنّ عمال الولید بن عبد الملک کتبوا إلیه أنّ بیوت الأموال قد ضاقت من مال الخمس؛ فکتب إلیهم: أن ابنوا المساجد، فأوّل مسجد بنی بفسطاط مصر المسجد الذی فی أصل حصن الروم عند باب الرّیحان قبالة الموضع الذی یعرف بالقالوس یعرف بمسجد العیلة ، فأقام قرّة والیا بمصر إلی أن مات سنة ستّ و تسعین .

فولی بعده عبد الملک بن رفاعة القینیّ، فأقام سنة تسع و تسعین.

ثمّ ولی أیوب بن شرحبیل الأصبحیّ فأقام إلی سنة إحدی و مائة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۱

ثمّ ولی بشر بن صفوان الکلبیّ فأقام إلی سنة ثلاث و مائة.

ثمّ ولی أخوه حنظلة فأقام إلی سنة خمس و مائة.

ثمّ ولی محمّد بن عبد الملک أخو هشام بن عبد الملک الخلیفة.

ثمّ ولی الحرّ بن یوسف.

ثمّ ولی حفص بن الولید، فأقام إلی آخر سنة ثمان و مائة.

و ولی بعده سنة تسع و مائة عبد الملک بن رفاعة، و صرف فی السنة.

و ولی أخوه الولید، فأقام إلی أن توفّی سنة تسع عشرة.

و ولی بعده عبد الرحمن بن خالد الفهمیّ، فأقام سبعة أشهر، و صرف، و أعید حنظلة بن صفوان فی سنة عشرین، ثمّ صرف و أعید حفص بن الولید، فأقام ثلاث سنین ثمّ صرف.

و ولی بعده سنة سبع و عشرین حسان بن عتاهیة التّجیبیّ.

ثم أعید حفص بن الولید، و عزل عنها سنة ثمان و عشرین.

و ولى الحوثرة بن سهيل الباهلىّ.

ثمّ ولى المغيرة بن عبيد الفزارىّ سنة إحدى و ثلاثين.

ثمّ ولى عبد الملك بن مروان مولى لخم سنة اثنتين و ثلاثين و مائة.

*** ثمّ لمّا قامت الدولة العباسية، و قام السفّاح، و انهزم مروان الحمار، و هرب إلى الديار المصريّة، ولّى السّفاح نيابة الشام و مصر صالح بن علىّ بن عبد اللّه بن عبّاس، فسار صالح حتّى قتل مروان ببوصير فى ذى الحجّة سنة اثنتين و ثلاثين و مائة، ثمّ رجع إلى الشّام و استخلف على مصر أبا عون عبد الملك بن أبى يزيد الأزدىّ، فأقام إلى سنة ستّ و ثلاثين.

ثمّ أعيد صالح بن علىّ ثمّ صرف، و أعيد أبو عون سنة سبع و ثلاثين، فأقام إلى سنة إحدى و أربعين.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۲

ثمّ ولى بعده موسى بن كعب التميمىّ، فأقام سبعة أشهر و مات .

و ولى محمّد بن الأشعث الخزاعىّ، ثمّ عزل سنة اثنتين و أربعين.

و ولى نوفل بن الفرات، ثمّ عزل نوفل .

و ولى حميد بن قحطبة الطائىّ، ثمّ صرف سنة أربع و أربعين.

و ولى يزيد بن حاتم المهلبىّ ، فأقام إلى سنة اثنتين و خمسين فعزل.

و ولى محمّد بن سعيد ، فأقام إلى أن استخلف المهدىّ، فعزله فى سنة تسع و خمسين. و ولّى أبا ضمرة محمد بن سليمان، كذا فى تاريخ ابن كثير و أمّا الجزّار فقال: إنّه ولى بعد يزيد بن حاتم عبد اللّه بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج التّجيبىّ.

ثمّ ولى بعده أخوه فأقام سنة و شهرين.

ثم ولى بعده موسى بن علىّ اللّخمى سنة خمس و خمسين، فأقام إلى سنة إحدى و ستين.

ثمّ ولى عيسى بن لقمان اللخمى .

ثم ولى واضح مولى المنصور سنة اثنتين و ستّين.

ثمّ صرف من عامه و ولى منصور بن يزيد الحميرىّ.

ثمّ ولى بعده يحيى بن داود أبو صالح الخرسىّ .

ثمّ ولى سالم بن سوادة التميمىّ سنة أربع و ستين.

ثم ولى إبراهيم بن صالح العباسىّ سنة خمس و ستين .

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۳

ثم ولى موسى بن مصعب مولى خثعم.

ثمّ ولى الفضل بن صالح العباسىّ سنة تسع و ستين.

ثم ولى علىّ بن سليمان العباسىّ من السنة.

ثمّ ولى موسى بن عيسى العباسى.

ثمّ عزل سنة اثنتين و سبعين. و ولى مسلمة بن يحيى الأزدىّ.

ثمّ ولى محمد بن زهير الأزدىّ سنة ثلاث و سبعين.

ثمّ ولى داود بن يزيد المهلبىّ سنة أربع و سبعين.

ثم أعيد موسى بن عيسى سنة خمس و سبعين، ثمّ عزله الرشيد سنة ستّ و سبعين.

و ولى عليها جعفر بن يحيى البرمكى، فاستناب عليها عمر بن مهران- و كان شيعيّا زرىّ الشكل أحول- و كان سبب ذلك أنّ الرشيد

بلغه أنّ موسى بن عيسى عزم على خلعه، فقال: و اللّه لأولّينّ عليها أخسّ الناس، فاستدعى عمر بن مهران، ولّاه عليها نيابة عن جعفر، فسار عمر إليها على بغل، و غلامه أبو درّة على بغل آخر، فدخلها كذلك، فانتهى إلى مجلس موسى بن عيسى، فجلس فى أخريات النّاس، حتّى انفضّوا فأقبل عليه موسى بن عيسى، و هو لا يعرف من هو، فقال: أ لك حاجة يا شيخ؟ قال:

نعم، أصلح اللّه الأمير! ثمّ مال بالكتب، فدفعها إليه، فلمّا قرأها قال: أنت عمر بن مهران؟ قال: نعم، قال: لعن اللّه فرعون حين قال: أَ لَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ [الزخرف:

۵۱]، ثمّ سلّم إليه العمل و ارتحل منها.

ثمّ فى سنة سبع و سبعين عزل الرشيد جعفرا عن مصر، و ولّى عليها إسحاق بن سليمان ، كذا فى تاريخ ابن كثير و غيره.

و ذكر الأديب أبو الحسين الجزّار فى أرجوزته فى أمراء مصر خلاف ذلك؛ فإنّه قال: أعيد موسى بن عيسى سنة خمس و سبعين. ثم أعيد إبراهيم بن صالح العباسىّ سنة ستّ و سبعين، ثمّ ولى عبد اللّه بن المسيب الضبىّ.

ثمّ ولى إسحاق بن سليمان العباسى سنة سبع و سبعين. كذا قال و اللّه أعلم.

ثم عزل إسحاق سنة ثمان و سبعين و ولى هرثمة بن أعين، فأقام نحوا من شهر.

ثمّ عزل و ولى عبد الملك بن صالح العباسىّ، فأقام إلى سلخ سنة ثمان و سبعين.

و ولى عبيد اللّه بن مهدىّ العباسىّ سنة تسع و سبعين.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۴

ثم أعيد موسى بن عيسى سنة ثمانين.

ثم أعيد عبيد اللّه المهدىّ، و صرف فى رمضان سنة إحدى و ثمانين.

و ولى إسماعيل بن صالح العباسىّ.

ثم ولى إسماعيل بن عيسى سنة اثنتين و ثمانين، ثمّ صرف و ولى الليث بن الفضل البيروذىّ.

ثمّ ولى أحمد بن إسماعيل العباسىّ سنة سبع و ثمانين.

ثم ولى عبد اللّه بن محمد العباسىّ.

ثم ولى الحسين بن حمل الأزدى سنة تسعين.

ثمّ ولى مالك بن دلهم الكلبىّ سنة اثنتين و تسعين.

ثمّ ولى الحسن بن التختاخ سنة ثلاث و تسعين.

ثمّ ولى حاتم بن هرثمة بن أعين.

ثمّ صرف فى سنة خمس و تسعين. و ولى جابر بن الأشعث الطائىّ.

ثمّ ولى عباد بن نصر الكندىّ سنة ستّ و تسعين.

ثمّ ولى المطّلب بن عبد اللّه الخزاعىّ سنة ثمان و تسعين.

ثمّ ولى العباس بن موسى فى السنة.

ثمّ أعيد المطّلب سنة تسع و تسعين.

ثمّ ولى السرىّ بن الحكم سنة مائتين.

ثمّ ولى سليمان بن غالب سنة إحدى.

ثمّ أعيد السرىّ بن الحكم فى السّنة، فمات فى سنة خمس و مائتين، فولى بعده أبو نصر محمد بن السرىّ.

ثمّ تغلّب عليها عبيد اللّه بن السرىّ فى سنة ست، فأقام إلى سنة عشر، فوجّه إليه المأمون عبد اللّه بن طاهر فاستنقذها منه بعد حروب

یطول ذکرها.

و قد ذکر الوزیر أبو القاسم المغربیّ: أنّ البطیخ العبد لاویّ الذی بمصر منسوب إلی عبد اللّه بن طاهر هذا، قال ابن خلّکان: إمّا لأنه کان یستطیبه، أو لأنه أوّل من زرعه بها.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۵

ثمّ ولی بعده عیسی بن یزید الجلودیّ.

ثمّ فی سنة ثلاث و عشرین و مائتین ثار رجلان بمصر، و هما عبد السلام و ابن جلیس، فخلعا المأمون، و استحوذا علی الدیار المصریة، و تابعهما طائفة من القیسیّة و الیمانیّة فولّی المأمون أخاه أبا إسحاق بن الرشید نیابة مصر مضافة إلی الشام، فقدمها سنة أربع عشرة، و افتتحها، و قتل عبد السلام و ابن جلیس، و أقام بمصر.

ثمّ ولی علیها عمیر بن الولید التمیمیّ.

ثم صرف و أعید عیسی بن یزید الجلودیّ.

ثمّ ولی عبدویه بن جبلة سنة خمس عشرة.

ثمّ ولی عیسی بن منصور مولی بنی نصر، و فی أیّامه قدم المأمون مصر فی سنة ستّ عشرة .

ثمّ ولی نصر بن کیدر السعیدیّ سنة تسع عشرة.

ثمّ ولی المظفّر بن کیدر.

ثمّ ولی موسی بن أبی العباس الحنفیّ.

ثمّ ولی مالک بن کیدر سنة أربع و عشرین و مائتین.

ثمّ أعید عیسی بن منصور ثانیة سنة تسع و عشرین.

ثمّ ولی هرثمة بن النّضر الجبلیّ سنة ثلاث و ثلاثین.

ثمّ ولی ابنه حاتم فی السنة، فأقام شهرا.

ثمّ ولی علیّ بن یحیی سنة أربع و ثلاثین.

ثمّ ولی أخوه إسحاق بن یحیی الجبلیّ سنة خمس و ثلاثین.

ثمّ ولی عبد الواحد بن یحیی، مولی خزاعة سنة ستّ و ثلاثین.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۶

ثمّ ولی عنبسة بن إسحاق الضّبی سنة ثمان و ثلاثین، ثمّ عزل و ولی یزید بن عبد اللّه من الموالی سنة اثنتین و أربعین.

ثمّ ولی مزاحم بن خاقان سنة ثلاث و خمسین .

ثمّ ولی ابنه أحمد فی السنة.

ثمّ ولی أزجور الترکیّ فی السنة، ثمّ صرف فیها أیضا.

*** و ولی أحمد بن طولون الترکیّ، ثمّ أضیفت إلیه نیابة الشّام و العواصم و الثغور و إفریقیّة، فأقام مدّة طویلة، و فتح مدینة أنطاکیة، و بنی بمصر جامعه المشهور، و کان أبوه طولون من الأتراک الذین أهداهم نوح بن أسد السامانیّ- عامل بخاری- إلی المأمون فی سنة مائتین- و یقال إلی الرشید فی سنة تسعین و مائة- و ولد ابنه أحمد فی سنة أربع عشرة- و قیل سنة عشرین و مائتین- و مات طولون سنة ثلاثین، و قیل سنة أربعین. و حکی ابن عساکر عن بعض مشایخ مصر أنّ طولون لم یکن أبا أحمد؛ و إنما تبنّاه، و أمّه جاریة ترکیّة اسمها هاشم، و کان الأتراک طلبوا منه أن یقتل المستعین، و یعطوه واسطا فأبی و قال: و اللّه لا تجرّأت علی قتل أولاد الخلفاء فلمّا ولی مصر، قال: لقد وعدنی الأتراک إن قتلت المستعین أن یولّونی واسطا، فخفت اللّه و لم أفعل، فعوّضنی ولایة مصر و

الشّام وسعة الأحوال.

قال محمد بن عبد الملک الهمدانیّ فی کتاب عنوان السیر: قال بعض أهل مصر:

جلسنا فی دکّان، و معنا أعمی یدّعی علم الملاحم- و ذلک قبل دخول أحمد بن طولون بساعة- فسألناه عمّا یجده فی الکتب لأجله، فقال: هذا رجل من صفته کذا و کذا، یتقلّد هو و ولده قریبا من أربعین سنة؛ فما تمّ کلامه حتّی اجتاز أحمد، فکانت صفته و ولایته و ولایة ولده کما قال.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۷

و قال بعض أصحابه: ألزمنی ابن طولون صدقاته، و کانت کثرة، فقله له یوما:

ربما امتدّت إلیّ الید المطوّقة بالجوهر، و المعصم ذو السّوار، و الکمّ الناعم، أفأمنع هذه الطبقة؟ فقال: هؤلاء المستورون الّذین یحسبهم الجاهل أغنیاء من التعفّف، احذر أن تردّ یدا امتدّت إلیک، و اعط من استعطاک، فعلی اللّه تعالی أجره؛ و کان یتصدّق فی کلّ أسبوع بثلاثة آلاف دینار سادة سوی الراتب، و یجری علی أهل المساجد فی کلّ شهر ألف دینار، و حمل إلی بغداد فی مدّة أیامه، و ما فرّق علی العلماء و الصالحین ألفی ألف دینار و مائتی ألف دینار، و کان خراج مصر فی أیامه أربعة آلاف دینار و ثلثمائة ألف دینار، و کان لابن طولون ما بین رحبة مالک بن طوق إلی أقصی المغرب.

و استمرّ ابن طولون أمیرا بمصر إلی أن مات بها لیلة الأحد لعشر خلون من ذی القعدة سنة سبعین و مائتین، و خلّف سبعة عشر ابنا. قال بعض الصوفیّة: و رأیته فی المنام بعد وفاته بحال حسنة، فقال: ما ینبغی لمن سکن الدّنیا أن یحقر حسنة فیدعها و لا سیئة فیأتیها، عدل بی عن النار إلی الجنّة بتثبتی علی متظلّم عیيّ اللّسان شدید التهیّب، فسمعت منه و صبرت علیه حتّی قامت حجّته، و تقدّمت بإنصافه، و ما فی الآخرة أشدّ علی رؤساء الدنیا من الحجاب لملتمس الإنصاف.

و ولی بعه ابنه أبو الجیش خمارویه، و أقام أیضا مدّة طویلة، ثمّ فی ذی الحجّة سنة اثنتین و ثمانین قدم البرید فأخبر المعتضد باللّه أنّ خمارویه ذبحه بعض خدمه علی فراشه و ولّوا بعده ولده جیش فأقام تسعة أشهر، ثمّ قتلوه و نهبوا داره، و ولّوا هارون بن خمارویه، و قد التزم فی کلّ سنة بألف ألف دینار و خمسمائة ألف دینار، تحمل إلی باب الخلیفة، فأقرّه المعتضد علی ذلک، فلم یزل إلی صفر سنة اثنتین و تسعین، فدخل علیه عمّاه شیبان و عدیّ ابنا أحمد بن طولون، و هو ثمل فی مجلسه، فقتلاه ، و ولی عمّه أبو المغانم شیبان، فورد بعد اثنی عشر یوما من ولایته من قبل المکتفی ولایة محمد بن سلیمان الواثقیّ، فسلّم إلیه شیبان الأمر، و استصفی أموال آل طولون، و انقضت دولة الطولونیة عن الدیار المصریة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۸

و أقام محمد بن سلیمان بمصر أربعة أشهر، و ولی علیها بعده عیسی بن محمد الوشریّ فأقام والیا علیها خمس سنین و شهرین و نصفا، و مات سنة سبع و تسعین و مائتین، فولّی المقتدر أبا منصور تکین الخاصة ، ثمّ صرف فی سنة ثلاث و ثلثمائة، و ولی ذکاء أبو الحسن، ثمّ صرف و أعید تکین ثمّ صرف سنة تسع.

و ولی هلال بن بدر ثمّ صرف فی سنة إحدی عشرة.

و ولی أحمد بن کیغلغ ثم صرف من عامه، و أعید تکین الخاصّة، فأقام إلی أن مات سنة إحدی و عشرین و ثلثمائة، و ورد الخبر بموته إلی بغداد، و أنّ ابنه محمدا قد قام بالأمر من بعده، فسیّر إلیه القاهر الخلع بتنفیذ الولایة و استقرارها، ثمّ صرف.

و ولی أبو بکر محمر بن طغج الملقّب بالإخشید ، ثمّ صرف من عامه، و أعید أحمد بن کیغلغ، ثمّ صرف سنة ثلاث و عشرین.

و أعید محمد بن طغج الإخشیدیّ، و فی هذا الوقت کان تغلّب أصحاب الأطراف علیها لضعف أمر الخلافة و بطل معنی الوزارة، و صارت الدواوین تحت حکم الأمراء محمد بن رائق، و صارت الدّنیا فی أیدی عمّالها؛ فکانت مصر و الشام فی ید الإخشید؛ و الموصل و دیار بکر و دیار ربیعة و مضر فی أیدی بنی حمدان؛ و فارس فی ید علیّ بن بویه، و خراسان فی ید نصر بن أحمد، و

واسط و البصرة و الأهواز فی ید الیزیدیّ ، و کرمان فی ید محمد بن الیاس، و الرّیّ و أصفهان و الجبل فی ید الحسن بن بویه، و المغرب و إفریقیّة فی ید أبی عمرو الغسّانیّ، و طبرستان و جرجان فی ید الدّیلم، و البحرین و الیمامة و هجر فی ید أبی طاهر القرمطیّ؛ فأقام محمد بن طغج فی مصر إلی أن مات فی ذی الحجّة سنة أربع و ثلاثین و ثلثمائة .

و قام ابنه أبو القاسم أنوجور- قال الذهبیّ فی العبر: و معناه بالعربیة: محمود مقامه- و کان صغیرا، فأقیم کافور الإخشید الخادم الأسود أتابکا، فکان یدبّر المملکة فاستمرّ إلی سنة تسع و أربعین.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۹

فمات أنوجور، و قام بعده أخوه علیّ، فاستمرّ إلی أن مات سنة خمس و خمسین؛ فاستقرّت المملکة باسم کافور یدعی له علی المنابر بالبلاد المصریة و الشامیّة و الحجاز، فأقام سنتین و أربعة أشهر، و مات بمصر فی جمادی الأولی سنة سبع و خمسین. قال الذهبیّ: کان کافور خصیّا حبشیّا، اشتراه الإخشید من بعض أهل مصر بثمانیة عشر دینارا ثمّ تقدّم عنده لعقله و رأیه إلی أن صار من کبار القوّاد، ثم لمّا مات أستاذه کان أتابک ولده أنوجور، و کان صبیّا؛ فغلب کافور علی الأمور، و صار الاسم للولد، و الدّست لکافور، ثمّ استقلّ بالأمر، و لم یبلغ أحد من الخصیان ما بلغ کافور و مؤنس المظفّریّ الذی ولی سلطنة العراق، و مدحه المتنبّی بقوله:

قواصد کافور توارک غیرهو من قصد البحر استقلّ السواقیا

فجاءت بنا إنسان عین زمانهو خلّت بیاضا خلفها و مآقیا

و هجاه بقوله:

من علّم الأسود المخصیّ مکرمةأقومه البیض أم آباؤه الصّید؟

و ذاک أنّ الفحول البیض عاجزةعن الجمیل، فکیف الخصیة السّود!!

و قال محمد بن عبد الملک الهمدانیّ: کان بمصر واعظ یقصّ علی الناس، فقال یوما فی قصصه: انظروا إلی هوان الدنیا علی اللّه تعالی، فإنّه أعطاها لمقصوصین ضعیفین: ابن بویه ببغداد و هو أشلّ، و کافور عندنا بمصر و هو خصیّ؛ فرفعوا إلیه قوله و ظنّوا أنّه یعاقبه، فتقدّم له بخلعة و مائة دینار، و قال: لم یقل هذا إلّا لجفائی له، فکان الواعظ یقول بعد ذلک فی قصصه: ما أنجب من ولد حام إلّا ثلاثة: لقمان، و بلال المؤذّن، و کافور.

و قال أبو جعفر مسلم بن عبد اللّه بن طاهر العلویّ: کنت أساید کافور یوما، و هو فی موکب خفیف، فسقطت مقرعته من یده، فبادرت بالنزول، و أخذتها من الأرض و دفعتها إلیه، فقال: أیّها الشریف؛ أعوذ باللّه من بلوغ الغایة، ما ظننت أنّ الزمان یبلغنی حتّی یفعل بی هذا- و کاد یبکی- أنا صنیعة الأستاذ، و ولیّه، فلمّا بلغ باب داره ودّعته و سرت، فإذا أنا بالبغال و الجنائب بمراکبها، و قال أصحابه: أمر الأستاذ بحمل هذا إلیک، و کان ثمنها یزید علی خمسة عشر ألف دینار.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۰

و لمّا مات کافور ولّی المصریّون مکانه أبا الفوارس أحمد بن علیّ بن الإخشید و هو ابن اثنتین و عشرین سنة، فأقام شهورا حتّی أتی جوهر القائد من المغرب فانتزعها منه.

ذکر أمراء مصر من بنی عبید

لما توفّی کافور الإخشیدیّ لم یبق بمصر من تجتمع القلوب علیه، و أصابهم غلاء شدید أضعفهم؛ فلمّا بلغ ذلک المعزّ أبا تمیم معدّ بن المنصور إسماعیل، و هو ببلاد إفریقیّة بعث مولی أبیه جوهر ؛ و هو القائد الرومیّ، فی مائة ألف مقاتل، فدخلوا مصر فی یوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ثمان و خمسین و ثلثمائة، فهرب أصحاب کافور، و أخذ جوهر مصر بلا ضربة و لا طعنة و لا ممانعة، فخطب جوهر للمعزّ یوم الجمعة علی منابر الدیار المصریة و سائر أعمالها، و أمر المؤذنین بجامع عمرو و بجامع ابن طولون أن یؤذّنوا بحیّ

على خير العمل، فشقّ ذلك على الناس، و ما استطاعوا له ردّا، و صبروا لحكم اللّه، و شرع فى بناء القاهرة و القصرين و الجامع الأزهر، و أرسل بشيرا إلى المعزّ يبشّره بفتح الديار المصرية و إقامة الدعوة له بها، و طلبه إليها. ففرح المعزّ بذلك، و امتدحه شاعره محمد بن هانىء الأندلسى بقصيدة أوّلها:

يقول بنو العبّاس: هل فتحت مصر؟فقل لبنى العبّاس: قد قضى الأمر

و ابن هانىء هذا قد كفّره غير واحد من العلماء، منهم القاضى عياض فى الشفاء لمبالغاته فى مدائحه، من ذلك قوله فى المعزّ:

ما شئت لا ما شاءت الأقدارفاحكم فأنت الواحد القهّار

و قوله:

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۱ أ مديرها من حيث دار لطالمازاحمت تحت ركابه جبريلا

ثم توجّه المعزّ من المغرب فى شوّال سنة إحدى و ستين، فوصل الإسكندرية فى شعبان سنة اثنتين و ستين، و تلقّاه أعيان مصر إليها، فخطب هناك خطبة بليغة، و جلس قاضى مصر أبو الطّاهر الذّهلىّ إلى جنبه، فسأله: هل رأيت خليفة أفضل منّى؟ فقال: لم أر أحدا من الخلائف سوى أمير المؤمنين؛ فقال له: أحججت؟ قال:

نعم، قال: وزرت قبر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم؟ قال: نعم، قال: و قبر أبى بكر و عمر؟ قال:

فتحيّرت ما ذا أقول! ثم نظرت فإذا ابنه قائم مع كبار الأمراء، فقلت: شغلنى عنهما رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كما شغلنى أمير المؤمنين عن السلام على وليّ العهد، و نهضت إليه فسلّمت عليه، و رجعت فانفسح المجلس إلى غيره، ثمّ صار من الإسكندرية إلى مصر، فدخلها فى خامس رمضان ، فنزل بالقصرين، فكان أوّل حكومة انتهت إليه أنّ امرأة كافور الإخشيديّ تقدّمت إليه، فذكرت له أنّها كانت أودعت رجلا من اليهود الصوّاغ قباء من لؤلؤ منسوج بالذهب، و أنّه جحد ذلك، فاستحضره و قرّره، فأنكر اليهودىّ، فأمر أن تفتّش داره، فوجد القباء قد جعله فى جرّة، و دفنها فيها. فدفعه المعزّ إليها، فقدّمته إليه، و عرضته عليه، فأبى أن يقبله منها، و ردّه عليها، فاستحسن ذلك منه الحاضرون من مؤمن و كافر، و سار إليه الحسن بن أحمد القرمطىّ فى جيش كثيف، و أنشد يقول:

زعمت رجال الغرب أنّى هبتهمفدمى إذن ما بينهم مطلول

يا مصر إن لم أسق أرضك من دميروى ثراك فلا سقانى النّيل

و التفّت معه أمير العرب ببلاد الشام، و هو حسّان بن الجرّاح الطائى فى عرب الشام، لينزعوا مصر منه، و ضعف جيش المعزّ عن مقاومتهم. فراسل حسّان، و وعده بمائة ألف دينار، إن هو خذّل بين الناس، فأرسل إليه؛ أن ابعث إلىّ بما التزمت، و تعال بمن معك، فإذا التقينا انهزمت بمن معى. فأرسل إليه المعزّ مائة ألف دينار فى أكياس أكثرها زغل ضرب النحاس، و لبّسه الذهب، و جعله فى أسفل الأكياس و وضع فى رؤوس الأكياس الدّنانير الخالصة، و ركب فى أثرها بجيشه، فالتقى النّاس، فلمّا نشبت الحرب بينهم، انهزم حسّان بالعرب، فضعف جانب القرمطىّ، و قوى عليه المعزّ

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۲

فكسره، و استمرّ المعزّ بالقاهرة إلى أن مات فى ربيع الآخر سنة خمس و ستين. و كان منجّمة قال له فى فى السنة التى قبلها: إنّ عليك قطعا فى هذه السنة فتوار عن وجه الأرض حتّى تنقضى هذه المدّة؛ فعمل له سردابا، و دعا الأمراء و أوصاهم بولده نزار، و لقّبه العزيز، و فوّض إليه الأمر حتّى يعود، فبايعوه على ذلك، و دخل ذلك السرداب، فتوارى فيه سنة، فكانت المغاربة إذا رأى الفارس منهم سحابا ساريا ترجّل عن فرسه، و أومى إليه بالسلام، ظانّين أنّ المعزّ فى ذلك الغمام. ثمّ برز إلى النّاس بعد مضىّ سنة، و جلس للحكم على عادته، فعاجله اللّه فى هذه السنة. و ولى بعده ابنه العزيز أبو منصور نزار، فأقام إلى أن مات سنة ستّ و ثمانين و ثلاثمائة.

و من غرائبه أنّه استوزر رجلا- نصرانيّا يقال له عيسى بن نسطورس، و آخر يهوديّا اسمه ميشا ، فعزّ بسببهما اليهود و النصارى على المسلمين فى ذلك الزمان، حتّى كتبت إليه امرأة فى قصّة فى حاجة لها تقول: بالذى أعزّ النصارى بعيسى بن نسطورس، و اليهود

بميشا، و أذلّ المسلمين بك؛ لما كشفت عن ظلامتى ! فعند ذلك أمر بالقبض على هذين، و أخذ من النّصرانىّ ثلثمائة ألف دينار، و ولّى بعده ابنه الحاكم ، فكان شرّ الخليفة، لم يل مصر بعد فرعون شرّ منه؛ رام أن يدّعى الإلهيّة كما ادّعاها فرعون، فأمر الرعيّة إذا ذكره الخطيب على المنبر أن يقوموا على أقدامهم صفوفا إعظاما لذكره، و احتراما لاسمه؛ فكان يفعل ذلك فى سائر ممالكه حتّى فى الحرمين الشريفين. و كان أهل مصر على الخصوص إذا قاموا خرّوا سجّدا؛ حتّى أنّه يسجد بسجودهم فى الأسواق الرّعاع و غيرهم. و كان جبّارا عنيدا، و شيطانا مريدا، كثير التلوّن فى أقواله و أفعاله، هدم كنائس مصر ثمّ أعادها، و خرّب قمامة ثمّ أعادها، و لم يعهد فى ملّة الإسلام بناء كنيسة فى بلد الإسلام قبله و لا بعده إلا ما سنذكره.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۳

و قد نقل السّبكىّ الإجماع على أنّ الكنيسة إذا هدمت و لو بغير وجه لا تجوز إعادتها.

و من قبائح الحاكم أنّه ابتنى المدارس، و جعل فيها الفقهاء و المشايخ، ثمّ قتلهم و خرّبها، و ألزم الناس بإغلاق الأسواق نهارا و فتحها ليلا؛ فامتثلوا ذلك دهرا طويلا حتّى اجتاز مرّة بشيخ يعمل التجارة فى أثناء النهار، فوقف عليه، و قال: أ لم ننهكم عن هذا! فقال: يا سيّدى، أما كان الناس يسهرون لما كانوا يتعيشون بالنّهار؟ فهذا من جملة السهر. فتبسّم و تركه. و أعاد النّاس إلى أمرهم الأوّل. و كان يعمل الحسبة بنفسه يدور فى الأسواق على حمار له، و كان لا يركب إلّا حمارا، فمن وجده قد غشّ فى معيشته أمر عبدا أسود معه يقال له مسعود أن يفعل به الفاحشة العظمى. و كان منع النساء من الخروج من منازلهنّ، و أن يطلعن من الطاقات أو الأسطحة، و منع الخفّافين من عمل الأخفاف لهنّ، و منعهنّ من دخول الحمّامات، و قتل خلقا من النساء على مخالفته فى ذلك، و هدم بعض الحمامات عليهنّ، و منع من طبخ الملوخيا. و له رعونات كثيرة لا تنضبط، فأبغضه الخلق، و كتبوا له الأوراق بالشتم له و لأسلافه فى صورة قصص، حتّى عملوا صورة امرأة من ورق بخفّها و إزارها، و فى يدها قصّة فيها من الشّتم شىء كثير، فلمّا رآها ظنّها امرأة، فذهب من ناحيتها و أخذ القصّة من يدها، فلمّا رأى ما فيها غضب، و أمر بقتلها؛ فلمّا تحقّقها من ورق، ازداد غضبا إلى غضبه، و أمر العبيد من السّود أن يحرقوا مصر و ينهبوا ما فيها من الأموال و الحريم، ففعلوا، و قاتلهم أهل مصر قتالا عظيما ثلاثة أيام، و النار تعمل فى الدّور و الحريم. و اجتمع النّاس فى الجوامع، و رفعوا المصاحف، و جأروا إلى اللّه و استغاثوا به، و ما انجلى الحال حتّى احترق من مصر نحو ثلثها، و نهب نحو نصفها، و سبى حريم كثير و فعل بهنّ الفواحش. و اشترى الرّجال من سبى لهم من النساء و الحريم من أيدى العبيد.

قال ابن الجوزىّ: ثمّ زاد ظلم الحاكم، و عنّ له أن يدّعى الربوبيّة، فصار قوم من الجهّال إذا رأوه يقولون: يا واحد، يا أحد يا محيى يا مميت!

قلت: كان فى عصرنا أمير يقال له أزدمر الطويل، اعتقاده قريب من اعتقاد الحاكم هذا، و كان يروم أن يتولّى المملكة، فلو قدّر اللّه له بذلك فعل نحو ما فعله الحاكم و قد أطلعنى على ما فى ضميره، و طلب منّى أن أكون معه على هذا الاعتقاد فى الباطن إلى أن يؤول إلى السلطنة، فيقوم فى الخلق بالسيف حتّى يوافقوه على الاعتقاد. فضقت

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۴

بذلك ذرعا، و ما زلت أتضرّع إلى اللّه تعالى فى هلاكه، و ألّا يوليه على المسلمين، و استغاث بالنبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و أسأل فيه أرباب الأحوال حتّى قتله اللّه فللّه الحمد على ذلك!

ثمّ كان من أمر الحاكم أن تعدّى شرّه إلى أخته يتّهمها بالفاحشة، و يسمعها أغلظ الكلام، فعملت على قتله ، فركب ليلة إلى جبل المقطّم ينظر فى النجوم، فأتاه عبدان فقتلاه ، و حملاه إلى أخته ليلا فدفنته فى دارها، و ذلك سنة إحدى عشرة و أربعمائة.

و ولى بعده ابنه أبو الحسن علىّ، و لقّب الظاهر لإعزاز دين اللّه، فأقام إلى أن توفّى فى سنة سبع و عشرين و أربعمائة، و كانت سيرته جيّدة .

و ولی بعده ابنه أبو تمیم معدّ، و لقّب المستنصر و عمره سبع سنین، فطالت مدّته جدا فإنه أقام ستّین سنة، و لم یقم هذه المدّة خلیفة و لا ملک فی الإسلام قبله و لا بعده، و کانت وفاته سنة سبع و ثمانین و أربعمائة.

و ولی بعده ابنه أبو القاسم أحمد، و لقّب المستعلی، فأقام إلی أن توفّی فی ذی الحجّة سنة خمس و تسعین و أربعمائة.

و ولی بعده ابنه أبو علیّ منصور، و لقّب الآمر بأحکام اللّه. قال ابن میسر فی تاریخه: و لمّا توفّی المستعلی أحضر الأفضل أبا علیّ، و بایعه بالخلافة، و نصّ به مکان أبیه، و لقّبه بالآمر بأحکام اللّه، و کان له من العمر خمس سنین و شهر و أیام، فکتب ابن الصّیرفیّ الکاتب السجلّ بانتقال المستعلی و ولایة الآمر، و قرئ علی رؤوس کافة الأجناد و الأمراء، و أوّله:

من عبد اللّه و ولیّه أبی علیّ الآمر بأحکام اللّه أمیر المؤمنین بن الإمام المستعلی باللّه، إلی کافة أولیاء الدولة و أمرائها و قوّادها و أجنادها و رعایاها، شریفهم و مشروفهم، و آمرهم و مأمورهم، مغربیّهم و مشرقیّهم، أحمرهم و أسودهم، کبیرهم و صغیرهم؛ بارک اللّه فیهم. سلام علیکم فإنّ أمیر المؤمنین یحمد إلیکم اللّه الذی لا إله إلا هو، و یسأله أن یصلّی علی جدّه محمد خاتم النبیین، صلّی اللّه علیه و علی آله الطیّبین الطاهرین

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۵

الأئمة المهدیین، و سلّم تسلیما. أمّا بعد، فالحمد للّه المنفرد بالثّبات و الدوام الباقی علی تصرّم اللیالی و الأیّام، القاضی علی أعمار خلقه بالتقضّی و الانصرام، الجاعل نقض الأمور معقودا بکمال الإتمام، جاعل الموت حکما یستوی فیه جمیع الأنام، و منهلا لا یعتصم من ورده کرامة نبیّ و لا إمام، و القائل معزیّا لنبیّه و لکافة أمته: کُلُّ مَنْ عَلَیْها فانٍ وَ یَبْقی وَجْهُ رَبِّکَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِکْرامِ [الرحمن: ۲۷]، الذی استرعی الأئمة هذه الأمّة، و لم تخل الأرض من أنوارهم لطفا بعباده و نعمة، و جعلهم مصابیح الشّبه إذا غدت داجیة مدلهمّة، لتضیء للمؤمنین سبل الهدایة، و لا یکون أمرهم علیهم غمّة یحمده أمیر المؤمنین حمد شاکر علی ما نقله فیه من درج الإنافة، و نقله إلیه من میراث الخلافة، صابر علی الرّزیّة التی أطار هجومها الباب، و الفجیعة التی أطال طروقها الأسف و الاکتئاب، و یسأله أن یصلّی علی جدّه محمد خاتم أنبیائه و سیّد رسله و أمنائه، و مجلی غیاهیب الکفر و مکشف عمائه، الذی قام بما استودعه اللّه من أمانته، و حمّله من أعباء رسالته، و لم یزل هادیا إلی الإیمان، داعیا إلی الرحمن؛ حتّی أذعن المعاندون و أقرّ الجاحدون. و جاء الحق و ظهر أمر اللّه و هم کارهون؛ فحینئذ أنزل اللّه علیه إتماما لحکمته التی لا یعترضها المعترضون: ثُمَّ إِنَّکُمْ بَعْدَ ذلِکَ لَمَیِّتُونَ* ثُمَّ إِنَّکُمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ تُبْعَثُونَ [المؤمنون: ۱۵- ۱۶] صلّی اللّه علیه و علی أخیه و ابن عمّه أبینا أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب، الذی أکرمه اللّه بالمنزلة العلیّة، و انتخبه للإمامة رأفة بالبریّة، و خصّه بغوامض علم التنزیل، و جعل له مبرّة التعظیم و مزیّة التفضیل، و قطع بسیفه دابر من زلّ عن القصد، و ضلّ عن سواء السبیل، و علی الأئمة من ذریتهما العترة الهادیة من سلالتهما آبائنا الأبرار المصطفین الأخیار، ما تصرّفت الأقدار، و توالی اللیل و النهار.

و إنّ الإمام المستعلی باللّه أمیر المؤمنین قدّس اللّه روحه، کان ممّن أکرمه اللّه بالاصطفاء، و خصّه بشرف الاجتباء، و خصّه بشرف الاجتباء، و مکّن له فی بلاده، فامتدّت أفیاء عدله، و استخلفه فی أرضه، کما استخلف أباه من قبله، و أیّده بما استرعاه إیّاه بهدایته و إرشاده، و أمدّه بما استحفظه علیه بموادّ توفیقه و إسعاده، ذلک هدی اللّه یهدی به من یشاء من عباده. فلم یزل لأعلام الدین رافعا، و لشبه المضلّین دافعا، و لرایة العدل ناشرا، و بالندی غامرا و للعدوّ قاهرا. إلی أن استوفی المدّة المحسوبة، و بلغ الغایة الموهوبة؛ فلو کانت الفضائل تزید فی الأعمار، أو تحمی من ضروب الأقدار، أو تؤخّر ما سبق تقدیمه فی علم الواحد القهّار، لحمی نفسه النفیسة کریم مجدها و شریف سمتها، و کفاها خطیر منصبها، و عظیم هیبتها، و وقتها أفعالها التی تستقی من منبع الرسالة، و صانتها خلالها الّتی ترتقی إلی مطلع الجلالة؛ لکنّ الأعمار محرّرة مقسومة، و الآجال مقدّرة معلومة، و اللّه تعالی یقول، و بقوله یهتدی المهتدون: وَ لِکُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۶

فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ [يونس: ۴۹] فأمير المؤمنين يحتسب عند اللّه هذه الرزيّة التى عظم أمرها و فدح، و جرح خطبها و قدح، و غدت لها القلوب واجفة، و الآمال كاسفة، و مضاجع السكون منقضّة، و مدامع العيون مرفضّة، فإنّ للّه و إنّا إليه راجعون! صبرا على بلائه، و تسليما لأمره و قضائه، و اقتداء بمن أثنى عليه فى الكتاب: إِنَّا وَجَدْناهُ صابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ [ص: ۴۴].

و قد كان الإمام المستعلى باللّه قدّس اللّه روحه عند نقلته، جعل لى عقد الخلافة من بعده، و أودعنى ما حازه من أبيه عن جدّه، و عهد إلىّ أن أخلفه فى العالم، و أجرى الكافّة فى العدل و الإحسان على منهجه المتعالم، و أطلعنى من العلوم على السرّ المكنون، أفضى إلىّ من الحكمة بالغامض المصون، و أوصانى بالعطف على البريّة، و العمل فيهم بسيرتهم المرضيّة، على علمى بما جبلنى اللّه عليه من الفضل، و خصّنى به من إيثار العدل، و إنّنى فيما استرعيته سالك منهاجه، عامل بموجب الشرف الذى عصب اللّه لى تاجه، و كان ممن ألقاه إلىّ، و أوجبه علىّ، أنّ أعلى محلّ السيّد الأجلّ (الأفضل) ، من قلبه الكريم، و ما يجب له من التبجيل و التكريم. و إنّ الإمام المستنصر باللّه كان عندما عهد إليه، و نصّ بالخلافة عليه، أوصاه أن يتّخذ هذا السيد الأجلّ خليفة و خليلا، و يجعله للإمامة زعيما و كفيلا، و يغدق به أمر النّظر و التقرير، و يفوّض إليه تدبير ما وراء السرير، و إنّه عمل بهذه الوصيّة، و حذى على تلك الأمثلة النبويّة، و أسند إليه أحوال العساكر و الرعيّة، و ناط أمر الكافّة بعزمته الماضية، و همّته العليّة؛ فكان قلمه بالسّداد يرجف و لا يجفّ، و سيفه من دماء ذوى العناد يكف و لا يكفّ، و رأيه فى حسم مواد الفسّاد يرجح لا يخفّ، فأوصانى أن أجعله لى كما كان له صفيّا و ظهيرا، و أن لا أستر عنه فى الأمور صغيرا و لا كبيرا، و أن أقتدى به فى ردّ الأحوال إلى تكلّفه، و إسناد الأسباب إلى تدبيره و الناهض بباهظ الخطب و منتقله، إلى غير ذلك ممّا استودعنى إيّاه، و ألقاه إلىّ من النّص الذى يتضوّع نشره و ريّاه، نعمة من اللّه قضت لى بالسّعد العميم، و منّة شهدت بالفضل المتين و الحظ الجسيم، و اللّه يؤتى ملكه من يشاء و اللّه واسع عليم. فتعزّوا معاشر الأولياء و الأمراء و القوّاد و الأجناد و الرعايا و الخدّام، حاضركم و غائبكم، و دانيكم و قاصيكم، عن الإمام المنقول إلى جنّات الخلود، و استبشروا بإمامكم هذا الإمام الحاضر الموجود؛ و ابتهجوا بكريم نظره المطلع لكم كواكب السعود. و لكم من أمير المؤمنين ألّا يغمض جفنا عن مصابكم، و أن يتوخّى ما عاد بميامنكم و مناجحكم، و أن يحسن السّيرة فيكم، و يرفع أذى من يعاديكم، و يتفقّد مصلحة حاضركم و باديكم،

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۷

و لأمير المؤمنين عليكم أن تعتقدوا موالاته بخالص الطويّة، و تجمعوا له فى الطاعة بين العمل و النيّة، و تدخلوا فى البيعة بصدور منشرحة و آمال منفسحة و ضمائر يقينيّة و بصائر فى الولاء قويّة، و أن تقوموا بشروط بيعته، و تنهضوا بفروض نعمته، و تبذلوا الطارف و التالد فى حقوق خدمته، و تتقرّبوا إلى اللّه سبحانه بالمناصحة لدولته. و أمير المؤمنين يسأله اللّه أن تكون خلافته كافلة بالإقبال، ضامنة ببلوغ الأمانى و الآمال، و أن يجعل ديمها دائمة بالخيرات، و قسمتها نامية على الأوقات إن شاء اللّه تعالى.

و أقام الآمر بأحكام اللّه خليفة إلى أن قتل فى ذى القعدة سنة أربع و عشرين و خمسمائة، عدّى إلى الرّوضة فى فئة قليلة، فخرج عليه منها قوم بالسّيوف فأثخنوه.

و كان سيّىء السيرة.

و لما قتل تغلّب على الديار المصرية غلام أرمنىّ من غلمانه، فاستحوذ على الأمور ثلاثة أيام و رام أن يتأمّر، فحضر الوزير أبو علىّ أحمد بن الأفضل بدر الجمالىّ، فأقام الخليفة الحافظ لدين اللّه أبا الميمون عبد المجيد بن الأمير أبى القاسم بن المستنصر باللّه، و استحوذ على الأمور دونه، و حصره فى مجلس لا يدخل إليه أحد إلا من يريده، و خطب لنفسه على المنابر، و نقل الأموال من القصر إلى داره، و لم يبق للحافظ سوى الاسم فقط، فلم يزل كذلك حتّى قتل الوزير ، فعظم أمر الحافظ من حينئذ، و جدّد له ألقاب لم يسبق إليها، و خطب له بها على المنابر، فكان يقول: أصلح اللّه من شيّدت به الدين بعد دثوره، و أعززت به الإسلام بأن جعلته سببا لظهوره؛ مولانا و سيّدنا إمام العصر و الزّمان أبا الميمون عبد المجيد الحافظ لدين اللّه!

قال ابن خلّکان: و کان الحافظ کثیر المرض بعلّة القولنج، فعمل له سرماه الدیلمیّ طبل القولنج رکبة من المعادن السبعة و الکواکب السبعة فی أشرافها کلّ واحد منها فی وقته، فکان من خاصّیته أنّه إذا ضرب به أحد خرج الریح من مخرجه، فکان هذا الطبل فی خزائنهم إلی أن ملک السلطان صلاح الدین بن أیّوب. أخذ الطبل المذکور کردیّ و لا یدری ما هو! فضرب به، فضرط، فخجل، فألقی الطبل من یده فانکسر.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۸

و استمرّ الحافظ علی الولایة إلی أن مات فی جمادی الآخرة سنة أربع و أربعین و خمسمائة.

و ولی بعده ولده الظافر بالله أبو المنصور إسماعیل، فأقام إلی أن قتل فی المحرّم سنة تسع و أربعین.

و ولی بعده ولده الفائز بنصر اللّه أبو القاسم عیسی، و هو صبیّ صغیر ابن خمس سنین؛ فإنّ مولده فی المحرّم سنة أربع و أربعین، فأقام إلی أن توفّی فی صفر سنة خمس و خمسین؛ و عمره یومئذ إحدی عشرة سنة، و کان مدبّر دولته أبو الغارات طلائع بن رزّیک .

و ولی بعده العاضد لدین اللّه أبو محمد عبد اللّه بن یوسف بن الحافظ ، و هو آخر العبیدیین. و مات یوم عاشوراء سنة سبع و ستّین، و زالت دولتهم علی ید السلطان الملک الناصر صلاح الدین یوسف بن أیّوب؛ رحمه اللّه تعالی.

قال ابن کثیر: و من الغریب أنّ العاضد فی اللغة، القاطع، و منه الحدیث: «لا یعضد شجرها»، فبالعاضد قطعت دولة بنی عبید.

و قال ابن خلّکان: سمعت جماعة من المصریّین یقولون: إنّ هؤلاء القوم فی أوائل دولتهم قالوا لبعض العلماء: اکتب لنا ألقابا فی ورقة تصلح للخلفاء؛ حتّی إذا تولّی واحد لقّبوه ببعض تلک الألقاب، فکتب لهم ألقابا، و آخر ما کتب فی الورقة:

«العاضد». فاتّفق أنّ آخر من ولی منهم العاضد. و لم یکن للمستنصر و من بعده من الخلافة سوی الاسم فقط؛ لاستیلاء وزرائهم علی الأمور و حجرهم علیهم، و تلقّبهم بألقاب الملوک؛ فکانوا معهم کخلفاء عصرنا مع ملوکهم، و کخلفاء بغداد مع بنی بویه، و أشباههم.

و من قصیدة ابن فضل اللّه التی سمّاها: حسن الوفاء لمشاهیر الخلفاء:

و الخلفاء من بنی فاطمةإلی عبید اللّه درّ فاخر

أبناء إسماعیل فی نجل جعفر الصادق فی القول أبوه الباتر

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۹ بالغرب مهدیّ تلاه قائمو الثالث المنصور و هو الآخر

ثمّ المعزّ قائد الجیش الّذیسار إلی مصر، و نعم السائر

ثمّ ابنه العزیز عزّ مشبهاو الحاکم المعروف ثمّ الظّاهر

و بعده المستنصر النّائی الّذیتلاه مستعل و جاء الآمر

و حافظ و ظافر و فائزو عاضد ثمّ المملیک النّاصر

قالوا: لقد ساء لهم معتقدو اللّه عند علمه السّرائر

لکنّما الحاکم ممّن لجّ فیطغیانه فکافر أو فاجر

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۰

ذکر أمراء مصر من حین ملکها بنو أیوب إلی أن اتخذها الخلفاء العباسیون دار الخلافة

لما قتل صاحب مصر الظافر، وصلت الأخبار إلی بغداد، بأن مصر قتل صاحبها، و لم یبق فیهم إلّا صبیّ صغیر، ابن خمس سنین، قد ولّوه علیهم، و لقبوه الفائز. فکتب الخلیفة المقتفی عهدا للملک نور الدین محمود بن زنکی علی البلاد الشامیة و المصریة، و أرسله إلیه، فسار حتّی أتی دمشق، فحاصرها و انتزعها من ید ملکها مجیر الدین بن طغتکین، و شرع فی فتح بلاد الشام بلدا بلدا، و أخذها من أیدی من استولی علیها من الفرنج.

فلما كان فی سنة اثنتين و ستّين أقبلت الفرنج فی محافل كثيرة إلى الدور المصرية، فأرسل نور الدين حمود أسد الدين شيركوه بن شادی، و معه ابن صلاح الدين يوسف بن أيّوب، فسار إليها فی ربيع الآخر، و قد وقع فی النفوس كأن صلاح الدين سيملك الديار المصرية، و فی ذلك يقول عرقلة الشاعر:

أقول و الأتراك قد أزمعت‌مصر إلى حرب الأعاريب

ربّ كما ملّكتها يوسف الصّدّيق من أولاد يعقوب

يملكها فی عصرنا يوسف الصّادق من أولاد أيّوب

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۱ من لم يزل ضرّاب هام العداحقّا و ضرّاب العراقيب

و سار إلى الفرنج، فاقتتلوا قتالا عظيما، فهزم الفرنج و للّه الحمد ، و سار أسد الدين بعد كسر الفرنج إلى الإسكندريّة، فملكها، و استناب عليها ابن أخيه صلاح الدين، و عاد إلى الصعيد، فملكه.

ثمّ إنّ الفرنج و المصريين اجتمعوا على حصار الإسكندريّة، فصالح شاور وزير العاضد أسد الدين عن الإسكندرية بخمسين ألف دينار، فأجابه إلى ذلك. و خرج صلاح الدين منها، و سلّمها إلى المصريين، و عاد إلى الشام فی ذی القعدة، و قرّر شاور للفرنج على مصر فی كلّ عام مائة ألف دينار، و أن يكون لهم شحنة بالقاهرة. و سكن القاهرة أكثر شجعان الفرنج، و تحكّموا فيها بحيث كادوا يستحوذون عليها، و يخرجون المسلمين منها. فلمّا كانت سنة أربع و ستّين، قدم أمداد الفرنج فی محافل هائلة، فأخذوا مدينة بلبيس، فقتلوا و أسروا و نزلوا بها ، و تركوا فيها أثقالهم، و جعلوها موئلا و معقلا. ثمّ جاءوا فنزلوا على القاهرة من ناحية باب الشرقيّة، فأمر الوزير شاور الناس أن يحرقوا مصر ، و أن ينتقلوا إلى القاهرة. فنهب البلد، و ذهب للناس أموال كثيرة، و بقيت النّار تعمل فی مصر أربعة و خمسين يوما؛ فعند ذلك أرسل الخليفة العاضد يستغيب بالملك نور الدين، و بعث إليه بشعور نسائه يقول: أدركنی؛ و استنقذ نسائی من أيدی الفرنج. و التزم له بثلث خراج مصر على أن يكون أسد الدين مقيما عندهم، و لهم إقطاعات زائدة على الثلث.

فجهّز نور الدين الجيوش و عليهم أسد الدين و معه صلاح الدين، فدخلوا القاهرة و قد رجع الفرنج لمّا سمعوا بوصولهم. و عظم أمر أسد الدين بالديار المصرية، و قتل الوزير شاور، قتله صلاح الدين . و فرح المسلمون بقتله، لأنّه الذی كان يمالئ الفرنج على المسلمين، و أقيم أسد الدين مكانه فی الوزارة، و لقّب الملك المنصور؛ فلم يلبث إلا شهرين و خمسة أيّام، و مات فی السادس و العشرين من جمادی الآخرة .

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۲

فأقام العاضد مكانه فی الوزارة صلاح الدين يوسف، و لقّبه الملك الناصر. قال أبو شامة: و صفة الخلعة التی لبسها صلاح الدين يومئذ عمامة بيضاء تنّيسيّ بطرف ذهب، و ثوب دبيقی بطراز ذهب، و جبّة بطراز ذهب، و طيلسان بطراز ذهب، و عقد جوهر بعشرة آلاف دينار، و سيف محلّى بخمسة آلاف دينار، و حجره بثمانية آلاف دينار، و عليها سرج ذهب و سريسار ذهب مجوهر، و فی رأسها مائتا حبّة جوهر، و فی قوائمها أربعة عقود جوهر، و فی رأسها قصبة بذهب، و فيها شدّة بيضاء بأعلام بيض، و مع الخلعة عدة بقج ، و خيل و أشياء أخر، و منشور الوزارة مكتوب فی ثوب أطلس أبيض؛ و كان ذلك يوم الاثنين الخامس و العشرين من جمادی الآخرة سنة أربع و ستين؛ و كان يوما مشهودا، و ارتفع قدر صلاح الدين بالديار المصريّة، و ائتلفت عليه القلوب، و خضعت له النفوس، و اضطهد العاضد فی أيامه غاية الاضطهاد .

فلمّا كان سنة خمس و ستّين حاصرت الفرنج دمياط خمسين يوما، فقاتلهم صلاح الدين حتّى أجلاهم، و أرسل نور الدين إلى صلاح الدين يأمره أن يخطب للخليفة المستنجد العباسيّ بمصر؛ لأن الخليفة بعث يعاتبه فی ذلك؛ فلمّا كان سنة ستّ و ستّين، اتّفق موت المستنجد ، و قام المستضیء، و شرع صلاح الدين فی تمهيد الخطبة لبنی العباس، و قطع الأذان بحیّ على خير العمل من ديار مصر كلّها، و عزل قضاة مصر لأنّهم كلّهم كانوا شيعة، و ولّى أقضى القضاة بها صدر الدين بن درباس الشافعيّ، استناب فی سائر الأعمال

شافعیّة.

فلما دخل سنة سبع و ستّین أمر الملک صلاح الدین بإقامة الخطبة لبنی العبّاس بمصر فی أوّل جمعة من المحرّم و بالقاهرة فی الجمعة الثانیة، و کان ذلک یوما مشهودا؛ و العجب أنّ أوّل من خطب للمعزّ حین أخذت مصر عمر بن عبد السمیع العباسیّ الخطیب بجامع عمرو و بجامع ابن طولون؛ فکان أوّل من خطب لبنی العباس هذه النّوبة شریف علویّ، یقال له محمد بن الحسن بن أبی الضیاء البعلبکیّ . و لما بلغ الخبر

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۳

نور الدین أرسل إلی الخلیفة المستضیء یعلمه بذلک، فزیّنت بغداد، و غلّقت الأسواق و عملت القباب، و فرح المسلمون فرحا شدیدا، قال ابن الجوزیّ: و قد ألّفت فی ذلک کتابا سمیته: «النصر علی مصر». و کتب العماد الکاتب عن السلطان صلاح الدین إلی الملک نور الدین یبشّره بذلک:

قد خطبنا للمستضیء بمصرنائب المصطفی إمام العصر

فی أبیات ذکرتها فی تاریخ الخلفاء.

و قال بعض شعراء بغداد فی ذلک:

لیهنک یا مولای فتح تتابعتإلیک به خوص الرّکائب توجف

أخذت به مصرا و قد حال دونهامن الشّرک ناس فی لها الحقّ تقذف

فعادت بحمد اللّه باسم إمامناتتیه علی کلّ البلاد و تشرف

و لا غرو أن ذلّت لیوسف مصرهو کانت إلی علیائه تتشوّف

تملّکها من قبضة الکفر یوسفو خلّصها من عصبة الرفض یوسف

کشفت بها عن آل هاشم سیّئاو عارا أبی إلّا بسیف یکشف

و هی طویلة.

قال أبو شامة: أنشدت هذه القصیدة للخلیفة قبل موته، عند تأویل منام رئی فی هذا المعنی، و أراد بیوسف الثانی الخلیفة المستنجد، فلم یخطب إلّا لولده المستضیء، فجری الفأل باسم الملک النّاصر صلاح الدین یوسف بن أیّوب، و أرسل الخلیفة المستضیء بأمر اللّه إلی الملک صلاح الدین خلعة سنیّة، و معها أعلام سود، و لواء معقود، ففرّقت علی الجوامع بالشام و بلاد مصر.

و کتب له تقلیدا؛ و هذه صورته:

کتاب تقلید الخلیفة لصلاح الدین

اشارة

أمّا بعد، فإنّ أمیر المؤمنین یبدأ بحمد اللّه الذی یکون لکلّ خطبة قیادا، و لکلّ أمر مهادا، و یستزیده من نعمه التی جعلت التقوی لها زادا، و حمّلته أعباء الخلافة فلم یضعف عنه طوقا و لم یأل فیه اجتهادا، و صغّرت لدیه أمر الدنیا فما تسوّرت له محرابا و لا عرضت علیه جیادا، و حقّقت فیه قوله تعالی: تِلْکَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِینَ لا یُرِیدُونَ عُلُوًّا فِی الْأَرْضِ وَ لا فَساداً [القصص: ۸۳].

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۴

ثمّ یصلّی علی من أنزلت الملائکة لنصره إمدادا، و أسری به إلی السماء حتّی ارتقی سبعا شدادا، و تجلّی له ربّه فلم یزغ منه بصر و لا کذّب فؤادا.

ثمّ من بعده على أسرته الطاهرة التى زكت أوراقا و أعوادا، و ورثت النّور المبين بلادا، و وصفت بأنّها أحد الثّقلين هداية و إرشادا؛ و خصوصا عمّة العباس المدعوّ له بأن يحفظ نفسا و أولادا، و أن تبقى كلمة الخلافة فيهم خالدة لا تخاف دركا و لا تخشى نفادا.

و إذا استوفى العلم مراده من هذه الحمدلة، و أسند القول فيها عن فصاحته المرسلة فإنه يأخذ فى إنشاء هذا التقليد الذى جعله حليفا لقرطاسه، و استدام سجوده على صفحته حتّى يرفع من رأسه؛ و ليس ذلك إلّا قاضية فى وصف المناقب التى كثرت فحسن لها مقام الإكثار، و اشتبه التطويل فيها بالاختصار، و هى التى لا يفتقر واضعها إلى القول المعاد، و لم يستوعر سلوك أطوادها؛ و من العجب وجود السهل فى سلوك الأطواد.

و تلك هى مناقبك أيّها الملك الناصر السيّد الأجلّ الكبير، العالم العادل المجاهد المرابط صلاح الدين أبو المظفّر يوسف بن أيّوب . و الديوان العزيز يتلوها عليك تحدّثا بشكرك، و يباهى أولياءه تنويها بذكرك، و يقول: أنت الذى نستكفى فتكون للدّولة سهمها الصائب، و شهابها الثاقب، و كنزها الذى تذهب الكنوز و ليس بذاهب. و ما ضرّها و قد حضرت فى نصرتها إذا كان غيرك هو الغائب؛ فاشكره إذا مساعيك التى أهّلتك لما أهّلتك، و فضّلتك على الأولياء بما فضّلتك. و لئن شوركت فى الولاء بعقيدة الإضمار، فلم تشارك فى عزمك الذى انتصر للدولة فكان له بسطة الانتصار. و فرق بين من أمدّ بقلبه و بين من أمدّ بيده فى درجات الإمداد، و ما جعل اللّه القاعد كالذى قال: لو أمرتنا لضربنا أكبادها إلى بركك الغماد.

و قد كفاك من المساعى أنّك كفيت الخلافة أمر منازعيها، و طمست على الدعوة الكاذبة التى كانت تدّعيها. و لقد مضى عليها زمن و محراب حقّها محفوف من الباطل بمحرابين، و رأت ما رآه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من السّوارين اللّذين أولهما كذابين؛ فبمصر منهما واحد تجرى أنهارها من تحته؛ و دعا الناس إلى عبادة طاغوته و جبته ، و لعب بالدّين حتى لم يدر يوم جمعته من يوم أحده و لا سبته.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۵

و أعانه على ذلك قوم رمى اللّه بصائرهم بالعمى و الصّمم؛ و اتّخذوه صنما و لم تكن الضّلالة هناك إلا بعجل أو صنم؛ فقمت أنت فى وجه باطله حتّى قعد، و جعلت فى جيده حبلا من مسد؛ و قلت ليده: تبّت، فأصبح و لا يسعى بقدم و لا يبطش بيد.

و كذلك فعلت بالآخر الذى نجمت باليمن ناجمته، و سامت فيه سائمته؛ فوضع بيته موضع الكعبة اليمانيّة، و قال هذا ذو الخلصة الثانية. فأىّ مقامك يعترف الإسلام بسبقه، أم أيّهما يقوم بأداء حقّه؟!

و هاهنا فليصبح القلم للسيف من الحسّاد، و ليقصر مكانته عن مكانته و قد كان له من الأنداد، و لم يحط بهذه المزيّة إلا أنّه أصبح لك صاحبا، و فخر بك حتّى طال فخرا كما عزّ جانبا، و قضى بولايتك فكان بها قاضيا، لمّا كان حدّه ماضيا.

و قد قلّدك أمير المؤمنين البلاد المصريّة و اليمنيّة غورا و نجدا، و ما اشتملت عليه رعيّة و جندا، و ما انتهت إليه أطرافها برّا و بحرا، و ما يستنقذ من مجاوريها مسالمة و قهرا. و أضاف إليها بلاد الشام و ما تحتوى عليه من المدن الممدّنة، و المراكز المحصّنة مستثنيا منها ما هو بيد نور الدّين إسماعيل بن نور الدين محمود رحمه اللّه و هو حلب و أعمالها؛ فقد مضى أبوه عن آثار فى الإسلام ترفع ذكره فى الذاكرين؛ و تخلفه فى عقبه فى الغابرين، و ولده هذا قد هذّبته الفطرة فى القول و العمل، و ليست هذه الرّبوة إلّا من ذلك الجبل؛ فليكن له منك جار يدنو منه ودادا كما دنا أرضا، و تصبح و هو له كالبنيان يشدّ بعضه بعضا؛ و الذى قدّمناه من الثناء عليك ربّما تجاوزتك درجة الاقتصاد و ألقتك عن فضيلة الازدياد. فإيّاك أن تنظر إلى سعيك نظر الإعجاب، فتقول: هذه بلادنا افتتحتها بعد أن أضرب عنها كثير من الأضراب. و لكن اعلم أنّ الأرض للّه و لرسوله، ثمّ لخليفته من بعده، و لا منّة للعبد بإسلامه، بل المنّة للّه بهداية عبده. و كم سلف قبلك ممّن لو رام ما رمته لدنا شاسعه و أجاب مانعه؛ و لكن ذخره اللّه لك لتحظى فى الآخرة بمفازه، و فى الدنيا برقم طرازه، فألق بيدك عند هذا القول إلقاء التّسليم، و قل: لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ [البقرة: ۳۲].

و قد قرن تقليدك هذا بخلعة تكون لك فى الإسلام شعارا، و فى الرّسم فخارا، و تناسب محلّ قلبك و بصرك؛ و خير ملابس الأولياء

ما ناسب قلوبا و أبصارا، و من جملتها طوق یوضع فی عنقک موضع العهد و المیثاق، و یشیر إلیک بأنّ الإنعام قد أطاق بک إطاقة الأطواق بالأعناق.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۶

ثمّ إنّک خوطبت بالملک، و ذلک خطاب یقضی لصدرک بالانشراح، و لأملک بالانفساح، و تؤمر معه بمدّ یدک العلیا لا تضمّها إلی الجناح.

و هذه الثلاثة المشار إلیها هی التی تکمل بها أقسام السیادة، و هی الّتی لا مزید علیها فی الإحسان فیقال إنّها الحسنی و زیادة؛ فإن صارت إلیک فانصب لها یوما یکون فی الأیّام کریم الأنساب، و اجعله لها عیدا و قل هذا عید الخلعة و التقلید و الخطاب.

هذا و لک عند أمیر المؤمنین مکانة بجعلک إلیه حاضرا و أنت ناء عن الحضور، و تضنّ أن تکون مشترکة بینک و بین غیرک و الضّنّة من شیم الغیوب؛ و هذه المکانة قد عرّفتک نفسها و ما کنت تعرفها؛ و ما نقول إلّا أنّها لک صاحبة و أنت یوسفها، فاحرسها علیک حراسة تقضی بتقدیمها، و اعمل لها فإنّ الأعمال بخواتیمها.

و اعلم أنّک تقلّدت أمرا یفتن به تقیّ الحلوم، و لا ینفکّ صاحبه عن عهدة الملوم، و کثیرا ما تری حسناته یوم القیامة و هی مقسومة بأیدی الخصوم؛ و لا ینجو من ذلک إلّا من أخذ أهبة الحذار، و أشفق من شهادة الأسماع و الأبصار. و اعلم أنّ الولایة میزان، إحدی کفّتیه فی الجنّة و الأخری فی النار؛ قال النبی صلی اللّه علیه و سلم: «یا أبا ذرّ، إنّی أحبّ لک ما أحبّ لنفسی، لا تأمّرنّ علی اثنین، و لا تولینّ مال یتیم». فانظر إلی هذا القول النبویّ نظر من لم یخدع بحدیث الحرص و الآمال، و مثّل الدنیا و قد سیقت إلیک بحذافیرها، أ لیس مصیرها إلی زوال؟! و السعید من إذا جاءته قضی بها أرب الأرواح لا أرب الجسوم، و اتّخذ منها و هی السمّ دواء و قد تتّخذ الأدویة من السموم.

و ما الاغتباط بما یختلف علی تلاشیه المساء و الصباح، و هو کما أنزلناه من السماء، فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشیما تذروه الرّیاح.

و اللّه یعصم أمیر المؤمنین، و ولاة أمره من تبعاتها التّی لابستهم و لابسوها، و أحصاها اللّه و نسوها، و لک أنت من اللّه هذا الدعاء حظّ علی قدر محلّک من العنایة التی حدثت بصنعک، و محلّک من الولایة التی بسطت من ذرعک.

فخذ هذا الأمر الذی تقلّدته أخذ من لم یتعقّبه بالنّسیان، و کن فی رعایته ممن إذا نامت عیناه کان قلبه یقظان؛ و ملاک ذلک کلّه فی إسباغ العدل الذی جعله اللّه ثالث الحدیث و الکتاب، و أغنی بثوابه وحده عن أعمال الثواب؛ و قدّر یوما منه بعبادة ستّین عاما فی الحساب، و لم یأمر به آمر إلّا زید قوّة فی أمره، و تحصّن به من عدوّه و من دهره. ثمّ یجاء به یوم القیامة و فی یده کتاب أمان، و یجلس علی منبر من نور عن یمین

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۷

الرحمن؛ و مع هذا فإنّ مرکبه صعب لا یستوی علی ظهره إلّا من أمسک عنان نفسه قبل إمساک عنانه، و غلبت لمّة ملکه علی لمّة شیطانه. و من آکد فروضه أن تمحی السّیر السّیئة التی طالت مدد أیامها، و یئس الرّعایا من رفع ظلاماتها فلم یجعلوا أمدا لانحسار ظلامها؛ تلک السّیر هی المکوس التی أنشأتها الهمم الحقیرة، و لا غنی للأیدی الغنیّة إذا کانت ذا نفوس فقیرة؛ و کلّما زیدت الأموال الحاصلة منها قدرا، زادها اللّه محقا؛ و قد استمرّت علیها العوائد حتّی ألحقها الظالمون بالحقوق الموجبة فسمّوها حقّا، و لو أنّ صاحبها أعظم الناس جرما لما أغلظ فی عقابه، و مثلت توبة المرأة الغامدیة بمتابه؛ و هی أشقی ممّن یکون السواد الأعظم له خصما، و یصبح و هو مطالب بما یعلم و بما لم یحط به علما؛ و أنت مأمور بأن تأبی هذه الظلامات فتنهی عن إجرائها، و تلحق أسماءها فی المحو بإهمالها؛ حتّی لا یبقی لها فی العیان صورة منظورة، و لا فی الألسنة أحادیث مذکورة.

و إذا فعلت ذلک کنت أزلت عن الماضی سنّة سوء سنّتها یداه، و عن الآتی متابعة ظلم وجده طریقا مسلوکا فجری علی بداه، فبادر

إلی ما أمرت به مبادرة من یضیق به ذراعا، و نظر إلی الحیاة الدنیا بعینها فرآها فی الآخرة متاعا. و احمد اللّه علی أن قیّض لک إمام هدی یقف بک علی هداک، و یأخذ بحجزتک عن خطوات الشیطان الذی هو أعدی عداک؛ و هذه البلاد المنوطة بنظرک تشتمل علی أطراف متباعدة، و تفتقر فی سیاستها إلی أید متساعدة؛ و لهذا یکثر بها قضاة الأحکام و أولو تدابیرات السیوف و الأقلام؛ و کلّ من هؤلاء ینبغی أن یفتن علی نار الاختبار، و یسلّط علیه شاهد عدل من أمانة الدرهم و الدینار فما أضلّ الناس شیء کحبّ المال الذی فورقت من أجله الأدیان، و هجرت بسببه الأولاد و الإخوان؛ و کثیرا ما یری الرّجل الصائم القائم و هو عابد له عبادة الأوثان؛ فإذا استعنت بأحد منهم علی شیء من أمرک، فاضرب علیه بالأرصاد، و لا ترض بما عرفته من مبدأ حاله فإنّ الأحوال تنقل بنقل الأجساد. و إیّاک أن تخدع بصلاح الظاهر کما خدع عمر بن الخطاب بالربیع بن زیاد.

و کذلک نأمر هؤلاء علی اختلاف طبقاتهم بأن یأمروا بالمعروف و ینهوا عن المنکر محاسبین؛ و یعلموا أنّ ذلک من دأب حزب اللّه الذین جعلهم الغالبین، و لیبدءوا أوّلا بأنفسهم فیعدلوها عن هواها، و یأمروها بما یأمرون به سواها، و لا یکونوا ممّن هدی إلی طریق البرّ و هو عنها حائد، و انتصب لطبّ المرضی و هو محتاج إلی طبیب و عائد؛ فما تنزل برکات السماء إلّا علی من خاف مقام ربّه، و ألزم التقوی أعمال یده و لسانه و قلبه؛ فإذا صلحت الولاة صلحت الرعیّة بصلاحهم؛ و هم لهم بمنزلة المصابیح، و لا یتضیء کلّ قوم إلّا بمصباحهم. و ممّا یؤمرون به أن یکونوا لمن تحت أیدیهم إخوانا فی

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۸

الأصحاب، و جیرانا فی الاقتراب، و أعوانا فی توزّع الحمل الذی یثقل علی الرقاب؛ فالمسلم أخو المسلم و إن کان علیه أمیرا، و أولی الناس باستعمال الرفق من کان فضل اللّه علیه کثیرا؛ و لیست الولایة لمن یستجد بها کثرة اللّفیف، و یتولّاها بالوطء العنیف؛ و لکنّها لمن یمال عن جوانبه، و یؤکل من أطایبه، و لمن إذا غضب لم یر للغضب عنده أثر، و إذا ألحف فی سؤاله تخلّق بخلق الضّجر، و إذا حضر الخصوم بین یدیه عدل بینهم فی قسمة القول و النظر؛ فذلک الذی یکون لصاحبه فی أصحاب الیمین، و الذی یدعی بالحفیظ العلیم و القویّ الأمین.

و من سعادة المرء أن تکون ولاته متأدّبین بآدابه، و جارین علی نهج صوابه؛ و إذا تطایرت الکتب یوم القیامة کانوا حسنات مثبتة فی کتابه.

و بعد هذه الوصیّة، فإنّ هاهنا حسنة هی للحسنات کالأمّ الولود؛ و لطالما أغنت عن صاحبها إغناء الجود، و تیقظت لنصره و العیون رقود؛ و هی التی تسبغ لها الآلاء، و لا یتخطّاها البلاء، و لأمیر المؤمنین عنایة تبعثها الرحمة الموضوعة فی قلبه، و الرغبة فی المغفرة و الرحمة لما تقدّم و تأخّر من ذنبه. و تلک هی الصدقة التی فضّل اللّه بعض عباده بمزیّة إفضالها، و جعلها سببا إلی التعویض عنها بعشر أمثالها؛ و هو یأمرک أن تتفقّد أحوال الفقراء الّذین قدرت علیهم مادة الأرزاق، و ألبسهم التعفّف ثوب الغنی و هم فی ضیق من الإملاق؛ فأولئک أولیاء اللّه الذین مسّتهم الضرّاء فصبروا، و کثرت الدنیا فی ید غیرهم فما نظروا إلیها إذا نظروا. و ینبغی لک أن تهیّیء لهم من أمرهم مرفقا، و تضرب بینهم و بین الفقر موبقا.

و ما أطلنا لک القول فی هذه الوصیّة إلّا إعلاما بأنّها من المهمّ الذی یستقبل و لا یستدبر، و یستکثر منه و لا یستکبر؛ و هذا یعدّ من جهاد النفس فی بذل المال، و یتلوه جهاد العدوّ الکافر فی مواقف القتال؛ و أمیر المؤمنین یعرّفک من ثوابه ما یجعل السّیف فی ملازمته أخا، و تسخو له بنفسک إن کان أحد بنفسه سخا. و من صفاته أنّ العمل المحبوب بفضل الکرامة، الذی ینمو أجره بعد صاحبه إلی یوم القیامة، و به یمتحن طاعة الخالق علی المخلوق، و کلّ الأعمال عاطلة لا- خلوق لها و هی المختصّ دونها بزینة الخلوق، و لو لا فضله لما کان محسوبا بشطر الإیمان؛ و لما جعل اللّه الجنّة له ثمنا و لیست لغیره من الأثمان، و قد علمت أنّ العدوّ هو جارک الأدنی؛ و الذی یبلغک و تبلغه عینا و أذنا، و لا تکون للإسلام نعم الجار؛ حتّی تکون له بئس الجار. و لا عذر لک فی ترک جهاده بنفسک و مالک إذا قامت لغیرک الأعذار. و أمیر المؤمنین لا- یرضی منک بأن تلقاه مصافحا، أو تطرق أرضه مماسیا أو

مصابحا، بل يريد أن تقصد البلاد الّتى فى يده

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۹

قصد المستغير لا قصد المغير، و أن تحكم فيها بحكم اللّه الذى قضاه على لسان سعد فى بنى قريظة و النّضير، و على الخصوص البيت المقدّس فإنّه بلاد الإسلام القديم، و أخو البيت الحرام فى شرف التعظيم، و الّذى توجّهت إليه الوجوه من قبل بالسجود و التسليم. و قد أصبح و هو يشكو طول المدّة فى أسر رقبته، و أصبحت كلمة التوحيد و هى تشكو طول الوحشة فى غربتها عنه و غربته. فانهض إليه نهضة متوغّل فى فرحه، و تبدل صعب قياده بسمحه؛ و إن كان له عام حديبيّة فاتّبعه بعام فتح. و هذه الاستزادة بعد سداد ما فى اليد من ثغر كان مهملا فحميت موارده، أو مستهدما فرفعت قواعده، و من أهمّها ما كان حاضر البحر كأنّه أعمه عورته مكشوفة، و خطّة مخوفة، و العدوّ قريب منه على بعده. و كثيرا ما يأتيه فجاءة حتّى يشقّ برقه برعده؛ فينبغى أن ترتّب بهذه الثغور رابطة يكثر شجعانها، و يقلّ أقرانها، و يكون قتالها لأن تكون كلمة اللّه هى العليا لا لأن يرى مكانها، و حينئذ يصبح كلّ منها و له من الرجال أسوار، و يعلم أهله أن بناء السيف أمنع من بناء الأحجار؛ و مع هذا فلا بدّ له من أسطول يكثر عدده، و يقوى مدده، فإنه العمدة التى يستعين بها على كشف العماء، و الاستكثار من سبايا العبيد و الإماء، و جيشه أخو الجيش السليمانىّ، فذاك يسرى على متن الريح و هذا يجرى على متن الماء.

و من صفات خيله أنّها جمعت بين العوم و المطار، و تساوت أقدار خلقها على اختلاف مدّة الأعمار، فإذا أشرعت قيل جبال متلفّعة بقطع من الغيوم، و إذا نظر إلى أشكالها قيل أهلّة غير أنّها تهتدى فى مسيرها بالنجوم، و مثل هذه الخيل ينبغى أن يغالى من جيادها، و يستكثر من قيادها، و ليؤمّر عليها أمير يلقى البحر بمثله من سعة صدره، و يسلك طرقه سلوك من لم تقتله بجهلها، و لكن قتلها بخبره؛ و كذلك فليكن ممّن أفنت الأيّام تجاربه، و رحمتها مناكبه، و ممّن بذل الصّعب إذا هو ساسه و إن سيس لان جانبه، و هذا هو الرجل الذى يرأس على القوم فلا يجد هذه بالرئاسة، فإن كان فى الساقة ففى الساقة أو كان فى الحراسة ففى الحراسة. و لقد أفلحت عصابة اعتصبت من ورائه، و أيقنت بالنصر من رايته كما أيقنت بالنجح من رأيه.

و اعلم أنّه قد أخلّ من الجهاد بركن يقدح فى علمه، و هو تمامه الذى يأتى فى آخره كما أنّ صدق النيّة تأتى فى أوّله؛ و ذلك هو قسم الغنائم، فإنّ الأيدى قد تناولته بالإجحاف، و خلطت جهادها فيه بفلولها، فلم ترجع بالكفاف. و اللّه قد جعل الظلم فى تعدّى حدوده المحدودة، و جعل الاستئثار بالمغنم من أشراط الساعة الموعودة؛ و نحن نعوذ به أن يكون زماننا هذا شرّ زمان و ناسه شرّ ناس، و لم يستخلفنا على حفظ أركان دينه ثمّ نهمله إهمال مضيع و لا إهمال ناس.

و الذى نأمرك به أن تجرى هذا الأمر على المنصوص من حكمه، و تبرّئ ذمّتك

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۴۰

ممّا يكون غيرك الفائز بفوائده و أنت المطالب بإثمه، و فى أرزاق المجاهدين بالديار المصرية و الشاميّة ما يغنيهم عن هذه الأكلة التى تكون غدا نكالا و جحيما، و طعاما ذا غصّة و عذابا أليما.

فتصفّح ما سطّرناه لك من هذه الأساطير التى هى عزائم مبرمات، بل آيات محكمات، و تحبّب إلى اللّه و إلى أمير المؤمنين باقتفاء كتابها، و ابن لك بها مجدا يبقى فى عقبك إذا أصيبت البيوت فى أعقابها؛ و هذا الذى ينطق عليك بأنّه لم يأل فى الوصايا التى أوصاها، فإنّه لا يغادر صغيرة و لا كبيرة إلّا أحصاها.

ثمّ إنّه قد ختم بدعوات دعا بها أمير المؤمنين عند ختامه، و سأل فيها خيرة اللّه التى تتنزّل من كلّ أمر منزلة نظامه. ثمّ قال: إنّى أشهدك على من قلّدته شهادة تكون عليه رقيبة و له حسيبة، فإنى لم آمره إلا بأوامر الحقّ التى فيها موعظة و ذكرى، و لمن تبعها هدى و رحمة و بشرى، و إذا أخذ بها فلج بحجّته يوما يسأل فيه عن الحجج، و لم يختلج دون رسوله على الحوض فى جملة من يختلج، و قيل له: لا حرج عليك و لا إثم إذ نجوت من ورطات الإثم و الحرج. و السلام.

قال الفقيه عمارة اليمنى - يرثى العاضد- و كان من خواصّهم:

يا عاذلى فى هوى أبناء فاطمةلك الملامة إن قصّرت فى عذلى

بالله زر ساحة القصرين و ابك معى‌عليهما لا على صفّين و الجمل

و قال بعض الشعراء يمدح بنى أيّوب على ما فعلوه:

أ لستم مزيلى دولة الكفر من بنى‌عبيد بمصر، إنّ هذا هو الفضل

زنادقة شيعيّة باطنيّةمجوس و ما فى الصالحين لهم أصل

يسرّون كفرا، يظهرون تشيّعاليستروا شينا، و عمّهم الجهل

و قال حسان عرقلة :

أصبح الملك بعد آل عبيدمشرفا بالملوك من آل شاذى

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۴۱ و غدا الشرق يحسد الغرب للقوم و مصر تزهو على بغداذ

ما حووها إلّا بعزم و حزمو صليل الفؤاد فى الفولاذ

لا كفرعون و العزيز و من كان بها كالخصيب و الأستاذ

قال أبو شامة: يعنى بالأستاذ كافور الإخشيدىّ.

قال: و قد أفردت كتابا سمّيته: «كشف ما كان عليه بنو عبيد، من الكفر و الكذب و المكر و الكيد». و كذا صنّف العلماء فى الردّ عليهم كتبا كثيرة من أجلّها كتاب القاضى أبى بكر الباقلّانىّ الّذى سمّاه «كشف الأسرار و هتك الأستار».

صلاح الدين فى مصر

و لما استقلّ السلطان صلاح الدين بأرض مصر، أسقط عن أهلها المكوس و الضرائب، و قرأ المنشور بذلك على رؤوس الأشهاد يوم الجمعة بعد الصلاة ثالث صفر سنة سبع و ستّمائة . و استولى على القصر و خزائنه و فيها من الأموال ما لا يحصى؛ من ذلك سبعمائة يتيمة من الجوهر، و قضيب زمرّد طوله أكثر من شبر و سمكه نحو الإبهام، و عقد من ياقوت، و إبريق عظيم من الحجر المائع إلى غير ذلك من التّحف، و وجد خزانة كتب ليس فى الإسلام لها نظير، تشتمل على نحو ألفى ألف مجلّد منها بالخطوط المنسوبة مائة ألف مجلّد، فأعطاها القاضى الفاضل. و أخذ السّلطان صلاح الدين فى نصر السنّة و إشاعة الحقّ، و إهانة المبتدعة و الانتقام من الروافض، و كانوا بمصر كثيرين.

صلاح الدين و الفرنج

ثمّ تجرّدت همّته إلى الفرنج و غزوهم؛ فكان من أمره معهم ما ضاقت به التواريخ، و استردّ منهم ما كانوا استولوا عليه من بلاد الإسلام بالشام. من ذلك القدس الشريف، فتحه، بعد أن كان فى يد الفرنج ... و أجلى ما بين الشام و مصر من الفرنج.

ثمّ افتتح الحجاز و اليمن من يد متغلّبيها و تسلّم دمشق بعد موت نور الدين، فصار سلطان مصر و الشام و اليمن و الحجاز.

قال ابن السبكى فى الطبقات الكبرى: له من الفتوحات التى خلّصها من أيدى الفرنج قلعة أيلة، طبريّة، عكّا، القدس، الخليل، الكرك، الشّوبك، نابلس، عسقلان،

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۴۲

بيروت، صيداء، بيسان، غزّة، لدّ، حيفا صفّوريه، معليا، الفولة، الطّور، إسكندرونة، هفوس ، يافا، أرسوف، قيساريّة، جبل نبل معليكة ، عفربلا ، اللّجّون، لستمة ، ياقون ، مجدل يابا، تلّ الصافية، بيت نوبا، الطّرون ، الجيب، البيرة، بيت لحم، ريحاء، قرا و احصر، الدّير ،

دمرا، قلقيلية، صرير ، الزّيت ، الوعر ، الهرمس ، تفليسا ، العازريّة، تفرع ، الكرك، مجدل، الحارغير فى جبل عاملة، الشّقيف، سبسطية و يقال: بها قبر زكرياء، و جبيل، و كوكب، و أنطرطوس، و اللّاذقيّة، و بكسرائيل ، صهيون، جبلة، قلعة العبد ، قلعة الجماهرية، بلاطنس ، الشّغر، بكاس، و سمر سامية ، برزية، و دربساك، و بغراس، و صفد.

و له مصافّات يطول شرحها.

و افتتح كثيرا من بلاد النّوبة من يد النصاى، و كانت مملكته من المغرب إلى تخوم العراق و معها اليمن و الحجاز، فملك ديار مصر بأسرها مع ما انضمّ إليها من بلاد المغرب و الشام بأسرها مع حلب و ما والاها، و أكثر ديار ربيعة و بكر و الحجاز بأسره و اليمن بأسره، و نشر العدل فى الرعيّة، و حكم بالقسط بين البريّة، و بنى المدارس و الخوّانق، و أجرى الأرزاق على العلماء و الصّلحاء، مع الدّين المتين و الورع و الزهد و العلم، و كان يحفظ القرآن و التنبيه و الحماسة. و هو الّذى ابتنى قلعة القاهرة على جبل

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۴۳

المقطّم التى هى الآن دار السلاطين، و لم يكن السلاطين يسكنون قبلها إلا دار الوزارة بالقاهرة، و فتح من بلاد المسلمين حرّان، و سروج، و الرّها و الرّقّة، و البيرة، و سنجار، و نصيبين، و آمد. و ملك حلب، و المواريخ و شهرز. و حاصر الموصل إلى أن دخل صاحبها تحت طاعته، و فتح عسكره طرابلس الغرب و برقة من بلاد المغرب، و كسر عسكر تونس، و خطب بها لبنى العباس. و لو لم يقع الخلف بين عسكره الذين جهّزهم إلى المغرب لملك الغرب بأسره، و لم يختلف عليه مع طول مدّته أحد من عسكره على كثرتهم. و كان النّاس يأمنون ظلمه لعدله. و يرجون رفده لكثرته، و لم يكن لمبطل و لا لصاحب هزل عنده نصيب. و كان إذا قال صدق، و إذا وعد وفى، و إذا عاهد لم يخن.

صفات صلاح الدين و وفاته

كان رقيق القلب جدّا، و رحل إلى الإسكندرية بولديه الأفضل و العزيز لسماع الحديث من السّلفىّ ، و لم يعهد ذلك لملك بعد هارون الرشيد، فإنّه رحل بولديه الأمين و المأمون إلى الإمام مالك لسماع الموطّأ. هذا كلّه كلام السبكى فى الطبقات.

قال: و من الكتب و المراسيم عنه فى النّهى عن الخوض فى الحرف و الصوت؛ و هو من إنشاء القاضى الفاضل: لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ...

[الأحزاب: ۶۰]، الآية، خرج أمرنا إلى كلّ قائم فى صفّ، أو قاعد فى أمام و خلف؛ ألّا نتكلم فى الحرف بصوت، و لا فى الصّوت بحرف، و من تكلّم بعدها كان الجدير بالتّكليم، فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ [النور: ۶۳]، و يسأل النواب القبض على مخالفى هذا الخطاب، و بسط العذاب، و لا يسمع لمتفقّه فى ذلك تحرير جواب، و لا يقبل عن هذا الذنب متاب. و من رجع إلى هذا الإيراد بعد الإعلان؛ و ليس الخبر كالعيان، رجع أخسر من صفقة أبى غبشان ، و ليعلن بقراءة هذا الأمر على المنابر، و ليعلم به الحاضر و البادى ليستوى فيه البادى و الحاضر، و اللّه يقول الحقّ و هو يهدى السبيل.

و من صنائع السلطان صلاح الدين أنّ أسقط المكوس و الضرائب عن الحجّاج

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۴۴

بمكّة، و قد كان يؤخذ منهم شىء كثير، و من عجز عن أدائه حبس، فربّما فاته الوقوف بعرفة، و عوّض أميرها ثمال إقطاعا بديار مصر، يحمل إليه منه فى كلّ سنة ثمانية آلاف أردبّ غلّة، لتكون عونا له و لأتباعه، و قرّر للمجاورين أيضا غلّات تحمل إليهم و صلات، فرحمة اللّه عليه فى سائر الأوقات، فلقد كان إماما عادلا، و سلطانا كاملا لم بل مصر بعد الصّحابة مثله، لا قبله و لا بعده!

و قد كان الخليفة المستضىء أرسل إليه فى سنة أربع و سبعين خلعا سنيّة جدّا، و زاد فى ألقابه «معزّ أمير المؤمنين». ثمّ لمّا ولى الخليفة الناصر فى سنة ستّ و سبعين أرسل إليه خلعة الاستمرار، ثم أرسل إليه فى سنة اثنتين و ثمانين يعاتبه فى تلقيبه بالملك الناصر، مع أنّه

لقب أمير المؤمنين، فأرسل يعتذر إليه بأنّ ذلك كان من أيّام الخليفة المستضىء، و أنّه إن لقّبه أمير المؤمنين بلقب، فهو لا يعدل عنه، و تأدّب مع الخليفة غاية الأدب.

قال العماد: و قد كان للمسلمين لصوص يدخلون إلى خيام الفرنج فيسرقون، فاتّفق أنّ بعضهم أخذ صبيّا رضيعا من مهده ابن ثلاثة أشهر، فوجدت عليه أمّه وجدا شديدا، و اشتكت إلى ملوكهم؛ فقالوا لها: إنّ سلطان المسلمين رحيم القلب، فاذهبى إليه، فجاءت إلى السلطان صلاح الدين فبكت، و شكت أمر ولدها، فرقّ لها رقّة شديدة، و دمعت عيناه، فأمر بإحضار ولدها، فإذا هو بيع فى السوق، فرسم بدفع ثمنه إلى المشترى، و لم يزل واقفا حتّى جيء بالغلام، فدفعه إلى أمّه، و حملها على فرس إلى قومها مكرّمة.

و استمرّ السلطان صلاح الدين على طريقته العظيمة؛ من مثابرة الجهاد للكفّار، و نشر العدل، و إبطال المكوس و المظالم، و إجراء البرّ و المعروف إلى أن أصيب به المسلمون، و انتقل بالوفاة إلى رحمة اللّه تعالى ليلة الأربعاء سادس عشرى صفر سنة تسع و ثمانين و خمسمائة، و له من العمر سبع و خمسون سنة. و عمل الشعراء فيه مراثى كثيرة، من ذلك قصيدة للعماد الكاتب، مائتان و ثلاثون بيتا أوّلها:

شمل الهدى و الملك عمّ شتاتهو الدّهر ساء و أقلعت حسناته

باللّه أين النّاصر الملك الّذىللّه خالصة صفت نيّاته؟

أين الّذى ما زال سلطانا لنايرجى نداه و تتّقى سطواته؟

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۴۵ أين الذى شرف الزمان بفضلهوسمت على الفضلاء تشريفاته؟

أين الّذى عنت الفرنج لبأسهذلّا و منها أدركت ثاراته؟

أغلال أعناق العدا أسيافهأطواق أجياد الورى منّاته

قال العماد و غيره: لم يترك فى خزانته من الذهب سوى دينار واحد صورىّ و ستة و ثلاثين درهما، و لم يترك دارا و لا عقارا و لا مزرعة، و لا شيئا من أنواع الأملاك، و ترك سبعة عشر ولدا ذكرا و ابنة واحدة.

و كان متدينا فى مأكله و مشربه و مركبه و ملبسه، فلا يلبس إلا القطن و الكتّان و الصّوف، و كان يواظب فى الجماعة، و يواظب سماع الحديث، حتّى أنّه سمع فى بعض المصافّات جزءا و هو بين الصّفين و يتبجّح بذلك، و قال: هذا موقف لم يسمع فيه أحد حديثا.

و بالجملة فمناقبه الحميدة كثيرة لا تستقصى إلا فى مجلّدات، و قد أفرد سيرته بالتصنيف جماعة من العلماء و الزّهاد و الأدباء، و كان به عرج فى رجله، فقال فيه ابن عنّين الشاعر:

سلطاننا أعرج و كاتبهذو عمش و الوزير منحدب

قال ابن فضل اللّه فى المسالك: و من غرائب الاتّفاق أنّ الشيخ علم الدين السخاوىّ مدح السلطان صلاح الدين، و مدحه الأديب رشيد الدين الفارقىّ، و بين وفاتيهما مائة سنة.

و ذكر اليافعىّ فى روض الرياحين أنّ السلطان صلاح الدين كان من الأولياء الثلاثمائة، و أنّ السلطان محمودا كان من الأولياء الأربعين.

*** [مصر بين العزيز و المنصور و الأفضل و العادل]

و قام بمصر من بعده ولده الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان، و كان نائب أبيه بها فى حياته مدّة اشتغاله بفتح البلاد الشاميّة، فاستقلّ بها بعد وفاته، فسار سيرة حسنة بعفّة عن الفرج و الأموال، حتّى إنه ضاق ما بيده، و لم يبق فى الخزانة لا درهم و لا دينار، فجاءه رجل يسعى فى قضاء الصّعيد بمال فامتنع، و قال: و اللّه لا بعت دماء المسلمين و أموالهم بملك الأرض. و سعى آخر فى قضاء

الإسكندريّة بأربعين ألف

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۴۶

دينار، و حملها إليه فلم يقبلها، و لم يزل إلى أن مات فى المحرّم سنة خمس و تسعين، و له سبع أو ثمان و عشرون سنة، و دفن فى قبّة الإمام الشافعىّ.

فأقيم ولده ناصر الدين محمد، و لقّب المنصور، فاستمرّ إلى رمضان سنة ستّ و تسعين، ثمّ استفتى عمّ أبيه العادل سيف الدين أبو بكر بن أيّوب بن شاذى الفقهاء فى عدم صحّة مملكته لكونه صغيرا ابن عشر سنين، فأفتوا بأن ولايته لا تصحّ، فنزع، و أقيم الملك العادل. و قيل إنّ العادل أخذها من الأفضل علىّ بن السلطان صلاح الدين، و كان الأفضل غلب عليها، و انتزعها من المنصور، و أرسل العادل إلى الخليفة يطلب التقليد بمصر و الشام، فأرسله إليه مع الشهاب السّهروردىّ، فكان يصيف بالشام و يشتى بمصر، و ينتقل فى البلاد إلى أن مات يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة سنة خمس عشرة و ستّمائة.

و من قول ابن عنّين فيه:

إنّ سلطاننا الذى نرتجيهواسع المال ضيّق الإنفاق

هو سيف كما يقال و لكنّقاطع للرّسوم و الأرزاق

و العادل أوّل من سكن قلعة الجبل بمصر من الملوك، سكنها فى سنة أربعين و ستّمائة، و نقل إليها أولاد العاضد و أقاربه فى بيت فى صورة حبس، و كان ابنه الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالى محمد ينوب عنه بمصر فى أيام غيبته، فاستقلّ بها بعد وفاته.

[الفرنج فى دمياط]

و فى هذه السنة نزلت الفرنج على دمياط ، و أخذ برج السّلسلة، و كان حصنا

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۴۷

منيعا، و هو قفل بلاد مصر، و صفته أنّه فى وسط جزيرة فى النيل عند انتهائه إلى البحر؛ و من هذا البرج إلى دمياط و هى على شاطىء البحر و حافّة النّيل سلسلة، و منه إلى الجانب الآخر و عليه الجسر سلسلة أخرى، ليمنع دخول المراكب من البحر إلى النيل، فلا يتمكن من البلاد، فلمّا ملكت الفرنج هذا البرج شقّ ذلك على المسلمين بديار مصر و غيرها، و وصل الخبر إلى الملك العادل و هو بمرج الصّفراء ، فتأوّه تأوّها شديدا، و دقّ بيده على صدره أسفا و حزنا، و مرض من ساعته مرض الموت.

ثمّ فى سنة ستّ عشرة استحوذ الفرنج على دمياط، و جعلوا الجامع كنيسة لهم، و بعثوا بمنبره و بالرّبعات و رؤوس القتلى إلى الجزائر، فإنّا للّه و إنّا إليه راجعون! و استمرّت بأيديهم إلى سنة سبع عشرة.

و كان الكامل عرض عليهم أن يردّ إليه بيت المقدس و جميع ما كان صلاح الدين فتحه من بلاد السواحل و يتركوا دمياط؛ فامتنعوا من ذلك؛ فقدّر اللّه أنّ ضاقت عليهم الأقوات، فقدمت عليهم مراكب فيها ميرة، فأخذها الأسطول البحرىّ، و أرسلت المياه إلى أراضى دمياط من كلّ ناحية، فلم يمكنهم بعد ذلك أن يتصرّفوا فى أنفسهم، و حصرهم المسلمون من الجهة الأخرى؛ حتّى اضطرّوهم إلى أضيق الأماكن، فعند ذلك أنابوا إلى المصالحة بلا معارضة، و كان يوما مشهودا، و وقع الصّلح على ما أراد الكامل، و مدّ سماطا عظيما، و قام راجح الحلّىّ فأنشد:

هنيئا فإنّ السّعد أضحى مخلّداو قد أنجز الرّحمن بالنّصر موعدا

حبانا إله الخلق فتحا بدا لنامبينا و إنعاما و عزّا مؤيّدا

إلى أن قال:

أعبّاد عيسى إنّ عيسى و حزبهو موسى جميعا يخدمون محمّدا

و كان حاضرا حينئذ الملك المعظّم عيسى و الملك الأشرف موسى ابنا الملك العادل.

قال أبو شامة: و بلغنى أنّه لما أنشد هذا البيت، أشار إلى الملك المعظّم عيسى و الأشرف موسى و الكامل محمد؛ فكان ذلك من أحسن شيء اتّفق، و تراجعت الفرنج إلى عكّا و غيرها من البلدان. قال الحافظ شرف الدين الدمياطى فى معجمه: أنشدنا أبو

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۴۸

زكريا يحيى بن يوسف الصّرصرىّ لنفسه ببغداد، و قد ورد كتاب من ديار مصر إلى الديوان بانتصار المسلمين على الرّوم و فتح ثغر دمياط:

أتانا كتاب فيه نسخة نصرةألخّص معناها لذى فطن جلد

يقول ابن أيّوب المعظّم حامدالربّ السماء الواحد الصمد الفرد

أمرنا بحمد اللّه جلّ ثناؤهو عز أرى دفريس فى طالع السّعد

تركنا من الأعلاج بالسيف مطعناثلاثين ألفا للقشاعم و الأسد

و منهم ألوف أربعون بأسرنافكم ملك فى قبضنا صار كالعبد

و دمياط عادت مثل ما بدأت لناو يافا ملكناها، فيا لك من جدّ!

و نحن على أن نملك السّيف كلّهعلى ثقة ممّن له خالص الحمد

ألا يا بن أيّوب لقد نلت غايةمن النّصر ضاهت ما بلغت من المجد

قهرت فرنج الرّوم قهرا سماعهيقسم ذلّ الرعب فى التّرك و السّغد حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة ؛ ج۲ ؛ ص۴۸

و ما نلت أسباب العلا عن كلالةو لم يأتك المجد المؤثّل من بعد

و لكن ورثت الملك و الفضل عن أبجليل و عن عمّ نبيل و عن جدّ

لجأت إلى ركن شديد و معقلمنيع و كنز جامع جوهر المجد

إلى فاتح باب الرشاد ببعثهو خاتم ميثاق النبوّة و العهد

إلى الشافعى المنجى الوجيه محمدفأحسنت فى صدق التوجّه و القصد

فمهما تجد من كيد ضدّ مضاغنبوجه به تظفر و تنصر على الضدّ

فلا صدّ عن عزّ سوابق مجدكم كلال و لا غالى الكلول سبا الحدّ

إلى أن تذيق الرّوم فى عقر دارهمزعافا و تسقى المؤمنين جنى الشّهد

*** و لما تولّى المستنصر الخلافة أرسل إلى الكامل محى الدين يوسف بن الشيخ

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۴۹

أبى الفرج بن الجوزىّ، و معه كتاب عظيم فيه تقليده الملك، و فيه أوامر كثرة مليحة من إنشاء الوزير نصير الدين أحمد بن الناقد؛ رأيت بخطّ قاضى القضاة عزّ الدين بن جماعة، قال: وقفت على نسخة تقليد من الخليفة المنصور أبى جعفر المستنصر باللّه أمير المؤمنين بخطّ وزيره أبى الأزهر أحمد بن الناقد فى رجب سنة نيّف و عشرين و ستمائة للملك الكامل:

الحمد للّه الذى اطمأنّت القلوب بذكره، و وجب على الخلائق جزيل حمده و شكره و وسعت كلّ شيء رحمته، و ظهرت فى كلّ أمر حكمته، و دلّ على وحدانيّته بعجائب ما أحكم صنعا و تدبيرا، و خلق كلّ شيء فقدّره تقديرا، ممدّ الشاكرين بنعمائه التى لا تحصى عددا، و عالم الغيب الّذى لا يظهر على غيبه أحدا؛ لا معقّب لحكمه فى الإبرام و النقض، و لا يؤده حفظ السماوات و الأرض، تعالى أن يحيط به الضّمير، و جلّ أن يبلغ وصفه البيان و التفسير؛ ليس كمثله شيء و هو السميع البصير.

و أحمد اللّه الذى أرسل محمد صلى اللّه عليه و سلم بالحق بشيرا و نذيرا، و داعيا إلى اللّه بإذنه و سراجا منيرا، و ابتعثه هاديا للخلق، و

أوضح به مناهج الرّشد و سبل الحقّ، و اصطفاه من أشرف الأنساب و أعزّ القبائل، و جعله أعظم الشّفعاء و أقرب الوسائل، فقذف صلى اللّه عليه و سلم بالحقّ على الباطل، و حمل النّاس بشريعته على المحجّة البيضاء و السّنن العادل؛ حتّى استقام اعوجاج كلّ زائغ، و رجع إلى الحقّ كلّ حائد عنه و مائل، و سجد للّه كلّ شيء تتفيّأ ظلاله على اليمين و الشمائل؛ صلى اللّه عليه و على آله و صحبه الكرام الأفاضل، صلاة مستمرّة بالغدوات و الأصائل، خصوصا على عمّه و صنو أبيه العبّاس بن عبد المطلب الّذى اشتهرت مناقبه فى المجامع و المحافل، و درّت ببركة استسقائه أخلاف السّحب الهواطل، و فاز من تنصيص الرسول صلى اللّه عليه و سلم فى الخلافة المعظّمة بما لم يفز به أحد من الأوائل.

و الحمد للّه الذى حاز مواريث النبوّة و الإمامة، و وفّر من جزيل الأقسام من الفضل و الكرامة، لعبده و خليفته، و وارث نبيّه و محيى شريعته و سنّته.

و لمّا وفّق اللّه نصير الدين محمد بن سيف الدين أبى بكر بن أيّوب من الطاعة المشهورة، و الخدم المشكورة، أنعم عليه بتقليد شريف إمامىّ، فقلّده على خيرة اللّه الرّعاية و الصلاة و أعمال الحرب و المعاون و الأحداث و الخراج و الضياع و الصّدقات و الجوالى و سائر وجوه الجبايات، و القرض و العطاء، و النفقة فى الأولياء، و المظالم و الحسبة فى بلاده، و ما يفتتحه و يستولى عليه من بلاد الفرنج الملاعين، و بلاد من تبرز إليه الأوامر الشريفة بقصده من المارقين عن الإجماع المنعقد بين علماء المسلمين. و منه

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۵۰

أمره بتقوى اللّه تعالى الّتى هى الجنّة الواقية؛ و النعمة الباقية، و الملجأ المنيع، و العماد الرفيع، و الذّخيرة النافعة فى السرّ و النّجوى، و الجذوة المقتبسة من قوله تعالى:

وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى [البقرة: ۱۹۷]، و أن يدرع شعارها فى جميع الأقوال، و يهتدى بأنوارها من مشكلات الأمور و الأحوال، و أن يعمل بها سرّا و جهرا، و يشرح للقيام بحدودها الواجبة صدرا، قال اللّه تعالى: وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ وَ يُعْظِمْ لَهُ أَجْراً [الطلاق: ۵]، و أمره بتلاوة كتاب اللّه تعالى، متدبّرا غوامض عجائبه، سالكا سبيل الرشاد، و الهداية فى العمل به، و أن يجعله مثالا يتّبعه و يقتفيه، و دليلا يهتدى بمراشده الواضحة فى أوامره و نواهيه؛ فإنّه النّفل الأعظم، و سبب اللّه المحكم، و الدّليل الذى يهدى للتى هى أقوم؛ ضرب اللّه فيه لعباده جوامع الأمثال، و بيّن لهم بهداه مسالك الرّشد و الضّلال، و فرّق بدلائله الواضحة و نواهيه الصادقة بين الحرام و الحلال، فقال عزّ من قائل: هذا بَيانٌ لِلنَّاسِ وَ هُدىً وَ مَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ [آل عمران: ۱۳۸]، و قال تعالى:

كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ [ص: ۲۹].

و أمره بالمحافظة على مفروض الصّلوات و الدخول فيها على أكمل هيئة من قوانين الخشوع و الإخبات ، و أن يكون نظره فى موضع نجواه من الأرض، و أن يمثل لنفسه فى ذلك موقفه بين يدى اللّه تعالى يوم العرض، و قال تعالى: الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ [المؤمنون: ۲]، و قال سبحانه: إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً [النساء: ۱۰۳]، و ألّا يشتغل بشاغل عن أداء فروضها الواجبة، و لا يلهو بسبب عن إقامة سنّتها الراتبة، فإنّها عماد الدّين التى سمت أعاليه، و مهاد الشّرع الذى رست قواعده و مبانيه، و قال تعالى: حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى وَ قُومُوا لِلَّهِ قانِتِينَ [البقرة: ۴۳۸]، و قال تعالى: إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ [العنكبوت: ۴۵].

و أمره أن يسعى إلى صلاة الجمع و الأعياد، و يقوم فى ذلك بما فرضه اللّه عليه و على العباد، و أن يتوجّه إلى المساجد و الجوامع متواضعا، و يبرز إلى المصلّيات الضاحية فى الأعياد خاشعا، و أن يحافظ فى تشييد قواعد الإسلام على الواجب و المندوب، و يعظّم باعتماده ذلك شعائر اللّه الّتى هى من تقوى القلوب.

و أن يشمل بوافر اهتمامه و اعتنائه، و كمال نظره و إرعائه، بيوت اللّه التى هى محالّ

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۵۱

البركات، و مواطن العبادات، و المساجد التى تأكّد فى تعظيمها و إجلالها حكمه، و البيوت التى أذن اللّه أن ترفع و يذكر فيها اسمه، و أن يرتّب لها من الخدم من يتبتّل لإزالة أدناسها، و يتصدّى لإذكاء مصابيحها فى الظلام و إيناسها، و يقوم لها بما يحتاج إليه من أسباب الصلاح و العمارات، و يحضر إليها ما يليق من الدّهن و الكسوات.

و أمره باتّباع سنّة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الّتى أوضح جددها، و ثقّف عليه السلام أودها، و أن يعتمد فيها على الأسانيد الّتى نقلتها الثقات، و الأحاديث الّتى صحّت بالطرق السليمة و الروايات، و أن يقتدى بما جاءت به من مكارم الأخلاق الّتى ندب صلى اللّه عليه و سلم إلى التمسك بسببها، و رغّب أمته فى الأخذ بها و العمل بأدبها، قال اللّه تعالى: وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا [الحشر: ۷]، و قال سبحانه و تعالى: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ [النساء: ۸۰].

و أمره بمجالسة أهل العلم و الدين، و أولى الإخلاص فى طاعة اللّه و اليقين، و الاستشارة بهم فى عوارض الشكّ و الالتباس، و العمل بآرائهم فى التمثيل و القياس؛ فإنّ فى الاستشارة بهم عين الهداية، و أمنا من الضلال و الغواية و ألّا يلقح عقم الأفهام و الألباب، و يقتدح زناد الرشد و الصواب، قال اللّه تعالى فى الإرشاد إلى فضلها، و الأمر فى التمسك بحبلها: وَ شاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ [آل عمران: ۱۵۹].

و أمره بمراعاة أحوال الجند و العسكر فى ثغوره، و أن يشملهم بحسن نظره و جميل تدبيره، مستصلحا شأنهم بإدامة التلطّف و التعهّد، مستوضحا أحوالهم بمواصلة التفحّص عنها و التفقّد، و أن يسوسهم بسياسة تبعثهم على سلوك المنهج السليم، و يهديهم فى انتظامها و اتّساقها إلى الصراط المستقيم، و يحملهم على القيام بشرائط الخدم، و التّمسّك منها بأقوى الأسباب و أمتن العصم، و يدعوهم إلى مصلحة التواصل و الائتلاف، و يصدّهم عن موجبات التخاذل و الاختلاف، و أن يعتمد فيهم شرائط الحزم فى الإعطاء و المنع، و ما تقتضيه مصلحة أحوالهم من أسباب الخفض و الرفع؛ و أن يثيب المحسن منهم على إحسانه، و يسبل على المسيء ما وسعه العفو و احتمل الأمر ذيل صفحه و امتنانه، و أن يأخذ برأى ذوى التجارب منهم و الحنكة، و يجتنى بمشاورتهم ثمر البركة؛ إذ فى ذلك أمن من خطأ الانفراد، و تزحزح عن مقام الزّيغ و الاستبداد.

و أمره بالتبتّل لما يليه من البلاد، و يتّصل بنواحيه من ثغور أولى الشّرك و العناد؛ و أن يصرف مجامع الالتفات إليها، و يخصّها بوفور الاهتمام بها و التطلّع عليها، و أن يشمل ما ببلاده من الحصون و المعاقل بالإحكام و الإتقان، و ينتهى فى أسباب مصالحها إلى غاية الوسع و الإمكان، و أن يشحنها بالميرة الكثيرة و الذخائر، و يمدّها من الأسلحة و الآلات بالعدد المستصلح الوافر، و أن يتخيّر لحراستها من الأمناء الثّقات، و يسدّها بمن

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۵۲

ينتخبه من الشجعان الكماة، و أن يؤكّد عليهم فى استعمال أسباب الحيطة و الاستظهار، و يوقظهم إلى الاحتراس من غوائل الغفلة و الاغترار، و أن يكون المشار إليهم ممن تربّوا فى ممارسة الحروب على مكافحة الشدائد، و تدرّبوا فى نصب الحبائل للمشركين و الأخذ عليهم بالمراصد، و أن يعتمد هذا القبيل بمواصلة المدد، و كثرة العدد، و التّوسعة فى النفقة و العطاء، و العمل معهم بما يقتضيه حالهم و تفاوتهم فى التقصير و العناء، إذ فى ذلك حسم لمادة الأطماع فى بلاد الإسلام، و ردّ لكيد المعاندين من عبدة الأصنام؛ فمعلوم أنّ هذا الفرض أول ما وجّهت إليه العنايات و صرفت، و أحقّ ما قصرت عليه الهمم و وقفت؛ فإنّ اللّه تعالى جعله من أهمّ الفروض التى لزم القيام فيها بحقّه، و أكبر الواجبات التى كتب العمل بها على خلقه، فقال سبحانه و تعالى هاديا فى ذلك إلى سبيل الرشاد، و محرّضا لعباده على قيامهم له بفرض الجهاد: ذلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَ لا نَصَبٌ ... [التوبة: ۱۲۰]، إلى قوله تعالى: لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ [التوبة: ۲۱]، و قال تعالى: وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ [البقرة: ۱۹۱]، و قال النبى صلى اللّه عليه و سلم: «من نزل منزلا يخيف فيه المشركين و يخيفونه، كان له كأجر ساجد لا يرفع رأسه إلى يوم القيامة، و أجر قائم لا يقعد إلى يوم القيامة، و أجر صام لا يفطر» .. و قال صلى اللّه عليه و سلم: «غدوة فى سبيل اللّه أو روحة خير ممّا طلعت عليه الشمس»، هذا قوله صلى

اللّه عليه و سلم فى حقّ من سمع هذه المقالة فوقف لديها، فكيف بمن كان قال عليه السّلام: «ألا أخبركم بخير النّاس! ممسك بعنان فرسه فى سبيل اللّه، كلّما سمع هيعة طار إليها».

و أمره باقتفاء أوامر اللّه تعالى فى رعاياه، و الاهتداء إلى رعاية العدل و الإنصاف و الإحسان بمراشده الواضحة و وصاياه؛ و أن يسلك فى السياسة به سبيل الصّلاح و يشملهم بلين الكنف و خفض الجناح، و يمد ظلّ رعايتهم على مسلمهم و معاهدهم، و يزحزح الأقذاء و الشوائب عن مناهلهم فى العدل و مواردهم، و ينظر فى مصالحهم نظرا يساوى فيه بين الضعيف و القوىّ، و يقوم بأودهم قياما تهتدى به و يهديهم إلى الصراط السوىّ؛ قال اللّه تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ ... [النحل: ۹۰].

و أمره باعتماد أسباب الاستظهار و الأمنة و استقصاء الطاقة المستطاعة و القدرة الممكنة، فى المساعدة على قضاء تفث حجّاج بيت اللّه الحرام، و زوّار نبيّه عليه أفضل الصلاة و السلام، و أن يمدّهم بالإعانة فى ذلك على تحقيق الرجاء و بلوغ المرام،

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۵۳

و يحرسهم من التخطّف و الأذى فى حالتى الظّعن و المقام؛ فإنّ الحجّ أحد أركان الدين المشتدة، و فروضه الواجبة المؤكّدة، قال تعالى: وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا [الحج: ۹۷].

و أمره بتقوية أيدى العاملين بحكم الشّرع فى الرّعايا، و تنفيذ ما يصدر عنهم من الأحكام و القضايا، و العمل بأقوالهم فيما يثبت لذوى الاستحقاق، و الشدّ على أيديهم فيما يرونه من المنع و الإطلاق، و أنّه متى تأخّر أحد الخصمين عن إجابة داعى الحكم، أو تقاعس فى ذلك لما يلزم من الأداء و الغرم، جذبه بعنان القسر إلى مجلس الشّرع، و اضطره بقوّة الأنصار إلى الأداء بعد المنع، و أن يتوخّى عمّال الوقوف الّتى تقرّب المتقربون بها، و استمسكوا فى ظلّ ثواب اللّه بمتين سببها، و أن يمدّهم بجميل المعاونة و المساعدة، و حسن المؤازرة و المعاضدة، فى الأسباب التى تؤذن بالعمارة و الاستنماء، و يعود عليها بالمصلحة و الاستخلاص و الاستيفاء، قال تعالى: وَ تَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوى [المائدة: ۲].

و أمره أن يتخيّر من أولى الكفاية و النزاهة من يستخلصه للخدم و الأعمال، و القيام بالواجب؛ من أداء الأمانة و الحراسة و التمييز لبيت المال، و أن يكونوا من ذوى الاطّلاع بشرائط الخدم المعيّنة و أمورها، و المهتدين إلى مسالك صلاحها.

[شعر] قال الصلاح الصّفدىّ فى تاريخه: حكى صاحب كتاب الإشعار بما للملوك من النوادر و الأشعار، قال: كان الملك الكامل ليلة جالسا فدخل عليه مظفّر الأعمى، فقال له أجزيا مظفّر:

قد بلغ الشوق منتهاه فقال مظفّر:

و ما درى العاذلون ما هو فقال السّلطان:

ولى حبيب رأى هوانى حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۵۴

فقال مظفّر:

و ما تغيّرت عن هواه فقال السّلطان:

رياضة النفس فى احتمال فقال مظفّر:

و روضة الحسن فى حلاه فقال السلطان:

أسمر لدن القوام ألمى فقال مظفّر:

يعشقه كلّ من يراه فقال السّلطان:

و ريقه كلّه مدام فقال مظفّر:

ختامه المسك من لماه فقال السّلطان:

ليلته كلّها رقاد فقال مظفّر:

و ليلتى كلّها انتباه فقال السلطان:

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۵۵ و ما يرى أن أكون عبدا فقام مظفّر على قدميه، و قال:

بالملك الكامل احتماه العالم العامل الذى فى كل صلاة ترى إياه

ليث و غيث و بدر تمّو منصب جلّ مرتقاه

قال الحافظ عبد العظيم المنذرىّ: أنشأ الملك الكامل دار الحديث بالقاهرة، و عمر القبّة على ضريح الشافعىّ، و أجرى الماء من بركة الحبش إلى حوض السبيل و السّقاية على باب القبّة المذكورة، و وقف غير ذلك من الوقوف على أنواع البرّ، و له المواقف المشهودة بدمياط، و كان معظّما للسّنّة و أهلها، قال الذهبىّ: و كانت له إجازة من السّلفىّ، و خرّج له أبو القاسم بن الصّفراوىّ أربعين حديثا سمعها من جماعة.

و قال ابن خلكان: اتّسعت المملكة للملك الكامل، حتّى قال خطيب مكّة مرّة عند الدعاء له: سلطان مكّة و عبيدها، و اليمن و زبيدها، و مصر و صعيدها، و الشام و صناديدها، و الجزيرة و وليدها، سلطان القبلتين، و ربّ العلامتين، و خادم الحرمين الشريفين، الملك الكامل أبو المعالى ناصر الدين محمد خليل أمير المؤمنين.

و كانت وفاته بدمشق يوم الأربعاء حادى عشرى رجب سنة خمس و ثلاثين و ستّمائة.

*** [الملك العادل سيف الدين أبو بكر، ثمّ الملك الصالح نجم الدين أيوب]

و أقيم بعده ولده الملك العادل أبو بكر، و كان نائب أبيه بمصر مدّة غيبته، فبلغ أخاه الأكبر الملك الصالح نجم الدين أيّوب بن الكامل صاحب حصن كيفا ، فقدم،

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۵۶

و برز العادل إلى بلبيس قاصدا للقتال، فاختلفت عليه الأمراء، فقيّدوه و اعتقلوه، و أرسلوا إلى الصالح أيّوب فوصل إليهم، فملّكوه، و ذلك فى صفر سنة سبع و ثلاثين. فأقام فى الملك عشر سنين إلّا أربعة أشهر. و كان مهيبا جدّا، دبر المملكة على أحسن وجه، و بنى المدارس الأربعة بين القصرين، و عمّر قلعة بالروضة، و اشترى ألف مملوك و أسكنهم بها، و سمّاهم البحريّة، و هو الذى أكثر من شراء التركو عتقهم و تأميرهم، و لم يكن ذلك قبله، فقام الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام القومة الكبرى فى بيع أولئك الأمراء، و صرف ثمنهم فى مصالح المسلمين، و قال بعض الشعراء:

الصالح المرتضى أيّوب أكثر من ترك بدولته، يا شرّ مجلوب!

قد آخذ اللّه أيّوبا بفعلتهفالنّاس كلّهم فى ضرّ أيّوب

و لما تولّى الخليفة المستعصم أنفذ الصالح إليه رسوله، يطلب تقليدا بمصر و الشام، فجاءه التشريف و الطّوق الذهب و المركوب، فلبس التشريف الأسود و العمامة و الجبّة، و ركب الفرس، و كان يوما مشهودا.

[هجوم الفرنج و وفاة الملك الصالح]

فلما كان سنة سبع و أربعين، هجمت الفرنج على دمياط، فهرب من كان فيها، و استحوذوا عليها، و الملك الصالح مقيم بالمنصورة لقتالهم، فأدركه أجله و مرض و مات بها ليلة النصف من شعبان، فأخفت جاريته شجرة الدرّ موته، و بقيت تعلم بعلامته سواه، و أعلمت أعيان الأمراء، فأرسلوا إلى ابنه الملك المعظّم توران شاه و هو بحصن كيفا، فقدم فى ذى القعدة ، و ملّكوه، فركب فى عصائب الملك، و قاتل الفرنج و كسرهم، و قتل منهم ثلاثين ألفا، و للّه الحمد.

و كان فى عسكر المسلمين الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام، و كانت النّصرة أوّلا للفرنج، و قويت الرّيح على المسلمين، فقال الشيخ عزّ

الدین بأعلی صوته مشیرا بیده إلی الریح: یا ریح خذیهم، عدّة مرار، فعادت الریح علی مراکب الفرنج فکسرتها، و کان الفتح، و غرق أکثر الفرنج، و صرخ من المسلمین صارخ: الحمد للّه الذی أرانا فی أمة محمّد صلی اللّه علیه و سلم رجلا سخّر له الریح، و کان ذلک فی یوم الأربعاء ثالث المحرّم. و أسر

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۵۷

الفرنسیس ملک الفرنج، و حبس مقیّدا بدار ابن لقمان، و وکل بحفظه طواشی یقال له صبیح. ثمّ نفرت قلوب العسکر من المعظّم لکونه قرّب ممالیکه، و أبعد ممالیک أبیه، فقتلوه فی یوم الاثنین سابع عشر المحرّم و داسوه بأرجلهم، و کانت مملکته شهرین.

قال ابن کثیر و قد رئی أبوه الصالح فی النوم بعد قتل ابنه، و هو یقول:

قتلوه شرّ قتلهصار للعالم مثله

لم یراعوا فیه إلّالا و لا من کان قبله

ستراهم عن قریبلأقلّ الناس أکله

فکان کذلک، وقع بعد ذلک قتال بین المصریین و الشامیّین، و عدم من المصریین طائفة کثیرة.

[شجرة الدر]

و اتفقوا بعد قتل المعظّم علی تولیة شجر الدرّ أمّ خلیل جاریة الملک الصالح، فملّکوها، و خطب لها علی المنابر، فکان الخطباء یقولون بعد الدعاء للخلیفة: و احفظ اللهمّ الجهة الصالحة ملکة المسلمین، عصمة الدّنیا و الدّین، أمّ خلیل المستعصمیّة، صاحبة السلطان الملک الصالح. و نقش اسمها علی الدینار و الدرهم، و کانت تعلم علی المناشیر و تکتب: والدة خلیل. و لم یل مصر فی الإسلام امرأة قبلها.

و لمّا ولیت تکلّم الشیخ عزّ الدین بن عبد السلام فی بعض تصانیفه علی ما إذا ابتلی المسلمون بولایة امرأة، و أرسل الخلیفة المستعصم یعاتب أهل مصر فی ذلک و یقول: إن کان ما بقی عندکم رجل تولّونه، فقولوا لنا نرسل إلیکم رجلا.

ثم اتّفقت شجر الدّرّ و الأمراء علی إطلاق الفرنسیس ، بشرط أن یردّوا دمیاط إلی المسلمین، و یعطوا ثمانمائة ألف دینار عوضا عمّا کان بدمیاط من الحواصل، و یطلقوا أسراء المسلمین. فأطلق علی هذا الشّرط، فلمّا سار إلی بلاده أخذ فی الاستعداد و العود إلی دمیاط، فندمت الأمراء علی إطلاقه؛ و قال الصاحب جمال الدین بن مطروح- و کتب بها إلیه:

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۵۸ قل للفرنسیس إذا جئتهمقال صدق من قؤول نصیح

آجرک اللّه علی ما جریمن قتل عبّاد یسوع المسیح

أتیت مصر تبتغی ملکهاتحسب أن الزّمر بالطّبل ریح

فساقک الحین إلی أدهمضاق به عن ناظریک الفسیح

و کلّ أصحابک أودعتهمبحسن تدبیرک بطن الضّریح

تسعین ألفا لا تری منهمإلّا قتیلا أو أسیرا جریح

وفّقک اللّه لأمثالهالعلّ عیسی منکم یستریح

إن کان باباکم بذا راضیافرب غشّ قد أتی من نصیح

و قل لهم إن أضمروا عودةلأخذ ثأر أو لعقد صحیح:

دار ابن لقمان علی حالهاو القید باق و الطّواشی صبیح

فلم ینشب الفرنسیس أن أهلکه اللّه، و کفی المسلمین شرّه، و أقامت شجر الدرّ فی المملکة ثلاثة أشهر، ثمّ عزلت نفسها. و اتّفقوا علی

أن يملّكوا الملك الأشرف موسى بن صلاح الدين يوسف بن المسعود بن الملك الكامل، فملّكوه و له ثمان سنين ، و ذلك فى يوم الأربعاء ثالث جمادى الأولى سنة ثمان و أربعين. و جعل عزّ الدين أيبك التركمانىّ مملوك الصالح أتابكه، و خطب لهما، و ضربت السكّة باسمهما، و عظم شأن الأتراك من يومئذ، و مدّوا أيديهم إلى العامّة، و أحدث وزيره الأسعد الفائزىّ ظلامات و مكوسا كثيرة.

[الملك المعزّ عز الدين أيبك الجاشنكير التركمانى]

ثمّ إنّ عز الدين خلع الملك الأشرف و استقلّ بالسلطنة فى سنة اثنتين و خمسين، و لقّب الملك المعزّ؛ و هو أوّل من ملك مصر من الأتراك، و ممّن جرى عليه الرّقّ، فلم يرض النّاس بذلك حتى أرضى الجند بالعطايا الجزيلة، و أمّا أهل مصر فلم يرضوا بذلك، و لم يزالوا يسمعونه ما يكره إذا ركب و يقولون: لا نريد إلا سلطانا رئيسا ولد على الفطرة، و كان المعزّ تزوّج شجر الدرّ.

ثم إنه خطب ابنة صاحب الموصل، فغارت شجر الدر فقتلته فى أواخر ربيع

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۵۹

الأوّل سنة خمس و خمسين، و أقيم بعده ولده علىّ و لقّب المنصور، و عمره نحو خمس عشرة سنة، فأقام سنتين و ثمانية أشهر، و فى أيامه أخذ التتار بغداد، و قتل الخليفة.

[الملك المظفر سيف الدين قطز]

ثم إنّ الأمير سيف الدين قطز مملوك المعزّ قبض على المنصور، و اعتقله فى أواخر ذى القعدة سنة سبع و خمسين؛ و تملّك مكانه، و لقّب بالملك المظفّر بعد أن جمع الأمراء و العلماء و الأعيان، و أفتوا بأنّ المنصور صبىّ لا يصلح للملك، لا سيّما فى هذا الزمان الصعب الذى يحتاج إلى ملك شهم مطاع لأجل إقامة الجهاد، و التتار قد وصلوا البلاد الشاميّة، و جاء أهلها إلى مصر يطلبون النّجدة؛ و أراد قطز أن يأخذ من الناس شيئا ليستعين به على قتالهم؛ فجمع العلماء، فحضر الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام فقال: لا يجوز أن يؤخذ من الرعيّة شىء حتّى لا يبقى فى بيت المال شىء، و تبيعوا مالكم من الحوائص و الآلات، و يقتصر كلّ منكم على فرسه و سلاحه، و تتساووا فى ذلك أنتم و العامة. و أما أخذ أموال العامة مع بقاء ما فى أيدى الجند من الأموال و الآلات الفاخرة فلا. و لم يكن قطز هذا مرقوق الأصل، و لا من أولاد الكفر.

فقال الجزرىّ فى تاريخه: كان قطز فى رقّ ابن الزعيم، فضربه أستاذه فبكى، فقيل له: تبكى من لطمة؟! فقال: إنّما أبكى من لعنة أبى و جدّى، و هما خير منه، فقيل: من أبوك! واحد كافر. قال: ما أنا إلّا مسلم، أنا محمود بن مودود بن أخت خوارزم شاه من أولاد الملوك.

و خرج المظفّر بالجيوش فى شعبان سنة ثمان و خمسين [و ستمائة] متوجّها إلى الشام لقتال التتار و شاويشه ركن الدين بيبرس البندقدارىّ، فالتقوا هم و التتار عند عين جالوت، و وقع المصافّ يوم الجمعة خامس عشرى رمضان، فهزم التتار شرّ هزيمة، و انتصر المسلمون و للّه الحمد، و جاء كتاب المظفّر إلى دمشق بالنصر، فطار الناس فرحا، ثم دخل المظفّر إلى دمشق مؤيّدا منصورا، فأحبّه الخلق غاية المحبّة، و قال بعض الشعراء فى ذلك:

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۶۰ هلك الكفر فى الشآم جميعاو استجدّ الإسلام بعد دحوضه

بالمليك المظفّر الملك الأروع سيف الإسلام عند نهوضه

و قال الإمام أبو شامة رحمه اللّه فى ذلك شعرا:

غلب التّتار على البلاد فجاءهممن مصر تركىّ يجود بنفسه

بالشّام أهلكهم و بدّد شملهمو لكلّ شىء آفة من جنسه

و ساق بيبرس وراء التتار إلى حلب، و طردهم عن البلاد، و وعده السلطان بحلب.

ثمّ رجع عن ذلك، فتأثّر بيبرس و وقعت الوحشة بينهما، فأضمر كلّ لصاحبه الشرّ، فاتّفق بيبرس مع جماعة من الأمراء على قتل المظفّر، فقتلوه فى الطريق فى سادس عشر ذى القعدة سنة ثمان و خمسين بين العرابى و الصالحيّة، و تسلطن بيبرس ، و لقّب بالملك القاهر، و دخل مصر و أزال عن أهلها ما كان المظفّر أحدثه عليهم من المظالم، و أشار عليه الوزير زين الدين أن يغيّر هذا اللقب، و قال: ما تلقّب به أحد فأفلح؛ فأبطل السلطان هذا اللقب، و تلقّب بالملك الظّاهر.

[أرجوزة الجزّار فى الأمراء المصرية]

و قد نظم الأديب جمال الدين المصرى المعروف بالجزّار الشاعر المشهور أرجوزة سمّاها «العقود الدرّية فى الأمراء المصرية»، ضمّنها أمراء مصر من عمرو بن العاص إلى الملك الظاهر هذا، فقال:

الحمد للّه العلىّ ذكرهو من يفوق كلّ أمر أمره

أحمده و هو ولىّ الحمدعلى توالى برّه و الرّفد

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۶۱ ثمّ الصّلاة بعد هذا كلّهعلى أجلّ خلقه و رسله

محمّد خير بنى عدنانو من أتاه الوحى بالتّبيان

دامت عليه صلوات ربّهثمّ على عترته و صحبه

يا سائلى عن أمراء مصرمنذ حباها عمر لعمرو

خذ من جوابى ما يزيل اللّبساو احفظه حفظ ذاكر لا ينسى

أوّل من كان إليه الأمرمفوّضا بعد الفتوح عمرو

و ابن أبى سرح تولّى أمرهاو قيس ساس نفعها و ضرّها

ثمّ تولّى النّخعىّ الأشترو ابن أبى بكر كما قد ذكروا

ثمّ أعيدت بعده لعمروثانية و عتبة فى الإثر

و عقبة ثمّ الأمير مسلمهو ابن يزيد و هو نجل علقمه

ثمّ تولّى الأمر عبد الرّحمنو بعده تأمّر ابن مروان

إذ كان ولّاها له أبوهو هو بمصر حوله ذووه

ثمّ لعبد اللّه تعزى الإمرهو بعده نجل شريك قرّه

ثمّ تولى بعده عبد الملكنقلا صحيحا غير نقل مؤتفك

و ابن شرحبيل الأمير أيّوبو بشر فالأمر إليه منسوب

ثمّ أخو بشر الأمير حنظلةثم غدا محمد و الأمر له

و الحرّ نجل يوسف و حفصمن بعده جاء بذاك النّصّ

ثمّ فتى رفاعة عبد الملكثمّ الوليد صنوه كلّ ملك

ثم ابن خالد بعد تاليهثمّ ابن صفوان تولّى ثانيه

و حفص قد عاد إليها والياو قام حسّان الأمير تاليا

ثمّ تولّى حفص و هى الثالثهو ابن سهيل جاء فيها وارثه

و ابن عبيد و اسمه المغيرهدبّر إقليما غدا أميره

ثمّ ابن مروان ولیّ لخمو کان للدولة أیّ ختم

و صالح أوّل من تولّیثمّ ابن عون و هو نعم المولی

ثمّ أبو عون لها أعیداثانیة و أدرک المقصودا

و جاء موسی بعده ابن کعبمحکّما فی سلما و الحرب

ثمّ أتی محمد بن الأشعثفاسمع لما حدثته و حدّث

ثمّ حمید و هو ابن قحطبهثمّ یزید نال أیضا منصبه

و قام عبد اللّه فیها یحمدثمّ أخوه بعده محمّد

ثمّ غدا الأمیر موسی بن علیو بعد عیسی بن لقمان ولی

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۶۲ و واضح و کان مولی المنصورو بعد ذاک ابن یزید منصور

و جاء یحیی بعده ابن ممدودو سالم فی الأمراء معدود

و بعده ابراهیم نجل صالحو لم یزل ینظر فی المصالح

و جاء موسی و هو نجل مصعبو بعده أسامة بها حبی

و الفضل نجل صالح أیضا ولیو بعده نجل سلیمان علی

ثمّ حوی موسی بن عیسی حرمهثمّ تولّاها ابن یحیی مسلمه

و ابن زهیر و اسمه محمّدو جاء داود و هذا مسند

و جاء موسی نجل عیسی ثانیهو نال فی إمرتها أمانیه

کذاک إبراهیم أیضا ولّیفیها کما قد قیل بعد العزل

و حاز عبد اللّه منها الآفاقو ابن سلیمان المسمّی إسحاق

ثمّ أتی هرثمة و هو الملکو بعده ابن صالح عبد الملک

ثمّ عبید اللّه نجل المهدیو کان ربّ حلّها و العقد

و بعده موسی بن عیسی ثالثهحتّی رأی من دهره حوادثه

ثمّ عبید اللّه نجل المهدیثانیة فی حلّها و العقد

و جاء إسماعیل نجل صالحیأمر فی الغادی بها و الرّائح

و بعده سمیّه ابن عیسیتحدو إلیه القاصدون العیسا

ثمّ تولّی اللیث نجل الفضلو أحمد من بعده ذو الفضل

و جاء عبد اللّه یقفو جندهثمّ الحسین بن جمیل بعده

ثمّ تولّی مالک ثمّ الحسن کلاهما أوضح فی العدل السّنن

ثمّ غدا الأمیر فیها حاتمو جابر بالأمر فیها قائم

ثمّ لعبّاد غدت تنتسبو بعده أمیرها المطّلب

ثمّ تولّی أمرها العبّاسو فوّض الأمر إلیه الناس

ثمّ أعید الأمر للمطّلبثانیة ثمّ السّریّ فاعجب

ثمّ سلیمان له الأمر حصلثمّ السریّ بعد ما کان انفصل

ثمّ تولّی ابن السریّ الأمراو طالما ساء بها و سرّا

ثمّ عبید اللّه و هو ابن السّریو بعده ابن طاهر فحرّر

و بعده عیسی فتی یزیدثمّ عمیر من بنی الولید

قد کان ولّاها له لمّا قدمعلی البلاد ابن الرشید المعتصم

و عاد عیسی و هو فیها والیو عبدویه ذو المحلّ العالی

و قد تولّی بعده ابن منصورعیسی و هذا الأمر أمر مشهور

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۶۳ و عند ذاک قدم المأمونلمصر و الدّنیا له تدین

فی سنة تعدّ سبع عشرةو مائتین بعد عام الهجره

ثمّ تولّی ابن أبی العبّاسموسی بلا شکّ و لا التباس

و مالک بن کیدر ثمّ علیو بعده عیسی بن منصور ولی

و بعده هرثمة بن النّضرو حاکم و کان ربّ الأمر

ثمّ علیّ نجل یحیی ثانیهو حاء إسحاق بن یحیی تالیه

و بعده الأمیر عبد الواحدو هو ابن یحیی فارض بالفوائد

و بعده عنبسة بن اسحاقثم یزید حاز منها الآفاق

ثمّ تولّی أمرها مزاحمثمّ ابنه أحمد فیها القائم

و نال أرجوز بها ما یقصدثمّ ابن طولون الأمیر أحمد

ثمّ أبو الجیش ابنه من بعدهثمّ أتی جیش ولیّ عهده

ثمّ تولّی بعده هارونو بعده من جدّه طولون

و بعده عیسی فتی محمّدثم تکین صار ربّ السّؤدد

ثمّ تولّاها ذکا الأعورثمّ تکین و هو وقت آخر

ثمّ هلال و هو ابن بدرأصبح فیها و هو ربّ الأمر

ثمّ تولّی أحمد بن کیغلغثمّ تکین إذ له الأمر بلغ

ثمّ أتی محمّد بن طغجو أحمد ثانیه فی النّهج

ثمّ تولّاها ابن طغج ثانیهثمّ أبو القاسم جاء تالیه

ثمّ أتی الإخشید من بعد علیو بعد ذاک الأمر کافور ولی

و بعد کافور تولّی أحمدثمّ أتی جوهر و هو أید

ثمّ تولّاها المعزّ إذ أتیثمّ العزیز نجله خیر فتی

ثمّ ابنه الحاکم ثم الظّاهرو کلّهم فی المأثرات باهر

ثمّ تولی أمرها المستنصرو هو لعمری یقظ مستبصر

ثمّ تولّی أمرها المستعلیو کان ربّ عقدها و الحل

و بعد ذاک قد حواها الآمرو لم تکد تعصی له أوامر

ثمّ تولّاها الإمام الحافظو هو علی تدبیرها محافظ

و جاء إسماعیل و هو الظافرثمّ ابنه الفائز و هو الآخر

أعنی بمن قلت الإمام العاضدامحرّرا فاغتنم الفوائدا

و شیرکوه مدّة یسیره‌تناهز الشهرین منه السّیره

ثم تولاها الصلاح یوسف‌ثم العزیز و ابنه مستضعف

ثمّ أتی الأفضل نور الدّین‌و بعده العادل ذو التّمکین

ثمّ ابنه الکامل ثم العادل‌کلاهما بالحکم فیها عادل

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۶۴ ثمّ أتی الصّالح و هو الأعظم‌ثمّ تولّاها ابنه المعظّم

و بعده أمّ خلیل ملکت‌و طابت الأفعال فیها و زکت

و الملک الأشرف کان طفلافلم یدبّر عقدها و الحلّا

ثمّ استبدّ الملک المعزّ ثم ابنه و وافقته الغزّ

ثم حواها الملک المظفّرو حظّه من نصره موفّر

ثمّ حوی الأمر الملیک الظاهرلا زال للأعداء و هو قاهر!

[ذکر من قام بمصر من الخلفاء العباسیین]

اشارة

کان لانقراض الخلافة ببغداد و ما جری علی المسلمین بتلک البلاد مقدّمات نبّه علیها العلماء:

منها، أنّه فی یوم الثلاثاء ثامن عشر ربیع الآخر سنة أربع و أربعین و ستّمائة هبّت ریح عاصفة شدیدة بمکّة، فألقت ستارة الکعبة المشرّفة، فما سکنت الریح إلّا و الکعبة عریانة، قد زال عنها شعار السواد، و مکثت إحدی و عشرین یوما لیس علیها کسوة.

و قال الحافظ عماد الدین بن کثیر: و کان هذا فألا علی زوال دولة بنی العبّاس؛ و منذرا بما سیقع بعد هذا من کائنة التّتار، لعنهم اللّه.

و منها، قال ابن کثیر فی حوادث سنة سبع و أربعین: طغی الماء ببغداد، حتّی أتلف شیئا کثیرا من المحالّ و الدّور الشهیرة، و تعذّرت إقامة الجمعة بسبب ذلک.

و فی هذه السنة هجمت الفرنج علی دمیاط ؛ فاستحوذوا علیها و قتلوا خلقا من المسلمین.

و فی سنة خمسین وقع حریق بحلب احترق بسببه ستّمائة دار؛ فیقال: إنّ الفرنج لعنهم اللّه ألقوه فیها قصدا.

و فی سنة اثنتین و خمسین، قال سبط ابن الجوزی فی مرآة الزمان: وردت الأخبار من مکّة شرّفها اللّه، بأنّ نارا ظهرت فی أرض عدن فی بعض جبالها، بحیث أنه یطیر شررها إلی البحر فی اللیل، و یصعد منها دخان عظیم فی أثناء النهار، فتاب الناس و أقلعوا عمّا کانوا علیه من المظالم و الفساد، و شرعوا فی أفعال الخیر و الصّدقات.

و فی سنة أربع و خمسین زادت دجلة زیادة مهولة، فغرق خلق کثیر من أهل

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۶۵

بغداد، و مات خلق تحت الهدم، و رکب النّاس فی المراکب، و استغاثوا باللّه، و عاینوا التّلف، و دخل الماء من أسوار البلاد، و انهدمت دار الوزیر و ثلثمائة و ثمانون دارا، و انهدم مخزن الخلیفة، و هلک شیء کثیر من خزانة السلاح.

قال ابن السّبکی فی الطبقات الکبری: و کان ذلک من جملة الأمور، التی هی مقدّمة لواقعة التّتار.

و فی هذه السنة، فی یوم الاثنین مستهلّ جمادی الآخرة، وقع بالمدینة الشریفة صوت یشبه صوت الرّعد البعید تارة و تارة، و أقام علی هذه الحالة یومین، فلمّا کان لیلة الأربعاء تعقّب الصوت زلزلة عظیمة، رجفت منها الأرض و الحیطان، و اضطرب المنبر الشریف، و استمرّت تزلزل ساعة بعد ساعة إلی یوم الجمعة خامس الشهر، ظهر من الحرّة نار عظیمة، و سالت أودیة منها سیل الماء، و سالت

الجبال نارا، و سارت نحو طريق الحاجّ العراقىّ، فوقفت و أخذت تأكل الأرض أكلا ، و لها كلّ يوم صوت عظيم من آخر الليل إلى الضحوة، و استغاث النّاس بنبيّهم صلى اللّه عليه و سلم، و أقلعوا عن المعاصى، و استمرّت النار فوق الشهر، و خسف القمر ليلة الاثنين منتصف الشهر، و كسفت الشمس فى غدوة، و بقيت أياما متغيّرة اللون ضعيفة النور، و اشتدّ فزع الناس، و صعد علماء البلد إلى الأمير يعظونه، فطرح المكوس، و ردّ على الناس ما كان تحت يده من أموالهم.

و قال سيف الدين علىّ بن عمر بن قذل المشدّ فى هذه النار:

ألا سلّما عنّى على خير مرسلو من فضله كالسّيل ينحطّ من عل

و أشرف من شدّت إليه رحالناالتورد هيم الشّوق أعذب منهل

تحمّلن منّا كلّ أشعث أغبرفيا عجبا من رحلها المتحمّل!

إلى سيّد جاءت بعالى محلّهو معجزه آى الكتاب المنزّل

نبىّ هدانا للهدى بأدلّةفهمنا معانيها بحسن التأوّل

محمّد المبعوث، و الغىّ مظلمفأصبح وجه الرّشد مثل السّجنجل

و قولا له: إنّى إليك لشيّقعسى اللّه يدنى من محلّك محملى

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۶۶ فتخمد أشواقى و تسكن لوعتىو أصبح عن كلّ الغرام بمعزل

و لمّا نفى عنّى الكرى خبر التىأضاءت بإذن ثمّ رضوى و يذبل

و لاح سناها من جبال قريظةلسكان تيما فاللّوى فالعقنقل

و أخبرت عنها فى زمانك منذرابيوم عبوس قمطرير مطوّل

فقلت كلاما لا يدين لقائلسواك و لا يسطيعه ربّ مقول:

ستظهر نار بالحجاز مضيئةكأعناق عيس نحو بصرى لمخيّل

فكانت كما قد قلت حقّا بلا مرىصدقت و كم كذبت كلّ معطّل

لها شرر كالبرق لكن شهيقهافكالرّعد عند السامع المتأمّل

و أصبح وجه الشمس كالليل كاسفاو بدر الدّجى فى ظلمة ليس تنجلى

و غابت نجوم الجوّ قبل غروبهاو كدّرها دور الدخان المسلسل

و هبّت سموم كالحميم فأذبلتمن الباسقات الشّمّ كلّ مذلّل

و أبدت من الآيات كلّ عجيبةو زلزلت الأرضون أىّ تزلزل

و أيقن كلّ النّاس أنّ عذابهمتعجّل فى الدّنيا بغير تمهّل

و أعولت الأطفال مع أمّهاتهافيا نفس جودى، يا مدامعى اهملى

جزعت فقام النّاس حولى و أقبلوايقولون: لا تهلك أسى و تجمّل

لعلّ إله الخلق يرحم ضعفهمو ما أظهروه من عظيم التذلّل

و تاب الورى و استغفروا لذنوبهمو لاذوا بمنوال الكريم المبجّل

شفعت لهم عند الإله فأصبحوامن النار فى أمن و بر معجّل

أغاثهم الرحمن منك بنفحةألذّ و أشهى من جنى و معسّل

طفى النار نور من ضريحك ساطعفعادت سلاما لا تضرّ بمصطلى

و عاش رجاء الناس بعد مماتهمفيا لك من يوم أغرّ محجّل!

فیا راحلا عن طیبة إنّ طیبةهی الغایة القصوی لکلّ مؤمّل

قفا نبک ذکراها فإنّ الذی بهاأجلّ حبیب و هی أشرف منزل

دخلت إلیها محرما و ملبّیاو أضربت عن سقط الدّخول فحومل

مواقف أمّا تربها فهی عنبرو أمّا کلاها فهو نبت القرنفل

یفوح شذاها ثمّ یعقب نشرهالما راوحتها من جنوب و شمأل

فیا خیر مبعوث و أکرم شافعو أنجح مأمول و أفضل موئل

علیک سلام اللّه بعد صلاتهکما شفع المسک العبیق بمندل

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۶۷

و قال بعضهم فی ذلک:

یا کاشف الضرّ صفحا عن جرائمنالقد أحاطت بنا یا ربّ بأساء

نشکو إلیک خطوبا لا نطیق لهاحملا و نحن بها حقّا أحقّاء

زلازلا تخشع الصّمّ الصّلاب لهاو کیف یقوی علی الزلزال شمّاء

أقام سبعا ترجّ الأرض فانصدعتعن منظر منه عین الشمس عشواء

بحر من النار تجری فوقه سفنمن الهضاب لها فی الأرض إرساء

کأنّما فوقه الأجبال طافیةموج علیه لفرط الهیج وعثاء

تری لها شررا کالقصر طائشةکأنّها دیمة تنصبّ هطلاء

تنشقّ منها قلوب الصخر إن زفرترعبا، و ترعد مثل السّعف أضواء

منها تکاثف فی الجوّ الدّخان إلیأن عادت الشمس منه و هی دهماء

قد أثّرت سفعة فی البدر لفحتهافلیلة التّمّ بعد النّور لیلاء

و قال آخر فی هذه النار، و غرق بغداد:

سبحان من أصبحت مشیئتهجاریة فی الوری بمقدار

أغرق بغداد بالمیاه کماأحرق أرض الحجاز بالنار

قال أبو شامة: و الصواب أن یقال:

فی سنة أغرق العراق و قدأحرق أرض الحجاز بالنّار

و ذکر ابن الساعی أنّ النجاب لمّا جاء إلی بغداد بخبر هذه النار، قال له الوزیر:

إلی أیّ الجهات ترمی شررها؟ قال: إلی جهة الشرق.

قال أبو شامة: و فی لیلة الجمعة مستهلّ رمضان من هذه السنة، احترق المسجد الشریف النبویّ، ابتدأ حریقه من زاویته الغربیّة من الشّمال، و کان دخل أحد القومة إلی خزانة ثمّ، و معه نار فعلقت فی الآلات، و اتّصلت بالسقف بسرعة، ثمّ دبّت فی السقوف، فأعجلت النار عن قطعها، فما کان إلّا ساعة حتّی احترقت سقوف المسجد أجمع، و وقعت بعض أساطینه، و ذاب رصاصها، و کلّ ذلک قبل أن ینام الناس، و احترق سقف الحجرة النبویّة الشریفة ، و احترق المنبر الذی کان النبی صلی اللّه علیه و سلم یخطب علیه.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۶۸

قال أبو شامة: و عدّ ما وقع من تلک النار الخارجة و حریق المسجد من الآیات، و کأنّها کانت منذرة بما یعقبها فی السنة الآتیة من الکائنات.

قال أبو شامة فى ذلك:

نار أرض الحجاز مع حرق المسجد مع تغريق دار السلام

بعد ستّ من المئين و خمسين لدى أربع جرى فى العام

ثمّ أخذ التتار بغداد فى أوّل عام من بعد ذاك و عام

لم يعن أهلها، و للكفر أعوان عليهم يا ضيعة الإسلام!

و انقضت دولة الخلافة منهاصار مستعصم بغير اعتصام

فحنانا على الحجاز و مصرو سلاما على بلاد الشّآم

و فى تاريخ ابن كثير عن الشيخ عفيف الدّين يوسف بن البقّال أحد الزهاد، قال:

كنت بمصر، فبلغنى ما وقع ببغداد من القتل الذريع، فأنكرته بقلبى، و قلت: يا ربّ كيف هذا و فيهم الأطفال و من لا ذنب له؟! فرأيت فى المنام رجلا و فى يده كتاب فأخذته فإذا فيه:

دع الاعتراض فما الأمر لكو لا الحكم فى حركات الفلك

و لا تسأل اللّه عن فعلهفن خاض لجّة بحر هلك

قلت أجرى اللّه تعالى عادته أنّ العامة إذا زاد فسادها و انتهكوا حرمات اللّه، و لم تقم عليهم الحدود أرسل اللّه عليهم بية فى إثر بية، فإن لم ينجح ذلك فيهم أتاهم بعذاب من عنده، و سلّط عليهم من لا يستطيعون له دفاعا؛ و قد وقع فى هذه السنين ما يشبه الآيات الواقعة فى مقدّمات واقعة التّتار، و أنا خائف من عقبى ذلك، فاللّهم سلّم سلّم! فأوّل ما وقع فى سنة ثلاث و ثمانين حصول قحط عظيم بأرض الحجاز.

و فى سنة خمس و ثمانين لم يزد النّيل القدر الذى يحصل به الرّىّ، و لا ثبت المدّة التى يحتاج إلى ثبوته فيها، فأعقب ذلك غلاء الأسعار فى كلّ شىء.

و فى سنة ستّ و ثمانين فى سابع عشر المحرم زلزلت مصر زلزلة منكرة لها دوىّ شديد، وقع بسببها قطعة من المدرسة الصالحية على قاضى الحنفيّة شمس الدين بن عيد، و كان من خيار عباد اللّه فقتلته.

و فى ليلة ثالث عشر رمضان من هذه السنة، نزلت صاعقة من السماء على

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۶۹

المسجد الشريف النبوىّ فأحرقته بأسره و ما فيه من خزائن و كتب، و أحرقت الحجرة الشريفة و المنبر و السّقوف، و لم يبق سوى الجدران، و احترقت فيه جماعة من أهل الفضل و الخير؛ و كان أمرا مهولا.

و فى هذه السّنة وقع بالغربيّة برد كبار بحيث قتل كثيرا من الطير؛ و قيل إنّ وزن البردة سبعون درهما.

و فى سنة سبع و ثمانين ورد الخبر بأن صاعقة نزلت بحلب، و بأنّ الفناء وقع ببغداد و بلاد الشرق عظيما جدّا حتّى قيل إنّه عدّ ببغداد من تأخّر من الرجال؛ فكانوا مائتين و اثنين و أربعين نفسا.

و فى ذى الحجة وردت الأخبار بأنّه حصل بمكّة فى يوم الأربعاء رابع عشر ذى القعدة سيل عظيم بحيث دخل البيت الشريف، فكان فيه قامة، و أخرب بيوتا كثيرة، و هدم جملة من أساطين الحرم، و وجد فى المسجد من الغرقاء سبعين إنسانا و خارج المسجد خمسمائة نفس، و استمرّ الماء فى المسجد إلى يوم السبت، و لم تصلّ الجمعة.

و كتب القاضى برهان الدين بن ظهيرة إلى مصر كتابا بذلك يقول فيه: إنّ هذا السّيل لم يعهد مثله لا فى جاهلية و لا فى إسلام، و إنّه ذرع موضع وصوله فى المسجد؛ فكان سبع أذرع و ثلث ذراع؛ و قد قلت فى ذلك هذه الأبيات:

فى عام ستّ أتى المدينة فى المسجد نارا أفنته بالحرق

و عام سبع أتی لمکّة فی المسجد سیل قد عمّ بالغرق

و قبلها القحط بالحجاز فشاو مصر قد زلزلت من الفرق

و انهبط النیل غیر منتفع‌به و ضاقت معایش الفرق

فهذه جملة أتت نذرامستوجبات للخوف و القلق

فلیحذر الناس أن یحلّ بهم‌ما حلّ بالأوّلین من حنق

*** و لما أخذ التتار بغداد، و قتل الخلیفة ، و جری ما جاری، أقامت الدّنیا بلا خلیفة ثلاث سنین و نصف سنة؛ و ذلک من یوم الأربعاء رابع عشر صفر سنة ستّ و خمسین، و هو یوم قتل الخلیفة المستعصم رحمه اللّه إلی أثناء سنة تسع و خمسمائة؛

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۷۰

فلمّا کان فی رجب من هذه السنة قدم أبو القاسم أحمد بن أمیر المؤمنین الظّاهر بأمر اللّه و هو عمّ الخلیفة المستعصم و أخو المستنصر، و قد کان معتقلا ببغداد ثمّ أطلق، فکان مع جماعة الأعراب بالعراق، ثمّ قصد الملک الظاهر حین بلغه ملکه، فقدم علیه الدّیار المصریّة صحبة جماعة من أمراء الأعراب عشرة، منهم الأمیر ناصر الدین مهنّا- و کان دخوله إلی القاهرة فی ثانی رجب- فخرج السّلطان للقائه، و معه القاضی تاج الدین و الوزیر و العلماء و الأعیان و الشهود و المؤذنون فتلقّوه، و کان یوما مشهودا، و خرج الیهود بتوراتهم و النصاری بإنجیلهم، و دخل من باب النّصر بأبّهة عظیمة.

فلمّا کان یوم الاثنین ثالث عشر رجب، جلس السلطان و الخلیفة فی الإیوان بقلعة الجبل و القاضی و الوزیر و الأمراء علی طبقاتهم، و أثبت نسب الخلیفة علی القاضی تاج الدین؛ فلمّا ثبت قام قاضی القضاة قائما، و أشهد علی نفسه بثبوت النسبة الشریفة. ثمّ کان أوّل من بایعه شیخ الإسلام عزّ الدین بن عبد السلام، ثمّ السلطان الملک الظاهر، ثمّ القاضی تاج الدین، ثمّ الأمراء و الدولة، و رکب فی دست الخلافة بمصر و الأمراء بین یدیه، و النّاس حوله، و شقّ القاهرة، و کان یوما مشهودا، و لقب المستنصر باللّه بلقب أخیه، و خطب له علی المنابر، و ضرب اسمه علی السّکة، و کتبت بیعته إلی الآفاق، و أنزل بقلعة الجبل هو و حشمه و خدمه، فلمّا کان یوم الجمعة سابع عشر رجب، رکب فی أبهة السواد، و جاء إلی الجامع بالقلعة فصعد المنبر، و خطب خطبة ذکر فیها شرف بنی العبّاس، و دعا للسلطان، ثمّ نزل فصلّی بالناس، و کان وقتا حسنا و یوما مشهودا.

ثمّ فی یوم الاثنین رابع شعبان رکب الخلیفة و السلطان و القاضی و الوزراء و الأمراء و أهل الحلّ و العقد إلی خیمة عظیمة قد ضربت ظاهر القاهرة؛ فألبس الخلیفة السلطان بیده خلعة سوداء و عمامة سوداء، و طوقا فی عنقه من ذهب، و قیدا من ذهب فی رجلیه.

و فوّض إلیه الأمور فی البلاد الإسلامیة و ما سیفتحه من بلاد الکفر، و لقّبه بقسم أمیر المؤمنین؛ و صعد فخر الدین بن لقمان رئیس الکتّاب منبرا، فقرأ علیه تقلید السلطان، و هو من إنشائه و صورته:

الحمد للّه الذی أضفی علی الإسلام ملابس الشّرف، و أظهر بهجة درره، و کانت خافیة بما استحکم علیها من الصّدف، و شیّد ما و هی من علائه حتّی أنسی به ذکر من سلف، و قیّض لنصره ملوکا اتّفق علیهم من اختلف.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۷۱

أحمده علی نعمه التی رتعت الأعین منها فی الرّوض الأنف، و ألطافه التی وقف الشاکر علیها فلیس له عنها منصرف. و أشهد أن لا إله إلّا اللّه وحده لا شریک له، شهادة توجب من المخاوف أمنا، و تسهّل من الأمور ما کان حزنا.

و أشهد أنّ سیّدنا محمدا عبده و رسوله الذی جبر من الدین وهنا، و الذی أظهر من المکارم فنونا لا فنّا، صلّی اللّه علیه و علی آله الذین أضحت مناقبهم باقیة لا تفنی، و أصحابه الّذین أحسنوا فی الدین فاستحقّوا الزّیادة بالحسنی، و بعد:

فإنّ أولی الأولیاء بتقدیم ذکره، و أحقّهم أن یصبح القلم راکعا و ساجدا فی تسطیر مناقبه و برّه، من سعی فأضحی سعیه للحمد متقدّما، و دعا إلی طاعته فأجاب من کان منجدا و متهما، و ما بدت ید فی المکرمات إلّا کان لها زندا و معصما، و لا استباح بسیفه

حمى و غى إلا أضرم منه نارا و أجرى منه دما.

و لمّا كانت هذه المناقب الشريفة مختصّة بالمقام العالى المولوىّ السلطانىّ الملكىّ الظاهرىّ الركنىّ شرّفه اللّه و أعلاه. ذكره الديوان العزيز النبوىّ الإمامىّ المستنصرىّ أعز اللّه سلطانه تنويها بشريف قدره، و اعترافا بصنيعه الذى تنفد العبارة المسهبة و لا تقوم بشكره.

و كيف لا، و قد أقام الدولة العباسيّة، بعد أن أقعدتها زمانة الزّمان، و أذهبت ما كان لها من محاسن و إحسان، و عتب دهرها المسىء لها فأعتب، و أرضى عنها زمنها.

و قد كان صال عليها صولة مغضب، فأعاده لها سلما بعد أن كان عليها حربا، و صرف إليها اهتمامه فرجع كلّ متضايق من أمورها واسعا رحبا.

و منح أمير المؤمنين عند القدوم عليه حنوّا و عطفا، و أظهر من الولاء رغبة فى ثواب اللّه ما لا يخفى، و أبدى من الاهتمام بأمر الشريعة و البيعة أمرا لو رامه غيره لا متنع عليه، و لو تمسّك بحبله متمسّك لا نقطع به قبل وصوله إليه، و لكنّ اللّه ادّخر هذه الحسنة ليثقل بها ميزان ثوابه، و يخفّف بها يوم القيامة حسابه، و السعيد من خفّف من حسابه. فهذه منقبة أبى اللّه إلا أن يخلّدها فى صحيفة صنعه، و مكرمة تضمّنت لهذا البيت الشريف بجمعه، فعد أن حصل الإياس من جمعه. و أمير المؤمنين يشكر لك هذه الصنائع؛ و يعترف أنّه لولا اهتمامك لا تّسع الخرق على الراقع و قد قلّدك الديار المصرية و البلاد الشاميّة، و الديار البكريّة و الحجازيّة و اليمنيّة و الفراتيّة، و ما يتجدّد من الفتوحات

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۷۲

غورا و نجدا، و فوّض أمر جندها و رعاياها إليك حين أصبحت بالمكارم فردا، و لا جعل منها بلدا من البلاد و لا حصنا من الحصون يستثنى، و لا جهة من الجهات تعدّ فى الأعلى و لا فى الأدنى.

فلاحظ أمور الأمّة فقد أصبحت لها حاملا، و خلّص نفسك من التّبعات اليوم ففى غد تكون مسئولا لا سائلا، و دع الاغترار بأمر الدنيا فما نال أحد منها طائلا، و ما رآها أحد بعين الحقّ إلا رآها حائلا زائلا؛ فالسعيد من قطع منها آماله الموصولة، و قدّم لنفسه زاد التقوى؛ فتقدمة غير التقوى مردودة لا مقبولة. و أبسط يدك بالإحسان و العدل فقد أمر اللّه بالعدل و حثّ على الإحسان، و كرّر ذكره فى مواضع القرآن، و كفّر به عن المرء ذنوبا كتبت عليها و آثاما، و جعل يوما واحدا منها كعبادة العابد ستّين عاما. و ما سلك أحد سبيل العدل إلّا و اجتنيت ثماره من أفنان، و رجع الأمر به بعد تداعى أركانه و هو مشيّد الأركان، و تحصّن به من حوادث زمانه؛ و السعيد من تحصّن من حوادث الزمان.

و كانت أيّامه فى الأيّام أبهى من الأعياد، و أحسن فى العيون من الغرر فى أوجه الجياد، و أحلى من العقود إذا حلّى بها عاطل الأجياد. و هذه الأقاليم المنوطة بك تحتاج إلى نوّاب و حكّام، و أصحاب رأى من أصحاب السيوف و الأقلام؛ فإذا استعنت بأحد منهم فى أمورك فنقّب عليه تنقيبا، و اجعل عليه فى تصرّفاته رقيبا، و اسأل عن أحواله ففى يوم القيامة تكون عنه مسئولا، و بما اجترم مطلوبا. و لا تولّ منهم إلّا من تكون مساعيه حسنات لك لا ذنوبا.

و أمرهم بالأناة فى الأمور و الرّفق، و مخالفة الهوى إذا ظهرت أدلّة الحقّ، و أن يقابلوا الضعفاء فى حوائجهم بالثغر الباسم و الوجه الطلق؛ و ألّا يعاملوا أحدا على الإحسان و الإساءة إلا بما يستحقّ، و أن يكونوا لمن تحت أيديهم من الرعايا إخوانا، و أن يوسعوهم برّا و إحسانا، و ألّا يستحلّوا حرماتهم إذا استحلّ الزمان لهم حرمانا، فالمسلم أخو المسلم و لو كان أميرا عليه و سلطانا. و السعيد من نسج ولاته فى الخير على منواله، و استنّوا بسنّته فى تصرّفاته و أحواله، و تحمّلوا عنه ما تعجز قدرته عن حمل أثقاله؛ و مما يؤمرون به أن يمحى ما أحدث من سيّىء السّنن، و جدّد من المظالم التى هى من أعظم المحن، و أن يشترى بإبطالها المحامد، فإنّ المحامد رخيصة بأغلى ثمن.

و مهما جبى منها من الأموال فإنّما هى باقية فى الدم حاصلة، و أجياد الخزائن و إن

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۷۳

أضحت بها حالية؛ فإنّما هى على الحقيقة منها عاطلة؛ و هل أشقى ممّن احتقب إثما، و اكتسب بالمساعى الذميمة ذمّا، و جعل السّواد الأعظم له يوم القيامة خصما، و تحمّل ظلم الناس فيما صدر عنه من أعماله، و قد خاب من حمل ظلما! و حقيق بالمقام الشريف المولوىّ السلطان الملكىّ الظاهرىّ الركنىّ أن تكون ظلامات الأنام مردودة بعدله، و عزائمه تخفّف ثقلا لا طاقة له بحمله؛ فقد أضحى على الإحسان قادرا، و صنعت له الأيّام ما لم تصنعه لغيره ممّن تقدم من الملوك و إن جاء آخرا.

فاحمد اللّه على أن وصل إلى جانبك إمام هدى أوجب لك مزيّة التعظيم، و نبّه الخلائق على ما فضّل اللّه به من هذا الفضل العظيم. و هذه أمور يجب أن تلاحظ و ترعى، و أن يوالى عليها حمد اللّه؛ فإنّ الحمد يجب عليها عقلا و شرعا، و قد تبيّن أنّك صرت فى الأمور أصلا و صار غيرك فرعا. و ممّا يجب أيضا تقديم ذكره أمر الجهاد الذى أضحى على الأمّة فرضا، و هو العمل الذى يرجع به مسوّد الصحائف مبيضا.

و قد وعد اللّه المجاهدين بالأجر العظيم، و أعدّ لهم عنده المقام الكريم، و خصّهم بالجنّة التى لا لغو فيها و لا تأثيم.

و قد تقدّمت لك فى الجهاد يد بيضاء أسرعت فى سواد الجهاد، و عرفت منك عزيمة هى أمضى ممّا تجنّه ضمائر الأغماد، و أشهى إلى القلوب من الأعياد، و بك صان اللّه حمى الإسلام من أن يبتذل، و بعزمك حفظ على المسلمين نظام هذه الدول؛ و سيفك أثّر فى قلوب الكافرين قروحا لا تندمل، و بك يرجى أن يرجع من الخلافة ما كان عليه فى الأيّام الأول.

فأيقظ لنصرة الإسلام جفنا ما كان غافيا و لا هاجعا، و كن فى مجاهدة أعداء اللّه إماما متبوعا لا تابعا، و أيّد كلمة التوحيد فما تجد فى تأييدها إلّا مطيعا سامعا، و لا تخل الثّغور من اهتمام بأمرها تبسم لك الثغور، و احتفال يبدّل ما دجى من ظلماتها بالنور، و اجعل أمرها على الأمور مقدّما، و شيّد منها كلّ ما غادره العدوّ منهدما؛ فهذه حصون بها يحصل الانتفاع، و هى على العدوّ داعية الافتراق و الاجتماع، و أولاها بالاهتمام ما كان البحر له مجاورا، و العدوّ له ملتفتا ناظرا؛ لا سيما ثغور الديار المصريّة، فإنّ العدوّ وصل إليها و أتى و راح خاسرا، و استأصلهم اللّه فيها حتّى ما أقال منها عاثرا. و كذلك أمر الأسطول الذى تزجى خيله كالأهلّة، و ركائب سائقه بغير سائق مستقلّة، و هو أخو الجيش السّليمانىّ فإنّ ذاك غدت الرياح له حاملة، و هذا تكفّلت بحمله المياه السائلة.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۷۴

و إذا لحظها جارية فى البحر كانت كالأعلام، و إذا شبّهها قال: هذه ليال تقلع بالأيام.

و قد ساق اللّه لك من السعادة كلّ مطلب، و آتاك من أصالة الرّأى الذى يريك المغيّب، و بسط بعد القبض منك الأمل، و نشّط بالسعادة ما كان من كسل. و هداك إلى مناهج الحقّ و ما زلت مهتديا إليها، و ألزمك المراشد و لا تحتاج إلى تنبيه عليها. و اللّه يمدّك بأسباب نصره، و يوزعك شكر نعمه، فإنّ النعمة تستتمّ بشكره!

ثمّ ركب السلطان بهذه الأبّهة و القيد فى رجليه، و الطوق فى عنقه، و الوزير بين يديه، على رأسه التقليد، و الأمراء و الدّولة مشاة سوى القاضى و الوزير. فشقّ القاهرة و قد زيّنت له؛ و كان يوما عظيما.

ثمّ طلب الخليفة من السلطان أن يجهّزه إلى بغداد، فرتّب له جندا، و أقام له كلّ ما يحتاج إليه، و عزم عليه ألف ألف دينار. و سار السلطان صحبته إلى دمشق، فدخلاها يوم الاثنين سابع ذى القعدة، و صلّيا فيها الجمعة. ثمّ رجع السلطان إلى مصر و سار الخليفة و معه ملوك الشرق، ففتح الحديثة ثم هيت، فجاءه عسكر من التّتار فتصافّوا، فقتل من المسلمين جماعة و عدم الخليفة، فلا يدرى: أقتل أم هرب! و ذلك فى ثالث المحرّم سنة ستّين. فكانت خلافته دون ستّة أشهر.

و كان ممّن شهد الوقعة معه و هرب فيمن هرب أبو العبّاس أحمد بن الأمير أبى على الحسن القبّى بن الأمير علىّ بن الأمير أبى بكر بن أمير المؤمنين المسترشد بالله فقصد الرّحبة ، و جاء إلى عيسى بن مهنّا، فكاتب فيه الملك الظاهر فطلبه، فقدم القاهرة و معه ولده و جماعة، فدخلها فى سابع عشرى ربيع الآخر فتلقّاه السلطان، و أظهر السرور به، و أنزله بقلعة الجبل، و أغدق عليه، و استمرّ بقيّة العام بلا

مبایعة، و السّکة تضرب باسم المستنصر المقتول أوّل العام.

فلما کان یوم الخمیس ثامن المحرم سنة إحدی و ستّین جلس السّلطان مجلسا عاما، و جاء أبو العبّاس المذکور راکبا إلی الإیوان الکبیر، و جلس مع السلطان، و ذلک بعد ثبوت نسبه، فقرئ نسبه علی الناس، ثمّ أقبل علیه السلطان و بایعه بإمرة

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۷۵

المؤمنین. ثمّ أقبل هو علی السلطان، و قلّده الأمور، ثمّ بایعه الناس علی طبقاتهم، و لقّب الحاکم بأمر اللّه و کان یوما مشهودا.

فلمّا کان من الغد یوم الجمعة خطب الخلیفة بالناس، فقال فی خطبته:

الحمد للّه الذی أقام لآل العبّاس رکنا و ظهیرا، و جعل لهم من لدنه سلطانا نصیرا.

أحمده علی السرّاء و الضرّاء، و أستعینه علی شکر ما أسبغ من النّعماء، و أستنصره علی الأعداء، و أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شریک له، و أنّ محمدا عبده و رسوله صلّی اللّه علیه و سلّم، و علی آله و صحبه نجوم الاهتداء، و أئمة الاقتداء لا سیما الأربعة الخلفاء، و علی العبّاس عمّه، و کاشف غمّه، و علی السّادة الخلفاء الراشدین، و الأئمة المهدیّین، و علی بقیّة الصحابة و التابعین لهم بإحسان إلی یوم الدین.

أیّها الناس، اعلموا أنّ الإمامة فرض من فروض الإسلام، و الجهاد محتوم علی جمیع الأنام، و لا یقوم علم الجهاد، إلا باجتماع کلمة العباد، و لا سبیت الحرم إلا بانتهاک المحارم، و لا سفکت الدّماء إلّا بارتکاب المآثم، فلو شاهدتم أعداء الإسلام حین دخلوا دار السّلام، و استباحوا الدماء و الأموال، و قتلوا الرّجال و الأطفال و سبوا الصبیان و البنات، و أیتموهم من الآباء و الأمهات، و هتکوا حرم الخلافة و الحریم، و أذاقوا من استبقوا العذاب الألیم؛ فارتفعت الأصوات بالبکاء و العویل، و علت الضجّات من هول ذلک الیوم الطویل؛ فکم من شیخ خضّبت شیبته بدمائه، و کم من طفل بکی فلم یرحم لبکائه! فشمّروا ساق الاجتهاد فی إحیاء فرض الجهاد.

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَ اسْمَعُوا وَ أَطِیعُوا، وَ أَنْفِقُوا خَیْراً لِأَنْفُسِکُمْ وَ مَنْ یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [الحشر: ۹]، فلم تبق معذرة فی القعود عن أعداء الدین، و المحاماة عن المسلمین.

و هذا السلطان الملک الظاهر، السیّد الأجلّ العالم العادل المجاهد المؤیّد، رکن الدنیا و الدین، قد قام بنصر الإمامة عند قلّة الأنصار، و شرّد جیوش الکفر بعد أن جاسوا خلال الدیار، فأصبحت البیعة باهتمامه منتظمة العقود، و الدولة العباسیّة به متکاثرة الجنود.

فبادروا عباد اللّه إلی شکر هذه النعمة، أخلصوا نیّاتکم تنصروا، و قاتلوا أولیاء الشیطان تظفروا، و لا یرد عنکم ما جری؛ فالحرب سجال و العاقبة للمتّقین. و الدهر یومان و الآخر للمؤمنین؛ جمع اللّه علی التقوی أمرکم، و أعزّ بالإیمان نصرکم، و أستغفر اللّه العظیم لی و لکم و لسائر المسلمین. فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحیم.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۷۶

ثمّ خطب الثانیة، و نزل فصلّی بالناس، و کتب بیعته إلی الآفاق لیخطب له، و تکتب السکّة باسمه.

قال أبو شامة: فخطب له بجامع دمشق و بسائر الجوامع یوم الجمعة سادس عشر المحرّم.

قال ابن فضل اللّه: و نقش اسمه علی السّکّة، و ضرب بها الدینار و الدرهم. قال:

ثمّ خاف الظّاهر عاقبة أمره، فأسکنه عنده فی القلعة، و عند حریمه و خدمه و غلمانه، موسّعا علیه فی النفقات و الکساوی، یتردّد إلیه العلماء و القرّاء علی أکمل ما یکون من أنواع الإکرام، و ملاحظة جانب الإجلال و المهابة، ممنوعا من اجتماع أحد من أهل الدولة.

ثمّ أسقط اسمه من سکّة النقود، و أبقاه علی المنابر.

ثمّ لاحظه الملک الأشرف خلیل بن قلاوون أتمّ من تلک الملاحظة، و رعی لودّ نعمة الخلافة فیه حقّها، من جمیل المحافظة. انتهی.

قال غیره: و قد خطب بالقلعة مرّة ثانیة یوم الجمعة رابع شوّال سنة تسعین بسؤال الملک الأشرف له فی ذلک، و ذکر فی خطبته تولیته السّلطنة للأشرف. ثمّ خطب مرّة ثالثة بالمنصوریة بحضرة السلطان و القضاة، و حضّ علی غزو التتار و استنقاذ بلاد العراق من أیدیهم؛

و ذلك فى ذى القعدة سنة تسعين . ثمّ خطب مرّة رابعة فى التاسع و العشرين من ربيع الأوّل سنة إحدى و تسعين، و حثّ على الجهاد و النّفير، و صلّى بالناس الجمعة، و جهر بالبسملة.

قال الذهبى فى العبر: آخر خليفة خطب يوم الجمعة الراضى بالله، و لم يخطب بعده خليفة إلى الحاكم العبّاسىّ هذا، فإنّه خطب فى خلافته. انتهى.

قال ابن فضل اللّه: ثمّ لمّا ملك المنصور لاجين زاد فى إكرامه و صرفه فى

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۷۷

الركوب و النزول، فبرز إلى قصر الكبش ، و سكن به. ثمّ إنه حجّ فى سنة سبع و تسعين، فأعطاه المنصور لاجين سبعمائة ألف درهم، و رجع من الحجّ، فأقام بمنزله إلى أن مات ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى سنة إحدى و سبعمائة ، و دفن بجوار السيدة نفيسة فى قبّة بنيت له؛ و هو أوّل خليفة مات بها من بنى العباس. و أرسل نائب السلطنة الأمير سلار خلف كلّ من فى البلد من الأمراء و القضاة و العلماء و الصّوفيّة و مشايخ الزوايا و الرّبط و غيرهم؛ حتّى حضروا الصلاة عليه.

*** و ولى الخلافة بعده بعهد منه ولده أبو الربيع سليمان، و لقّب المستكفى بالله، و خطب له على المنابر بالبلاد المصريّة و الشاميّة و سارت البشارة بذلك إلى جميع الأقطار و الممالك الإسلامية.

قال ابن كثير: قدم البريد من القاهرة سادس جمادى الآخرة، فأخبر بوفاة أمير المؤمنين الحاكم و مبايعة المستكفى، و أنّه حضر جنازته الناس كلّهم مشاة.

فخطب يوم الجمعة تاسع جمادى الآخرة للخليفة المستكفى بجامع دمشق، و كتب له تقليد بالخلافة، و قرىء بحضرة السلطان و الدولة يوم الأحد العشرين من ذى الحجّة، و لم يكن السلطان أمضى له عهد والده؛ حتّى سأل الشيخ تقىّ الدين بن دقيق العيد- و هو قاضى القضاة يومئذ-: هل يصلح للخلافة أم لا؟ فقال الشيخ تقىّ الدين: نعم يصلح، و إنّما احتيج إلى ذلك لأنّه كان صغير السنّ، لم يبلغ عشرين سنة، فإنّ مولده فى أربع و ثمانين و ستّمائة، و كان له ابن أخ أسنّ منه، فكان ينازعه الأمر، فلمّا أشار الشيخ باستخلافه، أمضى عهد والده، و هذه صورة العهد:

الحمد للّه الذى رفع المستكفى به لمّا انتصب بشريف همّته للمحلّ الأسمى، و منح الأمّة به ربيع خفض العيش، و جزم أمرهم على الصّلاح و التوفيق جزما، و أدام الأئمة من قريش و نظم لآلىء حكم أحكامهم فى جيد الزمان نظما، و جعل النّاس تبعا لهم فى هذا الأمر، فغيرهم بالخلافة المعظّمة لا يدعى و لا يسمّى، فالحاكم الحسن المسترشد المستظهر بذخيرة الدّين القائم بأمر اللّه القادر المقتدر المعتضد الموفّق المتوكّل المعتصم الرشيد المهدى الكامل. من اقتفى لسنن سنّتهم رسما، استودع

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۷۸

الخلافة فى بنى العباس الّذى كان لنبيّه الكريم عمّا، و فرّج عنه ليلة العقبة بمبايعة الأنصار كربة و غمّا، فبشّره بأنّ الخلافة فى عقبه فعمّه بالسرور عمّا. فلمّا انتهى ذلك السرّ فى العوالم إلى الحاكم قيل و قد أمسكت هيبة الخلافة عن معرفة حقوقها العظيمة من كلّ عظيم فما فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ وَ كُلًّا آتَيْنا حُكْماً وَ عِلْماً [الأنبياء: ۷۹].

أحمده حمد من لم يثن عن طاعته و طاعة رسوله و أولى الأمر عزما، و يورّثها من يشاء من خلقه اختيارا و رغما، و أشهد أنّ محمدا عبده و رسوله الّذى دعا إلى مودّة أولى القربى و من أفضل من قرابته زكاة و أقرب رحما، صلّى اللّه عليه و آله و صحبه و خلفائه و عترته، الذين هم أعدل البريّة حكما، و بعد:

فإنّ الملك السّلام منذ أسجد لآدم ملائكته الكرام فى سالف الزمان قدما، جعل طاعة خلفائه فى بلاده على سائر عباده حتما، كيف لا و بهم يعمر الوجود، و تقام الحدود و تهدّم أركان الجحود هدما! فبحياتهم تأمن البلاد، و ربّما صادف قرب وفاتهم أن لبس القمر ليلة التّمّ حلّة السّواد و أخفى جرما. و لمّا كان سنّة من تقدّم من الأئمة الخلفاء إذا خاف أن يهجم عليه الحمام هجما، أو تهدى إليه الأيّام

ألما و سقما، تفويض الأمر بولايـة العهد على الخلق لخير ذويه و بنيه نجدة و حزما، أشهد على نفسه الشريفة مولانا الإمام الحاكم- و الحاكم عليه تقواه- المراقب للّه فی سرّه و نجواه، الحاكم بأمر اللّه أمير المؤمنين و خليفة رب العالمين، ابن عمّ سيّد المرسلين، وارث الخلفاء الراشدين، أبو العبّاس أحمد بن الأمير الحسن بن الأمير أبی بكر بن الأمير علی القبّی بن أمير المؤمنين الرّاشد بالله بن أمير المؤمنين المسترشد بالله أبی منصور الفضل ابن أمير المؤمنين المستظهر بالله أبی العباس أحمد بن أمير المؤمنين أبی القاسم عبد اللّه ابن المرحوم الذّخيرة للدّين وليّ عهد المسلمين محمد بن الإمام القائم بأمر اللّه أبی عبد اللّه محمد بن القادر بالله أبی العباس أحمد بن أمير المؤمنين أبی الفضل جعفر المقتدر بالله بن أمير المؤمنين المعتضد بالله أبی العباس بن الأمير محمد الموفّق بالله أبی طلحة وليّ عهد المسلمين بن أمير المؤمنين جعفر المتوكّل بن أمير المؤمنين أبی إسحاق محمد المعتصم بن أمير المؤمنين هارون الرّشيد بن أمير المؤمنين محمد المهدیّ بن أمير المؤمنين عبد اللّه بن المنصور بن محمد الكامل بن علیّ السجّاد بن عبد اللّه حبر الأمّة ابن العبّاس بن عبد المطلب عمّ النبی صلی اللّه عليه و سلم، أعزّ اللّه به الدين، و أمتع ببقاء نسله الشريف الإسلام و المسلمين؛ و هو فی حالة يسوغ معها الشهادة عليه، و يرجع فی الأمور المنوطة للخلافة الشريفة إليه:

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۷۹

أنّه عهد إلی ولده لصلبه الإمام المستكفی بالله أبی الربيع سليمان، شيّد اللّه به أركان الإيمان، و نصر ببركة سلفه العصابة المحمديّة علی أهل الكفر و الطغيان، و جعله وليّ عهد، و استخلفه، من بعده، لما علمه من أهليّته و عدالته و كفالته، و صلاحه لذلك و كفايته، و شخصه لشهود هذا المكتوب الشريف، و نبّه علی استحقاقه لذلك و محلّه العالی المنيف، عهدا صحيحا شرعيّا، معتبرا تاما مرعيّا، و فوّض إليه أمر الخلافة المعظّمة تفويضا شرعيّا صريحا، و عقد له ولاية العهد علی الأمّة عقدا صحيحا، و قبل ذلك منه القبول الشرعیّ المعتبر المرضیّ، فاللّه تعالی يجمع به كلمة الإسلام، و يصحبه فی خلافته الشريفة رأيا موفّقا، و يقمع ببركة سلفه الكرام أهل الطغيان، و يهيّئ له من أمره مرفقا؛ بمنّه و كرمه آمين.

و الحمد للّه ربّ العالمين، و صلاته علی سيّد المرسلين نبيّه و آله و صحبه أجمعين.

و به شهد فی اليوم المبارك السابع عشر من جمادی الأولی سنة إحدی و سبعمائة، أحسن اللّه العقبی فی ختامها، و أجری الخيرات فيما بقی من شهورها و أيامها، و شهد عليه بذلك أربعة شهود، و رسموا خطوطهم تحت نسخة العهد بما نصّه:

أشهدنی مولانا الإمام جامع كلمة الإيمان، ناظم شمل الإسلام، سيّد الخلفاء الأعلام، إمام المسلمين، و المناضل عن شريعة سيّد المرسلين- الحاكم بأمر اللّه أمير المؤمنين، أعزّ اللّه به الدّين، و أمتع ببقائه الإسلام و المسلمين، علی نفسه الزكيّة الشريفة، و هو علی الحالة التی يسوغ معها تحمّل الشهادة عليه بما نسب إليه أعلاه و شخّص، إلی مولانا و سيّدنا الإمام المستكفی بالله أمير المؤمنين فی التاريخ المذكور فيه، و ثبت هذا العهد علی قاضی القضاة شمس الدين الحنفیّ.

و كتب صورة الإسجال بما نصّه:

ثبت إشهاد مولانا الإمام الحاكم بأمر اللّه أمير المؤمنين، سليل الأئمة المهديّين، بركة الإسلام و المسلمين، المنتظم به عقد جواهر زواهر أحكام الدين، ابن عمّ سيّد المرسلين، أبی العباس بن أحمد الرّاقی بهمّة شرفه أعالی الدّرجات، المنقول برحمة اللّه و منّه و حسن سيرته إلی روضات الجنّات، المشار إليه بأعاليه، قرن اللّه بمن خلّفه خلفه تأييدا و تسديدا و توفيقا، و قرّب له إلی مشاهدة ابن عمّه و الخلفاء الراشدين فی دار كرامته طريقا، مع الذين أنعم عليهم من النبيّين و الصدّيقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقا.

و إشهاد ولده لصلبه وليّ عهده المختار للخلافة الشريفة المعظّمة من بعده مولانا الإمام المستكفی بالله أبی الربيع سليمان، ثبت اللّه به أركان الإيمان، و سلك به مسالك الخلفاء الراشدين و آبائه الطاهرين التابعين له بإحسان، و بارك للأمّة المحمّدية فيه،

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۸۰

و نصرهم ببركة سلفه على أهل الطغيان، على أنفسهما الشريفة المكرّمة، الطاهرة الزاكية المعظّمة، بجميع ما نسب إليهما فى كتاب العهد الشريف المسطّر بأعاليه، على ما نصّ و شرح فيه المؤرّخ بالسابع عشر من جمادى الأولى سنة تارخ هذا الإسجال، ثبوتا صحيحا شرعيّا، معتبرا تامّا مرعيّا، عند سيدنا و مولانا العبد الفقير إلى اللّه تعالى الكريم، الحامد فيض فضله العميم، قاضى القضاة، حاكم الحكّام، مفتى الأنام، حجّة الإسلام، عمدة العلماء الأعلام، شمس الدين، خالصة أمير المؤمنين، أبى العباس أحمد بن الشيخ الصالح الورع الزاهد برهان الدين أبى إسحاق إبراهيم بن عبد الغنى الحنفىّ، عامله اللّه بلطفه الخفىّ، الناظر فى الحكم بالقاهرة و مصر المحروستين، و سائر أعمال الديار المصريّة بالتولية الصحيحة الشرعية. أدام اللّه أيّامه الزاهرة، و جمع له بين خيرى الدنيا و الآخرة؛ و ذلك بشهادة الشهود المعلم لهم بالأداء أعلاه، بعد أن أقام كلّ واحد منهم شهادته بذلك بشروط الأداء المعتبرة، و ذلك أنّه شهد على مولانا الإمام الحاكم بأمر اللّه المشار إليه، تغمّده اللّه بالرحمة و الرضوان، و أسكنه فسيح الجنان؛ و هو على الحالة التى تسوغ معها الشهادة عليه أحسن اللّه فى آخرته إليه. فقبل ذلك منه، و أعلم له ما جرت به العادة من علامة الأداء و القبول على الرسم المعهود فى مثله.

و حكم مولانا قاضى القضاة شمس الدين الحاكم المذكور، وقاه اللّه كلّ محظور، بذلك كلّه الحكم الشرعىّ، المعتبر المرعىّ، و أجاز ذلك و أمضاه، و اختاره و ارتضاه، و ألزم ما اقتضاه مقتضاه، بسؤال من جازت مسألته، و سوّغت فى الشريعة المطهّرة إجابته، و ذلك بعد استيفاء الشرائط الشرعيّة، و القواعد المحرّرة المرعيّة، و تقدّم الدعوى المعتبرة المرضيّة. و تقدّم هذا الحاكم وفّقه اللّه لمراضيه، و أعانه على ما هو متولّيه، بكتابة هذا الإسجال، فكتب عن إذنه الكريم على هذا المنوال، بعد قراءته و قراءة ما يحتاج إلى قراءته من كتابه العهد الشريف المسطّر أعلاه، على شهود هذا الإسجال، و هو و هم يستمعون لذلك فى اليوم المبارك من العشر الأخير من جمادى الأولى سنة إحدى و سبعمائة، أحسن اللّه تقضّيها فى خير و عافية.

و بايعه السلطان و القضاة و الأعيان، و ألبس جبّة سوداء و طرحة سوداء، و خلع على أولاد أخيه خلع الأمراء، و أشهد عليه أنه ولّى الملك الناصر جميع ما ولّاه والده، و فوّضه إليه.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۸۱

ثمّ نزل إلى داره بالكبش، و نقش اسمه على سكّة الدينار و الدرهم. ثمّ رسم السلطان فى جمادى الآخرة بأن ينتقل الخليفة و أولاده و جميع من يلوذ به إلى القلعة إكراما لهم. فنزلوا فى دارين، و أجرى عليهم الرواتب الكثيرة، و استمرّ دهرا و هو و السلطان كالأخوين يلعبان بالأكرة، و يخرجان إلى السّرحات، و سافرا معا إلى غزوة التّتار نوبة غازيين، حتّى وشى الواشى بينهما، فتغيّر خاطر الناصر منه، و ذلك فى سنة ستّ و ثلاثين.

فأمره أن ينتقل من القلعة إلى مناظر الكبش حيث كان أبوه ساكنا، ثمّ أمره أن يخرج إلى قوص، فيقيم بها و ذلك فى ثامن عشر ذى الحجّة سنة سبع و ثلاثين، فخرج إليها هو و أولاده و أهله، و هم قريب من مائة نفس، و رتّب له على واصل المكارم أكثر ممّا كان له بمصر، و توجّع الناس لذلك كثيرا.

قال الحافظ ابن حجر: و كان بطول مدّته يخطب له على المنابر؛ حتّى فى مدة إقامته بقوص، و استمرّ بها إلى أن مات فى شعبان سنة أربعين و سبعمائة ، و دفن بها و قد عهد بالخلافة إلى ابنه أحمد و أشهد عليه أربعين عدلا، و أثبت ذلك على قاضى قوص.

فلمّا بلغ الناصر ذلك لم يلتفت إلى ذلك العهد، و طلب ابن أخى المستكفى إبراهيم ابن ولىّ العهد المستمسك بالله أبى عبد اللّه محمد بن الحاكم بأمر اللّه أبى العبّاس أحمد، و كان جدّه الحاكم عهد إلى ابنه محمد، و لقّبه المستمسك بالله، فمات فى حياته.

فعهد إلى ابنه إبراهيم هذا ظنّا أنه يصلح للخلافة، فرآه غير صالح لما هو فيه من الانهماك فى اللّعب و معاشرة الأرذال، فنزل عنه، و عهد إلى ولد صلبه المستكفى، و هو عمّ إبراهيم؛ و كان إبراهيم قد نازعه لما مات الحاكم، فلم يلتفت إلى منازعته اعتمادا على قول الشيخ تقىّ الدين بن دقيق العيد، فأقام على ضغينته حتّى كان هو السبب فى الوقعة بين عمّه و بين الناصر، و جرى ما جرى.

فلم يمض الناصر عهد المستكفى لولده، و بايع إبراهيم هذا فى يوم الاثنين ثالث رمضان، و لقّب الواثق بالله، و راجع الناس السلطان فى أمره، و وسموه بسوء السّيرة،

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۸۲

خصوصا قاضى القضاة عزّ الدين بن جماعة، فإنّه جهد كلّ الجهد فى صرف السلطان عنه، فلم يفعل؛ و ما زال بهم حتّى بايعوه.

ثمّ إنّ اللّه فجع النّاصر بموت أعزّ أولاده الأمير أنوك، فكان ذلك أوّل عقوباته و لم يمتّع بالملك بعد وفاة المستكفى، فأقام بعده سنة و أياما، و أهلكه اللّه .

و قد قيل: إنّ وفاة المستكفى كانت سنة إحدى و أربعين، فعلى هذا لم يتمّ الحول على الناصر، حتّى مات بعد ثلاثة أشهر؛ سنّة اللّه فيمن مسّ أحدا من الخلفاء بسوء، فإنّ اللّه يقصمه عاجلا، و ما يدّخره له فى الآخرة من العذاب أشدّ.

*** ثم إنّ اللّه انتقم من النّاصر فى أولاده فسلّط عليهم الخلع و الحبس و التّشريد فى البلاد و القتل، فجميع من تولّى الملك من ذريّته؛ إمّا أن يخلع عاجلا، و إمّا أن يقتل؛ فأوّل ولد تولّى بعده، عوجل بخلعه و نفيه إلى قوص، حيث كان سيّر الخليفة، ثمّ قتل بها. و غالب من تولّى من ذريته لم تطل مدّته كما سيأتى.

و قد أقام النّاصر فى السلطنة ثيفا و أربعين سنة، و تولّى من ذريّته اثنا عشر نفرا، لم يتمّوا هذه المدّة، بل عجّلوا واحدا فى إثر واحد، فما أشبّههم إلا بملوك الفرس حيث قال الكاهن لكسرى لمّا سقطت من إيوانه أربع عشرة شرفة ليلة ولد النبى صلى اللّه عليه و سلم: يملك منكم أربعة عشر ملكا؛ ثمّ يذهب الملك منكم، فقال كسرى: إلى أن يمضى أربعة عشر ملكا تكون أمور و أمورا! فانقرضوا فى أقصر مدّة، و كان آخرهم فى زمن عثمان بن عفّان رضى اللّه عنه.

ثمّ إنّ اللّه نزع الملك من ولد قلاوون، و أعطاه بعض مماليكهم، و لم يعد إليهم إلى وقتنا هذا، و بعض ذرّيته أحياء إلى الآن فى أسواء حال، دينا و دنيا. و من تأمّل بدائع صنع اللّه رأى العجب العجاب؛ و لكنّ أكثر الناس لا يعلمون، و إنّما يتذكر أولو الألباب!

و لما حضر الناصر الوفاة ندم على ما فعل من مبايعة إبراهيم، فأوصى الأمراء بردّ العهد إلى وليّ عهد المستكفى، فلمّا تسلطن ولده أبو بكر المنصور عقد مجلسا يوم

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۸۳

الخميس حادى عشر ذى الحجّة سنة إحدى و أربعين ، و طلب الواثق إبراهيم و وليّ العهد أحمد بن المستكفى و القضاة، و قال: من يستحقّ الخلافة شرعا؟ فقال ابن جماعة: إنّ الخليفة المستكفى المتوفّى بمدينة قوص أوصى بالخلافة من بعده لولده أحمد، و أشهد عليه أربعين عدلا بمدينة قوص، و ثبت ذلك عندى بعد ثبوته على نائبى بمدينة قوص.

فخلع السلطان الواثق حينئذ و بايع أحمد، و بايعه القضاة.

قال الحافظ ابن حجر: و لقّب أولا المستنصر، ثم لقّب الحاكم بأمر اللّه لقب جدّه و كتب له ابن فضل اللّه صورة المبايعة؛ و هى هذه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ: إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً [الفتح: ۱۰]، هذه بيعة رضوان و بيعة إحسان، و بيعة رضا يشهدها الجماعة و يشهد عليها الرحمن. بيعة يلزم طائرها العنق، و يحوم بسائرها و كلّ أنبائها البرارى و البحار مشحونة الطرق، بيعة يصلح اللّه بها الأمّة، و يمنح بسببها النعمة، و يتجارى الرّفاق، و يسرى الهناء فى الآفاق، و تتزاحم زهر الكواكب على حوض المحرّة الدّقاق.

بيعة سعيدة ميمونة، بها السّلامة فى الدين و الدنيا مضمونة، بيعة صحيحة شرعيّة، بيعة ملحوظة مرعيّة، تسابق إليها كلّ نية، و تطاوع كلّ طويّة، و يجمع عليها شتات البريّة.

بيعت يستهلّ بها العام، و يتهلّل البدر التمام، بيعة متّفق على الإجماع عليها، و الإجماع يبسط الأيدى إليها، انعقد عليها الإجماع فاعتقد صحّتها من سمع للّه و أطاع، و بذل فى تمامها كلّ امرئ ما استطاع، حصل عليها اتّفاق الأبصار و الأسماع، و وصل بها الحقّ إلى

مستحقّه و أقرّ الخصم و انقطع النزاع. تضمّنها کتاب مرقوم یشهده المقرّبون، و تلقّاه الأئمة الأقربون.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی هَدانا لِهذا، وَ ما کُنَّا لِنَهْتَدِیَ لَوْ لا أَنْ هَدانَا اللَّهُ [الأعراف: ۴۳]، ذلک من فضل اللّه علینا و علی الناس، و إلینا بحمد اللّه و إلی بنی العباس. أجمع علی هذه البیعة أرباب العقد و الحلّ، من أصحاب الکلام فیما قلّ و جلّ و ولاة الأمور و الحکّام، و أرباب المناصب و الأحکام، حملة العلم و الأعلام، و حماة السیوف

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۸۴

و الأقلام، و أکابر بنی عبد مناف، و من انخفض قدره و أناف، و سروات قریش و وجوه بنی هاشم، و البقیّة الطاهرة من بنی العباس، و خاصة الأئمة و عامّة الناس، بیعة تری بالحرمین خیامها، و یخفق بالمأزمین أعلامها، و تتعرّف عرفات برکاتها، و تعرف بمنّی و یؤمّن علیها یوم الحجّ الأکبر، و یوم ما بین الرکن و المقام و المنبر، و لا یبتغی بها إلّا وجه اللّه الکریم. بیعة لا یحلّ عقدها، و لا ینبذ عهدها، لازمة جازمة، دائبة دائمة، تامّة عامّة شاملة کاملة، صحیحة صریحة، متعبة مریحة، و لا من یوصف بعلم و لا قضاء، و لا من یرجع إلیه فی اتّفاق و لا- إمضاء، و لا- إمام مسجد و لا خطیب، و لا ذو فتوی یسأل فیجیب، و لا من حشی المساجد، و لا من تضمّهم أجنحة المحاریب، و لا من یجتهد فی رأی فیخطیء أو یصیب، و لا مجادل بحدیث، و لا متکلّم فی قدیم و حدیث، و لا معروف بدین و صلاح، و لا- فرسان حرب و کفاح، و لا- راشق بسهام و لا طاعن برماح، و لا ضارب بصفاح، و لا ساع بقدم و لا طائر بجناح، و لا مخالط الناس و لا قاعد فی عزلة، و لا جمع تکسیر و لا قلّة، و لا من یستقلّ بالجوزاء لواؤه، و لا من یعلو فوق الفرقدین ثواؤه، و لا باد و لا- حاضر، و لا مقیم و لا سائر، و لا أوّل و لا آخر، و لا مسرّ فی باطن و لا معلن فی ظاهر، و لا عرب و لا عجم، و لا راعی إبل و لا غنم، و لا- صاحب أناة و لا بدار، و لا ساکن فی حضر و بادیة بدار، و لا صاحب عمد و لا جدار، و لا ملجّج فی البحار الزاخرة و البراری القفار، و لا من یعتلی صهوات الخیل، و لا من یسبل علی العجاجة الذّیل، و لا من تطلع علیه شمس النهار و نجوم اللیل، و لا من تظلّه السماء و تقلّه الأرض، و لا من تدلّ علیه الأسماء علی اختلافها و ترفع درجات بعضهم علی بعض؛ حتّی آمن بهذه البیعة و أمّن علیها، و آمن بها و منّ اللّه علیه و هداه إلیها، و أقرّ بها و صدّق، و خفض لها بصره خاشعا و أطرق، و مدّ إلیها یده بالمبایعة، و معتقده بالمتابعة، و رضی بها و ارتضاها، و أجاز حکمها علی نفسه و أمضاها، و دخل تحت طاعتها. و عمل بمقتضاها، وَ قُضِیَ بَیْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ قِیلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ [الزمر: ۷۵].

و إنّه لمّا استأثر اللّه بعبده سلیمان أبی الربیع الإمام المستکفی باللّه أمیر المؤمنین کرّم اللّه مثواه، و عوّضه عن دار السلام بدار السلام، و نقله مزکّی به عن شهادة الإسلام، بشهادة الإسلام حیث آثره بقربه، و مهّد لجنبه، و أقدمه علی ما قدّمه من مرجوّ عمله و کسبه، و حاز له فی جواره فریقا، و أنزله مع الّذین أنعم اللّه علیهم من النبیّین و الصدّیقین و الشهداء و الصالحین و حسن أولئک رفیقا.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۸۵

اللّه أکبر لیومه لو لا مخلفة کانت تضیق الأرض بما رحبت، و تجزی کلّ نفس بما کسبت، و تنبیء کلّ سریرة ما ادّخرت و ما خبّأت. لقد اضطرم سعیر إلا أنّه فی الجوانح، لقد اضطرب منبر و سریر لولا خلفه الصالح، لقد اضطرب مأمور و أمیر لولا الفکر بعده فی عاقبة المصالح؛ و لم یکن فی النسب العباسیّ و لا- فی البیت المسترشدیّ، و لا- فی غیره من بیوت الخلفاء من بقایا آباء و جدود، و لا من تلده أخری اللیالی و هی عاقر غیر ولود؛ من تسلّم إلیه أمّة محمد عقد نیّاتها، و سرّ طویّاتها، إلا واحد و أین ذلک الواحد؟! هو و اللّه من انحصر فیه استحقاق میراث آبائه الأطهار، و تراث أجداده الأخیار، و لا شیء هو إلّا ما اشتمل علیه رداء اللیل و النهار؛ و هو ولد المنتقل إلی ربّه، و ولد الإمام الذاهب لصلبه، المجمع علی أنّه فی الأیّام فرد الأنام، و واحد و هکذا فی الوجود الإمام، و أنّه الحائز لما زرّت علیه جیوب المشارق و المغارب، و الفائز لملک ما بین المشارق و المغارب، الرامی فی صفیح السماء هذه الذّروة المنیفة، الراقی بعد الأئمة الماضین و نعم الخلیفة، المجتمع فیه شروط الإمامة، المتّضع للّه و هو ابن بیت لا یزال الملک فیهم إلی یوم القیامة، الّذی یفضح السحائب نائله، و الذی لا یعزّه عادله و لا یغیّره عاذله، و الذی ما ارتقی صهوة المنبر بحضرة سلطان زمانه، إلا قال ناصره

و قام قائمه، و لا قعد علی سریر الخلافة إلا و عرف أنّه ما خاب مستکفیه و لا غاب حاکمه، نائب اللّه فی أرضه، و القائم مقام رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و خلیفته و ابن عمّه، و تابع عمله الصالح و وارث علمه، سیّدنا و مولانا عبد اللّه، و ولیّه أبو العباس الإمام الحاکم بأمر اللّه، أمیر المؤمنین، أیّد اللّه ببقائه الدّین، و طوّق سیفه رقاب الملحدین، و کبت تحت لوائه المعتدین، و کتب له النّصر إلی یوم الدین، و کبّ بجهاده علی الأذقان طوائف المفسدین، و أعاذ به الأرض ممّن لا یدین بدین، و أعاد بعدله أیّام آبائه الخلفاء الراشدین، و الأئمة المهدّبین، الذین قضوا بالحق و به کانوا یعدلون، و نصر أنصاره، و قدّر اقتداره، و أسکن فی القلوب سکینته و وقاره، و مکّن له فی الجود و جمع له أقطاره.

و لمّا انتقل إلی اللّه ذلک السیّد و لقی أسلافه، و نقل إلی سریر الجنّة عن سریر الخلافة، و خلا العصر من إمام یمسک ما بقی من نهاره، و خلیفة یغالب مزید اللیل بأنواره، و وارث نبیّ بمثله و مثل آبائه استغنی الوجود بعد ابن عمّه خاتم الأنبیاء عن نبیّ یقتفی علی آثاره، و مضی و لم یعهد فلم یبق إذ لم یوجد النصّ إلا الإجماع، و علیه

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۸۶

کانت الخلافة بعد رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بلا نزاع، اقتضت المصلحة الجامعة عقد مجلس کلّ طرف منه معقود، و عقد بیعة علیها اللّه و الملائکة شهود، و جمع الناس له و ذلک یوم مجموع له الناس و ذلک یوم مشهود؛ فحضر من لم یعبأ بعده بمن تخلّف، و لم یر بائعه و قد مدّ یده طائعا لمزیدها و قد تکلّف، و أجمعوا علی رأی واحد استخاروا اللّه فیه فخار، و أخذ یمین تمدّ لها الأیمان، و یشدّ بها الإیمان، و تعطی علیها المواثیق، و تعرض أمانتها علی کلّ فریق؛ حتّی تقلّد کلّ من حضر فی عنقه هذه الأمانة، و حطّ علی المصحف الکریم یده و حلف باللّه و أتمّ أیمانه، و لم یقطع و لا استثنی و لا تردّد، و من قطع عن غیر قصد أعاد و جدّد، و قد نوی کلّ من حلف أنّ النیة فی یمینه نیّة من عقدت له هذه البیعة و نیّة من حلف له، و تذمّم بالوفاء له فی ذمّته و تکفله، علی عادة أیمان البیعة و شروطها، و أحکامها المردّدة، و أقسامها المؤکّدة بأن یبذل لهذا الإمام المفترض الطاعة الطاعة، و لا یفارق الجمهور و لا یفرّ عن الجماعة الجماعة، و غیر ذلک مما تضمّنته نسخ الأیمان المکتتب فیها أسماء من حلف علیها ممّا هو مکتوب بخطوط من یکتب منهم، و خطوط العدول الثّقات عمّن لم یکتبوا و أذنوا أن یکتب عنهم، حسبما یشهد به بعضهم علی بعض، و تتصادق علیه أهل السماء و الأرض، بیعة تمّ بمشیئة اللّه تمامها، و عمّ بالصّوب المغدق غمامها؛ و قالوا: الحمد للّه الذی أذهب عنّا الحزن، و وهب لنا الحسن، ثمّ الحمد للّه الکافی عبده، الوافی لمن تضاعف علی کلّ موهبة حمده، ثمّ الحمد للّه علی نعمة یرغب أمیر المؤمنین فی ازدیادها، و یرهب إلّا أن یقاتل أعداء اللّه بإمدادها، و یرأب بها من أثر فی منابر ممالکه ما بان من مباینة أضدادها؛ نحمده و الحمد للّه، ثمّ الحمد للّه، کلمة لا یملّ من ترادها، و لا تخلّ بما تفوّق السهام من سدادها، و لا تبطل إلّا علی ما یوجب تکثیر أعدادها، و تکبیر أقدار أهل و دادها، و تصغیر التحقیر لا التحبیب لأندادها.

و نشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شریک له، شهادة تتقایس بدماء الشّهداء و إمداد مدادها، و تتنافس طرر الشباب و غرر السحاب علی استمدادها، و تتجانس رقومها المدبّجة و ما تلبسه الدولة العباسیّة من شعارها و اللیالی من دثارها و الأعداء من حدادها؛ صلّی اللّه علیه و علی جماعة أهله، و من خلف من أبنائها و سلف من أجدادها، و رضی اللّه عن الصحابة أجمعین، و التابعین لهم بإحسان إلی یوم الدین.

و بعد؛ فإنّ أمیر المؤمنین لمّا ألبسه اللّه من میراث النبوّة ما کان لجدّه، و وهبه من الملک السلیمانیّ ما لا ینبغی لأحد من بعده، و علّمه منطق الطّیر بما تحمّله حمائم النطائق من بدائع البیان، و سخّر له من البرید علی متون الخیل ما سخّره من الریح لسلیمان، و آتاه من خاتم الأنبیاء ما امتدّ به أبوه سلیمان و تصرّف، و أعطاه من الفخار به

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۸۷

ما أطاعه کل مخلوق و لم یتخلّف، و جعل له من لباس العبّاس ما یقضی سواده بسؤدد الأجداد، و ینفض علی ظلّ الهدب ما فضل عن

سویداء القلب و سواد البصر من السواد، و یمدّ ظلّه علی الأرض و کلّ مکان دار ملک و کلّ مدینة بغداد، و هو فی لیله السجّاد، و فی نهاره العسکری و فی کرمه جعفر و هو الجواد؛ یدیم الابتهال إلی اللّه فی توفیقه، و الابتهاج بما یغصّ کلّ عدوّ بریقه.

و تبدأ بعد المبایعة بما هو الأهمّ من مصالح الإسلام، و صالح الأعمال فیما تتحلّی به الأیّام، و یقدّم التقوی أمامه، و یقرّر علیها أحکامه، و یتّبع الشرع الشریف و یقف عنده و یوقف الناس، و من لا یحمل أمره طائعا علی العین یحمله غصبا علی الرأس، و یعجّل أمیر المؤمنین بما استقرّت به النفوس، و یردّ به کید الشیطان إنّ یؤوس، و یأخذ بقلوب الرعایا و هو غنیّ عن هذا و لکنه یسوس.

و أمیر المؤمنین یشهد اللّه و خلقه علیه، أنّه أقرّ ولیّ کلّ أمر من ولاة أمور الإسلام علی حاله، و استمرّ به فی مقیله تحت کنف ظلاله، علی اختلاف طبقات ولاة الأمور، و طرقات الممالک و الثغور، برّا و بحرا، و سهلا و وعرا، شرقا و غربا، بعدا و قربا، و کلّ جلیل و حقیر، و قلیل و کثیر، و صغیر و کبیر، و ملک و مملّک و أمیر، و جندیّ یری له سیف شهیر، و رمح ظهیر، و من مع هؤلاء من وزراء و قضاة و کتّاب، و من له تدقیق فی إنشاء و تحقیق فی حساب، و من یتحدّث فی برید و خراج، و من یحتاج إلیه و من لا یحتاج، و من فی التّدریس و المدارس، و الرّبط و الزّوایا و الخوانق، و من له أعظم التعلّقات و أدنی العلائق، و سائر أرباب المراتب، و أصحاب الرواتب، و من له من اللّه رزق مقسوم، و حقّ مجهول أو معلوم، استمرارا لکلّ امرئ علی ما هو علیه، حتّی یستخیر اللّه و یتبیّن له ما بین یدیه، فمن ازداد تأهیله زاد تفضیله، و إلّا فأمیر المؤمنین لا یرید إلا وجه اللّه، و لا یحابی أحدا فی دین اللّه، و لا یحابی حقّا فی حقّ؛ فإنّ المحاباة فی الحقّ مداجاة علی المسلمین، و کلّ ما هو مستمرّ إلی الآن مستقرّ علی حکم اللّه ممّا فهّمه اللّه له، و فهّمه سلیمان، لا یغیّر أمیر المؤمنین فی ذلک و لا فی بعضه شکرا للّه علی نعمه، و هکذا یجازی من شکر، و لا یکدّر علی أحد موردا نزّه اللّه نعمه الصافیة عن الکدر، و لا یتأوّل فی ذلک متأوّل إلا من جحد النّعمة أو کفر، و لا یتعلّل متعلل؛ فإنّ أمیر المؤمنین یعوذ باللّه و یعیذ أیامه الغرر من الغیر، و أمر أمیر المؤمنین- أعلی اللّه أمره- أن یعلن الخطباء بذکره، و ذکر سلطان زمانه علی المنابر فی الآفاق، و أن تضرب باسمهما النقود و تسیر بالإطلاق، و یوشّح بالدّعاء لهما عطف اللیل و النهار، و یصرّح منه بما یشرق به وجه الدرهم و الدینار.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۸۸

و قد أسمع أمیر المؤمنین فی هذا المجمع المشهود ما یتناقله کلّ خطیب، و یتداوله کلّ بعید و قریب، و مختصره أنّ اللّه أمر بأوامر و نهی عن نواه و هو رقیب، و سیفرغ لها الأولیاء السّجایا، و یفرع الخطباء لها شعوب الوصایا، و تتصّل بها المزایا، و تخرج من المشایخ الخبایا من الزوایا، و یسمر بها السّمّار و یترنّم بها الحادی و الملّاح، و یرقّ شجوها فی اللیل المقمر و یرقم علی جبین الصباح، و تعظ بها مکّة بطحاءها، و یحیا بحدائها فناه، و یلقّنها کلّ أب فهمه ابنه و یسأل کلّ ابن نجیب أباه؛ و هو لکم أیّها الناس من أمیر المؤمنین من سدّد علیکم سنّة، و إلیکم ما دعاکم به إلی سبیل ربّه من الحکمة و الموعظة الحسنة. و لأمیر المؤمنین علیکم الطاعة. و لو لا قیام الرعایا ما قبل اللّه أعمالها، و لا أمسک بها البحر و دحی الأرض و أرسی جبالها، و لا اتّفقت الآراء علی من یستحقّ و جاءت إلیه الخلافة تجرّ أذیالها، و أخذها دون بنی أبیه:

و لم تک تصلح إلّا له‌و لم یک یصلح إلّا لها

و قد کفاکم أمیر المؤمنین السؤال بما فتح لکم من أبواب الأرزاق و أسباب الارتزاق، و آجرکم علی وفاقکم و علّمکم مکارم الأخلاق، و أجراکم علی عوائدکم، و لم یمسک خشیة الإنفاق، و لم یبق لکم علی أمیر المؤمنین إلا أن یسیر فیکم بکتاب اللّه و سنّة رسوله صلی اللّه علیه و سلم، و یعمل بما یسعد به من یجیء- أطال اللّه بقاء أمیر المؤمنین- من بعده، و یزید علی من تقدّم، و یقیم فروض الحجّ و الجهاد، و یقیم الرعایا بعدله الشامل فی مهاد.

و أمیر المؤمنین یقیم علی عادة آبائه موسم الحجّ فی کلّ عام، و یشمل برّه سکّان الحرمین الشریفین و سدنة بیت اللّه الحرام، و یجهّز السبیل علی حالته، و یرجو أن یعود علی حاله الأوّل فی سالف الأیّام، و یتدفّق فی هذین المسجدین بحره الزاخر و یرسل إلی ثالثهما

فی البیت المقدّس ساکب الغمام، و یقیم بعدله قبور الأنبیاء صلّی اللّه علیهم و سلّم أینما کانوا و أکثرهم فی الشام.

و الجمع و الجماعات هی فیکم علی قدیم سنّتها و قویم سننها ، و ستزید فی أیّام أمیر المؤمنین لمن تضمّ إلیه، و فیما یتسلّم من بلاد الکفر و یسلم منهم علی یدیه.

و أمّا الجهاد فکفی باجتهاد القائم عن أمیر المؤمنین بمأموره، المقلّد عنه جمیع ما وراء سریره. و أمیر المؤمنین قد وکّل منه- خلّد اللّه ملکه و سلطانه- عینا لا تنام، و قلّد

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۸۹

سیفا لو أغفت بوارقه لیلة واحدة عن الأعداء سلّت خیاله علیهم الأحلام؛ و سیؤکّد أمیر المؤمنین فی ارتجاع ما غلب علیه العدا.

و قد قدّم الوصیّة بأن یوالی غزو العدوّ المخذول برّا و بحرا. و لا یکفّ عمّن ظفر به منهم قتلا و لا أسرا، و لا یفکّ أغلالا و لا إصرا ، و لا ینفکّ یرسل علیهم فی البرّ من الخیل عقبانا و فی البحر غربانا ، تحمل کلّ منهما من کلّ فارس صقرا، و یحمی الممالک مما یتخرّق أطرافها بإقدام، و یتحوّل أکنافها بأقدام، و ینظر فی مصالح القلاع و الحصون و الثغور، و ما یحتاج إلیه من آلات القتال و أمهات الممالک التی هی مرابط البنود، و مرابض الأسود، و الأمراء و العساکر و الجنود، و ترتیبهم فی المیمنة و المیسرة و الجناح الممدود، و یتفقّد أحوالهم بالعرض، بما لم من خیل تعقد ما بین السماء و الأرض، و ما لهم من زرد موضون ، و بیض مسرّدها ذائب ذهب فکانت کأنّها بیض مکنون، و سیوف قواضب، و رماح بسبب دوامها من الدماء خواضب، و سهام تواصل القسیّ و تفارقها، فتحنّ حنین مفارق و تزمجر القوس زمجرة مغاضب.

و هذه جملة أراد بها أمیر المؤمنین إطابة قلوبکم، و إطالة ذیل التطویل علی مطلوبکم، و دماؤکم و أموالکم و أعراضکم فی حمایة إلّا ما أباح الشرع المطهّر، و یزید الإحسان إلیکم علی مقدار ما یخفی منکم و یظهر. و أما جزئیّات الأمور فقد علمتم بأنّ من بعد عن أمیر المؤمنین غنی عن مثل هذه الذکری، و أنتم علی تفاوت مقادیرکم ودیعة أمیر المؤمنین، و کلّکم سواء فی الحقّ عند أمیر المؤمنین، و له علیکم أداء النصیحة، و إبداء الطاعة بسریرة صحیحة؛ فقد دخل کلّ منکم فی کنف أمیر المؤمنین و تحت رقّه، و لزمه حکم بیعته و ألزم طائره فی عنقه؛ و سیعلم کلّ منکم فی الوفاء بما أصبح به علیما، و من أوفی بما عاهد علیه اللّه فسیؤتیه أجرا عظیما.

هذا قول أمیر المؤمنین؛ و قال و هو من یعمل فی ذلک کلّه بما تحمد عاقبته من الأعمال، و علی هذا عهد إلیه و به یعهد، و ما سوی ذلک فجور لا یشهد به علیه و لا یشهد؛ و أمیر المؤمنین یستغفر اللّه علی کلّ حال، و یستعیذ به من الإهمال، و یسأله أن یمدّه لما یحبّ من الآمال، و لا یمدّ له حبل الإهمال.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۹۰

و یختم أمیر المؤمنین قوله بما أمر اللّه به من العدل و الإحسان، و الحمد للّه و هو من الخلق أحمد، و قد آتاه اللّه ملک سلیمان، و اللّه یمتّع أمیر المؤمنین بما وهبه، و یملّکه أقطار الأرض و یورثه بعد العمر الطویل عقبه، فلا یزال علی سدّة العلیاء قعوده، و لدست الخلافة به أبّهة الجلالة کأنّه ما مات منصوره و لا أودی مهدیه و لا رشیده.

*** و من قصیدة ابن فضل اللّه التی سمّاها حسن الوفاء بمشاهیر الخلفاء:

و طار منهم نحو مصر قشعمقد جاءها کما یجیء الطائر

قال أخی مستنصر و والدیوالده و هو الإمام الظاهر

فلقّبوه مثله مستنصراو ذاک أنّ جدّ هذا الناصر

و کان منه الظاهر السلطان ذاخوف و من بأسائه یحاذر

فبایعوا الحاکم بعد أن أتیوفر فالتفّت به العشائر

و هو أبو العبّاس أحمد الرضامن ولد الرّاشد نجم زاهر

و قام مستكف كفاه ربّه‌جميع ما يخاف ناه آمر

و بعده الواثق إبراهيم لاعاد و لا دارت له الدوائر

و الحاكم الآن إمام عصرنابشرى لنا إنّا له نناصر

ثمّ فی يوم الاثنين ثانی محرم سنة اثنتين و أربعين حضر الخليفة الحاكم و السلطان المنصور و القضاة بدار العدل، فجلس الخليفة على الدرجة العلياء، و عليه خلعة خضراء، و فوق عمامته طرحة سوداء مرقومة بالذهب، و جلس السلطان دونه، فقام الخليفة و خطب خطبة افتتحها بقوله:

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِی الْقُرْبی وَ يَنْهی عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النحل: ۹۰]، و بقوله: وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذا عاهَدْتُمْ وَ لا تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ [النحل: ۹۱] ثمّ أوصى الأمراء بالرفق بالرعيّة و إقامة الحقّ، و تعظيم شعائر الإسلام و نصرة الدين، ثمّ قال: فوّضت إليك جميع أحكام المسلمين، و قلّدتك جميع ما تقلّدته من أمور الدين فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ [الفتح: ۱۰] و قرأ الآية، و جلس. حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة ؛ ج۲ ؛ ص ۹۰

ّ جيء بخلعة سوداء ألبسها الخليفة السلطان بيده، ثمّ قلّده سيفا عربيّا، ثمّ أخذ علاء الدين بن فضل اللّه كاتب السر فی قراءة عهد الخليفة للسلطان، حتّى فرغ منه، ثمّ قدّمه إلى الخليفة، فكتب عليه ثمّ كتب بعده القضاة الأربعة بالشهادة عليه و استمرّ الخليفة فی

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۹۱

منصبه الشريف إلى أن مات بالطاعون شهيدا فی منتصف سنة ثلاث و خمسين ، و لم يعهد بالخلافة لأحد.

*** فجمع الأمراء شيخو و رفقته القضاة، و طلب جماعة من بنی العباس، فوقع الاختيار على أخيه أبی بكر بن المستكفی، فبايعوه و لقّب المعتضد باللّه ، و كنّی أبا الفتح، و ضمّ إليه نظر المشهد النفيسیّ، فأقام إلى أن مات ليلة الأربعاء ثامن عشر من جمادی الأولى سنة ثلاث و ستّين.

قال بدر الدين بن حبيب فی ترجمته: أمير المؤمنين، و قائد المذعنين، و إمام الأئمة، و قدوة المتكلّمين، فی براءة الذمّة، علت أركانه، و بسقت أغصانه، و تجمّلت به ديار مصره، و صغت إلى رأيه ملوك عصر، رأس و ساد، و منح و أفاد، و رفل فی حلل النعيم، و هدی إلى سلوك الطريق المستقيم، و اعتضد باللّه فی أموره، و لم يختف عن الناس بحجبه و لا ستوره، و استمرّ سائرا فی منهاج عزّه و بقائه، إلى أن لحق بعد عشرة أعوام بالخلفاء الكرام من آبائه.

*** و عهد بالخلافة لولده أبی عبد اللّه محمد، فقام بعده و لقّب المتوكّل على اللّه؛ هذه صورة العهد:

بسم اللّه الرحمن الرحيم. الحمد للّه الذی ميّز أبناء الخلفاء برتب العدالة، و ألبس من نشأ منهم على ستر العفاف خلعها المذالة ، و رفع قدره على أقرانه حين سلك سبل الرشاد التی أوضحها له.

أحمده على نعمه الّتی هی على عبده منهالة، و أشكره شكرا أستزيد به نعمه و أفضاله. و أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له شهادة امرئ أخلص بها نيّته

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۹۲

و مقاله، و أشهد أنّ محمدا عبده و رسوله المخصوص بعموم الرسالة، و المبعوث بأوضح حجّة و دلالة، و الصّادق الأمين الذی أخلص للّه أقواله و أفعاله؛ صلّى اللّه عليه و على آله و أصحابه أولی الصّدر و الأصالة، و المفاخر الباهرة و الجلالة، و سلّم تسليما كثيرا.

و رضی اللّه عن أوّل الخلفاء بعد نبيّنا محمد المصطفی الذی صحبه بوفاء شيخ الوقار، و معدن الجود و الافتخار، و أنيس سيّد المرسلين فی الغار، ذی الكرم العريق، و الرأی الوثيق، و الإخلاص و التّصديق. السابق للنبوّة و الرسالة بالتّصديق، المكنّى بعتيق؛ هو الإمام أبو بكر الصدّيق. و عن عمّی نبيّه حمزة و العبّاس، المطهّرين من الدّنس و الأرجاس.

و بعد، فالخلافة أشرف ملابس أهل الديانة، و أزهى حلل الصّيانة، و هى أصل كلّ سيادة يتوصّل إليها، و رئاسة جلّ الاعتماد عليها؛ إذ هى أجلّ المناصب و أنماها، و أشرفها و أرفعها و أسناها، و أنفسها و أعلاها و أغلاها، و من لوازمها ألّا يؤتى تقليدها إلّا من اتّصف بصفاتها المرضيّة، و تحلّى بحلاها المرعيّة، و رقى بجميل سيرته إلى مراتبها العليّة. و لمّا كان من يأتى اسمه فى هذا المكتوب ممّن هو حقيق بها لا محالة، و جدير بأن يبلغه حسن الظنّ منها آماله؛ إذ كان متّصفا بصفاتها الحميدة، متقيّدا بآرائها السديدة؛ و قد لاحت عليه آثار الخلافة و ظهرت، و ذاعت محامده و اشتهرت، و قامت الأدلّة بأهليّته لتقليدها، و أنّه كفء لتناول طريفها و تليدها؛ استخار اللّه سيّدنا و مولانا الإمام المعتضد بالله، المستمسك بتقواه، المراقب له فى سرّه و نجواه، أمير المؤمنين، خليفة ربّ العالمين، ابن عمّ سيّد المرسلين أبو الفتح أبو بكر بن سيّدنا و مولانا المستكفى بالله أبى الرّبيع سليمان أمير المؤمنين، أعزّ اللّه به الدين، و أمتع ببقائه الإسلام و المسلمين، و أشهد على نفسه الكريمة، أسبغ اللّه عليه نعمه العميمة، إنّه عهد إلى ولده لصلبه الإمام المتوكّل على اللّه أبى عبد اللّه محمد، نصر اللّه به الإسلام و أيّده، و نفع به نفعا مستمرّا مؤبّده، و جعله وليّ عهده، و رضيه خلفة على الرعيّة من بعده؛ لما علم من ديانته و عدالته و كفالته و كفايته و مروءته و حسن قصده، عهدا صحيحا شرعيّا، تامّا معتبرا مرضيّا، و فوّض إليه أمر الخلافة تفويضا صريحا، و عقد له ولاية العهد على الرعيّة عقدا صحيحا و قبل ذلك قبولا شرعيّا، جعله اللّه لشريعة نبيّه محمد ناصرا مؤيّدا، و جمع به كلمة الإسلام.

و صدّر الإشهاد بذلك فى اليوم المبارك يوم الثلاثاء الثالث عشر من ربيع الأوّل سنة ثلاث و ستّين و سبعمائة.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۹۳

فاستمرّ إلى أن قتل الأشرف شعبان و أقيم ولد المنصور علىّ و كان أينبك البدرىّ مدبّر دولته، و قد حقد على المتوكّل أمورا، فطلب نجم الدين زكريا بن إبراهيم ابن ولىّ العهد المستمسك بن الخليفة الحاكم يوم الاثنين رابع ربيع الأوّل سنة تسع و سبعين، فخلع عليه، و استقرّ خليفة بغير مبايعة و لا- إجماع، و لقّب المعتصم بالله. ثمّ فى العشرين من الشهر كلّم الأمراء أينبك فيما فعله مع المتوكّل، و رغّبوه فى إعادته إلى الخلافة، فأعاده و خلع زكريّا، فكانت خلافته خمسة عشر يوما. ثمّ لم يتمّ الشهر على أينبك حتّى اتّفق العساكر على خلافه و الخروج عليه، فهرب، ثمّ ظفر به فى تاسع ربيع الآخر، فقيّد و سجن بالإسكندريّة و كان آخر العهد به.

و قال فيه الأديب شهاب الدين بن العطار:

من بعد عزّ أذلّ أينبكاو انحطّ بعد السموّ من فتكا

و راح يبكى الدّماء منفرداو النّاس لا يعرفون أين بكى

*** و استمرّ المتوكّل فى الخلافة إلى رجب سنة خمس و ثمانين. فبلغ الظاهر برقوقا أنّه واطأ جماعة أن يقتلوه إذ لعب الأكرة، و يقوموا بنصرة الخليفة و استبداده بالأمر، و أنّ الخليفة ذكر أنّه ما فوّض إليه السلطنة إلا كرها، و أنّه لم يسر فى ملكه بالعدل. فاستدعى برقوق بالقضاة ليفتوه فى الخليفة بشىء فامتنعوا، و قاموا عنه، فخلع هو الخليفة بقوّته و سجنه بالقلعة. ثم طلب عمر بن إبراهيم بن المستمسك بن الحاكم، و بايعه بالخلافة و لقّب الواثق بالله. ثمّ فى ذى القعدة من السّنة، أخرج المتوكّل من السجن، و أقام بداره مكرّما، و استمر الواثق فى الخلافة إلى أن مات يوم الأربعاء تاسع عشرى شوّال سنة ثمان و ثمانين.

فكلّم الناس برقوقا فى إعادة المتوكّل، فأبى و أحضر أخا عمر زكريّا الذى كان أينبك ولّاه تلك الأيام اليسيرة، فبايعه و لقّب المعتصم بالله، فاستمرّ إلى يوم الخميس

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۹۴

ثانى جمادى الأولى سنة إحدى و تسعين. فندم برقوق على ما صنع بالمتوكّل، فخلع زكريّا و أعاد المتوكّل إلى الخلافة، و حلّف القضاة كلا من الخليفة و السلطان للآخر على الموالاة و المناصحة. و أقام زكريّا بداره إلى أن مات مخلوعا فى جمادى الأولى سنة إحدى و ثمانمائة. و قرىء تقليد المتوكل بالمشهد النفيسىّ فى ثامن عشر الشهر بحضرة القضاة و الأمراء، و قرّر له السلطان دارا بالقلعة

یسکنها، و یرکب إلی داره بالمدینة متی شاء.

و استمرّ المتوکّل فی خلافته هذه إلی أن مات لیلة الثلاثاء ثامن عشری رجب سنة ثمان و ثمانمائة.

قال المقریزی: و هو أوّل من أثری من خلفاء مصر، و کثر ماله، و رزق أولادا کثیرة، یقال إنّه جاء له مائة ولد، ما بین مولود و سقط، و مات عن عدّة أولاد ذکور و إناث، ولی الخلافة منهم خمسة، و لا نظیر لذلک؛ و أکثر إخوته و لوا الخلافة فیما تقدّم، أربعة. و اتّفق للمتوکّل هذا أنّه عاد إلی الخلافة بعد خلعه مرّتین، و لم یقع ذلک لأحد فیما تقدّم إلا للمقتدر فقط.

و رأیت فی تاریخ عالم حلب المحبّ أبی الولید بن الشّحنة أنّه فی سنة سبع و تسعین و سبعمائة، أرسل أبو یزید بن عثمان إلی الخلیفة المتوکّل بهدایا و تحف فی طلب تشریف منه بأن یکون سلطان الروم؛ فجهّز له ذلک.

و ذکر الحافظ ابن حجر فی إنباء الغمر، أنّ مولد المتوکل هذا فی سنة نیّف و أربعین و سبعمائة ، و أنّه لمّا تسلطن برقوق المرّة الأولی حسّن له جماعة من أهل الدولة و غیرهم طلب الملک؛ فکاتب الأمراء و العربان مصرا و شاما و عراقا، و بثّ الدعاة فی الآفاق. فبلغ ذلک برقوقا، فخلعه و سجنه، فخرج یلبغا الناصریّ علی برقوق بسبب ذلک، فأفرج عنه برقوق، و أعاده إلی الخلافة، و فرح الناس به فرحا کثیرا. فلمّا انتصر الناصریّ، و زالت دولة برقوق قال الناصریّ للخلیفة بمحضر من الأمراء: یا مولانا أمیر المؤمنین ما ضربت بسیفی هذا إلّا فی نصرتک؛ و بالغ فی تعظیمه و تبجیله، فتبرّم المتوکّل من الدخول فی الملک، و أشار بإعادة حاجی بن شعبان.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۹۵

و کان المتوکّل عهد بالخلافة لولده أحمد، و لقّبه المعتمد علی اللّه، ثمّ خلعه و عهد إلی ابنه أبی الفضل العباسی؛ فاستقرّ فی الخلافة بعده، و لقّب المستعین بالله، فأقام إلی أن خرج شیخ علی الناصر فرج، و ظفر به، و ذلک فی المحرّم سنة خمس عشرة و ثمانمائة، فأشهد علی الخلیفة بخلع الناصر من الملک، لما ثبت علیه من الکفریّات و الانحلال و الزندقة، و حکم ناصر الدین بن العدیم بسفک دمه.

و اتّفق رأی الأمراء علی سلطنة الخلیفة و استقلاله بالأمر، فلم یوافقهم الخلیفة إلا بعد شدّة و توثّق منهم بالأیمان، فبایعه الأمراء کلّهم، و حلفوا له علی الوفاء، و لم یغیّر لقبه، و جلس علی کرسیّ الملک، و قام الکلّ بین یدیه؛ و ذلک بالشام، و قرّر بکتمر جلّق فی نیابة الشام و قرقماس فی نیابة حلب و سودون الجلب فی نیابة طرابلس، و شیخ و نوروز فی رکابه، یدبّران الأمر، و نادی منادی الخلیفة: إلا إنّ فرج بن برقوق قد خلع من السلطنة، و من حضر إلی أمیر المؤمنین و ابن عم سیّد المرسلین فهو آمن، فتسلّل الناس من الناصر. و کتب المستعین إلی القاهرة باجتماع الکلمة له. و عزل الجلال البلقینیّ عن قضاة الشافعیّة، و ولّی بدله شهاب الدین الباعونیّ، فحقدها علیه البلقینیّ، حتّی فعل معه بعد ذلک ما فعل.

ثمّ أرسل المستعین کتابا ثانیا إلی من بالقاهرة من الأعیان، فأرسل إلی الجامع الطولونیّ، فقرأه خطیبه ابن النّقاش علی المنبر، ثمّ أرسل إلی الجامع الأزهر، فقرأه خطیبه الحافظ ابن حجر علی المنبر، ثمّ فرّ الناصر إلی حلب، فقام ناس علی الأسواق، فنادوا: نصر اللّه أمیر المؤمنین، فلمّا سمع الرّماة ذلک تخوّفوا علی أنفسهم و لم یغیثوه، ثمّ قبض علی الناصر و قتل بحکم ابن العدیم.

ثمّ إن المستعین صرف بکتمر جلّق عن نیابة الشام و قرّر فیها نوروز، و قرّر بکتمر أمیرا کبیرا بالقاهرة، و صدرت الکتب من المستعین إلی أمراء الترکمان و العربان و العشیر. و مفتتحها: من عبد اللّه و ولیّه الإمام المستعین بالله أمیر المؤمنین و خلیفة ربّ العالمین و ابن عمّ سیّد المرسلین المفترضة طاعته علی الخلق أجمعین، أعزّ اللّه ببقائه

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۹۶

الدین، إلی فلان. ثمّ توجّه هو و العسکر إلی القاهرة، فدخلوا فی یوم الثلاثاء ثانی ربیع الآخر بعد أن تلقّاهم النّاس إلی قطیا و إلی الصالحیّة و إلی بلبیس، و حصل للناس من الفرح بذلک ما لا مزید علیه، و نادی فی الناس برفع المظالم و المکوس.

و عمل الحافظ أبو الفضل بن حجر فی المستعین قصیدته المشهورة و هی:

الملک أصبح ثابت الأساس‌بالمستعین العادل العبّاسی

رجعت مکانة آل عمّ المصطفی‌لمحلّها من بعد طول تناس

ثانی ربیع الآخر المیمون فی‌یوم الثلاثا حفّ بالأعراس

بقدوم مهدیّ الأنام أمینهم‌مأمون غیب طاهر الأنفاس

ذو البیت طاف به الرجاء فهل یری‌من قاصد متردّد فی الیاس

فرع نما من هاشم فی روضةزاکی المنابت طیّب الأغراس

بالمرتضی و المجتبی، و المشتری‌للحمد للحالی به و الکاسی

من أسرة أسروا الخطوب و طهّروامّا بغیرهم من الأدناس

أسد إذا حضروا الوغی و إذا خلواکانوا بمجلسهم ظباء کناس

مثل الکواکب نورهم ما بینهم‌کالبدر أشرق فی دجی الأغلاس

و بکفّه عند العلامة آیةقلم یضیء إضاءة المقباس

فلبشره للوافدین مباسم‌تدعی و للإجلال بالعبّاسی

فالحمد للّه المعزّ لدینه‌من بعد ما قد کان فی إبلاس

بالسادة الأبرار أرکان العلامن بین مدرک ثاره و مواس

نهضوا بأعباء المناقب و ارتقوافی منصب العلیا الأشمّ الراسی

ترکوا العدی صرعی بمعترک الردی‌فاللّه یحرسهم من الوسواس

و إمامهم بجلاله متقدّم‌تقدیم «بسم اللّه» فی القرطاس

لولا نظام الملک فی تدبیره‌لم یستقم فی الملک حال الناس

کم من أمیر قبله خطب العلاو بجهده رجعته بالإفلاس

حتّی إذا جاء المعالی کفؤهاخضعت له من بعد فرط شماس

طاعت له أیدی الملوک و أذعنت‌من نیل مصر أصابع المقیاس

فهو الذی قد ردّ عنّا البؤس فی‌دهر به لولاه کلّ الباس

و أزال ظلما عمّ کلّ معمّم‌من سائر الأنواع و الأجناس

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۹۷ بالخاذل المدعوّ ضد فعاله‌بالنّاصر المتناقض الأساس

کم نعمة للّه کانت عنده‌فکأنّها فی غربة و تناس

منا زال سرّ الشرّ بین ضلوعه‌کالنار أو صحبته للأرماس

کم سنّ سیئة علیه أثامهاحتّی القیامة ماله من آس

مکرا بنی أرکانه، لکنّهاللغدر قد بنیت بغیر أساس

کلّ امرئ ینسی و یذکر تارةلکنّه للشرّ لیس بناس

أملی له ربّ الوری حتّی إذاأخذوه لم یفلته مرّ الکاس

و أدالنا منه المنیک بمالک‌أیّامه صدرت بغیر قیاس

فاستبشرت أمّ القری و الأرض من‌شرق و غرب کالعذیب و فاس

آیات مجد لا یحاول جحدهافی النّاس غیر الجاهل الخنّاس

و مناقب العبّاس لم تجمع سوىلحفيده ملك الورى العبّاس

لا تنكروا للمستعين رياسةفى الملك من بعد الجحود النّاسى

فبنو أميّة قد أتى من بعدهمفى سالف الدّنيا بنو العبّاس

و أتى أشجّ بنى أميّة ناشراللعدل من بعد المبير الخاسى

مولاى عبدك قد أتى لك راجيامنك القبول فلا ترى من باس

لولا المهابة طوّلت أمداحهلكنّها جاءته بالقسطاس

فأدام ربّ النّاس عزّك دائماالحقّ محروسا بربّ الناس

و بقيت تستمع المديح لخادملولاك كان من الهموم يقاسى

عبد صفا ودّا و زمزم حادياو سعى على العينين قبل الرّاس

أمداحه فى آل بيت محمّدبين الورى مسكيّة الأنفاس

و لما دخل الخليفة القاهرة شقّها و الأمراء بين يديه، فاستمرّ إلى القلعة، فنزل بها و نزل شيخ الإصطبل بباب السّلسلة.

ثمّ فى ثامن ربيع الآخر صعد شيخ و الأمراء إلى القصر، و جلس الخليفة على تخت الملك، فخلع على شيخ خلعة عظيمة بطراز لم يعهد مثلها، و فوّض إليه أمر المملكة بالديار المصرية فى جميع الأمور، و كتب له أن يولّى و يعزل من غير مراجعة، و أشهد عليه بذلك؛ و لقّب نظام الملك؛ فكانت الأمراء إذا فرغوا من الخدمة بالقصر،

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۹۸

نزلوا فى خدمة شيخ إلى الإصطبل؛ فأعيدت الخدمة عنده، و يقع عنده الإبرام و النقض، ثم يتوجّه دواداره إلى المستعين، فيعلم على المناشير و التواقيع. ثمّ إنّ تقدّم إليه بألّا يمكّن الخليفة من كتابة العلامة إلا بعد عرضها عليه، فاستوحش الخليفة عليه، و ضاق صدره، و كثر قلقه، فلمّا كان فى شعبان سأل شيخ الخليفة أن يفوّض إليه السلطنة على العادة، فأجاب بشرط أن ينزل من القلعة إلى بيته، فلم يوافقه شيخ على النزول، بل استنظره أياما.

ثمّ إنه نقل المستعين من القصر إلى دار من دور القلعة، و معه أهله، و وكّل به من يمنعه الاجتماع بالنّاس، فبلغ ذلك نوروز، فجمع القضاة و العلماء فى سابع ذى القعدة، و استفتاهم عمّا صنعه شيخ بالخليفة، فأفتوه بعدم جواز ذلك؛ فأجمع على قتال شيخ، و استمرّ المستعين فى القلعة إلى ذى الحجّة سنة ستّ عشرة، و هو باق على الخلافة، فلمّا عزم شيخ إلى الشام خشى من غائلته، و أراد خلعه فراجع البلقينىّ فى ذلك. و كان فى نفسه من المستعين شىء لكونه عزله، فرتّب له دعوى شرعيّة، و حكم بخلعه من الخلافة، و بايع بالخلافة أخاه أبا الفتح داود، و لقّب المعتضد بالله، و سيّر المستعين إلى الإسكندرية، فأقام بها إلى أن مات شهيدا بالطاعون، فى جمادى الآخرة سنة ثلاث و ثلاثين .

و استقرّت الخلافة باسم المعتضد، و كان من سروات الخلفاء، نبيلا ذكيا فاضلا، يجالسه العلماء و الفضلاء، و يستفيد منهم و يشاركهم فيما هم فيه، جوادا سمحا، و طالت مدّته فى الخلافة نحو ثلاثين سنة، فلمّا حضرته الوفاة عهد بالخلافة إلى شقيقه أبى الربيع سليمان، و لقّب المستكفى بالله؛ و كان والدى خصيصا به، فكتب له العهد بيده و هذه صورته:

بسم اللّه الرحمن الرحيم؛ هذا ما أشهد على نفسه الشّريفة حرسها اللّه و حماها، و صانها من الأكدار و رعاها، سيّدها و مولانا ذو المواقف الشريفة الطاهرة الزكيّة الإماميّة الأعظميّة العبّاسية النبويّة المعتضديّة، أمير المؤمنين و ابن عمّ سيد المرسلين، و وارث الخلفاء الراشدين، المعتضد بالله تعالى أبو الفتح داود، أعزّ اللّه به الدين، و أمتع ببقائه

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۹۹

الإسلام و المسلمين؛ أنّه عهد إلى شقيقه المقرّ العالى المولوىّ الأصيلىّ العريقىّ الحسيبىّ النسيبىّ السليلىّ سيّدى أبى الربيع سليمان

المستكفى باللّه، عظّم اللّه شأنه، بالخلافة المعظّمة، و جعله خليفة بعده، و نصّبه إماما على المسلمين، عهدا شرعيّا، معتبرا مرضيّا، نصيحة للمسلمين، و وفاء بما يجب عليه من مراعاة مصالح الموحّدين، و اقتداء بسنّة الخلفاء الراشدين، و الأمة المهديّين.

و ذلك لما علم من دينه و خيره، و عدالته و كفالته و أهليّته، و استحقاقه بحكم أنه اختبر حاله، و علم طويّته، و أنه الذى يدين اللّه به أنّه أتقى للّه ممّن رآه، و أنه لا يعلم صدر منه ما ينافى استحقاقه لذلك، و إنّه إن ترك الأمر هملا من غير تفويض للمشار إليه أدخل إذ ذاك المشقّة على أهل الحلّ و العقد فى اختيار من ينصّبونه للإمامة، و يرتضونه لهذا الشأن، فبادر إلى هذا الشأن، شفقة عليهم، و قصدا لبراءة ذمّتهم و وصول الأمر إلى من هو أهله، لعلمه أنّ العهد كان غير محوج إلى رضا سائر أهله، و وجب على من سمعه و تحمّل ذلك منه أن يعلم به، و يأمر بطاعته عند الحاجة إليه، و يدعو النّاس إلى الانقياد له، فسجّل ذلك على من حضره حسب إذنه الشريف، و سطّر عن أمره قبل ذلك سيّدى المستكفى أبو الربيع سليمان، المسمّى فيه، عظّم اللّه شأنه قبولا شرعيّا:

و مات المعتضد يوم الأحد رابع ربيع الأول سنة خمس و أربعين و استقرّ المستكفى، و كان من صلحاء الخلفاء و عبّادهم، صالحا ديّنا عابدا، كثير التعبّد و الصلاة و التلاوة، كثير الصمت، حسن السيرة. و كان الظاهر جقمق يعتقده، و يعرف له حقّه، فأقام إلى أن مات ليلة الجمعة، سلخ ذى الحجّة سنة أربع و خمسين ، و لم يعهد بالخلافة لأحد.

و كان والدى خصيصا به جدّا، فلم يعش بعده إلا أربعين يوما، و مشى السلطان فى جنازة المستكفى إلى تربته، و حمل نعشه بنفسه.

*** و بايع بعده بالخلافة أخاه أبا البقاء حمزة، و لقّب القائم بأمر اللّه، و كان سهما

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۰۰

صارما، أقام أبّهة الخلافة قليلا. ثمّ إنّ الجند خرجوا على الأشرف إينال ، فقام معهم، و حدّثته نفسه بطلب الملك، فانهزم الجند، فلم يحصل من يدهم شىء. فغضب عليه الأشرف، و طلبه إلى القلعة، و عاتبه فى ذلك؛ فحكى أنّ الخليفة قال: خلعت نفسى و عزلتك، و كان غلطة منه؛ فقال شيخنا قاضى القضاة علم الدين البلقينىّ- و كان حريصا على جرّ الخلافة إلى أخى الخليفة يوسف، لكون زوج ابنته؛ فقال: قد بدأ بخلع نفسه فانخلع، و ثنّى بخلع السلطان و هو غير خليفة؛ فلم ينفذ عزله. و حكم بصحّة خلعه؛ و ذلك فى جمادى الآخرة سنة تسع و خمسين، و بايع أخاه أبا المحاسن يوسف و لقّب المستنجد باللّه، و سيّر القائم إلى الإسكندرية إلى أن مات بها سنة ثلاث و ستّين و دفن عند شقيقه المستعين. و من الاتّفاق الغريب أنّهما شقيقان، كلّ منهما رام السلطنة، و كلّ منهما خلع؛ و سكن الإسكندريّة، و دفنا معا؛ و حكم بخلعهما قاضيان أخوان؛ ذلك خلعه الجلال البلقينىّ؛ و هذا أخوه العلم البلقينىّ.

و استمرّ المستنجد فى الخلافة ساكنا بمنزل إخوته، إلى أن توفّى الظاهر خشقدم ، فدعاه إلى أن يسكن عنده فى القلعة، و استمرّ ساكنا بها إلى أن مات يوم السبت رابع عشرى المحرّم سنة أربع و ثمانين و ثمانمائة .

*** و عهد بالخلافة إلى ابن أخيه سيّدى عبد العزيز أبى العزّ يعقوب بن المتوكّل على اللّه، فلمّا كان يوم الاثنين سادس عشرى المحرّم طلع إلى القلعة، و حضر القضاة و الأعيان، فأمضوا عهد عمّه، و لبس تشريف الخلافة، و نزل إلى داره، و القضاة و الأعيان بين يديه، و كان يوما مشهودا. و كان أراد أن يتلقّب بالمستعزّ باللّه، ثمّ وقع التردّد بينه و بين المستعين أو المتوكّل، و استقرّ الحال على أن لقب: «المتوكل على اللّه»، و هو الآن عين بنى العباس و شامتهم؛ لم يزل مشارا إليه، محبوبا فى صدور الناس، و له اشتغال على والدى و غيره من المشايخ، و أجاز له باستدعائى جماعة من المسندين، و قد خرّجت لهم عنه جزءا حدّث به. و ألّفت برسمه كتاب «الأساس فى فضل بنى العباس»، و كتاب «رفع الباس عن بنى العباس». أبقاه اللّه بقاء جميلا، و أدامه على رباع المسلمين

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۰۱

ظلّا ظليلا! و تعفّف عن أخذ ما يتحصّل من مشهد السيّدة نفيسة من النّذور من شمع و زيت و غيرهما، و صرفه إلى مصالح المكان من عمارة و غيرها. و كان الخلفاء قبله يأخذون لأنفسهم غالبه، و الباقى يفرّقونه على من شاؤوا من ألزامهم ، فرفع ذلك من أصله.

*** فصل

قال ابن فضل اللّه فى المسالك: إنّ قاعدة الخلافة أوّل ما كانت المدينة شرّفها اللّه مدّة أبى بكر و عمر و عثمان، فلمّا انتهت الخلافة إلى علىّ انتقل من المدينة إلى الكوفة، و اتّخذها قاعدة خلافته، و ربّما استوطن البصرة، و جاء ابنه الحسن و الكوفة قاعدة خلافته على ما كان عليه أبوه، فلمّا ولى معاوية انتقلت قاعدة الخلافة إلى دمشق، و استقرّت قاعدة لبنى أميّة؛ و إن كان هشام قد سكن الرّصافة ، و عمر بن عبد العزيز خناصرة ، فإنّهما لم يكونا قاعدتى خلافة، لأنّهما سكناهما غير مفارقين لدمشق، بل هى القاعدة و المعتمدة بأنّها مستقرّ الخلافة، و لم تزل كذلك إلى آخر الدولة الأمويّة. فلمّا ملك السفّاح سكن الأنبار، فلما ولى المنصور بنى الهاشميّة و سكنها، ثمّ بغداد، فصارت قاعدة الخلافة له و لبنيه إلى المعتصم؛ فبنى سرّ من رأى، فانتقلت قاعدة الخلافة إليها.

ثمّ بنى ابنه هارون الواثق إلى جانبها الهارونيّة، فانتقلت قاعدة الخلافة إليها. ثمّ بنى أخوه جعفر المتوكّل إلى جانبها الجعفريّة، فانتقلت الخلافة إليها، ثمّ عادت قاعدة الخلافة إلى بغداد فى زمن المعتمد إلى المستعصم الّذى قتلته التتار، فانتقلت قاعدة الخلافة إلى مصر.

قال: فانظر كيف تنقّلت قواعد الخلافة من بلد إلى بلد بتنقّل الزمان، و قد كانت بخارى قاعدة السلطنة زمن بنى ساسان، ثمّ صارت غزنة مكان محمود بن سبكتكين و بنيه، ثمّ همدان زمان الدولة السلجوقيّة، ثم خوارزم مكان الملوك الخوارزميّة، ثم

دمشق زمان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى، ثمّ مصر من زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب و إلى اليوم.

*** و إذ اعتبرت أحوال البلاد تجد السعادة قد نظرت هذه مرّة، ثمّ تلك أخرى كما قال الشاعر:

و إذا نظرت إلى البقاع رأيتهاتشقى كما تشقى الرجال و تسعد

و اعلم أنّ مصر من حين صارت دار الخلافة عظم أمرها، و كثرت شعائر الإسلام فيها، و علت فيهما السنّة، و عفت منها البدعة، و صارت محلّ سكن العلماء، و محطّ رحال الفضلاء، و هذا سرّ من أسرار اللّه أودعه فى الخلافة النبويّة حيث ما كانت يكون معها الإيمان و الكتاب، كما أخرج .....

. .....

دلّ هذا الحديث على أنّ الإيمان و العلم يكونان مع الخلافة أينما كانت، فكانا أوّلا بالمدينة زمن الخلفاء الراشدين، ثمّ انتقلا إلى الشام زمن خلفاء بنى أمية، ثمّ انتقلا إلى بغداد زمن خلفاء بنى العباس، ثم انتقلا إلى مصر حين سكنها خلفاء بنى العباس؛ و لا يظنّ أن ذلك بسبب الملوك، فقد كانت ملوك بنى أيّوب أجلّ قدرا، و أعظم خطرا من ملوك جاءت بعدهم بكثير، و لم تكن مصر فى زمنهم كبغداد، و فى أقطار الأرض الآن من الملوك من هو أشدّ بأسا، و أكثر جندا من ملوك مصر، كالعجم و العراق و الروم و الهند و المغرب، و ليس الدّين قائما ببلادهم كقيامه بمصر، و لا شعائر للإسلام فى أقطارهم ظاهرة كظهورها فى مصر، و لا نشرت السنّة و الحديث و العلم فيها كما فى مصر، بل البدع عندهم فاشية، و الفلسفة بينهم مشهورة، و السنّة و الأحاديث دائرة و المعاصى و الخمور و اللّواط متكاثرة.

ذكر سلاطين مصر الذين فوض إليهم خلفاء مصر العبّاسيون فاستبدوا بالأمر دونهم

أوّلهم الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس البندقدارىّ . و لما فوّض إليه

خليفة مصر لقّبه قسيم أمير المؤمنين و هو أوّل من لقّب بها، و كان الملوك قديما يكتب أحدهم من جهة الخليفة: «مولى أمير المؤمنين» أى عتيقه، و يكتب هو إلى الخليفة «خادم أمير المؤمنين» فإن زيد فى تعظيمه لقّب «ولىّ أمير المؤمنين»، ثمّ «صاحب أمير المؤمنين»، ثمّ «خليل أمير المؤمنين»، و هو أعلى ما لقّب به ملوك بنى أيّوب، فلقب الظّاهر هذا قسيم أمير المؤمنين؛ و هو أجلّ من

تلك الألقاب، و كان فى الظاهر محاسن و غيرها، و ظلم أهل الشام غير مرّة، و أفتاه جماعة بموافقة هواه، فقام الشيخ محيى الدين النّووىّ فى وجهه، و أنكر عليه، و قال: أفتوك بالباطل! و كان بمصر منقمعا تحت كلمة الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام، لا يستطيع أن يخرج عن أمره، حتّى إنّه قال لما مات الشيخ: ما استقرّ ملكى إلّا الآن.

و من محاسنه ما حكاه ابن كثير فى تاريخه أنّه حضر فى يوم الثلاثاء تاسع رجب سنة ستّين إلى دار العدل فى محاكمة فى بئر بين يدى القاضى تاج الدين ابن بنت الأعزّ، فقام الناس سوى القاضى، فإنّه أشار إليه ألّا يقوم، فقام هو و غريمه بين يدى القاضى و تداعيا، و كان الحقّ بيد السلطان، و له بيّنة عادلة به، فانتزعت البئر من يد الغريم و هو أحد الأمراء.

و الظاهر هو الذى أكمل عمارة المسجد النبوىّ من الحريق، و كان الخليفة المستعصم شرع فيه بعد أن احترق، فقتل قبل أن يتمّ، فجهّز الظاهر فى رمضان سنة إحدى و ستّين صنّاعا و أخشابا و آلات، و طيف بها بالديار المصرية فرحة بها، و تعظيما لشأنها، ثمّ ساروا بها إلى المدينة الشريفة، و أرسل منبرا فنصب هنالك، و حجّ فى سنة سبع و ستّين، فغسل الكعبة بيده بماء الورد ، و زار المدينة الشريفة، فرأى النّاس يلتصقون بالقبر النبوىّ، فقاس ما حوله بيده، و أرسل فى العام الذى يليه دارابزيا من خشب، فأدير حول القبر الشريف.

و للظاهر فتوحات كثيرة، و ملك الرّوم، و جلس بقيساريّة على تخت آل سلجوق، و لبس التاج، و ضرب باسمه الدينار و الدرهم، و هو الذى جعل القضاة أربعة من كلّ مذهب قاض، و لم يعهد ذلك قبله فى ملّة الإسلام، و هو الذى جدّد صلاة الجمعة بالجامع الأزهر و بجامع الحاكم، و كانا مهجورين من زمن العبيديين، فأساء فى ذلك كلّ الإساءة كما سنبيّنه بعد هذا.

و أمر فى أيامه بإراقة الخمور ، و إبطال المفسدات و الخواطىء و إسقاط المكوس المرتّبة عليها، فأحسن فى ذلك كلّ الإحسان.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۰۴

و فى أيامه طيف بالمحمل و بكسوة الكعبة المشرّفة بالقاهرة و ذلك فى سنة خمس و سبعين، و كان يوما مشهودا، و هو أوّل من فعل ذلك بالديار المصرية. و كان له صدقات كثيرة؛ من ذلك كلّ سنة عشرة آلاف اردبّ قمح للفقراء و المساكين و أرباب الزوايا، و كان يخرج كلّ سنة جملة مستكثرة يستفكّ بها من حبس القاضى من المفلسين، و كان يرتّب فى أوّل رمضان مطابخ لأنواع الأطعمة برسم الفقراء و المساكين، و وقف وقفا على تكفين أموات الغرباء، و أجرى على أهل الحرمين و طرق الحجاز ما كان انقطع فى أيام غيره من الملوك، و له أنواع من المعروف و أوقاف البرّ.

نقلت من خطّ شيخنا الإمام تقى الدين الشّمنىّ؛ قال: نقلت من خطّ الشيخ كمال الدين الدّميرىّ، نقل من خط الشيخ جمال الدين بن هشام، قال: من غريب ما رأيت على كراريس من تسهيل الفوائد بخط الشيخ جمال الدين بن مالك، فى أواخرها صورة قصة رفعها الفقير إلى رحمة ربّه محمد بن مالك: يقبّل الأرض و ينهى إلى السلطان أيّد اللّه جنود و أبّد سعوده، أنّه أعرف أهل زمانه بعلوم القراءات و النحو و اللغة و فنون الأدب، و أمله أن يعينه نفوذا من سيّد السلاطين، و مبيد الشياطين، خلّد اللّه ملكه، و جعل المشارق و المغارب ملكه، على ما هو بصدده من إفادة المستفيدين، و إفادة المسترشدين؛ بصدقة تكفيه همّ عياله، و تغنيه عن التسبّب فى صلاح حاله؛ فقد كان فى الدّولة الناصرية عناية تتيسّر بها الكفاية؛ مع أنّ الدولة، من الدولة الظاهرية كجدول من البحر المحيط، و الخلاصة من الوسيط و البسيط؛ و قد نفع اللّه بهذه الدولة الظاهرية الناصرية خصوصا و عموما، و كشف بها عن الناس أجمعين غموما؛ و لمّ بها من شعث الدين ما لم يكن ملموما، فمن العجائب كون المملوك من مزيد خيراتها و عن يمين عنايتها غائبا محروما؛ مع أنه من ألزم المخلصين للدعاء بدوامها، و أقوم الموالين بمراعاة زمامها؛ لا برحت أنوارها زاهرة، و سيوف أنصارها قاهرة ظاهرة، و أياديها مبذولة موفورة، و أعاديها مخذولة مقهورة، بمحمد و آله!

و كان الشيخ محيى الدين النووىّ يكثر المكاتبات إليه، و يعظه فى أمور المسلمين.

قال الشيخ علاء الدين بن العطار: كتب الشيخ محيى الدين ورقة إلى الظاهر بيبرس، تتضمّن العدل فى الرعيّة، و إزالة المكوس. و كتب فيها معه جماعة، و وضعها فى ورقة كتبها إلى الأمير بدر الدين بيليك الخازندار بإيصال ورقة العلماء إلى السّلطان، و صورتها:

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۰۵

بسم اللّه الرحمن الرحیم. من عبد اللّه یحیی النوویّ، سلام اللّه تعالی و رحمته و برکاته علی المولی المحسن، ملک الأمراء بدر الدین. أدام اللّه الکریم له الخیرات، و تولّاه بالحسنات، و بلّغه من أقصی الآخرة و الأولی کلّ آماله، و بارک له فی جمیع أحواله؛ آمین. و ینهی إلی العلوم الشریفة، أنّ أهل الشام فی هذه السنة فی ضیق عیش و ضعف حال، بسبب قلّة الأمطار و غلاء الأسعار، و قلّة الغلّات و النبات، و هلاک المواشی و غیر ذلک؛ و أنتم تعلمون أنّه تجب الشفقة علی الرعیّة و نصیحته فی مصلحته و مصلحتهم؛ فإنّ الدین النصیحة. و قد کتب خدمة الشرع الناصحون للسلطان المحبوبون له کتابا یذّکره النّظر فی أحوال رعیّته، و الرّفق بهم؛ و لیس فیه ضرر، بل هو نصیحة محضة، و شفقة و ذکری لأولی الألباب. و المسؤول من الأمیر أیّده اللّه تعالی تقدیمه إلی السلطان، أدام اللّه له الخیرات. و یتکلّم عنده من الإشارة بالرّفق بالرعیّة بما یجده مدّخرا له عند اللّه تعالی یَوْمَ تَجِدُ کُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَیْرٍ مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَیْنَها وَ بَیْنَهُ أَمَداً بَعِیداً وَ یُحَذِّرُکُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ [آل عمران: ۳۰].

و هذا الکتاب أرسله العلماء أمانة و نصیحة للسلطان أعزّ اللّه أنصاره، فیجب علیکم إیصاله للسلطان أعزّ اللّه أنصاره، و أنتم مسئولون عن هذه الأمانة، و لا عذر لکم فی التأخّر عنها، و لا حجّة لکم فی التقصیر عنها عند اللّه تعالی و تسألون عنها یوم القیامة، یَوْمَ لا یَنْفَعُ مالٌ وَ لا بَنُونَ [الشعراء: ۸۸]، یَوْمَ یَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِیهِ. وَ أُمِّهِ وَ أَبِیهِ. وَ صاحِبَتِهِ، وَ بَنِیهِ. لِکُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ یَوْمَئِذٍ شَأْنٌ یُغْنِیهِ [عبس: ۳۴- ۳۷].

و أنتم بحمد اللّه تحبّون الخیر و تحرصون علیه، و تسارعون إلیه، و هذا من أهمّ الخیرات و أفضل الطاعات، و قد أهّلتم له، و ساقه اللّه إلیکم، و هو فضل من اللّه و نحن خائفون أن یزداد الأمر شدّة، إن لم یحصل النظر فی الرفق بهم، قال اللّه تعالی: إِنَّ الَّذِینَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّیْطانِ تَذَکَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ [الأعراف: ۲۰۱]، و قال اللّه تعالی: وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَیْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِیمٌ [البقرة: ۲۱۵].

و الجماعة الکاتبون منتظرون ثمرة هذا، فإذا فعلتم هذا فأجرکم علی اللّه إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِینَ اتَّقَوْا وَ الَّذِینَ هُمْ مُحْسِنُونَ [النحل: ۱۲۸]؛ و السلام علیکم و رحمة اللّه و برکاته.

فلما وصلت الورقتان إلیه، أوقف علیهما السلطان، فردّ جوابهما ردّا عنیفا مؤلما، فتکدّرت خواطر الجماعة الکاتبین، فکتب رضی اللّه عنه جوابا لذلک الجواب و هذه صورته:

بسم اللّه الرحمن الرحیم. الحمد للّه ربّ العالمین، و صلّی اللّه علی سیّدنا محمد

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۰۶

و علی آل محمد. من عبد اللّه یحیی النوویّ، ینهی أنّ خدمة الشرع کانوا کتبوا ما بلغ السلطان أعزّ اللّه أنصاره، فجاء الجواب بالإنکار و التوبیخ و التهدید، و فهمنا منه أن الجهاد ذکر فی الجواب علی خلاف حکم الشرع، و قد أوجب اللّه إیضاح الکلام عند الحکّام عند الحاجة إلیه، فقال تعالی: وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِیثاقَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ لَتُبَیِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لا تَکْتُمُونَهُ [آل عمران: ۱۸۷]، فوجب علینا حینئذ بیانه، و حرم علینا السکوت. و قال تعالی: لَیْسَ عَلَی الضُّعَفاءِ وَ لا عَلَی الْمَرْضی وَ لا عَلَی الَّذِینَ لا یَجِدُونَ ما یُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذا نَصَحُوا لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ ما عَلَی الْمُحْسِنِینَ مِنْ سَبِیلٍ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ [التوبة: ۹۰].

و ذکر فی الجواب أنّ الجهاد لیس مختصّا بالأجناد؛ و هذا أمر لم ندعه، و کان الجهاد فرض کفایة، فإذا قرّر السلطان له أجنادا مخصوصین، و لهم أخباز معلومة من بیت المال کما هو الواقع، تفرّغ باقی الرعیة لمصالحهم و مصالح السلطان و الأجناد و غیرهم من الزراعة و الصنائع و غیرهما، ممّا یحتاج النّاس کلّهم إلیه، فجهاد الأجناد مقابل بالأخباز المقرّرة لهم، و لا یحلّ أن یؤخذ من الرعیّة شیء ما دام فی بیت المال شیء من نقد أو متاع أو أرض أو ضیاع تباع أو غیر ذلک؛ و هؤلاء علماء المسلمین فی بلاد السلطان أعزّ اللّه أنصاره، متّفقون علی هذا، و بیت المال بحمد اللّه معمور، زاده اللّه عمارة وسعة و خیرا و برکة فی حیاة السلطان، المقرونة بکمال

السعادة و التوفيق و التسديد، و الظهور على أعداء الدين، و ما النصر إلّا من عند اللّه.

و إنّما يستعان فى الجهاد و غيره بالافتقار إلى اللّه تعالى، و اتّباع آثار النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و ما لزمه أحكام الشّرع. و جميع ما كتبناه أولا و ثانيا، هو النصيحة التى نعتقدها، و ندين اللّه بها، و نسأل اللّه الدّوام عليها حتّى نلقاه. و السلطان يعلم أنّها نصيحة له و للرعيّة، و ليس فيها ما يلام عليه. و لم نكتب هذا للسلطان إلّا لعلمنا أنّه يحبّ الشرع و متابعة أخلاق النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فى الرّفق بالرعيّة، و الشفقة عليهم و إكرامه لآثار النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و كلّ ناصح للسلطان موافق على هذا الذى كتبناه.

و أمّا ما ذكر فى الجواب من كوننا لم ننكر على الكفّار كيف كانوا فى البلاد؛ فكيف يقاس ملوك الإسلام و أهل الإيمان و القرآن بطغاة الكفّار؟! و بأىّ شىء كنّا نذكر طغاة الكفّار و هم لا يعتقدون شيئا من ديننا؟!

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۰۷

و أمّا تهديد الرعيّة بسبب نصيحتنا و تهديد طائفة العلماء؛ فليس هذا المرجوّ من عدل السلطان و حمله؛ و أىّ حيلة لضعفاء المسلمين الناصحين نصيحة للسلطان و لهم، و لا علم لهم به! و كيف يؤاخذون به لو كان فيه ما يلام عليه؟!

و أما أنا فى نفسى فلا يضرّنى التهديد، و لا أكثر منه، و لا يمنعنى ذلك من نصيحة السلطان؛ فإنّى أعتقد أنّ هذا واجب علىّ و على غيرى، و ما ترتّب على الواجب فهو خير و زيادة عند اللّه تعالى، إِنَّما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا مَتاعٌ وَ إِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دارُ الْقَرارِ [غافر: ۳۹]، وَ أُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ [غافر: ۴۴]، و قد أمرنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أن نقول الحقّ حيثما كنّا، و ألّا نخاف فى اللّه لومة لائم. و نحن نحبّ السلطان فى كلّ الأحوال، و ما ينفعه فى آخرته و دنياه، و يكون سببا لدوام الخيرات له، و يبقى ذكره على ممرّ الأيّام، و يخلّد به فى الجنّة، و يجد نفسه يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً [آل عمران: ۳۰].

و أما ما ذكر من تمهيد السلطان البلاد، و إدامته الجهاد، و فتوح الحصون، و قهر الأعداء؛ فهذا بحمد اللّه من الأمور الشائعة التى اشترك فى العلم بها الخاصّة و العامّة، و طارت فى أقطار الأرض، فللّه الحمد، و ثواب ذلك مدّخر للسلطان إلى يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضرا، و لا حجّة لنا عند اللّه تعالى إذا تركنا هذه النصيحة الواجبة علينا، و عليكم السلام و رحمة اللّه و بركاته.

و كتب إلى الملك الظاهر لمّا احتيط على أملاك دمشق:

بسم اللّه الرحمن الرحيم. قال اللّه تعالى: وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ [الذاريات: ۵۵]. و قال اللّه تعالى: وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لا تَكْتُمُونَهُ [آل عمران: ۱۸۷]، و قال تعالى: وَ تَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوى وَ لا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ [المائدة: ۲]. و قد أوجب اللّه على المكلّفين نصيحة السلطان أعزّ اللّه أنصاره و نصيحة عامّة المسلمين، ففى الحديث الصحيح عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أنه قال: «الدّين النّصيحة للّه و كتابه و أئمّة المسلمين و عامّتهم»؛ و من نصيحة السّلطان وفّقه اللّه تعالى لطاعته، و أولاه كرامته، أن ننهى إليه الأحكام إذا جرت على خلاف قواعد الإسلام، و أوجب اللّه تعالى الشفقة على الرعيّة، و الاهتمام بالضعفة و إزالة الضّرر عنهم، قال اللّه تعالى: وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [الشعراء: ۲۱۵]. و فى الحديث الصحيح: «إنما تنصرون و ترزقون بضعفائكم»، و قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «من كشف عن مسلم كربة من كرب الدّنيا كشف اللّه عنه كربة من كرب يوم القيامة، و اللّه فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه».

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۰۸

و قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «من ولى أمر أمّتى شيئا فرفق بهم، فارفق اللّهم به، و من شقّ عليهم، فاشقق اللّهم عليه»، و قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «كلّكم راع و كلّكم مسئول عن رعيّته»، و قال صلّى اللّه عليه و سلّم:

«إنّ المقسطين على منابر من نور عن يمين الرّحمن؛ الذين يعدلون فى حكمهم و أهليهم و ما ولوا».

و قد أنعم اللّه علينا و على سائر المسلمين بالسّلطان أعزّ اللّه أنصاره، فقد أقامه لنصرة الدّين، و الذبّ عن المسلمين، و أذلّ له الأعداء من جميع الطوائف، و فتح عليه الفتوحات المشهورة فى المدّة اليسيرة، و أوقع الرّعب منه فى قلوب أعداء الدّين و سائر الماردين، و

مهّد له البلاد و العباد، و قمع بسيفه أهل الزيغ و الفساد، و أمدّه بالإعانة و اللطف و السداد، فللّه الحمد على هذه النّعم المتظاهرة، و الخيرات المتكاثرة، و نسأل اللّه الكريم دوامها لنا و للمسلمين، و زيادتها فى خير و عافية. آمين. و قد أوجب اللّه شكر نعمه، و وعد الزّيادة للشاكرين، فقال تعالى: لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ [ابراهيم: ۷].

و قد لحق المسلمين بسبب هذه الحوطة على أملاكهم أنواع من الضرر لا يمكن التعبير عنها، و طلب منهم إثبات ما لا يلزمهم، فهذه الحوطة لا تحلّ عند أحد من علماء المسلمين، بل من فى يده شىء فهو ملكه، لا يحلّ الاعتراض عليه، و لا يكلّف بإثبات، و قد اشتهر من سيرة السلطان أنّه يحبّ العمل بالشرع فيوصى نوّابه، فهو أوّل من عمل به، و المسؤول إطلاق الناس من هذه الحوطة، و الإفراج عن جميعهم.

فأطلقهم أطلقك اللّه من كلّ مكروه، فهم ضعفة و فيهم الأيتام و الأرامل و المساكين و الضّعفة و الصالحون، و بهم تنصر و تغاث و ترزق، و همن سكّان الشام المبارك، جبران الأنبياء صلاة اللّه و سلامه عليهم، و سكّان ديارهم، فلهم حرمات من جهات. و لو رأى السلطان ما يلحق النّاس من الشدائد لاشتدّ حزنه عليهم، و أطلقهم فى الحال، و لم يؤخّرهم؛ و لكن لا تنهى إليه الأمور على جهتها.

فباللّه أغث المسلمين يغثك اللّه، و ارفق بهم يرفق اللّه بك، و عجّل لهم الإفراج قبل وقوع الأمطار و تلف غلّاتهم، فإنّ غالبهم ورثوا هذه الأملاك عن أسلافهم، و لا يمكنهم تحصيل كتب شراء و قد نهبت كتبهم. و إذا رفق السلطان بهم حصل له دعاء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لمن رفق بأمّته، و نصره على أعدائه، فقد قال اللّه تعالى: إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ [محمد: ۷]، و يتوفّر له من رعيّته الدعوات، و تظهر فى مملكته البركات، و يبارك له فى جميع ما يقصده من الخيرات، و فى الحديث عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «من سنّ سنّة حسنة، فله أجرها و أجر من عمل بها إلى يوم القيامة، و من سنّ سنة سيّئة، فعليه وزرها و وزر من عمل بها إلى يوم القيامة». و نسأل اللّه الكريم، أن يوفّق

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۰۹

السلطان للسّنن الحسنة الّتى يذكر بها إلى يوم القيامة، و يحميه من السّنن السيّئة.

فهذه نصيحتنا الواجبة علينا للسلطان، و نرجو من فضل اللّه تعالى أن يلهمه فيها القبول. و السلام عليكم و رحمة اللّه و بركاته.

و كتب إليه لمّا رسم بأنّ الفقيه لا يكون منزلا فى أكثر من مدرسة واحدة:

بسم اللّه الرحمن الرحيم. خدمة الشرع ينهون أنّ اللّه تعالى أمر بالتعاون على البرّ و التقوى، و نصيحة ولاة الأمور و عامة العلماء، و أخذ على العلماء العهد، و تبليغ أحكام الدّين و مناصحة المسلمين، و حثّ على تعظيم حرماته، و إعظام شعائر الدّين، و إكرام العلماء و أتباعهم. و قد بلغ الفقهاء أنّه رسم فى حقّهم بأن يغيّروا عن وظائفهم، و يقطعوا عن بعض مدارسهم، فتنكّدت بذلك أحوالهم، و تضرّروا بهذا التضييق عليهم، و هم محتاجون، و لهم عيال، و فيهم الصّالحون و المشتغلون بالعلوم، و إن كان فيهم طائفة لا يلحقون مراتب غيرهم؛ فهم منتسبون إلى العلم و يشاركون فيه. و لا يخفى مراتب أهل العلم و ثناء اللّه تعالى عليهم و بيانه مزيّتهم على غيرهم، و أنّهم ورثة الأنبياء صلوات اللّه عليهم؛ فإنّ الملائكة عليهم السلام تضع أجنحتها لهم، و يستغفر لهم كلّ شىء حتّى الحوت فى الماء.

و اللائق بالجناب العالى إكرام هذه الطائفة و الإحسان إليهم و معاضدتهم، و رفع المكروهات عنهم، و النظر بما فيه من الرّفق بهم، فقد ثبت فى صحيح مسلم عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، أنّه قال: «اللّهم من ولى من أمور أمّتى شيئا فرفق بهم فارفق به». و روى أبو عيسى التّرمذىّ بإسناده عن أبى سعيد الخدرىّ رضى اللّه عنه، أنّه كان يقول لطلبة العلم: مرحبا بوصيّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «إنّ رجالا يأتونكم يتفقّهون، فاستوصوا بهم خيرا».

و المسؤول ألّا يغيّر على هذه الطائفة شىء، و تستجاب دعوتهم لهذه الدولة القاهرة، و قد ثبت فى صحيح البخارى أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «هل تنصرون و ترزقون إلا بضعفائكم؟!». و قد أحاطت العلوم بما أجاب به الوزير نظام الملك حين أنكر عليه السلطان صرفه الأموال الكثيرة فى جهة طلب العلم، فقال: أقمت لك جندا لا تردّ سهامهم بالأسحار؛ فاستصوب فعله، و ساعده عليه. و

اللّه الكريم يوفّق الجناب دائما لمرضاته، و المسارعة إلى طاعته و الحمد للّه رب العالمين، و صلى اللّه على سيّدنا محمد و على آله و صحبه و سلم.

و قال بعضهم: لمّا خرج السلطان الظاهر بيبرس إلى قتال التّتار بالشام، أخذ

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۱۰

فتاوى العلماء بأنه يجوز له أخذ مال من الرعيّة ليستنصر به على قتال العدوّ، فكتب له فقهاء الشام بذلك، فقال: هل بقى أحد؟ فقيل: نعم، بقى الشيخ محيى الدين النووىّ، فطلبه فحضر، فقال: اكتب خطّك مع الفقهاء، فامتنع، فقال: ما سبب امتناعك؟ فقال:

أنا أعرف أنّك كنت فى الرّقّ للأمير بندقدار و ليس لك مال. ثم منّ اللّه عليك، و جعلك ملكا. و سمعت أنّ عندك ألف مملوك، كلّ مملوك له حياصة من ذهب، و عندك مائتا جارية، لكلّ جارية حقّ من الحلىّ، فإذا أنفقت ذلك كلّه، و بقيت مماليكك بالبنود الصوف بدلا عن الحوائص، و بقيت الجوارى بثيابهنّ دون الحلىّ، أفتيتك بأخذ المال من الرعية. فغضب الظاهر من كلامه، و قال: اخرج من بلدى- يعنى دمشق- فقال: السمع و الطاعة! و خرج إلى نوى، فقال الفقهاء: إنّ هذا من كبار علمائنا و صلحائنا، و ممّن يقتدى به، فأعده إلى دمشق، فرسم برجوعه. فامتنع الشيخ، و قال:

لا أدخلها و الظاهر بها. فمات الظاهر بعد شهر .

قال الذهبىّ: كان الظاهر خليقا بالملك، لولا ما كان فيه من الظلم. قال: و اللّه يرحمه و يغفر له؛ فإنّ له أيّاما بيضاء فى الإسلام، و مواقف مشهودة و فتوحات معدودة.

و استمرّ الملك الظاهر إلى أن مات يوم الخميس سابع عشرى المحرّم سنة ستّ و سبعين و ستّمائة بدمشق.

*** و قام بعده فى الملك ولده الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالى محمد، و سنّه ثمانى عشرة سنة، و كان أبوه عقد له فى حياته، و لقّبه هذا اللقب، و استنابه على مصر أيّام سفره، فاستقلّ بالسلطنة من يوم موته، و استمرّ إلى سنة ثمان و سبعين، فاختلف عليه الأمراء و قاتلوه، فخلع نفسه من السّلطنة، و أشهد على نفسه بذلك، و ذلك فى يوم سابع عشر ربيع الآخر .

و أقيم مقامة أخوه بدر الدين سلامش؛ و لقّب الملك العادل، و عمره سبع سنين، و جعل أتابكه الأمير سيف الدين قلاوون الصالحىّ الألفىّ- سمّى بذلك لأنه اشترى بألف

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۱۱

دينار- و ضربت السّكّة باسمه على وجه، و باسم أتابكه على وجه. و دعى لهما معا فى الخطبة، فأقام إلى يوم الثلاثاء حادى عشر رجب من هذه السنة، فاجتمع الأمراء بالقلعة، و خلعوا العادل . قال صاحب السّكردان: و هو السادس من دولة الأتراك؛ فإنّ أوّلهم المعزّ أيبك، و كلّ سادس من الخلفاء و الملوك لا بدّ أنه يخلع. و أقاموا بعده قلاوون الصالحى ، ففوّض إليه الخليفة، و لقّب الملك المنصور، و كتب له تقليد هذه صورته، من إنشاء القاضى محيى الدين عبد الظاهر:

الحمد للّه الذى جعل آية السّيف ناسخة لكثير من الآيات، و ناسخة لعقود أولى الشّكّ و الشّبهات، الذى رفع بعض الخلق على بعض درجات، و أهلّ لأمور البلاد و العباد من جاءت خوارق تملّكه بالّذى إن لم يكن من المعجزات فمن الكرامات.

ثمّ الحمد للّه الذى جعل الخلافة العباسيّة بعد القطوب حسنة الابتسام، و بعد الشّجوب جميلة الاتّسام، و بعد التشريد لها دار سلام أعظم من دار السلام. و الحمد للّه على أن أشهدها مصارع أعدائها، و أحمد لها عواقب نصرتها و إبدائها، و ردّ شبيبتها بعد أن ظنّ كلّ أحد أن شعارها الأسود ما بقى منه إلا ما أصابته العيون فى جفونها و القلوب فى سويدائها.

و نشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، شهادة يتلذّذ بذكرها اللسان، و تتعطّر بنفحاتها الأفواه و الآذان، و تتلقّاها ملائكة القبول فترفعها إلى أعلى مكان.

و نشهد أنّ محمدا عبده و رسوله الذى أكرمنا به و شرّف لنا الأنساب، و أعزّنا به حتّى نزل فينا محكم الكتاب؛ صلى اللّه عليه و آله

الـذين انجـاب الـدّين منهم عن أنجـاب، و رضـى اللّه عن صـحابته الـذين هم أعزّ صـحاب؛ صـلاة توفى قائلهـا أجره بغير حسـاب يوم الحساب.

و بعـد حمد اللّه على أن أحمد عواقب الأمور، و أظهر الإسـلام سـلطانا اشـتدّت به من الأمة الظهور، و شـفيت الصدور، و أقام الخلافة العباسـية فى هـذا الزمن المنصور، كما أقامها فيما مضـى بالمنصور، و اختار لإعلان دعوتها من يحيى معالمها بعد العفاء و رسومها بعد الـدثور، و جمع لهـا الآن ما كان جمـح عليها فيما قبل من خلاف كلّ ناجم، و منحها ما كانت تبشّـرها به الملاحم، و أنفـذ كلمتها فى ممالك الدولة العلويّة

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۱۲

بخير سـيف مشـحوذ ماضـى العزائم، و مازج بين طاعتهما فى القلوب و ذكرهما فى اللسان؛ و كيف لا و المنصور هو الحاكم. و أخرج لحياطـة الأمّـة المحمّديـة ملكا تنقسم البركات من يمينه، و تقسم السـعادات بنور جبينه، و يقهر الأعداء بفتكاته، و تمهر عقائل العقائل بصـفر راياته؛ ذى السّـعد الّذى ما زال سـعده يشفّ حتّى ظهر، و مفخره يرفّ إلى أن بهر، و جوهره ينتقل من جيد إلى جيد حتّى يملأ الجبين، و سرّه يكمن فى كلّ قلب حتّى علم العلم اليقين.

و الحمـد للّه الّـذى جعل بنا تمكينه فى الأرض بعـد حين، فاختاره اللّه على علم، و اصـطفاه من بين عباده بما جبله اللّه عليه من كرم و شجاعة و حلم، و أتى اللّه به الأمّة المحمّدية فى وقت الاحتياج غوثا، و فى إبّان الاسـتمطار غيثا، و فى حين عبث الأشـبال فى غير وقت الافتراش ليثـا، فوجب على كلّ من له فى أعناق الأمّـة المحمديّـة بيعـة الرضوان، و عنـد إيمانهم مصافحـة الأيمان، و من حيث وجبت البيعـة باسـتحقاقه لميراث منصب النبوّة، و من تصـحّ به كـلّ رسـمية شـرعية يؤخـذ كتابها قوّة، و من هو خليفـة الزمان و العصـر، و من بـدعواته تنزل عليكم معاشـر كماة المسـلمين ملائكـة النصـر، و من نسـبه بنسب نبيّكم صـلى اللّه عليه و سـلم منتسج، و حسـبه بحسـبه ممـتزج- أن يفوّض له مـا فوّض اللّه إليه من أمر الخلق، ليقوم عنه بفرض الجهـاد و العمـل بـالحقّ، و أن يولّيه ولايـة شـرعيّة تصـحّ بها الأحكـام، و تنضـبط أمور الإسـلام، و تأتى هـذه العصـبة الإسـلامية يوم تأتى كلّ أمّـة بإمامها من طاعـة خليفتها بخير إمام. و خرج أمر مولانا أمير المؤمنين شـرّفه اللّه أن يكون المقرّ العالى المولوىّ السـلطانىّ الملكىّ المنصورىّ أجلّه اللّه و نصره، و أظفره و أقدره و أيّده و أبّـده، كلّمـا فـوّضه مولانـا أمير المـؤمنين مـن حكم فى الوجـود، و فى التّهـائم و النجـود، و فى الجيـوش و الجنـود، و فى الخزائن و المـدائن، و فى الظّواهر و البواطن، و فيمـا فتحه اللّه تعـالى و فيما سـيفتحه، و فيما فسـد بالكفر و الرّجا من اللّه أن سيصـلحه، و فى كلّ جود و منّ و كـلّ عطاء، و فى كلّ تعاهـد و نبـذ، و فى كلّ عطاء و أخـذ، و فى كلّ عزل و توليـة، و فى كلّ تسـليم و تخليـة و فى كلّ إرفـاق و إنفـاق، و فى كـلّ إنعـام و إطلاـق، و فى كـلّ استرقـاق و إعتاق، و فى كلّ تقليل و تكثير، و فى كلّ تأثيل و تأثير، و فى كلّ تقليـد و تفويض، و فى كلّ تجديـد و تعويض، و فى كلّ حمد و تقريض ، ولاية تامّة محكمة، منضّدة منظّمة، لا يعقبهما نسخ من بين يديها و لا من خلفها، و لا يعتريها فسخ يطرأ عليها،

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۱۳

يزيدها مرّ الليالى جدّة يعقبها حسن شـباب، و لا ينتهى عن الأعوام و الأحقاب، و نعم تنتهى إلى ما نصبه اللّه تعالى للإرشاد، و من سنّة و كتاب؛ و ذلك من شرع اللّه، أقامه للهداية علما، و جعله إلى اختيار الثواب سلّما.

فالواجب أن يعمل بجزئيّات أمره و كلّياته، و ألّا يخرج أحد عن مقدّماته.

و العدل، فهو الغرس المثمر، و السـحاب الممطر، و الروض المزهر، و به تنزل البركات، و تخلف الهبات، و تربو الصدقات، و به عمارة الأرض، و به تؤدّى السنّة و الفرض؛ فمن زرع العدل اجتنى الخير، و من أحسن كفى الضّرر و الضّير.

و الظلم، فعاقبته و خيمة، و ما يطول عمر الملك إلا بالمعدلة الرحيمة.

و الرعيّة، هم الوديعة عند أولى الأمر، فلا يختصّ منهم زيد دون عمر.

و الأخوال، فهى ذخائر العاقبة و المآل، فالواجب أن تؤخذ بحقّها، و تنفق فى مستحقّها.

و الجهاد برّا بحرا، فمن كنانة اللّه أن يفوّق سهامه، و تؤرّخ أيّامه، و ينتضى حسامه، و تجرى منشآته فى البحر كالأعلام و تنشر أعلامه، و فى عقر دار الحرب يحطّ ركابه، و يخطّ كتابه، و ترسل أرسانه، و تجوس خلالها فرسانه، فيلزم منه دنيا ديدنا ، و يستصحب منه فعلا حسنا.

و جيوش الإسلام و كماته، و أمراؤه و حماته، فمنهم من قد علمت قدم هجرته، و عظم نصرته، و شدة بأسه، و قوّة مراسه. و ما منهم إلا من شهد الفتوحات و الحروب، و أحسن فى المحاماة عن الدين الدؤوب، و هم بقايا الدّول، و سجايا الملوك الأول، و لا سيّما أولى السعى الناجح، و الرأى الراجح، و من له نسبة صالحيّة؛ فإذا فخروا بها قيل لهم: نعم السلف الصالح! فأوسعهم برّا، و كن بهم برّا، فهم ممّا يجب من خدمتك أعلم، و أنت بما يجب من حقّهم أدرى.

و الحصون و الثغور، فهى ذخائر الشدة، و خزائن العديد و العدّة، و مقاعد القتال، و كنائن الرّجا و الرجال؛ فأحسن لها التحصين، و فوّض أمرها إلى كلّ قوىّ أمين، و إلى كل ذى دين متين، و إلى كلّ ذى عقل رصين.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۱۴

و نوّاب الممالك و نوّاب الأمصار، فأحسن لهم الاختيار، و أجمل لهم الاختبار، و تفقّد لهم الأخبار.

و أمّا ما سوى ذلك فهو داخل فى حدود هذه الوصايا، و لو لا أنّ اللّه تعالى أمر بالتذكير لكان ذلك سجايا المقرّ الأشرف السلطانىّ الملكىّ المنصور مكتفية بأنواره المضيئة الساطعة.

و زمام كلّ صلاح يجب أن يشغل به جميع أوقاته، و هو تقوى اللّه تعالى، قال اللّه تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ [آل عمران: ۱۰۲]، فليكن ذلك نصب العين، و شغل القلب و الشفتين.

و أعداء الدّين من أرمن و تتار، فأذقهم وبال أمرهم فى كلّ إيراد و إصدار، و خذ للخلفاء العباسيين و لجميع المسلمين منهم الثار. و اعلم أنّ اللّه ينصرك على ظلمهم و ما للظالمين من أنصار.

و أمّا غيرهم من مجاوريهم من المسلمين، فأحسن لهم باستنقاذك من العلاج، و طبّهم باستصلاحك، فبالطّبّ المنصورىّ و الملكى ما زال يصلح المزاج، و اللّه الموفّق بمنّه و كرمه إن شاء اللّه تعالى.

و استمرّ قلاوون فى السلطنة، فكان له مشاهد حسنة، و فتوحات، فمنها طرابلس و قد كانت فى أيدى الفرنج من سنة ثلاث و خمسمائة و إلى الآن. و هو الذى أحدث وظيفة كتابة السرّ، و أحدث اللعب بالرّمح أيّام إدارة المحمل و كسوة الكعبة، و غير ملابس الدولة عمّا كانوا عليه فى دولة بنى أيّوب.

قال الصلاح الصفدى: كان الجند يلبسون فيما تقدّم كلّوتات صفر مضرّبة بكلبندات بغير شاشات، و شعورهم مضفورة دبابيق فى أكياس حرير ملوّنة، و فى خواصرهم موضع الحوائص بنود ملوّنة، و أكمام أقبيتهم ضيّقة و أخفافهم برغالى،

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۱۵

و من فوق قماشهم بحلق و إبزيم و جلواز كبير، يسع نصف و يبة أو كثر؛ فأبطل المنصور ذلك كلّه بأحسن منه؛ و أقام فى السّلطنة إلى أن توفّى يوم السبت سادس ذى القعدة سنة تسع و ثمانين .

*** و أقيم بعده ولده الملك الأشرف صلاح الدين خليل، فلمّا كان يوم الجمعة رابع عشر شوّال سنة تسعين، سأل الأشرف الخليفة الحاكم بأمر اللّه، أن يخطب بنفسه النّاس، و أن يذكر فى خطبته أنّه قد ولّى السلطنة الأشرف خليل بن المنصور. فلبس الخليفة خلعة سوداء، و خطب الناس بجامع القلعة ، و رسم لقاضى القضاة بدر الدين ابن جماعة من ثمّ أن يخطب بالقلعة عند السلطان، فخطب يوم الجمعة التى خطب فيها الخليفة، و استمرّ يخطب و يستنيب فى الجامع الأزهر. ثمّ أمر الأشرف بقراءة ختمة عند قبر الملك المنصور فى ليلة الاثنين رابع ذى القعدة، فحضرها القضاة و الأمراء و الأعيان، و نزل السلطان و معه الخليفة إليهم وقت السّحر، و خطب الخليفة بعد

الختمة خطبة بليغة، حرض الناس فيها على غزو بلاد العراق، و استنقاذها من أيدى التتار، و استمر الأشرف فى السلطنة إلى أن قتل بتروجة فى ثالث المحرم سنة ثلاث و تسعين، و نقل فدفن فى مدرسته التى أنشأها بالقرب من السيدة نفيسة، و قال ابن حبيب يرثيه:

تبّا لأقوام لمالك رقّهمقتلوا و ما رقّوا لحالة مترف

وافوه غدرا ثمّ صالوا جملةبالمشرفيّ على المليك الأشرف

و أقيم أخوه ناصر الدين أبو الفتوح محمد، و لقّب الملك الناصر، و عمره يومئذ تسع سنين ، و استمرّ إلى حادى عشر المحرّم سنة أربع و تسعين، فخلع.

و تسلطن زين الدين كتبغا المنصورى من سبى التّتار و لقّب الملك العادل، فأقام

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۱۶

إلى صفر سنة ستّ و تسعين، فخلع و تسلطن حسام الدّين لاجين المنصوريّ، و شقّ القاهرة، و عليه الخلعة الخليفيّة، و الأمراء بين يديه مشاة، و جاء فى تلك السنة غيث عظيم، بعد ما كان تأخّر فقال الوادعى فى ذلك:

يا أيّها العالم بشراكم‌بدولة المنصور ربّ الفخار

فاللّه قد بارك فيها لكم‌فأمطر اللّيل و أضحى النّهار

إلى أن قتل ليلة الجمعة حادى عشر ربيع الآخر سنة ثمان و تسعين، و أعيد الملك الناصر محمد بن قلاوون، و كان منفيّا بالكرك، فأحضر، و قلّده الخليفة يوم السبت رابع جمادى الأولى، و شقّ القاهرة و عليه خلعة الخليفة، و الجيش مشاة بين يديه، فأقام إلى سنة ثمان و سبعمائة، فخرج فى رمضان قاصدا للحجّ، فاجتاز بالكرك، فأقام بها، ثمّ كتب كتابا إلى الدّيار المصرية، يتضمّن عزل نفسه عن المملكة، فأثبت ذلك على القضاة بمصر، ثمّ نفّذ على قضاة الشام.

و أقيم فى السلطنة الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوريّ، و ذلك يوم السبت الثالث و العشرين من شوّال ، و لقّب الملك المظفّر، و قلّده الخليفة، و ألبسه الخلعة السوداء و العمامة المدوّرة، و ركب بذلك و شقّ القاهرة، و الدّولة بين يديه و الصاحب ضياء الدين النّشائيّ حامل التقليد من جهة الخليفة فى كيس أطلس أسود و أوّله: إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ [النمل: ۳۰]. ثم نفذ التقليد إلى الشام، فقرىء هناك، ثم عاد الملك الناصر من الكرك طالبا عوده إلى ملكه، و بايعه على ذلك جماعة من الأمراء، فبلغ ذلك المظفّر بيبرس، فاستدعى بالشيخ زين الدين بن المرحّل و بالشيخ شمس الدين بن عدلان، و استشارهما، فأشارا عليه بتجديد العهد من الخليفة و تخليف الأمراء ففعل ذلك، و كتب له عهد من الخليفة، صورته:

إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، من عبد اللّه و خليفة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أبى الرّبيع سليمان العباسيّ لأمراء المسلمين و جيوشها، يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ [النساء: ۵۹]. و إنّى رضيت لكم بعبد اللّه تعالى الملك المظفّر ركن الدّين بيبرس نائبا عنّى لملك الديار المصرية و البلاد الشاميّة، و أقمته مقام نفسى لدينه و كفايته و أهليّته، و رضيته للمؤمنين، و عزلت من كان قبله، بعد علمى بنزوله عن الملك، و رأيت ذلك متعيّنا علىّ، و حكمت بذلك الحكّام الأربع. و اعلموا

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۱۷

رحمكم اللّه أنّ الملك عقيم ليس بالوراثة لأحد خالف عن سالف، و لا كابر عن كابر، و قد استخرت اللّه تعالى و ولّيت عليكم الملك المظفّر، فمن أطاعه فقد أطاعنى، و من عصاه فقد عصانى، و من عصانى فقد عصى أبا القاسم ابن عمّى صلى اللّه عليه و سلم. و بلغنى أنّ الملك الناصر ابن السلطان الملك المنصور شقّ العصا على المسلمين، و فرّق كلمتهم، و أطمع عدوّهم فيهم، و عرّض البلاد الشامية و المصريّة إلى سبى الحريم و الأولاد، و سفك الدماء، فتلك دماء قد صانها اللّه تعالى من ذلك، و أنا خارج إليه و محاربه إن استمرّ على ذلك، و أدافع عن حريم المسلمين و أنفسهم و أولادهم بهؤلاء الأمراء و الجيش العظيم، و أقاتله حتّى يفىء

إلى أمر اللّه. و قد أوجبت عليكم يا معاشر المسلمين كافة الخروج تحت لوائى، اللواء الشريف، فقد أجمعت الحكام على وجوب دفعه و قتاله إن استمرّ على ذلك، و أنا أستصحب معى الملك المظفّر، فجهزوا أرواحكم. و السلام.

و قرىء هذا العهد على منابر الجوامع بالقاهرة، و أمّا النّاصر فإنه سار من الكرك بمن معه فى أوّل شعبان سنة ثمان و سبعمائة، فأتى دمشق فانتظم أمره، ثمّ توجّه إلى مصر، فلمّا بلغ ذلك المظفّر بيبرس، أخذ جميع ما فى الخزائن من الأموال، و توجّه إلى جهة أسوان، فدخل النّاصر إلى مصر يوم عيد الفطر، و صعد القلعة و جلس على سرير الملك، و حلفت له العساكر، ثمّ وجّه إلى المظفّر من أحضره و اعتقله، ثمّ خنقه فى خامس عشر شوال.

و قال العلاء الوداعى فى عود الناصر إلى ملكه:

الملك الناصر قد أقبلتدولته مشرقة الشّمس

عاد إلى كرسيّه مثل ماعاد سليمان إلى الكرسى

و قال الصلاح الصفدىّ:

تثنّى عطف مصر حين وافىقدوم النّاصر الملك الخبير

فذلّ الجشنكير بلا لقاءو أمسى و هو ذو جأش نكير

إذا لم تعضد الأقدار شخصافأوّل ما يراع من النّصير

و شرع يعاتب الناس فى أمره، فقال للخليفة: هل أنا خارجىّ و بيبرس من سلالة بنى العباس؟!

و قال للقاضى علاء الدين بن عبد الظاهر- و كان هو الذى كتب عهد المظفّر عن الخليفة-: يا أسود الوجه؛ و قال للقاضى بدر الدين بن جماعة: كيف تفتى المسلمين بقتالى؟! فقال: معاذ اللّه، أن تكون الفتوى كذلك! و إنّما الفتوى على مقتضى كلام

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۱۸

المستفتى. ثمّ عزله عن القضاء، و عزل القاضيين: شمس الدين السّروجىّ الحنفىّ و الحنبلىّ، و أبقى المالكىّ، لكونه كان وصيّا عليه من جهة أبيه قلاوون.

و قال الشيخ صدر الدين بن المرحّل : كيف تقول فى قصيدتك:

ما للصّبىّ و ما للملك يكفلهشأن الصبىّ بغير الملك مألوف؟!

فحلف ابن المرحّل ما قال هذا، و إنّما الأعداء زادوا هذا البيت فى القصيدة، و العفو من شيم الملوك؛ فعفا عنه.

و جاء الشيخ شمس الدين بن عدلان يستأذن، فقال الناصر للدوادار: قل له:

أنت أفتيت أنّه خارجىّ، و قتاله جائز، مالك عندى دخول! و لكن عرّفه أنّه و ابن المرحّل يكفيهما ما قال الشارمساحىّ فى حقّهما، و كان الأديب شهاب الدين أحمد بن عبد الدائم الشارمساحىّ الماجن قال:

ولّى المظفّر لمّا فاته الظّفرو ناصر الحقّ وافى و هو منتصر

و قد طوى اللّه من بين الورى فتناكادت على عصبة الإسلام تنتشر

فقل لبيبرس إنّ الدهر ألبسهأثواب عارية فى طولها قصر

لمّا تولّى تولّى الخير عن أممّلم يحمدوا أمره فيها و لا شكروا

و كيف تمشى به الأحوال فى زمنلا النيل أوفى، و لا وافاهم مطر

و من يقوم ابن عدلان بنصرتهو ابن المرحّل قل لى: كيف ينتصر؟!

و كان النيل لم يوفّ سنة تولّى المظفر، و ارتفع السعر.

قلت: الكلّ مظلومون مع النّاصر، فإنهم أفتوا بالحقّ، و لكن جبروت و ظلم و عسف، و شوكة و صبا و جهل، فمن يخاطب الإنسان!

و استمرّ الناصر فى السلطنة بلا منازع، فحجّ خفيفا فى سنة اثنتى عشرة من طريق الكرك، و عاد إلى دمشق، ثمّ حجّ من القاهرة سنة تسع عشرة و معه قاضى القضاة البدر

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۱۹

ابن جماعة، و الأمراء و غالب أرباب الدولة، و كان خروجه فى سادس ذى القعدة، و أبطل فى هذه السنة مكوس الحرمين، و عوّض أميرى مكّة و المدينة عنها إقطاعات بمصر و الشام، و مهّد ما كان فى عقبة إيلياء من الصخور، و وسّع طريقها.

و اتّفق فى هذه السنة أنّ كريم الدين ناظر الخاصّ حضر إلباس الكعبة الكسوة، فصعد الكعبة، و جلس على العتبة يشرف على الخيّاطين، فأنكر الناس استعلاءه على الطائفين، فسقط لوقته على رأسه، و صرخ الناس صرخة عظيمة تعجّبا من ظهور قدرة اللّه، و انقطع ظهره، و لولا تداركه من تحته لهلك؛ و علم بذنبه، فتصدّق بمال جزيل.

ثمّ حجّ الناصر حجّة ثالثة فى سنة اثنتين و ثلاثين، و هو الذى حفر الخليج الناصرىّ الداخلى من قنطرة قديدّار و عزم على أن يجرى النيل تحت القلعة، و يشقّ له من ناحية حلوان، فثبّطه عن ذلك فخر الدين ناظر الجيش، و قال إنه يحتاج إلى ثلاث خزائن من المال، و لا يدرى: هل يصح أو لا! فرجع عنه.

و استمرّ الناصر إلى أن مات يوم الأربعاء عاشر ذى الحجّة سنة إحدى و أربعين، و هو أطول ملوك الترك مدّة.

و أقيم بعده ولده سيف الدين أبو بكر، و لقّب الملك المنصور، فأقام دون الشهرين، ثمّ خلع فى يوم الأحد العشرين من صفر سنة اثنتين و أربعين، و نفى هو و إخوته إلى قوص، و تهتّكت حريم أبيه الناصر، و كثر البكاء و العويل بالقاهرة. و كان يوما من أشنع الأيّام، ثمّ قتل بقوص، و أقيم بعده أخوه علاء الدين كجك و لقّب الملك الأشرف، و عمره دون ستّ سنين، فقال بعض الشعراء فى ذلك:

سلطاننا اليوم طفل و الأكابر فىخلف و بينهم الشّيطان قد نزغا

فكيف يطمع من تغشاه مظلمةأن يبلغ السؤل و السلطان ما بلغا

فأقام خمسة أشهر، ثمّ خلع فى أوّل شعبان، و اعتقل بالقلعة إلى أن مات سنة ستّ و أربعين. قال صاحب السكردان: و اللّه أعلم كيف موته.

و أقيم أخوه شهاب الدين أحمد و لقّب الملك الناصر، و كان قدم من الكرك، و كان الذى عقد المبايعة بينه و بين الخليفة الشيخ تقى الدين السبكىّ، و قد حضر من الشام إلى مصر، قال فى السّكردان:

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۲۰

فأقام فى الملك بمصر أربعين يوما، ثمّ رجع إلى الكرك، و لم يزل هناك حتى خلع يوم الخميس ثانى عشر المحرم سنة ثلاث و أربعين، ثمّ قتل فى أوّل سنة خمس و أربعين، و أقيم بعده أخوه عماد الدين إسماعيل و لقّب الملك الصالح، فأقام إلى أن مات فى رابع ربيع الآخر سنة ستّ و أربعين و عمره نحو عشرين سنة.

و قال الصلاح الصفدى يرثيه:

مضى الصالح المرجوّ للباس و النّدىو من لم يزل يلقى المنى بالمنائح

فيا ملك مصر كيف حالك بعدهإذا نحن أثنينا عليك بصالح

و أقيم بعده أخوه زين الدين شعبان ، و لقب الملك الكامل. و قال الجمال بن نباته فى ذلك:

طلعة سلطاننا تبدّتبكامل السّعد فى الطلوع

فأعجب لها منه كيف أبدتهلال شعبان فى ربيع

و قال أيضا:

شعبان سلطاننا المرجّی‌مبارک الطّالع البدیع

یا بهجة البدر إذ تبدّی‌هلال شعبان فی ربیع

فأقام سنة و أیاما، ثمّ خلع فی جمادی الأولی سنة سبع و أربعین، و سجن و قتل. و کان من شرار الملوک ظلما و عسفا و فسقا، فقال فیه الصلاح الصفدیّ:

بیت قلاوون سعاداتهفی عاجل کانت و فی آجل

حلّ علی أملاکه للرّدی‌دین قد استوفاه بالکامل

و أقیم بعده أخوه زین الدین حاجی، و لقّب الملک المظفّر؛ فأقام سنة و ثلاثة أشهر، ثمّ خلع فی یوم الأحد ثانی عشر رمضان سنة ثمان و أربعین و ذبح من ساعته، و قال فیه الصلاح الصفدیّ:

أیّها العاقل اللبیب تفکّرفی المملیک المظفّر الضّرغام

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۲۱ کما تمادی فی البغی و الغیّ حتّی‌کان بعث الحمام حدّ الحمام

و قال أیضا:

حان الردی للمظفّرو فی التراب تعفّر

کم قد أباد أمیراعلی المعالی توفّر

و قاتل النفس ظلماذنوبه ما تکفّر

و أقیم بعده أخوه ناصر الدین أبو المحاسن حسن؛ و لقّب الملک الناصر، و عمره یومئذ إحدی عشرة سنة؛ فأقام إلی أن خلع فی جمادی الآخرة سنة اثنتین و خمسین، و سجن بالقلعة، و أقیم بعده أخوه صالح، و لقب الملک الناصح ، و جعل شیخو أتابکه، فأقام إلی أن خلع فی شوّال سنة خمس و خمسین، و حبس بالقلعة، و أعید الناصر حسن، فأقام إلی أن قتل لیلة الأربعاء تاسع جمادی الأولی سنة اثنتین و ستّین، و أقیم بعده ابن أخیه ناصر الدین أبو المعالی محمد بن المظفر حاجی، و لقّب الملک المنصور، فأقام إلی أن خلع فی شعبان سنة أربع و ستّین و سجن بالقلعة إلی أن مات سنة إحدی و ثمانین، و أقیم بعده ابن عمّة أبو المفاخر شعبان بن الأمیر حسین بن الملک الناصر محمد بن قلاوون، و لقّب الملک الأشرف و عمره یومئذ عشر سنین و استقرّ أتابکه یلبغا العمریّ. ثمّ إنّ یلبغا قتل بأیدی ممالیکه فی سنة ثمان و ستّین، و کان ساکنا بالکبش، فقال فیه بعض الشعراء:

بدا شقا یلبغا و عدّت‌عداه فی سفنه إلیه

و الکبش لم یفده و أضحت‌تنوح غربانه علیه

و أقیم أسندمر الناصر أتابکا، فاتفقت معه ممالیک یلبغا، فرکبوا علی الأشرف فهزموا، و نصر الأشرف، و قال بعض الشعراء فی ذلک:

هلال شعبان جهرا لاح فی صفربالنّصر حتّی أری عیدا بشعبان

و أهل کبش کأهل الفیل قد أخذوارغما و ما انتطحت فی الکبش شاتان

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۲۲

ثمّ أقیم الجائی الیوسفیّ أتابکا و هو زوج أمّ الأشرف، فاتفق موت أمّ الأشرف، فقال شهاب الدین السعدیّ متفائلا بالجائی:

فی مستهلّ العشر من ذی حجّةکانت صبیحة موت أمّ الأشرف

فاللّه یرحمها و یعظم أجرهو یکون فی عاشور موت الیوسفی

فاتّفق أن وقع الأمر کذلک، رکب الجائی علی الأشرف فی سابع المحرّم، فکسر، و طلب یوم الثامن، فساق حتّی أرمی نفسه فی البحر، فغرق، ثم أخرجه الغوّاصون و دفن فی تاسع المحرّم.

ثمّ إن الأشراف تأهّب للحجّ، و سافر فی شوّال سنة ثمان و سبعین، و صحبه الخلیفة و القضاة و الأمراء، فلمّا وصل إلی العقبة، رکب

علیه من معه من الأمراء و الجند، فانکسر السلطان، و رجع هاربا إلی مصر، فاختفی بها.

قال الحافظ ابن حجر: أخبر الشیخ بدر الدین السلسولیّ أحد علماء المالکیّة و صلحائهم، أنّه رأی النبیّ صلی اللّه علیه و سلم لمّا تجهز الأشرف للحجّ، و عمر یقول له: شعبان بن حسین یرید أن یجیء إلینا، فقال: لا ما یأتینا أبدا! فلم یلبث الأشرف أن رجع من العقبة.

قال ابن حجر: و عرض طشتمر علی الخلیفة أن یتسلطن، فامتنع و قال: بل اختاروا من شئتم، و أنا أولّیه، و رجع هو و القضاة إلی مصر. ثمّ إنهم ظفروا بالأشرف، فخنقوه و أقیم بعده ولده علاء الدین علیّ و هو صبیّ ، و لقّب الملک المنصور، فأقام إلی أن مات فی صفر سنة ثلاث و ثمانین، و عمره یوم مات اثنتا عشرة سنة. و کان التدبیر فی أیّامه لأینبک البدریّ، ثمّ لقرطای، ثمّ لبرقوق.

و أقیم بعده أخوه صلاح الدین حاجی بن الأشرف شعبان، و لقّب الملک الصالح، و سنّه حینئذ تسع سنین، ثمّ خلع فی رمضان سنة أربع و ثمانین، و أقیم فی السلطنة سیف الدین أبو سعید برقوق بن أنص؛ و لقّب الملک الظاهر؛ و هو أوّل السلاطین من الجراکسة، و لیس فیهم من تسلطن و أبوه مسلم غیره؛ فإنّ أباه قدم إلی الدیار المصریّة، فأسلم و مات قبل سلطنة ولده بشهر. و کان الذی أشار بتلقیب برقوق بالظاهر شیخ الإسلام سراج الدین البلقینیّ؛ فإنّ ولایته کانت وقت الظهر، و خطب

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۲۳

الخلیفة قبل أن یفوّض إلیه خطبة بلیغة، ثم قلّده بحضرة البلقینیّ و القضاة، و استمرّ فی السلطنة إلی ثالث جمادی الآخرة سنة إحدی و تسعین، فخلع و سجن بالکرک، و أعید حاجی إلی السلطنة. و لقّب الملک المنصور، فأقام إلی صفر سنة اثنتین و تسعین و خلع.

و عاد برقوق إلی السّلطنة، فاستمرّ إلی أن مات فی شوال سنة إحدی و ثمانمائة، و أقیم بعده ولده زین الدین أبو السعادات فرج، و لقّب الملک الناصر، و قال بعض الشعراء فی ولایته:

مضی الظّاهر السّلطان أکرم مالکإلی ربّه یرقی إلی الخلد فی الدّرج

و قالوا: ستأتی شدّة بعد موتهفأکذبهم ربّی و ما جا سوی فرج

فأقام إلی سادس ربیع الأول سنة ثمان و ثمانمائة، فخلع و أقیم أخوه عبد العزیز، و لقّب الملک المنصور، ثمّ خلع فی رابع جمادی الآخرة من السنة، و أعید النّاصر فرج، فأقام إلی أن خرج علیه شیخ المحمودیّ، و قاتله و حصره، و ظفر به و حکم ابن العدیم بسفک دمه و قتل بسیف الشرع؛ و ذلک فی المحرّم سنة خمس عشرة و ثمانمائة، و أقیم الخلیفة المستعین باللّه أبو النّصر العباسیّ سلطانا مستقلا بالأمر، و حلف له الأمراء علی الوفاء، و لم یغیّر لقبه، فأقام یتصرّف بالولایة و العزل و غیرهما، ثم سأله شیخ أن یفوّض إلیه السلطنة علی العادة، فأجابه إلی ذلک فی شعبان من السنة، و بقیت الخلافة باسمه، و استقرّ شیخ فی السلطنة، و لقّب الملک المؤیّد و کان من خیار الملوک.

ترجمه الحافظ ابن حجر فی معجمه و أثنی علیه، و قال: أین مثله؟ بل أین أین مثله! و کان معه إجازة بصحیح البخاری من شیخ الإسلام سراج الدین البلقینیّ، فکانت لا تفارقه سفرا و لا حضرا، و أقام إلی أن توفّی فی ثامن محرّم سنة أربع و عشرین، و أقیم بعده ولده أحمد، و لقّب الملک المظفّر، و عمره یومئذ سنتان. و جعل ططر مدبّر المملکة، و لقّب نظام الملک، فلمّا کان شعبان من السنة خلع من الملک لصغره، و أقیم ططر، و لقّب الملک الظاهر، فأقام إلی أن مات فی سادس ذی الحجة من السنة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۲۴

و أقیم بعد ططر ولده محمد و لقّب الملک الصالح ، و جعل برسبای نظام الملک ، فلمّا کان فی ثامن ربیع الآخر خلع سنة خمس و عشرین و أقیم برسبای، و لقّب الملک الأشرف، فأقام إلی أن مات فی ذی الحجّة سنة إحدی و أربعین و ثمانمائة.

و أقیم ولده یوسف، و لقّب الملک العزیز، و جعل جقمق نظام الملک، فلمّا کان فی سنة اثنتین و أربعین خلع و أقیم جقمق، و لقّب الملک الظّاهر، فأقام إلی أن مات سنة سبع و خمسین.

و أقیم ولده عثمان، و لقّب الملک المنصور، فمکث شهرا و نصفا، ثمّ خلع فی ربیع الأول، و أقیم إینال العلائیّ؛ و لقّب الملک

الأشرف، فأقام إلى أن مات فى جمادى الأولى سنة خمس و ستّين.

و أقيم ولده أحمد و لقّب الملك المؤيّد، ثمّ خلع فى رمضان من السنة ، و أقيم خشقدم الناصرىّ، و لقّب الملك الظاهر، فأقام إلى أن مات فى ربيع الأول سنة اثنتين و سبعين.

و أقيم قايتباى العلائىّ ، و لقّب الملك الظاهر، فأقام نحو شهرين و خلع، و أقيم تمربغا ، و لقّب الملك الظاهر، فأقيم أيضا نحو شهرين، و خلع فى رجب. و أقيم سلطان العصر الملك الأشرف قايتباى المحمودىّ، فأقام إلى أن مات ليلة الاثنين ثانى عشر ذى القعدة سنة إحدى و تسعمائة.

و أقيم ولده محمد، و لقّب الملك الناصر أبو السعادات محمد .

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۲۵

و قد نظم بعضهم أسماء بعض السلاطين فى أرجوزة و هو حمزة بن علىّ الحسنىّ مذيّلا على أرجوزة الجزّار عقب ذكر الملك الظاهر، فقال:

ثمّ تولّى الملك السعيدو كلّ يوم ذراه عيد

ثمّ أخوه العادل استقلّابالملك أياما بها و ولّى

ثمّ تولّى الملك المنصورو من جرى بنصره المقدور

ثمّ تولّاها المليك الأشرفو من غدا بكلّ جود يعرف

ثمّ تولّاها المليك الناصرو ماله فى نصره موازر

ثمّ الأمير كتبغاء العادلو ما جرى فى وقته فسائل

و بعده لاجين المنصورو دولة بلاؤها مشهور

ثمّ بها الناصر عاد ثانيهو لم ينل فى ملكه أمانيه

ثمّ حوى الأمر بها المظفّرليقض أمر ربّنا المقدّر

ثمّ بها الناصر عاد ثالثهو نجله المنصور كان وارثه

و بعده الأشرف و هو يافعفلا ممانع و لا مدافع

ثمّ تولّى الناصر بن الناصرو بعده الصالح ذو المماكر

أعنى أبا الفداء إسماعيلاطائره أضحى به جميلا

هذا آخر ما نظمه، و قد ذيّلت عليه فقلت:

و بعده شعبان و هو الكاملو بعده المظفّر المماحل

و بعده الناصر و اسمه حسنو بعده الصالح فى البرج سجن

ثمّ أعيد حسن و بعدهمحمد المنصور أوهى عهده

و بعده شعبان و هو الأشرفو هو ابن عشر أمره مستضعف

و بعده المنصور و اسمه علىو بعده الصالح حاجى قد ولى

و بعده برقوق و هو الظاهرثمّ أعيد الصالح المنافر

و لقّبوه الملك المنصوراثمّ أعادوا الظاهر المذكورا

و بعده الناصر و اسمه فرجو بعده عبد العزيز قد خرج

و لقّب المنصور ثمّ أمسكاو أحضر الناصر حتّى ملكا

و بعد هذا بویع الخلیفةذو الرتبة العالیة المنیفه

المستعین الأعظم العبّاسفاستوثق الأمر و سرّ الناس

و بعد هذا ملک المؤیّدشیخ و بعده المظفّر أحمد

و بعده الظاهر و اسمه ططرثمّ ابنه الصالح لما أن غبر

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۲۶ ثمّ برسبای و ذاک الأشرفثمّ ابنه الملک العزیز یوسف

و بعده الظاهر و هو جقمقثمّ ابنه المنصور ثم أطلقوا

و بعده إینال و هو الأشرفثمّ ابنه المؤیّد المنصرف

و بعده خشقدم لیث الوغیو بعد یلبای أتی تمربغا

و الکلّ بالظاهر رسما یوصفو بعدهم جاء المملیک الأشرف

أقام فی الملک ثلاثین سوی‌سبع شهور و حوی ما قد حوی

و سلطنوا ولده محمّداو لقّب الناصر رغما للعدا

ذکر الفرق بین الخلافة و الملک و السلطنة من حیث الشرع

قال ابن سعد فی الطبقات: أخبرنا محمد بن عمر، حدّثنی قیس بن الربیع، عن عطاء بن السائب، عن زادان، عن سلمان أنّ عمر بن الخطاب، قال له: أملک أنا أم خلیفة؟ فقال له سلمان: إن أنت جبیت من أرض المسلمین درهما أو أقلّ أو أکثر، ثمّ وضعته فی غیر حقّه فأنت ملک غیر خلیفة، فاستعبر عمر.

و قال: أخبرنا محمد بن عمر، حدّثنی عبد العزیز بن الحارث، عن أبیه سفیان بن أبی العوجاء، قال: قال عمر بن الخطاب: و اللّه ما أدری أ خلیفة أنا أم ملک؟ فإن کنت ملکا، فهذا أمر عظیم، قال قائل: یا أمیر المؤمنین، إنّ بینهما فرقا، قال: ما هو؟ قال:

الخلیفة لا یأخذ إلّا حقّا و لا یضعه إلا فی حقّ، و أنت بحمد اللّه کذلک، و الملک یعسف الناس، فیأخذ من هذا، و لا یعطی هذا. فسکت عمر.

*** ذکر من یطلق علیه السلطنة من حیث المصطلح

قال ابن فضل اللّه فی المسالک: ذکر علیّ بن سعید أنّ الاصطلاح ألّا تطلق هذه التسمیة إلا علی من یکون فی ولایته ملوک، فیکون ملک الملوک فیملک، مثل مصر، أو مثل الشام، أو مثل إفریقیّة، أو مثل الأندلس، و یکون عسکره عشرة آلاف فارس أو نحوها، فإن زاد بلادا أو عددا فی الجیش، کان أعظم فی السلطنة، و جاز أن یطلق علیه السلطان الأعظم، فإن خطب له فی مثل مصر و الشام و الجزیرة و مثل خراسان و عراق

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۲۷

العجم و فارس و مثل إفریقیّة و المغرب الأوسط و الأندلس، کان سمته سلطان السّلاطین کالسلجوقیّة.

*** ذکر ما یلقب به ملک مصر

قال الکندی: قال تعالی حکایة عن إخوة یوسف: یا أَیُّهَا الْعَزِیزُ مَسَّنا وَ أَهْلَنَا الضُّرُّ [یوسف: ۸۸] فحکی أنّ اسم ملکها العزیز، و ذکر جماعة من المفسرین أنّ فرعون لقب لکلّ من ولی مصر، و لعلّ هذا خاص بملوک الکفر.

ذکر جلوس السلطان فی دار العدل للمظالم

قال ابن فضل اللّه: إذا جلس السلطان للمظالم، جلس عن یمینه قضاة القضاة من المذاهب الأربعة، الوکیل عن بیت المال، ثمّ الناظر فی الحسبة، و یجلس عن یساره کاتب السرّ، و قدّامه ناظر الجیش و جماعة الموقّعین تکملة حلقة دائرة، و إن کان ثمّ وزیر من أرباب الأقلام کان بینه و بین کاتب السرّ، و إنّ کان الوزیر من أرباب السیوف کان واقفا علی بعد، مع بقیّة أرباب الوظائف، و یقف من وراء السلطان صفّان عن یمینه و یساره من السلاح دائرة و الجمداریة و الخاصّکیة ، و یجلس علی بعد تقدیره خمسة عشر ذراعا من یمنة و یسرة، ذوو السنّ من أکابر أمراء المؤمنین، و هم أمراء المشورة، و یلیهم من دونهم من أکابر الأمراء و أرباب الوظائف وقوفا و بقیّة الأمراء وقوف من وراء أمراء المشورة، و یقف خلف هذه الحلقة المحیطة بالسلطان الحجّاب و الدواداریّة ، لإحضار قصص الناس و إحضار المساکین، و تقرأ علیه فما احتاج إلی مراجعة القضاة راجعهم فیه، و ما کان متعلّقا بالعسکر تحدّث مع الخاص و کاتب السرّ فیه.

قال: و هذا الجلوس یکون یوم الاثنین و یوم الخمیس، إلا أنّ القضاة و کاتب السرّ لا یحضرون یوم الخمیس.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۲۸

قال: و من عادته إذا رکب یوم العیدین و یوم دخول المدینة یرکب، و علی رأسه العصائب السلطانیة و هی صفر مطرّزة بذهب بألقابه و اسمه، و ترفع المظلّة علی رأسه، و هی قبّة مغشّاة بأطلس أصفر مزرکش، علیها طائرة من فضة مذهّبة، یحملها بعض أمراء المئین الأکابر، و هو راکب فرسه إلی جانبه، و أمامه الطّبردایة مشاة، و بأیدیهم الأطبار.

قلت: العصائب المذکورة حرام، و قد بطلت الآن و للّه الحمد.

ذکر عساکر مملکة مصر

قال ابن فضل اللّه فی المسالک: و أمّا عساکر هذه المملکة، فمنهم من هو بحضرة السلطان، و منهم من فرّق فی أقطار المملکة و بلادها، و منهم سکّان بادیة کالعرب و الترکمان و جندها مختلط من أتراک و جرکس و روم و أکراد و ترکمان، و غالبهم من المماليک المبتاعین، و هم طبقات أکابرهم من له إمرة مائة فارس، و تقدمة ألف فارس، و من هذا القبیل یکون أکابر النوّاب، و ربّما زاد بعضهم بالعشرة فوارس و العشرین. ثمّ أمراء الطبلخاناه ، و معظهم من تکون له إمرة أربعین فارسا و قد یزید إلی السبعین، و لا تکون الطبلخاناه لأقلّ من أربعین، ثمّ أمراء العشرات و منهم من یکون له عشرون فارسا، و لا یعدّ إلا فی أمراء العشرات، ثمّ جند الحلقة، و هؤلاء لکلّ أربعین نفرا منهم مقدّم لیس له حکم علیهم إلا إذا خرج العسکر، کانت مرافقتهم معه، و ترتیبهم فی موقفهم إلیه، و یبلغ بمصر إقطاع بعض أکابر الأمراء المئین المقرّبین من السلطان مائتی ألف دینار جیشیّة، و أما غیرهم فدون ذلک، و دون دونه إلی ثمانین ألف دینار و ما حولها، و أما العشرات فنهایتها سبعة آلاف دینار إلی ما دون ذلک.

و أما إقطاعات جند الخلیفة فمنه ما یبلغ ألفا و خمسمائة دینار، و ما دون ذلک إلی مائتین و خمسین دینارا.

و أما إقطاعات أمراء الشام فعلی الثلاثین من مصر.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۲۹

ذکر أرباب الوظائف فی هذه المملکة

قال ابن فضل اللّه: الوظائف الکبار من ذوی السیوف: إمرة سلاح الدّوادارية، الحجوبیة، إمرة جاندار الأستاذدارية ، المهمندارية ، نقابة الجیوش .

و من ذوی الأقلام: الوزارة، کتابة السرّ، نظر الجیش، نظر الأموال، نظر الخزانة، نظر البیوت، نظر بیت المال، نظر الإسطبلات .

و من ذوی العلم: القضاة، الخطباء، وکالة بیت المال، الحسبة.

قال: و کانت وظیفة تسمّی نیابة السلطان، أبطلها الملک الناصر محمد بن قلاوون، و کان النائب أولا سلطانا مختصرا، و کان هو الذی یفرّق الإقطاعات و یعیّن الإمرة و الوظائف، و یتصرّف التصرّف المطلق فی کلّ أمر، إلا فی ولایة المناصب الجلیلة، کالقضاء و الوزارة و کتابة السّر، لکن یعرض هو علی السلطان من یصلح، و قلّ ألّا یجاب، و کان یسمّی کافل الممالک و السلطان الثانی.

و أما الوزارة، فکان یلیها من أرباب السیوف و الأقلام علی قدر ما یتّفق، و کان الوزیر ثانی النائب فی المکانة.

قال: و قد أبطل الناصر الوزارة أیضا، و استقلّ هو بما کان یفعله النائب و الوزیر، و استجدّ وظیفة یسمّی مباشرها ناظر الخاص، أصل موضوعها أن یکون مباشرها متحدّثا فیما هو خاصّ بمال السلطان یتحدث فی مجموع الأمر فی الخاصّ بنفسه، و فی العام بأخذ رأیه فیه، فیبقی بسبب ذلک کأنّه الوزیر لقربه من السلطان.

و أوّل من ولی هذه الوظیفة کریم الدین عبد الکریم بن هبة اللّه بن السدید. و أمّا إمّرة سلاح فموضوعها أنّ صاحبها مقدّم السلاح داریه، و المتولّی بحمل سلاح السلطان

فی المجامع الجامعة، و هو المتحدّث فی السلاح خاناه و تعلّقاتها، و هو من أمراء المئین .

و الدواداریّة موضوعها أنّ صاحبها یبلّغ الرسائل عن السلطان، و یقدّم القصص إلیه، و یشاور علی من یحضر إلی الباب، و یقدّم البرید إذا حضر، و یأخذ خطّ السلطان علی عموم المناشیر و التواقیع و الکتب .

و الحجوبیّة موضوعها أنّ صاحبها یقف بین الأمراء و الجند و هو المشار إلیه فی الباب بالقائم مقام البوّاب فی کثیر من الأمور .

و إمرة جاندار: صاحبها کالمتسلّم للباب، و هو المتسلّم للزردخاناه ، و من أراد السلطان قتله، کان علی ید صاحب هذه الوظیفة .

و الأستاذداریّة صاحبها إلیه أمر بیوت السلطان کلّها من المصالح و النفقات و الکساوی، و ما یجری مجری ذلک، و هو من أمراء المئین .

و نقابة الجیش صاحبها کأحد الحجّاب الصغار، و له تحلیة الجند فی عرضهم، و إذا أمر السلطان بإحضار أحد أو التّرسیم علیه فهو صاحب ذلک.

و الولایة صاحبها هو صاحب الشّرطة.

و أما الوزارة فصاحبها ثانی السلطان إذا أنصف، و عرف حقّه، و لکن فی هذه المدد تقدّمت علیها النیابة و تأخّرت الوزارة و تقهقرت، فصار المتحدّث فیها کناظر المال لا یتعدّی الحدیث فی المال، و لا یتّسع له فی التصرّف بحال، و لا یمدّ یده فی الولایة و العزل کتطلّع السلطان إلی الإحاطة بجزئیات الأحوال.

ثمّ إن السلطان أبطل هذه الوظیفة، و عطّل جید الدولة من عقودها، و صار ما کان إلی الوزیر منقسما إلی ثلاثة: إلی ناظر المال أو شادّ الدواوین، أمر تحصیل المال، و صرف النفقات و الکلف، و إلی ناظر الخاصّ تدبیر جملة الأمور و تعیین المباشرین، و إلی کاتب السرّ التوقیع فی دار العدل ممّا یوقّع فیه الوزیر مشاورة و استقلالا، ثمّ إن

کلّا من المتحدّثین الثلاثة لا یقدر علی الاستقلال بأمر إلا بمراجعة السلطان.

و من وظیفة کتابة السرّ قراءة الکتب الواردة علی السّلطان و کتابة أجوبتها و الجلوس لقراءة القصص بدار العدل، و التوقیع علیها و تصریف المراسیم ورودا أو صدورا.

و أمّا نظر الجیش فلصاحبه النّظر فی الإقطاعات و معه من المستوفین ما یحرّر کلیّات المملکة و جزئیاتها.

و أمّا نظر الخزانة فكانت وظيفة كبيرة الوضع لأنّها مستودع أموال المملكة ، فلما استحدثت وظيفة الخاص ضعف أمرها، و غالب ما يكون ناظرها من القضاة أو نحوهم.

و أما نظر البيوت فمنوط بالأستاذداريّة، فكل ما يتحدّث فيه الأستاذداريّة يشارك فيه .

و أما نظر بيت المال فوظيفة جليلة موضوعها حمل حمول المملكة إلى بيت المال و التصرّف فيه تارة بالميزان و تارة بالتسبيب بالأقلام، و لا يلى هذه الوظيفة إلا من هو من ذوى العدالة المبرّزة.

و أمّا نظر الإصطبلات ، فلصاحبه الحديث فى أنواع الإصطبل و المناخات و علفها و أرزاق خدمها و ما يبتاع لها.

و أما وظائف أهل العلم فمعروفة مشهورة لا تخلو مملكة من ممالك الإسلام منها.

هذا كلّه كلام ابن فضل اللّه.

ذكر فى التاريخ أنّ الخليفة المقتفى باللّه نقل المظفّر بن جهير من الأستاذ داريّة إلى الوزيريّة فى سنة خمس و ثلاثين و خمسمائة، قال بعضهم: و ذلك أوّل ما سمع بوظيفة الأستاذداريّة فى الدول.

و قال بعض المؤرّخين: لما تولّى الظاهر بيبرس أحبّ أن يسلك فى ملكه بالديار المصريّة طريقة جنكزخان ملك التّتار و أموره؛ ففعل ما أمكنه، و رتّب فى سلطنته أشياء كثيرة لم تكن قبله بديار مصر، مثل ضرب البوقات و تجديد الوظائف، فأحدث أمير سلاح و أمير مجلس و رأس نوبة الأمراء و أمير أخور، و حاجب الحجاب و الدّوادار

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۳۲

و الجمدار و أمير شكار. و موضوع أمير سلاح أنه يتحدث على السلاح داريه، و يناول السلطان آلة الحرب و السلاح يوم القتال و يوم الأضحى، و لم تكن رتبته فى زمن الظّاهر أن يجلس فى ميسرة السلطان، إنّما كان يجلس فى هذا الموضع أتابك، ثمّ فى زمن الناصر بن قلاوون كان يجلس فيه رأس نوبة الأمراء.

و موضوع أمير مجلس، أنّه يحرس مجلس السلطان و فرشه، و يتحدّث على الأطبّاء و الكحّالين و نحوهم، و كانت وظيفة جليلة أكبر قدرا من أمير سلاح.

و رأس نوبة ، وظيفة عظيمة عند التتار و يفخّمون فيها السين، و لما أحدثها الظاهر بمملكة مصر كان صاحبها يسمّى رأس نوبة الأمراء؛ و معناه أكبر طائفة الأمراء، و هو أكبر من أمير مجلس و أمير سلاح، و هو فى مرتبة الأمير الكبير الآن، و لم يكن أحد يسمّى بالأمير الكبير إذ ذاك؛ إلى أن ولى هذه الوظيفة شيخو العمرىّ فى زمن السلطان حسن، فلقّب بالأمير الكبير زيادة على التلقيب برأس نوبة الأمراء، و هو أوّل من لقّب بالأمير الكبير كما ذكر.

و موضوع أمير أخور النّظر فى علف الخيل، و أخور بالمعجمة المذود الذى يأكل فيه الفرس .

و الحاجب كان فى الزمن الأول من أيام الخلفاء للذى يحجب الناس عن الدخول على الخليفة، و كان يرفأ حاجب عمر بن الخطاب، ثمّ عظمت الحجوبيّة فى أيام الناصر ابن قلاوون.

و الدوادار كان فى زمن الخلفاء أيضا، و هو الذى يحمل الدواة و يحفظها، و معناه ماسك الدواة، و أول من أحدث هذه الوظيفة الملوك السلجوقيّة، و كانت فى زمنهم و زمن الخلفاء لرجل متعمّم، ثمّ صارت فى زمن الظاهر لأمير عشرة .

و الجمدار : ماسك البقجة التى للقماش.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۳۳

ذكر قضاة مصر

اشارة

قال ابن عبد الحكم: أوّل قاض استقضى بمصر فى الإسلام- كما ذكر سعيد بن عفير- قيس بن أبى العاصى، فمات سنة أربع و عشرين، فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص أن يستقضى كعب بن يسار بن ضنّة العبسىّ. قال ابن أبى مريم: و هو ابن بنت خالد بن سنان العبسىّ الذى تزعم عبس فيه أنّه تنبّأ فى الفترة بين عيسى ابن مريم و بين رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فأبى كعب أن يقبل القضاء، و قال: قضيت فى الجاهليّة و لا أعود إليه فى الإسلام.

حدثنا سعيد بن عفير، حدّثنا ابن لهيعة، قال: كان قيس بن أبى العاصى بمصر، ولّاه عمرو بن العاص القضاء. و قد قيل إن أوّل من استقضى بمصر كعب بن ضنّة بكتاب عمر بن الخطاب فلم يقبل.

حدثنا المقرئ عبد اللّه بن يزيد، أنبأنا حيوة بن شريح، أنبأنا الضّحاك بن شرحبيل الغافقىّ، أنّ عمّار بن سعيد التّجيبىّ أخبرهم أنّ عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص، أن يجعل كعب بن ضنّة على القضاء، فأرسل إليه عمرو، فأقرأه كتاب أمير المؤمنين، فقال كعب: و اللّه لا ينجيه اللّه من أمر الجاهلية و ما كان فيها من الهلكة، ثمّ يعود فيها أبدا إذا أنجاه اللّه منها، فأبى أن يقبل القضاء، فتركه عمرو. قال ابن عفير: و كان حكما فى الجاهليّة. فلما امتنع كعب أن يقبل القضاء ولّى عمرو بن العاص عثمان بن قيس بن أبى العاص القضاء، و قد كان عمر بن الخطاب قد كتب إلى عمرو بن العاص أن يفرض له فى الشّرف.

قال: و دعا عمرو خالد بن ثابت الفهمىّ ليجعله على المكس، فاستعفاه منه، فكان شرحبيل بن حسنة على المكس، و كان مسلمة بن مخلّد على الطّواحين؛ طواحين البلقس.

و أقام عثمان على القضاء إلى أن صرف سنة اثنتين و أربعين، ثمّ ولى سليم بن عتر التّجيبىّ على القضاء فى أيّام معاوية بن أبى سفيان، و جعل إليه القصص و القضاء جميعا.

حدثنا عبد اللّه بن يزيد المقرئ، حدثنا حيوة بن شريح، حدثنا الحجاج بن شدّاد الصنعانىّ، أن أبا صالح سعد بن عبد الرحمن الغفارىّ أخبره، أن سليم بن عتر كان

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۳۴

يقصّ على الناس و هو قائم، فقال له صلة بن الحارث الغفارىّ- و هو من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: و اللّه ما تركنا عهد نبيّنا، و لا قطعنا أرحامنا، حتّى قمت أنت و أصحابك بين أظهرنا! و كان سليم بن عتر أحد العبّاد المجتهدين، و كان يقوم فى ليله فيبتدىء القرآن حتّى يختمه، ثمّ يأتى أهله، ثمّ يقوم فيغتسل ثمّ يقرأ فيختم، ثمّ يأتى أهله فيقضى منهم حاجته، و ربّما فعل ذلك فى الليل مرّات، فلمّا مات قالت امرأته: رحمك اللّه! فو اللّه لقد كنت ترضى ربّك و تسرّ أهلك.

ثمّ لمّا ولى مسلمة بن مخلّد البلد، ولّى السائب بن هشام بن عمرو أحد بنى مالك بن حسل شرطه، و كان هشام بن عمرو أحد النّفر الذين قاموا فى نقض الصحيفة التى كانت فى قريش كتبت. و كان عمرو بن العاص ولّى السائب بن هشام شرطه بعد خارجة بن حذافة ، و كان أيضا على شرطه عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح، ثمّ عزل مسلمة السائب و ولى عابس بن ربيعة المرادىّ الشرطة، ثمّ جمع له القضاء مع الشّرطة.

و سبب ذلك أنّ معاوية كتب إلى مسلمة يأمره بالبيعة ليزيد، فأتى مسلمة الكتاب و هو بالإسكندرية، فكتب إلى السائب بذلك، فبايع النّاس إلا عبد اللّه بن عمرو بن العاص، فأعاد عليه مسلمة الكتاب فلم يفعل، فقال مسلمة: من لعبد اللّه بن عمرو؟

فقال عابس بن سعيد: أنا، فقدم الفسطاط، فبعث إلى عبد اللّه بن عمرو فلم يأته، فدعا بالنّار و الحطب ليحرق عليه قصره، فأتى فبايع، و استمرّ عابس على القضاء حتّى دخل مروان بن الحكم مصر فى سنة خمس و ستّين، فقال: أين قاضيكم؟ فدعى له عابس- و كان أمّيّا لا يكتب- فقال له مروان: أجمعت كتاب اللّه؟ قال: لا، قال: فأحكمت الفرائض؟ قال: لا، قال: فيم تقضى؟ قال: أقضى بما علمت، و أسأل عمّا جهلت، قال: أنت القاضى. فلم يزل عابس على القضاء إلى أن توفّى سنة ثمان و ثمانين.

فولّى عبد العزيز بن مروان بشير بن النّضر المزنىّ القضاء.

ثم ولی عبد الرحمن بن حجیرة الخولانیّ و جمع له القضاء و القصص و بیت المال، فکان یأخذ رزقه فی السّنة ألف دینار علی القضاء؛ فلم یکن یحول علیه الحول و عنده ما تجب فیه الزکاة، فلم یزل علی القضاء حتی مات سنة ثلاث و ثمانین .

و یقال: بل ولی فی سنة ثلاث و ثمانین، و مات فی سنة خمس و ثمانین.

ثمّ ولی القضاء مالک بن شراحیل الخولانیّ، فلم یزل علی القضاء حتّی مات

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۳۵

فولی من بعده یونس بن عطیّة الحضرمیّ، و جمع له القضاء و الشرطة، فلم یزل حتّی مات سنة ستّ و ثمانین.

فولی بعده ابن أخیه أوس، ثم ولی عبد الرحمن بن معاویة بن حدیج الکندیّ و جمع له القضاء و الشرطة، فتوفّی عبد العزیز بن مروان، و ولی بعده عبد اللّه بن عبد الملک فأراد عزل ابن حدیج فاستحیا من عزله عن غیر شیء، و لم یجد علیه مقالا و لا متعلّقا فولّاه مرابطة الإسکندریّة. حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة ؛ ج۲ ؛ ص۱۳۵

ولی عمران بن عبد الرحمن بن شرحبیل بن حسنة القضاء و الشّرطة فلم یزل إلی سنة تسع و ثمانین، فغضب علیه عبد اللّه بن عبد الملک، فعزله و ولّی عبد الأعلی بن خالد بن ثابت الفهمیّ مکانه . ثمّ أتی عبد اللّه بن عبد الملک فعزله.

و ولی قرّة بن شریک العبسیّ الإمرة، فعزل عبد الأعلی، و ولّی عبد اللّه بن عبد الرحمن بن حجیرة، و هو ابن حجیرة الأصغر، ثم عزل فی سنة ثلاث و تسعین.

و ولی عیاض بن عبد اللّه الأزدیّ ثمّ السّلامیّ، ثمّ صرف فی سنة ثمان و تسعین، و أعید ابن حجیرة ثمّ صرف و أعید، فلم یزل إلی سنة مائة. ثمّ صرف و ولی عبد اللّه ابن خذامر ثمّ صرف سنة اثنتین و مائة.

و ولی یحیی بن میمون الحضرمیّ فأقام إلی سنة أربع عشرة و مائة، ثمّ صرف و لم یکن بالمحمود فی ولایته.

ثم ولی یزید بن عبد اللّه بن خذامر ثمّ صرف.

و ولی الخیار بن خالد المدلجیّ، فأقام نحو سنة، و مات سنة خمس عشرة و مائة، و کان محمودا جمیل المذهب.

ثم ولی توبة بن نمر الحضرمیّ، فأقام ما شاء اللّه، ثمّ استعفی، فقیل له: فأشر علینا برجل نولّیه، فقال: کاتبی خیر بن نعیم الحضرمیّ، فولّی خیر سنة إحدی و عشرین و مائة، فلم یزل حتّی صرف سنة ثمان و عشرین و مائة.

و ولی عبد الرحمن بن سالم بن أبی سالم الجیشانیّ، فلم یزل إلی ولایة بنی العباس سنة ثلاث و ثلاثین و مائة، فصرف عن القضاء و استعمل علی الخراج، و رد خیر

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۳۶

بن نعیم؛ فلم یزل حتّی عزل نفسه فی سنة خمس و ثلاثین؛ و ذلک أنّ رجلا من الجند قذف رجلا، فخاصمه إلیه و ثبّت علیه بشاهد واحد، فأمر بحبس الجندیّ إلی أن یثّبت الرجل شاهدا آخر، فأرسل أبو عون عبد الملک بن یزید، فأخرج الجندیّ من الحبس، فاعتزل خیر و جلس فی بیته، و ترک الحکم، فأرسل إلیه أبو عون، فقال: لا، حتّی یردّ الجندیّ إلی مکانه! فلم یردّ، و تمّ علی عزمه، فقالوا له: فأشر علینا برجل نولّیه، فقال:

کاتبی غوث بن سلیمان.

فولی غوث بن سلیمان الحضرمیّ، فلم یزل حتّی خرج مع صالح بن علی إلی الصّائفة.

ثم ولی أبو خزیمة إبراهیم بن یزید الحمیریّ و ذلک أنّ أبا عون- و یقال صالح بن علیّ شاور فی رجل یولّیه القضاء، فأشیر علیه بثلاثة نفر: حیوة بن شریح، و أبو خزیمة، و عبد اللّه بن عیاش القتبانیّ، و کان أبو خزیمة یومئذ بالإسکندریة، فأشخص، ثم أتی بهم إلیه، فکان أوّل من نوظر حیوة بن شریح، فامتنع، فدعی له بالسّیف و النّطع، فلمّا رأی ذلک حیوة أخرج مفتاحا کان معه، فقال: هذا مفتاح بیتی، و لقد اشتقت إلی لقاء ربی. فلمّا رأوا عزمه ترکوه، فقال لهم حیوة: لا تظهروا ما کان من آبائی لأصحابی فیفعلوا مثلما

فعلت، فنجا حيوة، ثمّ دعى بأبى خزيمة فعرض عليه القضاء فامتنع، فدعى له بالسيف و النّطع فضعف قلبه، و لم يحتمل ذلك، فأجاب إلى القبول فاستقضى. و كان أبو خزيمة يعمل الأرسان و يبيعها قبل أن يلى القضاء، فمرّ به رجل من أهل الإسكندرية، و هو فى مجلس الحكم، فقال: لأختبرنّ أبا خزيمة، فوقف عليه فقال له: يا أبا خزيمة، احتجت إلى رسن لفرسى، فقام أبو خزيمة إلى منزله، فأخرج رسنا فباعه منه، ثمّ جلس. و كان أبو خرشة المرادىّ صديقا لأبى خزيمة، فمرّ به يوما، فسلّم عليه، فلم ير منه ما كان يعرف، و كان أبو خرشة قد خوصم إليه فى جدار، فاشتدّ ذلك على أبى خرشة، فشكاه إلى بعض قرابته، فسأل أبا خزيمة، فقال: ما كان ذلك إلا أن خصمك خفت أن يرى سلامى عليك، فيكسره ذلك عن بعض حجّته، فقال أبو خرشة: فإنّى أشهدك أنّ الجدار له. ثمّ استعفى أبو خزيمة فأعفى.

و ولى مكانه عبد اللّه بن بلال الحضرمىّ، و يقال إنما هو غوث الذى كان استخلفه حين شخص غوث إلى أمير المؤمنين أبى جعفر و ذلك فى سنة أربع و أربعين. ثمّ قدم غوث، فأقرّه خليفة له يحكم بين الناس حتّى مات عبد اللّه بن بلال. قال يحيى بن بكير: لم يزل أبو خزيمة على القضاء، حتّى قدم غوث من الصائفة فعزل أبو خزيمة، و ردّ غوث على القضاء. ثمّ إنّ غوثا شخص إلى العراق، فأعيد أبو خزيمة إلى القضاء،

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۳۷

فلم يزل حتّى توفّى سنة أربع و خمسين. و كان ابن حديج إذ ذاك بالعراق، قال: فدخلت على أمير المؤمنين أبى جعفر، فقال لى: يا بن حديج، لقد توفّى ببلدك رجل أصيبت به العامّة! قلت يا أمير المؤمنين، ذاك إذا أبو خزيمة، قال: نعم.

ثمّ ولى مكانه ابن لهيعة، و أجرى عليه فى كلّ شهر ثلاثين دينارا؛ و هو أوّل قاض بمصر أجرى عليه ذلك، و أوّل قاض استقضاه بها خليفة، و إنّما كان ولاة البلد هم الّذين يولّون القضاة، فلم يزل قاضيا حتّى صرف سنة أربع و ستّين.

و ولى إسماعيل بن اليسع الكوفىّ، و عزل سنة سبع و ستّين. و كان محمودا عند أهل البلد، إلّا أنه كان يذهب إلى قول أبى حنيفة، و لم يكن أهل البلد يومئذ يعرفونه. قال ابن عبد الحكم: حدّثنا أبى عبد اللّه قال: كتب فيه الليث بن سعد إلى أمير المؤمنين: يا أمير المؤمنين: إنك ولّيتنا رجلا يكيد سنّة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بين أظهرنا، مع أنّا ما علمنا فى الدينار و الدرهم إلا خيرا، فكتب بعزله.

و ردّ غوث بن سليمان على القضاء، فأقام حتّى توفّى فى جمادى الآخرة سنة ثمان و ستّين. حدثنا أبو رجاء حمّاد بن مسور، قال: قدمت امرأة من الرّيف، فرأت غوثا رائحا إلى المسجد، فشكت إليه أمرها، فنزل عن دابّته، و كتب لها بحاجتها، ثم ركب إلى المسجد فانصرفت المرأة و هى تقول: أصابت و اللّه أمّك حتّى سمّتك غوثا، أنت غوث عند اسمك.

و قيل: إنه أوّل قاض ركب للهلال مع الشهود. و قيل: بل ابن لهيعة.

فلما مات غوث ولى المفضّل بن فضالة بن عبيد القتبانىّ، ثمّ عزل سنة تسع و ستين، و هو أوّل القضاة بمصر طوّل الكتب، و كان أحد فضلاء الناس و خيارهم.

ثم ولى أبو طاهر الأعرج عبد الملك بن محمد بن أبى بكر بن حزم الأنصارىّ، و كان محمودا فى ولايته، ثمّ استعفى فأعفى فى سنة أربع و سبعين. قالوا: فأشر علينا برجل، فأشار بالمفضّل بن فضالة، فولّى المفضّل، فأقام إلى صفر سنة سبع و سبعين و عزل.

و ولى محمد بن مسروق الكندىّ من أهل الكوفة، و لم يكن بالمحمود فى ولايته، و كان فيه عتوّ و تجبّر، فلم يزل إلى سنة أربع و ثمانين، فخرج إلى العراق.

و استخلف إسحاق بن الفرات التّجيبىّ ، فعزل فى صفر سنة خمس و ثمانين.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۳۸

و ولى عبد الرحمن بن عبد اللّه بن الحسين بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب؛ و هو أوّل من دوّن أسماء الشهود، فأقام إلى أن عزل

فی جمادی الأولی سنهٔ أربع و تسعین.

و ولی هاشم بن أبی بکر البکریّ من ولد أبی بکر الصدیق، و کان یذهب مذهب أبی حنیفهٔ، فأقام حتّی توفّی فی أول یوم من المحرّم سنهٔ ستّ و تسعین.

ثم ولی إبراهیم بن البکّاء؛ ولّاه جابر بن الأشعث، و جابر یومئذ والی البلد، فأقام إلی أن صرف جابر سنهٔ ستّهٔ و تسعین، و ولّی مکانه عبّاد بن محمد، فعزل ابن البکّاء.

و ولی لهیعهٔ بن عیسی الحضرمیّ، فأقام حتّی قدم المطلب بن عبد اللّه بن مالک سنهٔ ثمان و تسعین فعزل لهیعهٔ.

و ولی الفضل بن غانم، و کان قدم مع المطّلب من العراق فأقام نحو سنهٔ، ثمّ غضب علیه المطّلب فعزله.

و ولی لهیعهٔ بن عیسی، فأقام حتّی توفّی فی ذی القعدهٔ سنهٔ أربع و مائتین.

فولّی السریّ بن الحکم بعد مشاورهٔ أهل البلد إبراهیم بن إسحاق القارئ حلیف بنی زهرهٔ، و جمع له القضاء و القصص؛ و کان رجل صدق، ثم استعفی لشیء أنکره فأعفی.

و ولی مکانه إبراهیم بن الجرّاح؛ و کان یذهب إلی قول أبی حنیفهٔ، و لم یکن بالمذموم فی ولایته، حتّی قدم علیه ابنه من العراق، فتغیّرت حالته، و فسدت أحکامه؛ فلم یزل قاضیا إلی سنهٔ اثنتی عشرهٔ و مائتین، فدخل علیه عبد اللّه بن طاهر البلد فعزله.

و ولی عیسی بن المنکدر بن محمد بن المنکدر، و خرج إبراهیم بن الجرّاح إلی العراق و مات هناک. و أجری عبد اللّه بن طاهر علی عیسی بن المنکدر أربعهٔ آلاف درهم فی الشهر؛ و هو أوّل قاض أجری علیه ذلک، و أجازه بألف دینار، فلمّا قدم المعتصم مصر فی سنهٔ أربع عشرهٔ و مائتین کلّمه فیه ابن أبی دؤاد، فأمره فوقف عن الحکم، ثمّ أشخص بعد ذلک إلی العراق، فمات هناک.

و بقیت مصر بلا قاض حتّی قدم المأمون الخلیفهٔ مصر فی محرّم سنهٔ سبع عشرهٔ و ولّی القضاء یحیی بن أکثم فحکم بها ثلاثهٔ أیام، و خرج المأمون إلی سخا ، و أصلح

حسن المحاضرهٔ فی أخبار مصر و القاهرهٔ، ج۲، ص: ۱۳۹

أحوالها و توجّه إلی الإسکندریهٔ و عاد إلی مصر، و خرج عنها فی الخامس من صفر.

و جعل القضاء بمصر إلی هارون بن عبد اللّه الزهری المالکیّ، قلّده ذلک و هو بالشّام، فقدم فی رمضان سنهٔ تسع عشرهٔ و مائتین، و کان محمودا عفیفا محبّبا فی أهل البلد، فأقام إلی ربیع الأول سنهٔ ستّ و عشرین، فکتب إلیه أن یمسک عن الحکم، و قد کان ثقل مکانه علی ابن ابی دؤاد.

و قدم أبو الوزیر والیا علی خرج مصر، و قدم معه بکتاب ولایهٔ محمد بن أبی اللیث الأصمّ علی القضاء، فلم یزل قاضیا إلی شعبان سنهٔ خمس و ثلاثین و مائتین، فعزل و حبس.

و بقیت مصر بلا قاض حتی ولی الحارث بن مسکین فی جمادی الأولی سنهٔ سبع و ثلاثین، ثم صرف فی ربیع الآخر سنهٔ خمس و أربعین.

و ولی دحیم بن الیتیم عبد الرحمن بن إبراهیم بن الیتیم الدّمشقی جاءته ولایته بالرّملهٔ، فتوفّی قبل أن یصل إلی مصر فی العام المذکور.

و ولی بعده بکّار بن قتیبهٔ أبو بکرهٔ الثقفیّ من أهل البصرهٔ من ولد أبی بکرهٔ صاحب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، و دخل البلد فی جمادی الآخرهٔ فأقام قاضیا، و أحمد بن طولون یصله فی کلّ سنهٔ بألف دینار. ثمّ إنّ ابن طولون بلغه أنّ الموفّق خرج عن طاعهٔ أخیه المعتمد، و کان المعتمد ولیّ عهد أخیه، فأراد ابن طولون خلع الموفّق من ولایهٔ العهد، فوافقه فقهاء مصر، و خالف القاضی بکّار فحبسه أحمد بن طولون، و ذلک فی سنهٔ سبع و خمسین و مائتین، و رتّب فی الحکم عوضا عنه و هو کالخلیفهٔ عنه محمد بن شاذان الجوهری، و مات بکّار فی ذی الحجّهٔ سنهٔ خمس و سبعین و مائتین.

و أقامت مصر بعد بكار بلا قاض، حتى ولّى خمارويه بن أحمد بن طولون أبا عبد اللّه محمد بن عبدة بن حرب القضاء سنة سبع و سبعين و مائتين، فأقام إلى سنة ثلاث و ثمانين، فألزم منزله فى جمادى الآخرة.

و بقيت مصر بلا قاض حتى ولى أبو زرعة محمد بن عثمان الدمشقىّ، فأقام ثمانى سنين، و عزل فى صفر سنة اثنتين و تسعين.

و أعيد ابن عبدة، ثمّ صرف فى رجب من السنة.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۴۰

و ولى أبو مالك بن أبى الحسن الصغير.

ثم ولى بعده أبو عبيد علىّ بن الحسين بن حرب المعروف بابن حربويه، فى شعبان سنة ثلاث و تسعين، ثم عزل فى سنة إحدى و ثلاثمائة.

قال ابن يونس فى تاريخ مصر: كان أبو عبيد بن حربوية شيئا عجبا، ما رأينا قبله و لا بعده مثله. و كان آخر قاض يركب إليه أمراء مصر و كان لا يقوم للأمير إذا أتاه، ثمّ أرسل موقّعه الإمام أبا بكر بن الحدّاد إلى بغداد سنة إحدى و ثلاثمائة فى طلب إعفائه عن القضاء فأعفى. انتهى. هذا ما ذكره ابن عبد الحكم.

و ولى مكانه أبو الذّكر محمد بن يحيى الأسوانىّ خلافة لأبى يحيى عبد اللّه بن إبراهيم بن مكرّم، إلى أن صرف فى صفر سنة اثنتين و ثلاثمائة.

و ولى أبو علىّ عبد الرحمن بن إسحاق بن محمد بن معتمر السّدوسىّ، و صرف فى ربيع الآخر سنة أربع عشرة.

و ولى أبو عثمان أحمد بن إبراهيم بن حماد، و صرف فى ذى الحجة سنة ست عشرة.

و ولى أبو محمد عبد اللّه بن أحمد بن ربيعة بن سليمان الرّبعىّ الدّمشقى، و صرف فى جمادى الآخرة سنة سبع عشرة.

و أعيد أبو عثمان بن حمّاد، و صرف فى ربيع الآخر سنة عشرين.

و أعيد الرّبعىّ، و صرف فى صفر سنة إحدى و عشرين.

و ولى أبو هاشم إسماعيل بن عبد الواحد الرّبعىّ المقدسىّ الشافعىّ، و صرف فى ربيع الآخر من السنة.

و ولى أبو جعفر أحمد بن عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة الدّينورىّ، و صرف فى رمضان سنة اثنتين و عشرين.

و ولى أبو عبد اللّه محمد بن موسى بن إسحاق السرخسىّ.

ثمّ ولى أبو بكر بن الحداد الإمام المشهور صاحب المولدات، بأمر أمير مصر فى ربيع الأول سنة أربع و عشرين، فباشر مدّة لطيفة.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۴۱

ثمّ ولى محمد بن بدر مولى أبى خيثمة خلافة لمحمد بن الحسن بن أبى الشوارب إلى أن مات سنة خمس و ثلاثين.

و ولى أبو محمد عبد اللّه بن أحمد بن شعيب بن الفضل بن مالك بن دينار، يعرف بابن أخت وليد، و صرف سنة ثلاث و ثلاثين.

و أعيد ابن الحدّاد و ولى بعده عبد العزيز بن الحسن بن العزيز العباسىّ الهاشمىّ خليفة لأخيه، ثمّ صرف فى ذى الحجة سنة تسع و ثلاثين و ثلاثمائة.

و ولى أبو بكر عبد اللّه بن محمد الخصيبىّ الشافعىّ سنة خمس و أربعين؛ فأقام إلى أن مات فى المحرّم سنة ثمان و أربعين.

و ولى بعده ابنه محمد، فأقام شهرا واحدا، ثم اعتلّ و مات فى سادس ربيع الأول من عامه.

فولّى كافور بعده أبا الطّاهر محمد بن أحمد بن عبد اللّه البغدادىّ الذّهلىّ المالكىّ فأقام ستّ عشرة سنة- و قيل ثمانى عشرة سنة- إلى أن قامت الدولة العبيدية بالقاهرة، و قدم المعزّ و معه قاضيه أبو حنيفة النّعمان بن محمد بن منصور القيروانىّ، فاجتمع أبو الطاهر بالمعزّ، فأعجب به، و أقرّه على ولايته. و أقام النعمان بمصر لا ينظر فى شىء، ثمّ إن أبا الطاهر استعفى قبل موته بيسير فأعفى؛ و ذلك فى صفر سنة ستّ و ستين.

و ولی بعده أبو الحسن علیّ بن النعمان، و کان شیعیّا غالیا و شاعرا مجیدا، فأقام إلی أن مات فی رجب سنة أربع و سبعین؛ و هو أول من نعت بقاضی القضاة فی مصر؛ و لم یکن یدعی بذلک إلا ببغداد.

و ولی بعده أخوه أبو عبد اللّه محمد ، و کان شیعیّا أیضا. قال ابن زولاق: و لم نشاهد بمصر لقاض من الرّیاسة ما شاهدناه له، و لا بلغنا ذلک عن قاض بالعراق، و وافق ذلک استحقاقا؛ لما فیه من العلم و الصیانة و الهیئة و إقامة الحق، و قد ارتفعت رتبته لأنّ العزیز أجلسه معه یوم العید علی المنبر، و زادت عظمته فی دولة الحاکم، إلی أن مات فی صفر سنة تسع و ثمانین.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۴۲

و ولی القضاء بعده ابن أخیه الحسین بن علیّ بن النّعمان، ثمّ صرف سنة أربع و تسعین.

و ولی أبو القاسم عبد العزیز بن محمّد بن النعمان، ثمّ صرف فی رجب سنة ثمان و تسعین.

و ولی بعده مالک بن سعد الفارقیّ، ثمّ صرف فی ربیع الآخر سنة خمس و أربعین.

و ولی أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن أبی العوّام، إلی أن مات فی ربیع الأول سنة ثمانی عشرة و أربعمائة.

و ولی أبو محمد قاسم بن عبد العزیز بن النعمان، ثمّ صرف فی رجب سنة تسع عشرة و أربعمائة.

و ولی أبو الفتح عبد الحاکم بن سعید الفارقیّ، ثمّ صرف فی ذی القعدة سنة تسع و عشرین .

و أعید أبو محمد القاسم بن عبد العزیز بن النّعمان، و لقّب بقاضی القضاة و داعی الدّعاة، و ثقة الدولة، و أمیر الأمراء، و شرف الحکام؛ و استخلف عنه القاضی یحیی الشهاب فأقام ثلاث عشرة سنة، ثم عزل فی المحرّم سنة إحدی و أربعین.

و أعید قاسم ثمّ صرف من عامه، و ولی مکانه أبو محمّد الحسن بن علیّ بن عبد الرحمن البازوریّ، ثمّ أضیف إلیه الوزارة أیضا، و هو أوّل من جمع بینهما، ثمّ صرف عنهما فی المحرّم سنة خمس و أربعین.

و ولی القضاء أبو علیّ أحمد بن قاضی القضاة عبد الحاکم بن سعید الفارقیّ ثم صرف فی ذی القعدة من السنة.

و ولی أبو القاسم عبد الحاکم بن وهب بن عبد الرحمن المالیجیّ، ثمّ صرف فی جمادی الآخرة سنة اثنتین و أربعین.

و ولی أبو عبد اللّه أحمد بن محمد أبو زکریا بن عمر بن أبی العوّام، إلی أن مات فی ربیع الأوّل سنة ثلاث و أربعین.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۴۳

و أعید أبو علیّ أحمد بن الحاکم بن سعید، ثمّ صرف فی رجب.

و أعید أبو القاسم عبد الحاکم بن وهب ثمّ صرف فی رمضان.

و ولی أبو محمد عبد الکریم بن عبد الحاکم بن سعید، ثمّ صرف فی صفر سنة أربع و أربعین.

و أعید أبو القاسم عبد الحاکم بن وهب بن عبد الرحمن، ثمّ صرف فی المحرّم سنة أربع و أربعین.

و أعید أبو علیّ أحمد بن عبد الحاکم مضافا للوزارة، ثمّ صرف فی صفر.

و أعید أبو القاسم عبد الحاکم بن وهب، ثمّ صرف فی شعبان.

و ولی أبو محمد الحسن بن مجلی بن أسد بن أبی کدینة مضافا للوزارة، ثم صرف فی ذی الحجة.

و ولی جلال الملک أحمد بن عبد الکریم بن عبد الحاکم بن سعید مضافا للوزارة، ثمّ صرف فی المحرم سنة ست و أربعین.

و أعید الحسن بن مجلّی بن أبی کدینة، ثمّ صرف فی ربیع الآخر.

و أعید أبو القاسم الحاکم بن وهب، ثمّ صرف فی رمضان.

و أعید ابن أبی کدینة، ثمّ صرف فی ذی الحجة.

و أعید ابن الحاکم، ثمّ صرف فی نصف المحرّم سنة سبع و أربعین.

و أعید ابن أبی کدینة، ثمّ صرف فی السادس و العشرین منه.

و أعید جلال الملک أحمد بن عبد الکریم، ثمّ صرف فی جمادی.

و أعید ابن أبی کدینة، ثمّ صرف فی نصف رجب.

و أعید عبد الحاکم بن وهب، ثمّ صرف.

و أعید ابن أبی کدینة، ثمّ صرف فی صفر سنة ثمان و أربعین.

و أعید جلال الملک، ثمّ صرف.

و أعید ابن أبی کدینة، ثمّ صرف فی المحرّم سنة تسع و أربعین.

و ولی عبد الحاکم المیلجی، ثمّ صرف فی سابع جمادی الآخرة.

و أعید ابن أبی کدینة، ثمّ صرف فی ذی القعدة.

و أعید جلال الملک، ثمّ صرف فی صفر سنة خمس و ستین.

و أعید المیلجی، ثمّ صرف فی ربیع الأول.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۴۴

و أعید ابن أبی کدینة، ثمّ صرف فی جمادی الأولی.

و أعید جلال الملک، ثمّ صرف فی رمضان.

و أعید المیلجی، ثمّ صرف فی ذی الحجة.

و أعید ابن أبی کدینة، ثمّ صرف فی صفر سنة إحدی و ستین.

و أعید المیلجی، ثمّ صرف بعد یوم.

و ولی خطیر الملک ابن قاضی القضاة الوزیر البازوری، ثم صرف فی شوال.

و أعید ابن أبی کدینة، ثمّ صرف فی ذی القعدة.

و أعید المیلجیّ، ثمّ صرف.

و أعید ابن أبی کدینة فی ربیع الأوّل سنة أربع و ستّین، ثمّ صرف سنة ستّ و ستین.

و ولی أبو یعلی حمزة بن الحسین بن أحمد العراقی، إلی أن مات فی اثنتین و سبعین.

و ولی أبو الفضل طاهر بن علی القضاعیّ.

ثمّ ولی بعده جلال الدولة أبو القاسم علیّ بن أحمد بن عمّار، ثمّ صرف.

و ولی سنة خمس و سبعین أبو الفضل هبة اللّه بن الحسین بن عبد الرحمن بن نباتة.

ثمّ ولی أبو الفضل بن عتیق.

ثمّ ولی أبو الحسن علیّ بن یوسف بن الکمال، ثمّ صرف.

و ولی سنة سبع و ثمانین فخر الحکّام أبو الفضل محمد بن الحاکم المیلجی.

ثمّ ولی الحسن بن علیّ بن أحمد المکرّمی، ثمّ صرف بعد شهر.

و ولی أبو الطاهر محمد بن رجاء إلی أن مات سنة ثلاث و تسعین.

و ولی أبو الفرج محمد بن جوهر بن ذکاء النابلسیّ، ثمّ صرف فی ربیع الأوّل سنة أربع و تسعین، لکونه أحدث فی مجلس الحکم.

و ولی حسین بن یوسف بن أحمد الرّصافیّ، ثمّ صرف.

و ولی أبو النجم بدر بن بدر الحرّانیّ.

ثمّ ولی أبو الفضل نعمة بن بشیر النابلسیّ المعروف بالجلیس، ثمّ استعفی فأعفی سنة أربع و أربعین.

و ولی الرّشید أبو عبد اللّه محمد بن قاسم بن زید الصّقلّیّ إلی أن مات، فأعید الجلیس إلی أن مات.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۴۵

و ولی ثقة الملک أبو الفتح مسلم بن علیّ الرسعنیّ سنة ثلاث و أربعین. قال ابن میسّر فی تاریخ مصر: لما ولی الحکم رفع إلی الأفضل: إنی قد اعتبرت ما فی مودع الحکم من مال المواریث- و کان یقارب مائة ألف دینار- و رفعها إلی بیت المال أولی من ترکها فی المودع، و إنّ لها سنین طویلة لم یطلب شیء منها. فوقّع علی رقعته: إنّما قلّدناک الحکم و لا رأی لنا فیما لا نستحقّه، فاترکه علی حاله لمستحقّه، و لا تراجع فیه.

ثم اتّفق أنّه صلّی إماما فی مجلس صلاة الصبح، و خلفه الوزیر المأمون، فقرأ سورة الشمس و ضحاها، فأرتج علیه، و قرأ «ناقة اللّه و سقناها» بالنون، فعزل عن القضاء سنة ستّ و أربعین.

و ولی أبو الحجاج بن أیوب المغربیّ إلی أن مات سنة إحدی و عشرین.

و ولی أبو عبد اللّه محمد بن هبة اللّه بن المیسّر القیروانیّ، و لقّب القاضی الأمیر سناء الملک شرف الأحکام قاضی القضاة عمدة أمیر المؤمنین، قال فی تاریخ مصر:

و هو الّذی أخرج الفستق الملبّس بالحلوی، ثمّ صرف فی ربیع الأول سنة ستّ و عشرین.

و ولی أبو الفخر صالح بن عبد اللّه بن رجاء، ثمّ صرف فی جمادی الآخرة.

و ولی سراج الدّین نجم بن جعفر إلی أن قتل فی شوّال سنة ثمان و عشرین.

و أعید ابن المیسّر، ثمّ صرف فی المحرّم سنة إحدی و ثلاثین.

و ولی الأعزّ أبو المکارم أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبی عقیل إلی أن مات فی شعبان سنة ثلاث و ثلاثین و أقام الحکم بعده شاغرا ثلاثة أشهر.

ثمّ اختیر أبو العباس أحمد بن الحطیئة، فاشترط ألّا یحکم بمذهب الدولة، فلم یمکّن من ذلک.

و ولی فخر الأمناء هبة اللّه بن حسین الأنصاریّ؛ یعرف بابن الأزرق فی ذی القعدة سنة ثلاث و ثلاثین، ثمّ صرف فی جمادی الآخرة سنة أربع و ثلاثین.

و ولی أبو الطاهر إسماعیل بن سلامة الأنصاریّ، ثمّ صرف فی المحرّم سنة ثلاث و أربعین.

و ولی أبو الفضل یونس بن محمد بن حسن المقدسیّ، ثمّ صرف سنة سبع و أربعین.

و ولی عبد المحسن بن محمد بن مکرّم، ثمّ صرف.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۴۶

ثمّ ولی أبو المنجم بدر بن غالی.

ثمّ ولی أبو المعالی مجلّی بن جمیع الشافعیّ صاحب الذخائر، فأقام إلی سنة تسع و أربعین، ثمّ صرف.

و إعید أبو الفضائل یونس ثمّ صرف.

و ولی المفضّل أبو القاسم جلال الدین هبة اللّه بن عبد اللّه بن کامل بن عبد الکریم الصوریّ، فی شعبان سنة سبع و أربعین، ثمّ صرف فی المحرّم سنة ثمان و أربعین.

و أعید أبو الفضائل یونس، ثمّ صرف فی ذی الحجّة من السّنة.

و أعید ابن کامل، ثمّ صرف فی ربیع الأوّل سنة تسع و أربعین.

و ولی الأعزّ أبو محمد الحسن بن علی بن سلامة المصریّ ثمّ صرف.

و ولی أبو الفتح عبد الجبار بن إسماعیل بن عبد القویّ، ثمّ صرف.

و أعيد ابن كامل فى ذى الحجة سنة أربع و ستين، فلمّا استولى الملك الناصر صلاح الدين بن أيّوب على القاهرة وزيرا عن العاضد، أزال دولة الرّفض و الشّيعة و صرف ابن كامل.

و ولى صدر الدين عبد الملك بن درياس الكردىّ الشافعى قضاء القضاة بالقاهرة، و ذلك فى سنة ستّ و ستّين [و أربعمائة] ، فأقام إلى أن صرف بعد وفاة صلاح الدين فى ربيع الأول فى سنة تسعين فى أيام العزيز.

و ولى فى سنة خمس و تسعين [و أربعمائة] محيى الدين محمد أبو حامد بن الشيخ شرف الدين عبد اللّه بن هبة اللّه بن أبى عصرون؛ ثمّ صرف فى سنة إحدى و تسعين.

و ولى زين الدين علىّ بن يوسف بن عبد اللّه بن بندار الدمشقى، ثم عزل فى جمادى الأولى من السنة.

و أعيد ابن أبى عصرون، ثمّ عزل فى محرّم سنة اثنتين و تسعين.

و أعيد ابن بندار، ثمّ صرف فى محرّم سنة أربع و تسعين.

و أعيد صدر الدين، ثمّ صرف فى جمادى الأولى سنة خمس و تسعين.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۴۷

و أعيد زين الدين بن بندار؛ و ذلك لمّا انتزع الملك الأفضل علىّ بن السلطان صلاح الدين بن أيّوب مملكة مصر من ابن أخيه المنصور محمد العزيز عثمان ؛ و كتب له الصّاحب ضياء الدين نصر اللّه بن الأثير الجزرى تقليدا، هذه صورته:

رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلى والِدَيَّ، وَ أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَ أَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبادِكَ الصَّالِحِينَ [النمل: ۱۹]. من السّنة أن تفتتح صدور التقليدات بدعاء يعمّ بفضله، و يكون وزانا للنعمة الشاملة من قبله، و خير الأدعية ما أجراه اللّه على لسان نبىّ من أنبيائه أو رسول من رسله، و كذلك جعلنا من هذا التقليد الذى أمضى اللّه قلمنا فى كتابه، و صرف أمرنا فى اختيار أربابه، ثمّ صلّينا على رسوله محمد الصادع بخطابه، الساطع بشهابه، الذى جعلت الملائكة من أحزابه، و ضرب له المثل بقاب قوسين فى اقترابه؛ و على آله و صحبه الّذين منهم من خلفه فى محرابه، و منهم من كملت به عدّة الأربعين من أصحابه، و منهم من جعل أثواب الحياء من أثوابه، و منهم من بشّر أنّه من أحباب اللّه و أحبّائه، أمّا بعد:

فإنّ منصب القضاء فى المناصب بمنزلة المصباح الّذى به يستضاء، أو بمنزلة العين التى عليها تعتمد الأعضاء؛ و هو خير ما رقّمت به الدول مسطور كتابها، و أجزلت به مذخور ثوابها، و جعلته بعد الأعقاب كلمة باقية فى أعقابها. و قد جعله اللّه ثانى النبوّة حكما، و وارثها علما؛ و القائم بتنفيذ شرعها ما دام الإسلام يسمّى، لا يستصلح له إلّا الواحد الذى يعدّ محفلا فى محفله، و إذ جاءت الدنيا بأسرها خفّت على أنمله، و قد أجلنا النظر مجتهدين، و عوّلنا على توفيق اللّه معتضدين، و قدّمنا قبل ذلك صلاة الاستخارة و هى سنّة متبوعة، و بركة فى الأعمال موضوعة؛ لا جرم أنّا أرشدنا فى أثرها إلى من صرّح الرشد فيه بآثاره، و قال الناس هذا هو الّذى جاء على فترة من وجود انتظاره؛ و هو أنت أيّها القاضى فلان، مهّد اللّه لجنبك، و جعل التوفيق من صحبك، و أنزل الحكمة على يدك و لسانك و قلبك؛ و قد قلّدناك هذا المنصب بمدينة مصر و أعمالها، و هى مصر من الأمصار تجمع وجوها و أعيانا، و قد رسم بأنّه كرسىّ مملكته عزّا و تبيانا و عظمت سلطانا، و لما قلّدناك هو علمنا أنه سيعود و هو بك غضّ طرىّ، و إنّ ولايته نيطت منك بكفء فهى بك حرّية و أنت بها حرىّ، ممن طلبها و من النّاس فإنّها لم تكن عندك مطلوبة، و من انتسب فى وجاهته إليها فليست وجاهتك إليها منسوبة، و ما أردت بها شيئا سوى تحمّل الأثقال، و بيع الراحة بالتعب فى الأشغال؛ و تعريض النّفس

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۴۸

لمضاضة الضيم و الحيف، و الوقوف على الصّراط الّذى هو أدقّ من الشعرة و أحدّ من السيف؛ و لكنك فى خلال ذلك تشترى الجنّة بساعة من ساعاتك، و إذا رعيت مقام ربّك فقد أرصدته لمراعاتك؛ و ليس فى الأعمال الصالحة أقوم من إحياء حقّ وضع فى لحده، أو ردّ حقّ مطلت الأيام بردّه.

فاستخر اللّه تعالى، و تولّ ما ولّيناك بعزيمة لأنّك بها شامة، و لا تأخذها فى اللّه ملامة. و هذا زمان قد تلاشت فيه العلوم، و عفت رسوم الشريعة حتّى صارت كالرّسوم، و مشت الأمّية المطيطى و خلفها ابنا فارس و الروم؛ و إذ نظر إلى دين اللّه وجد و قد خلط أمره خلطا، و تخطّى رقاب النّاس من هو جدير بأن يتخطّى، و آذنت الساعة بالاقتراب حتّى كاد أن يستوى ما بين السبابة و الوسطى؛ و المتصدّى لحفظه يعدّ ثقله بثقلين، و فضله بفضلين، و يؤتيه اللّه من رحمته كفلين، و حقّ له أن يتقدّم على السلف الصالح الّذى كان كثيرا رشده، حسنا هديه و قصده، و كان قريبا برسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم؛ فإنّ أولئك لم يؤتوا من جهالة، و لا حرموا من مقالة، و لا حدث فى زمانهم بدعة و كلّ بدعة ضلالة، و نحن نرجو أن يكون ذلك الرّجل الذى وزن بالنّاس فرجح وزنه، و سبق القرون الأول و إن تأخّر قرنه. و لقد ألبسنا اللّه بك لباسا يبقى جديدا، و يسّرنا للعمل الذى يكون محضرا، لا للعمل الذ نودّ لو أنّ بيننا و بينه أمدا بعيدا. و إيّاك ثمّ إيّاك أن تقف معنا موقف الاعتذار، و ما نخشى عليك إلا الشيطان الناقل للطباع فى تقاليب الأطوار، و لطالما أقام عابدا من مصلّاه، و غرّه بامتساك حبله و دلّاه، و لمكانتك عندنا أضربنا عن وصيّتك صفحا، و توسّمنا أن صدرك قد شرحه اللّه فلم نزده شرحا؛ و الذى تضمّنه تقليد غيرك من الوصايا لم يسفر إلا عن نقاب خطأ الأقلام، و قصر أقوالها عن المماثلة من مراتب أولى التعليم و بين العلماء الأعلام، و لا يفتقر إلى ذلك إلّا من ثقل منصب القضاء على كاهله، و قضى جهله بتحريمه عليه، و فرق بين عالم أمر و جاهله.

و أمّا أنت فإنّ علم القضاء بعض مناقبك، و هو من أوانسك لا من غرائبك؛ لكن عندنا أربع من الوصايا لا بدّ من الوقوف فيها على سنن التوقيف، و إبرازها إلى الأسماع فى لباس التحذير و التخويف: فالأولى منهنّ، و هى المهمّ الذى زاغت عنه الأبصار، و هلك من هلك فيه من الأبرار، و لربما سمعت هذا القول فظننته ممّا تجوّز فى مثله القائلون، و ليس كذلك بل هو نبأ عظيم أنتم غافلون، و سنقصّه عليك كما فوّضناه إليك؛ و ذلك هو التسوية فى الحكم ين أقوالك و أفعالك، و الأخذ من صديقك لعدوّك و من يمينك لشمالك. و قد علمت أنّه لم تخل دولة من الدولة من قوم يعرفون بطيش

الحلوم، و يغترّون بقرب السلطان و هو ظلّ عليهم لا يدوم، و إذا دعوا لمجلس الحكم حملهم البطر و الأشر على الامتناع من مساواة الخصوم، و لا يفرق بين هؤلاء و بين ضعيف لا يرفع يدا و لا طرفا، و لا يملك عدلا و لا صرفا؛ و نحن نبرأ من مخالفة الدرجات فى حكم العزيز الحكيم، و لعن اللّه اليهود الّذين نسخوا آية الرّجم بما أحدثوه من التجبية و التحميم، و قد بسطنا يدك بسطا ليس له انقباض، و لا عليه اعتراض؛ و أنت القاضى الذى لا يكون اسمك منقوصا فيقال فيه إنّك قاض. و إذا استقللت بهذه الوصيّة، فانظر فيما يليها من أمر الوكلاء القائمين بمجلس الحكم الذين لا تردّ أحدا منهم إلا خليّا لويّا، أو خادعا خلويّا، و إذا اعتبرت أحوالهم وجدوا عذابا على الناس مصبوبا و لا يتمّ لهم إلا فى ستر القضايا و نعيمها، و لا ينحون فى شىء منها إلا نحو إمالتها و ترخيمها؛ فأرح الناس من هذه الطائفة العروفة بنصب الحبالة ، التى تأكل الرّشى و تخرجها فى مخرج الجعالة، و طهّر منها مجلسك الذى ليس بمجلس ظلم و زور و إنما هو مجلس عدل و عدالة؛ و من العدل أن يخلّى بين الخصوم حتى يكافح بعضهم بعضا، و المهل فى مثل هذا المقام لرعى الرعاية لما يقضى؛ و إن كان أحدهم ألحن بحجّته فكله إلى عالم الأسرار، و إذا حكمت له بشىء من حقّ أخيه فلا تبال أن تقطع له قطعة من النار.

و كذلك فانظر فى الوصيّة المختصّة بالشهداء؛ فإنهم قد تكاثرت أعدادهم و أهمل انتقادهم و صار منصب الشهادة يسأله و سؤاله من الحرام لا من الحلال، و أصبح و هو يورث عن الآباء و الأولاد و الوراثة تكون فى الأموال، و الشاهد دليل يمشى القضاء على منهاجه، و يستقيم باستقامته و يعوّج باعوجاجه؛ فانف كلّ من شانتك منه شائنة، أو رابتك منه رائبة، و عليك منهم بمن تخلّق بخلق الحياء و الورع، و أخذ بالقول الّذى على مثلها فاشهد أو فدع.

و أمّا الوصيّة الرابعة فإنّها مقصورة على كاتب الحكم الّذى إليه الإيراد و الإصدار، و هو المهيمن على النقض و الإمرار؛ و ينبغى أن

یکون عارفا بالحلی و الوسوم و الحدود و الرّسوم، و أن یکون فقیها فی البیوع و المعاملات، و الدعاوی و البیّنات؛ و من أدنی صفاته أن یکون قلمه سائحا، و خطّه واضحا؛ و إذا استکمل ذلک فلا یستصلح حتّی یکون العفاف شعاره، و الأمانة عیاره، و الحفظ و العلم سوره و سواره، و هذا الرّجل إن خلوت به فامض یده فیما یقول و یفعل، و استتمّ إلیه استتامة الواثق الذی لا یخجل؛ و اللّه یختار لنا ذلک فیما بیّناه من المراشد، و یجعل أقوالنا ثمارا یانعة إذا کانت الأقوال من الحصائد.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۵۰

و بعد أن بوّأناک هذه المکانة، و حمّلناک هذه الأمانة، فقد رأینا أن نجمع لک من تنفیذ الأحکام و حفظ أصولها، و ألّا نخلیک من النّظر فی دلیلها و مدلولها؛ فإنّ الترک یوحش العلوم من معهود أماکنها، و یذهب بها من تحت أقفال خزائنها، و منصب التّدریس کمنصب القضاء أخ یشدّ من عضده، و یکثر من عدده؛ فتولّ المدرسة الفلانیّة عالما أنّک قد جمعت بین سیفین فی قراب، و سلکت بابین إلی تحصیل الثواب، و رکبت أعزّ مکان و هو تنفیذ الحکم و جالست خیر جلیس و هو الکتاب.

و نحن نوصیک بطلبة العلم وصیّتین؛ إحداهما أعظم من الأخری؛ و کلتاهما ینبغی أن تصرف إلیهما من اهتمامک شطرا؛ فالأولی أن تتخوّلهم فی أوقات الاشتغال، و تکون لهم کالرّائض الذی لا یبسط لهم بساط الراحة و لا یکلّفهم مشقّة الکلال. و الثّانیة أن تدرّ علیهم أرزاقهم إدرار المسامح، و تنزلهم فیها علی قدر الأفهام و القرائح؛ و عند ذلک لا تعد منهم منبعا فی کلّ حین، و یسرّک فی حالتیه من دنیا و دین؛ و اللّه یتولّاک فیما تنویه صالحة، و یوفّقک للعمل بها لا لأن یکون فی قلبک سانحة. و قد فرضنا لک فی بیت المال قسما طیّبا مکسبه، هنیئا مأکله و مشربه؛ لا تعاقب غدا علی کثیره، و إن حوسبت علی فتیله و نقیره . و المفروض فی هذا المال ینبغی أن یکون علی قدر الکفاف لا علی نسبة الأقدار، و ربّ متخوّض فیما شان نفسه من مال اللّه و مال رسوله لیس له فی الآخرة إلّا النار؛ و الدنیا حلوة خضرة تلعب بذوی الألباب، و علاقاتها بتجدّد الأیام فلا تنتهی الآراب منها إلّا إلی آراب. و من أراد اللّه به خیرا لم یسلک إلیها، و إن سلک کان کمن استظلّ بظلّ شجرة ثمّ راح و ترکها، و نحن نخلص الضراعة و المسألة فی السّلامة من تبعاتها، و أن نوفّق لرعی ولایة العدل و الإحسان إذ جعلنا من رعاتها.

و هذا التّقلید ینبغی أن یقرأ فی المسجد الجامع بعد أن یجمع له النّاس علی اختلاف المراتب، ما بین الأباعد و الأقارب، و العراقیب و الذوائب ، و الأشائب و غیر الأشائب؛ و لتکن قراءته بلسان الخطیب و علی منبره، و لیقل: هذا یوم رسم بجمیل صیته و اعتضاض محضره؛ ثمّ بعد ذلک فأنت مأخوذ بتصفّح مطلوبه علی الأیّام، و إثباته فی قلبک بالعلم الذی لا یمحی سطره إذا محیت سطور الأقلام.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۵۱

و اعلم أنّا غدا و إیّاک بین یدی الحکم العدل الّذی تکفّ لدیه الألسنة عن خطابها، و تستنطق الجوارح بالشهادة علی أربابها، و لا ینجو منه حینئذ إلا من أتی بقلب سلیم؛ و أشفق من قول نبیه: «لا تأمّرنّ علی اثنین و لا تولّین مال یتیم».

و اللّه یأخذ بناصیة کلّ منّا إلیه، و یخرجه من هذه الدّنیا کفافا لا له و لا علیه، و السلام.

فولی عماد الدین بن عبد الرحمن بن عبد العلی بن السکریّ- مصنف الحواشی علی الوسیط- ثمّ صرف فی المحرم سنة ثلاث عشرة، لأنّه طلب منه قرض شیء من مال الأیتام فامتنع.

قال القاضی تاج الدین السبکی فی الطبقات الکبری؛ و بلغنی أنّه کان فی زمانه رجل صالح یقال له الشیخ عبد الرحمن النویریّ، و کان کثیر المکاشفات و الحکم بها، و کان القاضی عماد الدین ینکر علیه؛ فبلغ القاضی أنّه أکثر الحکم بالمکاشفات، فعزله، فقال النویریّ: عزلته و ذرّیته. فکان کما قال.

و بلغنی عن الظّهیر التّزمنتیّ شیخ ابن الرفعة، قال: زرت قبر القاضی عماد الدین بعد موته بأیّام، فوجدت عنده فقیرا، فقال لی: یا فقیه، یحشر العلماء و علی رأس کلّ واحد منهم لواء، و هذا القاضی عماد الدین منهم؛ و طلبته فلم أره.

و ولی بعده شرف الدین محمد بن عبد اللّه الإسکندرانیّ المعروف بابن عین الدّولة قضاء القضاة بالقاهرة و الوجه البحری، و تاج

الدين عبد السلام بن الخرّاط مصر و الوجه القبلى، ثمّ صرف ابن الخرّاط فى شعبان سنة سبع عشرة و ستّمائة، و جمع العملان لابن عين الدولة.

ثم صرف ابن عين الدولة عن مصر و الوجه القبلى بالقاضى بدر الدين يوسف ابن الحسن السّنجارىّ فى ربيع الآخر سنة تسع و ثلاثين و بقى قاضيا بالقاهرة و الوجه البحرىّ فقط.

و فى زمنه اتّفقت الحكاية التى اتفقت فى زمان الإمام محمد بن جرير الطبرىّ؛ و هو أنّ امرأة كادت زوجها، فقالت: إن كنت تحبّنى فاحلف بطلاقى ثلاثا: مهما قلت لك تقول مثله فى ذا المجلس؛ فحلف، فقالت له: أنت طالق ثلاثا، قل كما قلت لك.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۵۲

فأمسك، و ترافعا إلى ابن عين الدولة، فقال: خذ بعقصتها و قل: أنت طالق ثلاثا إن طلّقتك.

قال ابن السبكى: و كأنّهما ارتفعا إليه فى المجلس؛ و كان بمصر مغنّية تدعى عجيبة، قد أولع بها الملك الكامل، فكانت تحضر إليه ليلا و تغنّيه بالجنك على الدّفّ فى مجلس بحضرة ابن شيخ الشيوخ و غيره. ثمّ اتّفقت قضيّة شهد فيها الكامل عند ابن عين الدولة، و هو فى دست ملكه، فقال ابن عين الدولة: السلطان يأمر و لا يشهد، فأعاد عليه القول، فلمّا زاد الأمر، و فهم السلطان أنّه لا يقبل شهادته، قال: أنا أشهد، تقبلنى أم لا؟ فقال القاضى: لا ما أقبلك، و كيف أقبلك و عجيبة تطلع إليك بجنكها كلّ ليلة؟! و تنزل ثانى يوم بكرة و هى تتمايل سكرى على أيدى الجوارى، و ينزل ابن الشيخ من عندك! أ يحسن ما نزلت، فقال له السلطان: يا كيواج- و هى كلمة شتم بالفارسية- فقال: ما فى الشرع يا كيواج، اشهدوا علىّ أنى قد عزلت نفسى و نهض. فقام ابن الشيخ إلى الملك الكامل، و قال: المصلحة إعادته لئلا يقال: لأىّ شىء عزل القاضى نفسه؟ و تطير الأخبار إلى بغداد، و يشيع أمر عجيبة! و نهض إلى القاضى، و ترضّاه، و عاد إلى القضاء. و من شعره:

و ليت القضاء و ليت القضاء لم يك شيئا تولّيته

و قد ساقنى للقضاء القضاء و ما كنت قدما تمنّيته

و أقام إلى أن توفّى فى ذى القعدة سنة تسع و ثلاثين و ستّمائة.

فولى بعده قضاء القاهرة بدر الدين يوسف السّنجارىّ.

و ولى الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام قضاء مصر و الوجه القبلى، و كان قدم فى هذه السنة من دمشق بسبب أنّ سلطانها الصالح إسماعيل استعان بالفرنج و أعطاهم مدينة صيدا و قلعة الشقيف. فأنكر عليه الشيخ عزّ الدين، و ترك الدّعاء له فى الخطبة، و ساعده فى ذلك الشّيخ جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب المالكىّ، فغضب السلطان منهما، فخرجا إلى الديار المصرية فأرسل السلطان إلى الشيخ عزّ الدين؛ و هو فى الطريق قاصدا يتلطّف به فى العود إلى دمشق، فاجتمع به و لاينه، و قال له: ما نريد منك شيئا إلّا أن تنكسر للسلطان، و تقبّل يده لا غير. فقال الشيخ له: يا مسكين، ما أرضاه يقبّل يدى فضلا عن أن أقبّل يده! يا قوم، أنتم فى واد و أنا فى واد! و الحمد للّه الّذى عافانا ممّا

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۵۳

ابتلاكم. فلمّا وصل إلى مصر، فاتّفق أن أستاداره فخر الدين عثمان بن شيخ الشيوخ- و هو الذى كان إليه أمر المملكة- عمد إلى مسجد بمصر، فعمل على ظهره بناء طبلخاناه، و بقيت تضرب هناك، فلمّا ثبت هذا عند الشيخ عزّ الدين حكم بهدم ذلك البناء، و أسقط فخر الدين، و عزل نفسه من القضاء، و لم تسقط بذلك منزلة الشّيخ عند السلطان، و ظنّ فخر الدّين و غيره أنّ هذا الحكم لا يتأثّر به فى الخارج، فاتّفق أن جهّز السلطان رسولا من عنده إلى الخليفة المستعصم ببغداد، فلمّا وصل الرسول إلى الديوان، و وقف بين يدى الخليفة، و أدّى الرسالة له، خرج إليه، و سأله: هل سمعت هذه الرسالة من السلطان؟ فقال: لا، و لكن حمّلنيها عن السلطان فخر الدين بن شيخ الشيوخ أستاداره، فقال الخليفة: إن المذكور أسقطه ابن عبد السلام، فنحن لا نقبل روايته. فرجع الرّسول إلى

السلطان حتّی شافهه بالرسالة، ثمّ عاد إلی بغداد، و أدّاها.

و لما تولّی الشیخ عزّ الدین القضاء تصدّی لبیع أمراء الدولة من الأتراک، و ذکر أنّه لم یثبت عنده أنّهم أحرار، و أنّ حکم الرّقّ مستصحب علیهم لبیت مال المسلمین، فبلغهم ذلک، فعظم الخطب عندهم، و اجترم الأمر، و الشیخ مصمّم لا یصحّح لهم بیعا و لا شراء و لا نکاحا، و تعطّلت مصالحهم لذلک؛ و کان من جملتهم نائب السلطنة، فاستثار غضبا، فاجتمعوا و أرسلوا إلیه، فقال: نعقد لکم مجلسا، و ننادی علیکم لبیت مال المسلمین، فرفعوا الأمر إلی السلطان، فبعث إلیه فلم یرجع، فأرسل إلیه نائب السلطنة بالملاطفة فلم یفد فیه، فانزعج النائب، و قال: کیف ینادی علینا هذا الشیخ، و یبیعنا و نحن ملوک الأرض؟! و اللّه لأضربنّه بسیفی هذا، فرکب بنفسه فی جماعته، و جاء إلی بیت الشیخ و السّیف مسلول فی یده، فطرق الباب، فخرج ولد الشیخ، فرأی من نائب السلطنة ما رأی، و شرح له الحال، فما اکترث لذلک، و قال: یا ولدی، أبوک أقلّ من أن یقتل فی سبیل اللّه، ثمّ خرج. فحین وقع بصره علی النائب، یبست ید النائب، و سقط السیف منها، و أرعدت مفاصله، فبکی و سأل الشیخ أن یدعو له، و قال: یا سیّدی إیش تعمل؟ قال: أنادی علیکم و أبیعکم، قال: ففیم تصرف ثمننا؟ قال: فی مصالح المسلمین، قال: من یقبضه؟ قال: أنا.

فتمّ ما أراد و نادی علی الأمراء واحدا واحدا، و غالی فی ثمنهم و لم یبعهم إلّا بالثمن الوافی، و قبضه و صرفه فی وجوه الخیر.

و اتّفق له فی ولایته القضاء عجائب و غرائب، و فیه یقول الأدیب أبو الحسین یحیی ابن عبد العزیز الجزّار:

سار عبد العزیز فی الحکم سیرالم یسره سوی ابن عبد العزیز

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۵۴ عمّنا حکمه بعدل وسیطشامل للوری، و لفظ وجیز

و لما عزل الشیخ نفسه عن القضاء، تلطّف السلطان فی ردّه إلیه، فباشره مدّة، ثمّ عزل نفسه منه مرّة ثانیة، تلطّف مع السلطان فی إمضاء عزله، فأمضاه و أبقی جمیع نوّابه من الحکّام، و کتب لکلّ حاکم تقلیدا، ثمّ ولّاه تدریس مدرسته التی أنشأها بین القصرین.

و ولی بعده أفضل الدین محمد الخونجیّ صاحب المنطق و المعقولات، فأقام إلی أن مات فی رمضان سنة ستّ و أربعین و ستمائة، و رثاه العزّ الإربلیّ بقصیدة أولها:

قضی أفضل الدنیا، نعم و هو فاضلو ماتت بموت الخونجیّ الفضائل

و کان یخلفه علی الأحکام الجمال یحیی، فلم یزل إلی أن تولّی القاضی عماد الدین القاسم بن إبراهیم بن هبة اللّه الحمویّ، فبقی إلی أن صرف فی جمادی الأولی سنة ثمان و أربعین.

و تولّی القاهرة و صرف عنها القاضی بدر الدین، و رتّب قاضیا بمصر و الوجه القبلی صدر الدین موهوب بن عمر الجزریّ، و کان نائبا عن الشیخ عزّ الدین ثمّ صرف.

و أعید القاضی عماد الدین الحمویّ بمصر، و رتّب بالقاهرة بدر الدین السنجاریّ، و ذلک فی رجب سنة ثمان و أربعین، ثمّ بعد ذلک بأیام یسیرة أضیف له مصر أیضا، و ذلک فی شوّال من السنة. ثمّ صرف عنه القضاء بمصر، و کان یخلفه أخوه برهان الدین و ذلک فی رمضان سنة أربع و خمسین.

و رتّب فیه تاج الدین عبد الوهاب بن بنت الأعزّ، ثمّ صرف السنجاریّ عن القاهرة أیضا، و أضیف لابن بنت الأعزّ إلی أن توفّی الملک المعزّ.

فرتّب فی القاهرة البدر السنجاریّ فی ربیع الآخر سنة خمس و خمسین، و بقی مع ابن بنت الأعزّ مصر خاصّة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۵۵

ثمّ أضیف قضاء مصر أیضا إلی السنجاریّ فی رجب من السنة، فأقام إلی جمادی الأولی سنة تسع و خمسین، فعزل.

و أعید تاج الدین بن بنت الأعزّ لقضاء مصر و القاهرة معا، ثمّ فی شوّال سنة إحدی و ستّین عزل ابن بنت الأعزّ عن قضاء مصر وحدها.

و ولیه برهان الدین الخضر بن الحسن السنجاریّ، و بقی مع ابن بنت الأعزّ قضاء القاهرة، فلم یزل إلی رمضان سنة اثنتین و ستّین.

فصرف قضاء مصر عن السنجاريّ، و أضيف إلى ابن بنت الأعزّ، فلم يزل على هذه الولاية إلى أن مات يوم الأحد سابع عشر رجب سنة خمس و ستّين.

قال ابن السبكى فى الطبقات الكبرى: و فى ولايته هذه جدّد الملك الظاهر بيبرس القضاة الثلاثة من كلّ مذهب: قاض فى القاهرة، ثمّ فى دمشق. و كان سبب ذلك أنه سأل القاضى تاج الدين فى أمر، فامتنع من الدّخول فيه، فقيل له: مر نائبك الحنفىّ، و كان القاضى هو الشافعىّ يستنيب من شاء من المذاهب الثلاثة، فامتنع من ذلك، فجرى ما جرى، و كان الأمر متمحّضا للشافعيّة، فلا يعرف أنّ غيرهم حكم فى الديار المصرية منذ وليها أبو زرعة محمد بن عثمان الدمشقىّ فى سنة أربع و ثمانين إلى أن مات الظاهر، إلا أن يكون نائب بعض قضاة الشافعية فى جزئية خاصة، و كذا دمشق لم يلها بعد أبى زرعة المشار إليه إلّا شافعىّ.

قال ابن ميسّر فى تاريخ مصر: فى سنة خمس و عشرين و خمسمائة رتّب أبو أحمد ابن الأفضل فى الحكم أربع قضاة، يحكم كلّ قاض بمذهبه، و يورّث بمذهبه، فكان قاضى الشافعيّة سلطان بن رشا، و قاضى المالكية أبا محمد عبد المولى بن اللبنى، و قاضى الإسماعيليّة أبا الفضل بن الأزرق، و قاضى الإماميّة ابن أبى كامل، و لم يسمع بمثل هذا.

و قال ابن ميسّر: و قد تجدّد فى عصرنا هذا الذى نحن فيه أربع قضاة على الأربعة مذاهب. انتهى.

قال ابن السبكى: و قال أهل التجربة: إنّ هذه الأقاليم المصرية و الشاميّة و الحجازية، متى كانت البلد فيها لغير الشافعية خربت، و متى قدّم سلطانها غير أصحاب الشافعىّ زالت دولته سريعا. قال: و كأن هذا السرّ جعله اللّه فى هذه البلاد، كما جعله اللّه لمالك فى بلاد المغرب، و لأبى حنيفة فيما وراء النهر.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۵۶

قال: و سمعت الشيخ الإمام الوالد يقول: سمعت الشيخ صدر الدين بن المرحّل يقول: ما جلس على كرسى مصر غير شافعىّ إلا و قتل سريعا، قال: و هذا الأمر يظهر بالتجربة، فلا يعرف غير شافعى إلا قطز، كان حنفيّا، و مكث يسيرا و قتل، و أمّا الظاهر فقلّد الشافعىّ يوم ولاية السلطنة، ثمّ لما ضمّ القضاء إلى الشافعىّ استثنى للشافعىّ الأوقاف و بيت المال و النوّاب و قضاة البرّ و الأيتام، و جعلهم الأرفعين، ثمّ إنّه ندم على ما فعل. و ذكر أنّه رأى الشافعىّ فى النوم لما ضمّ إلى مذهبه بقيّة المذاهب، و هو يقول:

تهين مذهبى؟! البلاد لى أو لك؟! قد عزلتك، و عزلت ذرّيتك إلى يوم الدين. فلم يمكث إلا يسيرا و مات، و لم يمكث ولده السعيد إلا يسيرا، و زالت دولته، و ذرّيته إلى الآن فقراء. هذا كلام ابن السبكى.

قال: و جاء بعده قلاوون، و كان دونه تمكّنا و معرفة، و مع ذلك مكث الأمر فيه و فى ذرّيته إلى هذا الوقت، و فى ذلك أسرار اللّه لا يدركها إلا خواصّ عباده.

قال: و قد حكى أنّ الظاهر رئى فى النوم، فقيل له: ما فعل اللّه بك؟ قال: عذّبنى عذابا شديدا لجعلى القضاة أربعة، و قال: فرّقت كلمة المسلمين!

و قال أبو شامة: لما بلغهم ضمّ القضاة الثلاثة لم يقع مثل هذا فى ملّة الإسلام قطّ، و كان أحداث القضاة الثلاثة فى سنة ثلاث و ستين و ستمائة؛ و أقام ابن بنت الأعزّ قاضيا إلى أن توفّى سنة خمس و ستّين، و كان شديد التصلّب فى الدين، فكان الأمراء الكبار يشهدون عنده فلا يقبل شهادتهم؛ و كان ذلك أيضا من جملة الحوامل على ضمّ القضاة الثلاثة إليه. و حكى أنّه ركب و توجّه إلى القرافة، و دخل على الفقيه مفضّل، حتّى تولّى عنه الشرقيّة، فقيل له: تروح إلى شخص حتّى تولّيه، فقال: لو لم يفعل لقبّلت رجله حتّى يقبل، فإنّه يسدّ عنّى ثلمة من جهنّم.

قال ابن السبكىّ: و كان يقال إنّ القاضى تاج الدين آخر قضاة العدل؛ و اتّفق الناس على عدله؛ و قد اجتمع له من المناصب الجليلة ما لم يجتمع لغيره؛ فإنّه ولّى خمس عشرة وظيفة: القضاء، و الوزارة، و نظر الأحباس، و تدريس الشافعيّة، و الصالحيّة، و الحسبة، و الخطابة، و مشيخة الشيوخ، و إمامة الجامع.

و ولی بعده مصر و الوجه القبلی محیی الدین عبد اللّه بن القاضی شرف الدین بن عین الدولة، و القاهرة و الوجه البحری تقی الدین محمد بن الحسن بن رزین، ثمّ مات

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۵۷

ابن عین الدولة فی رجب سنة ثمان و سبعین، و عزل ابن رزین فی رجب أیضا سنة ثمان و سبعین لکونه توقّف فی خلع الملک السعید.

و ولی صدر الدین عمر بن القاضی تاج الدین بن بنت الأعزّ، فمشی علی طریقة والده فی التحرّی و الصلابة، ثمّ عزل نفسه فی رمضان سنة تسع و سبعین.

و أعید ابن رزین فأقام إلی أن مات فی رجب سنة ثمانین، و ولی بعده وجیه الدین عبد الوهاب بن الحسین البهنسی قضاء الدیار المصریة، ثم عزل عن القاهرة و الوجه البحری، و استمرّ علی قضاء مصر و الوجه القبلی، إلی أن توفّی سنة خمس و ثمانین .

و ولی القاهرة بعد عزله عنها شهاب الدین بن الخویّی، فأقام إلی أوّل سنة ستّ و ثمانین، فعزل.

و ولی بعده برهان الدین الخضر السنجاریّ، فأقام شهرا، ثمّ توفی.

و ولی بعده تقیّ الدین عبد الرحمن بن القاضی تاج الدین بن بنت الأعزّ، مضافا لما کان معه من قضاء مصر؛ فإنّه ولیه بعد موت البهنسیّ؛ و کان من أحسن القضاة سیرة، و کان ابن السلعوس وزیر الملک الأشرف یکرهه؛ فعمل علیه، و رتّب من شهد علیه بالزّور بأمور عظام، منها أنّهم أحضروا شابّا حسن الصورة، و اعترف علی نفسه بین یدی السلطان بأنّ القاضی لاط به، و أحضروا من شهد بأنه یحمل الزّنّار فی وسطه، فقال القاضی: أیّها السلطان کلّ ما قالوه ممکن؛ لکن حمل الزنّار لا یعتمده النصرانیّ تعظیما و لو أمکنه ترکه لترکه؛ فکیف أحمله؟! ثمّ عزل القاضی، و کان رجلا صالحا لا یشکّ فیه، بریئا من کلّ ما رمی به.

و ولی بدر الدین محمد بن إبراهیم بن جماعة؛ و ذلک فی رمضان سنة تسعین و ستّمائة، فتوجّه القاضی تقیّ الدین إلی الحجاز، و مدح النبی صلی اللّه علیه و سلم بقصیدة، و کشف رأسه، و وقف بین یدی الحجرة الشریفة، و استغاث بالنبی صلی اللّه علیه و سلم، و أقسم علیه ألّا یصل إلی وطنه إلا- و قد عاد إلی منصبه، فلم یصل إلی القاهرة إلّا و الأشرف قد قتل، و کذلک وزیره، فأعید إلی القضاء، و وصل إلیه الخبر بالعود قبل وصوله إلی القاهرة، و ذلک فی أول سنة ثلاث و تسعین؛ فأقام فی القضاء إلی أن مات فی جمادی الأولی سنة خمس و تسعین.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۵۸

و ولی بعده الشیخ تقیّ الدین بن دقیق العید بعد امتناع شدید، حتّی قالوا له: إن لم تفعل ولّوا فلانا أو فلانا- لرجلین لا یصلحان للقضاء- فرأی أنّ القبول واجب علیه حینئذ. ذکره الإسنویّ فی الطبقات. قال ابن السبکیّ: و عزل نفسه غیر مرّة ثمّ یعاد.

قال الإسنویّ: و کانت القضاة یخلع علیهم الحریر، فامتنع الشیخ من لبس الخلعة، و أمر بتغییرها إلی الصوف، فاستمرّت إلی الآن. و حضر مرّة عند السلطان لاجین ، فقام إلیه السلطان، و قبّل یده؛ فلم یزده علی قوله: أرجوها لک بین یدی اللّه. و کان یکتب إلی نوّابه، و یعظهم و یبالغ فی وعظهم، و مع ذلک رآه بعض خیار أصحابه فی المنام و هو فی مسجد، فسأله عن حاله، فقال: أنا معوّق هاهنا بسب نوّابی. هذا مع الاحتراز التامّ و الکرامات الصحیحة الثابتة عنه. فهذا کلّه کلام الإسنویّ.

و من لطائفه ما کتب إلی نائبه بإخمیم: صدرت هذه المکاتبة إلی مجلس مخلص الدّین، وفقه اللّه تعالی لقبول النصیحة، و آتاه لما یقربه إلیه قصدا صحیحا و نیّة صحیحة، أصدرناه إلیه بعد حمد اللّه الّذی یعلم خائنة الأعین و ما تخفی الصدور، و یمهل حتّی لا یلتبس الإمهال بالإهمال علی المغرور؛ و نذکّره بأیّام اللّه وَ إِنَّ یَوْماً عِنْدَ رَبِّکَ کَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ [الحج: ۴۷]، و نحذّره صفقة من باع الآخرة بالدنیا فما أحد سواه مغبون؛ عسی اللّه أن یرشده بهذا التّذکار و ینفعه، و تأخذ هذه النصائح بحجزته عن النار؛ فإنی أخاف أن یتردّی فیخرّ من ولّاه معه. و العیاذ باللّه. و المقتضی لإصدارها ما لمحناه من الغفلة المستحکمة علی القلوب، و من تقاعد الهمم ممّا

یجب للربّ علی المربوب، و من أنسهم بهذه الدّار و هم یزعجون عنها، و علمهم بما بین أیدیهم من عقبة کؤود و هم لا یتخفّفون منها. و لا سیّما القضاة الذی تحمّلوا أعباء الأمانة علی کواهل ضعیفة، و ظهروا بصور کبار و همم نحیفة، و و اللّه إنّ الأمر عظیم، و الخطب جسیم؛ و لا أری مع ذلک أمنا و لا قرارا، و لا راحة و لا استمرارا، اللهمّ إلا رجلا نبذ الآخرة وراه، و اتخذ إلهه هواه، و قصر همّـهٔ و همّته علی حظّ نفسه و دنیاه، فغایة مطلبه حب الجاه. و الرغبة فی قلوب الناس و تحسین الزیّ و الملبس، و الرّکبة و المجلس، غیر مستشعر خساسة حاله و لا رکاکة مقصده، فإنّک لا تسمع الموتی و ما أنت بمسمع من فی القبور.

فاتّق اللّه الّذی یراک حین تقوم، و اقصر أملک علیه فإنّ المحروم من فضله غیر مرحوم، و ما أن و إیّاکم أیّها النفر إلّا کما قال حبیب العجمیّ و قد قال له قائل: لیتنا لم نخلق! قال: قد وقعتم فاحتالوا!

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۵۹

و إن خفی علیک مثل هذا الخطر، و شغلتک الدنیا عن معرفة الوطر، فتأمّل کلام النبوّة: «القضاة ثلاثة قاض فی الجنّة و قاضیان فی النار»، و قول النبی صلی اللّه علیه و سلم لأبی ذرّ مشفقا علیه: «لا تأمّرنّ علی اثنین و لا تولّین مال یتیم»، و ما أنا و السیر فی متلف مبرّح بالذّاکر الضابط، هیهات جفّ القلم، و نفذ حکم اللّه، فلا رادّ لما حکم.

إیه، و من هناک شمّ الناس من فم الصدیق رائحة الکبد المشویّ. و قال الفاروق:

لیت أمّ عمر لم تلده! و قال علیّ و الخزائن مملوءة ذهبا و فضة: من یشتری سیفی هذا و لو وجدت ما أشتری به رداء ما بعته- و قطع الخوف نیاط قلب عمر بن عبد العزیز فمات من خشیة العرض، و علّق بعض السلف سوطا یؤدّب به نفسه إذا فتر. فتری ذلک سدی، أم نحن المقرّبون و هم البعداء! فهذه أحوال لا تؤخذ من کتاب السّلم، و الإجارة و الجنایات، و إنّما تنال بالخضوع و الخشوع، و أن تظمأ و تجوع.

و مما یعینک علی الأمر الذی دعوتک إلیه، و یزوّدک فی السفر المعرض علیه، أن تجعل لک وقتا و تعمره بالتذکّر و التفکّر، و إنابة تجعلها معدّة لجلاء قلبک، فإنّه إن استحکم صداه صعب تلافیه، و أعرض عنه من هو أعلم بما فیه.

فاجعل أکثر همومک الاستعداد لیوم المعاد، و التأهّب لجواب الملک الجواد، فإنّه یقول: فَوَ رَبِّکَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِینَ عَمَّا کانُوا یَعْمَلُونَ [الحجر: ۹۲].

و مهما وجدت من همّتک قصورا، و استشعرت من نفسک عمّا بدا لها نفورا، فاجررها إلیه وقف ببابه و اطلب، فإنّه لا یعرض عمّن صدق، و لا یعزب عن علمه خفایا الضمائر أ لا یَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ [الملک: ۱۴].

فهذه نصیحتی إلیک، و حجّتی بین یدی اللّه إن فرطت إذا سئلت علیک؛ فنسأل اللّه لی و لک قلبا شاکرا، و لسانا ذاکرا، و نفسا مطمئنّة بمنّه و کرمه، و خفیّ لطفه، و السلام.

و استمرّ الشیخ إلی أن توفّی فی صفر سنة اثنتین و سبعمائة.

و أعید بعده القاضی بدر الدین بن جماعة، ثمّ صرف فی ربیع الأول سنة عشر و سبعمائة.

و ولی جمال الدین بن عمر الزّرعیّ، ثمّ صرف.

و أعید ابن جماعة فی ربیع الآخرة سنة إحدی عشرة، فلم یزل إلی أن عمی سنة سبع و عشرین.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۶۰

فولی بعده جلال الدین محمد بن عبد الرحمن القزوینیّ مصنّف التلخیص فی المعانی و البیان، فأقام مدّة ثمّ صرف فی سنة ثمان و ثلاثین.

و ولی بعده عز الدین بن القاضی بدر الدین بن جماعة، فاستمرّ إلی سنة تسع و خمسین، فعزل بواسطة صرغتمش .

و ولی مکانه بهاء الدین بن عبد اللّه بن عقیل مؤلّف شرح الألفیة و شرح التسهیل، فأقام ثمانین یوما و صرف.

و أعيد ابن جماعة، فولى على كره منه، و استمرّ يطلب الإقالة إلى جمادى الأولى سنة ستّ و ستّين، فعزل نفسه، و صمّم على عدم العود، و نزل إليه الأمير الكبير يلبغا إلى داره، و دخل عليه أن يعود فأبى.

فولى مكانه بهاء الدين أبو البقاء محمد بن عبد البرّ السّبكى، فأقام إلى أن عزل فى سنة ثلاث و سبعين.

و ولى بعده برهان الدين إبراهيم بن جماعة، ثمّ عزل نفسه، و ولى بدر الدين محمد بن القاضى بهاء الدين بن عبد البرّ السبكى فى صفر سنة تسع و سبعين.

ثم أعيد البرهان بن جماعة فى سنة إحدى و ثمانين، ثم أعيد البدر بن أبى البقاء فى صفر سنة أربع و ثمانين، ثم ولى ناصر الدين محمد بن الميلق فى شعبان سنة تسع و ثمانين ثمّ عزل.

و ولى صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوىّ فى ذى القعدة سنة إحدى و تسعين.

ثم أعيد بدر الدين بن أبى البقاء فى ذى الحجّة سنة إحدى و تسعين.

ثم ولى عماد الدين أحمد بن عيسى الكرّكىّ فى رجب سنة ثنتين و تسعين، ثم عزل فى ذى الحجّة سنة أربع و تسعين.

و أعيد الصّدر المناوى فى المحرّم سنة خمس و تسعين.

ثمّ أعيد البدر بن أبى البقاء فى ربيع الأوّل سنة ست و تسعين.

ثمّ أعيد المناوى فى شعبان سنة سبع و تسعين.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۶۱

ثم ولى تقى الدين الزّبيرىّ فى جمادى الأولى سنة تسع و تسعين.

ثمّ أعيد المناوى فى رجب سنة إحدى و ثمانمائة.

ثم ولى ناصر الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن الصالحىّ فى شعبان سنة ثلاث.

ثمّ ولى جلال الدين البلقينىّ فى جمادى الأولى سنة أربع فى حياة والده.

ثمّ أعيد الصالحىّ فى شوال سنة خمس، و مات فى المحرّم سنة ستّ.

فولى شمس الدين محمد بن الأخنائىّ.

ثمّ أعيد البلقينىّ فى ربيع الأول من السنة.

ثمّ أعيد الأخنائىّ فى شعبان من السنة.

ثمّ أعيد البلقينى فى ذى الحجة من السنة.

ثمّ أعيد الأخنائىّ فى جمادى الأولى سنة سبع.

ثمّ أعيد البلقينىّ فى ذى القعدة من السنة.

ثمّ أعيد الأخنائىّ فى صفر سنة ثمان.

ثمّ أعيد البلقينى فى ربيع الأوّل من السنة، فأقام إلى محرّم سنة خمس عشرة، فعزله المستعين.

و ولى شهاب الدين الباعونىّ، فأقام شهرا، و عزل.

ثم أعيد البلقينىّ فى صفر سنة خمس عشرة، فأقام إلى جمادى الأولى سنة إحدى و عشرين.

و ولى شمس الدين محمد بن عطاء اللّه الهروىّ، و فى ولايته هذه وجد فى مجلس السلطان ورقة فيها شعر، و هو:

يأيّها الملك المؤيّد دعوةمن مخلص فى حبّه لك ينصح

انظر لحال الشافعيّة نظرةفالقاضيان كلاهما لا يصلح

هذا أقاربه عقارب و ابنهو أخ و صهر، فعلهم مستقبح

غطّوا محاسنه بقبح صنیعهمو متی دعاهم للهدی لا یفلحوا

و أخو هراة بسیرة اللنک اقتدیو له سهام فی الجوانح تجرح

لا درسه یقرا، و لا أحکامه تدری، و لا حین الخطابة یفصح

فأرح هموم المسلمین بثالث فعسی فساد منهم یستصلح

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۶۲

و کان ذلک فی أوّل شعبان، فعرض السلطان الورقة علی الجلساء من الفقهاء الذین یحضرون عنده، فلم یعرفوا کاتبها، و طالت الأبیات. فأمّا الهرویّ فلم ینزعج من ذلک، و أمّا البلقینیّ فقام و قعد، و أطال البحث و التنقیب عن ناظمها، و تقسّمت الظنون؛ فمنهم من اتّهم شعبان الأثاریّ، و منهم من اتّهم تقیّ الدین بن حجّة. قال العینیّ: و بعضهم نسبها لابن حجر؛ قال: و الظّاهر أنّه هو.

ثمّ أعید البلقینیّ فی ربیع الأول سنة اثنتین و عشرین، فأقام إلی أن مات فی شوّال سنة أربع و عشرین .

و ولی الشیخ ولی الدین العراقی، ثمّ عزل فی ذی الحجة سنة خمس و عشرین.

و ولی شیخنا شیخ الإسلام علم الدین صالح بن شیخ الإسلام سراج الدّین البلقینیّ .

ثم تولّی الحافظ ابن حجر فی المحرّم سنة سبع و عشرین.

ثمّ أعید الهرویّ فی ذی القعدة من السّنة.

ثمّ أعید ابن حجر فی رجب سنة ثمان و عشرین.

ثمّ أعید شیخنا البلقینیّ فی صفر سنة ثلاث و ثلاثین.

ثمّ أعید ابن حجر فی جمادی الأولی سنة أربع و ثلاثین.

ثمّ أعید شیخنا البلقینیّ فی شوال سنة أربعین.

ثمّ أعید ابن حجر فی شوّال سنة إحدی و أربعین.

ثمّ ولی شمس الدین القایاتیّ فی المحرّم سنة تسع و أربعین، فأقام إلی أن مات فی المحرّم سنة خمسین.

و أعید ابن حجر.

ثمّ أعید شیخنا البلقینیّ فی أوّل المحرم سنة إحدی و خمسین.

ثمّ ولی ولیّ الدین السّقطی فی نصف ربیع الأول من السنة؛ ثمّ عزل.

و أعید ابن حجر فی ربیع الآخر سنة اثنتین و خمسین، ثمّ عزل نفسه فی آخر جمادی الآخرة من السنة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۶۳

و أعید شیخنا البلقینی فی صفر سنة سبع و خسمین، فأقام إلی شوّال سنة خمس و ستّین، فعزل.

و أعید المناویّ ثمّ أعید البلقینیّ فی شوّال سنة سبع و ستین، فأقام إلی أن مات فی رجب سنة ثمان و ستین.

و أعید المناویّ، ثم عزل فی جمادی الآخرة سنة سبعین.

و ولی صلاح الدین المکینیّ ربیب شیخنا البلقینیّ، ثمّ عزل بعد ستة أشهر.

و ولی بدر الدین أبو السعادات محمد بن تاج الدین بن قاضی القضاة جلال الدین البلقینی فی أوّل سنة إحدی و سبعین، ثم عزل بعد أربعة أشهر.

و ولی ولیّ الدین أحمد بن أحمد الأسیوطیّ فی نصف جمادی الأولی من السنة فأقام خمس عشرة سنة، ثم عزل فی جمادی الآخرة سنة ستّ و ثمانین.

و ولی الشیخ زکریا محمد الأنصاری السبکیّ.

و قد نظم محمد بن دانیال الموصلیّ أرجوزة فیمن ولی قضاء مصر من حین فتحت إلی عهد البدر بن جماعة، فقال:

یقول راجی کرم اللّه العلی‌محمّد بن دانیال الموصلی

من بعد حمد للعلیّ الحاکم‌غامرنا بالجود و المراحم

ثمّ الصلاة بعد ترتیل اسمه‌علی أحمد الهادی أمین حکمه

و آله و صحبه العدول‌شهود حجّة أحمد الرّسول

فإنّنی ضمّنت هذا الشّعرأنباء کلّ من تولّی مصرا

من سائر القضاة و الحکّام‌مذ ملکتها ملّة الإسلام

من لدن ابن العاص أعنی عمرالفتحها إلی هلمّ جرّا

لکنّنی اخترت الکلام الرّاجزافی حصرهم إذ کان لفظا موجزا

***

أوّل من ولی القضاء للحکم‌قیس فتی عدیّ بن سهم

و آل بعده لکعب عبس‌ثمّ لعثمان بغیر لبس

ثم ولی سلیم نجل عترو بعده السّائب نجل عمرو

ثمّ یلیه عابس المرادی‌و بعده ابن النّضر فی البلاد

و آل بعده لعبد الرّحمن‌ثمّ إل مالک نجل خولان

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۶۴ و یونس من بعده ولی القضاثمّ ولی أوس بعزم منتضی

ثمّ تولّی الحکم عبد الرّحمن‌ثمّ ولیه بعد ذاک عمران

و بعده صار لعبد الأعلی‌و ابن حدیج ذی الفخار الأعلی

ثمّ لعبد اللّه ذاک القاضی‌آل و من بعد إلی عیاض

و عاد للقضا بحکم ثانی‌ابن حجیرة الفتی الخولانی

ثمّ إلی عیاض آل ثانیه‌ثمّ لعبد اللّه غیروانیه

و الحضرمیّ ثمّ للخیارثمّ یزید جاء فی الآثار

و آل بعد نوبة و خبرإلی ابن سالم بکلّ خیر

هذا و فی عصر بنی العبّاس‌صار نعیم ثابت الأساس

و عاد غوث بعد ذاک یحکم‌ثم ولی یزید بعد فاعلموا

و عاد غوث قبل إبراهیماو الحضرمیّ بعده مأموما

ثمّ لإسماعیل نجل ألیسع‌ثمّ تلاه الغوث خیر تبع

و بعد هذا حکم المفضّل‌ثمّ أبو طاهر ذاک الأفضل

ثمّ المفضّل الأمین حکماثمّ ابن مسروق و ما إن ظلما

ثمّ ولیها بعده التّجیبی‌و العمریّ أیّما نجیب

و بعده البکری و ابن ألبکاثمّ ابن عیسی و هو أزکی نسکا

و الأسلمیّ حاکم الشریعه‌ثمّ ابن عیسی و اسمه لهیعه

ثمّ لإبراهیم نجل القاری‌ثمّ لإبراهیم ذی الفخار

ثمّ لعیسی آلت الأحکامو بعده زهریها الإمام

ثمّ ولی الأحکام نجل شدّادو بعده الحارث خیر الأجواد

و بعد ما ولی دحیم الأمصارصار لها قاضی القضاة بکّار

هذا و نجل عبدة تولّیثمّ أبو زرعة لما ولّی

ثمّ ابن عبدة تولّی الحکماو کان فیه بالمحلّ الأسمی

ثم ابن حرب و أبو الذّکر حکمقبل الکریزیّ زمانا فی الأمم

و الجوهریّ، و هو نعم القاضیو من به قد وقع التّراضی

و بعده أحمد و ابن أحمداو أحمد ثانیة فیها اغتدی

و صرفوه بابن زبر فقضیمن قبل إسماعیل فیا قد مضی

ثمّ ابن مسلم و نجل حمّادو السّرخسی و الصیرفی بإسناد

و بعد عبد اللّه نجل زبرولی أبو بکر جمیع الأمر

ثمّ ابن زرعة و نجل بدرمن قبل عبد اللّه نجل زبر

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۶۵ ثمّ ابن بدر بعد عبد اللّهأمسی علیها آمرا و ناهی

ثمّ أبو ذکر تولّی و الحسنو بعده الکشیّ فی ذاک الزّمن

و بعد ذاک أخت ولید لم یزلحاکمها و العدل عنه ما عدل

و بعده ولی القضا ابن الحدّادو بعده ابن أخت ولید قد عاد

و بعد ذاک ولد الخطیبولی القضا و ولد الخصیب

و بعده محمد قد حکماثمّ أبو الطاهر فیما علما

الدولة المصریة

و بعد هذا ولد النّعمانو نجله فی ذلک الزّمان

ثمّ ابنه و صنوه الحسینو لم یشنه فی القضاء شین

و بعد ذاک مالک تولّیثمّ أبو العباس فیما یتلی

و قاسم ثمّ أبو الفتح ولیو هو بغیر قاسم لم یعزل

ثمّ ابن وهب جاءها فی الإثرو نالها من قبل نجل ذکری

ثمّ أعید أحمد للحکمثمّ ابن وهب فاستمع لنظمی

ثم ولی الحکم ابن عبد الحاکمثمّ أعید بعده للقاسم

ثمّ لعبد الحاکم الإمامو قاسم وجّه بالأحکام

و بعده ولی القضا نجل أسدو بعده أحمد ذو الحکم الأسدّ

ثم أعید ابن أبی کدینهلمّا ارتضوا سیرته و دینه

ثمّ علیّ بعده المیسّرثمّ الرّصافی الجمیل الذّکر

و بعده ولی القضا ابن وهبو ابن أبی کدینة ذو اللّب

و بعده المیلجی فی المدینهولی القضا و ابن أبی کدینه

ثمّ ولیه بعده البازورو ابن أبی کدنة بغیر زور

و بعده العرقی و القضاعیولی القضا حقّا بلا نزاع

ثمّ جلال الدولة ابن القاسمعاد فأضحی و هو خیر حاکم

و بعده نجل نباتة ولیو ولد الکحال ذو التفضّل

و بعده المولیجی و المکرمثمّ أبو الطاهر ذو التّکرّم

و بعده ولی القضا نجل ذکاو بعده الحسین و هو ذو الذّکا

ثمّ ابن بدر و أبو الفضل قضیمن بعده الصقلیّ و أبو الفضل الرضی

و بعده ابن ظافر تولّیو ابن الحسین ذو المقام الأعلی

ثمّ أبو الفتح و یوسف ولیو کان کلّ ذا محلّ أفضل

ثمّ ولیه ولد المیسّرأعنی سناء الملک ربّ المفخر

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۶۶ ثم أبو الفخر و نجل جعفراثمّ محمّد ولی بلا مرا

و بعد هذا ولی الرّعینیثمّ سنا الملک بغیر مین

و بعده نجل عقیل لم یزلو ابن حسین صار حاکم العمل

و ابن سلامة و نجل المقدسیو کان فیها ذا محلّ أنفس

و ابن مکرّم و نجل عالیثمّ ضیاء الدین ذو الإفضال

ثمّ الأعزّ و أبو الفتح ولیو بعده أعید نجل کامل

و بعد ذاک فی زمان الغزّذوی الفخار و العلا و العزّ

ولیه عبد الملک بن عیسیقبل علی- أعنی الفتی الرئیسا

ثمّ ابن عصرون تولّی الحکماو عاد صدر الدین و هو الأسمی

و السکّری و أبو محمّدقبل ابن عین الدّولة الممجّد

ثمّ تولی یوسف السّنجاریو جاء عزّ الدین فی الآثار

و بعده موهوب- أعنی الجزریّو الخونجی ثم العماد الحمویّ

ثمّ أعید یوسف السّنجاریثمّ تلاه التّاج ذو الفخار

و ولی البرهان أعنی الخضراو عاد تاج الدّین فیما غبرا

ثمّ ولی الأحکام محیی الدّینو ابن رزین ذو الحجی الرّزین

و بعد عزله تولّاه عمرأعنی العلامیّ و بالعدل أمر

ثمّ أعید ابن رزین فحکمو من بعد صدر الدّین عدلا فی الأمم

ثمّ الوجیه البهنسیّ للقضاعیّین بعد ذا التّقیّ إذ قضی

و عندما استعفی لبعد القاهرهعن مصره خصّ بها أوامره

ثمّ الشهاب رفعوا محلّهو أشخصوه من ربی المحلّه

و لم یزل حتّی توفّاه الرّدیو ولی الشام الفتی ابن أحمدا

ثم ولی القاضی التقیّ ابن خلفبعد الوجیه و الشهاب المنصرف

و عزلوه عن قضاء القاهرهثمّ ولیه سیّد السّناجره

ثم ولى التّقى عبد الرحمنو بان بدر الدّين لمّا أن بان

و عاد بدر الدّين للشآمثمّ ولى الحكم الفتى العلامى

و لم يزل حتّى توفّاه القضاثمّ ولى التّقى أبو الفتح القضا

و إذ أتاه نازل الحمامعاد إليها البدر فى التمام

بدر منير كامل الأوصافو المنهل العذب المنير الصافى

لا برحت نافذة أحكامهو خلّدت زاهرة أيّامه

قلت: و قد ذيّلت عليه بمن جاء بعد ذلك، فقلت:

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۶۷ و بعد ذلك قد وليه الزّرعىثمّ أعيد البدر لمّا أن دعى

ثمّ وليه بعده القزوينىو بعده ابن البدر عزّ الدّين

و بعده نجل عقيل قد ولىثمّ أعيد العزّ ذا تبجّل

و بعده ولى أبو البقاءو بعده البرهان ذو ارتقاء

و بعده البدر هو السّبكىّثمّ أتى برهاننا الزكىّ

ثمّ أعيد البدر ذو التحقّقثمّ وليه النّاصر ابن الميلق

ثمّ وليه صدرنا المناوىثمّ أعيد البدر ذو الفتاوى

ثمّ تولّاه العماد الكركىثمّ أعيد الصّدر ذو التمسّك

ثمّ أعيد البدر ثمّ الصّدرثمّ الزّبيرىّ و عاد الصّدر

ثمّ وليه بعد ذاك الصالحىو لم يكن فى علمه بالراجح

ثمّ وليه ولد البلقينىعالم عصره جلال الدّين

ثم أعيد الصالحىّ النائىثمّ ولى محمد الإخنائى

و بعده عاد الجلال للقضاثمة الإخنائىّ و هو من مضى

ثمّ الجلال بعده الباعونىثمّ الجلال باذل الماعون

ثمّ ولى الهروىّ فالجلالىثمّ العراقىّ و هو ذو الكمال

ثمّ وليه العلم البلقينىفحافظ العصر شهاب الدّين

ثم أعيد الهروى ثم استقرّمن بعد عزله شهاب ابن حجر

ثم أعيد شيخنا فابن حجرثم أعيد شيخنا فابن حجر

ثمّ وليه بعده القاياتىثمّ أعيد حافظ السّنات

ثم أعيد شيخنا البلقينىثمّ أتى السّفطى ولىّ الدّين

ثم أعيد بعد ذاك ابن حجرثم أعيد شيخنا ثمّ استقرّ

من بعد ذاك الشرف المناوىو شيخنا من بعد ذو الفتاوى

ثمّ أعيد بعد ذاك الشرفثمّ أعيد شيخنا فالشّرف

ثمّ الصلاح و هو المكينىثمّ ولى البدر هو البلقينى

ثمّ السّيوطى ولىّ الدين ثمّللشيخ أعنى زكريّا الحكم عمّ

ذكر قضاة الحنفية

أوّل من ولی منهم زمن الظاهر بیبرس فی سنة ثلاث و ستّین و ستّمائة صدر الدین سلیمان بن أبی العزّ.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۶۸

و ولی بعده معزّ الدین النعمان بن الحسن، إلی أن مات فی شعبان سنة اثنتین و تسعین [و ستمائة] .

و ولی شمس الدین محمد السّروجیّ ، ثمّ عزل أیّام المنصور لاجین.

و ولی حسام الدین الحسن بن أحمد الرازیّ، ثمّ عزل سنة ثمان و تسعین.

و أعید السّروجی، ثمّ عزل فی ربیع الآخر سنة عشر و سبعمائة.

و ولی شمس الدین محمد بن عثمان الحریریّ، إلی أن مات فی جمادی الآخرة سنة ثمان و عشرین.

و ولی برهان الدین إبراهیم بن عبد الحق، و قال بعض الشعراء فی ذلک:

طوبی لمصر فقد حلّ السرور بهامن بعد ما رمیت دهرا بأحزان

کنانة اللّه قد قام الدّلیل علی‌تفضیلها من نبی حقّ ببرهان

ثمّ عزل فی جمادی الآخرة سنة ثمان و ثلاثین.

و ولی حسام الدین الحسن بن محمد الغوری، ثمّ عزل فی سنة اثنتین و أربعین.

و ولی زین الدین عمر البسطامیّ، ثمّ عزل فی جمادی الأولی سنة ثمان و أربعین.

و ولی علاء الدین الترکمانیّ إلی أن مات فی المحرّم سنة خمسین.

و ولی ولده جمال الدین عبد اللّه إلی أن مات فی شعبان سنة تسع و ستین.

و ولی سراج الدین عمر بن إسحاق الهندیّ إلی أن مات فی رجب سنة ثلاث و سبعین.

و ولی صدر الدین محمد بن جمال الدین التّرکمانیّ، إلی أن مات فی ذی القعدة سنة ستّ و سبعین.

و ولی نجم الدین أحمد بن العماد إسماعیل بن الکشک، طلب من دمشق فی المحرّم سنة سبع و سبعین، ثمّ عزل.

و ولی صدر الدّین علیّ بن أبی العزّ الأذرعیّ، ثمّ استعفی فأعفی.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۶۹

و ولی شرف الدّین أحمد بن منصور الدمشقیّ، ثمّ عزل نفسه فی سنة ثمان و سبعین .

و ولی جلال الدین جار اللّه إلی أن مات فی رجب سنة اثنتین و ثمانین.

و ولی صدر الدّین محمد بن علیّ بن منصور إلی أن مات فی ربیع الأوّل سنة ستّ و ثمانین.

و ولی شمس الدّین محمد بن أحمد الطرابلسیّ، ثمّ عزل نفسه سنة اثنتین و تسعین.

و ولی مجد الدین إسماعیل بن إبراهیم الکنانیّ، ثمّ عزل فی شعبان سنة اثنتین و تسعین. حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة ؛ ج۲ ؛ ص۱۶۹

ولی جمال الدین محمود القیصریّ إلی أن مات فی ربیع الأوّل سنة تسع و تسعین.

و أعید الطرابلسیّ إلی أن مات فی آخر السنة.

و ولی جمال الدین یوسف بن موسی الملطیّ، طلب من حلب فی ربیع الآخر سنة ثمانمائة، فأقام إلی أن مات فی ربیع الآخر سنة ثلاث.

و ولی أمین الدین عبد الوهاب بن قاضی القضاة شمس الدین الطّرابلسیّ، ثمّ عزل فی رجب سنة خمس.

و ولی کمال الدّین عمر بن العدیم إلی أن مات فی جمادی الآخرة سنة إحدی عشرة.

و ولی ابنه ناصر الدین محمد، ثمّ عزل فی رجب من السنة.

و أعید الأمین بن الطرابلسیّ، ثمّ عزل فی المحرّم سنة اثنتی عشرة.

و أعید ناصر الدین بن العدیم، ثمّ عزل فی سنة خمس عشرة.

و ولی صدر الدین علی بن الأدمیّ إلی أن مات فی رمضان سنة ستّ عشرة.

و أعید ابن العدیم إلی أن مات فی ربیع الآخر سنة تسع عشرة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۷۰

و ولی شمس الدین الدّیریّ، طلب من القدس، ثمّ عزل فی ذی القعدة سنة اثنتین و عشرین.

و ولی زین عبد الرحمن بن علی التّفهنیّ، ثمّ عزل فی ربیع الآخر سنة تسع و عشرین.

و ولی بدر الدین العینیّ، ثمّ عزل فی صفر سنة ثلاث و ثلاثین.

و أعید التّفهنیّ، ثمّ عزل فی جمادی الآخرة سنة خمس و ثلاثین.

و أعید العینیّ، ثمّ عزل فی سنة اثنتین و أربعین.

و ولی سعد الدین بن الدیریّ، فأقام إلی أن عزل قبل موته بیسیر فی شوّال سنة ست و ستین .

و ولی محبّ الدین بن الشّحنة، ثمّ عزل فی رجب سنة سبع و ستین.

و ولی بدرّ الدین بن الصوّاف الحمویّ إلی أن مات آخر العام، و أعید ابن الشّحنة، ثمّ عزل فی جمادی الآخرة سنة سبعین.

ولی البرهان بن الدّیریّ، ثمّ عزل.

و أعید ابن الشّحنة فی أول سنة إحدی و سبعین، ثمّ عزل فی سنة ستّ و سبعین.

و ولی شمس الدین محمد بن الحسن الأمشاطیّ، إلی أن مات فی رمضان سنة خمس و ثمانین.

و ولی شرف الدین موسی بن عید، طلب من دمشق، فأقام دون الشّهرین، و مات من واقع وقع علیه من الزّلزلة بالمدرسة الصالحیّة فی المحرّم سنة ستّ و ثمانین.

و ولی شمس الدین محمد بن المغربیّ، ثمّ عزل فی رمضان سنة إحدی و تسعین.

و ولی القاضی ناصر الدین الإخمیمیّ.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۷۱

ذکر قضاة المالکیة

أوّل من ولی منهم زمن الظّاهر شرف الدین عمر بن السّبکیّ، إلی أن مات سنة سبع و ستّین و ستمائة .

و ولی بعده نفیس الدین بن شکر إلی أن مات فی ثمانین و ستّمائة.

و ولی تقیّ الدین بن شاس، إلی أن مات فی ذی الحجة سنة خمس و ثمانین.

و ولی زین الدین بن مخلوف النّویریّ إلی أن مات فی خمس و سبعمائة.

و ولی نور الدّین علیّ بن عبد النّصیر السخاویّ، إلی أن مات فی جمادی الأولی سنة ستّ و خمسین.

و ولی تقیّ الدین محمد بن أحمد بن شاس، إلی أن مات فی شوّال سنة ستّین و سبعمائة.

و ولی تاج الدّین محمد بن القاضی علم الدّین محمد بن أبی بکر بن الأخنائیّ إلی أن مات فی أوّل سنة ثلاث و ستّین.

و ولی أخوه برهان الدین إبراهیم ، إلی أن مات فی رجب سنة سبع و سبعین.

و ولی ابن أخیه بدر الدین عبد الوهاب بن الکمال أحمد، ثم صرف فی ذی القعدة سنة ثمان و سبعین.

و ولى علم الدّين سليمان بن خالد البساطىّ، ثمّ عزل فى صفر سنة تسع و سبعين.

و أعيد البدر الإخنائىّ، ثمّ صرف فى رجب من السنة.

و أعيد البساطىّ فى سنة ثلاث و ثمانين.

و ولى جمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن خير السكندرىّ، و قال بعضهم فى ذلك:

قالوا تولىّ ابن خيرفقيه ثغر الرّباط

فقلت: ذا فيض خيرمن بعد خير البساط

ثمّ عزل فى جمادى الآخرة سنة ستّ و ثمانين.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۷۲

و ولى عبد الرحمن بن خلدون، ثمّ عزل فى جمادى الآخرة سنة سبع و ثمانين.

و أعيد ابن خير إلى أن مات سنة إحدى و تسعين.

و ولى تاج الدين محمد بن يوسف الكركىّ ، إلى أن مات فى شوال سنة ثلاث تسعين.

و ولى شهب الدين النّحريرىّ، ثمّ عزل فى ذى الحجّة من السنة.

و ولى ناصر الدين أحمد بن محمد التّنسى، إلى أن مات فى رمضان سنة إحدى و ثمانمائة.

و ولى وليّ الدين بن خلدون، ثمّ عزل فى المحرّم سنة ثلاث.

و ولى نور الدّين على بن الخلّال إلى أن مات من عامه.

و ولى جمال الدّين عبد اللّه الأقفهسىّ، ثمّ عزل بعد شهر.

و أعيد ابن خلدون، ثمّ عزل فى شعبان سنة أربع.

و ولى جمال الدين يوسف البساطىّ، ثمّ صرف فى ذى الحجّة من السنة.

و أعيد ابن خلدون، ثمّ صرف فى ربيع الأول سنة ستّ.

و أعيد البساطىّ، ثمّ صرف فى رجب سنة سبع.

و أعيد ابن خلدون، ثمّ صرف فى ذى القعدة من عامه.

و أعيد الجمال الأقفهسىّ.

ثمّ ولى جمال الدين عبد اللّه بن القاضى ناصر الدين التّنسىّ فى مستهلّ ربيع الأول سنة ثمان، ثم عزل بعد يومين.

و أعيد البساطىّ، ثم صرف فى رمضان من عامه.

و أعيد ابن خلدون، ثم لم يلبث أن مات .

و أعيد جمال الدين التنسىّ، ثمّ صرف فى سادس عشر شوال.

و أعيد البساطىّ، ثمّ صرف فى شوّال سنة اثنتى عشرة.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۷۳

و ولى شمس الدين محمد بن على المدنىّ، ثمّ صرف فى ربيع الآخر سنة ستّ عشرة.

و ولى شهاب الدين الأموىّ، ثم أعيد الجمال الأقفهسىّ إلى أن مات فى جمادى الأولى سنة ثلاث و عشرين.

و ولى العلامة شمس الدين البساطىّ ، فأقام إلى أن مات فى رمضان سنة اثنتين و أربعين.

و ولى بدر الدين بن القاضى ناصر الدين التّنسىّ إلى أن مات فى صفر سنة ثلاث و خمسين.

و ولى وليّ الدين السنباطىّ، إلى أن مات فى رجب سنة إحدى و ستّين.

و ولی حسام الدین بن جریر إلی أن مات سنة ثلاث و سبعین.

و ولی أخوه سراج الدّین ثمّ عزل، و ولی البرهان اللّقانیّ، ثمّ عزل فی جمادی سنة ستّ ثمانین.

و ولی صاحبنا محیی الدین بن تقیّ.

ذکر قضاة الحنابلة

أوّل من ولی منهم زمن الظاهر شمس الدین محمد بن العماد الجمّاعیلیّ، ثمّ عزل سنة سبعین و ستمائة، و لم یل الوظیفة بعد عزله أحد حتّی توفّی سنة ست و سبعین.

و ولی عزّ الدین عمر بن عبد اللّه بن عوض فی جمادی الآخرة سنة ثمان و سبعین، إلی أن مات فی سنة ستّ و تسعین.

و ولی شرف الدین عبد الغنیّ بن یحیی الحرّانی، إلی أن مات فی ربیع الأول سنة تسع و سبعمائة.

و ولی الحافظ سعد الدین الحارثیّ، ثمّ عزل فی ربیع الأول سنة اثنتی عشرة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۷۴

و ولی تقیّ الدین بن قاضی القضاة عزّ الدین عمر، ثمّ عزل.

و ولی موفّق الدین عبد اللّه بن محمد المقدسیّ فی جمادی الآخرة سنة ثمان و ثلاثین، إلی أن مات فی المحرّم سنة تسع و ستّین.

و ولی ناصر الدین نصر اللّه بن أحمد العسقلانیّ، إلی أن مات فی شعبان سنة خمس و تسعین.

و ولی ابنه برهان الدین إبراهیم، إلی أن مات فی ربیع الأول سنة اثنتین و ثمانمائة.

و ولی أخوه موفّق الدین أحمد بن نصر اللّه، ثمّ صرف.

و ولی نور الدین علی الحکریّ، ثمّ صرف.

و أعید موفّق الدین إلی أن مات فی رمضان سنة ثلاث و ثمانمائة.

و ولی مجد الدین سالم ثمّ صرف فی سنة ثمانی عشرة .

و ولی علاء الدین علی بن مغلی، إلی أن مات فی صفر سنة ثمان و عشرین.

و ولی محبّ الدین أحمد بن نصر اللّه البغدادیّ، ثمّ صرف فی جمادی الآخرة سنة تسع و عشرین.

و ولی عزّ الدین عبد العزیز بن علی البغدادیّ، ثمّ صرف فی سنة إحدی و ثلاثین .

و أعید محبّ الدین إلی أن مات فی جمادی الأولی سنة أربع و أربعین.

و ولی بدر الدّین محمد بن عبد المنعم البغدادیّ، إلی أن مات فی جمادی الأولی سنة سبع و خمسین.

و ولی شیخنا عزّ الدین أحمد بن قاضی القضاة برهان الدین بن قاضی القضاة نصر اللّه إلی أن مات فی سنة ستّ و سبعین .

و ولی تلمیذه البدر السعدیّ.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۷۵

ذکر وزراء مصر

اعلم أنّ الوزارة وظیفة قدیمة کانت للملوک من قبل الإسلام؛ بل من قبل الطوفان، و کانت للأنبیاء؛ فما من نبیّ إلّا و له وزیر، قال تعالی حکایة عن موسی علیه السّلام: وَ اجْعَلْ لِی وَزِیراً مِنْ أَهْلِی* هارُونَ أَخِی* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِی* وَ أَشْرِکْهُ فِی أَمْرِی [طه: ۲۹- ۳۲]، و قال تعالی مخاطبا له: سَنَشُدُّ عَضُدَکَ بِأَخِیکَ وَ نَجْعَلُ لَکُما سُلْطاناً [القصص: ۳۵].

و کان للنبیّ صلی اللّه علیه و سلم أربعة وزراء؛ روی البزّار و الطّبرانیّ فی الکبیر عن ابن عباس، قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و

سلم: «إنّ اللّه أيّدنى بأربعة وزراء اثنين من أهل السماء: جبريل و ميكائيل، و اثنين من أهل الأرض: أبى بكر و عمر».

و قد وردت الأحاديث فى وزراء الملوك، روى أبو داود عن عائشة، قالت: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «إذا أراد اللّه بالأمير خيرا جعل له وزير صدق؛ إن نسى ذكّره، و إن ذكر أعانه، و إذا أراد اللّه به غير ذلك جعل له وزير سوء؛ إنّ نسى لم يذكّره، و إن ذكر لم يعنه».

و لم تكن الوزارة فى صدر الإسلام إلا- للخلفاء دون أمراء البلاد، فكان وزير أبى بكر الصديق عمر بن الخطاب، و وزير عمر و وزير عثمان مروان بن الحكم؛ ذكره ابن كثير فى تاريخه.

و وزير عبد الملك روح بن زنباع، و وزير سليمان بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز.

قال ابن كثير: و كان رجاء بن حيوة وزير صدق لخلفاء بنى أميّة. و وزير هشام بن عبد الملك فمن بعده عبد الحميد بن يحيى؛ غير أنّه لم يكن أحد فى عهدهم يلقّب بالوزير، و لا يخاطب بوصف الوزارة.

و أوّل من لقّب الوزير فى الإسلام أبو سلمة حفص بن سليمان الخلّال وزير الخليفة السّفّاح، أوّل خلفاء بنى العباس .

و قال ابن فضل اللّه فى المسالك: لم تكن للوزارة رتبة تعرف مدة بنى أميّة و صدرا من دولة السّفّاح، بل كان كلّ من أعان الخلفاء على أمرهم، يقال له: فلان وزير فلان؛

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۷۶

بمعنى أنّه مؤازر له، لا أنّه متولّى رتبة خاصّة يجرى لها قوانين، و تنتظم بها دواوين.

و أوّل من فخّم قواعد الملك فى هذه الأمّة، و عظّم عوائد السلطان عبد الملك بن مروان؛ إذ لم يستتبّ الأمر لأحد بعد عثمان بن عفّان كما استتبّ له، و كان منه إلى معاوية خبط عشواء، و أمّا معاوية فعمرو بن العاص، و إن كان له وزرا و رداء، فإنّه أجلّ قدرا و أعظم أمرا من أنّه يجرى معه مجرى الوزراء، إذ كان لا يزال كالممتنّ عليه لانحيازه إلى جمعه مع ما يكنّه له فى شرفه ... و سابقته فى الإسلام.

و أوّل من دعى بالوزير فى دولة السّفاح أبو سلمة حفص سليمان الخلّال؛ و كان يقال له وزير آل محمد؛ ثمّ إنّ أبا مسلم الخراسانىّ بعث إليه من قتله، و فيه قيل هذا البيت:

إنّ الوزير وزير آل محمّدأودى فمن يشناك كان وزيرا

و وزر للسفاح بعده أبو الجهم بن عطيّة، و خالد بن برمك، و سليمان بن مخلد، و الربيع بن يونس.

و وزر للمنصور أبو أيّوب الموريانىّ و عبد الجبار بن عبد الرحمن و الربيع بن يونس، و خالد بن برمك، و سليمان بن مخلد، و عبد الحميد.

و وزر للمهدىّ معاوية بن عبد اللّه الطبرىّ، و يعقوب بن داود بن طهمان، و الفيض بن صالح.

و وزر للهادى الرّبيع بن يونس، و الفضل بن الربيع، و إبراهيم بن ذكوان.

فلمّا استخلف الرّشيد ولّى الوزارة يحيى بن خالد البرمكىّ، و قال له: فوّضت إليك أمر الرعيّة، و خلعت ذلك من عنقى، و جعلته فى عنقك، فولّ من شئت، و اعزل من شئت؛ و قال إبراهيم الموصلى فى ذلك:

أ لم تر أنّ الشمس كانت سقيمةفلمّا ولى هارون أشرف نورها

تبسّمت الدّنيا جمالا بملكه فهارون و اليها و يحيى وزيرها

و من هذا الوقت عظم أمر الوزارة، و لم تكن قبل ذلك بهذه المثابة؛ و هى عن الخلافة فى معنى السلطنة عن الخلافة الآن؛ و كانت البرامكة كلّهم فى معنى الوزراء،

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۷۷

للرشید خالد بن برمک و أولاده یحیی و الفضل و جعفر؛ حتّی قال سلم الخاسر:

إذا ما البرمکی غدا ابن عشرفهمته أمیر أو وزیر

ثمّ لما قتل الرشید البرامکة، استوزر الفضل بن الربیع بن یونس، و فی ذلک یقول أبو نواس:

ما رعی الدّهر آل برمک لمّاأن رمی ملکهم بأمر فظیع

إنّ دهرا لم یرع عهدا لیحییغیر راع ذمام آل الربیع

و وزر للأمین الفضل أیضا.

و وزر للمأمون الفضل بن سهل ذو الرئاستین، و أخوه الحسن بن سهل، و أحمد ابن أبی خالد ، و عمرو بن مسعدة.

و وزر للمعتصم الفضل بن مروان، و أحمد بن عمّار، و محمد بن عبد الملک الزیات.

و وزر للواثق محمّد بن عبد الملک الزیات.

و وزر للمتوکل محمد بن عبد الملک أیضا، و الفتح بن خاقان ، و محمد بن الفضل الخراسانی ، و عبید اللّه بن یحیی بن خاقان.

و وزر للمنتصر أحمد بن الخصیب.

و وزر للمستعین ابن الخصیب، و سعید بن حمید.

و وزر للمعتزّ جعفر الإسکاف و عیسی بن فرّوخ شاه و أحمد بن إسرائیل.

و وزر للمهتدی [عیسی بن فرخانشاه] .

و وزر للمعتد عبید اللّه بن یحیی بن خاقان و الحسن بن مخلد و سلیمان بن وهب و ابنه عبید اللّه بن سلیمان و إسماعیل بن بلبل .

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۷۸

قال محمّد بن عبد الملک الهمدانیّ فی کتاب عنوان السّیر: وزر للمعتضد أبو القاسم عبید اللّه بن سلیمان بن وهب، ثمّ ابنه أبو الحسین القاسم، و هو أوّل وزیر لقّب فی الدولة، فإنّ المعتضد لقّبه ولیّ الدولة، توفّی فی زمن المکتفی، فوزر له أبو أحمد العباس بن الحسن بن أحمد بن أیوب، و هو أول وزیر منع أصحاب الدواوین من الوصول إلی الخلیفة.

و وزر للمقتدر أبو الحسن علیّ بن محمد بن الفرات ثلاث مرات، و أبو علیّ محمد بن الوزیر أبی الحسن عبید اللّه بن خاقان، و أبو الحسن علیّ بن عیسی بن داود ابن الجراح مرّتین. قال الصولیّ: و لا أعلم أنّه وزر لبنی العباس وزیر یشبهه فی زهده و عفّته و تعبّده، کان یصوم نهاره، و یقوم لیله، و کان یسمّی الوزیر الصالح.

و قال الذهبیّ فی العبر: کان فی الوزراء کعمر بن عبد العزیز فی الخلفاء، و أبو محمد حامد بن العباس، و کان له أربعمائة مملوک یحملون السلاح، و لکلّ منهم عدّة ممالیک، و کان یخدمه علی بابه ألف و سبعمائة راجل و عشرون حاجبا، یجری مجری الأمراء.

و أبو العباس أحمد بن عبید اللّه بن الوزیر أبی العباس بن الخصیب، و أبو علی محمد بن أبی العباس بن مقلة صاحب الخطّ المنسوب، و لمّ خلع علیه بالوزارة قال نفطویه النحویّ:

إذا أبصرت فی خلع وزیرافقل أبشر بقاصمة الظّهور

بأیا طوال فی بلاءو أیّام قصار فی سرور

و أبو علیّ الحسین بن الوزیر أبی الحسین القاسم بن الوزیر عبید اللّه، و لقّب عمید الدولة، و أبو القاسم سلیمان بن الوزیر، و أبو محمد الحسن بن مخلد بن الجرّاح و أبو الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات المعروف بابن حنزابة، هؤلاء وزراء المقتدر.

و وزر للقاهر أبو علیّ بن مقلة، و أبو العباس بن الخصیب، و أبو جعفر محمد بن الوزیر القاسم بن الوزیر عبید اللّه .

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۷۹

و وزر للرّاضی أبو علیّ بن مقلة و ابنه علیّ أبو الحسین شریکا مع أبیه؛ فکانت الکتب یکتب علیها: «من أبی علیّ و علیّ بن أبی علیّ».

و لم يل الوزارة أصغر سنّا من علىّ هذا، فإنه ولى و سنّه ثمانى عشرة سنة. و أبو الفتح الفضل بن الفرات، و أبو علىّ عبد الرحمن بن علىّ بن عيسى بن داود بن الجراح، و أبو القاسم سليمان بن الجراح، و أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخىّ و أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن يعقوب البريدىّ. و فى أيّام الراضى تغلّب محمد بن رائق، و ولى إمارة الأمراء، و صارت الكتب تؤرّخ عن ابن رائق، و تقدّم على الوزير، فسقط حكم الوزارة من ذلك الوقت.

و وزر للمقتفى علىّ بن مقلة، و أبو القاسم سليمان بن الجرّاح، و أبو جعفر الكرخىّ و أبو عبد اللّه البريدىّ، و أبو الحسين أحمد بن محمد بن ميمون الأفطس، و أبو إسحاق محمد بن أحمد القراريطىّ الإسكافىّ و أبو العباس أحمد بن عبد اللّه الأصفهانىّ.

و وزر للمستكفى أبو الفرج محمد بن على السريرىّ. قال الهمدانىّ: و صادره توزون على ثلاثين ألف دينار. و انتقلت الوزارة من كتّاب الخلفاء إلى كتّاب الديلم، فلم يخاطب بوزير غيرهم، و كتب أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازىّ للمستكفى، و كتب أبو نصر إبراهيم بن الوزير أبى الحسن علىّ بن على بن عيسى للمطيع، و كتب أبو الحسن علىّ بن جعفر الأصبهانى للطّائع، و بعده أبو القاسم عيسى بن الوزير أبى الحسن علىّ بن عيسى، و بعده أبو الحسن على بن عبد العزيز بن حاجب النعمان، و خوطب برئيس الرؤساء.

و كتب أيضا للقادر، و بعده ابنه أبو الفضل، و بعده أبو طالب محمد بن أيّوب و لقّب عميد الرؤساء.

و كتب أيضا للقائم و بعده رئيس الرؤساء أبو القاسم علىّ بن أبى الفرج الحسن بن مسلمة، و خوطب وزير أمير المؤمنين؛ و هو الذى استدعى الغزّالىّ إلى بغداد، و أزال دولة بنى بويه.

و وزر بعده للقائم أبو الفتح منصور بن أحمد بن ذاوست الشيرازىّ، و هو أوّل من خوطب بالوزير لدار الخلافة فى الدولة السّلجوقية، و وزر بعده فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير الموصلىّ.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۸۰

و وزر أيضا للمقتدى، و بعده ولده عميد الدولة شرف الدين أبو منصور محمد، و عزل بالوزير أبى شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين، ثمّ عزل و أعيد عميد الدولة.

و قال شجاع حين عزل:

تولّاها و ليس له عدوّ فارقها و ليس له صديق

و وزر للمستظهر عميد الدولة، و سديد الملك أبو المعالى الفضل بن عبد الرزاق الأصبهانىّ، و أخو عميد الدولة زعيم الرؤساء أبو القاسم علىّ بن محمد بن جهير، و أبو المعالى هبة اللّه بن محمد بن علىّ بن المطّلب، و نظام الدين أبو منصور الحسين بن أبى شجاع.

و وزر للمسترشد ابنه عضد الدولة أبو شجاع، و سنّه تسع عشرة سنة و ستة أشهر، و لم يل الوزارة أصغر منه، و أبو نصر أحمد بن نظام الملك، و عميد الدولة جلال الدين أبو علىّ الحسن بن صدقة، و شرف الدين صدر الإسلام أنو شروان بن خالد القلسانىّ؛ و هو الذى كلّف الحريرى تصنيف المقامات، و شرف الدين يمين الدلة أبو القاسم علىّ ابن طراد الزينبىّ العباسى؛ قال الهمدانىّ: و لم يل الوزارة عباسىّ سواه، و لقّب معزّ الإسلام عضد الإمام صدر الشرق و الغرب و كذا قال ابن كثير: لا يعرف أحد من العباسيين باشر الوزارة غيره.

و أمّا الراشد فلم يرتّب له وزير مراقبة للعسكرىّ، و كان المتولّى لأمره ناصح الدولة بهاء الدين أبو عبد اللّه الحسين بن جهير أستاذ الدار إذا ذاك، و جلس للمظالم فى بيت التوبة جلوس الوزراء، و وزر له بالمعسكر جلال الدين بن أنوشروان، و ما تمّت وزارته، و وزر له جلال الدين أبو الراضى بن صدقة.

و وزر للمقتفى شرف الدين الزينبىّ، و نظام الدين أبو نصر المظفّر بن الزعيم علىّ بن جهير، و عون الدين أبو المظفر يحيى بن هبيرة، و هو مصنّف كتاب الإفصاح، و كان من خيار الوزراء و علمائهم، و كان يبالغ فى إقامة الدولة العباسيّة و حسم مادة الملوك السلجوقية

عنهم بکلّ ممکن، حتّی استقرّت الخلافة بالعراق کلّه، لیس للملوک معهم حکم بالکلیّة، و للّه الحمد.

و وزر للمستنجد ابن هبیرة المذکور إلی أن مات سنة ستّین و خمسمائة، فوزر بعده شرف الدّین أبو جعفر ابن البلدیّ، و لقّب جلال الدین معزّ الدولة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۸۱

و وزر للمستضیء عضد الدولة رئیس الرؤساء محمد بن عبد اللّه بن المظفّر، و قیماز المستنجدیّ ، و عضد الدولة بن رئیس الرؤساء بن المسلمة.

و وزر للناصر أبو المظفر جلال الدین عبد اللّه بن یونس الحنبلیّ، و مؤیّد الدین أبو الفضل محمد بن علی بن القصّاب، و عز الدین أبو المعالی سعید بن علی بن حدیدة الأنصاریّ، و نصیر الدین ناصر بن مهدیّ العلویّ، و مؤید الدین محمد بن محمد ابن عبد الکریم القمّی.

و وزر للظاهر القمیّ هذا.

و وزر للمستنصر القمّی أیضا، و شمس الدین أبو الأزهر أحمد بن محمد بن الناقد، و نصیر الدین العلقمیّ.

و وزر للمستعصم نصیر الدین محمد بن الناقد إلی أن مات سنة اثنتین و أربعین و ستمائة. فلما مات استوزر مؤیّد الدین أبا طالب محمد بن أحمد بن العلقمیّ، و هو الوزیر المشؤوم علی الخلیفة، و علی بقیّة بنی العباس، و علی سائر المسلمین و علی نفسه أیضا؛ فإنه الذی مالأ التّتار، حتّی قدموا و أخذوا بغداد، و قتلوا الخلیفة، و جری ما جری، و قال فیه بعضهم:

یا فرقة الإسلام نوحوا و اندبوا‌أسفا علی ما حلّ بالمستعصم

دست الوزارة کان قبل زمانه‌لابن الفرات فصار لابن العلقمی

و قال ابن فضل اللّه فی ترجمته: وزیر ولیته ما وزر، و ارتفع رأسه ولیته رضّ بالحجر، کمن کمون الأرقم ، و سقی النّاس من کأسه العلقم.

*** و أما مصر فکانت إمرة بلا وزارة إلی أیّام السلطان أحمد بن طولون، فعظم أمرها، و وزر لخمارویه أبو بکر محمد بن رستم الماذرائیّ الکاتب.

و وزر لکافور الإخشیدیّ أبو الفضل جعفر بن الفرات المعروف بابن حنزابة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۸۲

و وزر للمعزّ جوهر القائد.

و للعزیز أبو الفرج یعقوب بن یوسف بن کلّس، و کان یهودیّا فأسلم، و فوّض إلیه الأمور فی سائر مملکته، قال ابن زولاق: هو أوّل من وزر للدولة العبیدیة بالدیار المصریّة، و کان من جملة کتّاب کافور، فلما مات حزن علیه العزیز حزنا شدیدا، و أغلق الدیوان أیاما من أجله، و کانت وفاته سنة ثمانین و ثلثمائة.

و وزر بعده نصرانیّ یقال له عیسی بن نسطورس، ثم قبض علیه.

و وزر للظاهر أبو القاسم علی بن أحمد الجرجرائیّ فی سنة ثمانی عشرة و أربعمائة إلی أن مات فی زمن المستنصر سنة ست و ثلاثین، فوزر بعده أبو نصر صدقة بن یوسف الفلّاحیّ، و کان یهودیا فأسلم، و فیه یقول الحسن بن خاقان الشاعر المصریّ:

حجاب و إعجاب و فرط تصلّف‌و مدّ ید نحو العلا بتکلّف

فلو کان هذا من وراء کفایة‌عذرنا و لکن من وراء تخلّف

و کان معه أبو سعد التّستریّ الیهودی یدبّر الدولة له، فقال بعض الشعراء:

یهود هذا الزمان قد بلغوا‌غایة آمالهم و قد ملکوا

العزّ فیهم و المال عندهمو منهم المستشار و الملک

یا أهل مصر إنی نصحت لکم‌تهوّدوا قد تهود الفلک

ثمّ عزل الفلّاحیّ سنهٔ تسع و ثلاثین؛ و وزر بعده أبو البرکات الحسین بن محمد بن أحمد الجرجرائیّ ابن أخی الوزیر صفیّ الدین، ثمّ صرف فی شوال سنهٔ إحدی و أربعین.

و وزر القاضی أبو محمد الحسن بن علی البازوریّ مضافا لقضاء القضاهٔ، و لقّب الناصر للدین، غیّاث المسلمین الوزیر الأجلّ المکین سیّد الرؤساء تاج الأصفیاء قاضی القضاهٔ، و داعی الدعاهٔ. و فی أیامه سأله المستنصر أن یکتب اسمه معه علی السکّهٔ، فکان ینقش علیها:

ضربت فی دولهٔ آل الهدیمن آل طه و آل یاسین

مستنصر بالله جلّ اسمهو عبده الناصر للدین

حسن المحاضرهٔ فی أخبار مصر و القاهرهٔ، ج۲، ص: ۱۸۳

«سنهٔ کذا»، و طبعت علیها الدنانیر نحو شهر، فأمر المستنصر ألّا تسطر فی السیر.

ثمّ عزل البازوریّ، عن الوزارهٔ و القضاء فی المحرّم سنهٔ خمسین.

و وزر أبو الفرج عبد اللّه بن محمد البابلیّ، ثمّ صرف فی ربیع الأول من السنهٔ.

و وزر أبو الفرج محمد بن جعفر المغربیّ، ثمّ صرف فی رمضان سنهٔ اثنتین و خمسین.

و أعید البابلیّ، ثمّ صرف فی المحرم سنهٔ ثلاث و خمسین.

و وزر أبو الفضل عبد اللّه بن یحیی بن المدبّر ثمّ صرف فی رمضان.

و وزر أبو محمد عبد الکریم بن عبد الحاکم أخو قاضی القضاهٔ إلی أن مات فی المحرّم سنهٔ أربع و خمسین.

و وزر أخوه أبو علیّ أحمد مصروفا عن القضاء، ثمّ صرف فی شوّال، و أعید أبو الفرج البابلیّ، ثمّ صرف فی المحرّم سنهٔ خمس و خمسین.

و أعید أبو علیّ أحمد بن عبد الحاکم، مضافا للقضاء، ثمّ صرف فی صفر، و أعید أبو الفضل بن المدبّر، فمات فی جمادی الأولی من السنهٔ.

و وزر أبو غالب عبد الظاهر بن الفضل بن الموفّق المعروف بابن العجمی، ثم صرف فی شعبان.

و وزر الحسن بن مجلّی بن أسد بن أبی کدینهٔ مضافا للقضاء، ثمّ صرف فی ذی الحجّهٔ.

و وزر أحمد بن عبد الحاکم مضافا للقضاء، ثمّ صرف فی المحرّم سنهٔ ستّ و خمسین.

و وزر أبو المکارم المشرف بن أسعد بن عقیل، ثمّ صرف فی ربیع الآخر.

و أعید أبو غالب عبد الظاهر، ثمّ صرف فی رجب.

و وزر أبو البرکات الحسین بن عماد الدولهٔ بجرجرای، ثمّ صرف فی رمضان و أعید الحسن بن مجلّی، ثمّ صرف فی ذی الحجهٔ.

و وزر أبو علیّ الحسن بن أبی سعد إبراهیم بن سهل التّستریّ، ثمّ صرف.

و وزر محمد بن جعفر المغربیّ ثم صرف.

و وزر جلال الملک ثم صرف.

و وزر خطیر الملک بن الوزیر البازوریّ، ثمّ صرف و أعید ابن أبی کدینهٔ، ثمّ صرف فی سنهٔ ستّ و ستین.

حسن المحاضرهٔ فی أخبار مصر و القاهرهٔ، ج۲، ص: ۱۸۴

و ولی الوزارهٔ التّستریّ، ثمّ صرف فی نصف المحرم سنهٔ سبع و خمسین.

و وزر أبو شجاع محمد بن الأشرف أبو غالب محمد بن علىّ بن خلف، ثمّ صرف ثانى يومه عنها، و أعيد ابن أبى كدينة، ثمّ صرف بعد أربعة أيام.

و أعيد أبو شجاع بن الأشرف، ثم صرف فى نصف ربيع الأول.

و وزر سديد الدولة أبو القاسم هبة اللّه بن محمد الرحبىّ، ثمّ صرف فى ربيع الآخر.

و أعيد ابن أبى كدينة، ثمّ صرف فى رجب.

و أعيد أبو المكارم المشرف بن أسعد، ثمّ صرف فى شوّال.

و وزر الأمير أبو الحسن على بن الأنبارىّ، ثمّ صرف فى ذى الحجة.

و أعيد سديد الدولة هبة اللّه، ثمّ صرف فى ربيع الآخر سنة ثمان و خمسين.

و وزر جلال الملك أحمد بن عبد الكريم مضافا للقضاء، ثمّ صرف بعد أيام.

و وزر أبو الحسن بن طاهر بن وزير، ثمّ صرف بعد أيام.

و وزر أبو عبد اللّه محمد بن أبى حامد التنسى يوما واحدا، ثمّ صرف.

و وزر أبو سعد منصور بن زنبور ثمّ هرب بعد أيّام.

و وزر أبو العلاء عبد الغنى بن نصر بن سعيد، ثمّ صرف بعد أيام.

و أعيد ابن أبى كدينة.

و ولى الوزارة أمير الجيوش بدر بن عبد اللّه الجمالى، و إليه تنسب قيساريّة أمير الجيوش، و العامة يقولون «مرجوش»، و هو بانى الجامع الّذى بثغر الإسكندرية بسوق العطّارين، فأقام إلى أن مات سنة ثمان و ثمانين و أربعمائة، فقام فى الوزارة ولده الأفضل أبو القاسم شاهنشاه، فوزر للمستنصر بقيّة أيّامه و للمستعلى و صدرا من ولاية الآمر، ثمّ إنّه قتل، ضربه فداوى و هو راكب، و ذلك فى رمضان سنة خمس عشرة و خمسمائة. قال ابن خلّكان: و ترك من الأموال ما يفوق العدّ من ذلك من الذهب العين ستمائة ألف ألف دينار، و من الفضة مائتين و خمسين أردبا، و سبعين ألف ثوب ديباج أطلس، و دواة ذهب فيها جوهر باثنى عشر ألف دينار، و خمسمائة صندوق للبس بدنه،

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۸۵

و صندوقان كبيران فيهما إبر ذهب برسم النساء، و من سائر الأنواع ما لا يعلم قدره إلا اللّه.

و قام فى الوزارة مكانه أبو عبد اللّه محمد بن مختار بن بابك البطائحىّ، و لقّب المأمون، و هو بانى الجامع الأقمر، و له صنف الإمام أبو بكر الطرطوشى كتاب سراج الملوك، ثمّ قبض عليه الآمر، و قتله فى سنة تسع عشرة .

و قام فى الوزارة أبو علىّ بن الأفضل، و لقّب أمير الجيوش، فلما ولى الحافظ استحوذ الوزير على الأمور دونه، و حصر الحافظ فى موضع لا يدخل عليه إلا من يريده، و نقل الأموال من القصر إلى داره، و لم يبق للحافظ سوى الاسم فقط، و دعا لنفسه على المنابر بناصر أيام الحقّ، هادى العصاة إلى اتّباع الحق، مولى الأمم، و مالك فضيلتى السيف و القلم. و خطب للمهدى المنتظر آخر الزمان، فلم يزل كذلك إلى أن قتل فى العشرين من المحرّم سنة خمس و عشرين، قتله مملوك أفرنجىّ للحافظ بأمره.

و استوزر بعده مملوكه أبا الفتح بالبس الحافظىّ، و لقّب أمير الجيوش أيضا، ثمّ تخيّل منه الحافظ، فدسّ عليه من سمّمه فى ماء الاستنجاء، فمات.

و استوزر بعده ابنه الحسن- أعنى ابن الحافظ الخليفة- و كان ولىّ عهد أبيه، فأقام ثلاثة أعوام، يظلم ظلما فاحشا؛ حتّى إنه قتل فى ليلة أربعين أميرا، فخافه أبوه، فدسّ عليه من سمّه، فهلك فى سنة تسع و عشرين .

ثم استوزر بهرام الأرمنى النصرانىّ، و لقّب تاج الدولة، فتمكّن فى البلاد، و أساء السيرة، فقبض عليه الحافظ، و سجنه.

و استوزر بعده رضوان بن الوحشیّ ، و لقبه الملک الأفضل، و لم یلقّب وزیر بذلک قبله، ثمّ وقع بینه و بین الحافظ، فقتله سنهٔ اثنتین و أربعین و خمسمائهٔ، و استقلّ بتدبیر أموره وحده من غیر وزیر.

فلمّا ولی الظافر سنهٔ أربع و أربعین و خمسمائهٔ، استوزر أبا الفتح بن فضالهٔ بن

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۸۶

المغربیّ، و لقّب أمیر الجیوش، فأحسن السیرهٔ، ثم قتل سنهٔ خمس و أربعین.

و وزر ابن سلّار، و لقب الملک العادل، ثمّ قتل من عامه.

و وزور أبو نصر عباس الصّنهاجیّ ، فدسّ علیه الظافر من قتله فقتل هو أیضا.

فلما أقیم الفائز وزر له طلائع بن رزّیک، و تلقّب بالملک الصالح، و هو صاحب الجامع بجوار باب زویلهٔ، و خلع علیه مثل الأفضل أمیر الجیوش بدر الجمالی من الطّیلسان المقوّر، و کتب له تقلید من إنشاء الموفق أبی الحجّاج یوسف بن علی بن الخلّال و هذه صورته:

بسم اللّه الرحمن الرحیم، أما بعد فالحمد للّه، المنعم علی المخلصین من أولیائه بسوابغ آلائه، و المتکفّل لمن نصره بنصره و تثبیت قدمه و إعلائه، الممهّد لمن قام بحقّه أرفع مراتب الدنیا و الآخرهٔ، و الموضّح لمن حامی عن الدولهٔ الفاطمیهٔ آیات التأیید الباهرهٔ، و الجامع القلوب علی طاعهٔ من أطاعه فی الدفاع عن أهل بیت نبیّه، و المحسن إلی من أحسن إلی مهجته غیرهٔ لأئمهٔ الهدی المصطفین من عترهٔ وصیّه، و المذلّل الصعاب لمن رفع رایهٔ الإیمان و نشرها، و المیسّر الطّلاب لمن أحیا کلمهٔ التوحید و أنشرها، ممّن أحبّ اللّه و رسوله ممّن اصطفاه من أبرار عباده، و الماحی إساءهٔ من أعلن ببیان الحقّ و جهر بعباده، و المعرض من أسعده بالسبق إلی مرضاته، لنیل غایات المنّ الجسیم و المرتّب من جاء فی ذاته، فی أرفع مراتب الإجلال و التفخیم، و الموجب لمن أخلص منه و أحسن عملا تعجیل مقام الفخر الکریم، و تأجیل الخلود فی النعیم، ذلک فضل اللّه یؤتیه من یشاء و اللّه ذو الفضل العظیم.

و الحمد للّه الذی أوضح أنوار الحقائق بأنبیائه الهداهٔ، و أبان برسله الأمناء لعباده مناهج النجاهٔ، و جعل العمل بمراشدهم ذریعهٔ الموقنین إلی علیّ المنازل و رفیع الدرجات، و ختمهم بأفضلهم نفسا و محتدا، و أحقّهم بأن یکون لکفاتهم سیّدا، محمد هادی الأنام، و الداعی إلی الإسلام، و المخصوص بانشقاق القمر و تظلیل الغمام، و أورث أخاه و ابن عمّه باهر شرفه و بارع علمه، و أفرده بإمامهٔ البشر و خصّ، و أقرّها فی فی عقبه إلی یوم القیامهٔ بجلیّ النصّ، فأصبحت الإمامهٔ للملّهٔ الحنیفیّهٔ قواما، و لأسباب الشریعهٔ بأسرها نظاما، و نقل اللّه نورها فی أئمهٔ الهدی من نسله فتناولها الآخر من الأوّل، و تلقّاها الأکمل عن الأکمل، فکلّما رام معاند بحیف نورها، أو قصد منافق إخفاء ظهورها، زاد أنوارها إشراقا، و وجد لبدورها کمالا و اتّساقا، و مکّن قواعد دولتها

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۸۷

و إن زحزحها الغادرون، و أکحم معاقدها و إن جهد فی حلّها الماکرون، یریدون لیطفئوا نور اللّه بأفواههم، و اللّه متمّ نوره و لو کره الکافرون.

و الحمد للّه الذی حفظ بأمیر المؤمنین نظام الخلافهٔ و اتّساقها، و حمی لمیامنه دوحهٔ الإمامهٔ و أبقی نضرتها و إبراقها، و أورث خصائص الأئمّهٔ الراشدین فی آبائه، و أودعه سرائر دینه المصونهٔ فی صدور أنبیائه، و أیّده بموارد الإرشاد و الإلهام، و جعل طاعته فرضا مؤکّدا علی کافّهٔ الأنام، و خصّه بالتوفیق و العصمهٔ، و أفاض للأمّهٔ به سجال الرحمهٔ، و أبرم بأمانته أمر الملّهٔ، و أحکم معاقد الدین، و جعله من هداته، قال جلّ و علا فیهم: وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً یَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَ أَوْحَیْنا إِلَیْهِمْ فِعْلَ الْخَیْراتِ وَ إِقامَ الصَّلاةِ وَ إِیتاءَ الزَّکاةِ وَ کانُوا لَنا عابِدِینَ [الأنبیاء: ۷۳].

یحمده أمیر المؤمنین علی ما نقله إلیه من خصائص آبائه الأئمهٔ الأطهار، و أیّده به فی أنصار دعوته من العلوّ و الاستظهار، و اتّخذه به من جنود السماء و الأرض و أظهر له من معجزاته و آیاته، و أظهر بمزیّته من مظاهر الظفر لألویته و راياته.

و نسأله أن یصلّی علی جدّه محمد نبیّه الأمین، و رسوله المبعوث فی الأمیّین، الهادی إلی جنّات النعیم، و المحیطة متابعته بالفوز العظیم، الذی جلی اللّه ظلمات الجهالة بمبعثه، و شرّف الأئمّة من ذرّیته بمقامه و مورثه، و ردّ النافر إلی الطاعة بالبرّ و الإیناس، و جعله خیر رسول إلی خیر أمّة أخرجت للناس.

و علی أخیه و ابن عمّه أبینا أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب قسیمه فی المناسب و الفضائل، و ثالثه فی تشفیع الذرائع و الوسائل، و مفرّج الکرب عنه بمؤازرته و صدق کفاحه، و باب مدینة علمه الذی لا یوصل إلیه إلا باستفتاحه، و علی الأئمة من ذرّیتهما الذین بلّغ اللّه بهم الأرب و السؤال، و أغنی الأئمة بهداهم عن التقفیة بعده برسول، و العترة المصطفین، و أحد الثّقلین، و بحار العلم الزاخرة، و المرجوّین لصلاح الدنیا و الآخرة، و سلّم و مجّد، و والی و ردّد.

و إنّ أمیر المؤمنین لما مهّده اللّه من ذی الشرف الباذخ، و حازه لمنصبه من الفخر الأصیل و المجد الشامخ، و أفرد به من خلافته علی العالمین، و أورثه إیّاه من غوامض الحکم التی لا یعقلها إلّا أعیان العالمین، و حباه به من ضروب الوجاهة و الکرامة، و أفاضه علیه من أنوار الإمامة، و واصله إلیه من العنایة الشاملة و البرّ الحفیّ، و جمعه له من الإحسان الجلیّ و اللطف الخفیّ، و أقرّه من مواب الفضل و الإفضال لدیه، و جعل فی کلّ حرکة و سکون دلیلا واضحا یشیر إلیه، یقدّر نعم اللّه حقّ قدرها، و یواصل العکوف علی الاعتداد بها و نشرها، و یبالغ فی شکرها قولا و عملا و نیّة، و یجهد نفسه

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۸۸

فی حمدها اجتهادا یرجو به درک الأمنیة، و یتحقّق أنّ أسماها محلّا و قدرا، و أولاها علی کافّة البریة ثناء و شکرا، و أعلاها قیمة، و أعمّها نفعا و أعذبها دیمة، و أجمعها لضروب الجدل و الاستبشار، و أجدرها بأن تؤثر فی الأمم أحسن الآثار، و أوسعها فی مضمار الاعتداد مجالا، و أعظمها علی الرئیس و المرؤوس نفعا و جمالا. النّعمة بک أیّها السیّد الأجلّ و التغوّث و الدعاء إذ کنت نجدة اللّه المذخورة لأمنائه علی خلقه، و القائم دون البریّة بما افترضه علیهم من مظاهرة أمیر المؤمنین و الأخذ له بحقّه، و اللطف الذی کان من الإمامة و من إعدامها حاجزا، و النّصر الذی أصبح به أمیر المؤمنین بعون اللّه فائزا، و حزب اللّه القاهر الغالب، و شهاب أمیر المؤمنین الصائب الثاقب، و ظلّه الذی یفیء علی العام و الخاصّ، و منهل فضله الذی یصفو و یعذب لذوی الولاء و الإخلاص، و سیفه الذی یستأصل ذوی الشقاق و النفاق، و یده التی ینبعث منها ینابیع العطاء و سحائب الأرزاق، و الولیّ الذی ارتضاه أمیر المؤمنین للمصالح کفیلا، و الصفیّ الذی لا تبغی دولته عن موازرته تبدیلا و لا تحویلا.

فعلوّ قدرک عند أمیر المؤمنین لا ینتهی إلی أمد محدود، و قیامک فی الأخذ بحقّه یتجاوز کلّ سعی مبرور و مقام محمود، و دعائمه بنصرک اللّه فی طاعته یصفو عنده کلّ عظیم فی مجافاتک، و شفاؤک صدر أمیر المؤمنین من أعدائه، أعجز القدرة عمّا یشفی غلیله فی إحسان مجازاتک.

و لقد حزت من المآثر ما فقت به أهل عصرک قدما و سبقا، و سموت بجمالک إلی ذوی مجد لا تجد الهمم العلیّة إلی تمنّیها مرقا، و ما زلت فی کلّ أزمنتک سلطانا مهیبا، و فردا فی المجالس لا تدرک له الأفکار ضریبا، و مطاعا تبارک بأنبائه الأندیة و المحافل، و هماما تخضع باسمه المهائب و تذعن الجحافل، و سیدا تلقی إلیه مقالید التقدمة و السیادة، و معظّما لیس علی ما خصه اللّه به من التعظیم موضع الزیادة.

و کشف اللّه أمرک فی الولاء فدعاک الأئمة ظهیرا، و زاد فی إنعامه علی الأمّة فارتضاک لهداة أهل بیته معینا و نصیرا، و وفّر نصیبک من الفضائل و المناقب فوهبک منها ما أفاضه علیک سرفا، و أحظی الملوک بتمکّنک منهم و کونک لهم فخرا و شرفا، فلا رتبة علاء إلا و قد فرعتها منزلا، و لا منزلة سناء إلّا و قد سموت إلیها منتقلا، و لا مزیّة فضل إلا احتویت علیها و حزتها، و لا منزلة فخر إلّا طلتها بفضائلک و جزتها، و لا مأثرة إلّا و کنت فاتح بابها، و لا منزلة خطیرة إلّا و أنت مستوجبها و أولی بها. و لا سماة مجد إلّا و خصائلک طالعة فی آفاقها أقمارا، و لا موقف فضل إلّا و لک فیه تقدّم و لا تنازع فیه و لا تماری، فما یوجد مقدّم إلا و قد فضلته بآثارک و

تقدّمته، و لا مميز إلا أسمته فى جناب فضلك و رسمته.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۸۹

تقلّدت جلائل الأمور فلبستها نباهة و تقويما، و باشرتها فأحرزت بمناقبك جلالة و وجاهة و تفخيما، تجرجر بك الرّتب أذيال الفخر و الإجلال، و تزهى بأفعالك التى يبعث عليها ما أوتيته من شرف الجلال.

و لم تزل تدابير أولياء الدولة و رجالها بفضائل سياستك فتثبّت لهم الأقدام، و تكسبهم عزّة النفوس فيستهينوا فى حقّ الانتصار بملاقاة الحمام.

و رمى اللّه بك طغاة الكفّار بتأييد الإسلام، و اختارك للمجاهدة عن الملّة فأصبحت بك مرفوعة الأعلام، و أبدت الأعداء الجوامع الباكيات من المحايد و المخلوف و أعمال الحسام؛ فلو تراخى بك الأمل فى جهادهم لكنت لجملهم مستأصلا، و لغدوت لهم عن الأعمال السامية بعرفانك فاضلا، فأثرك فيهم الأثر الذى لم يبلغه مجاهد، و ما فللت فى هامهم من حدّ العضب الصارم بباسل ناطق و بجدل شاهد.

فما يبلغ التّعداد ما جمعته من المناقب و الفضائل، و لا يستولى الإحصاء على مالك من المفاخر التى لا يحيط بها أحد من الملوك الأوائل، فتجمع زهد الأبدال إلى همم الأكاسرة، و توفّق فى أعمالك بين ما يقضى بصلاح الدنيا و حسن ثواب الآخرة، فأنت البرّ التقىّ النقىّ الحسيب، الطاهر المبرّأ من كلّ دنس و عيب، و المرضى خالقه بالأفعال التى لا ينجو بها لبس و لا ريب، و واحد الدنيا لا يسامى و لا يطاول، و الملك الأوحد الذى برعت أدوات كماله فما يشابه و لا يماثل.

جعلتك الفضائل غريبا فى الأنام، و خصّك الحظّ السعيد بفطرة فتهرب أن تأتى بمثلها الأيام، و حويت من الأخلاق الملوكيّة ما قصّر بعظماء الملوك عن مجاراتك، و اقتنيت من الحكم و المعارف ما جعل كافة العلماء مفترقين بعظم فضيلة ذاتك، و قرنت بين من عزّه إذفرار البيت و لطافة حكم القلم، و كاثرت فيك المعجزات لجمعك ما افترق من مفاخر الأمم.

فما أشرف ما أفردك اللّه به من كمال الشجاعة و البراعة، و توحّدك بمجده من معجزات تصنيف الصارم و اليراعة، فسيفك مؤيّد فى قطّ العضو و الهام، و قلمك ماض فى البلاغتين مضاء لا يدرك إلا بالإلهام، فكم مقام جلال و جلاد فرّجته بعضب و بنان، و موقف خطاب و ضراب كشفت غمّته بسنّ قلم و سنان.

فسبحان من أفردك باستكمال المآثر، و جمع لك من المحاسن ما أعجز وصفه جهد الناظم و الناثر، و آتاك غاية شرف النفس و كرم الأصل، و مكّنك من كلّ منقبة بإحراز السبق و إدراك الحصل، و أطلعك من أفق علاء تكاثرت سعوده، و استخلصك من

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۹۰

منصب سناء سما فأعجز النجم صعوده، و انتخبك من بيت عزّ غدت دعائمه لذات السمهريّة و ظلاله صفحات القبض المشرفيّة، و حشاياه صهوات الجرد الأعوجيّة.

و لقد كان وقع التحامل على الحضرة ببعدك عن فنائها، و حسدت على قربك منها لما يعلم من متابعتك لها، و إغراقك فى ولائها، و حاد بك عن موضعك من الاختصاص بها من قصد اهتضامها، و أفسد لسوء عقيدته نظامها، و صلمها على أنّك لم تخل بنصرتها على بعد الدار، بل نصرت الحقّ حيث كان و درت معه حيث دار. و قد كان أمير المؤمنين حين أبهمت الأمور، و حرجت الصدور، و حارت الألباب، و استشرف للارتياب، يرجو من اللّه أن يفجأه منك بالفرج القريب، و يصمى أعداءه من عزمك بالسّهم المصيب، و استجاب اللّه دعاءه فيك بما ماثل دعاء جدّه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و ضاهى، و حصل فى ذلك على معنى قوله تعالى: قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها [البقرة: ۱۴۴].

و لمّا أذهب اللّه بك أيها السيّد الأجلّ الملك الصالح عن دولة أمير المؤمنين غايات العىّ، و أدرك بها ثأر أولياء اللّه من ذوى المباينة و البغى، و أحسن له الصنيع بمؤازرتك، و بلّغه مظافرتك و مكانفتك لما أحاط الخبرة بأرجائه، و فقّه من التعويل عليك لما

کان غایة رجائه، فقلّدک من وزارته، و فوّض إلیک تدبیر مملکته و کفالته، و جعلک إمارة جیوشه المیامین، و کفالة قضاة المسلمین، و هدایة دعاة المؤمنین، و تدبیر ما هو مردود إلیهم من الصلاة و الخطابة و إرشاد الأولیاء المستجیبین، و النظر فی کلّ ما أغدقه اللّه من أمور أولیائه أجمعین، و جنوده و عساکره المؤیّدین، و کافّة رعایاه بالحضرة و جمیع أعمال المملکة دانیها و قاصیها، و سائر أحوال الدولة بادیها و خافیها، و کلّ ما تنفذ فیه أوامره، تبوح بشعاره منابره. و ردّ إلیک تدبیر ما وراء سریر خلافته، و سیاسة ما تحتوی علیه أقطار مملکته، و ألقی إلیک مقالید البسط و القبض، و الرفع و الخفض، و الإبرام و النقض، و القطع و الوصل، و الولایة و العزل، و التصرّف و الصرف، و الإمضاء و الوقف، و الغضّ و التنبیه، و الإخمال و التنویه، و جمیع ما یقتضیه صواب التدبیر من الإنعام و الإرغام، و ما توجبه أحکام السیاسة من الإباء و الإتمام، تیمّنا بما یحقّق مبالغتک فی متابعته، و اجتهادک فی إعلامنا و دعوته، و علما بأنّ التوفیق لا یعدو وراک، و المسعود لا یفارق أنحاک.

فتقلّد ما قلّدک أمیر المؤمنین من هذه الرتب العالیة، و المنزلة التی قرّب علیک تناولها أعمالک الزاکیة، و المنصب الذی تحکم فیه بأمر أمیر المؤمنین و تنطق بلسانه، و تبطش بیده و تحبّ و تبغض بقلبه و جنانه، جاریا علی رسمک فی تقوی اللّه و خشیته، و اتّباع مرضاته و استشعار رجعته، و منتجزا ما وعد به فی کتابه، إلیه ینتهی الحکم

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۹۱

و ینتسب، إذ یقول تعالی: وَ مَنْ یَتَّقِ اللَّهَ یَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ یَرْزُقْهُ مِنْ حَیْثُ لا یَحْتَسِبُ [الطلاق: ۲].

و العساکر المنصورة فهم أشیاع الدین، و أعضاد دولة أمیر المؤمنین، و أبناء دعوة آبائه الرّاشدین، و القائمون بمدافعة الأعداء عن حوزة الدولة العلویّة، و المدّخرون لکفاح المباین للمملکة الفاطمیّة، و المنادون بشعارها فی کلّ وقت و حین، و المعدّون للذبّ عن بیضة المسلمین و أنصار الخلافة، و طاردو الوجل و المخافة، المصطلون نیران الحرب و الکفاح، ذوو القلوب فی المواقف التی تهتزّ فیها السیوف و تضطرب کعوب الرماح، و الممنوحون مزیّة اللطف لحسن معتقدهم فی الطاعة، و المستعملون فی خدمة ولیّ نعمتهمن جهد الطّاقة و الاستطاعة.

و منهم الأمراء الأکابر، و الأعیان الأخایر، و ولاة الأعمال و سداد الثّغور، و اللائقة بهم سوامی الرّتب و معالی الأمور، و الأولیاء الّذین سلمت موالاتهم من الشوائب، و اشتملوا علی غرر المآثر و المناقب، و الأنجاد الذین یندفع بهم الخطب الملمّ، و الکفاة الذین یتسرّعون إلی ما یندبون له من کلّ مهمّ، و ما زلت تحسن لهم الوساطة فی المحضر و المغیب، و یشیع ذکرهم بما یتضوّع نشره و یطیب، و تسفر لهم بما یبلغون به آمالهم، و تجتهد فی توفیر المنافع علیهم و تحرص علی إیصالها لهم؛ لا سیّما الآن و جمیع أمرهم إلیک مردود، و قد ظهر لک من إخلاصهم فی الطّاعة مقامهم المشهور و سعیهم المحمود؛ فهم خلیقون منک بمضاعفة المکرمة و التبجیل، جدیرون بتوفیر حظّهم من الإحسان الجزیل.

فتوخّی کلّا منهم بما یقتضیه له حاله، و تستدعیه نهضته و استقلاله، و تعرب لهم عمّا یمنّون به عن محض طاعتهم، و صریح مسابقتهم، و تسرّعهم إلی مقارعة الأعداء و المخالفین، و تمسّکهم بحبل الولاء المتین.

فأمّا القضاة و الدّعاة فأنت کافلهم و هادیهم، و علمک محیط بقاصیهم و دانیهم، و تأنّیک یبعثک علی استکفاء إعفائهم و دیانتهم، و یمنعک من استعمال المفضولین فی علم و أمانة، و یحضّک علی التعویل علی ذوی النّزاهة و الصیانة.

فأمّا الأموال و هی عماد الدّول و قوامها، و بها یکون استتبات أمورها و انتظامها، و یستعان بها علی الاستکثار من الرجال و الأنصار، و بوفورها تقوم المهابة فی نفوس ممالیک الأطراف و الأمصار؛ و أمیر المؤمنین یرجو أن تتضاعف بنظرک، و تنمی لفاضل سیاستک و حمد أثرک، تتسع بإذن اللّه فی أیامک العمارة؛ و تتوافر بما یعمّ الأعمال بحسن تأنّیک من البهجة و النضارة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۹۲

و الرّعایا فهم ودائع اللّه عند من استحفظ أمورهم، و عیاله الّذین یتعیّن علی ولاة الأمر أن یشرحوا بالرّعایة صدورهم، و تأکید الوصایا

بتخفيف الوطأة عنهم، و الأمر بالعدل و الإحسان على الصغير و الكبير منهم؛ و قد خصّك اللّه بالكمال، و حبّب إليك الإحسان و الإجمال، بغايات تنتج لك من أبواب المصالح ما لا تحيط به الوصايا، و يشترك فى عائدة نفعه الخواصّ و الأجناد و الرعايا. و قدرك يجلّ أن نكثر لك بالقول ما نبتدع أضعافه بأفعالك المستحسنة، و محلّك مرتفع عن التنبيه إذ لا تلمّ بعين رعايتك إغفاءة و لا سنة.

و اللّه سبحانه يؤيّد الدولة العلويّة بعزماتك الثاقبة، و يعيد عليها حقوقها بسيوفك القاضبة و آرائك الصائبة، و يجعل أمد عمرك مديدا، و إقبالك فى كلّ وقت جديدا، و أعمالك مرتضاة عند اللّه متقبّلة، و وفود المنا إلى جنابك متوالية مقبلة، فاعمل به إن شاء اللّه تعالى.

و كتب أمير المؤمنين الفائز على طرّة السجل بخطّه ما نصه: «لوزيرنا السيّد الأجلّ الملك الصالح من جلالة القدر، و عظم الأمر و فخامة الشأن، و علوّ المكان، و استحباب الفضل و استحقاق غاية المنّ الجزيل، و مزية الولىّ الذى بعثه على بذل النفس فى نصرتنا، و دعاه دون الخلائق إلى القيام بحقّ متابعتنا و طاعتنا، ما يبعثنا على التبرّع له ببذل كلّ مصون، و الابتداء من ذاتنا بالاقتراح له كلّ شىء يسرّ النفوس و قرّ العيون.

و الّذى تضمّنه هذا السجلّ من تقريظه و أوصافه، فالذى تشتمل عليه ضمائرنا أضعاف أضعافه؛ و كذلك شرّفناه بجميع التّدبير و الإنالة، و رفعناه إلى أعلى رتب الاصطفاء بما جعلناه له من الكفالة، و اللّه تعالى يعضد به دولتنا، و يحوط به حوزتنا، و يمدّه بموادّ التوفيق و التأييد، و يجعل أيّامه فى وزارتنا ممنوحة بآيات الاستمرار و التأييد، إن شاء اللّه تعالى.

قلت: كانت الوزارة قديما تعدل السلطنة الآن، فإنّ الوزير كان نائب الخليفة فى بلده، يفوّض إليه جميع أمور المملكة، و تولية من رآه من القضاة و نوّاب البلاد و تجهيز العساكر و الجيوش و تفرقة الأرزاق، إلى غير ذلك ممّا هو الآن وظيفة السلطان و كان الوزير يلقّب بألقاب السلطنة الآن كالملك الصالح و نحوه، و قد تقهقر أمر الوزير حتّى قال بعض وزراء القرن السابع: الوزير الآن عبارة عن «حوش كاش عفش» يشترى اللحم و الحطب و حوائج الطعام. و الأمر كما قال.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۹۳

و أقام ابن رزّيك وزيرا إلى أن قتل فى رمضان سنة ستّ و خمسين فى خلافة العاضد، و كان العاضد و الفائز كلاهما تحت حجره، فأقيم بعده فى الوزارة ابنه رزّيك ، و لقّب العادل، فأقام فيها سنة و أياما، و قتل.

و وزر بعده شاور بن مجير أبو شجاع السعدىّ، و لقّب أمير الجيوش، و هو الوزير المشؤوم الذى يضاهيه فى الشؤم العلقمىّ وزير المستعصم؛ فإنّ هذا قد أطمع الفرنج فى أخذ الديار المصرية، و مالأهم على ذلك، كما أنّ العلقمىّ هو الذى أطمع التتار فى أخذ بغداد، إلا أن اللّه لطف بمصر و أهلها، فقيّض لهم عسكر نور الدين الشهيد، فأزاحوا الفرنج عنها، و قتل الوزير شاور بيد صلاح الدين يوسف بن أيّوب؛ و قال بعض الشعراء فى ذلك:

هنيئا لمصر حوز يوسف ملكهابأمر من الرّحمن قد كان موقوتا

و ما كان فيها قتل يوسف شاورايماثل إلا قتل داود جالوتا

و كان قتل شاور فى ربيع الآخر سنة أربع و ستّين .

و ولى الوزارة بعده الأمير أسد الدين شيركوه؛ و لقّب الملك المنصور، لقّبه بذلك العاضد، فأقام فيها شهرين و خمسة أيام، و مات فى جمادى الآخرة.

فاستوزر العاضد بعده ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيّوب، و لقّب الملك الناصر، و قد تقدّم ذكر الخليعة التى لبسها يومئذ. ثمّ إن صلاح الدين أزال دولة بنى عبيد، و أعاد الخطبة لبنى العباس فى أوّل سنة سبع و ستّين، فصار لمصر أميرا بعد أن كان وزيرا.

و جعل وزيره القاضى الفاضل محيى الدين عبد الرحيم البيسانىّ، فاستمرّ وزيرا له، و لولده الملك العزيز، و لولد العزيز الملك

المنصور، إلی أن مات سنة ستّ و تسعین و خمسمائة.

فوزر بعده للعادل صفیّ الدین بن شکر الدّمیریّ، إلی أن عزل سنة تسع و ستمائة.

و وزر للکامل ابن شکر أیضا و الحسن بن أحمد الدیباجیّ.

و وزر للصالح جمال الدین علیّ بن جریر الرّقیّ و معین الدین الحسن بن صدر

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۹۴

الدین شیخ الشیخ، و أخوه فخر الدین یوسف، و القاضی بدر الدین السّنجاریّ و القاضی تاج الدین بن بنت الأعزّ.

و وزر لشجر الدرّ فی دولتها بهاء الدین علیّ بن محمد بن سلیم المعروف بابن حنّا .

و وزر للمعزّ الأسعد- بل الأنحس و الأشقی- هبة اللّه بن صاعد الفائزیّ، و کان هذا أوّل شؤم الأتراک فی مملکتهم، أن عدلوا عن وزارة العلماء إلی الأقباط و المسالمة، و کان الأسعد هذا نصرانیّا فأسلم، فلمّا تولّی الوزارة أحدث مکوسا و مظالم کثیرة علی نحو ما کانت فی أیام العبیدیین و وزرائهم النصاری و الرافضة، و قد کان السلطان صلاح الدین رحمه اللّه أبطلها فأحدثها هذا الملعون، و قد قال فیه بعضهم:

لعن اللّه صاعداو أباه فصاعدا

و بنیه فنازلاواحدا ثمّ واحدا

و لما قتل المعزّ، و قبض علی ولده المنصور، أهین الأسعد هذا، ثمّ قتل فی سنة خمس و خمسین.

و ولی الوزارة للمظفر بعده القاضی بدر الدین السّنجاریّ مضافا لقضاء القضاة، ثمّ صرف من عامه عن الوزارة.

و ولیها القاضی تاج الدین بن بنت الأعزّ، ثمّ صرف فی ذی القعدة سنة سبع و خمسین.

*** و وزر زین الدین یعقوب بن عبد الرفیع المعروف بابن الزّبیر، فأقام إلی أیّام الظاهر بیبرس، فعزله عن الوزارة فی ربیع الآخر سنة تسع و خمسین، و استوزر بعده الصاحب بهاء الدین بن حنّا؛ فأقام وزیرا إلی أن مات الظاهر، و تولّی ولده الملک السعید، فأقرّه علی الوزارة، و کتب له تقلیدا من إنشاء القاضی محیی الدین بن عبد الظاهر، و هذه صورته:

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۹۵

الحمد للّه الذی وهب هذه الدّولة القاهرة من لدنه ولیّا، و جعل مکان سرّها و شدّ أزرها علیّا، و رضی لها من لم یزل عند ربّه مرضیّا.

نحمده علی نعمه التی أمسی بنا برّه حفیّا، و نشکره علی أن جعل دولتنا جنّة أورث تدبیرها من عباده من کان تقیّا.

و نشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شریک له شهادة نسبّح بها بکرة و عشیّا، و نصلّی علی سیدنا محمد الذی آتاه اللّه الکتاب، و جعله نبیّا، صلی اللّه علیه و علی آله و صحبه صلاة نتّبع بها صراطا سویّا.

و بعد، فإنّ أولی ما تنغّمت به ألسنة الأقلام بتلاوة سوره، و تنعمت أفواه المحابر بالاستمداد لتسطیر سیره، و تناجت الکرام الکاتبون بمجمله و مفصّله، و تناشدت الرّواة حسن نسیبه و ترنّمت الحداة بطیب غزله، و تهادت الأقالیم تحف معجّله و مؤجّله، و عنیت وجوه المهارق لصعود کلمه الطیب و رفع صالح عمله، ما کان فیه شکر لنعمة تمنّها علی الدولة سعادة جدودها و حظوظها، و إفادة مصونها و محفوظها، و إرادة مرقومها بحسن الاستبداع و ملحوظها، و حمد لمنحة و افاتها برکة أحسنت للملکة الشریفة مآلا، و قرّبت لها مثالا، و أصلحت لها أحوالا، و کاثرت مدد البحر و کلّما أجری ذلک ماء أجرت هی مالا، و إن ضنّت السّحب أنشأت سحبا، و إن قیل سحّ سحّها و رونق الأرض ذهب، عوّضت عنه ذهبا، کم لها فی الوجود من کرم و کرامة، و فی الوجوه من وسوم و وسامة، کم أحیت مهجا، و کم جعلت للدولة من أمرها مخرجا، و کم وسّعت أملا و کم ترکت صدر الخزائن ضیّقا حرجا، و کم استخدمت جیش تهجّد فی بطن اللیل، و جیش جهاد علی ظهور الخیل. و کم أنفقت فی واقف فی قلب بین الصفوف و الحروب، و فی واقف بین صفوف المساجد من أصحاب القلوب، کم سبیل یسّرت، و سعود کثّرت. کم مخاوف أدبرت حین دبّرت، و کم آثار فی البلاد و العباد أبّرت

و أثّرت. و کم وافت و وفّت، و کم کفت و کفّت، و کم أعفت و عفت و عفّت. و کم بها موازین للأولیاء ثقلت و موازین للأعداء خفّت، و کم أجرت من وقوف، و کم عرفت بمعروف. و کم بیوت عبادة صاحب هذه البرکات هو محرابها، و سماء جود هو سیحانها و مدینة علم هو بابها. تثنی اللیالی علی تغلیسه إلی المساجد فی الحنادس، و الأیام علی تهجیره لعیادة مرضی الفقراء و حضور جنائز و زیارة القبور الدوارس. یکتنّ تحت جناح عدله الظاعن و المقیم، و یشکر یثرب و مکة و زمزم و الحطیم. کم عمّت سنن تفقّداته و نوافله. و کم مرّت صدقاته بالوادی فسح اللّه فی مدته فأثنت علیه رماله و بالنادی فأثنت أرامله، ما زار الشام إلّا أغناه عن مسّه المطر، و لا صحب سلطانه فی سفر إلّا قال: نعم الصّاحب فی السّفر و الحضر.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۹۶

و لمّا کان المتفرّد بهذه البرکات هو واحد الوجود، و من لا یشارکه فی المزایا شریک و إنّ اللیالی بإیجاد مثله غیر ولود. و هو الذی إن لم نسمّه، قال سامع هذه المناقب: هو الموصوف، عند اللّه و عند خلقه معروف. و هذا الممدوح بأکثر من هذه الممادح، و المحامد من ربّه ممدوح و ممنوح.

و المنعوت بذلک، قد نعتته بأکثر من هذه النّعوت الملائک، و إنّما نذکر نعوته التذاذا، فلا یعتقد کاتب و لا خاطب أنه وفّی جلالته بعض حقّها؛ فإنّه أشرف من هذا.

و إذا کان لا بدّ للمادح أنه یحول، و للقلم أنه یقول، فتلک برکات للمجلس العالی الوالدی الصاحبی الوزیری السیدیّ الورعی الزاهدی العابدی الذّخری الکفیل الممهّدی المشیدی العونی القوامی النظامی الأفضلی الأشرفی العاملی العادلی البهائی، سیّد الوزراء و الأصحاب فی العالمین، کهف العابدین، ملجأ الصالحین، شرف الأولیاء المتّقین، مدبّر الدول، سداد الثغور، صلاح الممالک، قدوة الملوک و السلاطین، یمین أمیر المؤمنین، علیّ بن محمد أدام اللّه جلاله، من تشرف الأقالیم بحیاطة قلمه المبارک، و التقالید بتجدید تنفیذه الذی لا یساهم فیه و لا یشارک، فما جدّد منها إنّما هو بمثابة آیات تزاد فتردّد، أو بمنزلة أسجال فی کلّ حین به یحکم و فیه یشهد؛ حتّی تتناقل بثبوته الأیّام و اللیالی، و لا یخلو جید دولة أن یکون الحالی بما له من مفاخر اللآلئ، فلذلک خرج الأمر العالی لا برح بکسب بهاء الدین المحمّدی أتمّ الأنوار، و لا برحت مراسمه تزهو من قلم منفذه بذی الفقر و ذی الفقار؛ أن یضمن هذا التقلید الشریف بالوزارة التامّة العامّة الشاملة الکاملة الشریفة الصاحبیّة البهائیة أحسن التضمین، أن ینشر منها ما یتلقّی روایته کلّ ربّ سیف و قلم بالیمین، و أن یعلم کافّة الناس و من یضمّه طاعة هذه الدولة و ملکها من ملک و أمیر، مدینة ذات منبر و سریر، و کلّ من جمعته الأقالیم من نوّاب سلطنة، و ذوی طاعة مذعنة، و أصحاب عقد و حلّ، و ظعن و حلّ، و ذوی جنود و حشود، و رافعی أعلام و بنود، و کلّ راع و رعیّة، و کلّ من ینظر فی الأمور الشرعیّة، و کلّ صاحب علم و تدریس، و تهلیل و تقدیس، و کلّ من یدخل فی حکم هذه الدولة العالیة من شموسها المضیئة، و بدورها المنیرة، و نجومها المشرقة و شهبها الثاقبة فی الممالک المصریّة و النوبیّة و الساحلیّة و الکرکیة و الشّوبکیة و الشامیّة و الحلبیّة، و ما تداخل بین ذلک من ثغور و حصون و ممالک.

إنّ القلم المبارک الصاحبی البهائیّ فی جمیع هذه الممالک مبسوط، و أمر تدبیرها به منوط، و عنایة شفقته لها تحوط، و له النظر فی أحوالها و أموالها، و إلیه أمر قوانینها و دواوینها، و کتابها و حسابها و مراتبها، و رواتبها و تصریفها و مصروفها، و إلیه التولیة و الصرف، و إلیه تقدمة البدل و النعت و التوکید و العطف، و هو صاحب الرتبة التی لا

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۹۷

یحلّها سواه، و سوی من هو مرتضیه من السادة الوزرائیّة، و من سمّینا غیره و غیرهم بالصحوبیّة.

فلیحذر من یخاطب غیرهم بها أو یسمّیه، فکما کان والدنا الشهید یخاطبه بالوالد خاطبناه بذلک و خطبناه، و ما عدلنا عن ذلک بل عدلنا، لأنّه ما ظلم من أشبه أباه، فمنزلته لا تسامی و لا تسام، و مکانته لا ترامی و لا ترام؛ فمن قدح فی سیادته من حسّاده- أبادهم اللّه- زناد قدح أحرق بشرر شرره، و من رکب إلی جلالته سیح سوء أغرق فی بحره، و من قتل لسعادته حبل کید فإنّما فتله مبرمه

لنحره.

فلتلزم الألسنة و الأقلام و الأقدام فی خدمته أحسن الآداب، و لیقل المتردّدون:

حطّة إذا دخلوا الباب، و لا یغرّنهم فرط تواضعه لدینه و تقواه، فمن تأدّب معنا و من تأدّب معنا تأدّب مع اللّه.

و لیتل هذا التقلید علی رؤوس الأشهاد، و تنسخ نسخته حتّی تتناقلها الأمصار و البلاد؛ فهو حجّتنا علی من سمّیناه خصوصا و من یدخل فی ذلک بطریق العموم، فلیعملوا فیه بالنصّ و القیاس و الاستنباط و المفهوم.

و اللّه یزید المجلس العالی الصاحبیّ البهائیّ من فضله، و یبقیه لغایة هذه الدولة و یصونه لشبله کما صانه لأسده من قبله، و یمتّع بنیّته الصالحة التی یحسن بها إن شاء اللّه نماء الفرع کما حسن نماء أصله.

*** و استمرّ الصاحب بهاء الدین فی الوزارة إلی أن مات فی ذی القعدة سنة سبع و سبعین.

و کان الملک السعید إذ ذاک بدمشق، فلما بلغته وفاته، أرسل إلی برهان الدین الخضر بن الحسن السنجاریّ باستقراره وزیرا بالدیار المصریة، فقال القاضی محیی الدین بن عبد الظاهر حین سیّر إلیه تقلید الوزارة: بک زال الخلاف، و اصطلح الخصمان یا دولة الملک السعید، فلمّا قالت الوزارة بالبرهان قال البرهان بالتقلید.

و قال السّراج الوراق حین خلع علیه:

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۹۸ تهنّ بخلعة لبست جمالابوجه منک سمح یجتلوه

و قال النّاس حین طلعت فیها:أهذا البدر؟ قلت لهم: أخوه

و قال فی خلعة ولده شمس الدین:

أهنّی الوزیر ابن الوزیر بخلعةمحاسنها فتّانة العقل و الحسّ

أضاءت بها الآفاق شرقا و مغرباو لم لا، و من أطواقها مطلع الشمس!

و لمّا عوجل خلع الملک السعید، قال ناصر الدین بن النقیب:

تطیّرت الوزارة من قریببصاحبها الجدید و من بعید

و قالت: کعبه کعب شؤمو لا سیما علی الملک السعید

و أقام السنجاریّ فی الوزارة إلی أن ولی قلاوون فی رجب سنة ثمان و سبعین، فعزله. و استوزر فخر الدین بن لقمان کاتب السرّ، فأقام إلی جمادی الآخرة سنة تسع و سبعین.

فأعید السنجاریّ إلی الوزارة، و رجع ابن لقمان إلی کتابة الإنشاء، فأقام إلی ربیع الأول سنة ثمانین، فعزل.

و وزر نجم الدین حمزة بن محمد بن هبة اللّه الأصفونیّ.

و وزر الأمیر علم الدین سنجر الشجاعیّ، و هو أوّل من ولی الوزارة من الأمراء، و أوّل وزیر ضربت علی بابه الطبلخاناه علی قاعدة وزراء الخلافة بالعراق، ثمّ عزل.

و وزر الأمیر بدر الدین بیدار، ثمّ صرف.

و أعید الشجاعیّ، ثمّ صرف.

و وزر شمس الدین محمد بن عثمان المعروف بابن السّلعوس ، فأقام إلی أن قتل الأشرف، فأخذ و ضرب إلی أن مات تحت الضّرب.

و کان لما تولی الوزارة، کتب إلیه بعض أصحابه یحذّره من الأمیر علم الدین سنجر الشجاعیّ المنصوریّ:

تنبّه یا وزیر الأرض و اعلمبأنّک قد وطئت علی الأفاعی

و کن باللهِ معتصما فإنّیأخاف علیک من نهش الشجاعی

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۱۹۹

فکان الذی تسبب فی إهلاکه الشجاعیّ.

و ولی الشجاعیّ الوزارة مکانه، فأقام بها أکثر من شهر، و حدّثته نفسه بالسّلطنة، فقتل .

و ولی الوزارة بعده تاج الدین بن فخر الدین بن الصاحب بهاء الدین بن حنّا، فأقام إلی أن تولّی العادل کتبغا، فعزل.

و ولی مکانه فخر الدین عثمان بن مجد الدین عبد العزیز بن الخلیل، فأقام إلی أن تولّی لاجین، فعزل.

و ولی مکانه الأمیر شمس الدین سنقر الأعسر، ثمّ عزل من عامه و حبس؛ فلمّا أعید الملک الناصر إلی السلطنة أخرج الأعسر من الحبس و أعاده إلی الوزارة، ثمّ عزله فی سنة إحدی و سبعمائة.

و ولّی الأمیر عزّ الدین أیبک المنصوری، و ولّی ناصر الدین محمد السنجیّ ثمّ عزل فی شوّال سنة أربع.

و وزر سعد الدین محمد بن عطاء اللّه فی المحرّم سنة ستّ.

و وزر التّاج أبو الفرج بن سعید الدولة المسلّمانی، و وزر ضیاء الدین النّشائیّ، فلمّا عاد الناصر إلی السلطنة المرة الثالثة سنة سبع استوزر فخر الدین الخلیلیّ ثم عزل فی رمضان سنة عشر.

و وزر الأمیر سیف الدین بکتمر الحاجب ، ثمّ عزل فی ربیع الآخر سنة إحدی عشرة.

و وزر أمین الملک أبو سعید المستوفی.

و وزر فی سنة ثلاث و عشرین أمین الملک ثمّ الأمیر علاء الدین مغلطای الجمالی.

ثمّ أبطل الناصر الوزارة، و رتّب وظیفة ناظر الخواصّ ، و ولّاها کریم الدین عبد

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۰۰

الکریم بن هبة اللّه بن السدید، فکان کالوزیر و ربّما قیل له: الصاحب، و استمرّت الوزارة شاغرة إلی سنة أربع و أربعین.

فاستوزر الکامل شعبان نجم الدین محمود بن شروین ، و کان أصله وزیر بغداد فی المحرّم و وزر الأمیر أیتمش المحمّدیّ، و وزر الأمیر منجک الیوسفیّ، ثم عزل ثالث ربیع الأوّل سنة تسع و أربعین.

و وزر الأمیر استدمر العمریّ فی رابع عشرة ثمّ استعفی فی خامس عشرین ربیع الآخر، فأعفی.

و أعید منجک، ثمّ عزل فی محرم سنة إحدی و خمسین.

و وزر علم الدین عبد اللّه بن أحمد بن زنبور القبطیّ، ثمّ عزل فی رمضان سنة ثلاث و خمسین.

و وزر موفّق الدین هبة اللّه بن سعد الدولة القبطیّ، إلی أن مات فی ربیع الآخر سنة خمس و خمسین، و شغرت الوزارة بعده إلی سنة ثمان و خمسین.

و وزر الأمیر قشتمر، ثمّ عزل سنة تسع و خمسین.

و وزر تاج الدین بن رشیة، ثمّ عزل سنة إحدی و ستین.

و وزر جمال الدین یوسف بن أبی شاکر.

ثم وزر الأمیر الأکز الکثلاویّ.

ثم وزر کریم الدین بن غنّام، ثمّ فخر الدین بن تاج الدین موسی، ثمّ صرف سنة أربع و سبعین.

و وزر ابن الغنّام، ثمّ صرف سنة خمس و سبعین.

و أعید منجک الیوسفیّ إلی الوزارة، و فوّض إلیه السلطان کلّ أمور المملکة، و أنّه أقامه مقام نفسه فی کلّ شیء، و أنه یخرج الإقطاعات التی عبرتها سبعمائة دینار فما دونها، و أنّه یعزل من شاء من أرباب الدولة، و یخرج الطبلخانات و العشراوات بسائر الممالک الشامیة، و رسم للوزیر أن یجلس قدّامهم فی الدّرکات، ثمّ مات منجک فی

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۰۱

سنة سبعين . قال ابن الكرمانىّ فى مختصر المسالك: و هو الّذى جعل للمماليك اللحم السّميط فى وزارته، و لم يكن يفرّق عليهم قبل ذلك إلا السليخ.

و وزر تاج الدين عبد الوهاب الملكىّ، و يعرف بالنشو، ثمّ صرف فى رجب سنة ستّ و سبعين.

و أعيد ابن الغنّام، ثمّ صرف من عامه.

و تعطّلت الوزارة إلى ربيع الأول سنة سبع و سبعين، فأعيد التاج الملكىّ ، ثمّ صرف سنة ثمان و سبعين.

و أعيد ابن الغنّام ثم صرف.

و أعيد النّشو ثم صرف.

و استقرّ كريم الدين بن الرّويهب، ثمّ عزل فى شوال سنة تسع و سبعين.

و وزر صلاح الدين خلى بن عرّام ، ثمّ عزل فى صفر سنة ثمانين.

و وزر كريم الدين بن مكانس ، ثمّ عزل فى شوال من السنة.

و أعيد النّشو، ثمّ عزل فى ربيع سنة إحدى و ثمانين.

و وزر شمس الدين بن أبر، ثمّ عزل سنة خمس و ثمانين.

و وزر شمس الدين إبراهيم كاتب أربان ، فأقام إلى أن مات سنة تسع و ثمانين.

و وزر بعده علم الدين إبراهيم القبطىّ بن كاتب سيّدى، ثمّ عزل فى رمضان سنة تسع.

و وزر كريم الدين بن غنّام، ثمّ وزر موفّق الدين أبو الفرج فى صفر سنة اثنتين و تسعين.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۰۲

ثم وزر سعد الدين سعد اللّه بن البقرىّ فى ربيع الآخر من السّنة، ثمّ عزل فى رمضان سنة اثنتين و تسعين.

و أعيد أبو الفرج، ثمّ عزل فى صفر.

و وزر ركن الدين عمر بن قيماز، ثمّ عزل فى رجب.

و وزر تاج الدين بن أبى شاكر، ثمّ عزل فى المحرّم سنة خمس و تسعين.

و أعيد موفّق الدين، ثمّ عزل سنة ستّ و تسعين.

و وزر الأمير ناصر الدين محمد بن رجب بن كلبك بن الحسام، و لقّب وزير الوزراء إلى أن مات سنة ثمان و تسعين.

و وزر مبارك شاه، ثمّ صرف فى رجب.

و أعيد ابن البقرىّ، ثمّ عزل فى ربيع الأوّل سنة تسع و تسعين.

و وزر بدر الدين محمد الطوخىّ، ثمّ صرف فى ربيع الآخر سنة إحدى و ثمانمائة.

و وزر تاج الدّين عبد الرزاق بن أبى الفرج، ثمّ صرف فى ذى القعدة من السنة.

و وزر الشهاب أحمد بن عمر بن قطنة ، ثمّ صرف فى ذى الحجّة من السنة.

و وزر فخر الدين ماجد بن غراب، ثمّ صرف فى ربيع الآخر سنة اثنتين.

و أعيد بدر الدين الطوخىّ، ثم عزل.

و أعيد ابن غراب، ثمّ عزل فى رجب سنة ثلاث.

و وزر علم الدين يحيى بن أسعد المعروف بأبو كمّ ، ثمّ صرف فى ربيع الآخر سنة أربع.

و وزر الأمير مبارك شاه الحاجب، ثمّ صرف.

و وزر تاج الدين البقرىّ، ثمّ صرف فى المحرّم.

و وزر فخر الدین بن غراب، ثمّ عزل سنة خمس.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۰۳

و وزر علاء الدین الأخمص، ثمّ عزل فی شوال.

و وزر مبارک شاه، ثمّ صرف.

و ولی تاج الدین بن البقریّ، ثمّ توارى فی المحرّم سنة ست و ثمانمائة.

و أعید علم الدین أبو کمّ، ثمّ هرب بعد ثمانیة أیام.

و أعید ابن البقریّ، ثمّ هرب فی ربیع الأول.

و أعید تاج الدین بن عبد الرزاق، ثمّ هرب أیضا بعد أیّام.

و أعید ابن البقریّ، ثمّ صرف فی ذی الحجّة سنة سبع.

و أعید فخر الدین ماجد بن غراب، ثمّ صرف سنة تسع.

و وزر جمال الدین البیریّ الأستادار، ثمّ صرف فی سنة اثنتی عشرة.

و وزر سعد الدین إبراهیم بن البشیریّ، ثم صرف فی ربیع الأوّل سنة ستّ عشرة.

و وزر تاج الدین بن الهیصم.

ثم وزر تقیّ الدین عبد الوهاب بن أبی شاکر فی المحرّم سنة تسع عشرة، فأقام إلی ذی القعدة من السنة، و مات.

فوزر فخر الدین الأستادار فی سنة عشرین.

و وزر أرغون شاه ع ثمّ صرف فی جمادی الأولی سنة إحدی و عشرین.

و وزر بدر الدین بن محبّ الدین، ثمّ صرف فی ذی القعدة من عامه.

و وزر بدر الدین بن نصر اللّه، ثمّ صرف فی المحرّم سنة أربع و عشرین.

و وزر تاج الدین کاتب المناخات، ثمّ صرف فی ذی الحجة سنة خمس و عشرین.

و وزر أرغون شاه ، ثمّ صرف فی شوّال سنة ستّ و عشرین.

و وزر کریم الدین بن کاتب المناخات، ثمّ صرف فی رجب سنة سبع و ثلاثین.

و وزر أمین الدین بن الهیصم، ثمّ صرف فی سنة ثمان و ثلاثین.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۰۴

و وزر سعد الدین إبراهیم بن کاتب جکم.

ثم وزر أخوه جمال الدین یوسف فی ربیع الأوّل من السنة، ثمّ صرف فی جمادی الآخرة من السنة. حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة ؛ ج۲ ؛ ص۲۰۴

وزر تاج الدّین عبد الوهاب بن الخطیر، ثمّ صرف فی رمضان سنة تسع و ثلاثین.

و وزر الأمیر خلیل بن شاهی نائب الإسکندریة، ثم صرف.

و وزر کریم الدین بن کاتب المناخ فی ربیع الأوّل سنة أربعین.

ثمّ فی جمادی الآخرة سنة إحدی و خمسین وزر عوضا عنه أمین الدین بن الهیصم، ثم صرف.

و وزر سعد الدین فرج بن النجار، ثمّ صرف فی جمادی سنة ثمان و خمسین.

و أعید أمین الدین بن الهیصم، ثمّ صرف فی ذی القعدة من السنة.

و أعید سعد الدین.

ثم وزر علیّ بن محمد الأهناسیّ، ثمّ صرف فی صفر سنة أربع و ستّین.

و وزر فارس المحمّدی یوما واحدا، ثمّ صرف.

و وزر منصور الکاتب ثمّ صرف.

و وزر محمد الأهناسیّ والد علیّ المذکور عشرة أیام.

ثمّ وزر منصور الأسلمیّ ثمّ صرف فی ربیع الآخر.

و أعید سعد الدین بن النجار، ثمّ صرف فی ربیع الأوّل سنة خمس و ستّین.

و أعید علیّ بن الأهناسیّ، ثم صرف.

و وزر شمس الدین بن صنیعة، ثمّ صرف فی صفر سنة سبع و ستین.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۰۵

و أعید ابن الأهناسیّ ، ثمّ صرف فی شوال.

و وزر مجد الدین بن البقریّ، ثمّ صرف فی المحرّم سنة ثمان و ستّین.

و وزر یونس بن عمر بن جربغا، ثمّ صرف عن قرب.

و أعید المجد بن البقریّ، ثمّ صرف فی ربیع الأول.

و وزر محمد البباویّ إلی أن غرق آخر ذی الحجة سنة تسع و ستین.

و أعید الشرف یحیی بن صنیعة، ثمّ صرف فی جمادی الآخرة.

و وزر قاسم القرافیّ، ثمّ صرف.

و وزر الأمیر یشبک الدّوادار، ثمّ صرف.

و وزر الأمیر خشقدم الطواشیّ، ثمّ صرف.

و وزر ابن الزرازیریّ کاشف الصعید ثمّ صرف عن قرب.

و أعید قاسم، ثمّ صرف.

و وزر الأمیر أقبردی الدّوادار.

ثم ولی بعده الأمیر کرتبای الأحمر یوم الخمیس، مستهلّ ذی الحجة سنة إحدی و تسعمائة.

ذکر کتاب السر

قال ابن الجوزی فی التّلقیح: کان یکتب لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم أبو بکر و عمر و عثمان و علیّ و أبیّ بن کعب و زید بن ثابت الأنصاری و معاویة بن أبی سفیان و حنظلة بن الربیع الأسدیّ و خالد بن سعید بن القاضی و أبّان بن سعید و العلّاء بن الحضرمی؛ و کان المداوم له علی الکتابة زید و معاویة.

و کان کاتب أبی بکر الصدّیق عثمان بن عفان، و کاتب عمر زید بن ثابت و کاتب عثمان مروان بن الحکم، و کاتب علیّ عبد اللّه بن رافع و سعید بن أبی نمر، و کاتب

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۰۶

الحسن کاتب أبیه، و کاتب معاویة عبید اللّه بن أوس الغسّانیّ. و کاتب یزید عبید اللّه بن أوس، ثم عمر العذریّ، و کاتب ابنه معاویة زمل بن عمر العذریّ، و کاتب مروان عبید اللّه بن أوس و شعبان الأحول، و کاتب عبد الملک بن مروان روح بن زنباع الجذامیّ و قبیصة بن ذئیب، و کاتب ابنه الولید قبیصة بن ذؤیب و قرّة بن شریک و الضحاک بن زمل، و کاتب سلیمان یزید بن المهلّب و عبد

العزيز بن الحارث، و كاتب عمر بن عبد العزيز رجاء بن حيوة الكندىّ و ليث بن أبى رقيّة، و كاتب يزيد بن عبد الملك سعيد بن الوليد الأبرش و محمد بن عبد اللّه بن حارثة الأنصارى، و كاتب هشام هذان و سالم مولاه، و كاتب الوليد العباس بن مسلم، و كاتب يزيد بن الوليد ثابت بن سليمان، و كاتب إبراهيم ابن الوليد ثابت هذا، و كاتب مروان الحمار عبد الحميد بن يحيى مولى بنى عامر.

و قال ابن فضل اللّه: كانت كتابة الإنشاء فى المشرق فى خلافة بنى العبّاس منوطة بالوزراء، و ربّما انفرد بها رجل، و استقلّ بها كتّاب لم يبلغوا مبلغ الوزارة، فكان يسمّى فى المشرق كاتب الإنشاء. ثمّ لمّا كثر عددهم سمّى رئيسهم رئيس ديوان الإنشاء، ثمّ بقى يطلق عليه تارة صاحب ديوان الإنشاء، و تارة كاتب السرّ. قال: و هى عندى أنبه، و عند النّاس أدلّ، و كانت فى دولة السلاجقية و ملوك الشرق يسمّى ديوان الطغراوية، و الطغراء هى الطرّة بالفارسية. و أهل المغرب يسمّون صاحب ديوان الإنشاء صاحب القلم الأعلى. انتهى.

و قال غيره: إنّما حدثت وظيفة كتابة السرّ فى أيّام قلاوون، و كانت هذه الوظيفة قديما فى ضمن الوزارة، و الوزير هو المتصرّف فى الديوان، و تحت يده جماعة من الكتّاب، و فيهم رجل كبير يسمّى صاحب ديوان الإنشاء ، و صاحب ديوان الرسائل، فكان الكاتب للسفّاح عبد الجبار بن عدىّ ثمّ كتب للمنصور، و كتب له أيضا عبد اللّه بن المقفّع المشهور بالبلاغة و أبو أيوب الموريانىّ، و كتب للمهدىّ وزيره معاوية بن عبد اللّه و الربيع بن يونس الحاجب، و كتب للهادى عمرو بن بزيع، فلمّا استخلف الرشيد ولّى يوسف بن القاسم بن صبيح كتابة الإنشاء، فكان هو الذى قام خطيبا بين

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۰۷

يديه، حتّى أخذت له البيعة، و كتب للمأمون أحمد بن يوسف و القاسم بن صبيح الكاتب و أحمد بن الضّحاك الطبرىّ، و عمرو بن مسعدة و المعلّى بن أيّوب و عمرو بن مهبول، و كتب للمعتصم و الواثق إبراهيم الموصلىّ. و كتب للمتوكّل أحمد بن المدبّر و إبراهيم بن العبّاس الصولىّ. و كتب للطائع أبو القاسم عيسى بن الوزير علىّ بن عيسى بن الجراح. و كتب للقادر إبراهيم بن هلال الصابئ، و كان على دين الصابئة إلى أن مات.

و كتب لجماعة من الخلفاء أبو سعيد العلاء بن الحسن بن وهب بن الموجلايا، قال بعضهم: كتب فى الإنشاء للخلفاء خمسا و ستّين سنة، و كان نصرانيا، فأسلم على يد المقتدى.

و كتب للمقتدى سديد الدّولة أبو عبد اللّه بن إبراهيم بن عبد الكريم بن الأنبارىّ.

قال ابن كثير: كان كاتب الإنشاء ببغداد للخلفاء، و انفرد بصناعة الإنشاء.

و كتب للنّاصر قوام الدين يحيى بن سعيد الواسطىّ المشهور بابن زيادة صاحب ديوان الإنشاء ببغداد، و من انتهيت إليه رئاسة الترسّل.

و كتب للمستعصم عزّ الدين عبد الحميد بن هبة اللّه بن أبى الحديد المدائنىّ الكاتب و مات سنة خمس و خمسين و ستمائة، و قتل الخليفة عقب موته. فهو آخر كتاب الإنشاء لخلفاء بغداد.

قلت: و من الاتّفاق الغريب أنّ آخر خلفاء بنى أميّة كتب له عبد الحميد الكاتب و آخر خلفاء بنى العبّاس ببغداد كتب له من اسمه عبد الحميد.

*** و أما مصر فلم يكن بها ديوان إنشاء من حين فتحت إلى أيّام أحمد بن طولون، فقوى أمرها، و عظم ملكها، فكتب عنده أبو جعفر محمد بن أحمد بن مودود .

و كتب لولده خمارويه إسحاق بن نصر العبادىّ.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۰۸

و توالت دواوين الإنشاء بذلك إلى أن ملكها العبيدية، فعظم ديوان الإنشاء بها و وقع الاعتناء به و اختيار بلغاء الكتاب ما بين مسلم و ذمىّ؛ فكتب للعزيز بن المعزّ وزيره ابن كلّس ثم أبو عبد اللّه الموصلىّ، ثمّ أبو المنصور بن حورس النصرانىّ، ثم كتب للحاكم و مات

فى أيامه.

و كتب للحاكم بعده القاضى أبو الطاهر الهولىّ، ثمّ كتب لابن الحاكم الظاهر.

و كتب للمستنصر القاضى وليّ الدين بن خيران و وليّ الدولة موسى بن الحسن بعد انتقاله إلى الوزارة و أبو سعيد العبدىّ.

و كتب للآمر و الحافظ أبو الحسن علىّ بن أبى أسامة الحلبىّ، إلى أن توفّى، فكتب ولده أبو المكارم إلى أن توفّى و معه أمين الدين تاج الرياسة أبو القاسم علىّ بن سليمان المعروف بابن الصيرفىّ و القاضى كافى الكفاة محمود بن الموفق بن قادوس و ابن أبى الدم اليهودىّ. ثم كتب بعد ابن أبى المكارم القاضى موفّق الدين أبو الحجاج يوسف بن الخلّال بقية أيام الحافظ إلى آخر أيام العاضد، و به تخرّج القاضى الفاضل.

ثم أشرك العاضد مع ابن الخلّال فى ديوان الإنشاء القاضى جلال الدين محمود الأنصارىّ.

ثم كتب القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانىّ بين يدى ابن الخلّال فى وزارة صلاح الدين، فلمّا ملك صلاح الدين كتب له القاضى الفاضل. ثمّ أضيفت إليه الوزارة. ثمّ كتب بعده لابنه العزيز ثمّ لولده المنصور و مات.

و كتب للكامل أمين الدين سليمان المعروف بكاتب الدّرج إلى أن مات، فكتب بعده أمين الدين عبد المحسن بن حمود الحلبىّ، ثمّ كتب للصالح أيضا.

ثم ولى ديوان الإنشاء الصاحب بهاء الدين زهير الشاعر المشهور، ثمّ صرف و ولى بعده الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان الأسعردىّ، فأقام إلى انقراض الدولة الأيّوبية، و كتب بعدها للمعزّ أيبك ثمّ للمظفر قطز، ثمّ للظاهر بيبرس ثمّ للمنصور قلاوون، ثمّ نقله قلاوون من ديوان الإنشاء للوزارة.

و ولى ديوان الإنشاء مكانه فتح الدين بن عبد الظاهر، و هو أوّل من سمّى كاتب

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۰۹

السرّ، و سبب ذلك ما حكاه الصلاح الصّفدىّ أنّ الملك الظاهر رفع إليه مرسوم أنكره، فطلب محيى الدين بن عبد الظاهر و أنكر عليه، فقال: يا خوند ، هكذا قال لى الأمير سيف الدين بلبان الدّوادار ، فقال السلطان: ينبغى أن يكون للملك كاتب سرّ يتلقّى المرسوم منه شفاها- و كان قلاوون حاضرا من جملة الأمراء- فوقرت هذه الكلمة فى صدره، فلمّا تسلطن اتّخذ كاتب سرّ، فكان فتح الدين هذا أوّل من شهر بهذا الاسم؛ و كان هو و الوزير لقمان بين يدى السلطان، فحضر كتاب، فأراد الوزير أن يقرأه، فأخذ السلطان الكتاب منه، و دفعه إلى فتح الدين، و أمره بقراءته، فعظم ذلك على ابن لقمان؛ و كانت العادة إذ ذاك ألّا يقرأ أحد على السلطان كتابا بحضرة الوزير. و استمرّ فتح الدين فى كتابة السرّ إلى أن توفّى أيّام الأشرف خليل.

فولى مكانه تاج الدين بن الأثير إلى أن توفّى.

و ولى شرف الدين عبد الوهاب العمرىّ، ثمّ نقله الناصر فى سنة إحدى عشرة و سبعمائة إلى كتابة السرّ بدمشق.

و ولى مكانه علاء الدين بن تاج الدين بن الأثير إلى أن فلج.

و ولى محيى الدين بن فضل اللّه، و ولده شهاب الدينا معينا له لكبر سنه، ثمّ صرفا.

و ولى شرف الدين بن الشهاب محمود ثمّ صرف، و أعيد ابن فضل اللّه و ولده شهاب الدين ثمّ صرفا إلى الشام.

و ولى علاء الدين بن فضل اللّه أخو شهاب الدين، فاستمرّ فى الوظيفة نيّفا و ثلاثين سنة إلى أن مات سنة تسع و ستين و سبعمائة.

و ولى ولده بدر الدين محمد إلى أن تسلطن برقوق فصرفه.

و ولّى أوحد الدين عبد الواحد بن إسماعيل التركمانىّ؛ إلى أن مات فى ذى الحجة سنة ستّ و ثمانين [و سبعمائة].

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۱۰

و أعيد بدر الدين إلى أن تسلطن برقوق الثّانية، فصرفه.

و ولی علاء الدین علیّ بن عیسی الکرکیّ إلی أن مات سنة أربع و تسعین [و سبعمائة].

و أعید بدر الدین إلی أن مات فی شوال سنة ستّ و تسعین.

و ولی بدر الدین محمود الکلستانیّ إلی أن مات فی جمادی الأولی سنة إحدی و ثمانمائة.

و ولی فتح الدین فتح اللّه بن مستعصم التّبریزیّ، ثم صرفه الناصر فرج بسعد الدین بن غراب مدّة یسیرة، ثمّ صرف ابن غراب، و أعید فتح اللّه ثمّ صرف، و ولی فخر الدین بن المزوّق ثمّ صرف، و أعید فتح اللّه إلی أن قبض علیه المؤیّد سنة ستّ عشرة و ثمانمائة.

و ولی ناصر الدین محمد بن البارزیّ إلی أن مات فی سنة ثلاث و عشرین [و ثمانمائة].

و ولی ولده کمال الدین محمد، ثمّ صرف.

و ولی علم الدین داود بن الکویز إلی أن مات سنة ستّ و عشرین [و ثمانمائة].

و ولی جمال الدین یوسف بن الکرکیّ ثمّ صرف.

و ولی قاضی القضاة شمس الدین الهروی الشافعیّ، ثمّ صرف.

و ولی نجم الدین عمر بن حجّی ثمّ صرف.

و ولی شمس الدین محمد بن مزهر إلی أن مات فی جمادی الآخرة سنة اثنتین و ثلاثین [و ثمانمائة].

و ولی ولده جلال الدین محمد ، ثمّ صرف.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۱۱

و ولی الشّریف شهاب الدین الدّمشقی إلی أن مات بالطاعون.

و ولی شهاب الدین أحمد بن السفّاح الحلبیّ إلی أن مات سنة خمس و ثلاثین.

و ولی الوزیر کریم الدین عبد الکریم کاتب المناخ مضافا للوزارة، ثمّ صرف بعد أشهر.

و أعید الکمال بن البارزیّ، ثمّ صرف فی رجب سنة تسع و ثلاثین [و ثمانمائة].

و ولی محبّ الدّین بن الأشقر، ثمّ صرف.

و ولی صلاح الدین محمد بن الصاحب بدر الدین حسن بن نصر اللّه إلی أن مات بالطاعون سنة إحدی و أربعین.

و ولی مکانه أبو الصاحب بدر الدین حسن، ثمّ صرف فی ربیع الآخر سنة اثنتین و أربعین.

و أعید ابن البارزیّ إلی أن مات فی صفر سنة ستّ و خمسین.

و أعید ابن الأشقر ، ثمّ صرف فی ذی القعدة.

و ولی محبّ الدین بن الشّحنة ثمّ صرف بعد ستة أشهر.

و أعید ابن الأشقر، ثمّ صرف فی جمادی الأولی سنة ثلاث و ستین [و ثمانمائة].

و أعید ابن الشّحنة ثمّ صرف فی شوال سنة ستّ و ستّین.

و ولی القاضی برهان الدین بن الدیری، ثم صرف بعد نصف شهر.

و ولی القاضی تقیّ الدین أبو بکر بن کاتب السرّ بدر الدین بن مزهر، فاستمر إلی الآن عامله اللّه بألطافه، و ختم لنا و له بخیر. آمین.

ثم توفّی فی سادس رمضان سنة ثلاث و تسعین [و ثمانمائة]، و ولی ولده القاضی بدر الدین أعزّه اللّه تعالی!

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۱۲

ذکر جوامع مصر

اشارة

اعلم أنه من حين فتحت مصر لم يكن بها مسجد تقام فيه الجمعة سوى جامع عمرو بن العاص إلى أن قدم عبد اللّه بن علىّ بن عبد اللّه بن عباس من العراق فى طلب مروان الحمار سنة ثلاث و ثلاثين و مائة، فنزل عسكره فى شمالىّ الفسطاط و بنوا هنالك الأبنية، فسمّى ذلك الموضع بالعسكر، و أقيمت هناك الجمعة فى مسجد فصارت الجمعة تقام بجامع عمرو و بجامع العسكر إلى أن بنى السلطان أحمد بن طولون جامعه حين بنى القطائع ، فأبطلت الخطبة من جامع العسكر، و صارت الجمعة تقام بجامع عمرو و بجامع ابن طولون إلى أن قدم جوهر القائد، و اختطّ القاهرة، و بنى الجامع الأزهر فى سنة ستّين و ثلاثمائة، فصارت الجمعة تقام بثلاثة جوامع.

ثمّ إنّ العزيز باللّه بنى فى ظاهر القاهرة من جهة باب الفتوح الذى يعرف اليوم بجامع الحاكم سنة ثمانين و ثلاثمائة، و أكمله ابنه الحاكم ، ثمّ بنى جامع المقس و جامع راشدة، فكانت الجمعة تقام فى هذه الجوامع السّتّة إلى أن انقضت دولة العبيديين فى سنة سبع و ستّين و خمسمائة، فبطلت الجمعة من الجامع الأزهر، و بقيت فيما عداه.

فلمّا كانت الدولة التركيّة أحدثت عدّة جوامع، فبنى فى زمن الظّاهر بيبرس جامع الحسينية فى سنة تسع و ستّين؛ ثمّ بنى النّاصر بن قلاوون الجامع الجديد بمصر فى سنة اثنتى عشرة و سبعمائة، و بنى أمراؤه و كتّابه فى أيامه نحو ثلاثين جامعا، و كثرت فى هذا القرن و ما بعده إلى الآن؛ فلعلّها الآن فى مصر و القاهرة أكثر من مائتى جامع.

قال هشام بن عمّار: حدّثنا المغيرة بن المغيرة، حدّثنا عثمان بن عطاء الخراسانىّ عن أبيه، قال: لمّا افتتح عمر البلدان كتب إلى أبى موسى و هو على البصرة يأمره أن يتّخذ مسجدا للجماعة، و يتّخذ للقبائل مساجد، فإذا كان يوم الجمعة انضمّوا إلى مسجد الجماعة، و كتب إلى سعد بن أبى وقّاص و هو على الكوفة بمثل ذلك، و كتب إلى عمرو ابن العاص و هو على مصر بمثل ذلك، و كتب إلى أمراء أجناد الشام ألّا ينبذوا إلى القرى و أن ينزلوا المدائن، و أن يتّخذوا فى كلّ مدينة مسجدا واحدا، و لا تتّخذ القبائل مساجد؛ و كان الناس متمسّكين بأمر عمر و عهده.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۱۳

و قال القضاعىّ: لم تكن الجمعة تقام فى زمن عمرو بن العاص بشىء من أرض مصر إلا بجامع الفسطاط.

قال ابن يونس: جاء نفر من غافق إلى عمرو بن العاص، فقالوا: إنّا نكون فى الريف، فنجتمع فى العيدين الفطر و الأضحى، و يؤمّنا رجل منّا، قال: نعم، قالوا:

فالجمعة؟ قال: لا، و لا يصلّى الجمعة بالناس إلّا من أقام الحدود، و أخذ بالذنوب، و أعطى الحقوق.

جامع عمرو

قال ابن المتوّج فى إيقاظ المتغفّل و إيعاظ المتؤمّل: هو الجامع العتيق المشهور بتاج الجوامع ، قال اللّيث بن سعد: ليس لأهل الراية مسجد غيره؛ و كان الذى حاز موضعه ابن كلثوم التّجيبىّ ، و يكنى أبا عبد الرحمن، و نزله فى حصارهم الحصن، فلمّا رجعوا من الإسكندرية سأل عمرو قيسبة فى منزله هذا، تجعله مسجدا؟ فقال قيسبة: فإنّى أتصدّق به على المسلمين، فسلّمه إليهم؛ فبنى فى سنة إحدى و عشرين، و كان طوله خمسين ذراعا فى عرض ثلاثين. و يقال إنّه وقف على إقامة قبلته ثمانون رجلا من الصحابة، منهم الزبير بن العوام و المقداد بن الأسود و عبادة بن الصّامت و أبو الدرداء و أبو ذرّ و أبو بصرة و محمية بن جزء الزّبيدىّ و نبيه بن صواب و فضالة بن عبيد و عقبة بن عامر و رافع بن مالك و غيرهم.

و يقال إنّها كانت مشرفة جدّا، و أنّ قرّة بن شريك لما هدم المسجد و بناه فى زمن الوليد تيامن قليلا.

و ذكر أنّ الليث بن سعد و عبد اللّه بن لهيعة كانا يتيامنان إذا صلّيا فيه؛ و لم يكن للمسجد الذى بناه عمرو محراب مجوّف، و إنّما قرّة بن شريك جعل المحراب المجوّف.

و أوّل من أحدث ذلك عمر بن عبد العزيز، و هو يومئذ عامل الوليد على المدينة حين هدم المسجد النبوىّ، و زاد فيه.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۱۴

و أوّل من زاد فی جامع عمرو مسلمة بن مخلد، و هو أمیر مصر سنة ثلاث و خمسین، شکا الناس إلیه ضیق المسجد، فکتب إلی معاویة، فکتب معاویة إلیه یأمره بالزیادة فیه، فزاد فیه من بحریة ، و جعل له رحبة من البحریّ و بیّضه و زخرفه، و لم یغیّر البناء القدیم، و لا أحدث فی قبلته و لا غربیّه شیئا.

و کان عمرو قد اتّخذ منبرا، فکتب إلیه عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه یعزم علیه فی کسره: أما یحسبک أن تقوم قائما، و المسلمون جلوس تحت عقبیک! فکسره .

و ذکر أنّه زاد من شرقیّه حتّی ضاق الطریق بینه و بین دار عمرو بن العاص و فرشه بالحصر و کان مفروشا بالحصباء.

و قال فی کتاب الجند العربیّ: إنّ مسلمة نقض جمیع ما کان عمرو بن العاص بناه، و زاد فیه من شرقیّه، و بنی فیه أربع صوامع ، فی أرکانه الأربع برسم الأذان، ثمّ هدمه عبد العزیز بن مروان أیّام إمرته بمصر فی سنة تسع و سبعین، و زاد فیه من ناحیة الغرب، و أدخل فیه الرّحبة التی کانت بحریّه .

ثم فی سنة تسع و ثمانین أمر الولید نائبه بمصر برفع سقفه و کان مطأطئا، ثمّ هدمه قرّه بن شریک بأمر الولید سنة اثنتین و تسعین و بناه، فکانوا یجمعون فی قیساریّة العسل حتی فرغ من بنائه فی رمضان سنة ثلاث و تسعین، و نصب فیه المنبر الجدید فی سنة أربع و تسعین، و عمل فیه المحراب المجوّف، و عمل للجامع أربعة أبواب، و لم یکن له قبل إلا بابان، و بنی فیه بیت المال بناه أسامة بن زید التّوخیّ متولّی الخراج بمصر سنة تسع و تسعین؛ فکان مال المسلمین فیه، ثمّ زاد فیه صالح بن علیّ بن عبد اللّه بن عباس، و هو یومئذ أمیر من قبل السّفاح، و ذلک فی سنة ثلاث و ثلاثین و مائة، فأدخل فیه دار الزبیر بن العوام، و أحدث له بابا خامسا .

ثمّ زاد فیه موسی بن عیسی الهاشمیّ، و هو یومئذ أمیر مصر من قبل الرشید فی شعبان سنة خمس و سبعین و مائة.

ثمّ زاد عبد اللّه بن طاهر بن الحسین- و هو أمیر مصر من قبل المأمون- فی

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۱۵

جمادی الآخرة سنة اثنتی عشرة و مائتین؛ فتکامل ذرع الجامع مائتین و تسعین ذراعا بذراع العمل طولا فی مائة و خمسین عرضا. و یقال إن ذرع جامع ابن طولون مثل ذلک سوی الأزقّة المحیطة بجوانبه الثلاثة. و نصب عبد اللّه بن طاهر اللّوح الأخضر، فلما احترق الجامع احترق ذلک اللوح، فجعل أحمد بن محمد العجیفیّ هذا اللوح مکانه، و هو الباقی إلی الیوم.

و لما تولّی الحارث بن مسکین القضاء من قبل المتوکّل سنة ثلاث و ثلاثین و مائتین، أمر ببناء هذه الرحبة لینتفع الناس بها، و بلّط زیادة بن طاهر، و أصلح السّقف.

ثمّ زاد فیه أبو أیّوب أحمد بن محمد بن شجاع صاحب الخراج فی أیام المستعصم فی سنة ثمان و خمسین و مائتین.

ثمّ وقع فی مؤخّر الجامع حریق فی لیلة الجمعة لتسع خلون من صفر سنة خمس و سبعین و مائتین، فأمر خمارویه بن أحمد بن طولون بعمارته علی ید العجیفیّ، فأعید علی ما کان، و أنفق فیه ستّة آلاف و أربعمائة دینار، و کتب اسم خمارویه فی دائرة الرّواق الذی علیه اللوح الأخضر.

و زاد فیه أبو حفص العباسیّ أیّام نظره فی قضاء مصر خلافة لأخیه الغرفة التی یؤذّن فیها المؤذّنون فی السطح؛ و ذلک فی سنة ستّ و ثلاثین و ثلثمائة.

ثمّ زاد فیه أبو بکر محمد بن عبد اللّه بن الخازن رواقا مقداره تسعة أذرع، و ذلک فی رجب سنة سبع و خمسین و ثلثمائة، و مات قبل إتمامه فأتّمه ابنه علیّ، و فرغ فی رمضان سنة ثمان و خمسین [و ثلاثمائة] ، ثم بنی فیه الوزیر أبو الفرج یعقوب بن کلّس بأمر العزیز باللّه الفوّارة التی تحت قبّة بیت المال، و هو أوّل من عمل فیه فوّارة.

و فی سنة سبع و ثمانین و ثلثمائة بیّض المسجد، و نقشت ألواحه، و ذهّب علی ید برجوان الخادم، و عمل فیه تنّور یوقد کلّ لیلة

جمعة.

و فى سنة ثلاث و أربعمائة أنزل إليه من القصر بألف و مائتين و تسعين مصحفا فى ربعات، فيها ما هو مكتوب بالذهب كلّه، و مكّن الناس من القراءة فيها، و أنزل إليه تنّور

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۱۶

من فضّة، استعمله الحاكم بأمر اللّه برسم الجامع فيه مائة ألف درهم فضّة، فاجتمع الناس، و علّق بالجامع بعد أن قلعت عتبتا الجامع حتّى أدخل به.

ثمّ فى أيّام المستنصر فى رمضان سنة ثمان و ثلاثين و أربعمائة زيد فى المقصورة فى شرقيّها و غربيّها، و عملت منطقة فضّة فى صدر المحراب الكبير، أثبت عليها اسم أمير المؤمنين، و جعل لعمودى المحراب أطواقا من فضّة، فلم يزل ذلك إلى أن استبدّ السلطان صلاح الدين بن أيوب فأزاله .

و فى ربيع الآخر سنة اثنتين و أربعين و أربعمائة، عمل مقصورة خشب و محراب ساج منقوش بعمودى صندل برسم الخليفة ، تنصب له فى زمن الصيف، و تقلع فى زمن الشتاء إذا صلّى الإمام فى المقصورة الكبيرة.

و فى سنة أربع و ستّين و خمسمائة تمكّن الفرنج من ديار مصر، و حكموا فى القاهرة حكما جائرا، فتشعّث الجامع، فلما استبدّ السلطان صلاح الدين جدّده فى سنة ثمان و ستين و خمسمائة، و رخّمه و رسم عليه اسمه، و عمّر المنظرة التى تحت المئذنة الكبيرة، و جعل لها سقاية.

و لمّا تولى تاج الدين بن بنت الأعزّ قضاء الديار المصرية أصلح ما مال منه، و هدم ما به من الغرف المحدثة، و جمع أرباب الخبرة، و اتّفق الرأى على إبطال جواز الماء إلى الفسقيّة، و كان الماء يصل إليها من بحر النيل، فأمر بإبطاله لما كان فيه من الضرر على جدار الجامع.

و جدّ السلطان بيبرس فى عمارة ما تهدّم من الجامع، فرسم بعمارته، و كتب اسم الظاهر بيبرس على اللوح الأخضر، و جليت العمد كلّها، و بيّض الجامع بأسره، و ذلك فى رجب سنة ستّ و ستّين و ستّمائة. ثم جدّد فى أيّام المنصور قلاوونسنة سبع و ثمانين و سبعمائة .

و لما حدثت الزلزلة فى سنة اثنتين و سبعمائة تشعّث الجامع فجدّده سلار نائب السلطنة.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۱۷

ثمّ تشعّث فى أيّام الظاهر برقوق، فعمره الرئيس برهان الدين إبراهيم بن عمر المحلّى رئيس التّجار، و أزال اللوح الأخضر، و جدّد لوحا آخر بدله و هو الموجود الآن، و انتهت عمارته فى سنة أربع و ثمانمائة.

*** و قال ابن المتوّج: ذرع هذا الجامع اثنان و أربعون ألف ذراع بذراع البزّ المصرىّ القديم، و هو ذراع الحصر المستمرّ الآن، و ذرعه بذراع العمل ثمانية و عشرون ألف ذراع، و عدد أبوابه ثلاثة عشر بابا .

و ممّن تولّى إمامة هذا الجامع أبو رجب العلاء بن عاصم الخولانىّ، و هو أوّل من سلّم فى الصلاة تسليمتين بهذا الجامع، بكتاب ورد عليه من المأمون يأمره بذلك؛ و صلّى خلفه الإمام الشافعىّ حين قدم مصر، فقال: هكذا تكون الصلاة، ما صلّيت خلف أحد أتمّ صلاة من أبى رجب و لا أحسن.

و لما تولّى القصص حسن بن الربيع بن سليمان فى زمن المتوكّل سنة أربعين و مائتين، أمر بترك قراءة «بسم اللّه الرحمن الرحيم» فى الصّلاة، و أمر أن تصلّى التراويح ، و كانت تصلّى قبل ذلك ستّ تراويح.

قال القضاعىّ: و لم يكن النّاس يصلّون بالجامع صلاة العيد، حتّى كانت سنة ستّ و ثلثمائة صلّى فيه رجل يعرف بعلىّ بن أحمد بن عبد الملك الفهمىّ صلاة الفطر، و يقال إنّه خطب من دفتر نظرا، و حفظ عنه أنه قال: «اتّقوا اللّه حقّ تقاته و لا- تموتنّ إلّا و أنتم

مشركون»، فقال بعض الشعراء:

قام فى العيد لنا خطيبا فحرّض النّاس على الكفر

و ذكر بعضهم أنه كان يوقد فى الجامع العتيق كلّ ليلة ثمانية عشر ألف فتيلة و أنّ المطلق برسمه خاصة لوقود كلّ ليلة أحد عشر قنطارا زيتا طيّبا.

و قال المقريزىّ: أخبرنى شهاب الدين أحمد بن عبد اللّه الأوحدىّ، أخبرنى المؤرّخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات، أخبرنا العلامة شمس الدين

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۱۸

محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفىّ، أنّه أدرك بجامع عمرو قبل الوباء الكائن فى سنة تسع و أربعين و سبعمائة بضعا و أربعين حلقة لإقراء العلم لا تكاد تبرح منه .

جامع أحمد بن طولون

هذا الجامع موضعه يعرف بجبل يشكر، قال ابن عبد الظاهر: و هو مكان مشهور بإجابة الدعاء، و قيل: إنّ موسى عليه الصلاة و السلام ناجى ربّه عليه بكلمات.

و ابتدأ فى بناء هذا الجامع الأمير أبو العباس أحمد بن طولون بعد بنائه القطائع، و هى مدينة بناها ما بين سفح الجبل حيث القلعة الآن، و بين الكبارة و ما بين كوم الجارح و قناطر السباع؛ فهذه كانت القطائع.

و كان ابتداء بنائه فى سنة ثلاث و ستّين و مائتين، و فرغ منه سنة ست و ستين [و مائتين]، و بلغت النفقة عليه فى بنائه مائة ألف دينار و عشرين ألف دينار. و قيل: إنه قال: أريد أن أبنى بناء إن احترقت مصر بقى، و إن غرقت بقى، فقيل: يبنى بالجير و الرّماد و الآجرّ الأحمر، و لا تجعل فيه أساطين رخام، فإنّه لا صبر له على النّار؛ فبنى هذا البناء، فلمّا كمل بناؤه أمر بأن يعمل دائرة منطقه عنبر معجون ليفوح ريحها على المصلّين، و أشعر الناس بالصلاة فيه، فلم يجتمع فيه أحد، و ظنّوا أنّه بناه من مال حرام، فخطب فيه، و حلف أنّه ما بنى هذا المسجد بشىء من ماله، و إنّما بناه بكنز ظفر به، و إنّ العشار الذى نصبه على منارته وجده فى الكنز.

فصلّى الناس فيه، و سألوه أن يوسّع قبلته، فذكر أنّ المهندسين اختلفوا فى تحرير قبلته، فرأى فى المنام النبى صلى اللّه عليه و سلم، و هو يقول: يا أحمد، ابن قبلة هذا الجامع على هذا الموضع؛ و خطّ له فى الأرض صورة ما يعمل. فلمّا كان الفجر مضى مسرعا إلى ذلك الموضع؛ فوجد صورة القبلة فى الأرض مصوّرة، فبنى المحراب عليها، و لا يسعه أن يوسّع فيه لأجل ذلك، فعظم شأن الجامع، و سألوه أن يزيد فيه زيادة، فزاد فيه.

قال الخطيب: ركب أحمد بن طولون يوما يتصيّد بمصر، فغاصت قوائم فرسه فى الرمل، فأمر بكشف ذلك الموضع، فظهر له كنز فيه ألف ألف دينار، فأنفقها فى

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۱۹

أبواب البرّ و الصّدقات، و بنى منها الجامع، و أنفق عليه مائة ألف دينار و عشرين ألف دينار، و بنى المارستان، و أنفق عليه ستّين ألف دينار.

و قال صاحب مرآة الزمان: قرأت فى تاريخ مصر أن ابن طولون كان لا يعبث قطّ، و أنّه أخذ يوما درجا من الكاغد ، و جعل يعبث به، و بقى بعضه فى يده، فعجب الحاضرون فقال: اصنعوا منارة الجامع على هذا المثال، و هى قائمة اليوم على ذلك.

قال: و لما تمّ بناء الجامع رأى ابن طولون فى منامه كأنّ اللّه تجلّى للقصور التى حول الجامع و لم يتجلّ للجامع، فسأل المعبّرين، فقالوا: يخرب ما حوله، و يبقى الجامع قائما وحده. قال: و من أين لكم هذا؟ قالوا: من قوله تعالى: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا [الأعراف:

۱۴۳]، و قوله عليه الصلاة و السلام: «إذا تجلّى اللّه لشيء خضع له»، فكان كما قالوا.

و فى الخطط للمقريزىّ: بنى أحمد بن طولون جامعه على بناء جامع سامرّاء، و كذلك المنارة، و بيّضه و حلّقه و فرشه بالحصر العبدانيّة، و علّق فيه القناديل المحكمة بالسلاسل النحاس المفرّغة الحسان الطوال، و حمل إليه صناديق المصاحف، و كان فى وسط صحنه قبّة مشبكة من جميع جوانبها، و هى مذهّبة على عشرة عمد رخام مفروشة كلّها بالرخام، و تحت القبّة قصعة رخام سعتها أربعة أذرع، وسطها فوّارة تفور بالماء، و كانت على السطح علامات للزوال و السطح بدرابزين ساج، فاحترق هذا كلّه فى ساعة واحدة فى ليلة الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى سنة تسع و سبعين و ثلاثمائة، فلما كان فى محرّم سنة خمس و ثمانين و ثلاثمائة؛ أمر العزيز بالله بن المعزّ ببناء فوّارة عوضا عن التى احترقت .

قال المقريزىّ: و لما كمل بناء جامع بن طولون صلّى فيه القاضى بكّار إماما، و خطب فيه أبو يعقوب البلخىّ، و أملى فيه الحديث الربيع بن سليمان تلميذ الإمام الشافعىّ، و دفع إليه أحمد بن طولون فى ذلك اليوم كيسا فيه ألف دينار . و عمل الربيع كتابا فيما روى عن النبى صلى اللّه عليه و سلم أنه قال: «من بنى مسجدا و لو كمفحص قطاة بنى اللّه له بيتا فى الجنّة»، و دسّ أحمد بن طولون عيونا لسماع ما يقوله النّاس من العيوب فى الجامع، فقال رجل: محرابه صغير، و قال آخر: ما فيه عمود، و قال آخر:

ليس له ميضأة، فجمع الناس و قال: أمّا المحراب فإنّى رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و قد

خطّه لى ، و أما العمد فإنّى بنيت هذا الجامع من مال حلال و هو الكنز، و ما كنت لأشوبه بغيره، و هذه العمد إمّا أن تكون من مسجد أو كنيسة، فنزّهته عنهما؛ و أمّا الميضأة، فها أنا أبنيها خلفه. ثمّ عمل فى مؤخّره ميضأة و خزانة شراب فيها، جمع الأشربة و الأدوية، و عليها خدم، و فيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث من الحاضرين للصلاة، و أوقف على الجامع أوقافا كثيرة سوى الرّباع و نحوها، و لم يتعرّض إلى شيء من أراضى مصر البتّة.

ثم لمّا وقع الغلاء فى زمن المستنصر خربت القطائع بأسرها، و عدم السكن هنالك، و صار ما حول الجامع خرابا.

و توالت الأيام على ذلك، فتشعّث الجامع، و خرب أكثره، و صارات المغاربة تنزل فيه بإبلها و متاعها عندما تقدم الحجّ، و تمادى الأمر على ذلك.

ثمّ إنّ لاجين لمّا قتل الأشرف خليل بن قلاوون هرب، فاختفى بمنارة هذا الجامع فنذر إن نجّاه اللّه من هذه الفتنة ليعمرنّه، فنجّاه اللّه، و تسلطن، فأمر بتجديده، و فوّض أموره إلى الأمير علم الدين سنجر الزينىّ ، فعمره و وقف عليه وقفا، و رتّب فيه دروس التفسير و الحديث و الفقه على المذاهب الأربعة و القراءات و الطبّ و الميقات حتّى جعل من جملة ذلك وقفا على الدّيكة تكون فى سطح الجامع فى مكان مخصوص بها لأنّها تعين المؤقّتين و توقظهم فى السحر. فلما قرىء كتاب الوقف على السلطان أعجبه كلّ ما فيه إلّا أمر الدّيكة، فقال: أبطلوا هذا لا تضحكوا النّاس علينا، فأبطل.

و أوّل من ولى نظره بعد تجديده الأمير علم الدين سنجر العادلىّ، و هو إذا ذاك دوادار السلطان لاجين.

ثمّ ولى نظره قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة، ثمّ وليه أمير مجلس فى أيّام الناصر محمد بن قلاوون؛ فلما مات وليه قاضى القضاة عزّ الدين بن جماعة. ثمّ ولّاه الناصر للقاضى كريم الدين ، فجدّد فيه مئذنتين، فلمّا نكبه السلطان عاد نظره للقاضى الشافعىّ إلى أيام السلطان حسن، فتولّاه الأمير صرغتمش؛ و توفّر فى مدّة نظره من مال الوقف مائة ألف درهم فضّة، و قبض عليه و هى حاصلة، فباشره قاضى القضاة إلى أيام الأشرف شعبان، ففوّض نظره إلى الأمير الجاى اليوسفىّ إلى أن غرق، فتحدّث فيه

القاضى الشافعىّ إلى أن فوّض الظاهر برقوق نظره إلى الأمير قطلوبغا الصفوىّ، ثمّ عاد نظره إلى القضاة بعد الصفوىّ، و هو بأيديهم إلى اليوم.

و فى سنة اثنتين و تسعين و سبعمائة جدّد الرواق البحرى الملاصق للمئذنة البازدار مقدّم الدولة عبيد بن محمد بن عبد الهادى، و جدّد فيه أيضا ميضأة بجانب الميضأة القديمة.

الجامع الأزهر

هذا الجامع أول جامع أسّس بالقاهرة، أنشأه القائد جوهر الكاتب الصّقلّىّ مولى المعزّ لدين اللّه لما اختطّ القاهرة، و ابتدأ بناؤه فى يوم السّبت لستّ بقين من جمادى الأولى سنة تسع و خمسين و ثلاثمائة، و كمل بناؤه لسبع خلون من رمضان سنة إحدى و ستّين، و كان به طلّسم، لا يسكنه عصفور و لا يمام و لا حمام، و كذا سائر الطيور.

ثمّ جدّده الحاكم بأمر اللّه، و وقف عليه أوقافا، و جعل فيه تنّورين فضّة و سبعة و عشرين قنديلا فضّة، و كان نضده فى محرابه منطقة فضّة، كما كان فى محراب جامع عمرو، فقلعت فى زمن صلاح الدين يوسف بن أيّوب ، فجاء وزنها خمسة آلاف درهم نقرة ، و قلع أيضا المناطق من بقيّة الجوامع.

ثمّ إنّ المستنصر جدّد هذا الجامع أيضا و جدّده الحافظ، و أنشأ فيه مقصورة لطيفة بجوار الباب الغربى الذى فى مقدّم الجامع.

ثمّ جدّد فى أيام الظاهر بيبرس.

و لما بنى الجامع كانت الخطبة تقام فيه، حتّى بنى الجامع الحاكمىّ، فانتقلت الخطبة إليه، و كان الخليفة يخطب فى جامع عمرو جمعة، و فى جامع ابن طولون جمعة، و فى الجامع الأزهر جمعة، و يستريح جمعة. فلمّا بنى الجامع الحاكمىّ صار الخليفة يخطب فيه.

و لم تنقطع الجمعة من الجامع الأزهر بالكليّة. فلمّا ولى السلطان صلاح الدين بن

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۲۲

أيّوب، قلّد وظيفة القضاء صدر الدّين بن درباس، فعمل بمقتضى مذهبه، و هو امتناع إقامة خطبتين فى بلد واحد، كما هو مذهب الشافعىّ رضى اللّه عنه، فأبطل الخطبة من الجامع الأزهر، و أقرّها بالجامع الحاكمىّ لكونه أوسع، فلم يزل الجامع الأزهر معطّلا من إقامة الخطبة فيه إلى أيّام الظاهر بيبرس، فتحدّث فى إعادتها فيه، فامتنع قاضى القضاة ابن بنت الأعزّ و صمّم، فولّى السلطان قاضيا حنفيّا، فأذن فى إعادتها فأعيدت.

جامع الحاكم

أوّل من أسّسه العزيز باللّه ابن المعزّ، و خطب فيه، و صلّى بالناس ، ثمّ أكمله الحاكم بأمر اللّه، و كان أوّلا يعرف بجامع الخطبة، و يعرف اليوم بجامع الحاكم، و يقال له الجامع الأنور، و كان تمام عمارته فى سنة ثلاث و تسعين و ثلاثمائة و حبس عليه الحاكم عدة قياسر و أملاك بباب الفتوح، و قد هدم فى الزلزلة الكائنة فى سنة اثنتين و سبعمائة، فجدّده بيبرس الجاشنكير، و رتّب فيه دروسا على المذاهب الأربعة، و درس حديث و درس نحو، و درس قراءات .

*** و من بناء الحاكم أيضا جامع راشدة ، بجوار رباط الآثار، و عرف بجامع راشدة؛ لأنه فى خطّة راشدة؛ قبيلة من لخم. و صلّى به الحاكم الجمعة أيضا.

*** و من بنائه أيضا الجامع الذى بالمقس على شاطىء النيل، و وقف عليه أوقافا، ثم جدّده فى سنة سبعين و سبعمائة الوزير شمس الدين المقسىّ.

*** و من الجوامع التى بنيت فى خلافة بنى عبيد الجامع الأقمر ، بناه الآمر بأحكام اللّه.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۲۳

و الجامع الأفخر ؛ و هو الذى يقال له اليوم جامع الفكاهيّين بناه الخليفة الظافر.

و جامع الصالح خارج باب زويلة بناه الملك الصالح طلائع بن رزّيك وزير الخليفة الفائز.

ذكر أمّهات المدارس و الخانقاه العظيمة بالديار المصرية

اشارة

قال: أوّل من بنى المدارس فى الإسلام الوزير نظام الملك قوام الدين الحسن بن علىّ الطوسىّ، و كان وزير السلطان ألب‌أرسلان السلجوقىّ عشر سنين، ثمّ وزر لولده ملكشاه عشرين سنة. و كان يحبّ الفقهاء و الصوفيّة و يكرمهم، و يؤثرهم، بنى المدرسة النظاميّة ببغداد، و شرع فيها فى سنة سبع و خمسين و أربعمائة، و نجزت سنة تسع و خمسين، و جمع الناس على طبقاتهم فيها يوم السبت عاشر ذى القعدة ليدرس فيها الشيخ أبو إسحاق الشّيرازى، فجاء الشيخ ليحضر الدرس، فلقيه صبىّ فى الطريق، فقال: يا شيخ؛ كيف تدرس فى مكان مغصوب؟ فرجع الشيخ؛ و اختفى. فلمّا يئسوا من حضوره، ذكر الدّرس بها أبو نصر بن الصبّاغ عشرين يوما. ثمّ إنّ نظام الملك احتال على الشيخ أبى إسحاق و لم يزل يرفق به حتّى درّس بها، فحضر يوم السّبت مستهلّ ذى الحجّة، و ألقى الدرس بها إلى أن توفّى. و كان يخرج أوقات الصلاة فيصلّى بمسجد خارجها احتياطا. و بنى نظام الملك أيضا مدرسة بنيسابور تسمّى النظاميّة، درّس بها إمام الحرمين، و اقتدى النّاس به فى بناء المدارس.

و قد أنكر الحافظ الذهبىّ فى تاريخ الإسلام على من زعم أنّ نظام الملك أوّل من بنى المدارس و قال: قد كانت المدرسة البيهقيّة بنيسابور قبل أن يولد نظام الملك، و المدرسة السعيديّة بنيسابور أيضا، بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود لما كان واليا بنيسابور، و مدرسة ثالثة بنيسابور، بناها أبو سعد إسماعيل بن علىّ بن المثنّى الأستاباذى الصوفىّ الواعظ شيخ الخطيب، و مدرسة رابعة بنيسابور أيضا بنيت للأستاذ أبى إسحاق .

قال الحاكم فى ترجمة الأستاذ أبى إسحاق: لم يكن بنيسابور مدرسة قبلها مثلها؛ و هذا صريح فى أنّه بنى قبلها غيرها. قال القاضى تاج الدين السّبكى فى طبقاته الكبرى:

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۲۴

قد أدرت فكرى، و غلب على ظنّى أن نظام الملك أوّل من رتب فيها المعاليم للطلبة، فإنّه لم يصحّ لى: هل كان للمدارس قبله معاليم أم لا؟ و الظاهر أنّه لم يكن لهم معلوم.

انتهى.

و أما مصر، فقال ابن خلكان: لمّا ملك السلطان صلاح الدين بن أيّوب الديار المصرية، لم يكن بها شىء من المدارس، فإنّ الدولة العبيدية كان مذهبها مذهب الرافضة و الشيعة، فلم يكونوا يقولون بهذه الأشياء ، فبنى السلطان صلاح الدين بالقرافة الصغرى المدرسة المجاورة للإمام الشافعى، و بنى مدرسة مجاورة للمشهد الحسينىّ بالقاهرة ، و جعل دار سعيد السعداء خادم الخلفاء المصريين خانقاه ، و جعل دار عباس الوزير العبيدىّ مدرسة للحنفيّة، و هى المعروفة الآن بالسيوفية، و بنى المدرسة التى بمصر المعروفة بزين التّجار للشافعى، و تعرف الآن بالشريفيّة، و بنى بمصر مدرسة أخرى للمالكيّة و هى المعروفة الآن بالقمحيّة.

و قد حكى أنّ الخليفة المعتضد بالله العبّاسى لما بنى قصره ببغداد استزاد فى الذّرع، فسئل عن ذلك، فذكر أنه يريده ليبنى فيها دورا مساكن و مقاصر، يرتّب فى كل موضع رؤساء كلّ صناعة و مذهب من مذاهب العلوم النظرية و العمليّة، و يجرى عليهم الأرزاق السنيّة، ليقصد كلّ من اختار علما أو صناعة رئيسا، فيأخذ عنه.

و قد ذكر الواقدىّ أنّ عبد اللّه بن أمّ مكتوم قدم مهاجرا إلى المدينة، فنزل دار القرّار .

ذكر المدرسة الصلاحية

بجوار الإمام الشافعیّ رضی اللّه عنه، و ینبغی أن یقال لها: تاج المدارس، و هی أعظم مدارس الدنیا علی الإطلاق لشرفها بجوار الإمام الشافعیّ، و لأنّ بانیها أعظم

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۲۵

الملوک، لیس فی ملوک الإسلام مثله، لا قبله و لا بعده، بناها السّلطان صلاح الدین بن أیّوب رحمه اللّه تعالی سنة اثنتین و سبعین و خمسمائة، و جعل التدریس و النظر بها للشّیخ نجم الدین الخبوشانیّ، و شرط له من المعلوم فی کلّ شهر أربعین دینارا معاملة صرف کلّ دینار ثلاثة عشر درهما و ثلث درهم عن التدریس، و جعل له عن معلوم النظر فی أوقاف المدرسة عشرة دنانیر، و رتّب له من الخبز فی کلّ یوم ستّین رطلا بالمصریّ، و راویتین من ماء النیل.

قال المقریزیّ: ولی تدریسها جماعة من الأکابر الأعیان، ثمّ خلت من مدرّس ثلاثین سنة، و اکتفی فیها بالمعیدین ، و هم عشرة أنفس، فلما کان سنة ثمان و سبعین و ستّمائة، ولی تدریسها تقیّ الدین بن رزین، و قرّر له نصف المعلوم، فلما مات ولیها الشیخ تقیّ الدین بن دقیق العید بربع المعلوم، فلما ولی الصاحب برهان الدین الخضر السنجاریّ التدریس قرّر له المعلوم الشاهد به کتاب الوقف .

و قد استمرّت بید الخبوشانیّ إلی أن مات سنة سبع و ثمانین و خمسمائة، فولیها شیخ الشیوخ صدر الدین أبو الحسن محمد بن حمّویه الجوینیّ فی حیاة الواقف، فلمّا مات الواقف عزل عنها و استمرّت علیها أیدی بنی السلطان، واحدا بعد واحد، ثمّ خلصت بعد ذلک و عاد إلیها الفقهاء و المدرّسون. کذا فی تاریخ ابن کثیر.

و ذکر المقریزیّ فی الخطط أنّ صدر الدین بن حمّویه ولی تدریس الشافعیّ، و أنّه ولیها ولده کمال الدین أحمد، و مات سنة تسع و ثلاثین و ستمائة، ثمّ ولیها قاضی القضاة تاج الدین بن بنت الأعزّ، ثمّ ولیها قاضی القضاة تقیّ الدین بن رزین، ثم ولیها قاضی القضاة تقی الدین ابن بنت الأعز، ثم ولیها قاضی القضاة شیخ الإسلام تقی الدین بن دقیق العید، ثم ولیها عزّ الدین محمد بن محمد بن الحارث بن مسکین، ثمّ ولیها فی سنة إحدی عشرة و سبعمائة ضیاء الدین عبد اللّه بن أحمد بن منصور النّشائیّ، و مات سنة ستّ عشرة و سبعمائة، ثمّ ولیها مجد الدین حرمی بن قاسم بن یوسف الفاقوسیّ إلی أن مات سنة أربع و ثلاثین و سبعمائة، ثمّ ولیها شمس الدین بن القمّاح، ثمّ ضیاء الدین محمد بن إبراهیم المناویّ، ثم شمس الدین بن اللّبان، ثم شمس الدین محمد بن أحمد بن خطیب بیروت الدّمشقی، ثمّ بهاء الدین بن الشیخ تقیّ الدین السبکیّ، ثم أخوه تاج الدین لما سافر بهاء الدین عوضه قاضیا بالشام، ثم لمّا عاد تاج الدین إلی القضاء عاد إلیها إلی التدریس إلی أن مات.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۲۶

ثم ابن عمّه قاضی القضاة بهاء الدین أبو البقاء محمد بن عبد البرّ السبکیّ، ثمّ ولده بدر الدین محمد، ثمّ البرهان بن جماعة، ثمّ الشیخ سراج الدین البلقینیّ، ثم أعید البرهان بن جماعة، ثم أعید بدر الدین أبو البقاء السبکیّ، ثمّ قاضی القضاة عماد الدین أحمد بن عیسی الکرکیّ، ثمّ أعید البدر بن أبی البقاء، ثمّ ولیها بعده ولده جلال الدّین محمد إلی أن مات، فولیها بعده شمس الدین البیریّ أخو جمال الدین الأستادار، ثمّ عزل فی سنة اثنتی عشرة و ثمانمائة لمّا نکب أخوه. و ولیها نور الدین علی بن عمر التّلوانیّ، فأقام بها مدة طویلة إلی أن مات فی ذی القعدة سنة أربع و أربعین و ثمانمائة؛ و هو أطول شیوخها مدّة، و ولیها بعده العلاء القلقشندیّ، ثم ابن حجر الونائیّ، ثم القایاتیّ، ثم السّفطیّ، ثمّ الشرف المناویّ، ثمّ السراج الحمصیّ ثمّ أعید المناویّ إلی أن مات، ثمّ ولده زین العابدین، ثمّ ابنه ثمّ إمام الکاملیة، ثمّ الحمصیّ، ثمّ الشیخ زکریا.

خانقاه سعید السعداء

وقفها السلطان صلاح بن أیوب، و کانت دارا لسعید السعداء قنبر- و یقال عنبر- عتیق الخلیفة المستنصر، فلما استبدّ الناصر صلاح الدین بالأمر، وقفها علی الصوفیّة فی سنة تسع و ستین و خمسمائة، و رتّب لهم کلّ یوم طعاما و لحما و خبزا، و هی أوّل خانقاه عملت

بدیار مصر، و نعت شیخها بشیخ الشیوخ، و ما زال ینعت بذلک إلی أن بنی الناصر محمد بن قلاوون خانقاه سریاقوس، فدعی شیخها بشیخ الشیوخ، فاستمرّ ذلک بعدهم إلی أن کانت الحوادث و المحن منذ سنهٔ ستّ و ثمانمائهٔ، و ضاعت الأحوال، و تلاشت الرّتب، تلقّب کل شیخ خانقاه بشیخ الشیوخ، و کان سکانها من الصوفیهٔ، یعرفون بالعلم و الصلاح، و ترجی برکتهم .

و ولی مشیختها الأکابر، و حیث أطلق فی کتب الطبقات فی ترجمهٔ أحد أنّه ولی «مشیخهٔ الشیوخ» فالمراد مشیختها و لشیخها شیخ الشیوخ؛ هذا هو المراد عند الإطلاق.

و قد ولیها عن الواقف صدر الدین محمد بن حمّویه الجوینیّ، ثم ولده کمال الدین أحمد، ثمّ ولده معین الدین حسن أخو کمال الدین، ثمّ ولیها کریم الدین عبد الکریم بن الحسین الآملیّ، ثمّ ولیها قاضی القضاهٔ تاج الدین بن بنت الأعزّ، ثمّ ولیها

حسن المحاضرهٔ فی أخبار مصر و القاهرهٔ، ج۲، ص: ۲۲۷

الشیخ صابر الدین حسن البخاریّ، ثم ولیها شمس الدین محمد بن أبی بکر الأیلیّ، ثمّ ولیها قاضی القضاهٔ بدر الدین بن جماعهٔ، ثمّ ولیها الآملیّ، ثم ولیها العلامهٔ علاء الدین القونویّ، ثم ولیها مجد الدین موسی بن أحمد بن محمود الأقصرائیّ، ثمّ ولیها شمس الدین محمد بن إبراهیم النقشوانیّ، ثمّ ولیها کمال الدین أبو الحسن الجواریّ، ثمّ سراج الدین عمر الصدّی إلی أن مات سنهٔ تسع و أربعین و سبعمائهٔ، ثمّ ولیها الشیخ بدر الدین حسن بن العلّامهٔ علاء الدین القونویّ إلی أن مات سنهٔ ستّ و سبعین و سبعمائهٔ، ثم جلال الدین جار اللّه الحنفیّ إلی سنهٔ ثمان و سبعین و سبعمائهٔ، ثم ولیها علاء الدین أحمد بن محمد السرائیّ، ثمّ الشیخ برهان الدین الأبناسیّ، ثم شمس الدین محمد بن محمود بن عبد اللّه ابن أخی جار اللّه، ثمّ أعید البرهان الأبناسیّ، ثم شهاب الدین أحمد بن محمد الأنصاریّ، ثم أعید محمد بن أخی جار اللّه، ثمّ ولیها شمس الدین بن محمد بن علی البلالیّ مدهٔ متطاولهٔ إلی أن مات سنهٔ عشرین و ثمانمائهٔ، ثم ولیها شمس الدین البیریّ أخو جمال الدین الأستادار، ثمّ ولیها الشیخ شهاب الدین بن المحموه، ثمّ جمال الدین یوسف بن أحمد التّرمنتیّ المعروف بابن المجبّر، ثمّ أعید ابن المحموه، ثمّ القایاتی، ثم الشیخ خالد، ثمّ تقیّ الدین القلقشندیّ، ثمّ السراج العبادیّ، ثم الکورانیّ، ثم السنتاویّ.

المدرسهٔ الکاملیهٔ

و هی دار الحدیث، و لیس بمصر دار حدیث غیرها، و غیر دار الحدیث الّتی بالشیخونیّهٔ. قال المقریزیّ: و هی ثانی دار عملت للحدیث، فإنّ أوّل من بنی دار حدیث علی وجه الأرض الملک العادل نور الدین محمود بن زنکی بدمشق، ثمّ بنی الکامل هذه الدار، بناها الملک الکامل، و کملت عمارتها فی سنهٔ إحدی و عشرین و ستمائهٔ، و جعل شیخها أبو الخطاب عمر بن دحیهٔ، ثم ولیها بعده أخوه أبو عمر، و عثمان بن دحیهٔ، ثم ولیها الحافظ زکی الدین عبد العظیم المنذریّ، ثمّ ولیها شرف الدین بن أبی الخطاب بن دحیهٔ، ثمّ ولیها بعده المحدّث محیی الدین بن سراقهٔ، ثمّ ولیها تاج الدین بن القسطلانیّ المالکیّ، ثمّ ولیها النّجیب عبد اللطیف الحرّانیّ، ثمّ ولیها القطب القسطلانیّ الشافعیّ، ثم ولیها ابن دقیق العید، ثمّ ولیها أبو عمرو بن سیّد الناس والد الحافظ فتح الدین، فانتزعها منه البدر بن جماعهٔ، ثمّ ولیها عماد الدین

حسن المحاضرهٔ فی أخبار مصر و القاهرهٔ، ج۲، ص: ۲۲۸

محمد بن علیّ بن حرمیّ الدمیاطیّ و مات سنهٔ تسع و أربعین و سبعمائهٔ، ثم البدر بن جماعهٔ، ثمّ نزل عنها للجمال ابن التّرکمانی إلی أن مات سنهٔ تسع و ستین و سبعمائهٔ، و ولیها الحافظ زین الدین العراقیّ، ثمّ لمّا أن ولی قضاء المدینهٔ سنهٔ ثمان و ثمانین و سبعمائهٔ، استقرّ فیها الشیخ سراج الدین بن الملقّن.

المدرسهٔ الصالحیهٔ

بین القصرین هی أربع مدارس للمذاهب الأربعة، بناها الملک الصالح نجم الدین أیّوب بن الملک الکامل، شرع فی بنائها سنة تسع و ثلاثین [و ستمائة] . قال المقریزیّ: و هذه المدرسة من أجلّ مدارس القاهرة إلّا أنها قد تقادم عهدها، فرثّت، و لما فتحت أنشد فیها الأدیب أبو الحسین الجزّار:

ألا هکذا یبنی المدارس من بنیو من یتغالی فی الثواب و فی البنا

فی أبیات أخر.

قال السراج الوراق:

ملیک له فی العلم حبّ و أهلهفللّه حبّ لیس فیه ملام!

فشیّدها للعلم مدرسة غداعراق أهلها إذ ینسبون و شام

و لا تذکرن یوما نظامیّة لهافلیس یضاهی ذا النّظام نظام

قال ابن السنبرة الشاعر- و قد نظر إلی قبر الملک الصالح، و قد دفن إلی ما یختص بالمالکیة من مدرسته:

بیت لأرباب العلوم مدارسالتنجو بها من هول یوم المهالک

و ضاقت علیک الأرض لم تلق منزلاتحلّ به إلّا إلی جنب مالک

المدرسة الظاهریة القدیمة

للملک الظاهر بیبرس البندقداریّ شرع فی بنائها سنة إحدی و ستین و ستمائة،

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۲۹

و تمّت فی أوّل سنة اثنتین و ستّین، و رتّب لتدریس الشافعیة بها تقیّ الدین بن رزین، و الحنفیّة محب الدین عبد الرحمن بن الکمال عمر بن العدیم، و لتدریس الحدیث الحافظ شرف الدین الدمیاطیّ، و لإقراء القراءات بالروایات کمال الدین القرشیّ و وقف بها خزانة کتب.

المدرسة المنصوریة

أنشأها هی و البیمارستان الملک المنصور قلاوون، و کان علی عمارتها الأمیر علم الدین سنجر الشجاعیّ، فلمّا تمّا دخل علیه الشرف البوصیریّ، فمدحه بقصیدة أوّلها:

أنشأت مدرسة و مارستانالتصحّح الأدیان و الأبدانا

فأعجبه ذلک و أجزل عطاءه، و رتب فی هذه المدرسة دروس فقه علی المذاهب الأربعة، و درس تفسیر و درس حدیث، و درس طبّ .

المدرسة الناصریة

ابتدأها العادل کتبغا، و أتمّها الناصر محمد بن قلاوون، فرغ من بنائها سنة ثلاث و سبعمائة، و رتّب بها درسا للمذاهب الأربعة.

قال المقریزیّ: أدرکت هذه المدرسة و هی محترمة إلی الغایة، یجلس بدهلیزها عدة من الطواشیّة، و لا یمکن غریب أن یصعد إلیها .

الخانقاه البیبرسیة

بناها الأمیر رکن الدین بیبرس الجاشنکیریّ فی سنة سبع و سبعمائة موضع دار الوزارة، و مات بعد أن تسلطن، فأغلقها الناصر بن

قلاوون فی سلطنته الثالثة مدّة، ثم أمر بفتحها. قال المقریزیّ: و هی أجلّ خانقاه بالقاهرة بنیانا، و أوسعها مقدارا، و أتقنها صنعة، و الشباک الکبیر الذی بها هو الشبّاک الذی کان بدار الخلافة ببغداد. و کانت الخلفاء تجلس فیه، حمله الأمیر البساسیری من بغداد لمّا غلب علی الخلیفة القائم العباسیّ و أرسل به إلی صاحب مصر.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۳۰

خانقاه قوصون بالقرافة

بنیت فی سنة ستّ و ثلاثین و سبعمائة، و أوّل من ولی مشیختها الشمسی محمود الأصفهانی الإمام المشهور صاحب التصانیف المشهورة، و کانت من أعظم جهات البرّ، و أعظمها خیرا، إلی أن حصلت المحن سنة ستّ و ثمانمائة، فتلاشی أمرها کما تلاشی غیرها.

خانقاه شیخو

بناها الأمیر الکبیر رأس نوبة الأمراء الجمداریّة سیف الدین شیخو العمری جالبه خواجا عمر، و أستاذه الناصر محمد بن قلاوون، ابتدأ عمارتها فی المحرّم سنة ستّ و خمسین و سبعمائة، و فرغ من عمارتها فی سنة سبع و خمسین و سبعمائة و رتّب فیها أربع دروس علی المذاهب الأربعة، و درس حدیث، و درس قراءات و مشیخة إسماع الصحیحین و الشفاء، و فی ذلک یقول ابن أبی حجلة:

و مدرسة للعلم فیها مواطن‌فشیخوزا بها فرد و إیتاره جمع

لئن بات منها فی القلوب مهابةفواقفها لیث و أشیاخها سبع

و مات شیخو بعد فراغها بسنة فی ذی الحجة سنة ثمان و خمسین، و شرط فی شیخها الأکبر حضور التصوّف و تدریس الحنفیّة بالدیار المصریة و أن یکون عارفا بالتفسیر و الأصول، و ألّا یکون قاضیا؛ و هذا الشرط عامّ فی جمیع أرباب الوظائف بها.

و أوّل من تولّی المشیخة بها الشیخ أکمل الدین محمد بن محمود البابرتیّ.

و أوّل من تولی تدریس الشافعیّة بها الشیخ بهاء الدین بن الشیخ تقی الدین السّبکی.

و أوّل من تولّی تدریس المالیکّة بها الشیخ خلیل، صاحب المختصر.

و أوّل من تولّی تدریس الحنابلة بها قاضی القضاة موفّق الدین [الحنبلی] .

و أوّل من تولّی تدریس الحدیث بها جمال الدین عبد اللّه بن الزولیّ، و أقام الشیخ أکمل الدین فی المشیخة إلی أن مات فی رمضان سنة ستّ و ثمانین [و سبعمائة] .

و ولی بعده عزّ الدین یوسف بن محمود الرازیّ إلی أن مات فی المحرم سنة أربع و تسعین [و سبعمائة].

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۳۱

و ولی بعده جمال الدین محمود بن أحمد القیصریّ المعروف بابن العجمیّ، ثمّ عزل فی سنة خمس و تسعین.

و ولی الشیخ یوسف السّیرامیّ مضافا لمشیخة الظاهریة.

ثمّ ولی بدر الدین الکلسانیّ، ثمّ عزل و ولی الشیخ زاده.

ثمّ ولی بعده جمال الدین بن العدیم سنة ثمان و ثمانمائة، ثمّ ولده ناصر الدین سنة إحدی عشرة و ثمانمائة.

ثمّ ولیها أمین الدین بن الطرابلسیّ سنة اثنتی عشرة، ثمّ أعید ابن العدیم، ثمّ ولیها شرف الدین بن التبّانیّ سنة خمس عشرة إلی أن مات فی صفر سنة سبع و عشرین، و ولی الشیخ سراج الدین قارىء الهدایة إلی أن مات سنة تسع و عشرین [و ثمانمائة]، و ولیها الشیخ زین الدین التّفهنیّ، ثم صرف فی سنة ثلاث و ثلاثین بالقضاء، و ولیها صدر الدین بن العجمیّ فمات فی رجب من عامه، و ولیها

البدر حسن بن أبی بکر القدسیّ، ثم ولیها الشیخ باکیر.

*** مدرسة صرغتمش

ابتدأ بعمارتها فی رمضان سنة ستّ و خمسین و سبعمائة، و تمّت فی جمادی الأولی سنة سبع و خمسین، و هی من أبدع المبانی و أجلّها، و رتّب فیها درس فقه علی مذهب الحنفیّة، و قرّر فیه القوام الإتقانیّ، و درس حدیث.

و قال العلامة شمس الدین بن الصائغ:

لیهنک یا صرغتمش ما بنیتهلأخراک فی دنیاک من حسن بنیان

به یزدهی الترخیم کالزهر بهجةفللّه من زهر و للّه من بان!

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۳۲

مدرسة السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون

شرع فی بنائها فی سنة ثمان و خمسین و سبعمائة، و کان فی موضعها دور و إسطبلات. قال المقریزیّ: لا یعرف ببلاد الإسلام معبد من معابد المسلمین یحکی هذه المدرسة فی کبر قالبها، و حسن هندامها، و ضخامة شکلها، قامت العمارة فیها مدّة ثلاث سنین، لا تبطل یوما واحدا، و أرصد لمصروفها فی کلّ یوم عشرین ألف درهم، منها نحو ألف مثقال ذهبا، حتّی قال السلطان: لولا أن یقال: ملک مصر عجز عن إتمام ما بناه لترکت بناءها؛ من کثرة ما صرف.

و ذرع إیوانها الکبیر خمسة و ستّون ذراعا فی مثلها، و یقال إنّه أکبر من إیوان کسری بخمسة أذرع، و بها أربع مدارس للمذاهب الأربعة.

قال الحافظ ابن حجر فی إنباء الغمر: یقال إن السلطان حسن أراد أن یعمل فی مدرسته درس فرائض، فقال البهاء السبکی: هو باب من أبواب الفقه، فأعرض عن ذلک. فاتّفق وقوع قضیة فی الفرائض مشکلة، فسئل عنها السّبکیّ، لم یجب عنها، فأرسلوا إلی الشیخ شمس الدین الکلائیّ فقال: إذا کانت الفرائض بابا من أبواب الفقه، فما له لا یجیب؟! فشقّ ذلک علی بهاء الدین و ندم علی ما قال.

و کان السّلطان قد عزم علی أن یبنی أربع منائر، یؤذّنون علیها، فتمّت ثلاث منائر إلی أن کان یوم السبت سادس ربیع الآخر سنة اثنتین و ستّین و سبعمائة، سقطت المنارة التی علی الباب، فهلک تحتها نحو ثلاثمائة نفس من الأیتام الذی کانوا قد رتّبوا بمکتب السبیل و من غیرهم، فلهج الناس بأنّ ذلک ینذر بزوال الدولة، فقال الشیخ بهاء الدین السبکی فی ذلک أبیاتا:

أبشر فسعدک یا سلطان مصر أتیبشیره بمقال سار کالمثل

إنّ المنارة لم تسقط لمنقصةلکن لسرّ خفی قد تبیّن لی

من تحتها قرىء القرآن فاستمعتفالوجد فی الحال أدّاها إلی المیل

لو أنزل اللّه قرآنا علی جبل تصدّعت رأسه من شدّة الوجل

تلک الحجارة لم تنقضّ بل هبطتمن خشیة اللّه لا للضعف و الخلل

و غاب سلطانها فاستوحشت فرمتبنفسها لجوی فی القلب مشتعل

فالحمد للّه خطّ العین زال بماقد کان قدّره الرحمن فی الأزل

لا یعتری البؤس بعد الیوم مدرسةشیّدت بنیانها للعلم و العمل

و دمت حتّی تری الدنیا بها امتلأتعلما فلیس بمصر غیر مشتغل

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۳۳

فاتّفق قتل السلطان بعد سقوط المئذنة بثلاثة و ثلاثين يوما.

المدرسة الظاهرية

كان الشروع فی عمارتها فی رجب سنة ستّ و ثمانين [و سبعمائة]، و انتهت فی رجب سنة ثمان و ثمانين، و كان القائم على عمارتها جركس الخليلی أمير أخور، و قال الشعراء فی ذلك و أكثروا، فمن أحسن ما قيل:

الظّاهر الملك السلطان همّته‌كادت لرفعته تسمو على زحل

و بعض خدّامه طوعا لخدمته‌يدعو الجبال فتأتيه على عجل

قال ابن العطار:

قد أنشأ الظّاهر السلطان مدرسةفاقت على إرم مع سرعة العمل

يكفی الخليلیّ إن جاءت لخدمته‌شمّ الجبال لها تأتی على عجل

قال الحافظ ابن حجر: و من رأى الأعمدة التی بها عرف الإشارة. و نزل السلطان إليها فی الثانی عشر من رجب، و مدّ سماطا عظيما، و تكلّم فيه المدرّسون، و استقرّ علاء الدين السّيرامیّ مدرّس الحنفيّة بها، و شيخ الصوفية، و بالغ السلطان فی تعظيمه حتّى فرش سجّادته بيده، و استقرأ أوحد الدين الروميّ مدرس الشافعية و شمس الدين ابن مكين مدرّس المالكيّة، و صلاح ابن الأعمى مدرّس الحنابلة، و أحمد زاده العجمی مدرّس الحديث، و فخر الدين الضرير إمام الجامع الأزهر مدرّس القراءات.

قال ابن حجر: لم يكن منهم من هو فائق فی فنّه على غيره من الموجودين غيره، ثمّ بعد مدّة قرّر فيها الشيخ سراج الدين البلقينیّ مدرّس التفسير و شيخ الميعاد.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۳۴

المدرسة المؤيّدية

انتهت عمارتها فی سنة تسع عشرة و ثمانمائة، و بلغت النفقة عليها أربعين ألف دينار، و اتفق بعد ذلك بسنة ميل المئذنة التی بنيت لها على البرج الشمالی بباب زويلة، و كان النّاظر على العمارة بهاء الدين بن البرجيّ، فأنشد تقيّ الدين بن حجة فی ذلك أبياتا:

على البرج من بابی زويلة أنشئتمنارة بيت اللّه للعمل المنجی

فأخذ بها البرج اللّعين أمالهاألا صرّحوا يا قوم باللّعن للبرج

و قال شعبان الأثاريّ:

عتبنا على ميل المنار زويلةو قلنا تركت الناس بالميل فی هرج

فقالت قرينی برج نحس أمالنیفلا بارك الرّحمن فی ذلك البرج

قال الحافظ ابن حجر:

لجامع مولانا المؤيّد رونقمنارته بالحسن تزهو و بالزّين

تقول و قد مالت عن القصد أمهلوافليس على جسمی أضرّ من العين

و قال العينیّ:

منارة كعروس الحسن إذ جليتو هدمها بقضاء اللّه و القدر

قالوا أصيبت بعين، قلت ذا غلطما أوجب الهدم إلا خسّة الحجر

و قال نجم الدين بن النبيه:

يقولون فى تلك المنار تواضعو عين و أقوال و عندى جليّها

فلا البرج أخنى و الحجارة لم تعبو لكن عروس أثقلتها حليّها

و قال أيضا:

بجامع مولانا المؤيّد أنشئتعروس سمت ما خلت قطّ مثالها

و مذ علمت أن لا نظير لها انثنتو أعجبها و العجب عنّا أمالها

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۳۵

رباط الآثار

بالقرب من بركة الحبش عمره الصّاحب تاج الدين بن الصاحب فخر الدين بن الصاحب بهاء الدين حنّا، و فيه قطعة خشب و حديد و أشياء أخر من آثار رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، اشتراها الصاحب المذكور بمبلغ ستّين ألف درهم فضة من بنى إبراهيم أهل ينبع؛ ذكروا أنّها لم تزل موروثة عندهم من واحد إلى واحد إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و حملها إلى هذا الرباط، و هى به إلى اليوم يتبرّك بها. و مات الصاحب تاج الدين فى جمادى الآخرة سنة سبع و سبعمائة .

و للأديب جلال الدين بن خطيب داريّا فى الآثار بيتان:

يا عين إن بعد الحبيب و دارهو نأت مرابعه و شطّ مزاره

فلقد ظفرت من الزمان بطائلإن لم تريه فهذه آثاره

ذكر الحوادث الغريبة الكائنة بمصر فى ملّة الإسلام من غلاء و وباء و زلازل و آيات و غير ذلك

فى سنة أربع و ثلاثين من الهجرة، قال سيف بن عمر: إنّ رجلا يقال له عبد اللّه بن سبأ كان يهوديّا فأظهر الإسلام، و صار إلى مصر، فأوحى إلى طائفة من الناس كلاما اخترعه من عند نفسه، مضمونه أنّه كان يقول للرجل: أليس قد ثبت أنّ عيسى ابن مريم سيعود إلى هذه الدنيا؟ فيقول الرّجل: بلى، فيقول له: رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أفضل منه، فما يمنع أن يعود إلى هذه الدنيا و هو أشرف من عيسى؟! ثمّ يقول: و قد كان أوصى إلى علىّ بن أبى طالب؛ فمحمد خاتم الأنبياء، و علىّ خاتم الأوصياء. ثمّ يقول: فهو أحقّ بالأمر من عثمان، و عثمان معتد فى ولايته ما ليس له. فأنكروا عليه، فافتتن به بشر كثير من أهل مصر و كان ذلك مبدأ تألّبهم على عثمان.

و فى سنة ستّ و ستّين وقع الطاعون بمصر.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۳۶

و فى سنة سبعين كان الوباء بمصر، قاله الذهبىّ.

و فى سنة أربع و ثمانين قتل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندىّ، و قطع رأسه، فأمر الحجّاج فطيف به فى العراق، ثمّ بعث به إلى عبد الملك ابن مروان، فطيف به فى الشام، ثمّ بعث به إلى عبد العزيز بن مروان و هو بمصر، فطيف به فيها. و دفن بمصر، و جثّته بالرّخّج ، فقال بعض الشعراء فى ذلك:

هيهات موضع جثة من رأسهارأس بمصر و جثّة بالرّخّج

و فى سنة خمس و ثمانين كان الطاعون بالفسطاط، و مات فيه عبد العزيز بن مروان أمير مصر.

و فى سنة خمس و أربعين و مائة، انتثرت الكواكب من أوّل الليل إلى الصباح، فخاف الناس. ذكره صاحب المرآة.

و فى سنة ثمانين و مائة كان بمصر زلزلة شديدة سقطت منها رأس منارة الإسكندرية.

و فى سنة ستّ عشرة و مائتين، و ثب رجل يقال له عبدوس الفهرىّ فى شعبان ببلاد مصر، فتغلّب على نوّاب أبى إسحاق بن الرشيد، و

قویت شوکته، و اتّبعه خلق کثیر، فرکب المأمون من دمشق فی ذی الحجة إلی الدیار المصریة، فدخلها فی المحرّم سنة سبع عشرة، و ظفر بعبدوس، فضرب عنقه، ثم کرّ راجعا إلی الشام.

و فی سنة سبع و ثلاثین و مائتین ظهر فی السماء شیء مستطیل دقیق الطّرفین، عریض الوسط، من ناحیة المغرب إلی عشاء الآخرة، ثمّ ظهر خمس لیال و لیس بضوء کوکب، و لا کوکب له ذنب، ثمّ نقص. قاله فی المرآة.

و فی سنة ثمان و ثلاثین و مائتین، أقبلت الرّوم فی البحر فی ثلثمائة مرکب، و أبّهة عظیمة، فکبسوا دمیاط، و سبوا و أحرقوا و أسرعوا الکرّة فی البحر، و سبوا ستمائة امرأة، و أخذوا من الأمتعة و الأسلحة شیئا کثیرا، و فرّ الناس منهم فی کلّ جهة، فکان

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۳۷

من غرق فی بحیرة تنّیس أکثر ممّن أسر، و رجعوا إلی بلادهم، و لم یعرض لهم أحد.

و فی سنة اثنتین و أربعین و مائتین، زلزلت الأرض و رجمت السویداء (قریة بناحیة مصر) من السماء، و وزن حجر من الحجارة فکان عشرة أرطال.

و فی سنة أربع و أربعین و مائتین، اتّفق عید الأضحی و عید الفطر للیهود و شعانین النصاری فی یوم واحد. قال ابن کثیر: و هذا عجیب غریب. و قال فی المرآة:

لم یتّفق فی الإسلام مثل ذلک.

و فی سنة خمس و أربعین و مائتین زلزلت مصر، و سمع بتنّیس ضجّة دائمة طویلة، مات منها خلق کثیر.

و فی سنة ستّ و ستّین و مائتین قتل أهل مصر عاملهم الکرخیّ.

و فی سنة ثمان و ستّین و مائتین، قال ابن جریر: اتفق أنّ رمضان کان یوم الأحد، و کان الأحد الثانی الشعانین، و الأحد الثالث الفصح، و الأحد الرابع السرور، و الأحد الخامس انسلاخ الشهر.

و فی سنة تسع و ستّین فی المحرّم، کسفت الشمس و خسف القمر، و اجتماعهما فی شهر نادر. قاله فی المرآة.

و فی سنة ثمان و سبعین و مائتین، قال ابن الجوزیّ: للیلتین بقیتا من المحرّم طلع نجم ذو جمّة، ثمّ صارت الجمّة ذؤابة. قال: و فی هذه السنة وردت الأخبار أنّ نیل مصر غار ، فلم یبق منه شیء، و هذا شیء لم یعهد مثله، و لا بلغنا فی الأخبار السابقة، فغلت الأسعار بسبب ذلک. و فی أیام أحمد بن طولون تساقطت النجوم، فراعه ذلک فسأل العلماء و المنجّمین عن ذلک، فما أجابوا بشیء، فدخل علیه الجمل الشاعر و هم فی الحدیث، فأنشد فی الحال:

قالوا تساقطت النّجوم لحادث فظّ عسیر

فأجبت عند مقالهم‌بجواب محتنک خبیر

هذی النّجوم الساقطات نجوم أعداء الأمیر

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۳۸

فتفاءل ابن طولون بذلک، و وصله.

و فی سنة اثنتین و ثمانین و مائتین، زفّت قطر الندی بنت خمارویه بن أحمد بن طولون، من مصر إلی الخلیفة المعتضد، و نقل أبوها فی جهازها ما لم یر مثله، و کان من جملته ألف تکّة بجوهر و عشرة صنادیق جوهر، و مائة هون ذهب، ثمّ بعد کلّ حساب معها مائة ألف دینار لتشتری بها من العراق ما قد تحتاج إلیه ممّا لا یتهیّأ مثله بالدیار المصریّة. و قال بعض الشعراء:

یا سیّد العرب الّذی وردت له‌الیمن و البرکات سیدة العجم

فاسعد بها کسعودها بک إنّهاظفرت بما فوق المطالب الهمم

شمس الضّحی زفّت إلی بدر الدّجی‌فتکشّفت بهما عن الدنیا الظّلم

و فی سنة أربع و ثمانین و مائتین ظهر بمصر ظلمة شدیدة و حمرة فی الأفق حتّی جعل الرجل ینظر إلی وجه صاحبه فیراه أحمر اللون جدّا، و کذلک الجدران، فمکثوا کذلک من العصر إلی اللیل، فخرجوا إلی الصحراء یدعون اللّه و یتضرّعون إلیه حتی کشف عنهم. حکاه ابن کثیر.

و فی سنة ثلاث و تسعین و مائتین، ظهر رجل بمصر یقال له الخلنجیّ ، فخلع الطاعة و استولی علی مصر، و حارب الجیوش، و أرسل إلیه الخلیفة المکتفی جیشا فهزمهم، ثمّ أرسل إلیه جیشا آخر علیهم فاتک المعتضدیّ، فهزم الخلنجیّ، و هرب، ثمّ ظفر به و أمسک، و سیّر إلی بغداد.

و فی سنة تسع و تسعین و مائتین، ظهر ثلاثة کواکب مذنّبة، أحدها فی رمضان، و اثنان فی ذی القعدة تبقی أیاما، ثمّ تضمحلّ، حکاه ابن الجوزیّ. و فیها استخرج من کنز بمصر خمسمائة ألف دینار من غیر موانع، و وجد فی هذا الکنز ضلع إنسان طوله أربعة عشر شبرا و عرضه شبر، فبعث به إلی الخلیفة المقتدر، و أهدی معه من مصر تیسا له ضرع یحلب لبنا، حکی ذلک الصولیّ و صاحب المرآة و ابن کثیر.

و فی سنة إحدی و ثلاثمائة، سار عبد اللّه المهدیّ المتغلّب علی المغرب فی أربعین ألفا لیأخذ مصر، حتّی بقی بینه و بین مصر أیام، ففجر تکین الخاصة النیل فحال

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۳۹

الماء بینهم و بین مصر، ثمّ جرت حروب فرجع المهدیّ إلی برقة بعد أن ملک الإسکندریّة و الفیّوم.

و فی سنة اثنتین و ثلاثمائة عاد المهدیّ إلی الإسکندریّة، و تمّت وقعة کبیرة، ثمّ رجع إلی القیروان.

و فی سنة ستّ و ثلاثمائة أقبل القائم بن المهدیّ فی جیوشه، فأخذ الإسکندریة و أکثر الصعید، ثمّ رجع.

و فی سنة سبع کانت الحروب و الأراجیف الصعبة بمصر، ثمّ لطف اللّه و أوقع المرض بالمغاربة، و مات جماعة من أمرائهم، و اشتدّت علّة القائم.

و فیها انقضّ کوکب عظیم، و تقطّع ثلاث قطع، و سمع بعد انقضاضه صوت رعد شدید هائل من غیر غیم.

و فی سنة ثمان ملک العبیدیون جزیرة الفسطاط، فجزعت الخلق، و شرعوا فی الهرب و الجفل.

و فی سنة تسع استرجعت الإسکندریة إلی نوّاب الخلیفة، و رجع العبیدیّ إلی المغرب.

و فی سنة عشر و ثلثمائة فی جمادی الأولی ظهر کوکب له ذنب طوله ذراعان، و ذلک فی برج السنبلة. و فی شعبان منها أهدی نائب مصر إلی الخلیفة المقتدر هدایا من جملتها بغلة معها فلوها یتبعها، و یرجع معها، و غلام یصل لسانه إلی طرف أنفه.

حکاه صاحب المرأة و ابن کثیر .

و فی سنة ثلاث عشرة و ثلثمائة فی آخر المحرّم انقضّ کوکب من ناحیة الجنوب إلی الشمال قبل مغیب الشمس، فأضاءت الدنیا منه، و سمع له صوت کصوت الرّعد الشدید. حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة ؛ ج۲ ؛ ص۲۳۹

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۴۰

و فی سنة ثلاثین و ثلثمائة فی المحرّم ظهر کوکب بذنب رأسه إلی الغرب و ذنبه إلی المشرق، و کان عظیما جدّا و ذنبه منتشر، و بقی ثلاثة عشر یوما إلی أن اضمحلّ.

و فی سنة أربع و أربعین زلزلت مصر زلزلة صعبة هدمت البیوت، و دامت ثلاث ساعات، و فزع الناس إلی اللّه بالدعاء.

و فی سنة تسع و أربعین رجع حجیج مصر من مکّة، فنزلوا وادیا، فجاءهم سیل فأخذهم کلّهم، فألقاهم فی البحر عن آخرهم.

و فی سنة خمس و خمسین قطعت بنو سلیم الطریق علی الحجیج من أهل مصر، و أخذوا منهم عشرین ألف بعیر بأحمالها، و علیها من الأموال و الأمتعة ما لا یقوّم کثرة، و بقی الحاجّ فی البوادی، فهلک أکثرهم. و فی أیام کافور الإخشیدی کثرت الزلازل بمصر، فأقامت

ستّة أشهر، فأنشد محمد بن القاسم بن عاصم قصيدة منها:

ما زلزلت مصر من سوء يراد بهالكنّها رقصت من عدله فرحا

كذا رأيته فی نسخة عتيقة، من كتاب مذهب الطالبيّين، تاريخ كتابتها بعد الستّمائة، ثمّ رأيت ما يخالف ذلك كما سأذكر.

و فی سنة تسع و خمسين انقضّ كوكب فی ذی الحجة، فأضاء الدنيا حتّى بقی له شعاع كالشمس، ثم سمع له صوت كالرعد.

و فی سنة ستّين و ثلثمائة، سارت القرامطة فی جمع كثير إلى الديار المصرية، فاقتتلوا هم و جنود جوهر القائد قتالا شديدا بعين شمس، و حاصروا مصر شهورا؛ و من شعر أمير القرامطة الحسين بن أحمد بن بهرام:

زعمت رجال الغرب أنّی هبتهمفدمی إذن ما بينهم مطلول

يا مصر إن لم أسق أرضك من دميروی ثراك فلا سقانی النّيل

و فی هذه السنة سار رجل من مصر إلى بغداد، و له قرنان، فقطعهما و كواهما و كان يضربان عليه. حكاه صاحب المرآة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۴۱

و فی سنة ثلاث و ستّين، خرج بنو هلال و طائفة من العرب على الحجّاج، فقتلوا منهم خلقا كثيرا، و عطّلوا على من بقی منهم الحجّ فی هذا العام، و لم يحصل لأحد حجّ فی هذه السنة سوى أهل درب العراق وحدهم.

و فی سنة سبع و ستّين كان أمير الحاجّ المصرىّ الأمير باديس بن زيرى، فاجتمع إليه اللصوص، و سألوا منه أن يضمّنهم الموسم هذا العام بما شاء من الأموال، فأظهر لهم الإجابة، و قال: اجتمعوا كلّكم حتّى أضمنكم كلّكم، فاجتمع عنده بضع و ثلاثون لصّا، فقال: هل بقی منكم أحد؟ فحلفوا أنّه لم يبق منهم أحد، فعند ذلك أمر بقطع أيديهم كلّهم. و نعمّا فعل!

و فی سنة أربع و ثمانين انفرد بالحجّ أهل مصر، و لم يحجّ ركب العراق و لا الشام لخوف طريقهم، و كذا فی سنة خمس و ثمانين و الّتی بعدها.

و فی سنة ست و ثمانين قدمت مصر أربع عشرة قطعة من الأسطول، فقتلت و نهبت، و أحرقت أموال التجار، و أخذت سرايا العزيز و حظاياه، و كان حالا لم ير أعظم منه. ذكره ابن المتوّج.

و فی سنة تسعين أمر الحاكم بمصر بقتل الكلاب فقتلت كلّها.

و فی سنة اثنتين و تسعين ليلة الاثنين ثالث ذی القعدة انقضّ كوكب أضاء كضوء القمر ليلة التّمام، و مضی الضياء، و بقی جرمه يتموّج نحو ذراعين فی ذراع برأی العين، و تشقّق بعد ساعة. و فی هذه السنة انفرد المصريون بالحجّ، و لم يحجّ أحد من بغداد و بلاد المشرق لعبث الأعراب بالفساد، و كذا فی سنة ثلاث و تسعين.

و فی سنة ثلاث و تسعين أمر الحاكم بقطع جميع الكروم الّتی بديار مصر و الصعيد و الإسكندريّة و دمياط، فلم يبق بها كرم، احترازا من عصر الخمر. و فی هذه السنة أمر الحاكم الناس بالسجود إذا ذكر اسمه فی الخطبة.

و فی سنة سبع و تسعين انفرد المصريون بالحجّ، و لم يحجّ أهل العراق لفساد الطريق بالأعراب، و كسا الحاكم الكعبة القباطیّ البيض.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۴۲

و فی سنة ثمان و تسعين هدم الحاكم الكنائس التی ببلاد مصر، و نادی: من لم يسلم و إلّا فليخرج من مملكتی، أو يلتزم بما أمر، ثمّ أمر بتعليق صلبان كبار على صدور النصارى، وزن الصّليب أربعة أرطال بالمصرىّ، و بتعليق خشبة على تمثال رأس عجل وزنها ستة أرطال فی عنق اليهود. و فی هذه السنة كان سيل عظيم حتّى غرق الخندق، ذكره ابن المتوّج.

و فی سنة تسع و تسعين انفرد المصريون بالحجّ .

و فی سنة أربعمائة بنی الحاكم دارا للعلم و فرشها، و نقل إليها الكتب العظيمة مما يتعلّق بالسنّة، و أجلس فيها الفقهاء و المحدّثين، و أطلق قراءة فضائل الصحابة، و أطلق صلاة الضّحى و التراويح، و بطل الأذان بحیّ على خير العمل، فكثر الدعاء له، ثمّ بعد ثلاث سنين

هدم الدار، و قتل خلقا ممّن كان بها من الفقهاء و المحدّثين و أهل الخير و الديانة، و منع صلاة الضّحى و التراويح.

و فى سنة إحدى و أربعمائة انفرد المصريون بالحجّ.

و فى سنة اثنتين و أربعمائة كتب محضر ببغداد فى نسب خلفاء مصر الّذين يزعمون أنّهم فاطميّون و ليسوا كذلك، و كتب فيه جماعة من العلماء و القضاة و الفقهاء و الأشراف و الأماثل و المعدّلين و الصالحين، شهدوا جميعا أنّ النّاجم بمصر و هو منصور بن نزار المتلقّب بالحاكم- حكم اللّه عليه بالبوار و الدمار و الخزى و النّكال و الاستئصال- ابن معدّ ابن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد- لا أسعده اللّه- فإنه لمّا صار إلى المغرب تسمّى بعبيد اللّه، و تلقّب بالمهدىّ، و من تقدّم من سلفه من الأرجاس الأنجاس- عليه و عليهم لعنة اللّه و لعنة اللاعنين- أدعياء خوارج، و لا نسب لهم فى ولد علىّ بن أبى طالب، و لا يتعلّقون منه بسبب، و أنّه منزّه عن باطلهم، و أنّ الذى ادّعوه من الانتساب إليه باطل و زور، و أنهم لا يعلمون أنّ أحدا من أهل بيت الطالبيين توقّف عن إطلاق القول فى هؤلاء الخوارج أنهم أدعياء، و قد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعا فى الحرمين، و فى أوّل أمرهم بالمغرب منتشرا انتشارا يمنع من أن يدلّس على أحد كذبهم، أو يذهب و هم إلى تصديقهم، و أنّ هذا النّاجم بمصر هو و سلفه كفّار و فسّاق فجّار و ملحدون زنادقة، معطّلون و للإسلام جاحدون، و لمذهب الثنويّة و المجوسية معتقدون، قد عطّلوا الحدود

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۴۳

و أباحوا الفروج، و أحلّوا الخمر، و سفكوا الدّماء، و سبوا الأبناء، و لعنوا السلف، و ادّعوا الرّبوبيّة. و كتب فى ربيع الآخر سنة اثنتى و أربعمائة.

و قد كتب خطّه فى المحضر خلق كثيرون، فمن العلويّين المرتضى و الرضىّ و ابن الأزرق الموسوىّ و أبو طاهر بن أبى الطيب و محمد بن محمد بن عمرو بن أبى يعلى، و من القضاة أبو محمد بن الأكفانىّ و أبو القاسم الحريرىّ و أبو العبّاس بن السيورىّ. و من الفقهاء أبو حامد الإسفراييّنى و أبو محمد بن الكشفلىّ و أبو الحسين القدورىّ و أبو عبد اللّه الصّيمرىّ و أبو عبد اللّه البيضاوىّ و أبو علىّ بن حكمان. و من الشهود أبو القاسم التّنوخىّ، فى كثير.

و فى سنة ثلاث و أربعمائة، قال ابن المتوّج: رسم الحاكم بألّا تقبّل الأرض بين يديه، و لا يخاطب مولانا و لا بالصلاة عليه، و كتب بذلك سجلّ فى رجب. قال: و فيها حبس النساء و منعهنّ من الخروج فى الطّرقات، و أحرق الزبيب و قطع الكرم، و غرّق العسل. قال ابن الجوزىّ: و فى رمضان انقضّ كوكب من المشرق إلى المغرب غلب ضوءه على ضوء القمر، و تقطّع قطعا، و بقى ساعة طويلة.

و فى سنة خمس و أربعمائة زاد الحاكم فى منع النساء من الخروج من المنازل و من دخول الحمّامات و من التطلّع من الطاقات و الأسطحة و منع الخفّافين من عمل الخفاف لهنّ، و قتل خلقا من النساء على مخالفته فى ذلك، و هدم بعض الحمامات عليهنّ، و غرّق خلقا.

و فى سنة سبع و أربعمائة ورد الخبر بتشعيث الركن اليمانىّ من المسجد الحرام، و بسقوط جدار بين قبر النبى صلى اللّه عليه و سلم، و بسقوط القبّة الكبيرة على صخرة بيت المقدس.

قال ابن كثير: فكان ذلك ممن أغرب الاتّفاقات و أعجبها.

و فى سنة سبع أيضا انفرد المصريّون بالحجّ، و لم يحجّ أحد من بلاد العراق لفساد الطرقات بالأعراب؛ و كذا فى سنة ثمان.

و فى سنة إحدى عشرة و أربعمائة، قال ابن المتوّج: عزّ القوت ، ثمّ هان بعد أراجيف عظيمة. و فى أيام الحاكم، قال ابن فضل اللّه فى المسالك: زلزلت مصر حتّى رجفت أرجاؤها، و ضجّت الأمّة لا تعرف كيف جارها، فقال محمد بن قاسم بن عاصم شاعر الحاكم:

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۴۴ بالحاكم العدل أضحى الدين معتليانجل الهدى و سليل السّادة الصّلحا

ما زلزلت مصر من كيد يراد بهاو إنّما رقصت من عدله فرحا

و كانت أيام الحاكم من سنة ستّ و ثمانين و ثلثمائة إلى سنة إحدى عشرة و أربعمائة.

و فی سنة ثلاث عشرة و أربعمائة. قال ابن کثیر: جرت کائنة غریبة و مصیبة عظیمة؛ و هی أنّ رجلا من المصریّین من أصحاب الحاکم اتّفق مع جماعة من الحجّاج المصریین علی أمر سوء، فلمّا کان یوم الجمعة، و هو یوم النّفر الأوّل، طاف هذا الرجل بالبیت، فلما انتهی إلی الحجر الأسود، جاء لیقبّله فضربه بدبّوس کان معه ثلاث ضربات متوالیات، و قال: إلی متی یعبد هذا الحجر؟! و لا محمّد و لا علیّ یمنعنی عمّا أفعله، فإنی أهدم الیوم هذا البیت. فاتّقاه أکثر الحاضرین، و تأخروا عنه، و ذلک أنّه کان رجلا طویلا جسیما، أحمر أشقر، و علی باب المسجد جماعة من الفرسان وقوف لیمنعوه ممّن أراده بسوء، فتقدّم إلیه رجل من أهل الیمن، معه خنجر، و فاجأه بها، و تکاثر علیه الناس فقتلوه، و قطّعوه قطعا، و تتّبعوا أصحابه، فقتل منهم جماعة و نهب أهل مکة رکب المصریّین، و جرت فتنة عظیمة جدّا، و سکن الحال، و أما الحجر الشریف فإنّه سقط منه ثلاث فلق مثل الأظفار، و بدا ما تحتها أسمر یضرب إلی صفرة، محبّبا، مثل الخشخاش، فأخذ بنو شیبة تلک الفلق، فعجنوها بالمسک و اللکّ و حشوا بها تلک الشقوق التی بدت، و ذلک ظاهر فیه إلی الآن.

و فی سنة سبع عشرة منع الظاهر صاحب مصر من ذبح البقر السلیمة من العیوب الّتی تصلح للحرث، و کتب عن لسانه کتاب قرئ علی الناس، فیه: «إنّ اللّه بسابغ نعمته، و بالغ حکمته، خلق ضروب الأنعام، و علم بها منافع الأنام، فوجب أن تحمی البقر المخصوصة بعمارة الأرض المذلّلة لمصالح الخلق، فإنّ ذبحها غایة الفساد، و إضرار بالعباد و البلاد».

و فیها انفرد المصریون بالحج، و لم یحجّ أهل العراق و المشرق لفساد الأعراب، و کذا فی سنة ثمانی عشرة و فی سنة تسع عشرة لم یحجّ أحد من أهل المشرق و لا من أهل الدیار المصریة أیضا، إلّا أنّ قوما من خراسان رکبوا فی البحر من مدینة مکران، فانتهوا إلی جدّة، فحجّوا.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۴۵

و فی سنة عشرین حجّ أهل مصر دون غیرهم.

و فیها فی رجب انقضّت کواکب کثیرة شدیدة الصوت، قویّة الضّوء.

و فی سنة إحدی و عشرین تعطّل الحجّ من العراق أیضا، و قطع علی حجّاج مصر الطریق، و أخذت الروم أکثره.

و فی سنة ثلاث و عشرین تعطّل الحجّ من العراق أیضا. و فیها قال ابن المتوّج:

استحضر خلیفة مصر الظاهر بن الحاکم کلّ من فی القصر من الجواری، و قال لهم:

تجتمعون لأصنع لکم یوما حسنا لم یر مثله بمصر، و أمر کلّ من کان له جاریة فلیحضرها، و لا تجیء جاریة إلا و هی مزیّنة بالحلی و الحلل، ففعلوا ذلک حتی لم تترک جاریة إلّا أحضرت، فجعلهنّ فی مجلس، و دعا بالبنائین، فبنی أبواب المجلس علیهنّ، حتی ماتوا عن آخرهنّ، و کان یومن جمعهنّ یوم الجمعة لستّ خلون من شوّال، و عدّتهنّ ألفان و ستمائة و ستون جاریة، فلمّا مضی لهنّ ستة أشهر أضرم النار علیهنّ، فأحرقهنّ بثیابهنّ و حلیهنّ، فلا رحمه اللّه و لا رحم الذی خلفه!

و فی سنة خمس و عشرین کثرت الزلازل بمصر . و فیها انقضّ کوکب عظیم، و سمع له صوت مثل الرّعد وضوء مثل المشاعل. و یقال: إنّ السماء انفرجت عند انقضاضه. حکاه فی المرآة. و لم یحج أحد سوی أهل مصر، و کذا فی سنة ست و عشرین و سنة ثمان و عشرین.

و فی سنة ثمان و عشرین بعث صاحب مصر بمال لینفق علی نهر بالکوفة إن أذن الخلیفة العباسیّ فی ذلک، فجمع القائم بالله الفقهاء، و سألهم عن هذا المال، فأفتوا بأنّ هذا فیء للمسلمین یصرف فی مصالحهم، فأذن فی صرفه فی مصالح المسلمین.

و فی سنة ثلاثین و أربعمائة تعطّل الحجّ من الأقالیم بأسرها، فلم یحجّ أحد، لا من مصر و لا من الشام و لا من العراق و لا من خراسان.

و فی سنة إحدی و ثلاثین و الّتی تلیها تفرّد بالحجّ أهل مصر، و کذا فی سنة ستّ و ثلاثین و سبع و ثلاثین و تسع و ثلاثین و ثلاث و ستین و بعدها.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۴۶

و فی سنة إحدی و أربعین فی ذی الحجّة ارتفعت سحابة سوداء لیلا فزادت علی ظلمة اللیل، و ظهر فی جوانب السماء کالنّار المضیئة، فانزعج النّاس لذلک، و أخذوا فی الدعاء و التضرّع، فانکشفت بعد ساعة.

و فی سنة خمس و أربعین و ثلاث تلیها انفرد أهل مصر بالحجّ.

و فی سنة ثمان و أربعین، قال فی المرآة: عمّ الوباء و القحط مصر و الشام و بغداد و الدنیا، و انقطع ماء النیل. و اتفقت غریبة، قال ابن الجوزیّ: ورد کتاب من مصر أنّ ثلاثة من اللصوص نقبوا بعض الدّور، فوجدوا عند الصباح موتی؛ أحدهم علی باب النّقب، و الثانی علی رأس الدّرجة، و الثالث علی الثیاب المکوّرة. و فیها، فی العشر الثانی من جمادی الآخرة ظهر وقت السحر نجم له ذؤابة بیضاء، طولها فی رأی العین نحو عشرة أذرع نحو ذراع، و لبث علی هذه الحال إلی نصف رجب ثم اضمحلّ.

و فی سنة إحدی و خمسین و سنتین بعدها، انفرد أهل مصر بالحجّ.

و فی شوّال من هذه السنة لاح فی السماء فی اللیل ضوء عظیم کالبرق یلمع فی موضعین؛ أحدهما أبیض، و الآخر أحمر إلی ثلث اللیل، و کبر الناس و هلّلوا. حکاه فی المرآة.

و فی سنة ثلاث و خمسین فی جمادی الآخرة لللیلتین بقیتا منه، کسفت الشمس کسوفا عظیما، جمیع القرص، فمکثت أربع ساعات حتّی بدت النجوم، و أوت الطیور إلی أوکارها لشدّة الظلمة.

و فی سنة خمس و خمسین وقع بمصر وباء شدید، کان یخرج منها فی کلّ یوم ألف جنازة.

و فی سنة ستّ و خمسین وقعت فتنة عظیمة بین عبید مصر و التّرک، و اقتتلوا.

و غلب العبید علی الجزیرة الّتی فی وسط النیل بین مصر و الجیزة، و اتصل الحرب بین الفریقین.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۴۷

و فی سنة ثمان و خمسین، فی العشر الأول من جمادی الأولی ظهر کوکب کبیر، له ذؤابة عرضها نحو ثلاثة أذرع و طولها أذرع کثیرة، و بقی إلی أواخر الشهر، ثمّ ظهر کوکب آخر عند غروب الشمس، قد استدار نوره علیه کالقمر، فارتاع النّاس و انزعجوا، فلما أعتم اللیل، رمی ذؤابة نحو الجنوب، و أقام إلی أیّام فی رجب، و ذهب.

و فی سنة ستّین و أربعمائة کان ابتداء الغلاء العظیم بمصر، الّذی لم یسمع بمثله فی الدهور؛ من عهد یوسف الصدیق علیه الصلاة و السلام، و اشتدّ القحط و الوباء سبع سنین متوالیة بحیث أکلوا الجیف و المیتات، و أفنیت الدوابّ، و بیع الکلب بخمسة دنانیر و الهرّ بثلاثة دنانیر، و لم یبق لخلیفة مصر سوی ثلاثة أفراس بعد العدد الکثیر، و نزل الوزیر یوما عن بغلته، فغفل الغلام عنها لضعفه من الجوع، فأخذها ثلاثة نفر، فذبحوها و أکلوها، فأخذوا فصلبوا و أصبحوا و قد أکلهم الناس، و لم یبق إلا عظامهم. و ظهر علی رجل یقتل الصبیان و النساء و یبیع لحومهن و یدفن رؤوسهم و أطرافهم فقتل. و بیعت البیضة بدینار، و بلغ الأردبّ القمح مائة دینار ثمّ عدم أصلا، حتّی حکی صاحب المرآة أنّ امرأة خرجت من القاهرة، و معها مدّ جوهر، فقالت: من یأخذه بمدّ قمح؟ فلم یلتفت إلیها أحد، و قال بعضهم یهنّئ القائم ببغداد:

و قد علم المصریّ أنّ جنوده‌سنو یوسف هولا و طاعون عمواس

أقامت به حتّی استراب بنفسه‌و أوجس منها خیفة أیّ إیجاس

و فی سنة اثنتین و ستین، زلزلت مصر حتی نفرت إحدی زوایا جامع عمرو. و فیها ضرب صاحب مصر اسم ابنه ولیّ العهد علی الدینار، و سمّی الآمریّ، و منع التعامل بغیره.

و فی سنة خمس و ستّین اشتدّ الغلاء و الوباء بمصر حتّی إنّ أهل البیت کانوا یموتون فی لیلة، و حتّی إنّ امرأة أکلت رغیفا بألف دینار، باعت عروضها قیمته ألف دینار، و اشترت بها جملة قمح، و حمله الحمّال علی ظهره فنهبه الناس، فنهبت المرأة مع الناس فصحّ لها رغیف واحد، و کان السّودان یقفون فی الأزقّة، یصطادون النساء بالکلالیب، فیأکلون لحومهنّ، و اجتازت امرأة بزقاق القنادیل،

فعلقها السّودان

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۴۸

بالكلاليب، و قطعوا من عجزها قطعة، و قعدوا يأكلونها و غفلوا عنها، فخرجت من الدار و استغاثت، فجاء الوالى و كبس الدّار، فأخرج منها ألوفا من القتلى.

و فى سنة ستّ و ثمانين و سنتين بعدها انفرد المصريون بالحجّ.

و فى سنة إحدى و تسعين حدثت بمصر ظلمة عظيمة، غشيت أبصار النّاس، حتى لم يبق أحد يعرف أين يتوجه!

و فى سنة سبع و تسعين عزّ القمح بمصر، ثم هان. و فيها تولّى الآخر بمصر فضرب الفضة السّوداء المشهورة بالآمريّة.

و فى سنة خمس عشرة و خمسمائة هبّت ريح سوداء بمصر، فاستمرّت ثلاث أيام، فأهلكت خلقا كثيرا من النّاس و الدوابّ و الأنعام. قاله ابن كثير.

و فى سنة سبع عشرة بلغ النّيل ستة عشر ذراعا سواء بعد توقّف.

و فى سنة ثمان عشرة أوفى النّيل بعد النّيروز بتسعة أيام، و زاد عن الستة عشر ذراعا أحد عشر إصبعا لا غير، و عزّ السّعر ثمّ هان. و فى حدود هذه السنين احترق جامع عمر.

و فى سنة خمس و ستين [و خمسمائة] حاصرت الفرنج دمياط خمسين يوما، بحيث ضيّقوا على أهلها، و قتلوا منهم، فأرسل نور الدين محمود الشهيد إليهم جيشا عليهم صلاح الدين يوسف بن أيّوب، فأجلوهم عنها، و كان الملك نور الدين شديد الاهتمام بذلك؛ حتّى إنه قرأ عليه بعض طلبة الحديث جزءا فيه حديث مسلسل بالتبسّم، فطلب منه أن يتبسّم ليتّصل التسلسل، فامتنع من ذلك، و قال: إنّى لأستحيى من اللّه أن يرانى متبسما، و المسلمون تحاصرهم الفرنج بثغر دمياط. و ذكر أبو شامة أنّ بعضهم رأى فى تلك الليلة التى أجلى فيها الفرنج عن دمياط رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و هو يقول له: سلّم على نور الدين، و بشّره بأنّ الفرنج قد رحلوا عن دمياط، فقال له الرائى: يا رسول اللّه، بأىّ علامة؟ فقال: بعلامة لمّا سجد يوم كذا، و قال فى سجوده: اللّهم انصر دينك و من هو محمود الكلب! فأصبح الرائى، و بشّر نور الدين بذلك، و أعلمه بالعلامة، ففرح، ثمّ جاء الخبر بإجلائهم تلك الليلة. فرحم اللّه هذا الملك و أمثاله!

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۴۹

و فى سنة ثلاث و ثمانين [و خمسمائة]، قال ابن الأثير فى الكامل : كان أوّل يوم منها يوم السبت، و كان يوم النيروز؛ و ذلك أول سنة الفرس، و اتفق أنّه أول سنة الروم أيضا، و فيه نزلت الشمس برج الحمل، و كذلك كان القمر فى برج الحمل أيضا، قال:

و هذا شىء يبعد وقوع مثله.

و فى سنة ثلاث و تسعين ورد كتاب من القاضى الفاضل من مصر إلى القاضى محيى الدين بن الذكىّ يخبره فيه بأنّ فى ليلة الجمعة التاسع من جمادى الآخرة أتى عارض فيه ظلمات متكاثفة، و بروق خاطفة، و رياح عاصفة، فقوى أهويتها، و اشتدّ هبوبها، فتدافعت لها أعنّة مطلقات، و ارتفعت لها صواعق مصعقات، فرجفت لها الجدران و اصطفقت، و تلاقت على بعدها و اعتنقت، و ثار بين السماء و الأرض عجاج فقيل: لعلّ هذه على هذه أطبقت، و لا نحسب إلّا أنّ جهنّم قد سال منها واد، وعدا منها عاد، و زاد عصف الرياح إلى أن انطفأت سرج النجوم، و مزّقت أديم السماء و محت ما فوقه من الرقوم؛ فكنا كما قال اللّه: يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ [البقرة: ۱۹]، و كما قلنا: و يردّون أيديهم على أعينهم من البوارق، لا عاصم من الخطف للأبصار، و لا ملجأ من الخطب إلا معاقل الاستغفار، و فرّ الناس نساء و رجالا و أطفالا، و نفروا من دورهم خفافا و ثقالا، لا يستطيعون حيلة و لا يهتدون سبيلا، فاعتصموا بالمساجد الجامعة، و أذعنوا للنّازلة بأعناق خاضعة، و وجوه عانية، و نفوس عن الأهل و المال سالية، ينظرون من طرف خفّى، و يتوقّعون أى خطب جلىّ، قد انقطعت من الحياة علقهم، و عمّيت عن النجاة طرقهم، و وقعت الفكرة فيما هم عليه قادمون، و قاموا إلى

صلاتهم، و ودّوا أن لو كانوا من الذين هم عليها دائمون، إلى أن أذن اللّه فى الركود، و أسعف الهاجدين بالهجود، و أصبح كلّ ليسلّم على رفيقه، و يهنّئه بسلامة طريقه، و يرى أنّه قد بعث بعد النفخة، و أفاق بعد الصيحة و الصرخة، و أنّ اللّه قد ردّ له الكرّة، و أدّبه بعد أن كان يأخذه على الغرّة. و وردت الأخبار بأنّها كسرت المراكب فى البحار و الأشجار فى القفار، و أتلفت خلقا كثيرا من السّفّار، و منهم من فرّ فلم ينفعه الفرار. إلى أن قال: و لا يحسب المجلس أنّى أرسلت القلم محرّفا، و القول مجزّفا، فالأمر أعظم، و لكن اللّه سلّم، و نرجو أن يكون اللّه قد أيقظنا بما وعظنا، و نبّهنا بما ولّهنا، فما من عباده من رأى القيامة عيانا، و لم يلتمس عليها من بعده برهانا، إلا أهل بلد يافا، اقتصّ الأوّلون مثلها فى المثلات، و لا سبقت لها سابقة فى المعضلات، و الحمد للّه الذى من فضله جعلنا نخبر عنها و لا تخبر عنّا، و نسأل اللّه أن يصرف عنّا، عارضى الحرص و الغرور إذا عنّا.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۵۰

و فى سنة ستّ و تسعين، قال الذهبىّ، فى العبر: كسر النّيل من ثلاثة عشر ذراعا إلا ثلاثة أصابع، فاشتدّ الغلاء، و عدمت الأقوات، و وقع البلاء و عظم الخطب، إلى أن آل بهم الأمر إلى أكل الآدميين الموتى. قال ابن كثير فى هذه السنة و التى بعدها : كان بديار مصر غلاء شديد، فهلك الغنىّ و الفقير، و عمّ الجليل و الحقير، و هرب الناس منها نحو الشام، و لم يصل منها إلّا القليل من الفئام ، و تخطّفتهم الفرنج من الطرقات، و عزّوهم فى أنفسهم، و اغتالوهم بالقليل من الأقوات. و كان الأمير لؤلؤ أحد الحجّاب بالديار المصرية يتصدّق فى هذا الغلاء فى كلّ يوم باثنى عشر ألف رغيف على اثنى عشر ألف فقير.

و فى سنة سبع و تسعين، قال الذهبىّ فى العبر: كان الجوع و الموت المفرط بالديار المصرية، و جرت أمور تتجاوز الوصف، و دام ذلك إلى نصف العام الآتى، فلو قال القائل: مات ثلاثة أرباع أهل الإقليم لما أبعد، و الذى دخل تحت قلم الحصريّة فى مدّة اثنين و عشرين شهرا مائة ألف و أحد و عشرون ألفا بالقاهرة، و هذا نزر فى جنب ما هلك بمصر و الحواضر، و فى البيوت و الطرقات و لم يدفن، و كلّه نزر فى جنب ما هلك بالأقاليم. و قيل إنّ مصر كان فيها تسعمائة منسج للحصر، فلم يبق إلّا خمسة عشر منسجا، فقس على هذا؛ و بلغ الفرّوج مائة درهم، ثمّ عدم الدّجاج بالكلّية لولا ما جلب من الشام، و أما أكل لحوم الآدميّين فشاع و تواتر. هذا كلام الذهبىّ.

و قال صاحب المرآة: فى هذه السنة كان هبوط النيل، و لم يعهد ذلك فى الإسلام إلّا مرّة واحدة فى دولة الفاطميين، و لم يبق منه إلا شىء يسير، و اشتدّ الغلاء و الوباء بمصر، فهرب النّاس إلى المغرب و الحجاز و اليمن و الشام، و تفرّقوا و تمزّقوا كلّ ممزّق.

قال: و كان الرّجل يذبح ولده، و تساعده أمّه على طبخ و شيّه؛ و أحرق السلطان جماعة فعلوا ذلك و لم ينتهوا، و كان الرجل يدعو صديقه و أحبّ الناس إليه إلى منزله ليضيفه، فيذبحه و يأكله، و فعلوا بالأطبّاء ذلك، و فقدت الميتات و الجيف، و كانوا يخطفون الصبيان من الشوارع فيأكلونهم، و كفّن السلطان فى مدّة يسيره مائتى ألف و عشرين ألفا، و امتلأت طرقات المغرب و الحجاز و الشام برمم النّاس، و صلّى إمام جامع إسكندرية فى يوم واحد على سبعمائة جنازة .

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۵۱

قال العماد الكاتب: فى سنة سبع و تسعين و خمسمائة اشتدّ الغلاء، و امتدّ الوباء و حدثت المجاعة، و تفرّقت الجماعة، و هلك القوىّ فكيف الضعيف؟! و نحف السمين فكيف العجيف! و خرج النّاس حذر الموت من الديار، و تفرّقت فرق مصر فى الأمصار، و لقد رأيت الأرامل على الرّمال، و الجمال باركة تحت الأحمال، و مراكب الفرنج واقفة بساحل البحر على اللقم، تسترقّ الجياع باللّقم.

قال صاحب المرآة و غيره: و كان فى هذه السنة، فى شعبان، زلزلة هائلة من الصّعيد، هدمت بنيان مصر، فمات تحت الهدم خلق كثير.

و فى سنة تسع و تسعين [و خمسمائة] فى ليلة السّبت سلخ المحرّم ماجت النجوم فى السماء شرقا و غربا، و تطايرت كالجراد المنتشر يمينا و شمالا، و دام ذلك إلى الفجر، و انزعج الخلق، و ضجّوا بالدعاء، و لم يعهد مثل ذلك إلّا فى عام البعث و فى سنة إحدى و أربعين و مائتين. قاله صاحب المرآة و غيره.

و فی سنة ستمائة، کانت زلزلة عظیمة بدیار مصر، قاله ابن الأثیر فی الکامل.

و فیها أخذت الفرنج فوّة و استباحوها، دخلوا من فم رشید فی النیل. ذکره الذهبیّ فی العبر.

و فی سنة سبع و ستّمائة، دخلت الفرنج من البحر من غربیّ دمیاط، و ساروا فی البرّ فأخذوا قریة بورة ، و استباحوا قتلا و سبیا، و ردّوا فی الحال، و لم یدرکهم الطلب.

و فی سنة ثمان و ستّمائة، کانت زلزلة شدیدة، هدمت بمصر القاهرة دورا کثیرة، و مات خلق تحت الهدم.

و فی سنة خمس عشرة و ستّمائة، فی جمادی الأولی، نزلت الفرنج علی دمیاط ، و أخذوا برج السلسلة، ثمّ استحوذوا علی دمیاط فی سنة ستّ عشرة، فاستمرّت بأیدیهم إلی أن استردّت منهم فی سنة ثمان عشرة.

قال الذهبیّ فی العبر: فی سنة ستّ عشرة و ستمائة، حاصر الفرنج أهل دمیاط ، و وقعت حروب کثیرة یطول شرحها، و جدّت الفرنج فی المحاصرة، و عملوا

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۵۲

علیهم خندقا کبیرا، و ثبت أهل البلد ثباتا لم یسمع بمثله، و کثر فیهم القتل و الجرح و الموت، و عدمت الأقوات، ثم سلّموها بالأمان فی شعبان، و طار عقل الفرنج، و تسارعوا إلیها من کلّ فجّ، و شرعوا فی تحصینها، و أصبحت دار هجرتهم، و رجوا بها أخذ دیار مصر، و أشرف الإسلام علی خطّة خسف، و أقبل التتار من المشرق و الفرنج من المغرب، و عزم المصریون علی الجلاء، فثبّتهم الکامل إلی أن سار إلیه أخوه الأشرف و المعظّم، و حصل الفتح و للّه الحمد.

و فی سنة ثمان و عشرین و ستّمائة، کان غلاء شدید بدیار مصر، قاله ابن کثیر.

و بلغ النیل ستّة عشر ذراعا و ثلاثة أصابع فقط، بعد توقّف عظیم، و وصل القمح خمسة دنانیر الإردبّ، فرسم السلطان بفتح الأهراء و شون الأمراء، و أن یباع بثمانین درهما الإردبّ من غیر زیادة، فانحطّ السّعر إلیه. ذکره ابن المتوّج.

و فی سنة تسع و عشرین، وصل النیل ثمانیة عشر ذراعا و ستّة أصابع، و تأخّر نزوله حتّی خاف الناس من عدم نزوله، فغلا السّعر، ثمّ نزل، فانحطّ السعر.

و فی سنة إحدی و ثلاثین، قدم إلی الملک الکامل هدیّة من الإفرنج، فیها دبّ أبیض و شعره مثل شعر السبع، ینزل البحر فیصعد بالسمک فیأکله .

و فی سنة اثنتین و ثلاثین کان الوباء العظیم بمصر .

و فی سنة ثلاث و أربعین کان الغلاء بمصر، و قاسی أهلها شدائد .

و فی سنة سبع و أربعین نزلت الفرنج دمیاط برّا و بحرا، و ملکوها، ثمّ استنقذت منهم.

و فی سنة تسع و أربعین [و ستمائة]، قال ابن کثیر: صلّیت صلاة العید یوم الفطر بعد العصر، قال: و هذا اتفاق غریب.

و فی سنة سبع و خمسین [و ستمائة]، حصلت بدیار مصر زلزلة عظیمة جدّا.

و فی سنة إحدی و ستین، جهّز الظاهر بیبرس رحمه اللّه تعالی أخشابا و آلات کثیرة لعمارة المسجد النبویّ بعد حریقه، فطیف بها بالدیار المصریّة، فرحا بها، و تعظیما لشأنها ثم ساروا بها إلی المدینة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۵۳

و فی سنة اثنتین و ستّین کان بدیار مصر غلاء عظیم، و فرّق الظاهر الفقراء علی الأمراء و الأغنیاء، و ألزمهم بإطعامهم، و فرّق هو قمحا کثیرا، و رتّب کلّ یوم للفقراء مائة اردبّ تخبز و تفرّق علیهم.

و فی هذه السنة ولد بمصر ولد میّت، له رأسان و أربعة أعین و أربعة أید و أربعة أرجل.

و فی سنة ثلاث و ستّین وقع حریق عظیم ببلاد مصر، اتّهم به النّصاری، فعاقبهم السلطان عقوبة عظیمة. و فیها استجدّ الظاهر بمصر

القضاة الثلاثة ، من كلّ مذهب قاض.

و فى سنة أربع و ستّين، قال ابن المتوّج: حفر الظاهر بحر مصر بنفسه، و عسكره ما بين الروضة و المنشاة.

و فى سنة خمس و ستّين كبا الفرس بالملك الظاهر، فانكسرت فخذه، و حصل له عرج.

و فى سنة ستّ و ستين كانت كائنة الحبيس النصرانىّ، كان كاهنا ثمّ ترهّب و أقام بمفازة بجبل حلوان، فقيل إنّه ظفر بكنز للحاكم صاحب مصر، فواسى منه الفقراء و المستورين من كل ملّة، و اشتهر أمره و شاع ذكره، و أنفق فى ثلاث سنين أموالا عظيمة، فأحضره السلطان، و تلطّف به، فأبى عليه يعرّفه بجلية أمره، و أخذ يراوغه و يغالطه، فلمّا أعياه حنق عليه، و بسط عليه العذاب فمات. قال الذهبىّ: و قد أفتى غير واحد بقتله خوفا على ضعفاء الإيمان من المسلمين أن يضلّهم و يغويهم.

و فى سنة سبع و ستّين، رسم السلطان بإراقة الخمور ، و إبطال المفسدات و الخواطىء من الديار المصرية و الشاميّة، و حبست الخواطىء حتّى يتزوجن، و كتب إلى جميع البلاد بذلك، و أسقطت الضرائب التى كانت مرتبة عليها.

و فى هذه السنة حجّ السلطان فأحسن إلى أهل الحرمين، و غسل الكعبة بماء الورد بيده. و فى أواخر ذى الحجة من هذه السنة هبّت ريح شديدة بديار مصر، غرّقت مائتى مركب فى النيل، و هلك فيها خلق كثير، و وقع مطر شديد جدّا، و أصابت الثمار صعقة أهلكتها، حكاه ابن كثير.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۵۴

و فى سنة تسع و ستين [و ستمائة] شدّد السلطان فى أمر الخمور، و هدّد من يعصرها بالقتل، و أسقط الضّمان فى ذلك، و كان ألف دينار كلّ يوم بالقاهرة وحدها، و كتب بذلك توقيع قرىء على منبر مصر و القاهرة، و سارت البرد بذلك إلى الآفاق.

و فى سنة سبعين، قال قطب الدين: فى جمادى الآخرة ولدت زرافة بقلعة الجبل، و أرضعت من بقرة، قال: و هذا شىء لم يعهد مثله.

و فى سادس عشر شوّال سنة خمس و سبعين، قال ابن كثير: طيف بالمحمل، و بكسوة الكعبة المشرّفة بالقاهرة، و كان يوما مشهودا.

قلت: كان هذا مبدأ ذلك، و استمرّ ذلك كلّ عام إلى الآن.

و فى سنة تسع و سبعين، فى يوم عرفة وقع ببلاد مصر برد كبار، أتلف كثيرا من الغلال، و وقعت صاعقة بالإسكندريّة، و أخرى تحت الجبل الأحمل على حجر فأحرقته، فأخذ ذلك الحجر و سبك، فخرج منه من الحديد أواق بالرطل المصرىّ.

و فى سنة ثمان [ثمانين] و ستمائة تربت جزيرة كبيرة ببحر النيل تجاه قرية بولاق و اللّوق، و انقطع بسببها مجرى البحر، ما بين قلعة المقس و ساحل باب البحر، و اشتدّ و نشف بالكليّة، و اتّصل ما بين المقس و جزيرة الفيل بالمشى، و لم يعهد فيما تقدّم، و حصل لأهل القاهرة مشقّة من نقل الماء لبعد النيل، فأراد السلطان حفره، فقالوا: إنّه لا يفيد، و نشف إلى الأبد.

و فى سنة إحدى و ثمانين [و ستمائة] فى شعبان، طافوا بكسوة الكعبة، و لعبت مماليك الملك المنصور أيام الكسوة بالرّماح و السلاح؛ و هو أوّل ما وقع ذلك بالديار المصرية، و استمرّ ذلك إلى الآن، يعمل سنين و يبطل سنين.

و فى سنة إحدى و تسعين فى الرابع و العشرين من المحرّم، وقع حريق عظيم بقلعة الجبل، أتلفت شيئا كثيرا من الذّخائر و النفائس و الكتب.

و فى سنة ثلاث و تسعين، قال ابن المتوّج: كثرت الفلوس، و ردّها أرباب المعائش، و جعلت بالميزان بربع نقرة كل أوقيّة، ثمّ بسدس الأوقية، و تحرّك السعر بسبب ذلك. و كان القمح فى أوّل السنة بثلاثة عشر درهما الإردبّ، فانتقل إلى ستين درهما الإردبّ. و فيها، قال ابن المتوج: كانت زلزلة بديار مصر.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۵۵

و فى سنة أربع و تسعين: أوفى النيل فى السادس من أيام النسىء و كسر، و بلغ مجموع زيادته ستة عشر ذراعا و سبعة عشر أصبعا، و حصل فى هذه السنة بديار مصر غلاء شديد. و استهلّت سنة خمس و تسعين و أهل الديار المصرية فى قحط شديد و وباء مفرط، حتى

أكلوا الجيف، و نفدت حواصل السلطان من العليق، فأقامت خيول السلطان ثلاثة أيام حتى أحضرت التقاوى المخلّد فى البلاد، و بلغ الإردبّ القمح مائة و سبعين درهما نقرة، و ذلك عبارة عن ثمانية مثاقيل ذهب و نصف مثقال، و الخبز كلّ رطل و ثلث بالمصرىّ بدرهم نقرة، و أكلت الضعفاء الكلاب، و طرحت الأموات فى الطرقات، و كانوا يحفرون الحفائر الكبار، فيلقون فيها الجماعة الكثيرة.

و بيع الفرّوج بالإسكندرية بستة و ثلاثين درهما نقرة، و بالقاهرة بتسعة عشر، و البيض كل ثلاثة بدرهم، و فنيت الحمر و الخيل و البغال و الكلاب، و لم يبق شىء من هذه الحيوانات يلوح. و فى جمادى الآخرة خفّ الأمر، و أخذ فى الرخص، و انحطّ سعر القمح إلى خمسة و ثلاثين درهما الإردب.

و فى سنة ستّ و تسعين [و ستمائة]، بلغت زيادة النيل إلى أوّل توت خمسة عشر ذراعا و ثمانية عشر إصبعا، ثمّ نقص و لم يوفّ.

و فى سنة سبع و تسعين توقّف النيل، ثم أوفى آخر أيام النّسىء.

و فى سنة ثمان و تسعين فى المحرّم، ظهر كوكب له ذؤابة .

و فى سنة تسعين [تسع و تسعين و ستمائة]، أوفى النيل فى ثالث عشر توت.

و فى شعبان سنة سبعمائة، أمر بمصر و الشام اليهود بلبس العمائم الصّفر، و النصارى بلبس الزّرق، و السامرة بلبس الحمر، و استمرّ ذلك إلى الآن.

و قال الشعراء فى ذلك، فقال العلاء الوداعىّ:

لقد ألزموا الكفّار شاشات ذلّةتزيدهم من لعنة اللّه تشويشا

فقلت لهم: ما ألبسوكم عمائماو لكنّهم قد ألبسوكم براطيشا

و قال آخر:

تعجّبوا للنصارى و اليهود معاو السامريّين لمّا عمّموا الخرقا

كأنّما بات بالأصباغ منسهلانسر السّماء فأضحى فوقهم فرقا

و فى سنة اثنتين و سبعمائة فى ذى الحجّة، كانت الزلزلة العظمى بمصر، و كان تأثيرها بالإسكندرية أعظم من غيرها، و طلع البحر إلى نصف البلد، و أخذ الحمّال و الرجال، و غرقت المراكب، و سقطت بمصر دور لا تحصى، و هلك تحت الرّدم خلق كثير.

و فى هذه السنة، قال البرزالىّ فى تاريخه: قرأت فى بعض الكتب الواردة من القاهرة أنّه لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادى الآخرة، ظهرت دابّة عجيبة الخلقة من بحر النيل إلى أرض المنوفيّة، و صفتها: لونها لون الجاموس بلا شعر، و آذانها كآذان الجمل، و عيناها و فرجها مثل الناقة، يغطّى فرجها ذنبها، طوله شبر و نصف، طرفه كذنب السمك، و رقبتها مثل غلظ المسند المحشوّ تبنا، و فمها و شفتاها مثل الكربال ، و لها أربعة أنياب، اثنان من فوق و اثنان من أسفل، طولها دون الشّبر، و عرض إصبعين، و فى فمها ثمانية و أربعون ضرسا و سنّا، مثل بيادق الشطرنج، و طول يدها من باطنها إلى الأرض شبران و نصف، و من ركبتها إلى حافرها مثل بطن الثعبان، أصفر مجعّد و دور حافرها مثل السّكرجة بأربعة أظافير مثل أظافير الجمل، و عرض ظهرها مقدار ذراعين و نصف، و طولها من فمها إلى ذنبها خمسة عشر قدما، و فى بطنها ثلاثة كروش، و لحمها أحمر، و زفرته مثل السمك، و طعمه كطعم الجمل، و غلظ جلدها أربعة أصابع، ما تعمل فيه السيوف، و حمل جلدها على خمسة أجمال فى مقدار ساعة، من ثقله على جمل بعد جمل، و أحضروه إلى القلعة بين يدى السلطان، و حشوه تبنا، و أقاموه بين يديه.

و فى هذه السنة أبطل الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عيد الشهيد بمصر، و ذلك أنّ النصارى كان عندهم تابوت فيه إصبع، يزعمون أنه من أصابع بعض شهدائهم، و أن النيل لا يزيد ما لم يلق فيه هذا التابوت، و كان يجتمع النصارى من سائر النواحى إلى شبرا، و يقع هناك أمور فظيعة؛ من سكر و غيره، فأبطل ذلك إلى يومنا هذا، و للّه الحمد.

و فى سنة أربع و سبعمائة ظهر من معدن الزّمرد قطعة زنتها مائة و خمسة و سبعون

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۵۷

مثقالا، فأخفاها الضامن، ثمّ حملها إلی بعض الملوک، فدفع له فیها مائة ألف و عشرین ألف درهم، فأبی أن یبیعها بذلک، فأخذها الملک منه غصبا، و بعث بها إلی السلطان، فمات الضامن غمّا.

و فیها أوفی النّیل رابع توت، و کذا فی سنة خمس.

و فی سنة تسع و سبعمائة توقّف النیل، و استسقی الناس فلم یسقوا، و انتهت زیادته فی سابع عشری توت إلی خمسة عشر ذراعا و سبعة عشر إصبعا، ثمّ زاد.

و أوفی ستة عشر ذراعا فی تاسع عشرة بابه ، و تشاءم النّاس بسلطنة بیبرس، و غنّت العامة فی ذلک:

سلطاننا رکین، و نائبنا دقین، یجیئنا الماء من أین؟

یجیبوا لنا الأعرج، یجیء الماء و یدحرج.

و فی هذه السنة لما عاد ابن قلاوون تکلّم الوزیر ابن الخلیلیّ فی إعادة أهل الذمّة إلی لبس العمائم البیض بالعلائم، و أنّهم قد التزموا للدیوان بسبعمائة ألف فی کلّ سنة زیادة علی الجالیة، فسکت أهل المجلس، و قام الشیخ تقیّ الدّین بن تیمیّة رحمه اللّه، و تکلم کلاما عظیما، و ردّ علی الوزیر مقالته، و قال للسلطان: حاشاک أن تکون ممّن ینصر أهل الذمة! فأصغی إلیه السلطان، و استمرّ لبسهم للأصفر و الأزرق، ثمّ عمل ذلک ببغداد أیضا فی سنة أربع و ثلاثین اقتداء بملک مصر.

و فی سنة خمس عشرة و سبعمائة وقع الشروع فی روک الإقطاعات بمصر، و أبطل السلطان مکوسا کثیرة، و أفردت الجهات الّتی بقیت من المکس، و أضیفت للوزیر و أفرد لکلّ راتب من الدولة، و لکل فریق جهة من البلاد، و لم یکن الوزیر یتعلّق به جهة مکس قدیما، و لذا کان یتولّاه العلماء و قضاة القضاة.

و فی سنة عشرین و سبعمائة حصل بالدّیار المصریة مرض کثیر، قلّ أن سلمت منه دار، و غلت الأدویة و الأشربة، و بیعت الرّمانة الحامضة بثلاثة أرباع نقرة، و العنّاب الرّطل المصریّ بستة دراهم نقرة، و کذلک الإجّاص و القراصیا و القلب اللوز، و تمّت مدّة عظیمة؛ و لکن کان المرض سلیما و الموت قلیلا. ذکره فی العبر.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۵۸

و فی سنة إحدی و عشرین، کان بالقاهرة حریق کبیر متتابع خارج عن الوصف، و دام أیاما فی أماکن، و أحرق جامع ابن طولون و ما حوله بأسره، ثمّ ظفر بفاعلیه، و هم جماعة من النصاری یعملون قوارید النّفط، فقتلوا و أحرقوا، و هدم غالب کنائس النصاری بمصر، و نهب الباقی، و بقیت القاهرة أیاما لم یظهر فیها أحد من النصاری، و بقی لا یظهر نصرانیّ إلا ضربه العوام، و ربما قتلوه.

و فی هذه السنة، قال الذهبیّ فی العبر: نقلت من خط بدر الدین العزّازی أنّ کلبة ولدت بالقاهرة ثلاثین جروا، و أنها أحضرت بین یدی السلطان، فعجب منها و سأل المنجّمین عن ذلک، فلم یکن عندهم علم منه.

و فی سنة اثنتین و عشرین أبطل السلطان المکس المتعلّق بالمأکول بمکّة، و عوّض صاحبها ثلثی بلد دمامین، من صعید مصر.

و فی سنة أربع و عشرین رسم السلطان بإبطال الملاهی بالدیار المصریة، و حبس جماعة من النساء الزوانی، و حصل بالدیار المصریة موت کثیر.

و فی هذه السنة، نودی علی الفلوس أن یتعامل بها بالرّطل ، کلّ رطل بدرهمین، و رسم بضرب فلوس زنة الفلس منها درهم.

و فی سنة خمس و عشرین، وقع بالقاهرة مطر کثیر، قلّ أن وقع مثله، و جاء سیل إلی النیل حتّی تغیّر لونه، و زاد نحو أربعة أصابع.

و فی هذه السنة حضر السلطان النّاصر بن قلاوون عند قاضی القضاة بدر الدین بن جماعة، فسمع علیه عشرین حدیثا من تساعیّاته، و خلع علیه خلعة عظیمة، و فرّق من الذهب و الفضة علی الفقراء نحو ثلاثین ألف درهم.

و فی سنة سبع و عشرین، رسم بقتل الکلاب بالدیار المصریة.

و فی سنة تسع و عشرین، رسم بألّا یباع مملوک ترکیّ لکاتب و لا لعامیّ .

و فی سنة أربعین [و سبعمائة]، نودی علی الذهب کلّ دینار بخمسة و عشرین درهما ، و کان بعشرین درهما، و أن یتعاملوا به و لا یتعاملوا بالفضة، فشقّ ذلک علی الناس، ثمّ بطل ذلک.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۵۹

و فی سنة أربع و أربعین، اشتدّ آل ملک نائب السلطنة علی والی القاهرة فی إراقة الخمر، و منع المحرّمات، و عاقب جماعة کثیرة علی ذلک، و أخرب خزانة النّبوذ، و کانت دار فسق و فجور، و بنی مکانها مسجدا، و نادی: من أحضر سکرانا، أو من معه جرّة خمر خلع علیه. فقعد العامة لذلک بکل طریق، و أتوه بجندیّ سکران، فضربه و قطع خبزه، و أخلع علی الآتی به، و صار له مهابة عظیمة، و کفّ الناس عن أشیاء کثیرة، حتّی أعیان الأمراء، فقال بعض الشعراء فی ذلک:

آل ملک الحاج غدا سعده یملأ ظهر الأرض فیما سلک

فالأمر أمن دونه سوقةو الملک الظّاهر هو آل ملک

و فی سنة سبع و أربعین قلّ ماء النیل، حتی صار ما بین المقیاس و مصر یخاض، و صار من بولاق إلی المنشیّة طریقا یمشی فیه، و بلغت روایة الماء درهمین، و کانت بنصف درهم.

و فی سنة تسع و أربعین کان الطّاعون العامّ بمصر و غیرها.

و فی سنة خمس و خمسین و سبعمائة أمر بأن یکون إزار النصرانیة أزرق و إزار الیهودیة أصفر، و إزار السامریّة أحمر.

و فی سنة سبع و خمسین [و سبعمائة] فی ربیع الآخر، هبّت ریح من جهة المغرب، و امتدت من مصر إلی الشام فی یوم و لیلة، و غرقت ببولاق نحو ثلاثمائة مرکب، و اقتلعت من النّخیل و الجمیز ببلاد مصر و بلبیس شیئا کثیرا.

و فی سنة إحدی و ستین وقع الوباء بالدیار المصریة.

و فی سنة أربع و ستین کان الطاعون بدیار مصر.

و فی سنة خمس و ستین وقع الفناء فی البقر، فهلک منها شیء کثیر.

و فی سنة سبع و ستین [و سبعمائة] أخذت الفرنج مدینة إسکندریّة، و قتلوا و أسروا، فخرج السلطان و العسکر لقتالهم، ففرّوا و ترکوها .

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۶۰

و فی سنة تسع و ستین وقع الوباء بالدیار المصریة.

و فی سنة ثلاث و سبعین [و سبعمائة] رسم للأشراف بالدیار المصریة و الشامیة أن یسموا عمائمهم بعلامة خضراء، تمییزا لهم عن الناس، ففعل ذلک فی مصر و الشام و غیرهما، و فی ذلک یقول أبو عبد اللّه بن جابر الأندلسی الأعمی نزیل حلب:

جعلوا لأبناء الرّسول علامةإنّ العلامة شأن من لم یشهر

نور النبوّة فی کریم وجوههم یغنی الشریف عن الطّراز الأخضر

و قال فی ذلک جماعة من الشعراء ما یطول ذکره؛ و من أحسنها قول الأدیب شمس الدین محمد بن إبراهیم الدمشقی:

أطراف تیجان أتت من سندس خضر بأعلام علی الأشراف

و الأشرف السلطان خصّصهم بهاشرفا لیعرفهم من الأطراف

و فی هذه السنة زاد النیل زیادة مفرطة، و ثبت إلی أیّام من هاتور ، فاجتمع جماعة بالجامع الأزهر، و جامع عمرو، و سألوا اللّه فی هبوطه، و عمل ابن أبی حجلة مقامته المشهورة.

و فی هذه السنة أراد السّراج الهندیّ قاضی الحنفیّة أن یساوی قاضی الشافعیّة فی لبس الطّرحة و تولیة القضاة فی البلاد، و تقریر مودع

الأيتام، فأجيب إلى ذلك؛ فاتّفق أنّه توعّك عقب ذلك، و طال مرضه إلى أن مات و لم يتمّ الذى أراده.

و فى سنة أربع و سبعين [و سبعمائة] وقعت صاعقة على القلعة، فأحرقت منها شيئا كثيرا، و استمرّ الحريق أيّاما، و فى هذه السنة عقد الجائى مجلسا بالعلماء فى إقامة خطبة بالمنصورية، فأفتاه البلقينىّ و ابن الصائغ بالجواز، و خالف الباقون، و صنّف البلقينىّ كتابا فى الجواز، و صنّف العراقىّ كتابا فى المنع، و جمع أيضا القاضى برهان الدين بن جماعة جزءا فى المنع.

و فى سنة خمس و سبعين، توقّف النيل عن الزيادة، و أبطأ إلى أن دخل توت، و اجتمع العلماء و الصلحاء بجامع عمرو، و استسقوا، و كسر الخليج تاسع توت عن نقص أربعة أصابع من العادة، ثمّ نودى بصيام ثلاثة أيّام، و خرجوا إلى الصحراء مشاة،

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۶۱

و حضر غالب الأعيان و معظم العوامّ و صبيان المكاتب، و نصب المنبر، فخطب عليه شهاب الدين القسطلانىّ خطيب جامع عمرو، و صلّى صلاة الاستسقاء، و دعا و ابتهل، و كشف رأسه و استغاث و تضرّعوا، و كان يوما مشهودا، و ابتدأ الغلاء و زادت الأسعار.

و فى هذه السنة فى أول جمادى الأولى حدثت زلزلة لطيفة، فيها ابتدئت قراءة البخارىّ فى رمضان بالقلعة بحضرة السلطان، و رتّب الحافظ زين الدين العراقىّ قارئا، ثمّ اشترك معه شهاب الدين العريانىّ يوما بيوم، و أمر السلطان مشايخ العلم أن يحضروا عنده سامعين ليتباحثوا، فحضر جماعة من الأكابر.

و فيها أبطل ضمان المغانى و مكس القراريط التى كانت فى بيع الدّور، و قرىء بذلك مرسوم على المنابر، و كان ذلك بتحريك البلقينىّ، و أعانه أكمل الدين و البرهان ابن جماعة.

و فى سنة ستّ و سبعين وقع الفناء بالديار المصرية، و بيع كلّ رمانة بستة عشر درهما و هى قريب من دينار، و كلّ فرّوج بخمسة و أربعين، و كلّ بطّيخة بسبعين.

و فى هذه السنة أحضر والى الأشمونين إلى الأمير منجك بنتا عمرها خمس عشرة سنة، فذكر أنها لم تزل بنتا إلى هذه الغاية، فاستدّ الفرج و ظهر لها ذكر و أنثيان و احتلمت، فشاهدوها و سمّوها محمدا، و لهذه القضية نظير، ذكرها ابن كثير فى تاريخه.

قال الحافظ ابن حجر: و وقع فى عصرنا نظير ذلك فى سنة اثنتين و أربعين و ثمانمائة.

و فى سنة سبع و سبعين [و سبعمائة] وصلت هدايا إسطنبول من الرّوم، و فى جملة الهدايا صندوق فى شخوص له حركات، كلّما مضى ساعة من الليل ضربت تلك الشخوص بأنواع الملاهى، و كلما مضت درجة سقطت بندقة.

و فى سنة ثمان و سبعين، فى شعبان، خسف الشمس و القمر جميعا، فطلع القمر خاسفا ليلة السبت رابع عشرة، و كسفت الشمس بين الظهر و العصر يوم السبت ثامن عشرينه.

و فى سنة ثمانين [و سبعمائة] كان بمصر حريق عظيم و دام أياما. و فى هذه

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۶۲

السنة، فى ذى القعدة عقد برقوق أتابك العساكر مجلسا بالقضاة و العلماء. و ذكر أنّ أراضى بيت المال أخذت منه بالحيلة، و جعلت أوقافا من بعد الناصر بن قلاوون، و ضاق بيت المال بسبب ذلك، فقال الشيخ سراج الدين البلقينىّ: أمّا ما وقف على خديجة و عويشة و فطيمة فنعم، و أمّا ما وقف على المدارس و العلماء و الطلبة فلا سبيل إلى نقضه، لأنّ لهم فى الخمس أكثر من ذلك. فانفصل الأمر على مقالة البلقينىّ.

و فى هذه السنة ظهر كوكب له ذؤابة، و بقى مدة يرى فى أوّل النهار من ناحية الشمال.

و فى هذه السنة أمر بتبطيل الوكلاء من دور القضاة.

و فى سنة إحدى و ثمانين رسم الأمير بركة بنفى الكلاب من مصر، و رسم بأن يعمل على قنطرة فم الغور سلسلة تمنع المراكب من الدخول و إلى بركة الرطلىّ، فقال بعض الشعراء فى ذلك:

أطلقت دمعى على خليجمذ سلسلوه فراح مقفل

من رام من دهرنا عجبافلينظر المطلق المسلسل

و فى ربيع الآخر من هذه السنة أحدث السّلام على النبى صلى اللّه عليه و سلم عقب أذان العشاء ليلة الاثنين مضافا إلى ليلة الجمعة، ثمّ أحدث بعد عشر سنين عقب كلّ أذان إلّا المغرب.

و فى سنة ثلاث و ثمانين ابتدأ الطاعون بالقاهرة. و فيها أمطرت السماء مطرا عظيما، حتى صار باب زويلة خوضا إلى بطون الخيل، و خرج سيل عظيم إلى جهة طرى، فغرق زرعها، و أقام الماء أياما، و لم يعهد الناس ذلك بالقاهرة. و فيها ظهر نجم له ذؤابة قدر رمحين من جهة القبلة.

و فى سنة أربع و ثمانين [و سبعمائة] وقع الغلاء بمصر. و فيها شرع جركس الخليلى فى عمل جسر بين الروضة و مصر، و طوله مائتا قصبة فى عرض عشرة عند موردة الحبش، و عمل على النّيل طاحونا تدور بالماء.

و فى هذه السنة قال الحافظ ابن حجر: توجّه الظاهر برقوق إلى بولاق

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۶۳

التكرور، فاجتاز من الصّليبة و قناطر السباع و فم الخور. قال: و كانت عادة السلاطين قبله من زمن الناصر لا يظهرون إلّا فى الأحيان، و لا يركبون إلّا من طريق الجزيرة الوسطى. قال: ثم تكرّر ذلك منه، و شقّ القاهرة مرارا، و جرى على ما ألف فى زمن الإمرة، و أبطل كثيرا من رسوم السلطنة، و أخذ من بعده بطريقته فى ذلك إلى أن لم يبق من رسمها فى زماننا إلا اليسير جدّا.

و فى هذه السنة بنى السلطان قناطر بنى منجة، فأحكم عمارتها.

و فى سنة خمس و ثمانين نزل السّلطان إلى النّيل ، فخلّق المقياس، و كسر الخليج بحضرته. قال ابن حجر: و لم يباشر ذلك السلطان قبله فى زمن الظاهر بيبرس.

و فى سنة سبع و ثمانين زلزلت مصر و القاهرة زلزلة لطيفة، فى ليلة الثالث عشر من شعبان. و فيه أحضرت صغيرة ميتة لها رأسان و صدر واحد و يدان فقط، و من تحت السّرّة صورة شخصين كاملين، كلّ شخص بفرج أنثى، فشاهدها الناس، و دفنت. و فيها وقع الغلاء بمصر.

و فى سنة ثمان و ثمانين [و سبعمائة] فى جمادى الآخرة زلزلت الأرض زلزلة لطيفة، و فى هذه السنة عزّ الفستق عزّة شديدة إلى أن بيع الرطل منه بمثقال ذهب و نصف.

و فى سنة تسع و ثمانين ضربت الدراهم الظاهرية ، و جعل اسم السلطان فى دائرة، فتفاءلوا له من ذلك بالحبس، فوقع عن قريب، و وقع نظيره لولده النّاصر فرج فى الدنانير الناصرية.

و فى سنة تسعين أصاب الحاجّ فى رجوعهم عند ثغرة حامد سيل عظيم، أهلك خلقا كثيرا. و فى هذه السنة وقع الطاعون بالقاهرة.

و فى سنة إحدى و تسعين [و سبعمائة] فى شعبان أمر نجم الدين الطنبدىّ المحتسب

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۶۴

أن يزاد بعد كلّ أذان الصلاة على النبى صلى اللّه عليه و سلم كما يصنع ذلك ليلة الجمعة بعد العشاء، فصنعوا ذلك إلّا فى المغرب لضيق وقتها .

و فى سنة اثنتين و تسعين عطش الحاجّ بعجرود ؛ حتى بلغت القربة مائة درهم فضة.

و فى سنة ثلاث و تسعين [و سبعمائة] أمر كتبغا نائب الغيبة ألّا تخرج النساء إلى التّرب بالقرافة و غيرها، و منع النساء من لبس القمصان الواسعة الأكمام و شدّد فى ذلك .

و فى هذه السنة فى جمادى الآخرة ظهر كوكب كبير بذؤابة طول رمحين.

و فی سنة أربع و تسعین وقع الوباء فی البقر، حتّی کاد إقلیم مصر أن یفنی منها.

و فی هذه السنة أمر أصحاب العاهات و القطعات أن یخرجوا من القاهرة. و فیها ضربت بالإسکندریّة فلوس ناقصة الوزن عن العادة طمعا فی الرّبح، فآل الأمر إلی أن کانت أعظم الأسرار فی فساد الأسرار و نقص الأموال.

و فی سنة تسع و تسعین استأذن کاتب السرّ بدر الدین الکلستانیّ السلطان له و لجمیع المتعمّمین أن یلبسوا الصوف الملوّن فی المواکب، فأذن لهم، و کانوا لا یلبسون إلا الأبیض خاصّة. و فیها ولدت امرأة بظاهر القاهرة أربعة ذکور أحیاء.

و فی سنة ثمانمائة هبّت ریح شدیدة بالقاهرة، حتی اتّفق الشیوخ العتق علی أنهم لم یسمعوا بمثلها.

و فی سنة إحدی و ثمانمائة، ذکر أهل الهیئة أنّه یقع فی أول یوم منها زلزلة، و شاع ذلک فی الناس فلم یقع شیء من ذلک. و فی رجب سنة أربع ظهر کوکب قدر الثریّا، له ذؤابة ظاهرة النور جدّا، فاستمر یطلع و یغیب، و نوره قویّ یری مع ضوء القمر، حتّی رئی بالنّهار فی أوائل شعبان، فأوّله بعضهم بظهور ملک الشیخ المحمودیّ.

و فی سنة ستّ و ثمانمائة، نودی علی الفلوس بأن یتعامل بها بالمیزان، و سعّرت کل رطل بستة دراهم، و کانت فسدت إلی الغایة بحیث صار وزن الفلوس ربع درهم بعد أن کان مثقالا.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۶۵

و فی سنة عشر [و ثمانمائة]، وقع الطاعون بالدیار المصریة.

و فی سنة خمس عشرة ضربت الدراهم الخالصة، زنة الواحد نصف درهم و الدینار ثلاثین منه، و فرح الناس بها، و بطلت الدراهم النّقرة، و کان ضربها قدیما فی کلّ درهم عشره فضة، و تسعة أعشاره نحاس.

و فی سنة ستّ عشرة فشا الطاعون بمصر.

و فی سنة سبع عشرة أمر المؤیّد بضرب الدراهم المؤیدیّة.

و فی سنة ثمان عشرة کان الطاعون بالقاهرة.

و فی سنة تسع عشرة [و ثمانمائة] کان الطاعون بالقاهرة، و کثر الوباء بالصعید و الوجه البحریّ. و فی هذه السنة أمر الملک المؤیّد الخطباء إذا وصلوا إلی الدعاء إلیه فی الخطبة أن یهبطوا من المنبر درجة، لیکون اسم اللّه و رسوله فی مکان أعلی من المکان الذی یذکر فیه السلطان، فصنع ذلک الحافظ ابن حجر بالجامع الأزهر، و ابن النقاش بجامع ابن طولون. قال ابن حجر: و کان مقصد السلطان فی ذلک جمیلا.

و فی سنة عشرین ولدت جاموسة ببلبیس مولودا برأسین و عنقین و أربعة أید و سلسلتی ظهر واحد و رجلین اثنتین لا غیر، و فرج واحد أنثی، و الذنب مفروق باثنتین، فکانت من بدیع صنع اللّه.

و فی هذه السنة أمسک نصرانیّ زنا بامرأة مسلمة، فاعترفا، فحکم برجمهما، فرجما خارج باب الشّعریة و أحرق النصرانیّ، و دفنت المرأة.

و فی سنة اثنتین و عشرین فشا الطاعون بالدیار المصریة.

و فی سنة خمس و عشرین [و ثمانمائة] زلزلت القاهرة زلزلة لطیفة.

و فی سنة سبع و عشرین جدّد للمشایخ الذین یحضرون سماع الحدیث بالقلعة فراجی سنجاب، و هو أوّل ما فعل بهم ذلک.

و فی سنة ثمان و عشرین وقع بدمیاط حریق عظیم حتی احترق قدر ثلثها، و هلک من الدّوابّ و الناس شیء کثیر.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۶۶

و فی سنة ثلاث و ثلاثین کان الطاعون العظیم بالدیار المصریة.

و فی سنة إحدی و أربعین کان الطاعون بالدیار المصریة.

ذکر الطریق المسلوک من مصر إلی مکّة شرّفها اللّه تعالی

قال ابن فضل اللّه: المحامل السلطانیّة و جماهیر الرکبان لا تخرج إلا من أربع جهات: مصر، و دمشق، و بغداد، و تعزّ.

قال: فیخرج الرکب من مصر بالمحمل السلطانیّ و السبیل المسبل للفقراء و الضعفاء و المنقطعین بالماء و الزاد و الأشربة و الأدویة و العقاقیر و الأطبّاء و الکحّالین و المجبّرین و الأدلّاء و الأئمة و المؤذّنین و الأمراء و الجند و القاضی و الشهود و الدواوین و الأمناء و مغسّل الموتی؛ فی أکمل زیّ، و أتمّ أبّهة، و إذا نزلوا منزلا- أو رحلوا مرحلا- تدقّ الکوسات ، و ینفر النّفیر لیؤذن الناس بالرحیل و النزول، فإذا خرج الرکب من القاهرة نزل البرکة علی مرحلة واحدة، فیقیم بها ثلاثة أیام أو أربعة، ثمّ یرحل إلی السویس فی خمس مراحل، ثمّ إلی نخل فی خمس مراحل. و قد عمل فیها الأمیر آل ملک الجوکندار المنصوریّ أحد أمراء المشورة فی الدولة الناصریة بن قلاوون برکا، و اتّخذ لها مصانع، ثمّ یرحل إلی أیلة فی خمس مراحل و بها العقبة العظمی، فینزل منها إلی حجز بحر القلزم، و یمشی علی حجزه حتّی یقطعه من الجانب الشمالیّ إلی الجانب الجنوبیّ، و یقیم به أربعة أیّام أو خمسة، و به سوق عظیم فیه أنواع المتاجر، ثمّ یرحل إلی حفل مرحلة واحدة، ثمّ إلی برّ مدین فی أربع مراحل و به مغارة شعیب علیه الصلاة و السلام.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۶۷

و یقال إنّ ماءها هو الذی سقی علیه موسی علیه الصلاة و السلام غنم بنات شعیب، ثمّ یرحل إلی عیون القصب فی مرحلتین، ثمّ إلی المویلحة فی ثلاث مراحل، ثمّ إلی الأزلم فی أربع مراحل. و ماؤه من أقبح المیاه، و هناک خان بناه الأمیر آل ملک الجوکندار، و عمل هناک بئرا أیضا، ثمّ الوجه فی خمس مراحل، و ماؤه من أعذب المیاه، ثم إلی أکری فی مرحلتین و ماؤه أصعب ماء فی هذه الطریق، ثمّ إلی الحوراء و هی علی ساحل بحر القلزم فی أربع مراحل، و ماؤها شبیه بماء البحر لا- یکاد یشرب، ثمّ إلی نبط فی مرحلتین و ماؤه عذب، ثمّ إلی ینبع فی خمس مراحل و یقیم علیه ثلاثة أیام، ثمّ إلی الدهناء فی مرحلة، ثمّ إلی بدر فی ثلاث مراحل، و هی مدینة حجازیّة و بها عیون و جداول و حدائق، و بها الجار فرضة المدینة الشریفة، ثمّ یرحل إلی رابغ فی خمس مراحل، و هی بإزاء الجحفة التی هی المیقات، ثمّ یرحل إلی خلیص فی ثلاث مراحل، و بها برکة عملها الأمیر أرغون الناصریّ، ثمّ إلی بطن مرّ فی ثلاث مراحل، و فی طریقه بئر عسفان، ثمّ یرحل من بطن مرّ إلی مکّة المشرّفة مرحلة واحدة.

ثمّ یرجع فی منازله إلی بدر، فیعطف إلی المدینة الشریفة، فیرحل إلی الصّفراء فی مرحلة، ثم إلی ذی الحلیفة فی ثلاث مراحل، ثمّ إلی المدینة الشریفة فی مرحلة، ثمّ یرجع إلی الصفراء و یأخذ بین جبلین فی فجوة تعرف بنقب علیّ؛ حتّی یأتی الینبع فی ثلاث مراحل، ثمّ یستقیم علی طریقه إلی مصر.

ذکر قدوم المبشّر سابقا یخبر بسلامة الحاج

کان ذلک فی عهد الخلفاء الراشدین: عمر بن الخطاب و عثمان بن عفان فمن بعدهم، و له حکمة لطیفة قلّ من یعرفها، قال الحافظ عماد الدین بن کثیر فی تاریخه فی قصّة حصر عثمان رضی اللّه عنه: و استمرّ الحصار بالدیار المصریة حتّی مضت أیام التّشریق، و رجع البشیر من الحجّ، فأخبر بسلامة الناس، و أخبر أولئک بأنّ أهل الموسم عازمون علی الرجوع إلی المدینة لیکفّوهم عن أمیر المؤمنین.

و أخرج مالک فی الموطّأ عن ابن دلان عن أبیه أنّ رجلا من جهینة کان یشتری الرّواحل فیتغالی بها، ثمّ یسرع السّفر فیسبق الحاجّ، فأفلس، فرفع أمره إلی عمر، فقال: أمّا بعد أیّها الناس، إنّ الأسیقع أسیقع جهینة رضی من دینه و أمانته أن یقال: سبق الحاجّ، ألا و إنّه أدان معرضا، فأصبح و قد دین به فهمد، فمن کان له علیه دین فلیأته بالغداة. فقسم ماله بین غرمائه، ثمّ کمل الدّین.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۶۸

و أخرج الخطيب البغدادىّ فى تالى التلخيص من طريق عبد الملك بن عمير عن عبد اللّه بن عمر بن الخطاب رضى اللّه تعالى عنه، قال: تخرج الدابّة من جبل أجياد فى أيام التشريق و النّاس بمنّى، قال: فلذلك جاء سابق الحاجّ يخبر بسلامة الناس.

ذكر حمائم الرسائل

قال ابن كثير فى تاريخه: فى سنة سبع و ستّين و خمسمائة اتّخذ السلطان نور الدين الشهيد الحمام الهوادى ، و ذلك لامتداد مملكته، و اتساعها، فإنها من حدّ النّوبة إلى همذان، فلذلك اتّخذ قلعة، و حبس الحمام الّتى تسرى الآفاق فى أسرع مدّة، و أيسر عدّة، و ما أحسن ما قال فيهنّ القاضى الفاضل: الحمام ملائكة الملوك. و قد أطنب فى ذلك العماد الكاتب و أظرف و أطرب، و أعجب و أغرب.

و فى سنة إحدى و تسعين و خمسمائة، اعتنى الخليفة الناصر لدين اللّه بحمام البطاقة اعتناء زائدا، حتّى صار يكتب بأنساب الطير المحضر أنّه من ولد الطير الفلانىّ. و قيل:

إنّه بيع بألف دينار.

و قد ألّف القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى أمور هذه الحمام كتابا سمّاه «تمائم الحمائم»، و ذكر فيه فصلا فيما ينبغى أن يفعله المنطق و ما جرت العادة به فى ذلك فقال:

كان الجارى به العادة أنّها لا تحمل البطاقة إلا فى جناحها، لأمور منها: حفظها من المطر و لقوّة الجناح؛ و الواجب أنّه إذا انطلق من مصر لا يطلق إلّا من أمكنة معلومة، فإذا سرّحت إلى الإسكندريّة، فلا تسرّح إلا من منية عقبة بالجيزة، و إلى الشرقيّة، فمن مسجد التين ظاهر القاهرة، و إلى دمياط فمن بيسوس بشطّ بحر منجى.

و الذى استقرّت قواعد الملك عليه أنّ طائر البطاقة لا- يلهو الملك عنه و لا- يغفل، و لا- يمهل لحظة واحدة، فتفوت مهمات لا تستدرك، إمّا من واصل و إمّا من هارب، و إمّا من متجدّد فى الثغور. و لا يضع البطاقة من الحمام إلا السلطان بيده من غير واسطة

أحد؛ فإن كان يأكل لا- يمهل حتّى يفرغ، و إن كان نائما لا يمهل حتّى يستيقظ، بل يتبّه. و ينبغى أن تكتب البطائق فى ورق الطير المعروف بذلك.

قال: و رأيت الأوائل لا يكتبون فى أوائلها بسملة.

قال: و أنا ما كتبتها قطّ إلا ببسملة للبركة، و تؤرّخ بالساعة و اليوم، لا بالسنين؛ و ينبغى ألّا يكثر فى نعوت المخاطب فيها، و لا يذكر فى البطائق حشو الألفاظ، و لا يكتب إلّا لبّ الكلام و زبدته. و لا بد أن يكتب شرح الطائر و رفيقه إن كانا طائرين قد سرّحا حتّى إن تأخّر الطائر الواحد رقب حضوره، أو يطلق لئلّا يكون قد وقع فى برج من أبراج المدينة و لا- يعمل للبطائق هامش و لا يحمدىّ، و جرت العادة بأن يكتب فى آخرها: «و حسبنا اللّه و نعم الوكيل»، و ذلك حفظ لها.

و من فصل فى وصفها لتاج الدين أحمد بن سعيد بن الأثير كاتب الإنشاء: طالما جادت بها فأضحت مخلفة وراءها تبكى عليها السحب، و صدق من سمّاها أنبياء للطير، لأنّها مرسلة بالكتب.

و فيها يقول أبو محمد أحمد بن علوى بن أبى عقبال القيروانىّ:

خضر تفوت الريح فى طيرانهايا بعد بين غدوّها و رواحها

تأتى بأخبار الغدوّ عشيّةلمسير شهر تحت ريش جناحها

و كأنّما الروح الأمين بوحيهنفث الهداية منه فى أرواحها

و قال غيره:

یا حبّذا الطائر المیمون یطرقنافی الأمر بالطائر المیمون تنبیها

فاقت علی الهدهد المذکور إذ حملت کتب الملوک و صانتها أعالیها

تلقی بکلّ کتاب نحو صاحبه تصون نظرته صونا و تخفیها

فما تمکّن عین الشمس تنظره و لا تجوز أن تلقیه من فیها

منسوبة لرسالات الملوک فبالمنسوب تسمو و یدعوها تسمّیها

أکرم بجیش سعید ما سعادته ممّا یشکّیک فیها فکر حاکیها

حما حمی الغار یوم الغار حرمته فیا لها وقعة عزّت مساعیها!

وقوفه عند ذاک الباب شرّفه و للسعادة أوقات تؤاتیها

و یوم فتح رسول اللّه مکّته عند الدّخول إلیها من بواذیها

صفّت تظلّل من شمس کتیبته الخضر أمطره فیها توالیها

فظلّلته بما کانت تودّ هوی لو قابلتها بأشواق فتنهیها

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۷۰ فعند ما حظیت بالقرب أمّنها فشرّفت بعطایا جلّ مهدیها

فما یحلّ لدی صید تناولها و لا ینال المنی بالنار مصلیها

و لا تطیر بأوراق الفرنج و لا یسیر عنها بما فیه أمانیها

سمت بملک المعانی غیر ذی دنس لا ترتضیهم، و لو جزّت نواصیها

و انظر لها کیف تأتی للخلائق من آل الرّسول بحبّ کامن فیها

من المقام إلی دار السّلام فلم یمض النّهار بعزم فی دواعیها

و ربّما ضلّ عنه الهند ملتقط فلفله و ارتدّ مبطیها

فجاء فی یومه فی إثر سابقه حفظا لحقّ ید طابت أیادیها

مناقب لرسول اللّه أیسرها لدی نبوّته الغرّاء تکفیها

و من إنشاء القاضی الفاضل فی وصف حمائم الرسائل:

سرحت لا تزال أجنحتها محمّلة من البطائق أجنحة، و تجهّز جیوش المقاصد و الأقلام أسلحة، و تحمل من الأخبار ما تحمله الضمائر، و تطوی الأرض إذا نشرت الجناح الطائر، و تزوی لها الأرض حتّی تری ملک هذه الأمّة، و تقرب من السماء حتی تری ما لا یبلغه و هم و لا همّة، و تکون مراکب للأغراض و کانت و الأجنحة قلوعا، و ترکب الجوّ بحرا تصفق فیه هبوب الریاح موجا مرفوعا، و تعلّق الحاجات علی أعجازها، و لا تفوق الإرادات عن إنجازها، و من بلاغات البطائق استفادت ما هی مشهورة به من السجع، و من ریاض کتبها ألفت الریاض فهی إلیها دائمة الرّجع. و قد سکنت البروج فهی أنجم، و أعدّت فی کنائنها فهی للحاجات أسهم، و کادت تکون ملائکة لأنّها رسل، فإذا نیطت بالرّقاع، صارت أولی أجنحة مثنی و ثلاث و رباع. و قد باعد اللّه بین أسفارها و قرّبها، و جعلها طیف خیال الیقظة الّذی صدّق العین و ما کذّبها، و قد أخذت عهود الأمانة فی رقابها أطواقا، فأدّتها من أذنابها أوراقا، و صارت خوافی من وراء الخوافی، و غطّت سرّها المودع بکتمان سحبت علیه ذیول ریشها الضّوافی، ترغم أنف النّوی بتقریب العهود، و تکاد العیون تلاحظها تلاحظ أنجم السعود؛ و هی أنبیاء الطیر لکثرة ما تأتی بهم من الأنباء، و خطباؤها لأنّها تقوم علی الأغصان مقام الخطباء.

و قال فی وصفها شیخ الکتّاب ذو البلاغتین السدید أبو القاسم شیخ القاضی الفاضل:

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۷۱

و أمّا حمام الرسائل؛ فهی من آیات اللّه المستنطقة الألسن بالتسبیح، العاجز عن وصفها إعجاز البلیغ الفصیح، فیما تحمله من البطائق، و

ترد به مسرعة من الأخبار الواضحة الحقائق، و تعاليه فی الجوّ محلّقا عند مطاره، و تهديه علی الطريق التی عليها ليأمن من فوت الإدراک و أخطاره، و نظره إلی المقصد الذی يسرح إليه علیّ، و وصوله إلی أقرب الساعات بما يصل به البريد فی أبعد الأيام من الخبر الجليّ، و مجيئه معادلا لرؤوس السفّار مسامتا، و إيثاره بالمتجدّدات فكأنّه ناطق و إن كان صامتا، و كونه يمضی محمولا علی ظهر المركوب، و يرجع عاملا علی ظهره للمكتوب، و لا يعرّج علی تذكار الهدير، و لا يسأمّ من الدأب فی الخدمة زائدا علی التقدير، و فی تقدّمه البشائر، يكون المعنی بقولهم: أيمن طائر؛ و لا غرو أن فارق رسل أهل الأرض وفاتهم و هو مرسل و العنان عنانه، و الجوّ ميدانه، و الجناح مركبه، و الرياح موكبه، و ابتداء الغاية شوطه، و الشّوق إلی أهله سوطه؛ مع أمنه ما يحدث لمنتاب السّفّار، و مخبّآت القفار، من مخاوف الطارق و طوارق المخاوف، و متلف الغوائل و غوائل المتالف، إلا ما يشدّ من اعتراض خارج جارح، و انقضاض كاسب كاسر، فتكفّ سعادة الدولة تأميمه، و تصدّ عنه تصميمه، لأنه أخذ جيشها من الطّيرين اللذين يحدثان فی أعدائها؛ هذا بالإنذار الجاعل كيدهم فی تضليل، و ذلک بما ترى رايتها المنصورة عليهم من تضليل.

و قال القاضی محی الدين بن عبد الظاهر رحمه اللّه تعالی:

و لما وقفت علی ما أنشأه القاضی الفاضل، و علی ما أنشأهم الشيخ السديد أردت أن أجرّب الخاطر، فأنشأت و أنا غير مخاطب أحدا بل مخاطر، و أين الثری من الثريّا، و ما الحسن لكلّ أحد يتهيّا، و علیّ أن أجيب و ما علیّ أن أجيد، و ما كلّ والد يدرک شأو الوليد، و لا كلّ كاتب عبد الرحيم و لا عبد الحميد، فقلت:

و أمّا حمائم الرسائل فكم أغنت البرد عن جوب القفار، و كم قدّت جيوبها علی أسری أسرار؛ و كم أعارت السهام أجنحة فأحسنت بتلک العارية المطار، و كم قال جناحها لطالب النجاح: لا جناح، و كم سرت فحمدت المساء إذا حمد غيرها من السارين الصباح، و كم ساوقت الصّبا و الجنائب ففاقتهما و لم تحوج سلام المشتاقين إلی امتطاء كاهل الرّياح.

كم حسّن ملک كلّ منهما ملک، و كم قال مسرّحها لمجيئه بها: قرّة عين لی و لک، كم أجملت فی الهوی تقلّبا، و إذا غنت الحمائم علی الغصون صمتت عن الهديل و الهدير تأدبا، كم دفعت شكّا بيقينها، و رفعت شكوی بتبيينها، و كم أدّت أمانة و لم تعلم أجنحتها بما فی شمالها و لا شمالها بما فی يمينها. كم التفّت منها السّاق بالساق،

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۷۲

فأحسنت لربّها المساق، و كم أخذت عهود الأمانة فبدت أطواقا فی الأعناق، و يقال ما تضمّنته من البطائق بعض ما تعلّق منها فی الرياض من الأوراق، تسبق اللّمح، و كم استفتح بها بشير إذا جاء بالفتح، تفوت الطّرف السابق، و الطّرف الرامی الرّامق، و ما تلت سورة البروج إلا و تلت سرة الطارق. كم أنسی مطارها عدو السّلكة و السّليک، و كم غنيت فی خدمة سلطانها عن الغناء و قال كلّ منهما لرفيقه: إليک عن الأيک.

ما أحوج تصديقهما فی رسالتهما إلی الإعزاز بثالث، و كم قيل فی كلّ منهما لمن سام هذا حام فی خدمة أبناء يافث، كم سرّحا بإحسان، و كم طارا بأفق فاستحقّ أن يقال لهما: فرسا سحاب إذ قيل لأحدهما فرسا رهان، حاملة علم لمن هو أعلم به منها، يغنی السّفّار و السّفارة فلا تحوجهم إلی الاستغناء عنها.

تغدو و تروح، و بالسرّ لا تبوح، فكم غنيت باجتماعها بإلفها عن أنّها تنوح. كم سارت تحت أمر سلطانها أحسن السير، و كم أفهمت أنّ ملک سليمان إذ سخّر له منها فی مهمّاته الطير، أسرع من السهام المفوّقة، و كم من البطائق مخلقة و غير مخلّقة، كم ضللت من كيد، و كم بدت فی مقصورة دونها مقصورة ابن دريد.

و من إنشاء الأديب تقیّ الدين أبو بكر بن حجّة فی ذلک:

سرح فما سرح العيون إلا دون رسالته المقبولة، و طلب السبق فلم يرض بعرف البرق سرحا و لا استظلّ صفحته المصقولة؛ و كم جری دونه النّسيم فقصّر و أمست أذياله بعرف السحب مبلولة. و أرسل فأقرّ الناس برسالته و كتابه المصدّق، و انقطع كوكب الصبح خلفه

فقال عند التقصير: كتب يجاب و على يدىّ يخلق، يؤدّى ما جاء على يده من الترسّل فيهيج الأشواق، و ما برحت الحمام تحسّن الأداء فى الأوراق، و صحبناه على الهدى فقال: ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَ ما غَوى [النجم: ۲]، و من روى عنه الحديث المسند فعن عكرمة قد روى، يطير مع الهوى لفرط صلاحه، و لم يبق على السرّ المصون جناح إذا دخل تحت جناحه؛ إن برز من مقفصه لم يبق للصّرح الممرّد قيمة، بل ينعزل بتدبيج أطواقه و يعلّق عليه من العين تلك التّميمة، ما سجن إلا صبر على السجن و ضيقة الأطواق، و لهذا حمدت عاقبته على الإطلاق، و لا غنّى على عود إلا أسال دموع الندى من حدائق الرياض، و لا أطلق من كبد الجوّ إلا كان سهما ريشا تبلغ به الأغراض. كم علا فصاد بريش القوادم كالأهداب لعين الشمس، و أمسى عند الهبوط لعيون الهلال كالطّمس؛ فهو الطائر الميمون و الغاية السبّاقة، و الأمين الذى أودع أسرار الملوك حملها بطاقة؛ فهو من الطيور الّتى خلا لها الجوّ فنقّرت ما شاءت من حبّات النجوم، و العجماء التى من أخذ عنها شرح المعلّقات فقد أعرب عن دقائق المفهوم،

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۷۳

و المقدّمة و النتيجة للكتاب الحجلىّ فى منطق الطير، و هى من حملة الكتاب الّذى إذا وصل القارئ منه إلى الفتح يتهلّل لحبّه الخير؛ إن يصدر البازى بغير علم فكم جمعت بين طرفى كتاب، و إن سالت العقبان على بديع السّجع أحجمت عن ردّ الجواب.

رعت النسور بقوّة جيف الفلاو رعى الذّباب الشهد و هو ضعيف

ما قدمت إلا و أرتنا من شمائلها اللطيفة نعم القادمة، و أظهرت لنا من خوافيها ما كانت له خير كاتمة. كم أهدت من مخلبها و هى غادية رائحة، و كم حنت إليها الجوارح و هى أدام اللّه إطلاقها عزّ جارحة، و كم أدارت من كؤوس السجع ما هو أرقّ من قهوة الإنشاء، و أبهج على زهر المنثور من صبح الأعشى. و كم عامت بحور الفضاء و لم تحفل بموج الجبال، و كم جاءت ببشارة و خضبت الكف من تلك الأنملة قلامة الهلال، و كم زاحمت النجوم بالمناكب حتّى ظفرت بكلّ كفّ خضيب، و انحدرت كأنّها دمعة سقطت على خدّ الشقيق لأمر مريب، و كم لمع فى أصيل الشمس خضاب كفّها الوضّاح، فصارت بسموّها و فرط البهجة كمشكاة فيها مصباح. و اللّه تعالى يديم بأفنان أبوابه العالية ألحان السواجع، و لا برح تغريدها مطربا بين البادئ و الراجع.

ذكر عادة المملكة فى الخلع و الزىّ

قال ابن فضل اللّه: و أمّا القضاة و العلماء فخلعهم من الصوف بغير طراز، فلهم الطّرحة، و أصل الصوف أن يكون أبيض و تحته أخضر. و أما زىّ القضاة و العلماء فدلق متّسع بغير تفريق، فتحته على كتفه، و شاش كبير منه ذؤابة بين الكتفين، و يميلها إلى الكتف الأيسر. و أما من دون هؤلاء فالفرجيّة الطويلة الكمّ بغير تفريج، و أما زاهدهم فيقصّر الذؤابة و يميلها إلى الكتف الأيسر. و منهم من يلبس الطّيلسان .

و أما قاضى القضاة الشافعىّ رضى اللّه تعالى عنه، فرسمه الطّرحة ، و بها يمتاز و مراكبهم البغل، و يعمل بدلا من الكنبوش الزنارىّ، و هو من الجوخ بالعباء المجوّفة الصدر مستدير من وراء الكفل.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۷۴

و ألبسة الخطباء دلق مدوّر أسود للشّعار العباسىّ، و شاش أسود و طرحة سوداء.

و أما زىّ الأمراء و الجند، فتقدّم عند ذكر السّلطان.

و أما خلعهم و خلع الوزراء و نحوهم فأسقطتها من كلام ابن فضل اللّه لأنّها ما بين حرير و ذهب؛ و ذلك محرّم شرعا، و قد التزمت ألّا أذكر فى هذا الكتاب شيئا أسأل عنه فى الآخرة، إن شاء اللّه تعالى.

ذكر عادة السلطان فى الكتابة على التقاليد

قال ابن فضل اللّه: عادته إذا كتب لأحد من النوّاب يكتب اسمه فقط، فإن كان من كبارهم، و هو من ذوى السيوف، كتب «والده فلان»، و إن كان من القضاة و العلماء كتب: «أخوه فلان».

ذكر معاملة مصر

قال ابن فضل اللّه فى المسالك: معاملة مصر الدّراهم، ثلثاها فضّة و ثلثها نحاس، و الدرهم ثمانى عشرة حبّة خرنوبة، و الخرنوبة ثلاث قمحات، و المثقال أربعة و عشرون خرنوبة، و الدّرهم منها قيمته ثمانية و أربعون فلسا، و الدينار الحبشى ثلاثة عشر درهما و ثلث درهم. و أما الكيل فيختلف بمصر: الإردبّ، و هو ستّ و يبات، الويبة أربعة أرباع، الربع أربعة أقداح، القدح مائتان و اثنان و ثلاثون درهما؛ هذا إردب مصر. و فى أريافها يختلف الإردبّ من هذا المقدار إلى أنهى ما ينتهى ثلاث و يبات. و الرطل اثنا عشر أوقيّة، الأوقية اثنا عشر درهما.

قال صاحب المرآة: فى سنة خمس و سبعين من الهجرة ضرب عبد الملك بن مروان على الدنانير و الدراهم اسم اللّه تعالى، قال الهيثم: و سببه أنّه وجد دراهم و دنانير تاريخها قبل الإسلام بأربعمائة سنة، عليها مكتوب «باسم الأب و الابن و روح القدس»، فسبكها و نقش عليها اسم اللّه تعالى و آيات من القرآن و اسم الرّسول صلّى اللّه عليه و سلّم. و اختلف فى صورة ما كتب، فقيل جعل فى وجه: «لا إله إلا اللّه» و فى الآخر «محمد رسول اللّه» و أرّخ وقت ضربها. و قيل: جعل فى وجه «قل هو اللّه أحد» و فى الآخر «محمد رسول اللّه».

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۷۵

و قال القضاعىّ: كتب على أحد الوجهين: «اللّه أحد» من غير قل، و لما وصلت إلى العراق أمر الحجّاج فزيد فيها فى الجانب الذى فيه محمد رسول اللّه فى جوانب الدرهم مستديرا: «أرسله بالهدى و دين الحق ...» الآية . و استمرّ نقشها كذلك إلى زمن الرشيد، فأراد تغييرها فقيل له: هذا أمر قد استقرّ و ألفه الناس، فأبقاها على ما هى عليه اليوم، و نقش عليها اسمه.

و قيل: أوّل من غيّر نقشها المنصور، و كتب عليها اسمه.

و أمّا الوزن فما تعرّض أحد لتغييره. انتهى كلام صاحب المرآة.

ذكر كوكب الذنب

قال صاحب المرآة: إنّ أهل النجوم يذكرون أنّ كوكب الذّنب طلع فى وقت قتل قابيل هابيل، و فى وقت الطوفان، و فى وقت نار إبراهيم الخليل، و عند هلاك قوم عاد و ثمود و قوم صالح، و عند ظهور موسى و هلاك فرعون، و فى غزوة بدر، و عند قتل عثمان و علىّ، و عند قتل جماعة من الخلفاء، منهم الرضىّ و المعتزّ و المهتدى و المقتدر.

قال: و أدنى الأحداث عند ظهور هذا الكوكب الزلازل و الأهوال.

قلت: يدلّ لذلك ما أخرجه الحاكم فى المستدرك، و صحّحه من طريق ابن أبى مليكة، قال: غدوت على ابن عبّاس، فقال: ما نمت البارحة! قلت: لم؟ قال: قالوا:

طاح الكوكب ذو الذّنب، فخشيت أن يكون الدجّال قد طرق.

ذكر بقية لطائف مصر

قال الكندىّ: ذكر يحيى بن عثمان، عن أحمد بن الكريم، قال: جلت للدنيا، و رأيت آثار الأنبياء و الملوك و الحكماء، و رأيت آثار سليمان بن داود عليهما السّلام ببيت المقدس، و تدمر و الأردنّ، و ما بنته الشياطين، فلم أر مثل برابى مصر و لا مثل حكمتها، لا مثل

الآثار التی بها، و الأبنیة التی لملوکها و حکمائها. و مصر ثمانون کورة، لیس منها کورة إلّا و فیها ظرائف و عجائب من أصناف الأبنیة و الطعام و الشراب و الفاکهة و النبات و جمیع ما ینتفع به الناس، و یدّخره الملوک. و صعیدها أرض حجازیّة، حرّها

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۷۶

کحرّ الحجاز، تنبت النخل و الأراک و القرظ و الدّوم و العشر ، و أسفل أراضی مصر شامیّة تمطر مطر الشام، و تنبت نبات الشام من الکرم و التّین الموز و سائر الفاکهة، و البقول و الرّیاحین. و یقع به الثلج، و منها لوبیة و مراقیة برابی و جبال و غیاض، و زیتون و کروم برّیّة بحریّة جبلیّة، بلاد إبل و ماشیة، و نتاج عسل و لبن. و کلّ کورة من مصر مدینة، قال تعالی: وَ ابْعَثْ فِی الْمَدائِنِ حاشِرِینَ [الشعراء: ۳۶]، و فی کل مدینة منها آثار عجیبة من الأبنیة و الصخور و الرخام و البرابی، و تلک المدن کلها تأتی منها السفن، تحمل المتاع و الآلة إلی الفسطاط، تحمل السفینة الواحدة ما یحمله خمسمائة بعیر.

قال الکندیّ: و لیس فی الدنیا بلد یأکل أهله صید البحر طریّا غیر أهل مصر.

قال: و ذکر بعض أهل العلم أنّه لیس فی الدنیا شجرة إلّا و هی بمصر، عرفها من عرفها، و جهلها من جهلها.

و یوجد بمصر فی کلّ وقت من الزمان من المأکول و المأدوم و المشموم و سائر البقول و الخضر؛ جمیع ذلک فی الصیف و الشتاء، لا ینقطع منها شیء لبرد و لا حرّ.

و ذکر أنّ بخت نصّر قال لابنه بلسطان: ما أسکنتک مصر إلّا لهذه الخصال.

و بلسطان هو الذی بنی قصر الشمع.

و قال بعض من سکن مصر: لو لا ماء طوبة ، و خروف أمشیر ، و لبن برمهات ، و ورد برمودة ، و نبق بشنش ، و تین بؤونة ، و عسل أبیب ، و عنب مسری ، و رطب توت ، و رمّان بابة ، و موز هاتور ، و سمک کیهک ، ما أقمت بمصر.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۷۷

و أخرج ابن عساکر من طریق الربیع بن سلیمان، قال: سمعت الشافعیّ رضی اللّه تعالی عنه، یقول: ثلاثة أشیاء، دواء للداء الذی لا دواء له، الذی أعیا الأطباء أن یداووه: العنب، و لبن اللّقاح ، و قصب السکّر، و لو لا قصب السکر ما أقمت بمصر.

و قال بعضهم: یجتمع بمصر فی وقت واحد ما لا یجتمع بمدینة؛ و ذلک البنفسج و الورد و السّوسن و المنثور و النرجس و شقائق النعمان و البهار و الیاسمین و النّسرین و اللّینوفر و النمام و المرزنجوش و الریحان و النارنج و اللیمون و التفاح الشامیّ و الأترجّ و الباقلیّ و الأخضر و العنب و التین و الموز و اللوز الأخضر و السفرجل و الکمّثری و الرمان و النّبق و القثّاء و الخیار و الطّلع و البلح و البسر الرطب و اللّفت و القنّبیط و الأسفاناخ و القرع و الجزر و الباذنجان؛ کل ذلک یجتمع فی وقت واحد من السنة.

و قال بعض من صنّف فی فضائل مصر: بمصر الحمیر المرّیسیّة، و البقر الحسیتیّة، و النّجب النجاریة، و الأغنام النّوبیة، و الدجاج الحبشیّة، و المراکب الحربیّة، و السفن الزیبقیة، و المناسف الحملیّة، و السّتور البهنساویّة، و الغلائل القصبیّة، و الحرم السمطاویة، و النّعال السّندیة، و السّلال الوهبانیّة، و المضارب السلطانیة. و یحمل إلی العراق و غیرها من مصر زیت الفجل و العسل النّحل، و یفخر به علی أعسال الدنیا.

و یروی أنّ النبی صلی اللّه علیه و سلم بارک فیه لمّا أهداه إلیه المقوقس.

و بمصر یزرع البلسان، و دهنه یستعمل فی أکثر العلاج، و النّفط و هو من آلة الحرب التی بها قهر الأعداء، و دهن الخروع و زیت البزر و الدهن الصینی، و زیت الخردل و زیت الخسّ، و دهن القرطم ، و زیت السّلجم ، و خشب اللّبخ ، و هو أصلح من الأبنوس الیونانیّ.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة ؛ ج۲ ؛ ص۲۷۸

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۷۸

و فی صعید مصر خشب الأبنوس الأبلق و سائر العقاقیر التی تدخل فی الطبّ و العلاج. و کلّ ما زرع فی أرض مصر ینبت.

و فيها من نبات الهند و السّند مثل الإهليلج و الخيار شنبر و التمر هندى و غيره مما لا يوجد فى بلد من البلاد الإسلامية.

و بها الشبّ الواحى؛ و هو أبلغ من اليمانى، و الأفيون و الشّاهترج و الصّفر و الزجاج و الجزع الملوّن و الصّوّان؛ و هو حجر لا يعمل فيه الحديد؛ و كانت الأوائل تعمده و تقطّعه بأسوان؛ و منه العمد الجافية، التى لا تكون بسائر الدنيا، و كلّ حمّامات مصر بالرخام لكثرته عندهم، و كذلك صحون دورهم.

و بها الحجارة المسمّاة بالكذّان ؛ يبلّط بها الدّور و يعقد بها الدّرج.

و بها من الحصر العبدانىّ، و من سائر أصناف الحصر ما لا يوجد فى غيرها، و يجلب من مصر البرّ الأبيض من الدّبيقىّ و غيره الذى يعمل بدمياط و تنّيس.

و بالإسكندرية يعمل الوشى الّذى يقوم مقام و شى الكوفة.

و بالصعيد يعمل من الجلود الأنطاع، و بالبهنسا السّتور التى هى أحسن ستور الأرض و البسط و أجلّة الدوابّ و البرقع و ستور النّسوان فى المضارب و الأكسية و الطيالسة.

و كان يعمل بإخميم الفرش التى تسمّى نطوع الخزّ.

و بمصر من أصناف الرّقيق ما ليس ببلد من البلدان، و أصناف الطير الحسن الصوت فى صعيدها مثل القمرىّ و النّوبىّ و النّوّاح و الدّبسىّ الأحمر و الأبلق، و الكروان الّذى ليس مثله فى بلد.

و منها يحمل الطير إلى البلدان فى الشرق و الغرب، و الأشماع المتّخذة من الشهد و عسل الأسطروس و النّيدة المعمولة من القمح و القند و الأباليج و الطّبرزد، و ماء طوبة الّذى لا يعدله شىء، و لا يتغيّر على ممرّ الأيام، و السّمك الذى هو ملك الأسماك، و البورى الطرىّ و المملوح، و البلاطىّ الذى كأنّه دروع من الفضّة، و طير الماء، و طير الحوصل يعمل من جلده الخفاف النّاعمة و الفراء الأبيض الذى يقوم مقام الفنك فى

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۷۹

لينه ورقته. و بها الكتّان، و منها يحمل إلى سائر الأرض، و القراطيس، و بها من العلم القديم ما ليس ببلد، كعلم الطبّ اليونانىّ و المساحة، و النجوم و الحساب القبطىّ و اللّحون و الشّعر الرومىّ.

و فيها من سائر الثّمار و الأشجار و المشمومات و العقاقير و النّبات و الحشائش ما لا يحصى. و العصفور يفرّخ بمصر فى كانون، و ليس ذلك فى بلد إلّا بها.

*** و قال الكندىّ: بمصر معدن الزمرّد، و ليس فى الدنيا زمرّد إلا معدن بمصر، و منها يحمل إلى سائر الدنيا.

قال: و بها معدن الذهب، يفوق على كلّ معدن.

قال: و فيها القراطيس، و ليس هى فى الدنيا إلا بمصر.

و قال غيره: من خصائص مصر القراطيس، و هى الطوامير ، و هى أحسن ما كتب فيه، و هو من حشيش أرض مصر، و يعمل طوله ثلاثون ذراعا و أكثر فى عرض شبر. و قيل إنّ يوسف عليه السّلام أوّل من اتخذ القراطيس، و كتب فيها.

قال الكندىّ: و بها من الطّرز و القصب التّنّيسىّ و الشرب و الدّبيقىّ ما ليس بغيرها، و بها الثياب الصوف و الأكسية المرعزّ ، و ليس هى فى الدنيا إلا بمصر. و يحكى أنّ معاوية لمّا كبر كان لا يدفأ، فاتّفقوا أنّه لا يدفئه إلا أكسية تعمل فى مصر، من صوفها المرعزّ العسلىّ غير مصبوغ، فعمل له منها عدد، فما احتاج منها إلّا إلى واحد. و بها طراز البهنسا من السّتور و المضارب ما يفوق ستور الأرض.

و بها من النّتاج العجيب من الخيل و البغال و الحمير ما يفوق نتاج أهل الدنيا، و ليس فى الدنيا فرس فى نهاية الصّورة فى العنق غير الفرس المصرىّ، و ليس فى الدنيا فرس لا يردف غير المصرىّ، و سبب ذلك قصر ساقيه و بلاغة صدره و قصر ظهره.

و يحكى أنّ الوليد عزم على إجراء الحلبة، فكتب إلى الأمصار أن يوجّه إليه بخيار خيل كلّ بلد، فلمّا اجتمعت عرضت عليه، فمرّت

عليه المصريّة، فلمّا رآها دقيقة العصب، ليّنة المفاصل و الأعطاف، قال: هذه خيل ما عندها طائل، فقال له عمر بن عبد العزيز:

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۸۰

و أين الخير كلّه إلّا لهذه؟! فقال له: ما تترك تعصّبك لمصر يا أبا حفص؟! فلما أجريت الخيل جاءت المصرية كلّها سابقة ما خالطها غيرها.

قال: و بها زيت الفجل و دهن البلسان و الأفيون و الأبرميس و شراب العسل و البسر البرنىّ الأحمر و اللّبخ و الخسّ و الكبريت و الشمع و العسل و خلّ الخمر و الترمس و الجلبان و الذرة و النّيدة و الأترجّ الأبلق و الفراريج الزبليّة. و ذكر أنّ مريم عليها السّلام شكت إلى ربّها قلّة لبن عيسى، فألهمها أن غلت النيدة فأطعمته إيّاها.

و ذكر بعضهم أنّ رهبان الشام لا يكادون يرون إلا عمشا من أكل العدس، و رهبان مصر سالمون من ذلك لأكلهم الجلبّان.

و البقر الذى بمصر أحسن البقر صورة، و ليس فى الدنيا بقر أعظم خلقا منها، حتّى أنّ العضو منها يساوى أكبر ثور من غيرها.

و بها الحطب الضّنط و الأبنوس الأبلق و القرط الذى تعلفه الدواب.

و ذكر أنّه يوقد بالحطب الصنط عشرين سنة فى الكانون أو التّنّور، فلا يوجد له رماد طول هذه المدّة.

و جيزتها فى وقت الربيع من أحسن مناظر الدنيا.

و قال صاحب مباهج الفكر: يقال إنّ بمصر سبعمائة و خمسين معدنا، توجد بجبل المقطّم: الذهب و الفضة و الخارصين و الياقوت؛ إلا أنّه لطيف جدّا، يستعمل فى الأكحال و الأدوية، و فى أسوان يغاص على السنفاوج و معدن الزمرّد؛ و ليس فى الدنيا غيره، و بجبال القلزم المتصلة بجبل المقطّم حجر المغناطيس.

و من خصائص مصر بركة النّطرون. و ينبت فى أرض مصر سائر ما ينبت فى الأرض. انتهى.

و قال صاحب غرائب العجائب: بمصر بئر البلسم بالمطريّة، يسقى بها شجر البلسان، و دهنه عزيز و الخاصيّة فى البئر؛ فإنّ المسيح عليه السّلام اغتسل فيها، و ليس فى الدنيا موضع ينبت فيه البلسان إلا هذا الموضع، و قد استأذن الملك الكامل أباه العادل

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۸۱

أن يزرعه فأذن له، ففعل و لم ينجح، و لم يخلص منه دهن، فسأل أباه أن يجرى له ساقية من المطريّة إليه، ففعل فلم ينجح.

قال: بأرض مصر حجر القىء، إذا أخذه الإنسان بيده غلب عليه الغثيان، حتّى يتقيّأ جميع ما فى بطنه، فإن لم يلقه من يده خيف عليه التلف.

و قال الكندىّ: جعل اللّه مصر متوسّطة الدنيا، و هى فى الإقليم الثالث و الرابع، فسلمت من حرّ الإقليم الأول و الثانى، و من برد الإقليم الخامس و السادس، فطاب هواؤها و بقى حرّها. و ضعف حرّها، و خفّ بردها، فسلم أهلها من مشاتى الجبال و مصائف عمان و صواعق تهامة و دماميل الجزيرة و جرب اليمن، و طواعين الشام و غيلان العراق، و عقارب عسكر مكرم، و طلب البحرين و حمّى خيبر، و أمنوا من غارات الترك، و جيوش الروم و طوائف العرب، و مكابرة الدّيلم، و سرايا القرامطة، و بثوق الأنهار، و قحط الأمطار، و قد اكتنفها معادن رزقها؛ و قرب تصرّفها، فكثر خصبها، و رغد عيشها، و رخص سعرها.

و قال الجاحظ فى مصر: إنّ أهلها يستغنون عن كلّ بلد، حتّى لو ضرب بينها و بين بلاد الدنيا سور لغنى أهلها بما فيها عن سائر بلاد الدنيا، و فيها ما ليس بغيرها، و هو حيوان السّقنقور و النّمس، و لولاه لأكلت الثعابين أهلها، و هو لها كقنافذ سجستان لأفاعيها، و السمك الرّعاد و الحطب الصنط الّذى أوقد منه يوما أجمع ما وجد من رماده ملء كفّ، صلب العود، سريع الوقود، بطىء الخمود. و يقال إنّه الأبنوس؛ لكنّ البقعة قصرت عن الكتّيان، فجاء أحمر شديد الحمرة، و دهن البلسان، و الأفيون و هو عصارة الخشخاش و اللّبخ، و هو ثمر فى قدر اللوز الأخضر؛ إلا أنّ المأكول منه الظاهر، و الأترجّ الأبلق و الزّمرد. و أهلها يأكلون صيد بحر الروم و بحر فارس طريّا، و فى كلّ شهر من شهورها القبطيّة صنف من المأكول و المشروب و المشموم، يوجد فيه دون غيره، فيقال رطب توت، و

رمّان بابـة، و موز هتور، و سـمک کیهک، و ماء طوبـة، و خروف أمشـیر، و لبن برمهات، و ورد برمودة، و نبق بشـنس، و تین بئونة، و عسل أبیب، و عنب مسـری. و إنّ صیفها خریف، و شتاءها ربیع، و ما یقطعه الحرّ فی سائر البلاد من الفواکه یوجد فیها فی الحرّ و البرّ؛ إذ هی فی الإقلیم الثالث و الإقلیم الرابع، فسلمت من حرّ الأول و الثانی و برد الخامس و السادس. و یقال: لو لم یکن من فضل مصر إلّا أنها تغنی فی

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۸۲

الصیف عن الخیش و الثّلج و بطون الأرض، و فی الشتاء عن الوقود و الفراء لکفاها.

و مما وصـفت به أنّ صـعیدها حجازیّ کحرّ الحجاز، ینبت النخل و الـدّوم و هو شـجر المقل، و العشـر، و القرظ و الإهلیلج و الفلفل و الخیار شـنبر، و أسفل أرضها شامیّ یمطر مطر الشام، و یقع فیه الثلوج، و ینبت التین و الزیتون و العنب و الجوز و اللوز و الفستق و سائر الفواکه، و البقول و الریاحین و هی ما بین أربع صـفات، فضّة بیضاء أو مسـکة سوداء، أو زبرجدة خضـراء أو ذهبة صفراء، و ذلک أنّ نیلها یطبّقها فتصـیر کأنّها فضة بیضاء، ثمّ ینضب عنها فتصـیر مسـکة سوداء، ثمّ تزرع فتصـیر زبرجدة خضراء، ثمّ تستحصد فتصیر ذهبة صفراء.

و حکی ابن زولاق فی کتابه، أنّ أمیر مصـر موسـی بن عیسی کان واقفا بالمیدان عند برکة الحبش ، فالتفت یمینا و شمالا، و قال لمن معه من جنده: أ ترون ما أری؟

قالوا: و ما یری الأمیر؟ قال: أری عجبا، ما فی شـیء من الدنیا مثله، فقالوا: یقول الأمیر، فقال: أری میدان أزهار، و حیطان نخل و بستان شجر، و منـازل سـکنی، و جبّانـة أموات، و نهرا عجّاجـا و أرض زرع و مراعی ماشـیة، و مرابط خیل، و ساحل بحر، و قانص وحش، و صائد سـمک، و ملّاح سـفینة، و حادی إبل، و مقابر و رملا و سـهلا و جبلا، فهذه سـبعة عشر؛ مسیرها فی أقلّ من میل فی میل، و لهذا قال أبو الصّلت أمیّة بن عبد العزیز الأندلسیّ یصف الرّصد الذی بظاهر مصر:

یا نزهة الرّصد التی قد نزهتعن کلّ شیء خلا فی جانب الوادی

فذا غدیر و ذا روض و ذا جبلفالضبّ و النّون و الملّاح و الحادی

قال ابن فضل اللّه فی المسالک: مملکـة مصـر من أجلّ ممالک الأرض لما حوت من الجهات المعظّمـة و الأرض المقدّسة و المساجد الثلاثـة التی تشـدّ إلیهـا الرحـال، و قبور الأنبیـاء و الطّور و النّیل و الفرات؛ و هما من الجنّة، و بها معـدن الزمرّد، و لا نظیر له فی أقطار الأـرض. و حسب مصـر فخرا مـا تفرّدت به من هـذا المعـدن و اسـتمداد ملوک الآفـاق له منهـا، و بینه و بین قوص ثمانیـة أیام بالسّیر المعتدل، و البجاة تنزل حوله لأجل القیام

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۸۳

بحفره، و هو فی الجبل الآخـذ علی شـرقیّ النیل فی منقطع من البرّ لا عمارة عنـده، و لا قریبا منه، و الماء عنه مسـیرة نصف یوم؛ و هذا المعدن فی صدر مغارة طویلة فی حجر أبیض منه، یضرب فیستخرج منه الزمرّد؛ و هو کالعروق فیه.

قال: و أکثر محاسن مصـر مجلوبة إلیها؛ حتّی بالغ بعضهم فقال: إنّ العناصر الأربعة مجلوبة إلیها: الماء و هو النیل مجلوب من الجنوب، و التّراب مجلوب من حمل الماء؛ و إلا فهی رمل محض لا ینبت، و النّار لا توجد بها شجرتها و هو الصوّان إلا إذا جلب إلیها، و الهواء لا یهبّ إلیها إلا من أحد البحرین، إمّا الرومیّ و إمّا الخارج من القلزم إلیها.

و هی کثیرة الحبوب من القمـح و الشـعیر و الفول و الحمّص و العـدس و البسـلّة و اللّوبیـاء و الـدّخن و الأـرزّ، و بهـا الرّیـاحین الکثیرة کالحبق و الآس و الورد و غیرها، و بها الأترجّ و النّارنج و اللیمون و الحامض و الکبّاد و الموز الکثیر و قصب السکّر الکثیر و الرّطب و العنب و التّین و الرّمان و التّوت و الفرصاد و الخوخ و اللّوز و الجمّیز و النّبق و البرقوق و القراصـیا و التّفاح. و أما السّفرجل و الکمّثری فقلیـل؛ و کـذل الزّیتون مجلوب إلّـا قلیلا ـ فی الفیوم، و بهـا البطّیـخ الأصـفر أنواع و الأخضـر و الخیار و القثّاء علی أنواع، و القلقاس و

اللّفت و الجزر و القنّبيط و الفجل و البقول المنوّعة.

و بها أنواع الدوابّ من الخيل و البغال و الحمير و البقر و الجواميس و الغنم و المعز.

و مما يوصف من دوابّها بالجودة الحمر لفراهتها، و البقر و الغنم لعظمها، و بها الأوزّ و الدّجاج و الحمام، و من الوحش الغزلان و النّعام و الأرنب؛ و أما من أنواع الطير فكثير كالكركیّ و غيره.

و أوسط الأسعار فی غالب أوقاتها الإردبّ القمح بخمسة عشر درهما، و الشعير بعشرة، و بقيّة الحبوب على هذا الأنموذج؛ و أما الأرزّ فيبلغ أكثر من ذلك، و أما اللحم فأقلّ سعره الرطل بنصف درهم.

و يعمل بمصر معامل كالتّنانير، و يعمل بها البيض بصنعة؛ و يوقد بنار يحاكی بها نار الطبيعة فی حضانة الدجاجة البيض، و يخرج فی تلك المعامل الفراريج، و هی معظم دجاجهم. و بها ما يستطاب من الألبان و الأجبان، و بها العسل بمقدار متوسّط بين الكثرة و القلّة، و أمّا السّكر فكثير جدّا، و قيمته المعهودة على الغالب من السّعر الرطل بدرهم

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۸۴

و نصف، و منها يجلب السكّر إلى كثير من البلاد، و قد نسی بها ما كان يذكر من سكّر الأهواز.

و بها الكتّان المعدوم المثل المنقول منه، و ممّا يعمل من قماشه إلى أقطار الأرض.

و مبانيها بالحجر، و أكثرها بالطّوب و أفلاق النخل و الجريد. و خشب الصّنوبر مجلوب إليهم من بلاد الروم فی البحر، و يسمّی عندهم النّقی.

و بها المدارس و الخوانق و الرّبط و الزوايا و العمائر الجليلة الفائقة المعدومة المثل المفروشة بالرخام، المسقوفة بالأخشاب، المدهونة الملمّعة بالذّهب و اللّازورد.

قال: و حاضرة مصر تشتمل على ثلاث مدن عظام: الفسطاط، و هو بناء عمرو بن العاص؛ و هی المسمّاة عند العامة بمصر العتيقة، و القاهرة بناها جوهر القائد لمولاه الخليفة المعزّ، و قلعة الجبل بناها قراقوش للملك الناصر صلاح الدين أبی المظفّر يوسف بن أيّوب، و أوّل من سكنها أخوه العادل، و قد اتّصل بعض هذه الثلاثة ببعض بسور بناه قراقوش بها إلّا أنه قد تقطّع الآن فی بعض الأماكن، و هذا السّور، هو الّذی ذكره القاضی الفاضل فی كتاب كتبه إلى السلطان صلاح الدين، فقال: و اللّه يحيی الموتى حتّى يستدير بالبلدين نطاقه، و يمتدّ عليهما رواقه، فهما عقيلة ما كان معصمهما بغير سوار، و لا حضرهما ليجلى بلا منطقة نضار.

قال: و بها المارستان المنصوریّ المعدوم النظير، لعظم بنائه و كثرة أوقافه. و بها البساتين الحسان و المناظر النّزهة و الآدار المظلة على البحر، و على الخلجاناة الممتدّة فيه أوقات مدّها.

و بها القرافة تربة عظمى لمدفن أهلها، و بها العمائر الضخمة، و هی من أحسن البلاد إبّان ربيها للغدر الممتدّة من مقطعات النيل بها، و ما يحفّها من زرع أخرجت شطأها و فتّقت أزهارها، و بها من محاسن الأشياء و لطائف الصنائع ما تكفی شهرته و من الأسلحة و القماش و الزّركش و المصوغ و الكفت و غير ذلك ما لا يكاد يعدّ تفرّدها به، و الرماح التی لا يعمل فی الدنيا أحسن منها. انتهی كلام ابن فضل اللّه.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۸۵

و قال الكندیّ فی فضل مصر: بمصر العجائب و البركات، فجبلها المقدّس، و نيلها المبارك، و بها الطّور الّذی كلّم اللّه عليه موسى؛ فإنّ أهل العلم ذكروا أنّ الطّور من المقطّم، و أنّه داخل فيما وقع عليه القدس؛ قال كعب: كلّم اللّه موسى عليه السّلام من الطّور إلى أطراف المقطّم من القدس. و بها الوادی المقدّس، و بها ألقی موسى عصاه، و بها فلق البحر لموسى، و بها ولد موسى و هرون، و بها ولد عيسى، و بها كان ملك يوسف، و بها النّخلة التی ولدت مريم عيسى تحتها بريف من كورة أهناس، و بها اللّبخة التی أرضعت عندها مريم عيسى بأشمون، فخرج من هذه اللّبخة الزيت، و بها مسجد إبراهيم، و مسجد يعقوب، و مسجد موسى، و مسجد يوسف، و

مسجد ماريۀ سريّۀ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم حفن، أوصت أن يبنى بها مسجد فبنى، و بها مجمع البحرين و هو البرزخ الذى قال اللّه: مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ* بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ [الرحمن: ۲۰]، و قال: وَ هُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَ جَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً [الفرقان: ۵۳].

و قال غيره: لأهل مصر القلم المعروف بقلم الطير، و هو قلم البرابى، و هو قلم عجيب الحرف.

قال: و مصر عند الحكماء العالم الصغير، سليل العالم الكبير؛ لأنّه ليس فى بلد غنىّ غريب إلّا و فيها مثله و أغرب منه، و تفضل على البلدان بكثرۀ عجائبها و من عجائبها النّمس؛ و هو أقتل للثعابين بمصر من القنافذ للأفاعى بسجستان .

و بمصر جبل يكتب بحجارته كما يكتب بالمداد، و جبل يؤخذ منه الحجر، فيترك فى الزّيت فيقد كما يقد السراج.

و يقال: إنه ليس على وجه الأرض نبت و لا حجر إلا و فى مصر مثله، و ليس تطلب فى سائر الدنيا الأموال المدفونۀ إلّا بمصر.

و يقال: إنّ بمصر بقلۀ؛ من مسّها بيده ثمّ مسّ السمك الرّعاد لم ترعد يده، و بها حجر الخلّ يطفأ على الخلّ. و بها حجر القىء إذا أمسكه الإنسان بيديه تقيّأ كلّ ما فى بطنه، و بها خرزۀ تجعلها المرأۀ على حقوها فلا تحبل. و بها حجر يوضع على حرف التّنور فيتساقط خبزه، و كان يوجد بصعيدها حجارۀ رخوۀ تكسر فتقد كالمصابيح.

و من عجائبها حوض كان بدلالات مدوّن من حجارۀ.

حسن المحاضرۀ فى أخبار مصر و القاهرۀ، ج۲، ص: ۲۸۶

السبب فى كون أهل مصر أذلاء يحملون الضيم

قال محمد بن الربيع الجيزىّ: سمعت يحيى بن عثمان بن صالح، يقول: قدم سعد بن أبى وقّاص فى خلافۀ عثمان رسولا من قبل عثمان إلى أهل مصر أيّام ابن أبى حذيفۀ، فلقوه خارجا من الفسطاط، و منعوه من دخولها، فقال لهم: فلتسمعوا ما أقول لكم؛ فامتنعوا عليه، فدعا عليهم أن يضربهم اللّه بالذلّ . هذا معناه.

قلت: و سعد ممّن عرف بإجابۀ الدّعوۀ؛ لأنّ النبىّ صلى اللّه عليه و سلم دعا له: «اللهمّ استجب له إذا دعاك».

فى تذكرۀ الصلاح الصفدىّ: كان الشيخ تاج الدين الفزارىّ يقول: إنّ الحكماء و أهل التجارب ذكروا أنّ من أقام ببغداد سنۀ وجد فى علمه زيادۀ، و من أقام بالموصل سنۀ وجد فى عقله زيادۀ، و من أقام بحلب سنۀ وجد فى نفسه شحّا، و من أقام بدمشق سنۀ وجد فى طباعه غلظۀ و فظاظۀ، و من أقام بمصر سنۀ وجد فى أخلاقه رقّۀ و حسنا.

فى مباهج الفكر: يروى عن كعب، قال: لمّا خلق اللّه الأشياء، قال القتل: أنا لاحق بالشام، فقالت الفتنۀ: و أنا معك، و قال الخصب أنا لاحق بمصر، فقال الذلّ:

و أنا معك، و قال الشّقاء: أنا لاحق بالباديۀ، فقالت الصّحّۀ: و أنا معك.

و قال محمد بن حبيب: لمّا خلق اللّه الخلق خلق معهم عشرۀ أخلاق: الإيمان و الحياء و النّجدۀ و الفتنۀ و الكبر و النّفاق و الغنى و الفقر و الذلّ و الشّقاء، فقال الإيمان: أنا لاحق باليمن، فقال الحياء: و أنا معك، و قالت النجدۀ: أنا لاحقۀ بالشّام، فقالت الفتنۀ:

و أنا معك، و قال الكبر: أنا لاحق بالعراق، فقال النفاق: و أنا معك، و قال الغنى: أنا لاحق بمصر، فقال الذلّ: و أنا معك، و قال الفقر: أنا لاحق بالباديۀ، فقال الشقاء: و أنا معك.

و قال غيره: إنّ اللّه جعل البركۀ عشرۀ أجزاء، فتسعۀ منها فى قريش و واحد فى سائر النّاس، و جعل الكرم عشرۀ أجزاء، فتسعۀ منها فى العرب و واحد فى سائر النّاس، و جعل الغيرۀ عشرۀ أجزاء، فتسعۀ منها فى الأكراد و واحد فى سائر النّاس، و جعل المكر

حسن المحاضرۀ فى أخبار مصر و القاهرۀ، ج۲، ص: ۲۸۷

عشرۀ أجزاء، فتسعۀ منها فى القبط و واحد فى سائر الناس، و جعل الجفاء عشرۀ أجزاء، فتسعۀ منها فى البربر و واحد فى سائر الناس، و

جعل النّجابة عشرة أجزاء، فتسعة منها فی الرّوم و واحد فی سائر الناس، و جعل الصناعة عشرة أجزاء؛ فتسعة منها فی الصین و واحد فی سائر الناس، و جعل الشّهوة عشرة أجزاء، فتسعة منها فی النّساء و واحد فی سائر الناس، و جعل العمل عشرة أجزاء فتسعة منها فی الأنبیاء و واحد فی سائر الناس، و جعل الحسد عشرة أجزاء، فتسعة منها فی الیهود و واحد فی سائر النّاس.

و یحکی أنّ الحجّاج سأل ابن القرّیة عن طبائع أهل الأرض، فقال: أهل الحجاز أسرع الناس إلی الفتنة و أعجزهم عنها؛ رجالها حفاة، و نسائها عراة، و أهل الیمن أهل سمع و طاعة، و لزوم الجماعة، و أهل عمان عرب استنبطوا، و أهل البحرین قبط استعربوا، و أهل الیمامة أهل جفاء، و اختلاف آراء. و أهل فارس أهل بأس شدید و عزّ عتید، و أهل العراق أبحث الناس عن صغیرة و أضیعهم لکبیرة. و أهل الجزیرة أشجع فرسان، و أقتل للأقران. و أهل الشام أطوعهم لمخلوق و أعصاهم لخالق. و أهل مصر عبید لمن غلب، أکیس الناس صغارا و أجهلهم کبارا.

و عن ابن القرّیة قال: الهند بحر هادر، و جبلها یاقوت، و شجرها عود، و ورقها عطر. و کرمان ماؤها و شل ، و ثمرها دقل ، و لصّ ها بطل. و خراسان ماؤها جامد، و عدوّها جاهد. و عمان حرّها شدید، و صیدها عتید و البحرین کناسة بین المصرین.

و البصرة ماؤها ملح، و حربها صلح، مأوی کلّ تاجر، و طریق کلّ عابر. و الکوفة ارتفعت عن حرّ البحرین، و سفلت عن برد الشام. و واسط جنّة، بین کماة و کنّة، و الشّام عروس، بین نساء جلوس، و مصر هواؤها راکد، و حرّها متزائد، تطوّل الأعمار، و تسوّد الأبشار.

و قال بعضهم: یقال فی خصائص البلاد فی الجواهر: فیروز نیسابور، و یاقوت سرندیب ، و لؤلؤ عمان، و زبرجد مصر، و عقیق الیمن، و جزع ظفار، و کاری بلخ، و مرجان إفریقیة.

و فی ذوات السّموم: أفاعی سجستان، و حیّات أصبهان، و ثعابین مصر، و عقارب شهر زور، و جرّارات الأهواز، و براغیث أرمینیة، و فار أردنّ، و نمل میّافارقین ،

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۸۸

و ذباب تلّ بابان ، و أوزاغ بلد .

و فی الملابس برود الیمن، و وشی صنعاء، و ریط الشام، و قصب مصر، و دیباج الروم، و قزّ السّوس ، و حریر الصین، و أکسیة فارس، و حلیّ البحرین و سقلاطون بغداد، و عمائم الأبلّة و الریّ، و ملحم مرو، و تکک أرمینیة، و منادی الدّامغان، و جوارب قزوین.

و فی المراکیب عتاق البادیة، و نجائب الحجاز، و براذین طخارستان، و حمیر مصر، و بغال برزعة .

و فی الأمراض طواعین الشام، و طحال البحرین، و دمامیل الجزیرة، و حمّی خیبر، و جنون حمص، و عرق الیمن، و وباء مصر، و برسام العراق، و النار الفارسیّة، و قروح بلخ.

و قال الجاحظ فی کتاب الأمصار: الصناعة بالبصرة، و الفصاحة بالکوفة، و التخنیث ببغداد، و الطّرمذة بسمرقند و العیّ بالریّ، و الجفاء بنیسابور، و الحسن بهراة، و المروءة ببلخ، و البلح بمرو، و العجائب بمصر.

و قال غیره: قراطیس سمرقند لأهل المشرق کقراطیس مصر لأهل المغرب.

و قال القاضی الفاضل: أهل مصر علی کثرة عددهم و ما ینسب من وفور المال إلی بلدهم، مساکین یعملون فی البحر، و مجاهید یدأبون فی البرّ، و من العجائب شجرة العباس فی دندار من صعید مصر، و هی شجرة متوسّطة، و أوراقها قصیرة منبسطة، فإذا قال الإنسان: یا شجرة العبّاس، جال الناس، تجتمع أوراقها، و تحترق لوقتها.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۸۹

ذکر النیل

اشارة

قال التّيفاشىّ فى كتاب سجع الهديل: لم يسمّ نهر من الأنهار فى القرآن سوى النيل فى قوله تعالى: وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِ [القصص: ۷]. قال: أجمع المفسرون على أنّ المراد باليمّ هنا نيل مصر.

أخرج أحمد و مسلم عن أبى هريرة أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال: «النيل و سيحان و جيحان و الفرات من أنهار الجنّة».

قال ابن عبد الحكم: حدّثنا عبد اللّه بن صالح، حدّثنا الليث، عن يزيد بن أبى حبيب، عن أبى الخير، عن كعب الأحبار، أنّه كان يقول: أربعة أنهار من الجنّة وضعها اللّه فى الدنيا؛ فالنّيل نهر العسل فى الجنّة، و الفرات نهر الخمر فى الجنّة، و سيحان نهر الماء فى الجنّة، و جيحان نهر اللّبن فى الجنّة. أخرجه الحارث فى مسنده و الخطيب فى تاريخه .

و قال: حدّثنا عثمان بن صالح، حدّثنا ابن لهيعة، عن وهب بن عبد اللّه المعافرىّ، عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص، أنّه قال: نيل مصر سيّد الأنهار، سخّر اللّه له كلّ نهر بالمشرق و المغرب، فإذا أراد اللّه أن يجرى نيل مصر أمر كلّ نهر أن يمدّه، فأمدّته الأنهار بمائها، و فجّر اللّه له الأرض عيونا، فإذا انتهت جريته إلى ما أراد اللّه، أوحى اللّه إلى كلّ ماء أن يرجع إلى عنصره . أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره.

قال: حدّثنا عثمان بن صالح، حدّثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبى حبيب أن معاوية ابن أبى سفيان سأل كعب الأحبار، هل تجد لهذا النيل فى كتاب اللّه خبرا؟ قال: إى و الذى فلق البحر لموسى، إنّى لأجده فى كتاب اللّه يوحى إليه فى كلّ عام مرّتين، يوحى إليه عند جريه: إنّ الملك يأمرك أن تجرى فيجرى ما كتب اللّه [له] ، ثم يوحى إليه بعد ذلك: يا نيل عد حميدا.

و أخرج الخطيب فى تاريخه و ابن مردويه فى تفسيره و الضياء المقدسىّ فى صفة الجنّة عن ابن عبّاس مرفوعا: أنزل اللّه تعالى من الجنّة إلى الأرض خمسة أنهار:

سيحون، و جيحون، و دجلة، و الفرات و النيل؛ أنزلها اللّه من عين واحدة من عيون الجنّة، من أسفل درجة من درجاتها، على جناحى جبريل، و استودعها الجبال، و أجراها

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۹۰

فى الأرض، و جعل فيها منافع للناس، فذلك قوله تعالى: وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ [المؤمنون: ۱۸]، فإذا كان عند خروج يأجوج و مأجوج، أرسل اللّه جبريل، فرفع من الأرض القرآن و العلم و الحجر من البيت و مقام إبراهيم و تابوت موسى بما فيه؛ و هذه الأنهار الخمسة، فيرفع كلّ ذلك إلى السماء؛ فذلك قوله: وَ إِنَّا عَلى ذَهابٍ بِهِ لَقادِرُونَ [المؤمنون: ۱۸]، فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض عدم أهلها خيرها.

و أخرج الحارث بن أبى أسامة فى سنده و ابن عبد الحكم فى تاريخ مصر، و الخطيب فى تاريخ بغداد، و البيهقىّ فى البعث عن كعب الأحبار، قال: نهر النيل نهر العسل فى الجنة، و نهر دجلة نهر اللبن فى الجنّة، و نهر الفرات نهر الخمر فى الجنّة، و نهر سيحان نهر الماء فى الجنة.

و أخرج البيهقىّ فى شعب الإيمان، عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص، قال: غار النيل على عهد فرعون، فأتاه أهل مملكته، فقالوا: أيّها الملك أجر لنا النّيل، قال: إنّى لم أرض عنكم، فذهبوا ثمّ أتوه، فقالوا: أيّها الملك، أجر لنا النيل، قال: إنّى لم أرض عنكم، فذهبوا ثمّ أتوه، فقالوا: أيها الملك ماتت البهائم، و هلكت الأبكار، لئن لم تجر لنا النيل لنتخذنّ إلها غيرك، قال اخرجوا إلى الصعيد، فخرجوا فتنحّى عنهم حيث لا يرونه، و لا يسمعون كلامه، فألصق خدّه بالأرض، و أشار بالسبّابة للّه، ثمّ قال:

اللهم إنّى خرجت إليك مخرج العبد الذليل إلى سيّده، و إنّى أعلم أنّه لا يقدر على إجرائه أحد غيرك فأجره. قال: فجرى النيل جريا لم يجر قبله مثله، فأتاهم فقال: إنّى قد أجريت لكم النيل؛ فخرّوا له سجدا، و عرض له جبريل، فقال: أيّها الملك؛ أعدنى على عبدى، قال: و ما قصّته؟ قال: عبد ليل ملّكته على عبيدى، و خوّلته مفاتيحى، فعادانى، فأحبّ من عاديت، و عادى من أحببت، قال: بئس العبد عبدك! لو كان لى عليه سبيل لغرّقته فى بحر القلزم! فقال: أيها الملك، اكتب لى كتابا، فدعا بكتاب و دواة: ما جزاء العبد الذى

خالف سیّده فأحبّ من عادی و عادی من أحبّ إلاـ أن یغرق فی بحر القلزم. قال: یأیّها الملک اختمه لی، فختمه ثمّ دفعه إلیه، فلمّا کان یوم البحر، أتاه جبریل بالکتاب، فقال: خذ هذا ما حکمت به علی نفسک.

أثر متصل الإسناد فی أمر النیل

أخبرنی أبو الطیّب الأنصاریّ إجازة، عن الحافظ أبی الفضل عبد الرحیم بن الحسین العراقیّ، عن أبی الفتح محمد بن محمد المیدومیّ، أخبرتنا أمة الحقّ شامیة

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۹۱

بنت الحافظ صدر الدین الحسن بن محمد بن محمد سماعا، أخبرنا أبو حفص عمر بن طبرزد سماعا، أخبرنا أبو القاسم إسماعیل بن أحمد السّمرقندیّ و غیره سماعا، قالوا:

أخبرنا أبو الحسین أحمد بن محمد بن النّقور سماعا، أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحیم المخلص سماعا، أخبرنا عبید اللّه بن عبد الرحمن بن عیسی السکریّ، حدّثنا أبو إسماعیل محمد بن إسماعیل الترمذیّ و أبو بکر محمد بن صالح بن عبد الرحمن الحافظ الأنماطیّ، قالا: حدّثنا أبو صالح عبد اللّه بن صالح بن محمد، کاتب اللیث، قال:

حدّثنی اللیث بن سعد، قال: بلغنی أنّه کان رجل من بنی العیص یقال له حائد بن أبی شالوم بن العیص بن إسحاق بن إبراهیم علیه السّلام، خرج هاربا من ملک من ملوکهم؛ حتّی دخل أرض مصر، فأقام بها سنین، فلمّا رأی أعاجیب نیلها و ما یأتی به، جعل للّه تعالی علیه ألّا یفارق ساحلها حتّی یبلغ منتهاه؛ من حیث یخرج أو یموت قبل ذلک، فسار علیه- قال بعضهم: سار ثلاثین سنة فی النّاس و ثلاثین فی غیر الناس. و قال بعضهم: خمسة عشر کذا، و خمسة عشر کذا- حتی انتهی إلی بحر أخضر، فنظر إلی النیل ینشقّ مقبلا فصعد علی البحر، فإذا رجل قائم یصلّی تحت شجرة من تفّاح، فلما رآه استأنس به، و سلّم علیه، فسأله الرجل صاحب الشجرة، فقال له: من أنت؟ قال:

أنا حامد بن أبی شالوم بن العیص بن إسحاق بن إبراهیم علیه السّلام، فمن أنت؟ قال: أنا عمران بن فلان بن العیص بن إسحاق بن إبراهیم، قال: فما الذی جاء بک إلی هنا یا عمران؟ قال: جاء بی الّذی جاء بک، حتّی انتهیت إلی هذا الموضع؛ فأوحی اللّه إلیّ أن أقف فی هذا الموضع، حتّی یأتینی أمره، قال له حامد: أخبرنی یا عمران، ما انتهی إلیک من أمر هذا النیل؟ و هل بلغک من الکتب أنّ أحدا من بنی آدم یبلغه؟ قال له عمران: نعم، بلغنی أنّ رجلا من بنی العیص یبلغه، و لا أظنّه غیرک یا حامد، قال له حامد: یا عمران، أخبرنی کیف الطریق إلیه؟ قال له عمران: لست أخبرک بشیء إلّا أن تجعل لی ما أسألک! قال: و ما ذاک یا عمران؟ قال: إذا رجعت إلیّ و أنا حیّ أقمت عندی حتّی یوحی اللّه تعالی إلیّ بأمره، أو یتوفّانی فتدفننی؛ فإن وجدتنی میّتا دفنتنی و ذهبت، قال: ذلک لک علیّ، قال له: سر کما أنت علی هذا البحر؛ فإنّک تأتی دابّة ترعی آخرها و لا ترعی أوّلها، فلا یهولنّک أمرها، ارکبها؛ فإنها دابّة معادیة للشمس، إذا طلعت أهوت إلیها لتلتقمها حتّی یحول بینها و بین حجبتها، و إذا غربت أهوت إلیها لتلتقمها؛ فتذهب بک إلی جانب البحر، فسر علیها راجعا حتّی تنتهی إلی النیل، فسر علیه، فإنّک ستبلغ أرضا من حدید، جبالها و أشجارها و سهولها من حدید؛ فإن أنت جزتها وقعت فی أرض من نحاس، جبالها و أشجارها و سهولها من نحاس، فإن أنت جزتها وقعت فی أرض من فضّة؛ جبالها و أشجارها و سهولها من فضّة، فإن أنت جزتها

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۹۲

وقعت فی أرض من ذهب جبالها و أشجارها و سهولها من ذهب، فیها ینتهی إلیک علم النّیل.

فسار حتی انتهی إلی أرض الذّهب، فسار فیها حتّی انتهی إلی سور من ذهب و شرفة من ذهب، و قبّة من ذهب، لها أربعة أبواب؛ فنظر إلی ما ینحدر من فوق ذلک السّور حتّی یستقرّ فی القبّة ثمّ ینصرف فی الأبواب الأربعة: فأمّا ثلاثة فتغیض فی الأرض، و أمّا واحد

فیسیر علی وجه الأرض؛ و هو النیل. فشرب منه و استراح، و أهوی إلی السّور لیصعد، فأتاه ملک فقال له: یا حامد قف مکانک، فقد انتهی إلیک علم هذا النیل؛ و هذه الجنّة؛ و إنّما ینزل من الجنّة، فقال: أرید أن أنظر إلی الجنّة، فقال: إنک لن تستطیع دخولها الیوم یا حامد، قال: فأیّ شیء هذا الذی أری؟ قال: هذا الفلک الذی تدور فیه الشمس و القمر، و هو شبه الرحی، قال: إنّی أرید أن أرکبه فأدور فیه- فقال بعض العلماء: إنّه قد رکبه؛ حتّی دار الدنیا و قال بعضهم: لم یرکبه- فقال له: یا حامد؛ إنه سیأتیک من الجنّة رزق، فلا تؤثر علیه شیئا من الدّنیا، فإنّه لا ینبغی لشیء من الجنّة أن یؤثر علیه شیء من الدنیا إن لم تؤثر علیه شیئا من الدنیا بقی ما بقیت.

قال: فبینا هو کذلک واقف، إذ نزل علیه عنقود من عنب فیه ثلاثة أصناف؛ لون کالزبرجد الأخضر، و لون کالیاقوت الأحمر، و لون کاللؤلؤ الأبیض، ثمّ قال له: یا حامد، أما إنّ هذا من حصرم الجنّة، و لیس من طیب عنبها، فارجع یا حامد، فقد انتهی إلیک علم النیل؛ فقال: هذه الثلاثة الّتی تغیض فی الأرض، ما هی؟ قال: أحدها الفرات، و الآخر دجلة، و الآخر جیحان، فارجع.

فرجع حتّی انتهی إلی الدابّة التی رکبها، فرکبها، فلمّا أهوت الشمس لتغرب قذفت به من جانب البحر، فأقبل حتّی انتهی إلی عمران، فوجده میّتا فدفنه، و أقام علی قبره ثلاثا؛ فأقبل شیخ متشبّه بالناس أغرّ من السجود، ثمّ أقبل إلی حامد، فسلّم علیه، ثمّ قال له: یا حامد؛ ما انتهی إلیک من علم هذا النیل؟ فأخبره، فلمّا أخبره، قال له:

هکذا نجده فی الکتب، ثمّ أطری ذلک التفّاح فی عینیه، و قال: ألا تأکل منه؟ قال:

معی رزقی، قد أعطیته من الجنّة و نهیت أن أؤثر علیه شیئا من الدنیا، قال: صدقت یا حامد، هل ینبغی لشیء من الجنّة أن یؤثر بشیء من الدنیا، و هل رأیت فی الدنیا مثل هذا التفاح؟ إنّما أنبتت له فی الأرض لیس من الدنیا، و إنّما هذه الشجرة من الجنّة، أخرجها اللّه لعمران یأکل منها، و ما ترکها إلّا لک، و لو قد ولیت عنها رفعت، فلم یزل

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۹۳

یطریها فی عینیه، حتّی أخذ منها تفاحة، فعضّها، فلما عضّها عضّ یده، ثمّ قال:

أتعرفه؟ هو الذی أخرج أباک من الجنّة؛ أما إنّک لو سلّمت بهذا الذی کان معک لأکل منه أهل الدنیا قبل أن ینفد، و هو مجهودک إن تبلغه فکان مجهوده أن بلغه.

و أقبل حامد حتّی دخل أرض مصر، فأخبرهم بهذا؛ فمات حامد بأرض مصر.

و بهذا الإسناد إلی عبد اللّه بن صالح، حدّثنی ابن لهیعة عن وهب بن عبد اللّه المعافریّ، عن عبد اللّه بن عمرو فی قوله تعالی: فَأَخْرَجْناهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُیُونٍ* وَ کُنُوزٍ وَ مَقامٍ کَرِیمٍ [الشعراء: ۵۷، ۵۸]، قال: کانت الجنان بحافّتی هذا النیل، من أوّله إلی آخره فی الشّقّین جمیعا من أسوان إلی رشید، و کان له سبعة خلج: خلیج الإسکندریة، و خلیج دمیاط، و خلیج سردوس، و خلیج منف، و خلیج الفیّوم، و خلیج المنهی، و خلیج سخا، متّصلة لا ینقطع منها شیء عن شیء ، و یزرع ما بین الجبلین کلّه من أوّل مصر إلی آخر ما یبلغه الماء، و کانت جمیع مصر کلّها یومئذ تروی من ستة عشر ذراعا.

و بهذا الإسناد إلی ابن لهیعة، و عن یزید بن أبی حبیب؛ أنّه کان علی نیل مصر فرضة لحفر خلیجها، و إقامة جسورها و بناء قناطرها. و قطع جزائرها مائة ألف و عشرون ألف فاعل، معهم الطّور و المساحی و الأداة، یعتقبون ذلک، لا یدعون ذلک شتاء و لا صیفا.

و ذکر بعض الأخباریّین أن حامدا هذا لم یتبّأ، و أنّه أوتی الحکمة، و أنّه سأل اللّه أن یریه منتهی النیل، فأعطی قوّة علی ذلک فوصل إلی جبل القمر، و قصد أن یطلع إلی أعلاه، فلم یقدر؛ فسأل اللّه فیسّره علیه، فصعد فرأی خلفه البحر الزفتیّ، و هو بحر أسود منتن الریح مظلم، فرأی النیل یجری فی وسطه؛ کأنّه السّبیکة الفضّة.

و قال صاحب مباهج الفکر: ذکر أبو الفرج قدامة أنّ مجموع ما فی المعمور من الأنهار مائتان و ثمانیة و عشرون نهرا؛ منها ما یجری من المشرق إلی المغرب، و منها ما یجری من الشمال إلی الجنوب، و منها ما جریانه کنهر النیل من الجنوب إلی الشمال، و منها ما هو مرکّب من هذه الجهات کالفرات و جیحون؛ فأمّا النّیل فذکر قدامة أنّ انبعاثه من جبل القمر وراء خط الاستواء من عین تجری منها

عشرة أنهار؛ كلّ خمسة منها يصبّ إلى بطيحة كبيرة فى الإقليم الأول، و من هذه البطيحة يخرج نهر النيل.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۹۴

و ذكر صاحب كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق أن هذه البحيرة تسمّى بحيرة كورى منسوبة لطائفة من السودان، يسكنون حولها متوحّشين يأكلون من وقع إليهم من الناس، فإذا خرج النيل منها يشقّ بلاد كورى ثمّ بلاد ننه طائفة من السودان، بين كانم و النوبة، فإذا بلغ دنقلة مدينة النوبة عطف من غربيّها إلى المغرب، و انحدر إلى الإقليم الثانى، فيكون على شطئه عمارة النّوبة، و فيه هناك جزائر متّسعة عامرة بالمدن و القرى، ثمّ يشرّق إلى الجنادل، و إليها تنتهى مراكب النوبة انحدارا، و مراكب الصعيد الأعلى صعودا و هناك أحجار مضرّسة لا مرور للمراكب عليها إلا فى أيام زيادة النيل، ثمّ يأخذ الشمال، فيكون على شرقيّه مدينة أسوان من الصعيد الأعلى، ثمّ يمرّ بين جبلين مكتنفين لأعمال مصر شرقىّ و غربىّ إلى الفسطاط، فإذا تجاوزها مسافة يوم انقسم إلى قسمين أحدهما يمرّ حتى يصبّ فى بحر الروم عند دمياط، و يسمّى بحر الشرق و الآخر و هو عمود النيل و معظمه يمرّ إلى أن يصب عند رشيد، و يسمى بحر الغرب، و مسافة النيل من منبعه إلى أن يصبّ فى رشيد سبعمائة فرسخ و ثمانية و أربعون فرسخا.

و قيل إنه يجرى فى الخراب أربعة أشهر، و فى بلاد السودان شهرين، و فى بلاد الإسلام شهرا، و ليس فى الأرض نهر يزيد حين تنقص الأنهار غيره؛ و ذلك أنّ زيادته تكون فى القيظ الشديد فى شمس السرطان و الأسد و السنبلة. و روى أنّ الأنهار تمدّه بمائها.

و قال قوم: إنّ زيادته من ثلوج يذيبها الصّيف و على حسب مدّها تكون كثرته و قلّته.

و ذهب آخرون إلى أنّ زيادته بسبب أمطار كثيرة تكون ببلاد الحبشة.

و ذهب آخرون إلى أنّ زيادته عن اختلاف الريح، و ذلك أنّ الشمال إذا هبّت عاصفة يهيج البحر الرومىّ، فيدفع إليه ما فيه منه، فيفيض على وجه الأرض، فإذا هبّت الجنوب سكن هيجان البحر، فيسترجع منه ما دبّ إليه، فينقص.

و زعم آخرون أنّ زيادته من عيون على شاطئه، يراها من سافر و لحق بأعاليه.

و قال آخرون: إنّ مجراه من جبال الثلج، و هى بجبل قاف، و أنه يخرق البحر

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۹۵

الأخضر، و يمرّ على معادن الذهب و الياقوت و الزمرد و المرجان، فيسير ما شاء اللّه إلى أن يأتى إلى بحيرة الزنج. قالوا: و لو لا دخوله فى البحر الملح، و ما يختلط به منه لم يستطع شربه لشدّة حلاوته و زيادته بتدريج و ترتيب فى زمان مخصوص مدّة معلومة، و كذا نقصه و منتهى زيادته الّتى يحصل بها الرىّ لأرض مصر ستّة عشر ذراعا ، و الذراع أربعة و عشرون إصبعا، فإن زاد على الستة عشر ذراعا إصبعا واحدا ازداد فى الخراج مائة ألف دينار لما يروى من الأراضى العالية.

و الغاية القصوى فى الزيادة ثمانية عشر ذراعا؛ هذا فى مقياس مصر، فإذا انتهى فيه إلى ذلك كان فى الصعيد الأعلى اثنين و عشرين ذراعا، لارتفاع البقاع التى يمرّ عليها، و يسوق الرّى إليها، فإذا انتهت زيادته فتحت خلجانات و ترع، فيخرج الماء يمينا و شمالا إلى الأرض البعيدة عن مجرى النيل؛ حكمة دبّرت بالعقول السليمة و قدّرت، و منافع مهّدت فى الزمن القديم و قرّرت.

و للنيل ثمانى خلجانات: خليج الاسكندرية، و خليج دمياط، و خليج منف، و خليج المنهى- حفره يوسف عليه السّلام- و خليج أشموم طنّاح، و خليج سردوس- حفره هامان لفرعون- و خليج سخا، و خليج حفره عمرو بن العاص زمن عمر بن الخطاب.

و يحصل لأهل مصر يوم وفائه الستة عشر ذراعا الّتى هى قانون الرّى سرور شديد بحيث يركب الملك فى خواصّ دولته الحراريق المزيّنة إلى المقياس، و يمدّ فيه سماطا و يخلّق العمود الّذى يقاس فيه و يخلع على القيّاس، و يعطيه صلة مقررة له.

و قد ذكر بعض المفسرين أنّه يوم الزينة، الّذى وعد فرعون موسى بالاجتماع فيه.

هذا كلّه كلام مباهج الفكر.

و قد اختلف فى ضبط جبل القمر، فقيل: إنّه بفتح القاف و الميم بلفظ أحد النّيّرين.

قال التّيفاشيّ: و إنّما سمّی بذلک لأنّ العين تقمر منه، إذا نظرت إليه لشدّة بياضه.

قال: و لذلک أيضا سمّی القمر قمرا. قال: و هذا الجبل مستطيل من المشرق إلى المغرب، نهايته فی ناحية المغرب إلى حدّ الخراب، و نهايته فی المشرق إلى مثل ذلک، و هو نفسه بجملته فی الخراب من ناحية الجنوب، و له أعراق فی الهواء، منها طوال و منها دونها.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۹۶

قال فی مختصر المسالک: و ذکر بعضهم أنّ أناسا انتهوا إلى هذا الجبل و صعدوه، فرأوا وراءه بحرا عجّاجا ماؤه أسود کاللّيل، يشقّه نهر أبيض کالنهار، يدخل الجبل من جنوبه، و يخرج من شماله، و يتشعّب على قبّة هرمس المبتيّة هناک.

و زعموا أن هرمس الهرامسة- و هو إدريس عليه السّلام فيما يقال- بلغ ذلک الموضع، و بنی فيه قبّة.

و ذکر بعضهم أنّ أناسا صعدوا الجبل، فصار الواحد منهم يضحک و يصفّق بيديه، و ألقی نفسه إلى ما وراء الجبل، فخاف البقيّة أن يصيبهم مثل ذلک فرجعوا.

و قيل: إنّ أولئک إنّما رأوا حجر الباهت، و هی أحجار برّاقة کالفضّة البيضاء تتلألأ، کلّ من نظرها ضحک و التصق بها حتّی يموت، و يسمی مغناطيس الناس.

و ذکر بعضهم أنّ ملکا من ملوک مصر الأول، جهّز أناسا للوقوف على أوّل النيل، فانتهوا إلى جبال من نحاس، فلما طلعت عليها الشمس انعکست عليها، فأحرقتهم.

و قيل إنّهم انتهوا إلى جبال برّاقة لمّاعة کالبلّور، فلمّا انعکست عليهم أشعّة الشمس الواقعة عليهم أحرقتهم.

و قال صاحب مرآة الزمان: ذکر أحمد بن بختيار أنّ العين التی هی أصل النيل، هی أوّل العيون من جبل القمر، ثمّ نبعت منه عشرة أنهار، نيل مصر أحدها. قال:

و النّيل يقطع الإقليم الأوّل، ثمّ يجاوزه إلى الثانی، و من ابتدائه، من جبل القمر إلى انتهائه إلى البحر الرومیّ، ثلاثة آلاف فرسخ، و يبتدئ بالزيادة فی نصف حزيران، و ينتهی إلى أيلول.

قال: و اختلفوا فی سبب زيادته، فقال قوم: لا يعلم ذلک إلا اللّه.

و قال آخرون: سببه زيادة عيونه.

و قال آخرون، و هو الظاهر: سببه کثرة المطر و السيول ببلاد الحبش و النوبة، و إنما يتأخر وصوله إلى الصيف لبعد المسافة. ورد ذلک قوم بأنّ عيونه الّتی تحت جبل القمر تتکدّر فی أيام زيادته، فدلّ على أنّه فعل اللّه من غير زيادة بالمطر. قال: و جميع الأنهار تجری إلى القبلة سواه، فإنه يجری إلى ناحية الشمال. و کان القاضی بحماه قال: و متی

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۹۷

بلغ ستة عشر ذراعا استحقّ السلطان الخراج، و إذا بلغ ثمانية عشر ذراعا قالوا: يحدث بمصر وباء عظيم، و إذا بلغ عشرين ذراعا مات ملک مصر.

و قال ابن المتوّج: من عجائب مصر النّيل الذی يأتی من غامض علم اللّه فی زمن القيظ فيعمّ البلاد سهلا و وعرا، يبعث اللّه فی أيام مدده الريح الشمال فيصدّ له البحر المالح، و يصير له کالجسر، و يزيد. و إذا بلغ الحدّ الذی هو تمام الرّیّ و أوان الزراعة، بعث اللّه بالريح الجنوب فکنسته، و أخرجته إلى البحر الملح، و انتفع الناس بالزراعة.

و من عجائب هذا النيل سمکة تسمی الرّعاد من مسّها بيده أو بعود متّصل بيده أو جذب شبکة هی فيها، أو قصبة أو سنّارة وقعت فيها رعدت يده ما دامت فيها، و بمصر بقلة من مسّها بيده، ثم مسّ الرّعاد لم ترعد.

و فی النيل خيل تظهر فی بلد النوبة، و يصيدونها، و فی سنّ من أسنانها شفاء من وجع المعدة.

و قال التّيفاشيّ: سبب زيادة النيل هبوب ريح يسمی الملثن، و ذلک لسببين أحدهما أنّها تحمل السحاب الماطر خلف خط الاستواء

فتمطر ببلاد السودان و الحبشة و النوبة، و الآخر أنّها تأتی فی وجه البحر الملح، فیقف ماؤه فی وجه النیل، فیتراجع حتّی یروی البلاد. و فی ذلک یقول الشاعر:

اشفع فللشافع أعلی یدعندی و أسنی من ید المحسن

و النّیل ذو فضل و لکنّهالشّکر فی ذلک للملثن

و قال صاحب سجع الهدیل: ذکر جماعة من المنجمین و أرباب الهیئة أنّ النیل یجیء من خلف خط الاستواء بإحدی عشرة درجة و نصف، و یأخذ نحو الجنوب إلی أن ینتهی إلی دمیاط و الاسکندریّة و غیرهما عند عرض ثلاثین فی الشمال، قالوا: فمن بدایته إلی نهایته اثنتان و أربعون و مائة درجة؛ کلّ درجة ستون میلا و ثلث بالتقریب، فیکون طوله من الموضع الذی یبتدئ منه إلی الموضع الذی منه إلی البحر الملح ثمانیة ألف میل و ستمائة و أربعة عشر میلا و ثلثا میل علی القصد و الاستواء، و له تعریجات شرقا و غربا، یطول بها و یزید علی ما ذکرناه.

و نقلت من خط الشّیخ عز الدین بن جماعة من کتاب له فی الطبّ، قال: منبع النیل من جبل القمر وراء خط الاستواء بإحدی عشرة درجة و نصف، و امتداد هذا الجبل

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۲۹۸

خمس عشرة درجة و عشرون دقیقة، یخرج منه عشرة أنهار من أعین فیه ترمی کلّ خمسة إلی بحیرة عظیمة مدوّرة بعد مرکزها عن أوّل العمارة بالمغرب سبع و خمسون درجة، و البعد عن خط الاستواء فی الجنوب سبع درج و إحدی و ثلاثون دقیقة، و هاتان البحیرتان متساویتان، و قطر کلّ واحدة خمس درج و یخرج من کلّ واحدة أربعة أنهار ترمی إلی بحیرة صغیرة مدوّرة فی الإقلیم الأوّل بعد مرکزها عن أول العمارة بالمغرب ثلاث و خمسون درجة و ثلاثون دقیقة، و عن خطّ الاستواء من الشمال درجتان من الإقلیم الأوّل و قطرها درجتان، و مصبّ کل واحد من الأنهار الثمانیة فی هذه البحیرة غیر مصب الآخر، ثمّ یخرج من البحیرة نهر واحدة؛ و هو نیل مصر، و یمرّ ببلاد النوبة، و یصبّ إلیه نهر آخر ابتداؤه من غیر مرکزها علی خط الاستواء، فی بحیرة کبیرة مستدیرة قطرها ثلاثة درج، و بعد مرکزها عن أوّل العمارة بالمغرب إحدی و سبعون درجة، فإذا تعدّی النّیل مدینة مصر إلی مدینة یقال لها شطّنوف، تفرّق هناک إلی نهرین یرمیان إلی البحر المالح أحدهما یعرف ببحر رشید، و الآخر بحر دمیاط و هذا البحر إذا وصل إلی المنصور تفرّع منه نهر یعرف ببحر أشمون، یرمی إلی بحیرة هناک و باقیه یرمی إلی البحر المالح عند دمیاط، و هذه صورة ذلک:***

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۰۰

و ذکر فی کتاب الأمصار، أنّ مخرج نهر السند و النیل من موضع واحد، و استدلّ علی ذلک اتفاق زیادتهما، و کون التمساح فیهما، و أنّ سبیل زراعتهم فی البلدین واحد.

و قال المسبّحیّ فی تاریخ مصر: فی بلاد تکنة أمّة من السودان أرضهم تنبت الذهب، یفترق النیل فیصیر نهرین أحدهما أبیض و هو نیل مصر، و الآخر أخضر یأخذ إلی المشرق فیقطع البحر الملح إلی بلاد السّند، و هو نهر میران.

قال ابن عبد الحکم: حدّثنا عثمان بن صالح، عن ابن لهیعة، عن قیس بن الحجاج عمّن حدثه، قال: لمّا فتح عمرو بن العاص مصر، أتی أهلها إلیه حین دخل بؤونة من أشهر العجم، فقالوا له: أیّها الأمیر، إنّ لنیلنا هذا سنّة لا یجری إلّا بها، فقال لهم: و ما ذاک؟ قالوا: إذا کان لثنتی عشرة لیلة تخلو من هذا الشهر، عمدنا إلی جاریة بکر بین أبویها فأرضینا أبویها و جعلنا علیها من الحلیّ و الثیاب أفضل ما یکون، ثمّ ألقیناها فی هذا النیل . فقال لهم عمرو: إنّ هذا لا یکون فی الإسلام، و إنّ الإسلام یهدم ما قبله، فأقاموا بؤونة و أبیب و مسری لا یجری قلیلا و لا کثیرا، حتّی همّوا بالجلاء، فلمّا رأی ذلک عمرو کتب إلی عمر بن الخطاب بذلک، فکتب إلیه عمر: قد أصبت، إنّ الإسلام یهدم ما کان قبله، و قد بعثت إلیک بطاقة فألقها فی داخل النیل إذا أتاک کتابی. فلمّا قدم الکتاب علی عمرو، فتح

البطاقة فإذا فيها:

من عبد اللّه عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أمّا بعد، فإن كنت تجرى من قبلك، فلا تجر، و إن كان الواحد القهّار يجريك، فنسأل اللّه الواحد القهّار أن يجريك.

فألقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصّليب بيوم و قد تهيّأ أهل مصر للجلاء و الخروج منها لأنّه لا يقوم بمصلحتهم فيها إلا النيل، فأصبحوا يوم الصليب و قد أجراه اللّه ستّة عشر ذراعا ، و قد زالت تلك السّنّة السوء عن أهل مصر.

حدّثنا عثمان بن صالح، حدّثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن موسى عليه السّلام دعا على آل فرعون، فحبس اللّه عنهم النّيل حتى أرادوا الجلاء حتّى طلبوا إلى موسى أن يدعو اللّه رجاء أن يؤمنوا، فدعا اللّه، فأصبحوا و قد أجراه اللّه فى تلك الليلة ستة عشر ذراعا.

فاستجاب اللّه بتطوّله لعمر بن الخطاب كما استجاب لنبيّه موسى عليه السّلام.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۰۱

ذكر مزايا النيل

قال التّيفاشىّ: اتّفق العلماء على أنّ النّيل أشرف الأنهار فى الأرض لأسباب:

عموم نفعه، فإنه لا يعلم نهر من الأنهار فى جميع الأرض المعمورة يسقى ما يسقيه النيل.

و منها الاكتفاء بسقيه، فإنه يزرع عليه بعد نضوبه، ثمّ لا يسقى الزرع حتّى يبلغ منتهاه؛ و لا يعلم ذلك فى نهر سواه.

و منها أنّ ماءه أصحّ المياه و أعدلها و أعذبها و أفضلها.

و منها مخالفته لجميع أنهار الأرض فى خصال هى منافع فيه، و منضارّ فى غيره.

و منها أنّه يزيد عند نقص سائر المياه، و ينقص عند زيادتها ؛ و ذلك أوان الحاجة إليه.

و منها أنّه يأتى أرض مصر فى أوان اشتداد القيظ و الحرّ و يبس الهواء و جفاف الأرض، فيبلّ الأرض، و يرطب الهواء، و يعدّل الفصل تعديلا زائدا.

و منها أنّ كلّ نهر من الأنهار العظام، و إن كان فيه منافع، فلا بدّ أن يتبعها مضارّ فى أوان طغيانه بإفساد ما يليه و نقص ما يجاوره، و النيل موزون على ديار مصر بوزن معلوم، و تقدير مرسوم لا يزيد عليه، و لا يخرج عن حدّه ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [الأنعام: ۹۶].

و منها أنّ المعهود فى سائر الأنهار أن يأتى من جهة المشرق إلى المغرب، و هو يأتى من جهة المغرب إلى الشمال، فيكون فعل الشمس فيه دائما، و أثرها فى إصلاحه متّصلا ملازما؛ و فى ذلك يقول الشاعر:

مصر، و مصر ماؤها عجيبو نهرها يجرى به الجنوب

و منها أنّ كلّ الأنهار يوقف على منبعه و أصله، و النّيل لا يوقف له على أصل منبع. و ليس فى الدّنيا نهر يصبّ فى بحر الصين و الروم و غيره؛ و ليس فى الدّنيا نهر يزيد ثمّ يقف، ثمّ ينقص ثمّ ينضب على الترتيب و التدريج غيره؛ و ليس فى الدّنيا نهر

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۰۲

يزرع عليه ما يزرع على النيل، و لا يجىء من خراج غلّة زرعه ما يجىء من خراج غلّة زرع النيل.

*** و قال صاحب مباهج الفكر: النّيل أخفّ المياه و أحلاها، و أرواها و أمراها، و أعمّها نفعا، و أكثرها خراجا؛ و يحكى أنّه جبى فى أيّام كنعاوس ؛ أحد ملوك القبط الأول مائة ألف ألف و ثلاثون ألف دينار و جباه عزيز مصر مائة ألف ألف دينار، و جباه عمرو بن العاص اثنى عشر ألف ألف دينار، و جباه عبد اللّه بن أبى سرح أربعة عشر ألف ألف دينار، ثمّ رذل إلى أن جبى أيام جوهر القائد ثلاثة آلاف ألف و مائتى ألف دينار، و سبب تقهقره أنّ الملوك لم تسمح نفوسهم بما كان ينفق فى الرجال الموكّلين لخفر خلجه و

إصلاح جسوره، و رمّ قناطره، و سدّ ترعه، و قطع القضب و إزالة الحلفاء؛ و كانوا مائة ألف و عشرين ألف رجل مرتّبين على كور مصر، سبعين ألفا للصعيد، و خمسين ألفا لأسفل الأرض .

و يحكى أنها مسحت أيّام هشام بن عبد الملك، فكان ما يركبه الماء مائة ألف ألف فدّان، و الفدّان أربعمائة قصبة و القصبة عشرة أذرع.

و أمّا أحمد بن المدبّر، فإنّه اعتبر ما يصلح للزرع بمصر فی وقت ولايته، فوجده أربعة و عشرين ألف ألف فدان، و الباقی قد استبحر و تلف، و اعتبر مدّة الحرث فوجدها ستّين يوما، و الحرّاث الواحد يحرث خمسين فدانا، فكانت محتاجة إلى أربعمائة ألف و أربعين ألف حرّاث.

*** و قال صاحب مرآة الزمان: ذكر أحمد بن بختيار أنّ فی النيل عجائب منها التمساح، و لا يوجد إلا فيه، و يسمّى فی مصر التّمساح، و فی بلاد النوبة الورل، و وراء النوبة الشّوشار.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۰۳

قال: و التمساح لا دبر له، و ما يأكله يتكوّن فی بطنه دودا، فإذا آذاه خرج إلى البرّيّة فينقضّ عليه طائر فيأكل ما بين أسنانه، و ما يظهر من الدود، و ربّما يطبق عليه التمساح، فيبلعه.

*** و ذكر ابن حوقل أنّ بنيل مصر أماكن لا يضرّ التمساح فيها، كعدوة بوصير و الفسطاط.

قال: و فی النيل السّقنقور، و يكون عند أسوان، و فی حدودها. و قيل إنّه من نسل التمساح إذا وضعه خارج الماء، فما قصد الماء صار تمساحا، و ما قصد البرّ صار سقنقورا. و له قضيبان كالضبّ.

و فيه السمك الرعّاد إذا وقع فی شبكة الصيّاد، لا يزال ترتعد يداه و رجلاه حتّى يلقيها أو يموت، و هی نحو الذراع.

و فيه سمكة على صور الفرس. و المكان الذی يكون فيه لا يقربه التمساح.

و فيه شيخ البحر سمكة على صورة آدميّ، و له لحية طويلة، و يكون بناحية دمياط و هو مشؤوم، فإذا رئی فی مكان دلّ على القحط و الموت و الفتن.

و يقال: إنّ دمياط ما تنكب حتّى يظهر عندها.

ذكر ما قيل فی النيل من الأشعار

قال التّيفاشیّ: قد ذكرت العرب النّيل فی أشعارها، و ضربت به الأمثال، قال قيس بن معدی كرب، فيما أورده الجاحظ فی كتاب الأمصار:

ما النّيل أصبح زاخرا بمدودهو جرت له ريح الصّبا فجرى بها

قال بعضهم:

واها لهذا النّيل أىّ عجيبةبكر بمثل حديثها لا يسمع

يلقى الثرى فی العام و هو مسلّمحتّى إذا ما ملّ عاد يودّع

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۰۴ متنقّل مثل الهلال فدهرهأبدا يزيد كما يريد و يرجع

ظافر الحدّاد:

و النّيل مثل عمامةشرب محشّاة بأخضر

و الجسر فيها كالطراز و موجه رقم مصوّر

تفريكه ما درّجته له الرياح من التسكّر

و قال یصف افتراقه عند رأس الروضة:

للّه یوم أناله النیل‌لحسنه جملة و تفصیل

فی منظر مشرف علی خضرکأنّه فی الظلام قندیل

تبدی لنا جانبا جزیرته‌أشیا بها للعین تأمیل

و رقمه جسره و تفریکه الموج و فی نکته للخلیج تجمیل

ابن الساعاتی:

و لمّا توسّطنا علی النیل غدوةظننت و قلت الیوم باللّهو ملآن

عشاریّة أنشا لها الماء مقلةو لیس لها إلا المجاذیف أجفان

محیی الدین بن عبد الظاهر:

نیل مصر لمن تأمّل مرأی‌حسنه معجز و بالحسن معجب

کم به شاب فودها و عجیب‌کیف شابت بالنیل و النیل یخضب!

و قال:

کم قطّع الطّرق نیل مصرحتّی لقد خافه السّبیل

بالسیف و الرمح من غدیرو من قناة لها نصول

ابن نباته :

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۰۵ زادت أصابع نیلناو طغت و طافت فی البلاد

و أتت بکلّ مسرّةماذی أصابع ذی أیادی

النصیر الحمامیّ:

إن عجّل النّیروز قبل الوفاعجّل للعالم صفع القفا

فقد کفی من دمعهم ما جریو ما جری من نیلهم ما کفی

ناصر الدین حسن بن النقیت:

کأنّ النیل ذو فهم و لبّ‌لما یبدو لعین النّاس منه

فیأتی عند حاجتهم إلیهو یمضی حین یستغنون عنه:

آخر:

النّیل قال و قولهإذ قال ملء مسامعی

فی غیظ من طلب العلاعمّ البلاد منافعی

و عیونهم بعد الوفاقلّعتها بأصابعی

شمس الدین بن دانیال الحکیم:

کأنّما النیل الخضمّ إذ بدایروی حدیثا و هو ذو تسلسل

لمّا رأی الأرض بها شقیقهضمّخها بمائة المصندل

آخر:

یا نیل اجر علی حسن العوائد فیأرجاء مصرک و اجبر کلّ مرتزق

و اعلم بأنک مصریّ فلست تری‌حلو الفاکهة ما لم تأت بالملق

خلیل بن الکفتی:

مولای إنّ البحر لمّا زرتهحیّاک و هو أخو الوفاء بالإصبع

فانظر لبسطته فرؤیتک الّتیهی مشتهاه و روضة المتمتّع

أرخی علیه السّتر لمّا جئتهخجلا و مدّ تضرّعا بالأذرع

آخر:

سدّ الخلیج بکسره جبر الوریطرّا فکلّ قد غدا مسرورا

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۰۶ الماء سلطان فکیف تواترتعنه البشائر إذ غدا مکسورا!

شمس الدین سبط الملک الحافظ:

للّه درّ الخلیج إنّ لهتفضّلا لا نزال نشکره

حسبک منه بأنّ عادتهیجبر من لا یزال یکسره

الصلاح الصفدیّ :

رأیت فی أرض مصر مذ حللت بهاعجائبا ما رآها النّاس فی جیل

تسودّ فی عینی الدّنیا فلم أرهاتبیضّ إلّا إذا ما کنت فی النّیل

و قال:

رکبت فی النیل یوما مع أخی أدبفقال: دعنی من قال و من قیل

شرحت یا بحر صدری الیوم، قلت له:لا تنکر الشّرح یا نحویّ للنیل

و قال:

قالوا علا نیل مصر فی زیادتهحتّی لقد بلغ الأهرام حین طما

فقلت: هذا عجیب فی بلادکمأنّ ابن ستة عشر یبلغ الهرما

و قال:

قد زاد هذا النّیل فی عامنافأغرق الأرض بإنعامه

و کاد أن یعطف من مائهعری علی أزرار أهرامه

تمیم بن المعزّ العبیدیّ:

یوم لنا بالنیل مختصرو لکلّ یوم لذاذة قصر

و السّفن تجری کالخیول بناصعدا و جیش الماء منحدر

فکأنّما أمواجه عکن و کأنّما داراته سرر

آخر:

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۰۷ مدّ نیل الفسطاط فالبرّ بحرزاخر فیه کلّ سفن تعوم

فکأنّ الأرضین منه سماءو کأنّ الضّیاع فیها نجوم

ظافر:

و للّه مجری النیل فیها إذا الصباأرتنا به فی سیرها عسکرا مجری

فشطّ یهزّ السّمهریّة ذبّلاو نهر یهزّ البیض هندیّة بترا

إذا مدّ حاکی الورد غضّا و إن صفاحکی ماؤه و لم یعده بسرا

أیدمر الترکی:

کیمیاء النیل خالصةقد أتتنا منه بالعجب

کان من ذوب اللّجین فقدعاد بالتّدبیر من ذهب

راقص بالحسن مبتهجفهو فی عجب و فی طرب

و مغانی مصر تسمعهنغمة الشادی بلا صخب

و نسیم الریح لاعبةفی خلال الرّوض بالقضب

إبراهیم بن عبدون الکاتب:

و النّیل بین الجانبین کأنّماصبّت بصفحته صفیحة صیقل

یأتیک من کدر الزّواخر مدّهبممسّک من مائه و مصندل

فکأنّ ضوء البدر فی تمویجهبرق یموّج فی سحاب مسبل

و کأنّ نور السّرج من جنباتهزهر الکواکب تحت لیل ألیل

مثل الریاض مصنّفا أنوارهایبدو لعین مشبّه و ممثّل

آخر:

أری أبدا کثیرا من قلیلو بدرا فی الحقیقة من هلال

فلا تعجب فکلّ خلیج ماءبمصر مشبّه بخلیج مال

زیادة إصبع فی کلّ مدّزیادة أذرع فی کلّ حال

الأمیر تمیم بن المعزّ:

نظرت إلی النیل فی مدّهبموج یزید و لا ینقص

کأنّ معاطف أمواجهمعاطف جاریة ترقص

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۰۸

أیدمر الترکیّ:

انظر إلی النّیل السعید المقبلو الماء فی أنهاره کالسلسل

أضحی یریک الحسن بین مورّدمن لونه حینا و بین مصندل

و یمرّ فی قید الریاح مسلسلاًأحسنه من مطلق و مسلسل

و تری زوارقه علی أمواجهمنسوبة للنّاظر المتأمّل

مثل العقارب فوق حیّات غدتیسعی بها فی عدوها ما یأتلی

و کأنما أسماکه من فضّةمن جمد ذائب مائه من أوّل

بعضهم:

أتطلب من زمانک ذا وفاءو تأمل ذاک جهلا من بنیه؟

لقد عدم الوفاء به و إنّیلأعجب من وفاء النّیل فیه

*** و من کلام القاضی الفاضل فی وصف النّیل المصریّ الذی یکسو الفضاء ثوبا فضّیا، و یدلی من الأرض ماءه سراجا من النّور مضیّا، و یتدافع تیّاره واقفا فی صدر الجدب بید الخصب، و یرضع أمّهات خلجه المزارع فیأتی أبناؤها بالعصف و الأبّ .

و قال فیه أیضا:

و أمّا النّيل فقد امتدّت أصابعه، و تكسّرت بالموج أضالعه، و لا يعرف الآن قاطع طريق سواه، و لا من يرجى و يخاف إلّا إيّاه.

و قال أيضا:

و أمّا النّيل المبارك فقد امتدّت أصابعه، و تكسّرت بالموج أضالعه، و لا يعرف الآن قاطع طريق سواه، و لا من يرجى و يخاف إلّا إيّاه.

و قال أيضا:

و أمّا النّيل المبارك فقد ملأ البقاع، و انتقل من الإصبع إلى الذراع، فكأنّما غار على الأرضه فغطّاها، و أغار عليه فاستقعد و ما تخطّاها.

و من كتاب السجع الجليل فيما جرى من النيل:

و أما البحر الّذى بنى عليه عنوان هذه العبوديّة، فلا تسأل عمّا جرى منه، و ما نقلت الرّواة من العجائب عنه؛ و ذلك أنّه عمّ فى أوّل قدومه بالنفع البلاد، و ساوى بين بطون الأوديـة و ظهورها الوهاد. و قدم المفرد مبشّرا بوفائه فى جمع لا نظير له فى الآحاد، و احمرّت على من طلب الغلاء عيونه، و تكفّل للمعسر بأن يوفى بعد وفائه

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۰۹

ديونه، و نزل السّعر حين أخذ منه طالع الارتفاع، و أحدق بالقرى فأصبح كأنّه سماوات كواكبها الضّياع؛ فلم يكن بعد ذلك إلّا كلمح البصر أو هو أقرب، حتّى عسل فى شوارع مصر كما عسر الطريق الثعلب، و جاس خلال ديارها فأصبح على زرائبها المبثوثة بسطة، و أحاط بالمقياس إحاطة الدائرة بالنقطة. ثمّ علت أمواجه، و اشتدّ اضطرابه، و كاد يمتزج بنهر المجرّة الذى الغمام زبده و النجوم حبابه .

و شرّق حتّى ليس للشّرق مشرقو غرّب حتّى ليس للغرب مغرب

إلى أن قال: أما دير الطّين فقد ليّس سقوف حيطانه، و اقتلع أشجار غيطانه، و أتى على ما فيه من حاصل و غلّة، و تركه ملقة، فكان كما قيل: زاد الطّين بلّة.

و أما الجيزة فقد طغى الماء على قناطرها و تجسّر، و وقع بها القصب من قامته حين علا عليه الماء و تكسّر، فأصبح بعد اخضرار بزّته شاحب الإهاب، ناصل الخضاب، غارقا فى قعر بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ [النور: ۴۰]، و قطع طريق زاويتها على من بها من المنقطعين و الفقراء، و ترك الطالح كالصالح يمشى على الماء، فتنادوا مصبحين: أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ [القلم: ۲۴]، و أدركهم الغرق فأيسوا من الخلاص، فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ ما غَشِيَهُمْ [طه: ۷۸]، فنادوا: وَ لاتَ حِينَ مَناصٍ [ص: ۳]، فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ [النحل: ۲۶]، فانهدّت قواهم، و استغاثوا من كثرة الماء بالذين آمنوا و عملوا الصالحات و قليل ما هم.

و أمّا الروضة فقد أحاط بها إحاطة الكمام بزهره، و الكأس بحباب خمره:

فكأنّها فيه بساط أخضرو كأنّه فيها طراز مذهّب

فكم بها من متهم و منجد، و مسافر ممّا حصل له من المقيم المقعد. و حائك أصبح حول نوله ينير، و جعل من غزله بل من غيظه على أجيره يحمل و يسير. و منجّم وصل الماء من منزله إلى العتبة الخارجة فأصبح فى أنحس تقويم، و دخل إلى بيت أمراضه فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقالَ إِنِّي سَقِيمٌ [الصافات: ۸۸]، فأصبح فى الطريق

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۱۰

و عليه كآبة و صفرة، و دموعه فى المحاجر كالحصى لها اجتماع و حمرة. و شاعر أوقعه فى الضرورة بحره المديد، و اشتغل بهدم داره عن بيت القصيد، و عروضىّ ضاقت عليه الدائرة فقال: هذه الفاصلة، و قلع من عروض بيته وتدا أزعج بقلعه مفاصله. و نحوىّ اشتغل عن زيد و عمرو بلّ كتبه، و ذهل حين استوى الماء و الخشبة، عن المفعول معه و المفعول به، و طار عقله لا سيّما عن تصانيف ابن عصفور، و أخبر أنّ البحر و أثاث بيته جارّ و مجرور.

و أما الجزيرة الوسطى فقد أفسد جلّ ثمارها، و أتى على مقاتيها فلم يدع شيئا من ردّيها و خيارها، و ألحق موجودها بالمعدوم، و تلا على التكرورىّ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ [القلم: ۱۶]، و أخلق ديباج روضها الأنف، و ترك قلقاسها بمدّه و جزره على شفا جرف.

و أما المنشاة فقد أصبحت للهجر مقرّة، بعد أن كانت للعيون قرّة، و قيل لمنشيها:

أَنَّى يُحْيِي هـذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها [البقرة: ۲۵۹]، فقال: يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ [يس: ۷۹]. و مال على ما فيها من شون الغلّات كلّ الميل، و تركها تتلو بفمها الذى شقتاه مصراعا الباب: يا أَبانا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ [يوسف: ۶۳].

و أمّا بولاق فقد أصبحت صعيدا زلقا من الملق، و قامت قيامة المارّ بها حين التفّت الساق بالساق من الزّلق، فكم اقتلع بها شجرة لبتّ رؤوسها، و ترك ساقية تنوح على أختها التى أصبحت خاوية على عروشها.

و أمّا الخليج الحاكمى فقد خرج عكسر موجه بعد الكسر على حميّة، و مرق من قسىّ قناطره كالسهم من الرميّة، و تواضع حين قبّل بحّارة زويلة عتاب غرفها العالية، و ترك السقايين فى حالة العجز عن وصفها صريع الدلاء و حمّاد الرواية. فأصبحوا من الكساد و قد سئموا الإقامة، قائلين فى شوارع مصر: يا اللّه السلامة.

ذكر البشارة بوفاء النيل

جرت العادة كلّ سنة إذا وفّى النيل أن يرسل السلطان بشيرا بذلك إلى البلاد

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۱۱

لتطمئن قلوب العباد، و هذه عادة قديمة، و لم يزل كتّاب الإنشاء ينشئون فى ذلك الرسائل البليغة؛ فمن إنشاء القاضى الفاضل فى وفاء النيل عن السلطان صلاح الدين بن أيّوب:

نعم اللّه سبحانه و تعالى من أضوئها بزوغا، و أخفاها سبوغا، و أصفاها ينبوعا، و أسناها منفوعا، و أمدّها بحر مواهب، و أختمها حسن عواقب. النّعمة بالنيل المصرىّ الذى يبسط الآمال و يقبضها مدّه و جزره، و يرمى النبات حجره، و يحيى مطلعه الحيوان، و يجنى ثمرات الأرض صنوانا و غير صنوان، و ينشر مطوىّ حريرها و ينشر مواتها، و يوضح معنى قوله تعالى: وَ بارَكَ فِيها وَ قَدَّرَ فِيها أَقْواتَها [فصلت: ۱۰].

و كان وفاء النيل المبارك تاريخ كذا، فأسفر وجه الأرض و إنّ كان تنقّب، و أمن يوم بشراه من كان خائفا يترقّب، و رأينا الإبانة عن لطائف اللّه التى خفقت الظنون، و وفت بالرزق المضمون، إِنَّ فِى ذلِكُمْ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [الأنعام: ۹۹]. و قد أعلمناك لتستوفى حقّه من الإذاعة، و تبعده من الإضاعة، و تتصرّف على ما نصرّفك من الطاعة، و تشهر ما أورده البشير من البشرى بإبانته، و تمدّه بإيصال رسمه مهنّى على عادته.

*** و كتب القاضى محيى الدين عبد اللّه بن عبد الظاهر عن السلطان إلى نائب السلطنة بحلب بشارة بوفاء النيل:

أعزّ اللّه أنصار المقرّ و سرّه بكلّ مبهجة، و هنّأه بكلّ مقدمة سرور تفد و للخصب و البركة منتجة، و بكلّ نعمى لا تصبح لمنّة السحاب محوجة، و بكلّ رحمى لا يستعدّ لأيّامها الباردة و لا لياليها المثلجة. هذه المكاتبة تفهمه أنّ نعم اللّه و إن كانت متعدّدة، و منحه و إن غدت بالبركات متردّدة، و منّته و إن أصبحت إلى القلوب متودّدة، فإنّ أشملها و أكملها، و أجملها و أفضلها، و أجزلها و أنهلها، و أتمّها و أعمّها، و أضمّها و ألمّها، نعمة أجزأت المنّ و المنح، و أنزلت فى برك سفح المقطّم أغزر سفح. و أتت بما يعجب الزّراع، و يعجّل الهرّاع، و يعجز البرق اللمّاع، و يعلّ القطاع، و يغل الأقطاع، و تنبعث أفواهه و أفواجه، و يمدّ خطاها أمواهه و أمواجه، و يسبق وفد الريح من حيث ينبرى، و يغبط مرّيخه الأحمر القمر لأنّ بيته السّرطان كما يغبط الحوت لأنّه بيت المشترى، و يأتى عجبه فى الغد بأكثر من اليوم و فى اليوم بأكثر من الأمس، و يركب الطريق مجدّا، فإن ظهر بوجهه حمرة فهى ما يعرض للمسافر من حرّ الشمس. و لو لم تكن شقته طويلة

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۱۲

لما قيست بالذّراع، و لو لا أنّ مقياسه أشرف البقاع لما اعتبر ما تأخّر من ماء حوله الماضى بقاع، بينا يكون فى الباب إذ هو فى الطّاق،

و بینا یکون فی الاحتراق إذا هو فی الاختراق للإغراق، و بینا یکون فی المجاری، إذا هو فی السواری، و بینا یکون فی الجباب إذا هو فی الجبال، و بینا یقال لزیادته: هذه الأمواه إذ یقال لغلّاته: هذه الأموال. و بینا یکون ماء إذ أصبح حبرا، و بینا هو یکسب تجارة قد أکسب بحرا، و بینا یفسد عراه قد أتی بعرار جسور علی الجسور جیشه الکرّار، و کم أمست التّراع منه تراع، و البحار منه تحار. کم حسنت مقطّعاته علی مرّ الجدیدین، و کم أعانت مرارة مقیاسه علی الغرو من بلاد سیس علی العمودین . أتمّ اللّه لطفه فی الإتیان به علی التّدریج، و أجراه بالرّحمة إلی نقص العیون بالتفرّج و القلب بالتفریج، فأقل جیشه بمواکبه، و جاء یطاعن الجدب بالصواری من مراکبه، و یصافف لجاجة الجسور فی بیداء لججه، و یثاقف القحط بالتراس من برکه و السّیوف من خلجه.

و لمّا تکامل إیابه، و صحّ فی دیوان الفلاح و الفلاحة حسابه، و أظهر ما عنده من ذخائر التیسیر و ودائعه، و لفظ عموده حمل ذلک علی أصابعه. و کانت الستّة عشر ذراعا تسمّی ماء السلطان، نزلنا و حضرنا مجلس الوفاء المعقود، و استوفینا شکر اللّه تعالی بفیض ما هو من زیادته محسوب و من صدقاتنا مخرج و من القحط مردود، وقع تیّاره بین أیدینا سطورا تفوق، و علت یدنا الشریفة بالخلوق، و حمدنا السیر کما حمد لنا السری، و صرفناه فی القری للقری، و لم نحضره فی العام الماضی فعملنا له من الشکر شکرانا و عمل هو ما جری.

و حضرنا إلی الخلیج و إذا به أمم قد تلقّونا بالدعاء المجاب، و قرّظونا فأمرنا ماءه أن یحثو من سدّه فی وجوه المدّاحین بالتراب، و مرّ یبدی المسادّ و یعیدها، و یزور منازل القاهرة و یعودها، و إذا سئل عن أرض الطبّالة، قال: جننّا بلیلی، و عن خلجها، و هی جنّت بغیرنا. و عن برکة الفیل قال: و أخری بنا مجنونة لا نریدها. و ما برح حتّی تعوّض عن القیعان البقیعة، من المراکب بالسرر المرفوعة، و من الأراضی المحروثة، من جوانب الأدرب بالزرابیّ المبثوثة.

و انقضی هذا الیوم عن سرور لمثله فلیحمد الحامدون، و أصبحت مصر جنّة فیها

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۱۳

ما تشتهی الأنفس و تلذّ الأعین و أهلها فی ظلّ الأمن خالدون. فلیأخذ حظّه من هذه البشری التی ما کتبنا بها حتّی کتبت بها الریاح إلی نهر المجرّة إلی البحر المحیط، و نطقت بها رحمة اللّه تعالی إلی مجاوری بیته من لابسی التقوی و نازعی المحیط، و بشّرت بها مطایا المسیر الذی یسیر من قوص غیر منقوص، و یتشارک بها الابتهاج فی العالم فلا مصر دون مصر بها مخصوص.

و اللّه تعالی یجعل الأولیاء فی دولتنا یبتهجون بکلّ أمر جلیل، و جیران الفرات یفرحون بجریان النیل.

و کتب الصلاح الصفدیّ بشارة إلی بعض النوّاب فی بعض الأعوام:

ضاعف اللّه نعمة الجناب و سرّ نفسه بأنفس بشری، و أسمعه من الهناء کلّ آیة أکبر من الأخری، و أقدم علیه من المسارّ ما یتحرّز ناقل و یتحرّی، و ساق إلیه کلّ طلیعة إذا تنفّس صبحها تفرّق اللیل و تفرّی، و أورد لدیه من أنباء الخصب ما یتبرّم به محلّ المحل و یتبرّی.

هذه المکاتبة إلی الجناب العالی نخصّه بسلام یری کالماء انسجاما، و یروق کالزهر ابتساما، و نتحفه بثناء جعل المسک له ختاما، و ضرب له علی الریاض النافحة خیاما، و نقصّ علیه من أنباء النیل الذی خصّ اللّه البلاد المصریّة بوفادة وفائه، و أغنی به قطرها عن القطر فلم تحتج إلی مدّ کافه وفائه، و نزّهه عن منّة الغمام الذی إنّ جاد فلا بدّ من شهقة رعده و دمعة بکائه، فهی الأرض التی لا یذمّ للأمطار فی جوّها مطار، و لا یزمّ للقطّار فی نفعها قطار، و لا ترمد الأنواء فیها عیون النّوار، و لا تشیب بالثلوج مفارق الطرق و رؤوس الجبال، و لا تفقد فیها حلی النجوم لاندراج اللیلة تحت السحب بین الیوم و أمس، و لا یتمسّک فی سنائها المساکین کما قبل بحبال الشمس، و أین أرض یخدّ عجاجها بالبحر العجّاج، و تزدحم فی ساحاتها أفواج الأمواج، من أرض لا تنال السّقیا إلا بحرب لأنّ القطر سهام و الضباب عجاج قد انعقد، و لا یعمّ الغیث بقاعها لأنّ السحب لا تراها إلا بسراج البرق إذا اتّقد. فلو خاصم النیل میاه الأرض لقال: عندی قبالة کلّ عین إصبع، و لو فاخرها لقال: أنت بالجبال أثقل و أنا بالملق أطبع. و النیل له الآیات الکبر، و فیه العجائب و

العبر، منها وجود الوفا، عنـد عدم الصـفاء، و بلوغ الهرم، إذا احتد و اضـطرم، و أمن کلّ فریق، إذا قطع الطریق و فرح قطان الأوطان إذا کسـر و هو کما یقال سـلطان. و هو أکرم منتـدی، و أعزب مجتبی، و أعظم مجتـدی، إلی غیر ذلک من خصائصه، و براءته مع الزیادة من نقائصه.

و هو أنّه فی هذا العام المبارک جذب البلاد من الجدب و خلّصها بذراعه، و عصمها

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۱۴

بخنـادقه التی لاـ تراع من تراعه، و حضّـها بسواری الصواری تحت قلوعه و مـا هی إلا عمـد قلاعه، و راعی الأدب بین أیـدینا الشـریفة بمطالعتنا فی کلّ یوم بحر قاعه فی رقاعه، حتّی إذا أکمل السـتّة عشـر ذراعا و أقبلت سوابق الخیل سراعا، و فتح أبواب الرحمة بتغلیقه، وجد فی طلب تخلیقه، تضرّع بمدّ ذراعه إلینا، و سلم عند الوفاء بأصابعه علینا. و نشر علم ستره، و طلب لکرم طباعه جبر العالم بکسره، فرسـمنا بأن یخلّق، و یعلّم تاریخ هنائه و یعلّق، فکسر الخلیج و قد کاد یعلوه فوق موجه، و یهیل کثیب سدّه هول هیجه، و دخل یدوس زرابیّ الدور المبثوثة، و یجوس خلال الحنایا کأنّ له فیها خبایا موروثة.

و مرق کالسـهم من قسـیّ قناطره المنکوسه، و علاه زبد حرکته و لولاه ظهرت فی باطنه من بدور إناثه أشـعّتها المعکوسة. و بشر برکة الفیل ببرکـة الفال، و جعل المجنونة من تیاره المنحدر فی السـلاسل و الأغلال، و ملأ أکفّ الرجا بأموال الأمواه، و ازدحمت فی عبارة شکره أفواج الأفواه. و أعلم الأقلام بعجزها عمّا یدخل من خراج البلاد، و هنأت طلائعه بالطوالع التی نزلت برکاتها من اللّه علی العباد. و هـذه عوائـد الألطاف الإلهیّة بنا لم نزل نجلس علی موائـدها، و نأخذ منها ما نهبه لرعایانا من فوائدها. و نخصّ بالشـکر قوادمها فهی تدبّ حولنا و تدرج، و تخصّ قوادمها بالثناء و المدح و الحمد فهی تدخل إلینا و تخرج.

فلیأخـذ الجناب العالی حظّه من هـذه البشـری التی جاءت بالمنّ و المنـح، و انهلّت أیادیها المغدقـة بالسّـحّ و السـفح، و لیتلقّاها بشـکر یضـیء به فی الـدجی أدیم الأفق، و یتّخـذها عقـدا تحیـط منه بالعنق إلی النطق، و لیتقـدّم الجناب العالی بألّا یحرّک المیزان فی هـذه البشری بالجبایة لسانه، و لیعط کلّ عامل فی بلادنا بذلک أمانه، و لیعمل بمقتضی هذا المرسوم حتّی لا یری فی أسقاط الجبایة خیانة، و اللّه یدیم الجناب العالی لقصّ الأنباء الحسنة علیه، و یمتّعه بجلاء عرائس التهانی و الأفراح لدیه.

*** و کتب الأدیب تقیّ الدین أبو بکر بن حجّة بشارة عن الملک المؤیّد شیخ، سنة تسع عشرة و ثمانمائة:

و نبـدی لعلمه الکریم ظهور آیة النیل الّذی عاملنا اللّه فیه بالحسن و زیادة، و أجراه لنا فی طرق الوفاء علی أجمل عادة، و خلق أصابعه لیزول الإیهام فأعلن المسـلمون بالشـهادة، کسـر بمسـری فأمسـی کلّ قلب بهـذا الکسـر مجبورا، و أتبعناه بنوروز و ما برح هـذا الاسـم بالسعد المؤیدیّ مکسورا، دقّ قفا السودان فالرایة البیضاء من کلّ قلع علیه،

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۱۵

و قبّل ثغور الإسـلام فأرشـفها ریقه الحلو فمالت أعطاف غصونها إلیه، و شـبّب خریره فی الصـعید بالقصب، و مدّ سـبائکه الذهبیّة إلی جزیرة الذهب، فضرب الناصریّة و اتّصل بأمّ دینار، و قلنا: لولا أنّ صبغ بقوّة لما جاء و علیه ذلک الاحمرار.

و أطـال اللّه عمر زیـادته فتردّد إلی الآثـار، و عمّته البرکـة فـأجری سواقی ملکه إلی أن غـدت جنّـة تجری من تحتها الأنهار، و حضـن مشتهی الرّوضة فی صدره، و حنا علیها حنوّ المرضعات علی الفطیم:

و أرشفنا علی ظمأ زلالاألذّ من المدامة للندیم

وراق مدیـد بحره لما انتظمت علیه تلک الأبیات، و سـقی الأرض سـلافته الخمریّة فخـدمته بحلو النبات، و أدخله إلی جنّات النخیل و الأعناب فالق النوی و الحبّ، فأرضع فی أحشاء الأرض جنین النّبت، و أحیا له أمّهات العصف و الأبّ. و صافحته کفوف الموز فختمها بخواتمه العقیقیّة و لبس الورد تشریفه، و قال: أرجو أن تکونی شوکتی فی أیّامه قویّة، و نسی الزهر بحلاوة لقائه مرارة النّوی، و هامت به مخـدّرات الأشـجار فـأرخت ضـفائر فروعهـا علیه من شـدّة الهوی، و اسـتوفی النبـات مـا کان له فی ذمـة الریّ من الـدیون، و مازج

الحوامض بحلاوته فهام النّاس بالسّكّر و الليمون، و انجذب إليه الكبّاد و امتدّ، و لكنّ قوى قوسه لمّا حظى منه بسهم لا يردّ، و لبس شربوش الأترجّ و ترفّع إلى أن لبس بعده التاج، و فتح منثور الأرض لعلامته بسعة الرزق و قد نفذ أمره وراج، فتناول مقالم الشنبر و علّم بأقلامها، و رسم لمحبوس كلّ سدّ بالإفراج، و سرّح بطائق السفن فخفقت أجنحتها بمخلق بشائره، و أشار بأصابعه إلى قتل المحل فبادر الخصب إلى امتثال أوامره، و حظى بالمعشوق و بلغ من كلّ منية مناه، فلا سكن على البحر إلّا تحرّك ساكنه بعدما تفقّه و اتقن باب المياه، و مدّ شفاه أمواجه إلى تقبيل فم الخور ، و زاد مترعه فاستحلى المصريّون زائده على الفور، و نزل فی برکة الحبش فدخل التّكرور فی طاعته، و حمل على الجهات البحريّة فكسر المنصورة و علا على الطويلة بشهامته، و أظهر فی مسجد الخضر عين الحياة فأقرّ اللّه عينه، و صار أهل دمياط فی برزخ بين المال و بينه، و طلب المالح ردّه بالصدر و طعن فی حلاوة شمائله، فما شعر إلّا و قد ركب عليه و نزل فی ساحله.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۱۶

و أما المحاسن فدارت دوائره على وجنات الدهر عاطفة، و ثقلت أرداف أمواجه على خصور الجوارى و اضطربت كالخائفة، و مال شيّق النخيل إليه فلثم ثغر طلعه و قبّل سالفه، و أمست سود الجوارى كالحسنات على حمرة و جناته، و كلّما زاد زاد اللّه فی حسناته؛ فلا فقير سدّ إلا حصل له من فيض نعماه فتوح، و لا ميّت خليج إلا عاش به و دبّت فيه الروح، و لكنّه احمرّت عينه على الناس بزيادة و ترفّع، فقال له المقياس :

عندى قبالة كلّ عين أصبع. و نشر أعلام قلوعه و حمل و له على ذى الجزيرة زمجرة، و رام أن يهجم على غير بلاده فبادر إليه عزم المؤيدىّ و كسره.

و قد آثرنا الجناب بهذه البشرى الّتى سرى فضلها برّا و بحرا، و حدّثناه عن البحر و لا حرج و شرحنا له حالا و صدرا، ليأخذ حظّه من هذه البشارة البحريّة بالزيادة الوافرة، و ينشق من طيبها نشرا فقد حملت له من طيّبات ذلك النسيم أنفاسا عاطرة. و اللّه تعالى يوصل بشائرنا الشريفة لسمعه الكريم ليصير بها فی كلّ وقت مشنفا، و لا برح من نيلها المبارك و إنعامنا الشريف على كلا الحالين فی وفا.

ذكر المقياس

قال ابن عبد الحكم: كان أوّل من قاس النّيل بمصر يوسف عليه السّلام، و وضع مقياسا بمنف، ثم وضعت العجوز دلوكة ابنة زبّاء مقياسا بأنصنا ؛ و هو صغير الذّرع و مقياسا بإخميم. و وضع عبد العزيز بن مروان مقياسا بحلوان و هو صغير، و وضع أسامة ابن زيد التّنوخىّ فی خلافة الوليد مقياسا بالجزيرة؛ و هی المسمّاة الآن بالرّوضة، و هو أكبرها؛ حدّثنا يحيى بن بكير، قال: أدركت القيّاس يقيس فی مقياس منف و يدخل بزيادته إلى الفسطاط.

هذا ما ذكره ابن عبد الحكم.

قال التّيفاشىّ: ثم هدم المأمون مقياس الجزيرة، و أسّسه و لم يتمّه، فأتمّ المتوكّل بناءه و هو الموجود الآن.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۱۷

و قال صاحب مباهج الفكر: المقياس الذى بأنصنا ينسب لأشمون بن قفطيم بن مصر، و يقال إنّه من بناء دلوكة، و بناؤه كالطيلسان، و عليه أعمدة بعدد أيام السنة من الصوّان الأحمر.

و رأيت فی بعض المجاميع ما نصّه: قال ابن حبيب: وجدت فی رسالة منسوبة إلى الحسن بن محمد بن عبد المنعم، قال: لمّا فتحت مصر عرف عمر بن الخطاب ما يلقى أهلها من الغلاء عن وقوف النّيل عن مدّه فی مقياس لهم فضلا عن تقاصره، و إنّ فرط الاستشعار يدعوهم إلى الاحتكار، و يدعو الاحتكار إلى تصاعد الأسعار بغير قحط، فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص يسأله عن شرح الحال، فأجابه.

فقال عمرو: إنّی وجدت ما تروی به مصر حتّی لا یقحط أهلها أربعة عشر ذراعا، و الحدّ الذی یروی منه سائرها حتّی یفضل عن حاجتهم و یبقی عندهم قوت سنة أخری ستة عشر ذراعا، و النهایتین المخوّفتین فی الزیادة و النقصان- و هو الظمأ و الاستبحار- اثنتا عشرة ذراعا فی النقصان، و ثمانی عشرة ذراعا فی الزیادة؛ هذا و البلد فی ذلک محفور الأنهار، معقود الجسور عندما تسلّموه من القبط و خمیر العمارة فیه.

فاستشار عمر بن الخطاب علیّ بن أبی طالب فی ذلک، فأمره أن یکتب إلیه بأن یبنی مقیاسا، و أن ینقص ذراعین علی اثنتی عشر ذراعا، و أن یقرّ ما بعدها علی الأصل، و أن ینقص من [کل] ذراع بعد الستّة عشر ذراعا إصبعین.

ففعل ذلک و بناه بحلوان، فاجتمع له ما أراد من حال الأرجاف، و زال ما منه کان یخاف، بأن یجعل الاثنتی عشرة ذراعا أربع عشرة ذراعا؛ لأنّ کلّ ذراع أربعة و عشرون إصبعا، فجعلها ثمانیة و عشرین من أوّلها إلی الاثنتی عشرة ذراعا، تکون مبلغ الزیادة علی الاثنتی عشرة ثمانیة و أربعین إصبعا؛ و هی الذراعان، و جعل الأربع عشرة ستّ عشرة و الستّة عشرة ثمانی عشرة، و الثمانی عشرة عشرین ذراعا، و هی المستقرّة الآن.

و قال بعضهم: کتب الخلیفة جعفر المتوکّل إلی مصر یأمر ببناء المقیاس الجدید الهاشمیّ فی الجزیرة سنة سبع و أربعین و مائتین؛ و کان الذی یتولّی أمر المقیاس النصاری، فورد کتاب أمیر المؤمنین المتوکّل فی هذه السنة علی بکّار بن قتیبة قاضی مصر، بألّا یتولّی ذلک إلّا مسلم یختاره؛ فاختار القاضی بکّار لذلک الردّاد عبد اللّه بن

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۱۸

عبد السلام المؤدب، و کان محدّثا فأقامه القاضی بکّار لمراعاة المقیاس، و أجری علیه الرزق ، و بقی ذلک فی ولده إلی الیوم.

و قال صاحب المرأة: المقیاس الظاهر الآن بناه المأمون، و قیل: إنّما بناه أسامة ابن زید التنوخیّ فی خلافة سلیمان بن عبد الملک، و دثر فجدّده المأمون. و بنی أحمد بن طولون مقیاسین؛ أحدهما بقوص و هو قائم الیوم، و الآخر بالجزیرة و قد انهدم.

قال القاضی محیی الدین بن عبد الظاهر فی العود الذی یطّلع به المقسی قیاس النیل فی کلّ یوم بزیادة النیل:

قد قلت لمّا أتی المقسی و فی یدهعود به النیل قد عودی و قد نودی

أیّام سلطاننا سعد السعود و قدصحّ القیاس یجری الماء فی العود

ذکر جزیرة مصر و هی المسمّاة الآن بالروضة

قال المقریزیّ: اعلم أنّ الرّوضة تطلق فی زماننا علی الجزیرة التی بین مدینة مصر و بین مدینة الجیزة، و عرفت فی أوّل الإسلام بالجزیرة و جزیرة مصر، ثمّ قیل لها جزیرة الحصن، و عرفت الروضة من زمن الأفضل بن أمیر الجیوش إلی الیوم. انتهی.

و الجزیرة کلّ بقعة فی وسط البحر لا یعلوها البحر، سمّیت بذلک لأنها جزرت، أی قطعت و فصّلت من تخوم الأرض، فصارت منقطعة.

و فی الصّحاح: الجزیرة: واحدة جزائر البحر؛ سمیت بذلک لانقطاعها عن معظم الأرض.

و قال ابن المتوّج فی کتابه إیقاظ المتغفّل و اتّعاظ المتأمّل: إنّما سمیت جزیرة مصر بالرّوضة، لأنّه لم یکن بالدیار المصریّة مثلها و بحر النیل حائز لها و دائر علیها، و کانت حصینة، و فیها من البساتین و الثمار ما لم یکن فی غیرها.

و لما فتح عمرو بن العاص مصر تحصّن الرّوم بها مدّة، فلمّا طال حصارها و هرب

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۱۹

الروم منها خرّب عمرو بن العاص بعض أبراجها و أسوارها، و کانت مستدیرة علیها، و استمرّت إلی أن عمّر حصنها أحمد بن طولون فی سنة ثلاث و ستین [و مائتین]، و لم یزل هذا الحصن حتّی خرّبه النیل.

*** و قال المقريزى: اعلم أن الجزائر التى هى الآن فى بحر النيل كلّها حادثة فى الإسلام ما عدا الجزيرة التى تعرف اليوم بالروضة تجاه مدينة مصر؛ فإنّ العرب لمّا دخلوا مع عمرو بن العاص إلى أرض مصر و حاصروا الحصن الذى يعرف اليوم بقصر الشمع فى مصر؛ حتّى فتح اللّه عنوة على [يد] المسلمين، و كانت هذه الجزيرة حينئذ تجاه القصر، لم يبلغنى إلى الآن متى حدثت، و أما غيرها من الجزائر كلّها فقد تجدّدت بعد فتح مصر، و إلى هذه الجزيرة التجأ المقوقس لمّا فتح اللّه على المسلمين القصر، و صار بها هو و من معه من جموع الروم و القبط.

و قال ابن عبد الحكم: كان بالجزيرة فى أيام عبد الملك بن مروان أمير مصر خمسمائة فاعل عدّة لحريق إن كان فى البلاد أو هدم.

و قال الكندىّ: بنيت بالجزيرة الصّناعة فى سنة أربع و خمسين: و الصنّاعة اسم لمكان قد أعدّ لإنشاء المراكب البحرية- و أوّل صناعة عملت بأرض مصر التى بنيت بالروضة فى سنة أربع و خمسين من الهجرة، فاستمرّت إلى أيّام الإخشيد، فأنشأ صناعة بساحل فسطاط مصر، و جعل موضع الصناعة التى بالروضة بستانا سمّاه المختار .

و قال القضاعىّ: حصن الجزيرة بناه أحمد بن طولون فى سنة ثلاث و ستّين و مائتين، ليحرز فيه حريمه و ماله، و كان سبب ذلك مسير موسى بن بغا من العراق واليا على مصر، و جميع أعمال ابن طولون، و ذلك فى خلافة المعتمد على اللّه، فلمّا بلغ أحمد بن طولون مسيره تأمّل مدينة فسطاط مصر، فوجدها لا تأخذ إلا من جهة النيل، فبنى الحصن بالجزيرة التى بين الفسطاط و الجيزة ليكون معقلا لحريمه و ذخائره، و اتّخذ مائة مركب حربية سوى ما يضاف إليها من العشاريّات و غيرها؛ فلما بلغ موسى بن بغا بالرّقة تثاقل عن المسير لعظم شأن ابن طولون و قوّته، ثمّ لم يلبث موسى أن مات، و كفى ابن طولون أمره.

و قال محمد بن داود لأحمد بن طولون:

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۲۰ لما قضى ابن بغا بالرّقتين ملاساقيه درقا إلى الكعبين و العقب

بنى الجزيرة حصنا يستجنّ بهبالعسف و الضرب، و الصنّاع فى تعب

و واثب الجيزة القصوى فخندقهاو كاد يصعق من خوف و من رعب

له مراكب فوق النيل راكدةلما سوى القار للنّظار و الخشب

ترى عليها لباس الذّلّ مذ بنيتبالشطّ ممنوعة من عزّة الطّلب

فما بناها لغزو الروم محتسبالكن بناها غداة الرّوع للهرب

و قال سعيد القاصّ من أبيات:

و إنّ جئت رأس الجسر فانظر تأمّلاإلى الحصن أو فاعبر إليه على الجسر

ترى أثرا لم يبق من يستطيعهمن النّاس فى بدو البلاد و لا حضر

و ما زال حصن الجزيرة هذا عامرا أيّام بنى طولون؛ حتّى أخذه النيل شيئا فشيئا، و قد بقيت منه بقايا متقطّعة إلى الآن.

و كان نقل الصّناعة من الجزيرة إلى ساحل مصر فى شعبان سنة خمس و عشرين و ثلثمائة، و بنى مكانها البستان المختار، و صرف على بنائه خمسة آلاف دينار؛ فاتّخذه الإخشيد متنزّها به، و صار يفاخر به أهل العراق، و لم يزل متنزّها إلى أن زالت الدّولة الإخشيديّة و الكافوريّة، و قدمت الدولة العبيدية؛ فكان يتنزّه فيه المعزّ و العزيز، و صارت الجزيرة مدينة عامرة بالناس، بها وال و قاض. و كان يقال: القاهرة و مصر و الجزيرة؛ فلمّا استولى الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الدين، أنشأ فى بحرىّ الجزيرة بستانا نزها سمّاه الروضة، و تردّد إليه تردّدات كثيرة؛ و من حينئذ صارت الجزيرة كلّها تعرف بالروضة.

قال ابن ميسر فى تاريخ مصر: أنشأ الأفضل الرّوضة بحرىّ الجزيرة، و كان يمضى كلّ يوم إليها فى العشاريّات الموكبيّة، و كان قتل الأفضل فى سنة خمس عشرة و خمسمائة.

قال: و فى سنة ستّ عشرة و خمسمائة، نقل المأمون البطائحىّ الوزير عمارة المراكب الحربيّة من الصناعة التى بجزيرة مصر إلى

الصناعة القديمة بساحل مصر، و بنى عليها منظرة كانت باقية إلى آخر أيام الدولة العلوية، فلما استبدّ الخليفة الآمر بالأمر، أنشأ بجوار البستان المختار من جزيرة الرّوضة مكانا لمحبوبته البدويّة عرف بالهودج ،

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۲۱

و ذلك لمّا صعب عليها السكنى فى القصور، و مفارقة ما اعتادته من الفضاء. و كان الهودج على شاطىء النيل فى شكل غريب، و لم يزل الآمر يتردّد إليه للنّزهة فيه، إلى أن ركب إليه يوما، فلمّا كان برأس الجسر، وثب عليه قوم كانوا كمنوا له بالروضة، فضربوه بالسكاكين حتّى أثخنوه، و ذلك يوم الأربعاء رابع ذى القعدة سنة أربع و عشرين و خمسمائة، و نهب سوق الجزيرة ذلك اليوم.

قال ابن المتوّج: اشترى الملك المظفّر تقىّ الدين عمر بن شاهنشاه بن أيّوب جزيرة مصر المشهورة بالرّوضة من بيت المال المعمور فى شعبان سنة ستّ و عشرين و خمسمائة ، و بقيت على ملكه إلى أن سيّر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولده الملك العزيز عثمان إلى مصر، و معه عمّه الملك العادل، و كتب إلى الملك المظفّر أن يسلّم لهما البلاد، و يقدم عليه إلى الشام، فلمّا ورد عليه الكتاب، و وصل ابن عمّه الملك العزيز و عمّه الملك العادل، شقّ عليه خروجه من الديار المصرية، و تحقّق أنه لا عود له إليها أبدا، فوقف مدرسة التى تعرف فى مصر بالمدرسة التقويّة؛ و كانت قديما تعرف بمنازل العزّ على الفقهاء الشافعية، و وقف عليها جزيرة الروضة بكمالها، و وقف أيضا مدرسة بالفيّوم، و سافر إلى عمّه صلاح الدين إلى دمشق، فملّكه حماة، و لم يزل الحال كذلك إلى أن ولى الملك الصالح نجم الدين أيّوب، فاستأجر الجزيرة من القاضى فخر الدين أبى محمد عبد العزيز بن قاضى القضاة عماد الدين أبى القاسم عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن السكرىّ مدرّس المدرسة المذكورة لمدّة ستين سنة فى دفعتين: كلّ دفعة قطعة، فالقطعة الأولى من جامع عين إلى المنظر طولا و عرضا من البحر إلى البحر، و استأجر القطعة الثانية، و هى باقى أرض الجزيرة الدائر عليها بحر النيل حين ذاك، و استولى على ما كان بالجزيرة من النخل و الجمّيز و الغروس فكأنّه لما عمر الملك الصالح مناظر قلعة الجزيرة قطعت النخل، و دخلت فى العمائر.

و أما الجمّيز فإنّه كان بشاطئ بحر النيل صفّ جمّيز يزيد على أربعين شجرة، و كان أهل مصر فرجهم تحتها فى زمن النّيل و الربيع، قطعت جميعها فى الدولة الظاهريّة، و عمّر بها شوانى عوض الشوانى التى كان سيّرها إلى جزائر قبرص، و تكسّرت هناك، و استمرّ تدريس المدرسة التقوية بيد القاضى فخر الدين إلى حين

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۲۲

وفاته، ثمّ وليها بعده ولده القاضى عماد الدين أبو الحسن علىّ، و فى أيامه تسلّم له القطعة المستأجرة من الجزيرة أولا، و بقى بيد السلطنة القطعة الثانية إلى الآن، و كان الإفراج عنهما فى شهور سنة ثمان و تسعين و ستمائة فى الدولة الناصرية، و لم يزل القاضى عماد الدين مدرّسها إلى حين وفاته، فوليها ولده و هو مدرّسها الآن فى شعبان سنة أربع عشرة و سبعمائة. هذا كلّه كلام ابن المتوج.

و لم تزل الرّوضة متنزّها ملوكيا، و مسكنا للناس إلى أن تسلطن الملك الصالح نجم الدين أيّوب بن الكامل محمد، فأنشأ بالرّوضة قلعة، و اتّخذها سرير ملك، فعرفت بقلعة المقياس و بقلعة الروضة، و بقلعة الجزيرة و بالقلعة الصالحية. و كان الشّروع فى حفر أساسها يوم الأربعاء خامس شعبان سنة ثمان و ثلاثين و ستمائة، و وقع الهدم فى الدّور و القصور و المساجد التى كانت بجزيرة الروضة، و تحوّل الناس من مساكنهم الّتى كانت بها، و هدم كنيسة كانت لليعاقبة بجانب المقياس، و أدخلها فى القلعة، و أنفق فى عمارتها أموالا جمّة، و بنى فيها الدور و القصور، و عمل لها ستّين برجا، و بنى بها جامعا، و غرس بها جميع الأشجار، و نقل إليها من البرابى العمد الصوّان و العمد الرخام، و شحنها بالأسلحة و آلات الحرب و ما يحتاج إليها من الغلال و الأقوات خشية من محاصرة الفرنج فإنّهم كانوا حينئذ على عزم قصد بلاد مصر.

و بالغ فى إتقانها مبالغة عظيمة؛ حتّى قيل إنه استقام كلّ حجر فيها بدينار، و كلّ طوبة بدرهم، و كان الملك الصالح يقف بنفسه، و يرتّب ما يعمل، فصارت تدهش من كثرة زخرفها، و يحيّر الناظر إليها حسن سقوفها المقرنصة ، و بديع رخامها. و يقال إنّه قطع من

الموضع الذی أنشأ فیه هذه القلعة ألف نخلة مثمرة، و کان رطبها یهدی إلی ملوک مصر لحسن منظره و طیب طعمه. و خرب البستان المختار و الهودج، و هدم ثلاثة و ثلاثین مسجدا کانت بالروضة، و أدخلت فی القلعة.

و اتفق له فی بعض المساجد خبر عجیب؛ قال الحافظ جمال الدین یوسف بن أحمد الیغموری: سمعت الأمیر جمال الدین موسی بن یغمور بن جلدک، یقول: من عجیب ما شاهدته من الملک الصالح، أنّه أمرنی أن أهدم مسجدا بجزیرة مصر، فأخّرت ذلک، و کرهت أن یکون هدمه علی یدی، فأعاد الأمر، و أنا أکاسر عنه؛ فکأنّه فهم منّی ذلک، فاستدعی بعض خدمه و أنا غائب، و أمره أن یهدم ذلک المسجد، و أن یبنی فی حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة ؛ ج۲ ؛ ص۳۲۲

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۲۳

مکانه قاعة، و قدّر له صفتها، فهدم ذلک المسجد، و عمّر تلک القاعة مکانه و کملت.

و قدم الفرنج علی الدیار المصریّة، و خرج الملک الصالح مع عساکره إلیهم، و لم یدخل تلک القاعة التی بنیت فی مکان المسجد، فتوفّی السلطان بالمنصورة، و جعل فی مرکب، و أتی به إلی الروضة فجعل فی تلک القاعة التی بنیت مکان المسجد مدّة إلی أن بنیت له التربة التی فی جنب مدرسته بالقاهرة. و کان النیل فی القدیم محیطا بالرّوضة طول السنة، و کان فیما بین ساحل مصر و الروضة جسر من خشب، و کذلک فیما بین الروضة و الجیزة جسر من خشب یمرّ علیهما الناس و الدوابّ من مصر إلی الروضة، و من الروضة إلی الجیزة؛ و کان هذان الجسران من مراکب مصطفّة بعضها بحذاء بعض، و هی موثّقة، و من فوق المراکب أخشاب ممتدّة فوقها تراب.

و کان عرض الجسر ثلاث قصبات، و لم یزل هذا الجسر قائما إلی أن قدم المأمون مصر، فأحدث جسرا جدیدا، فاستمرّ الناس یمرّون علیه، و کان عبور العساکر التی قدمت من المعزّ مع جوهر القائد علی هذین الجسرین، و کان الجسر المتّصل بالروضة کرسیّه حیث المدرسة الخرویبة قبلی در النحاس، و کان النّیل عندما عزم الملک الصالح علی عمارة قلعة الروضة قد انطرد عن برّ مصر، و لا یحیط بالرّوضة إلّا فی أیام الزیادة، فلم یزل یغرق السفن فی ناحیة الجیزة، و یحفر فیما بن الروضة و مصر ما کان هناک من الرّمال، حتّی عاد ماء النیل إلی برّ مصر، و استمرّ هناک، فأنشأ جسرا عظیما ممتدّا من برّ مصر إلی الروضة، و جعل عرضه ثلاث قصبات. و کان کرسیّه حیث المدرسة الخرویّة قبلیّ دار النحاس، و صار أکثر مرور الناس بأنفسهم و دوّابهم فی المراکب؛ لأنّ الجسرین قد اجترما بحصولهما فی حیّز قلعة السلطان، و کان الأمراء إذا رکبوا من منازلهم یریدون الخدمة إلی السلطان بقلعة الروضة یترجّلون عن خیولهم عند البرّ، و یمشون فی طول الجسر إلی القلعة و لا یمکن أحد من العبور علیه راکبا، سوی السلطان فقط.

و لما کملت تحوّل إلیها بأهله و حریمه، و اتّخذها دار ملک، و أسکن معه فیها مماالیکه البحریة؛ و کانت عدتهم نحو الألف. و ما برح الجسر قائما إلی أن خرّب العز أیبک قلعة الروضة بعد سنة ثمان و أربعین و ستمائة، فأهمل، ثم عمّره الظاهر بیبرس علی المراکب، و عمله من ساحل مصر إلی الروضة، و من الروضة إلی الجیزة، لأجل عبور العسکر علیه لمّا بلغه حرکة الفرنج.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۲۴

و قال علیّ بن سعید فی کتاب المغرب- و قد ذکر الروضة: هی أمام الفسطاط فیما بینها و بین مناظر الجیزة، و بها مقیاس النیل، و کانت متنزّها لأهل مصر، فاختارها الصالح بن الکامل سریر السلطنة، و بنی فیها قلعة مسوّرة بسور ساطع اللّون، محکم البناء، عالی السّمک، لم تر عینی أحسن منه، و فی هذه الجزیرة کان الهودج الّذی بناه الآمر الخلیفة لزوجته البدویّة التی هام فی حبّها، و المختار بستان الإخشید و قصره، و له ذکر فی شعر تمیم بن المعزّ و غیره. و لشعراء مصر فی هذه الجزیرة أشعار منها قول أبی الفتح بن قادوس الدمیاطی:

أری سرح الجزیرة من بعید کأحداق تغازل فی المغازل

کأنّ مجرّة الجوزاء خطّت و أثبتت المنازل فی المنازل

و كنت أبيت بعض الليالى فى الفسطاط على ساحلها، فيزدهينى ضحك البدر فى وجه النيل. أمّا سور هذه الجزيرة الدرّىّ اللون، فلم ينفصل عن مصر حتّى كمل سور هذه القلعة، و فى داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت إليه همّة بانيها، هو من أعظم السلاطين همّة فى البناء. و أبصرت فى هذه الجزيرة إيوانا لجلوسه لم تر عينى مثاله، و لا يقدّر ما أنفق عليه، و فيه من الكتابة بصفائح الذهب و الرّخام الأبنوسىّ و الكافورىّ و المجزّع ما يذهل الأفكار، و يستوقف الأبصار، و يفصل عمّا أحاط به السور أرض طويلة فى بعضها حاظر حظر على أصناف الوحوش التى يتفرّج فيها السلطان، و بعدها بروج يتقطّع فيها مياه النيل، فينظر فيها أحسن منظر، و قد تفرّجت كثيرا فى طرق هذه الجزيرة ممّا يلى برّ القاهرة، فقطعت بها عشيّات مذهبات، لا تزال لأحزان الغربة مذهبات، و إذا زاد النيل فصل ما بينها و بين الفسطاط بالكليّة. و فى أيّام احتراق النيل يتّصل برّها ببرّ السلطان من جهة خليج القاهرة، و يبقى موضع الجسر يكون فيه المراكب.

و ركبت مرّة فى هذا النيل أيام الزيادة مع الصاحب المحسن محيى الدين بن بندار وزير الجزيرة، و صعدنا إلى جهة الصعيد ثمّ انحدرنا، و استقبلنا هذه الجزيرة و أبراجها تتلألأ، و النيل قد انقسم عنها، فقلت:

تأمّل لحسن الصالحيّة إذ بدتمناظرها مثل النجوم تلالا

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۲۵ و للقلعة الغرّاء كالبدر طالعايفرّج صدر الماء عنه هلالا

و وافى إليها الماء من بعد غيبةكما زار مشغوفا يروم وصالا

و عانقها من فرط شوق لحسنهافمدّ يمينا نحوها و شمالا

و لم تزل هذه القلعة عامرة، حتّى زالت دولة بنى أيّوب، فلمّا ملك السلطان الملك المعزّ عز الدين أيبك التركمانىّ أوّل ملوك الترك بمصر، أمر بهدمها، و عمّر منها مدرسته المعروفة بالمعزّية فى رحبة الحنّاء بمدينة مصر، و طمع فى القلعة من له جاه، و أخذ جماعة منها عدّة سقوف و شبابيك و غير ذلك، و بيع من أخشابها و رخامها أشياء جليلة. فلمّا صارت مملكة مصر إلى السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارىّ اهتمّ بعمارة قلعة الروضة، و رسم للأمير جمال الدين موسى بن يغمور أن يتولّى عمارتها كما كانت. فأصلح بعض ما تهدّم منها، و رتّب بها الجاندارية و أعادها إلى ما كانت عليه من الحرمة، و أمر بأبراجها ففرّقت على الأمراء، و أعطى برج الزاوية للأمير سيف الدين قلاوون الألفىّ، و البرج الذى يليه للأمير عز الدين الحلّى، و البرج الثالث من برج الزاوية للأمير عز الدين أدغان ، و أعطى برج الزاوية الغربى للأمير بدر الدين الشمسىّ، و فرّقت بقيّة الأبراج على سائر الأمراء. و رسم أن يكون بيوت جميع الأمراء و إصطبلاتهم فيها، و سلّم المفاتيح لهم، فلمّا تسلطن الملك المنصور قلاوون، و شرع فى بناء المارستان و القبّة و المدرسة المنصوريّة نقل من قلعة الروضة هذه ما يحتاج إليه من العمد الصّوّان و العمد الرّخام التى كانت قبل عمارة القلعة بالبرابى، و أخذ منها رخاما كثيرا، و أعتابا جليلة ممّا كان بالبرابى و غير ذلك. ثم أخذ منها السلطان الناصر محمد ابن قلاوون ما احتاج إليه من العمد الصوّان فى بناء الإيوان المعروف بدار العدل من قلعة الجبل و بالجامع الجديد الناصرىّ ظاهر مدينة مصر، و أخذ غير ذلك حتّى ذهبت كأن لم تكن.

قال المقريزىّ : و تأخّر منها عقد جليل تسمّيه العامّة القوس، كان مما يلى جانبها الغربىّ أدركناه باقيا إلى نحو سنة عشرين و ثمانمائة، و بقى من أبراجها عدّة قد انقلب كثير منها، و بنى الناس فوقها دورهم المطلّة على النيل، و عادت الروضة بعد هدم القلعة منها متنزّها، تشتمل على دور كثيرة، و بساتين عدّة، و جوامع تقام بها الجمعات و الأعياد، و مساجد. و فى الروضة يقول الأسعد بن مماتى:

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۲۶ جزيرة مصر لا عدتك مسرّةو لا زالت اللّذات فيك اتّصالها

فكم فيك من شمس على غصن بانةيميت و يحيى هجرها و وصالها

مغانيك فوق النيل أضحت هوادجاو مختلفات الموج فيها جمالها

و من أعجب الأشياء أنك جنّةترفّ على أهل الضلال ظلالها

و قال ظافر الحداد:

انظر إلی الروضة الغرّاء و النیلو اسمع بدائع تشبیهی و تمثیلی
و انظر إلی البحر مجموعا و مفترقاهناک أشبه شیء بالسراویل
و الریح تطویه أحیانا و تنشرهنسیمها بین تفریک و تعدیل
الأسعد بن ممّاتی فی الروضة، و قد حلّها السلطان الملک الکامل:
جزیرة مصر، أنت أشرف موضععلی الأرض لمّا حلّ فیک محمد
و فیک علا البحران لکنّ کفّ ذاعلی الناس أندی بالعطاء و أجود
و أصبحت الأغصان من فرح بهتمایل، و الأطیار فیک تغرّد
یرقّ نسیم حین سار و جدولو یشدو هزار حین یرقص أملد

ذکر خلیج مصر

قال المقریزیّ: هذا الخلیج بظاهر فسطاط مصر، و یمرّ من غربیّ القاهرة، و هو خلیج قدیم احتفره بعض قدماء ملوک مصر بسبب هاجر أمّ إسماعیل حین أسکنها إبراهیم علیه السّلام بمکّة، ثم تمادته الدهور و الأعوام، فجدّد حفره ثانیا بعض من ملک مصر من ملوک الرّوم بعد الإسکندر، فلمّا فتحت مصر علی ید عمرو بن العاص، جدّد حفره بإشارة أمیر المؤمنین عمر بن الخطاب، فحفر عام الرّمادة، و کان یصبّ فی بحر القلزم کما تقدّم فی أوّل الکتاب، و لم یزل علی ذلک إلی أن قام محمد بن عبد اللّه بن حسن ابن حسن بن علیّ بن أبی طالب بالمدینة، فکتب الخلیفة المنصور إلی عامله بمصر أن
حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۲۷
یطمّ هذا الخلیج حتّی لا تحمل المیرة من مصر إلی المدینة، فطمّ و انقطع من حینئذ اتصاله ببحر القلزم، و صار علی ما هو علیه الآن.
و کان هذا الخلیج یقال له أولا خلیج أمیر المؤمنین- یعنی عمر بن الخطاب- لأنّه الذی أشار بتحدید حفره، ثمّ صار یقال له خلیج مصر؛ فلمّا بنیت القاهرة بجانبه من شرقیّه صار یعرف بخلیج القاهرة، و الآن تسمّیه العامة بالخلیج الحاکمیّ. و تزعم أنّ الحاکم احتفره، و لیس بصحیح. و کان اسم الذی حفره فی زمن إبراهیم علیه السّلام طوطیس و هو الجبّار الذی أراد أخذ سارة، و جری له معها ما جری، و وهب لها هاجر. فلمّا سکنت هاجر مکّة وجّهت إلیه تعرّفه أنّها بمکان جدب، فأمر بحفر نهر فی شرقیّ مصر بسفح الجبل حتّی ینتهی إلی مرفأ السفن فی البحر الملح؛ فکان یحمل إلیها الحنطة، و أصناف الغلات، فتنقل إلی جدّة، و یحمل من هناک علی المطایا، فأحیا بلد الحجاز مدّة. و کان اسم الذی حفره ثانیا أردیان قیصر، و کان عبد العزیز بن مروان بنی علیه قنطرتین فی سنة تسع و ستّین، و کتب اسمه علیها، ثمّ جدّدهما تکین أمیر مصر فی سنة ثمانی عشرة و ثلاثمائة، ثمّ جدّدهما الإخشید فی سنة إحدی و ثلاثین و ثلاثمائة ثم عمرتا فی أیام العزیز، و کان موضع هاتین القنطرتین خلف خط السبع سقایات و هی التی کانت تفتح عند وفاء النیل فی زمن الخلفاء، و کان الخلیفة یرکب لفتح الخلیج. فلما انحسر النیل عن ساحل مصر، و ربا الجرف أهملت هذه القنطرة فدثرت، و عملت قنطرة السدّ عند فم بحر النیل، و کان الذی أنشأها الملک الصالح أیّوب فی سنة بضع و أربعین و ستمائة.
قال ابن عبد الظاهر : و أوّل من رتّب حفر خلیج القاهرة علی الناس المأمون بن البطائحیّ، و جعل علیه والیا بمفرده.
و لأبی الحسن بن الساعاتی فی کسر یوم الخلیج:
إنّ یوم الخلیج یوم من الحسن بدیع المرئیّ و المسموع
کم لدیه من لیث غاب صؤولو مهاة مثل الغزال المروع
حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۲۸ و علی السّدّ عزّة قبل أنتملکه ذلّة المحبّ الخضوع
کسروا جسره هناک فحاکی کسر قلب یتلوه فیض دموع

ذکر الخلیج الناصریّ

حفره الملک الناصر محمد بن قلاوون فی سنهٔ خمس و عشرین و سبعمائهٔ ، لما بنی الخانقاه بسریاقوس ، فأراد إجراء الماء من النیل إلیها لیرتب علیه السواقی و الزراعات، و فوّض أمره إلی أرغون النائب، فحفر فی مدّهٔ شهرین من أول جمادی الأولی إلی سلخ جمادی الآخرهٔ، و بنی فخر الدین ناظر الجیش علیه قنطرهٔ، و بنی قدیدار والی القاهرهٔ قنطرهٔ قدیدار و قناطر الإوزّ و قناطر الأمیریّهٔ .

ذکر برکهٔ الحبش

قال ابن المتوّج: هذه البرکهٔ مشهورهٔ فی مکانها، و قد اتصل وقفها علی قاضی القضاهٔ بدر الدین بن جماعهٔ علی أنّها وقف علی الأشراف الأقارب و الطالبیّین نصفین بینهما بالسویّهٔ، النّصف علی الأقارب و النصف علی الطالبیّین، و ثبت قبله عند قاضی القضاهٔ بدر الدین یوسف السنجاریّ أنّ النصف منها وقف علی الأشراف الأقارب بالاستفاضهٔ بتاریخ ثانی عشر ربیع الآخر سنهٔ أربعین و ستمائهٔ، و ثبت قبله عند قاضی القضاهٔ عزّ الدّین عبد العزیز بن عبد السلام بالاستفاضهٔ أیضا أنّها وقف علی الأشراف و الطالبیّین بتاریخ التاسع و العشرین من ربیع الآخر سنهٔ أربعین و ستمائهٔ.

و فی سنهٔ إحدی و أربعین و سبعمائهٔ أمر الناصر بن قلاوون بحفر خلیج من النیل إلی حائط الرّصد ببرکهٔ الحبش، و حفر عشر آبار، کلّ بئر أربعون ذراعا، یرکب علیها السواقی لیجری الماء منها إلی القناطر التی تحمل الماء إلی القلعهٔ، فشقّ الخلیج من مجری رباط الآثار، و کان مهمّا عظیما، و أمر الناصر فی هذه السنهٔ بتجدید جامع راشدهٔ، و کان قد تهدّم غالبه.

حسن المحاضرهٔ فی أخبار مصر و القاهرهٔ، ج۲، ص: ۳۲۹

ظافر الحداد فی برکهٔ الحبش:

تأمّلت نهر النیل طولا و خلفهمن البرکهٔ الغنّاء شکل مقدّر

فکان و قد لاحت بشطّیه خضرهٔو کانت و فیها الماء باق موفّر

غمامهٔ شرب فی جواشن خضرهٔأضیف إلیها طیلسان مقوّر

أبو الصلت أمیّهٔ بن عبد العزیز الأندلسیّ:

للّه یوم ببرکهٔ الحبشو الأفق بین الضیاء و الغبش

و النّیل بین الریاح مضطرب کصارم فی یمین مرتعش

و نحن فی روضهٔ منوّقهٔدبّج بالنّور عطفها و وشی

قد نسجتها ید الغمام لنافنحن من نسجها علی فرش

ذکر ما قیل فی الأنهار و الأشجار زمن الشتاء و الربیع من الأشعار

شمس الدین بن التّلمسانیّ:

و لمّا جلا فصل الربیع محاسناو صفّق ماء النهر إذ غرّد القمری

أتاه النسیم الرطب رقّص دوحهفنقّط وجه الماء بالذهب المصری

و قال:

تغنّت فی ذرا الأوراق ورقففی الأفنان من طرب فنون

و کم بسمت ثغور الزّهر عجباو بالأکمام قد رقصت غصون

و أبو إسحاق إبراهیم بن محمد بن فتحون المخزومیّ یصف نارنجهٔ فی نهر:

و لقد رمیت مع العشیّ بنظرةفی منظر غضّ البشاشة یبهج

نهر صقیل کالحسام بشطّهروض لنا تفّاحه یتأرّج

تثنی معاطفه الصّبا فی بردةموشیّة بید الغمامة تنسج

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۳۰ و الماء فوق صفاته نارنجةتطفو به و عبابه یتموّج

حمراء قانیة الأدیم کأنّهاوسط المجرّة کوکب یتأجّج

القاضی عیاض:

کأنّما الزرع و خاماته و قد تبدّت فیه أیدی الریاح

کتائب تجفل مهزومةشقائق النعمان فیها جراح

کتب القاضی شهاب الدین بن فضل اللّه إلی الأمیر الجائی الدوادار :

بلد أنت ساکن فی رباهابلد تحسد الثّریا ثراها

قد تعالت إلی السماء بسکناک، فألقت علی البطاح رداها

جمد الطّلّ فی الزهور فخلناأنّه عقد جوهر لرباها

و جری الماء فی الریاض فقلنا:کسرت فوقه الغوانی حلاها

مثلما أنت فی معانیک فردهی فرد البلاد فی معناها

یقبّل الأرض، و ینهی أنّه لما عبر علی هذه الرّبا المعشبة، و الغدران الّتی کأنها صفائح فضة مذهّبة، ثمّ مرّ علی قریة تعرف بوسیم، تفترّ من شنب زهرها عن ثغر بسیم، استحسن مرآها، و نظم فی معناها، ما یعرضه علی الخاطر الکریم، لیوقف المملوک توقیف علیم، أو یتجاوز عن تقصیره تجاوز حلیم:

لمصر فضل باهرلعیشها الرغد النّضر

فی کلّ سفح یلتقیماء الحیاة و الخضر

و کذلک:

ما مثل مصر فی زمان ربیعهالصفاء ماء و اعتلال نسیم

أقسمت ما تحوی البلاد نظیرهالمّا نظرت إلی جمال وسیم

قال:

و ما بین أکناف البطاحمسک یذرّ علی الرّیاح

من حیث یلفی الرّوض فیأزهارها ریّان ضاحی

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۳۱ و الریح فی السّحر البهیم یطیر مسکیّ الجناح

تسری فتغتبق الغصون بها علی عین الصّباح

و النّیل فی تیّاره المنصبّ مهتزّ الصّفاح

و به السّفائن کالجبال تجول أمثال القداح

فرکبت من صهواتهادهماء ساکنة الجماح

حرّاقة تجری علی اسم اللّه فی الماء القراح

و الأفق مثل حدیقةخضراء مزهرة النواحی

تحکی المجرّة بینهانهر تدفّق فی أقاح

و اقتادت الجوزاء للّيل البهيم إلى الرواح

فكأنّه زنجيّةجذبت بأطراف الوشاح

و بدا الصباح كوجه الجانى المهلّل لامتداحى

و قال:

و حديثة غنّى الرباب لها بتوقيع السّحاب

فتمايلت حتى لقدرقصت على صوت الرّباب

و قال:

فى نيل مصر مراكبتحوى بدور المواكب

فكم بها الفلك فى مجراه تسرى الكواكب

ابن عبد الظاهر:

روض به أشياء ليست فى سواه تؤلّف

فمن الهزار تهازرو من القضيب تقصّف

و من النّسيم تلطّفو من الغدير تعطّف

نور الدين علىّ بن سعد الغمارىّ الأندلسىّ:

كأنّما النهر صفحة كتبتأسطرها و النّسيم منشئها

لمّا أبانت عن حسن منظرهامالت عليه الغصون تقرؤها

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۳۲

الصّلاح الصفدىّ:

قال خلّى: بالله صف أرض مصروقت كتّانها بوصف محقّق

قلت: أرض بالنيل يروى ثراهافلهذا الكتّان نور أزرق

و قال:

لم لا أهيم بمصرو أرتضيها و أعشق

و لم تر العين أحلىمن مائها إن تملّق

ابن الواسطىّ:

كأنّما السّفن بأرجائهاو هى على الماء جريّات

عقارب فى رفع أذنابهاتسرى على أبطن حيّات

ابن الساعاتى:

و لقد ركبت البحر و هو كحليةو الموج تحسبه جيادا تركض

و كأنّما سلّت به أمواجهبيضاء تذهب تارة و تفضّض

كلّ يصحّ إذا تصحّ حياتهإلّا النسيم يصحّ ساعة يمرض

مجير الدين بن تميم:

يا حسنه من جدول متدفّقيلهى برونق حسنه من أبصر

ما زلت أنذره عيونا حولهخوفا عليه أن يصاب فيعثر

فأبی و زاد تمادیا فی جریهحتّی هوی من شاهق فتکسّر

و قال:

و حدیقة مالت بعاطف دوحها من غیر سکر

و النهر ساج قد غدابسعادة الأغصان یجری

و قال:

لم لا أهیم إلی الریاض و حسنهاو أظلّ منها تحت ظلّ واف

و الرّوض حیّانی بثغر باسمو الماء یلقانی بقلب صاف

و قال:

و نهر خالف الأهواء حتّیغدت طوعا له فی کلّ أمر

إذا سرقت حلی الأغصان ألقتإلیه بها فیأخذها و یجری

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۳۳

و قال:

تأمّل إلی الدّولاب و النّهر إذ جریو دمعهما بین الرّیاض غدیر

کأنّ نسیم الرّوض قد ضاع منهمافأصبح ذا یجری و ذاک یدور

ناصر الدین بن النقیب:

و روضة توسوس الغصن بهالمّا هدی فیها النسیم الشّمال

قد جنّ فی أرجائها جدولهافهو علی وجه الثّری سلسال

آخر:

و حدیقة باکرتها مطلولةو الشمس ترشف ریق أزهار الرّبا

یتکسّر الماء الزّلال علی الحصافإذا أتی نحو الریاض تشعّبا

آخر:

میاه بوجه الأرض تجری کأنّهاصفائح تبر قد سبکن جداولا

کأنّ بها من شدّة الجری جنّة و قدألبستهنّ الریاح سلاسلا

ابن قزل:

کأنّما النّهر إذ مرّ النّسیم بهو الغیم یهمی وضوء البرق حین بدا

رشق السهام و لمع البیض یوم وغیخاف الغدیر سطاها فاکتسی زردا

آخر:

یا حسن وجه النّهر حین بداو السّحب تهطل فوقه هطلا

فکأنّه درع و قد ملأتأیدی الکماة عیونه نبلا

الغزیّ:

فی روضة قرن النّهار نجومهابسنا ذکاء فزادهنّ توقّدا

و انجرّ فوق غدیرها ذیل الصّباسحرا فأصبحت الصفیحة مبردا

تاج الدین مظفّر الذهبیّ:

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۳۴ و جدول خطّ فیهسطر بکفّ القبول

بدا علیه ارتعاش کذاک خطّ القلیل

الشهاب المحمود:

و السّرو مثل عرائس لفّت علیهنّ الملاء

شمّرن فضل الأزر عن سوق خلاخلهنّ ماء

و النّهر کالمرآة تبصر وجهها فیه السّماء

قاضی القضاة مجیر الدین بن العدیم:

کأنّما النّهر و قد حفّت به أشجاره فصافحته الأغصن

مرآة غید قد وقفن حولها ینظرن فیها: أیّهنّ أحسن!

آخر:

شجرات الخریف تکثر من غیر سؤال إلی الریاح نشاطا

تتعرّی من لبسها و هو تبرثم تلقیه للندیم بساطا

آخر:

النظر إلی الرّوض النضیر فحسنه العین قرّه

فکأن خضرته السّماء و نهره فیه المجرّه

ابن وکیع:

غدیر یجعّد أمواهه هبوب الریاح و مرّ الصّبا

إذا الشمس من فوقه أشرقت توهمته جوشنا مذهّبا

سیف الدین علیّ بن قزل :

فی یوم غیم من لذاذة جوّه غنّی الحمام و طابت الأنداء

و الرّوض بین تکبّر و تواضع شمخ القضیب به و خرّ الماء

آخر:

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۳۵ أیا حسنها من روضة ضاع نشرها فنادت علیه فی الرّیاض طیور

و دولابها أضحی تعدّ ضلوعه لکثرة ما یبکی بها و یدور

سعد الدین بن شیخ الصوفیّة محیی الدین بن عربیّ:

شاهدت دولابا له أدمع تکلّفت للروض بالرّیّ

فاعجب له من فلک دائرا ما فیه برج غیر مائیّ

آخر:

و ناعورة فارقت بواکی من جنسها

تدور علی قلبها و تبکی علی نفسها

وجیه الدین المناویّ:

فوّارة تحسب من حسنها سبیکة من فضّة خالصه

تلهیک بالحسن فقد أصبحت جاریة ملهیة راقصه

الصلاح الصفدیّ:

النّهر مولی و النسیم خدیمههذا کلام لست فیه أشکّک

لو لم یکن فی خدمة النهر انبریما کان یصقل ثوبه و یفرّک

و قال:

لمّا زها زهر الربیع بروضةو غدا له الفضل المبین علیه

قام الحمام له خطیبا بالثّناو جری الغدیر فخرّ بین یدیه

مجیر الدین بن تمیم:

تکسّر الماء لمّا جری فغدا الدّولاب یندبه شجوا و یبکیه

و أصبح الغصن بالأوراق ملتطماو الورق فوق کراسی الدّوح ترثیه

و قال:

و النهر مذ علق الغصون محبّةأضحت تطیل صدوده و جفاه

فنراه یجری لاثما أقدامهاو خریره شکوی الّذی یلقاه

و قال:

بعث الربیع رسالة بقدومهللرّوض، فهو بقربه فرحان

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۳۶ و لطیب ما قرأ الهزار بشدوهمضمونها مالت له الأغصان

شمس الدین بن التّلمسانیّ:

کأنّما البرق خلال السّمامن فوق غیم لیس بالکابی

طراز تبر فی قبا أزرقمن تحته فروة سنجاب

و قال:

فصل الشتا منح النّواظر نضرةلمّا کسا الألوان و هی عوار

لم یلبس الغبراء لین مطارفحتّی کسا الزرقاء بیض إزار

مجیر الدین بن تمیم:

و دولاب روض کان من قبل أغصناتمیس فلمّا فرقتها ید الدهر

تذکّر عهدا بالریاض فکلّهعیون علی أیام عصر الصّبا تجری

آخر:

و ناعورة قد ضاعفت بنواحهانواحی، و أجرت مقلتیّ دموعها

و قد ضعفت مما تئنّ و قد غدتمن الضعف و الشکوی تعدّ ضلوعها

نور الدین علیّ بن سعد الأندلسیّ:

للّه دولاب یفیض بسلسلفی روضة قد أینعت أفنانا

قد طارحت فیه الحمام بشجوهاو نحیبها فترجّع الألحانا

فکأنّه دنف یطوف بمعهدیبکی و یسأل فیه عمّن بانا

ضاقت مجاری طرفه عن دمعهفتفتّحت أضلاعه أجفانا

ابن منیر الطرابلسیّ فی ناعورة:

هی مثل الأفلاک شکلا و فعلاقسمت قسم جاهل بالحقوق

بین عال سام ینکّسه الحظّو یعلو بساحل مرزوق

آخر:

النّهر مکسوّ غلالهٔ فضّهٔفإذا جری سیل فثوب نضار

و إذا استقام رأیت صفحهٔ منصلو إذا استدار رأیت عطف سوار

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۳۷

إبراهیم بن خفاجهٔ الأندلسیّ:

النّهر قد رقّت غلالهٔ خصرهو علیه من صبغ الأصیل طراز

تترقرق الأمواج فیه کأنّهاعکن الخصور تهزّها الأعجاز

بعضهم:

إنّ هذا الربیع شیء عجیبتضحک الأرض من بکاء السماء

ذهب حیثما ذهبنا و درّحیث درنا و فضّهٔ فی الفضاء

ابن قلاقس:

کأنّما الرّعد و السّحاب و قدحلّا سویّا و البرق قد لاحا

ثلاثهٔ من عدوّهم نفرواو قد غدا نحوهم و قد راحا

فسلّ ذا سیفه، و بکی هذا، و هذا من خیفهٔ صاحا

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۳۸

ذکر الریاحین و الأزهار الموجودة فی البلاد المصریة و ما ورد فیها من الآثار النبویة و الأشعار الأدبیة و الإشارات الصوفیة

ما ورد فی الفاغیة

و هی نور الحنّاء.

أخرج البیهقیّ فی شعب الإیمان عن بریدة، قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: «سیّد الریاحین فی الدنیا و الآخرة الفاغیة».

و أخرج البیهقیّ عن أنس، قال: کان أحبّ الریاحین إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم الفاغیة.

*** ما ورد فی الورد

رویت فیه أحادیث کلّها موضوعة، منها حدیث علیّ مرفوعا: «لمّا أسری بی إلی السماء، سقط إلی الأرض من عرقی، فنبت منه الورد، فمن أحبّ أن یشمّ رائحتی فلیشمّ الورد». اخرجه ابن عدیّ فی کامله.

و حدیث أنس مرفوعا: «الورد الأبیض خلق من عرقی لیلهٔ المعراج، و خلق الورد الأحمر من عرق جبریل، و الورد الأصفر من عرق البراق»، أخرجه ابن فارس فی کتاب الریحان.

و الحدیثان أوردهما ابن الجوزیّ فی الموضوعات، و نصّ علی وضع الثانی أیضا الحافظ الکبیر أبو القاسم بن عساکر.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۳۹

قال صاحب مباهج الفکر: کان الخلیفهٔ المتوکّل قد حمی الورد، و منعه من الناس کما حمی النعمان بن المنذر الشّقیق و استبدّ به، و

قال: لا يصلح للعامّة، فكان لا يرى إلا فى مجلسه. و كان يقول: أنا ملك السلاطين، و الورد ملك الرياحين، و كلّ منّا أولى بصاحبه. و إلى هذا أشار ابن سكّرة بقوله:

للورد عندى محلّ لأنّه لا يملّ

كلّ الرياحين جندو هو الأمير الأجل

إن جاء عزّوا و تاهواحتّى إذا غاب ذلّوا

قال ابن البيطار فى مفرداته: الورد أصناف: أحمر، و أبيض، و أصفر، و أسود.

زاد غيره: و أزرق.

و حكى صاحب كتاب نشوار المحاضرة، أنّه رأى وردا أسود حالك السواد، له رائحة ذكيّة، و أنه رأى بالبصرة وردة نصفها أحمر قانىء الحمرة، و نصفها الآخر أبيض ناصع البياض، و الورقة التى وقع الخطّ فيها كأنّها مقسومة بقلم.

قال صاحب مباهج الفكر: رأينا بثغر الإسكندرية الورد الأصفر كثيرا، و عددت ورق وردة، فكانت ألف ورقة.

قال: و حكى لى بعض الأصحاب أنّه رأى بحلب ورقة لها و جهان: أحدهما أحمر و الآخر أصفر.

قال: و حكى بعض الأصحاب أنّه رأى آبارا تجرى إلى شجر الورد ماء مخلوطا بالنيل، فسأله فقال: إنّ الورد يكون أزرق بهذا العمل.

قال صاحب المباهج: و الظاهر من الورد الأسود، أنّه احتيل عليه كذلك. و قال الحافظ الذهبىّ فى الميزان: روى قريش عن أنس عن كليب بن وائل- و كليب نكرة لا يعرف- أنّه رأى بالهند ورقا فى الوردة مكتوب فيه «محمد رسول اللّه».

و روى ابن العديم فى تاريخه بسنده إلى علىّ بن عبد اللّه الهاشمى الرّقىّ، قال:

دخلت الهند، فرأيت فى بعض قراها وردة كبيرة طيّبة الرائحة، سوداء، عليها مكتوب بخطّ أبيض «لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق». فشككت فى

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۴۰

ذلك، و قلت: إنّه معمول، فعمدت إلى وردة لم تفتح، ففتحتها، فكان فيها مثل ذلك، و فى البلد منه شىء كثير، و أهل تلك القرية يعبدون الحجارة، لا يعرفون اللّه عزّ و جل.

و يقال: ورد جور، و نرجس جرجان، و نيلوفر شروان، و منثور بغداد، و زعفران قمّ، و شاهسبرم سمرقند.

قال أبو العلاء صاعد الأندلسىّ فى باكورة ورد:

و دونك يا سيّدى وردةيذكّرك المسك أنفاسها

كعذراء أبصرها مبصرفغطّت بأكمامها رأسها

آخر:

وردة تحكى أمام الوردطليعة سابقة للجند

قد ضمّها فى الغصن قرّ البردضمّ فم لقبلة من بعد

أبو عبادة البحترىّ :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكامن الحسن حتّى كاد أن يتكلّما

و قد نبّه النّوروز فى غسق الدّجىأوائل ورد كنّ بالأمس نوّما

يفتّحه برد النّدى فكأنّمايبثّ حديثا بينهنّ مكتّما

محمد بن عبد اللّه بن طاهر:

أما ترى شجرات الورد مظهرةلنا بدائع قد ركّبن فى قصب

کأنّهنّ یواقیت یطیف بهازبرجد وسطه شذر من الذهب

یقال إنّه نظم هذین البیتین من قول أزدشیر بن بابک، و قد وصف الورد: هو درّ أبیض، و یاقوت أحمر، علی کراسیّ زبرجد أخضر، بوسطه شذر من ذهب أصفر.

الناشیء :

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۴۱ قضب الزبرجد قد حملن عقائقاأثمارهنّ قراضة العقیان

و کأنّ دمع القطر فی أهدابهدمع مرته فواتر الأجفان

محمد بن عبد اللّه بن طاهر:

مداهن من یواقیت مرکبةعلی الزّبرجد فی أجوافها ذهب

کأنّه حین یبدو من مطالعهصبّ یقبّل حبّا و هو یرتقب

خاف الملال إذا طالت إقامتهفظلّ یظهر أحیانا و یحتجب

أبو طالب الرّقّی:

و وردة من نبات معطارحیّت بها فی لطیف أسرار

کأنّها وجنة الحبیب و قدنقّطها عاشق بدینار

العماد الأصبهانی :

قلت للورد: ما لشوکک یدمی کلّ ما قد سعرت منه جراحی

قال لی: هذه الرّیاحین جندیأنا سلطانها، و شوکی سلاحی

فی الورد الأصفر لبعضهم:

رعی اللّه وردا غدا أصفرابهیّا نضیرا یحاکی النّضارا

و أسقی غصونا به أثمرتو حمّلن منه شموسا صغارا

المؤیّد الطغرائی:

شجرات ورد أصفر تخذتفی قلب کلّ متیّم طربا

سبکت ید الغیم اللّجین لهافکسته صبغا مونقا عجبا

من ذا رأی من قبله شجراسقی اللّجین فأثمر الذهبا

و قال:

أ لم تر أنّ جند الورد وافیبصفر من مطارده و خضر

أتی مستلئما بالشّوک فیهنصال زمرّد و تراس تبر

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۴۲

فی الورد الأزرق من وصف بستان لبعضهم:

و به وارد من الورد قد أینع فی رقّة الهواء اللطیف

شبّهوه بدمعة العاشق الآلف نالته جفوة من ألیف

فهو یحکیه زرقة و مثال القرص لونا فی خدّ ظبی تریف

ورق أزرق کزرق یواقیت تطلّعن من لجین مشوف

فی الورد الأبیض للسریّ الرّفاء:

و روض کساه الغیث إذ جاد دمعهمجاسد و شی من بهار و منثور

بدا أبیض الورد الجنیّ کأنّماتنسّم للناشیء بمسک و کافور

کأنّ اصفرارا منه تحت ابیضاضهبرادة تبر فی مداهن بلّور

فی الورد الأسود لأبی أحمد الطراریّ:

للّه أسود ورد ظلّ یلحظنامن الرّیاض بأحداق الیعافیر

کأنّها وجنات الزنج نقّطهاکفّ الإمام بأنصاف الدنانیر

آخر:

و ورد أسود خلناه لمّاتنشّق نشره ملک الزمان

مداهن عنبر غضّ و فیهابقایا من سحیق الزعفران

علیّ بن الرومیّ یهجو الورد:

یا مادح الورد لا ینفکّ من غلطهأ لست تنظره فی کفّ ملتقطه؟

کأنّه سرم بغل حین یبرزهعند البراز، و باقی الرّوث فی وسطه

قال ابن المعتزّ یردّ علیه:

یا هاجی الورد لا حیّیت من رجلغلطت، و المرء قد یؤتی علی غلطه

هل تنبت الأرض شیئا من أزاهرهاإذا تحلّت یحاکی الوشی من نمطه

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۴۳ أحلی و أشهر من ورد له أرج کأنّما المسک مذرور علی وسطه؟

علیّ بن الرومیّ یفضل النرجس علی الورد:

أیّها المحتجّ للور د بزور و محال ذهب النّرجس بالفضل فأنصف فی المقال لا تقاس الأعین النّجل بأسرام البغال أبو هلال العسکریّ یردّ علیه:

أفضل الورد علی النّرجسلا أجعل الأنجم کالأشمس

لیس الذی یقعد فی مجلسمثل الّذی یمثل فی مجلس

علیّ بن سعید المؤرّخ:

من فضّل النرجس فهو الذییرضی بحکم الورد إذ یرأس

أما تری الورد غدا قاعداو قام فی خدمته النّرجس؟

و الناس یشبّهون عدم دوام الورد بقلّة بقاء الودّ، و لهذا کتب أبو دلف إلی عبد اللّه بن طاهر یعاتبه:

أری حبّکم کالورد لیس بدائمو لا خیر فیمن لا یدوم له عهد

و ودّی لکم کالآس حسنا و نضرةله زهرة تبقی إذا فنی الورد

فأجابه عبد اللّه بن طاهر:

و شبّهت ودّی الورد و هو شبیههو هل زهرة إلّا و سیّدها الورد؟

و ودّک کالآس المریر مذاقهو لیس له فی القلب قبل و لا بعد

و اعتذر دیک الجن عن قلّة لبث الورد فقال:

للورد حسن و إشراق إذا نظرتإلیه عین محبّ هاجه الطّرب

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۴۴ خاف الملال إذا دامت إقامتهفصار یظهر حینا ثمّ یحتجب

ما ورد فی النرجس

روی فیه حدیث موضوع، أخرجه الدیلمیّ فی مسند الفردوس، و ابن الجوزیّ فی الموضوعات بسند مسلسل بالقضاة عن علیّ مرفوعا: «شمّوا النّرجس و لو فی الیوم مرّة، و لو فی الشهر مرّة، و لو فی السنة مرّة، و لو فی الدهر مرّة، فإنّ فی القلب حبّة من الجنون و الجذام البرص لا یقطعها إلّا شمّ النرجس».

قال بقراط: کلّ شیء یغذو الجسم و النّرجس یغذو العقل.

و قال جالینوس: من کان له رغیف فلیجعل نصفه فی النرجس، فإنه راعی الدماغ، و الدماغ راعی العقل.

و قال الحسن بن سهل: من أدمن شمّ النّرجس فی الشتاء أمن البرسام فی الصیف.

و قال بعض الأدباء: النرجس نزهة الطّرف، و طرف الظرف، و غذاء الروح، و مادة الروح. و کان کسری أنوشروان مغرما بالنّرجس، و یقول: هو یاقوت أصفر بین درّ أبیض علی زمرّد أخضر.

و قال: إنی لأستحی أن أباضع فی مجلس فیه النّرجس لأنّه أشبه شیء بالعیون الناظره.

و قال الشاعر:

فإذا قضیت لنا بعین مراقبفی الحبّ فلیک من عیون النّرجس

أبو نواس :

لدی نرجس غضّ القطاف کأنّهإذا ما منحناه العیون عیون

مخالفة فی شکلهنّ فصفرةمکان سواد و البیاض جفون

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۴۵

ابن المعتزّ :

کأنّ عیون النرجس الغضّ بیننامداهن تبر حشوهنّ عقیق

إذا بلّهنّ القطر خلت دموعهابکاء جفون کحلهنّ خلوق

کشاجم:

کأنّما نرجسناو قد تبدّی من کثب

أنامل من فضّةیحملن کأسا من ذهب

الصّنوبریّ :

أضعف قلبی النرجس المضعفو لا عجیب إن صبا مدنف

کأنّه بین ریاحیننااعشار آی ضمّها مصحف

ابن مکنسة:

و نرجس إلی حداثق الرّبا محدّق

کأنّما صفرتهعلی بیاض یقق

أعشار جزء أذهبتفی ورق من ورق

أبو بکر بن حازم:

و نرجس ککؤوس التّبر لائحةمن الزّبرجد قد قامت بها ساق

کأنّها من عیون هدبها ورقلهنّ من خالص العقیان أحداق

آخر:

و أحسن ما فی الوجوه العیون و أشبه شیء بها النّرجس

یظلّ یلاحظ وجه النّدیم فردا وحیدا فیستأنس

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۴۶

الصّنوبریّ:

و عندنا نرجس أنیق تحیا بأنفاسه النفوس

کأنّ أجفانه بدور کأنّ أحداقه شموس

و قال:

أ رأیت أحسن من عیون النرجس أو من تلاحظهنّ وسط المجلس

درّ تشقّق عن یواقیت علی قضب الزبرجد فوق بسط السندس

ابن الرومیّ:

و نرجس کالثغور مبتسم له دموع المحدق الشاکی

أبکاه قطر الندی و أضحکه فهو مع القطر ضاحک باکی

و قال:

انظر إلی نرجس فی روضة أنف غنّاء قد جمعت شتّی من الزّهر

کأنّ یاقوتة صفراء قد طبعت فی غصنها حولها ستّ من الدرر

آخر:

أبصرت باقة نرجس فی کفّ من أهواه غضّه

فکأنّها قضب الزّبرجد قمّعت ذهبا و فضّه

و من رسالة لضیاء الدین الأثیر یصف منتزها: جاء فیها فی وصف النرجس: فمن جانی نرجس یقول: هذا صاحب القدّ المائس، و الذی عینه عین متیقّظ وجیده جید ناعس، و هو بکر الربیع و البکر أکرم الأولاد علی الوالد، و قد جعل ذا لونین اثنین؛ إذ لم یحظ غیره إلا بلون واحد.

ما ورد فی البنفسج

فیه أحادیث ذکرها ابن الجوزیّ فی الموضوعات، منها حدیث أبی سعید مرفوعا:

«فضل دهن البنفسج علی سائر الأدهان، کفضلی علی سائر الخلق، بارد فی الصیف حارّ فی الشتاء». أخرجه ابن حبّان فی تاریخ الضعفاء و الحاکم فی تاریخ نیسابور و الدیلمیّ فی مسند الفردوس. و ورد أیضا بهذا اللفظ من حدیث أبی هریرة و أنس أخرجهما الخطیب البغدادیّ، و من حدیث علیّ أخرجه ابن الجوزیّ و قال فی الأربعة: إنّها موضوعة.

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۴۷

و أخرج أبو نعیم فی الحلیة من حدیث الحسین بن علیّ مرفوعا: «فضل دهن البنفسج علی سائر الأدهان، کفضل ولد عبد المطلب علی سائر قریش، و فضل البنفسج کفضل الإسلام علی سائر الأدیان». قال أبو نعیم: هذا حدیث غریب من حدیث جعفر بن محمد، لم نکتبه إلا بهذا الإسناد عن هذا الشیخ، أفادنا إیّاه الدارقطنی، و أخرجه ابن الجوزیّ فی الموضوعات أیضا.

قال ابن وحشیّة: البنفسج نوعان: جبلیّ و بستانیّ، و الجبلیّ دقیق الورق، أزرق اللون، و البستانیّ عریض الورق حائک اللون، و یوجد

فیه الأبیض علی لون الشمع، و لا یوجد إلّا بمصر، و یسمّی الکوفیّ. و من عجیب أمره أنّ الإنسان إذا تغوّط فی مجاری الماء إلیه مات و ذبل، و کذا إن خرج منه ریح فی مزرعته، و أنّه إذا دام علیه الضباب یوما أو نحوه ضعف، و متی توالی نقصت زهرته، و صغر ورقه، و تغیّرت رائحته؛ و من الأشیاء المضادّة له القصب، فإنّه لا یکاد یفلح بقربه و لا ینمی، و إن وقعت صاعقة علی أربعمائة ذراع منه فأقل هلک سریعا. و یفسده أیضا البرد و الرّعد الشدید المتتابع و السموم و ریح الشمال الباردة و المطر الکثیر و ماء الآبار و الدخان و تراب المقبرة.

و من رسالة لأبی العلاء عطارد بن یعقوب الخوارزمیّ یصف بنفسجة: سماویّة اللباس، مسکیّة الأنفاس، واضعة رأسها علی رکبتها کعاشق مهجور، تنطوی علی قلب مسجور، کبقایا النقش فی بنان الکاعب، أو النّقس فی أصابع الکاتب، أو الکحل فی الألحاظ الملاح، المراض الصحاح، الفاترات الفاتنات، المحییات القاتلات، لازوردیة أربت بزرقتها علی زرق الیواقیت، کأوائل النار فی أطراف کبریت، أو أثر القرص فی خدود العذاری.

أو عذار خلعت فیه العذارا أبو القاسم بن هذیل الأندلسیّ:

بنفسج جمعت أوراقه فحکت کحلا تشرّب دمعا یوم تشتیت

أو لازوردیّة أوفت بزرقتهاوسط الریاض علی زرق الیواقیت

کأنّه و ضعاف القضب تحملهأوائل النار فی أطراف کبریت

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۴۸

آخر:

بنفسج بذکیّ الریح مخصوص‌ما فی زمانک إذ وافاک تنغیص

کأنّما شعل الکبریت منظرهأو خدّ أغید بالتخمیش مقروص

آخر:

ماس البنفسج فی أغصانه فحکیزرق الفصوص علی بیض القراطیس

کأنّه وهبوب الریح تعطفهبین الحدائق أعراف الطواویس

آخر فی البنفسج الأبیض:

کأنّ البنفسج فیما حکیلطائف أخلاقک المونقه

یلوح و من تحت طاقاتهفصوص من الفضّة المحرقه

الأمیر عبد اللّه المیکالیّ:

یا مهدیا لی بنفسجا أرجایرتاح صدری له و ینشرح

بشّرنی عاجلا مصحّفهبأنّ ضیق الأمور ینفسح

مجیر الدین بن تمیم الحموی:

عاینت ورد الرّوض یلطم خدّهو یقول و هو علی البنفسج محنق

لا تقربوه و إن تضوّع نشرهما بینکم فهو العدوّ الأزرق

آخر:

بنفسج الرّوض تاه عجباو قال طیبی للجوّ ضمّخ

فأقبل الزهر فی احتفالو البان من غیظه تنفّخ

ما قیل فی النّیلوفر

قال ابن التلمیذ: النیلوفر اسم فارسیّ معناه النیلیّ الأجنحة و النیلیّ الأریاش.

و قال ابن وحشیّة: الفرس تسمّیه نینوفر و العرب نیلوفر و الهند نیلوفک و النّبط نیلوفریا.

قال ابن التلمیذ: و من عاداته أن یحوّل وجهه إلی الشمس إذا طلعت، فیزید انفتاحه بزیادة علوّ الشمس، فإذا أخذت فی الهبوط ابتدأ ینضمّ علی ذلک الترتیب، حتّی ینضمّ انضماما کاملا عند الغروب، و یبقی مضموما اللیل کلّه، فإذا طلعت أخذ فی

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۴۹

انفتاح، و هذا دأبه أبدا. قال: و هو نبات قمریّ یزید بزیادة القمر، و ینقص بنقصانه.

أبو بکر الزبیدی الأندلسیّ:

و برکة تزهو بنیلوفرنسیمها یشبه ریح الحبیب

حتّی إذا اللیل دنا وقتهو مالت الشمس لوقت المغیب

أطبق جفنیه علی جیبهو غاص فی البرکة خوف الرقیب

آخر:

و برکة أحیا بها ماؤهامن زهرها کلّ نبات عجیب

کأنّ نیلوفرها عاشقنهاره یرقب وجه الحبیب

حتّی إذا اللّیل بدا نجمهو انصرف المحبوب خوف الرقیب

أطبق جفنیه عسی فی الکریبصر من فارقه من قریب

آخر:

یا حبّذا برکة نیلوفرقد جمعت من کلّ فنّ عجیب

أزرق فی أحمر فی أبیض کقرصة فی صحن خدّ الحبیب

کأنّه یعشق شمس الضحیفانظره فی الصبح و عند المغیب

إذا تجلّت یتجلّی لهاحتّی إذا غاب سناها یغیب

آخر: حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة ؛ ج۲ ؛ ص۳۴۹

کلّنا باسط الیدنحو نیلوفر ندی

کدبابیس عسجد قضبها من زبرجد

آخر:

انظر إلی برکة نیلوفرمحمّرة الأوراق خضراء

کأنّما أزهارها أخرجتألسنة النّار من الماء

آخر:

و نیلوفر صافحته الریاح و عانقها الماء صفوا و رنقا

و تحمل أوراقه فی الغدیر ألسنة النّار حمرا و زرقا

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۵۰

آخر:

صفر المداری تضمّها شرفمفتضح عند نشرها العطر

تحملها خیزرانة ذبلتذبول صبّ أذابه الهجر

کأنّها إذ رأیت ألسنةأنطقها للمهیمن الشکر

خناجر من حناجر نزعتفهی علی الماء من دم حمر

الطّغرائی :

و نیلوفر أعناقه أبدا صفرکأنّ به سکرا و لیس به سکر

إذا انفتحت أوراقه فکأنّهاو قد ظهرت ألوانها البیض و الصفر

أنامل صبّاغ صبغن بنیلةو راحتها بیضاء فی وسطها تبر

ابن الرومیّ:

یرتاح للنّیلوفر القلب الّذیلا یستفیق من الغرام و جهده

و الورد أصبح فی الروایح عبدهو النّرجس المسکیّ خادم عبده

یا حسنه فی برکة قد أصبحتمحشوّة مسکا یشاب بندّه

مهجور حبّ ظلّ یرفع رأسه کالمستجیر بربّه من صدّه

و کأنّه إذ غاب عند مسائهفی الماء فانحجبت نضارة قدّه

صبّ تهدّده الحبیب بهجرهظلما فغرّق نفسه من وجده

الوجیه بن الذرویّ یهجو النیلوفر:

و نیلوفر أبدی لنا باطنا لهمع الظاهر المخضرّ حمرة عندم

فشبّهته لمّا قصدت هجاءهبکاسات حجّام بها لوثة الدم

البشنین

قال فی مباهج العبر: و إذ مرّ النیل بمصر ینبت فی أماکن منخفضة، قد وقف فیها الماء نباتا یشبه النّیلوفر، لیست له رائحة ذکیة، یسمّی البشنین، یتّخذ منه دهن و هو

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۵۱

نوعان نوع یسمّی الخریریّ، یشبه الرّمان، و تسمّیه أهل مصر الجلجلان؛ و الآخر یسمّونه الغزیّ، و له أصل یسمّی البیارون.

ما ورد فی الآس

أخرج ابن السنّیّ و أبو نعیم، کلاهما فی الطبّ النبویّ عن ابن عباس، قال: أهبط آدم من الجنة بثلاثة أشیاء: بالآسة، و هی سیّدة ریحان الدنیا، و بالسّنبلة و هی سیّدة طعام الدنیا، و بالعجوة و هی سیدة ثمار الدنیا.

و أخرج ابن أبی حاتم فی تفسیره و ابن السّنیّ عن ابن عبّاس قال: أوّل شیء غرس نوح حین خرج من السفینة الآس.

و أخرج ابن السکن عن عائشة، قالت: نهی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم أن یستاک بعود الآس و عود الرّمان، فإنّهما یحرّکان عرق الجذام.

و أخرج ابن السّنّیّ عن الأوزاعیّ، یرفع الحدیث إلی النبی صلی اللّه علیه و سلم أنه نهی عن التخلّل بالآس، و قال: إنّه یسقی عرق الجذام.

قال فی مباهج العبر: الیونان تسمّی الآس مرسینا، و تسمّیه العامّة المرسین.

و قال ابن وحشیة: الآس سیّد الریاحین و یعظم حتّی إنّه یشجر و یثمر ثمرا قدر الحمّص، و هو ثلاثة أنواع: أخضر و هو المشهور، و أصفر و هو ما فسد من ورق الأوّل، و أزرق و یسمّی الخسروانیّ، و هو أن یخلط فی أصوله عند الزرع ورق النیل، قال الأخیطل الأهوازیّ:

للآس فضل بقائه و وفائهو دوام منظره علی الأوقات

قامت علی أغصانه ورقاتهکنصول نبل جئن مؤتلفات

آخر:

و مشمومة مخضرّة اللون غضّةحوت منظرا للناظرین أنیقا

إذا شمّها المعشوق خلت اخضرارهاو وجنته فیروزجا و عقیقا

ابن وکیع :

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۵۲ خلیلیّ ما للآس یعبق نشرهإذا هبّ أنفاس الریاح العواطر

حکی لونه أصداغ ریم معذّرو صورته آذان خیل نوافر

ما ورد فی الریحان، و هو الحبق

روی فیه أحادیث موضوعة، منها حدیث ابن عبّاس مرفوعا: «نعم الریحان ینبت تحت العرش، و ماؤه شفاء للعین» أخرجه العقیلیّ، و قال: باطل لا أصل له، و ابن الجوزیّ فی الموضوعات. و ورد نحوه من حدیث أنس أخرجه الخطیب البغدادیّ، و قال: موضوع، و ابن الجوزی أیضا.

و أخرج الخطیب فی تالی التّلخیص من حدیث جابر بن عبد اللّه مرفوعا:

«المرزنجوش مزروع حول العرش، فإذا کان فی دار لم یدخلها الشیطان»، قال الخطیب: باطل.

قال ابن الجوزیّ: و روی بسند مجهول من حدیث أنس مرفوعا: «إنّ فی الجنّة بیتا سقفه من مرزنجوش».

قال فی مباهج العبر: العرب تطلق اسم الرّیحان علی کلّ نبت له ریح طیبة.

و الحبق أنواع: منه الریحان النّبطیّ، و هو عریض الورق، و یسمی الباذروج، و هو المعروف عند الناس المتّخذ فی البساتین.

و حبق ترجانیّ، و له رائحة کرائحة الأترجّ، و یسمّی الباذرنجبویه و الباذرنبویه، و اسمه بالفارسیة مرماخوز، بالزای المعجمة، و هو دقیق الورق.

و حبق قرنفلیّ، و له رائحة کرائحة القرنفل، و یسمّی الفرنحمشک بالفارسیة.

و حبق صعتریّ، له رائحة کرائحة الصعتر.

و حبق کرمانیّ، و یسمّی بالفارسیة الشّاهسفرم و معناه ملک الریاحین، و العرب تسمّیه الضّیمران و الضّومران، و هو دقیق الورق جدّا، یکاد أن یکون دون السداب.

و حبق الفتی و هو المرزنجوش، و العرب تسمیه العبقر، و یقال إنّه الثّمام.

و ریحان الکافور، و یسمی بالفارسیة سوسن، و شکله شکل المنثور و زهره و ورقه یؤدّیان رائحة الکافور.

قال السری الرّفاء یصف حوض ریحان:

و بساط ریحان کماء زبرجدعبثت به أیدی النّسیم فأرعدا

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۵۳ یشتاقه القوم الکرام فکلّمامرض النسیم سعوا إلیه عوّدا

أبو الفضل المیکالیّ:

أعددت محتفلا ليوم فراغی‌روضا غدا إنسان عين الباغ

روض يروض هموم قلبی حسنه‌فيه ليوم اللهو أىّ مساغ

و إذا انثنت قضبان ريحان به‌حيّت بمثل سلاسل الأصداغ

أبو القاسم الصّقلیّ:

أنا بالريحان مفتون، و لا مثل الحماحم

فتأمّله تجد عذرا لصبّ القلب هائم

غلمة الجند بخضر القمص فی حمر العمائم

الطغرائیّ:

مراضيع من الريحان تسقی‌سقيط الطلّ أو درّ العهاد

ملابسهنّ خضر مسبغات‌بأشكال تميل إلى السواد

إذا ذرّت عليها المسك ريحو جاد بفيضهنّ يد الغوادی

تخلّلها الرياح فسرحتهاصنيع المشط فی اللّمم الجعاد

ابن أفلح:

و حماحم كأسنّةفی كلّ معترك قديم

أو أنجم بزغت لتحرق كلّ شيطان رجيم

أو مثل أعراف الديوك لدی مبارزة الخصوم

أو كالشقيق تحرّشت‌بفروعه أيدی النّسيم

أو ثاكل صبغت ثيابامن دم الخدّ اللطيم

ابن وكيع:

هذا الحماحم زهرفيه حياة النفوس

كأنّه حين يبدوبرادة الآبنوس

آخر:

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۵۴ أما تری الريحان أهدی لناحماحما منه فأحيانا

تحسبه فی طلّه و الندی‌مزرّدا يحمل مرجانا

ابن وكی فی الصعتریّ:

صعتریّ من أرجل النمل، و أذكی من نفحة الزعفران

كسطور كسين نقطا و شكلامن يدی كاتب ظريف البنان

صاعد الأندلسیّ فی الريحان الترنجیّ:

لم أدر قبل ترنجان مررت به‌أنّ الزمرّد أغصان و أوراق

من طيبه سرق الأترجّ نكهتهيا قوم، حتّی من الأشجار سرّاق؟!

آخر:

ذكیّ العرف مشكور الأيادی‌كريم عرفه يسلی الحزينا

أغار علی التّرنج و قد حكاهو زاد علی اسمه ألفا و نونا

ما قیل فی المنثور، و هو الخیریّ

ابن وکیع:

انظر إلی المنثور فی میدانه‌یدنو إلی النّاظر من حیث نظر

کجوهر مختلف لونه‌أسلمه سلک نظام فانتثر

آخر:

انظر إلی المنثور ما بیننا‌و قد کساه الطّلّ قمصانا

کأنّما صاغته أیدی الحیامن أحمر الیاقوت مرجانا

و من خواصّه أنه لا تعبق له رائحة إلّا لیلا، و فیه یقول الشاعر:

ینمّ مع الإظلام طیب نسیمه‌و یخفی مع الإصباح کالمتستّر

کعاطرة لیلا لوعد محبّهاو کاتمة صبحا نسیم التّعطّر

ما قیل فی الیاسمین

کتب ناصر الدین التّنیسیّ إلی النصیر الحمامیّ ملغزا فیه:

یا من یحلّ اللغز فی ساعة‌کلمحة من طرفة العین

ما اسم إذا أنقصت من عده‌فی الخطّ حرفا صار اسمین؟

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۵۵

فأجابه نصیر:

لعرض مولانا و أنفاسه‌ألغزت لی حقّا بلامین

اسم سداسیّ لطیف به‌نحافة تظهر للعین

لکنّه یغدو سمینا إذاأسقطت من أولاه حرفین

أبو إسحاق الحصریّ یصف الیاسمین قبل انفتاحه:

خلیلیّ هبّا و انفضا عنکما الکریو قوما إلی روض و نشر عبیق

فقد راح رأس الیاسمین منوّراکأقراط درّ قمّعت بعقیق

یمیل علی ضعفی الغصون کأنّماله حالتا ذی غشیة و مفیق

إذا الرّیح أدنته إلی الأرض خلته‌نسیم جنوب ضمّخت بخلوق

آخر:

و روضة نورها یرفّ‌مثل عروس إذا تزفّ

کأنّما الیاسمین فیهاأنامل ما لها أکفّ

أبو بکر بن القوطیّة :

و أبیض ناصع صافی الأدیم‌یطلع فوق مخضرّ بهیم

کأنّ نوّاره المجنیّ منه‌سماء قد تحلّت بالنجوم

آخر:

کأنّ الیاسمین الغضّ لمّاأدرت علیه وسط الرّوض عینی

سماء للزبرجد قد تبدّت‌لنا فیها نجوم من لجین

المعتمد بن عبّاد:

کأنما یاسمیننا الغضّ کواکب فی السماء تبیضّ

و الطّرق الحمر فی بواطنه‌کخدّ عذراء مسّه عضّ

ابن عبد الظاهر:

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۵۶ و یاسمین قد بدت‌أزهاره لمن یصف

کمثل ثوب أخضرعلیه قطن قد ندف

آخر:

و یاسمین عبق النشریزری بریح العنبر الشّحری

یلوح من فوق غصون له‌کمثل أقراط من الدرّ

ابن الحداد الأندلسیّ:

بعثت بالیاسمین الغضّ مبتسماو حسنه فاتن للنفس و العین

بعثته منبئا عن صدق معتقدی‌فانظر تجد لفظه یأسا من المین

و قال آخر:

لا مرحبا بالیاسمین و إن غدا فی الرّوض زینا

صحّفته فوجدته‌متقابلا یأسا و مینا

آخر:

و یاسمین إنّ تأمّلته‌حقیقة أبصرته شینا

لأنه یأس و مین و من‌أحبّ قطّ الیأس و المینا؟!

ما قیل فی النّسرین

قال ابن وحشیّة: الیاسمین و النّسرین متقاربان حتّی کأنّهما أخوان، و کلّ واحد منهما نوعان: أبیض و أصفر، و لهما شقیق آخر ورده أکبر من وردهما، یسمّی جلّنسرین، قال عبد الرزاق بن علیّ النحویّ:

زان حسن الحدائق النّسرین‌فالحجی فی ریاضه مفتون

قد جری فوقه اللّجین و إلّافهو من ماء فضة مدهون

أشبهته طلی الحسان بیاضاو حوته شبه القدود غصون

آخر:

أکرم بنسرین تذیع الصّبامن نشره مسکا و کافورا

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۵۷ ما إن رأینا قطّ من قبله‌زبرجدا یثمر بلّورا

آخر:

انظر لنسرین یلوح علی قضیب أملد

کمداهن من فضة‌فیها برادة عسجد

حيّتك من أيدى الغصون بها أكفّ زبرجد

ما قيل فى الأقحوان

مجير الدين محمد بن تميم:

لا تمش فى روض و فيه شقائقأو أقحوان غبّ كلّ غمام

إنّ اللّواحظ و الخدود أجلّهاعن وطئها فى الرّوض بالأقدام

آخر:

كأنّ نور الأقاحىإذ لاح غبّ القطر

أنامل من لجينأكفّها من تبر

علىّ بن عباد الإسكندرانىّ:

و الأقحوانة حكى و هى ضاحكةعن واضح غير ذى ظلم و لا شنب

كأنّها شمسة من فضّة حرستخوف الوقوع بمسمار من الذهب

ظافر الحدّاد :

و الأقحوانة تحكى ثغر غانيةتبسّمت فيه من عجب و من عجب

فى القدّ و البرد و الرّيض الشهىّ و طيب الرّيح و اللّون و التّفليج و الشّنب

كشمسة من لجين فى زبرجدةقد شرّفت حول مسمار من الذهب

الجمال علىّ بن ظافر المصرىّ:

حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۵۸ انظر فقد أبدى الأقاح مباسماضحكت تهلّل فى قدود زبرجد

كفصوص درّ لطّفت أجرامهاقد نظمت من حول شمسة عسجد

آخر:

ظفرت يدى للأقحوان بزهرةتاهت بها فى الروضة الأزهار

أبدت ذراع زبرجد و أناملامن فضّة فى كفّها دينار

ما قيل فى البان

شمس الدين بن محمد التّلمسانىّ:

تبسّم زهر البان عن طيب نشرهو أقبل فى حسن يجلّ عن الوصف

هلمّوا إليه بين قصف و لذّةفإنّ غصون البان تصلح للقصف

الشهاب محمود على لسان البان:

إذا دغدغتنى أيدى النّسيمفملت و عندى بعض الكسل

فسل كيف حال قدود الملاحو عن حال سمر القنا لا تسل

أبو جلنك الشاعر يهجو القاضى شمس الدين بن خلّكان:

للّه بستان حللنا دوحهفى جنّة قد فتّحت أبوابها

و البان تحسبه سنانيرا رأتقاضى القضاة فنفّشت أذنابها

تاج الدین بن شقیر:

قد أقبل الصّیف و ولّی الشّتاو عن قریب نشتکی الحرّا

أما تری البان بأغصانهقد أقلب الفرو إلی برّا

ما قیل فی الشقیق

ابن الرومیّ:

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۵۹ یصوغ لنا کفّ الربیع حدائقاکعقد عقیق بین سمط لآل

و فیهنّ نوّار الشقائق قد حکیخدود غوان نقّطت بغوال

کشاجم :

فرّج القلب غایة التفریجابتهاجی ما بین روض بهیج

فکأنّ الشقیق فیه أکالیل عقیق علی رؤوس زنوج

أبو العلاء السّرویّ:

جام تکوّن من عقیق أحمرملئت قرارته بمسک أذفر

خرط الربیع مثاله فأقامهبین الریاض علی قضیب أخضر

أبو بکر الصنوبریّ:

و کأن محمرّ الشقیق إذا تصوّب أو تصعّد

أعلام یاقوت نشرن علی رماح من زبرجد

الخیار البلدیّ:

انظر إلی مقل الشقیق تضمّنت حدق السبج

من فوق أغصان حسنّو ما سمجن من العوج

آخر:

شقیقة شقص علی الورد ماقد لبست من کثرة الصّبغ

کأنّها فی حسنها وجنةیلوح فیها طرف الصّدغ

فی زهر النارنج

للقاضی الفاضل:

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۶۰ ندیمیّ هیّا قد قضی النجم نحبهو هبّ نسیم ناعم یوقظ الفجرا

و قد أزهر النارنج أزرار فضّةتزرّ علی الأشجار أوراقها الخضرا

فی الخشخاش

ابن وکیع:

و خشخاش کأنّا منه نفریقمیص زبرجد عن جسم درّ

کأقداح من البلّور صینتبأغشیة من الدیباج خضر

فی نور الکتان

ابن وکیع:

ذوائب کتّان تمایل فی الضّحی‌علی خضر أغصان من الرّیّ میّد

کأنّ اصفرار الزّهر فوق اخضرارهامداهن تبر رکّبت فی زبرجد

آخر:

کأنّه حین یبدومداهن اللّازورد

إذا السماء رأته‌تقول: هذا فرندی

ابن الرومیّ:

و حلس من الکتّان أخضر ناعم‌سقی نبته دانی الرّباب مطیر

إذا درجت فیه الشمال تتابعت‌ذوائبه حتّی یقال غدیر

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۶۱

ذکر الفواکه

ما ورد فی البطیخ

أخرج ابن عدیّ فی الکامل عن عائشة، قالت: کان أحبّ الفاکهة إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم الرّطب و البطّیخ.

و أخرج الطبرانیّ و الحاکم فی المستدرک، عن أنس، أنّ النبی صلی اللّه علیه و سلم کان یأخذ الرّطب بیمینه، و البطیخ بیساره، فیأکل الرّطب بالبطّیخ، و کان أحبّ الفاکهة إلیه.

قال فی مباهج الفکر: البطّیخ ثلاثة أصناف: هندیّ و یسمّی بمصر البطّیخ الأخضر، و بالحجاز الحبحب، و صینیّ و یسمّی بمصر الأصفر، و فیه یقول الشاعر:

ثلاث هنّ فی البطّیخ زین‌و فی الإنسان منقصة و ذلّه

خشونة لمسه و الثّقل فیه‌و صفرة لونه من غیر علّه

و خراسانیّ، و یسمّی بمصر العبدلی منسوب لعبد اللّه بن طاهر، فإنّه الذی دخل به مصر، قال أبو طالب المأمونیّ فی البطّیخ الهندیّ:

و مبیضّة فیها طرائق خضرةکما اخضرّ مجری السّیل من صیّب المزن

کحقّة عاج ضبّبت بزبرجدحوت قطع الیاقوت فی عصب القطن

آخر:

أخ لی صادق أهدی إلیناما یهدی الصّدیق إلی الصدیق

قلال زبرجد فیهنّ شهدو حشوّ الشّهد شیء کالعقیق

آخر:

رأیتها فی کفّ کلّابهاو قد بدت فی غایة الحسن

کسلّة خضراء مختومةعلی الفصوص الحمر فی القطن

أبو طالب المأمونی فی البطّیخ الأصفر:

و بطّیخة مسکیّة عسلیةلها ثوب دیباج و عرف مدام

محقّقة ملء الأكفّ كأنّهامن الجزع كسرى لم ترض بنظام

لها حلّة من جلّنار و سوسن‌معمّدة بالآس غبّ غمام

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۶۲ تمازج فيها لون حبّ و عاشق‌كساه الهوى و البين ثوب سقام

إذا فصّلت للأكل كانت أهلّةو إن لم تفصّل فهی بدر تمام

و قال:

يقطّع بالسكين بطّيخة ضحی‌على طبق فی مجلس لان صاحبه

كبدر ببرق فی سماء أهلّةعلى هالة فی الأفق شتّى كواكبه

آخر:

أتانا الغلام ببطّيخةو سكّينة أشبعوها صقالا

فقطّع بالبرق شمس الضّحی‌و ناول كلّ هلال هلالا

آخر:

ألا فانظروا البطّيخ و هو مشقّقو قد جاز فی التّشقيق كلّ أنيق

صفاها كبلّور بدت فی زمرّدمركّبة فيها فصوص عقيق

ما ورد فی الرّمان

أخرج عبد اللّه بن أحمد فی زوائد المسند و ابن السنّی بسند رجاله ثقات، عن علیّ ابن أبی طالب، قال: كلوا الرّمان بشحمه، فإنه دباغ للمعدة.

و أخرج الطّبرانیّ بسند صحيح، عن ابن عبّاس أنّه كان يأخذ الحبّة من الرمان فيأكلها، فقيل له: لم تفعل هذا؟ قال: بلغنی أنّه ليس فی الأرض رمّانة إلا تلقّح بحبّة من حبّ الجنّة، فلعلّها هذه:

قال بعضهم:

رمّانة صبغ الزّمان أديمهافتبسّمت فی ناضر الأغصان

فكأنّها فی حقّة من عسجدقد أودعت خرزا من المرجان

آخر:

رمّانة مثل نهد الكاعب الرّيم‌تزهی بشكل و لون غير مذموم

كأنّها حقّة من عسجد ملئت‌من اليواقيت نثرا غير منظوم

آخر:

و لاح رمّاننا فأبهجنابين صحيح و بين مفتوت

من كلّ مصفرّة مزعفرةتفوق فی الحسن كلّ منعوت

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۶۳ كأنّها حقّة فإن فتحت‌فصرّة من فصوص ياقوت

آخر:

طعم الوصال يصونه طعم النّوی‌شبحان خالق ذا و ذا من عود

فكأنّها و الخضر من أوراقهاخضر الثياب على نهود الغيد

آخر:

خذوا صفة الرّمّان عنّی فإنّ لی‌لسانا عن الأوصاف غیر قصیر

حقاق کأمثال العقیق تضمّنتفصوص بلخش فی غشاء حریر

فی جلّنارة

أبو فراس الحمدانیّ:

و جلّنار مشرفعلی أعالی شجره

کأنّه فی أغصانهأحمره و أصفره

قراضة من ذهبفی خرق معصفره

عبد اللّه بن المعتزّ:

و جلّنار کاحمرار الخدّأو مثل أعراف دیوک الهند

ابن وکیع:

وجلّنار بهیّضرامه یتوقّد

بدا لنا فی غصونخضر من الرمی میّد

یحکی فصوص عقیقفی قبّة من زبرجد

آخر:

کأنما الجلّنار لمّاأظهره العرض للعیون

أنامل کلّها خضیبتزهی احمرارا علی الغصون

ما ورد فی الموز

أخرج الخطیب فیما رواه مالک بن أنس، قال: لیس فی الدّنیا شیء یشبه ما فی

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۶۴

الجنّة إلا الموز، لأن اللّه تعالی یقول: أُکُلُها دائِمٌ [الرعد: ۳۵]، و أنت تری الموز فی الشتاء و الصیف.

دخل القاضی أبو بکر بن فریقة علی عزّ الدولة بن بویه، و بین یدیه طبق فیه موز، فلم یدعه إلیه، فقال: ما بال الأمیر لا یدعونی إلی الفوز بأکل الموز؟! فقال له: صفه حتّی أطعمک منه، فقال: ما أصف من جرب دیباجیّة، فیها سبائک ذهبیّة، کأنّما حشیت زبدا و عسلا، أو خبیصا مرملا، أطیب الثمر کأنّه مخّ الشجر، سهل المقشر، لیّن المکسر، عذب المطعم بین الطعوم، سلس فی الحلقوم.

و قال النجم بن إسرائیل:

أنعته موزا شهیّ المنظرمستحکم النضج لذیذ المخبر

کأنّ تحت جلده المزعفرلفّات زبد عجنت بسکّر

ابن الرومیّ:

للموز إحسان بلا ذنوبلیس بمعدود و لا محسوب

یکاد من موقعه المحبوبیسلمه البلع إلی القلوب

البهاء زهیر :

یا حبّذا الموز الّذی أرسلتهلقد أتانا طیّب من طیب

فی لونه و طعمه و ریحه کالمسک أو کالتبر أو کالضّرب

وافت به أطباقه منضّداکأنّه مکاحل من ذهب

آخر:

یحکی إذا قشّرته أنیاب أفیال من صغار

ذو باطن مثل الأقاح، و ظاهر مثل البهار

ما ورد فی النخل

أخرج الشیخان عن ابن عمر؛ أنّ النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، قال: «إنّ فی الشّجر شجرة، مثلها مثل المسلم، أخبرونی ما هی؟»، فوقع الناس فی شجر البوادی، و وقع فی قلبی أنّها النخلة، فقال النبیّ صلی اللّه علیه و سلم: «هی النخلة».

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۶۵

و أخرج أبو یعلی فی مسنده و ابن السّنّی عن علیّ، قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم:

«أکرموا عمّتکم النخلة، فإنّها خلقت من الطین الذی خلق منه آدم، و لیس من الشجر شیء یلقح غیرها».

قال فی مباهج الفکر: و یقال إنّ ممّا أکرم اللّه به الإسلام النخل، و أنه قدّر جمیع نخل الدنیا لأهل الإسلام فغلبوا علی کلّ موضع هو فیه.

و قال الدینوریّ فی المجالسة: حدّثنا محمد بن عبد العزیز، حدّثنا أبی، عن محمد بن یزید بن مطیر، قال: قال محمد بن إسحاق، کلّ نخلة علی وجه الأرض فمنقولة من الحجاز، نقلها النّماردة إلی المشرق، و نقلها الکنعانیون إلی الشام، و نقلها الفراعنة إلی باب ألیون و أعمالها، و حملها التّبابعة فی مسیرهم إلی الیمن و عمان و الشّحر و غیرها.

الحداد:

روض کمخضرّ العذار و جدول نقشت علیه ید النسیم مواردا

و النّخل کالهیف الحسان تزیّنت فلبسن من أثمارهنّ قلائدا

فی الطّلع

کأنّما الطّلع یحکی لناظری حین أقبل

سلاسلا من لجین یضمّها حقّ صندل

فی الجمّار

أهدی لنا جمّارة من لست أخشی من عذابه

فکأنّما هی جسمه لمّا تجرّد من ثیابه

فی البلخ الأخضر

أما تری النخل نثّرت بلحا جاء بشیرا بدولة الرّطب

کأنّه و العیون تنظره مقمّعات الرءوس بالذهب

مکاحل من زبرجد خرطت مقمّعات الرءوس بالذهب

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۶۶

فی الأصفر

أما تری البسر الّذی قد جاءنا بالعجب

کیف غدا فی لونه کعاشق مکتئب

مکاحلا من فضّةقد طلیت بالذهب

فی الأحمر

انظر إلی البسر إذ تبدّیو لونه قد حکی الشقیقا

کأنّما خوصه علیهزبرجد مثمر عقیقا

ما ورد فی الأترج

أخرج الشیخان عن أبی موسی الأشعری، عن النبیّ صلی اللّه علیه و سلم قال: «مثل المؤمن الذی یقرأ القرآن مثل الأترجّة طعمها طیّب و ریحها طیّب».

و أخرج ابن السنّی عن أبی کبشة، قال: کان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم یعجبه النّظر إلی الأترجّ و الحمام الأحمر.

بعضهم:

کان أترجّنا النّضیر و قدزان تحیاتنا مصبعه

أید من التبر أبصرت بدرامن جوهر فانثنت تجمعه

آخر:

یا حبّذا أترجّةتحدث للنفس الطّرب

کأنّها کافورةلها غشاء من ذهب

الأسعد بن ممّاتی:

للّه بل للحسن أترجّةتذکّر النّاس بأمر النّعیم

کأنّها قد جمّعت نفسهامن هیبة الفاضل عبد الرحیم

ابن المعتزّ:

أترجّة قد أتتک لطفالا تقبلنها و إن سررت

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۶۷ لا تهد أترجّة فإنّیرأیت مقلوبها «هجرت»

ما ورد فی القصب

أخرج ابن عساکر فی تاریخ دمشق من طریق الربیع بن سلیمان، قال: سمعت الشافعیّ یقول: ثلاثة أشیاء دواء للداء الذی لا دواء له، الذی أعیا الأطباء أن یداووه:

العنب و لبن اللقاح، و قصب السکّر؛ و لو لا قصب السکر ما أقمت بمصر.

بعضهم:

تحکیه سمر القنا و لکنتراه فی جسمه طلاوه

و کلّما زدته عذابازادک من ریقه حلاوه

فی الکمّثری

بعضهم:

هیّا بکمثرایهٔ لونهالون محبّ زائد الصّفره

تشبه نهد البنت إن قعدتو هی لها إن قلبت سرّه

فی الخوخ

بعضهم:

کأنّما الخوخ فی دوحهو قد بدا أحمره العندمی

بنادق من ذهب أصفرقد خضّبت أنصافها بالدم

ما ورد فی التین

أخرج ابن السنّی و الدیلمیّ فی مسند الفردوس، عن أبی ذرّ، قال: أهدی إلی النبیّ صلی اللّه علیه و سلم طبق من تین، فقال لأصحابه: «کلوا، فلو قلت إنّ فاکههٔ نزلت من الجنّهٔ بلا عجم لقلت هی التین، و إنّه یذهب بالبواسیر، و ینفع من النّقرس».

کشاجم:

أهلا بتین جاءنامنضّدا علی طبق

حسن المحاضرهٔ فی أخبار مصر و القاهرهٔ، ج۲، ص: ۳۶۸ یحکی الصّباح بعضهو بعضه یحکی الغسق

کسفرهٔ مضمومهٔقد جمعت بلا حلق

ابن المعتزّ:

أنعم بتین طاب طعما و اکتسیحسنا، و قارب منظرا من مخبر

فی برد ثلج، فی قفا تبر، و فیریح العبیر و طیب طعم السکّر

یحکی إذا ما صبّ فی أطباقهخیما ضربن من الحریر الأخضر

فی اللوز الأخضر

ابن المعتزّ:

ثلاثهٔ أثواب علی جسد رطبمخالفهٔ الأشکال من صنعهٔ الربّ

تقیه الرّدی فی لیله و نهارهو إن کان کالمسجون فیها بلا ذنب

آخر:

أما تری اللّوز حین ترجلهمن الأفانین کفّ مقتطف؟

و قشره قد جلا القلوب لناکأنه الدّرّ داخل الصّدف

ظافر الحداد:

جاء بلوز أخضرأصفره ملء الید

کأنّما زئبره نبت عذار الأمرد

کأنّما قلوبهمن توأم و مفرد

جواهر لکنّما الأصداف من زبرجد

البدر الذهبی:

ما نظرت مقلتی عجیباکاللّوز لمّا بدا نوّاره

اشتعل الرأس منه شیباو اخضرّ من بعد ذا عذاره

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۶۹

ما قیل فی المشمش

محیی الدین بن عبد الظاهر:

حبّذا مشمش علی الدوح أضحیذا شعاع یستوقف الأبصارا

شجر أخضر لنا جعل الله تعالی منه کما قال نارا

و قال:

و کأنّ ضوء الشّمس من أوراقهافی نقش أسوقة الغصون خلاخل

و کأنّ مشمشها بصوت هزارهاإذ حرّکته به النّسیم جلاجل

آخر:

و مشمش جاءنا من أعجب العجبأشهی إلیّ من اللّذات و الطرب

کأنّه و هبوب الریح تنثرهبنادق خرطت من خالص الذهب

ما قیل فی النّبق

ابن الجیلیّ:

انظر إلی النبق فی الأغصان منتظماو الشّمس قد أخذت تجلوه فی القضب

کأنّ صفرته للناظرین غدتتحکی جلاجل قد صیغت من الذهب

آخر:

و سدرة کلّ یومن حسنها فی فنون

کأنّما النبق فیهاو قد بدا للعیون

جلاجل من نضارقد علّقت فی الغصون

ذکر الحبوب و الخضروات و البقول

فی سنابل البرّ و الشعیر

اشارة

القاضی عیاض:

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۷۰ انظر إلی الزّرع و خاماتهتحکی و قد ماست أمام الرّیاح

کتیبة تجفل مهزومةشقائق النعمان فیها جراح

آخر:

یا حبّذا سنبلةتبدو لعین المبصر

کأنّها سلسلةمضفورة من عنبر

ظافر الحداد:

کأنّ سنابل حبّ الحصیدو قد شارفت وقت إبّانها

کنائس مضفورة ربّعتو أرخی فاضل خیطانها

ابن رافع القیروانیّ:

انظر إلی سنبل الزّروع و قدمرّت علیه الجنوب و الشّمل

کأنه البحر فی تموّجهیعلو مرارا، و مرّة یسفل

و الماء للسقی فی جوانبهالمسک للناظرین أو صندل

فی الباقلّا

قال بعض الشعراء و هو ابن لنکک البصریّ:

فصوص زبرجد فی غلف درّبأقماع حکت تقلیم ظفر

و قد حاک الربیع لها ثیابالها لونان من بیض و خضر

آخر:

لی نحو ورد الباقلاإدمان لهو و لهج

کأنّما مبیضّهیلوح فی ذاک الدّعج

خواتم من فضّةفیها فصوص من سبج

ابن وکیع:

و لاح ورد الباقلاء ناظراعن مقلة تفتح جفنا عن حور

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۷۱ کمثل ألحاظ الیعافیر إذاروّعها من قانص فرط الحدر

کأنّها مداهن من فضّةمجلوّة فیها من المسک أثر

کأنّها سوالف من خرّدقد زیّنت سوادها سود الطّرر

فی القثّاء

عبد الرحیم بن رافع القیروانیّ:

أحبب بقثّاء أتانا من فوق أطباق منضّد

کمضارب قد حدّرتأجرامهنّ من الزّبرجد

نعم الدواء إذا الهواء من الهواجر قد توقّد

ابن المعتزّ:

انظر إلیه أنابیبا منضّدةمن الزّبرجد خضرا ما لها ورق

إذا قلبت اسمه بانت حلاوتهو کان معکوسه إنّی بکم أثق

فی الخیار

لبعضهم:

خیار حین تنسبه لبیت کریحان السّرور به اخضرار

کأنّ نسیمه أنفاس حبّ‌فلیس لمغرم عنه اصطبار

فی الفقّوس

بعضهم:

شبّهت حین بدا الفقّوس مبتهجاعلی الرّیاض بحبّ فیه مأسور

مخازن من لجین لفّ ظاهرهابسندس حشوه حبّات کافور

فی القرع

لعبد الرحیم بن نافع: حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة ؛ ج ۲ ؛ ص ۳۷۱

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج ۲، ص: ۳۷۲ و قرع تبدّی للعیون کأنّه‌خراطیم أفیال لطخن بزنجار

مررنا فعاینّاه بین مزارع‌فأعجب منها حسنه کلّ نظّار

فی الباذنجان

لبعضهم:

أهدت لنا الأرض من عجائبهاما سوف یزهو بمثله وقتی

إذا أجاد الّذی یشبهو أحکم الوصف منه فی النّعت

قال کرات الأدیم قد حشیت‌بسمسم قمّعت بکیمخت

آخر:

و مستحسن عند الطعام مدحرج‌غذاه نمیر الماء فی کلّ بستان

تطلع من أقماعه فکأنّه‌قلوب نعاج فی مخالیب عقبان

آخر:

و کأنّما الأبذنج سود حمائم‌أوکارها روض الرّبیع المسکر

لقطت مناقرها الزبرجد سمسمافاستودعته حواصلا من عنبر

آخر:

و باذنجانة حشیت حشاهاصغار الدّرّ باللّبن الحلیب

و غشّیت البنفسج و استقلّت‌من الآس الرطیب علی قضیب

فی السّلجم

لابن رافع القیروانیّ:

کأنّما السّلجم لمّا بدافی حسنه الرائق من غیر مین

قطائع الکافور ملمومةلمبصریها أو کرات اللّجین

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۷۳

فی الفجل

للّه فجل قد أتتنا بهجاریة تخجل شمس النهار

کأنّه فی یدها إذ أتتبه لنا غصنا بصوب العطار

سبائک من فضّة قد صفتأو مثل أنیاب الفیول الصّغار

آخر:

أحبب بفجل قد أتانا بهطبّاخنا من بعد تقشیر

منضّدا فی طبق خلتهمن حسنه قضبان بلّور

آخر:

و بیضاء من حور الجنن ملکتهاو لمت علیها صاحبی ولی العذر

و ما کسیت من سندس الخلد حلّةو لا معجرا لکن ذوائبها خضر

فی الجزر

لابن رافع القیروانیّ:

انظر إلی الجزر البدیع کأنّهفی حسنه قضب من المرجان

أوراقه کزبرجد فی لونهاو قلوبه صیغت من العقیان

آخر:

انظر إلی الجزر الذیحکی لنا لهب الحریق

کمدیة من سندسفیها نصاب من عقیق

فی الثّوم

لابن رافع القیروانیّ:

یا حبّذا ثومة فی کفّ جاریةبدیعة الحسن تسبی کلّ من نظرا

أبصرتها، و هی من عجب تقلّبهاکصرّة من دبیقیّ حوت دررا

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۷۴

آخر:

الثّوم مثل اللّوز إن قشّرتهلولا روائحه و طعم مذاقه

کالنّدل غرّک منظرا فإذا دعیلفضیلة ینمی إلی أعراقه

فی النّمام

ابن رشیق:

لم کره النّمام أهل الهویأساء إخوانی و ما أحسنوا؟

إن كان نمّاما فتنكيسهمن غير تكذيب لهم مأمن

آخر:

لا بارك اللّه فی النّمام إنّ لهاسما قبيحا من الأسماء مهجورا

لو لم ينمّ على العشّاق سرّهمما كان فيهم بهذا الاسم مشهورا

فی النعناع

بعضهم:

و جاءت بنعناع كأنّ غصونهو أوراقه مخلوقة من زبرجد

إذا مسّه نفح الحرور رأيتهكأصداغ زنج فلفلت من تجعّد

فی النارنج

لبعضهم:

تأمّلها كرات من عقيقيروقك فی ذرا دوح و ريق

صوالج من غصون ناعماتغذتها درّة العيس الأنيق

آخر:

أنظر إلى منظر يلهيك منظرهبمثله فی البرايا يضرب المثل

نار تلوح على الأغصان فی شجرلا النار تطفی، و لا الأغصان تشتعل

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۷۵

أبو الحسن الصّقلیّ:

و نارنجة بين الرّياض نظرتهاعلى غصن رطب كقامة أغيد

إذا ميّلتها الريح مالت كأكرةبدت ذهبا فی صولجان زبرجد

و قال:

تنعّم بنارنجك المجتنیفقد حضر السعد لما حضر

فيا مرحبا بقدود الغصون، و يا مرحبا بخدود الشّجر

كأنّ السماء همّت بالنّضار، فصاغت لنا الأرض منها أكر

ابن المعتزّ:

كأنّما النّارنج لمّا بدتصفرته فی حمرة كاللّهب

وجنة معشوق رأى عاشقافاصفرّ ثمّ احمرّ خوف الرّهب

آخر:

و شادن قلت له صف لنابستاننا هذا و نارنجنا

فقال لی: بستانكم جنّةو من جنی النّارنج نارا جنی

فی الليمون

قال ابن وحشیّة: الليمون و النارنج فی الأصل شجر هندیّ.

السریّ الرفاء :

ظلّلته شجراتعطّرها أطيب عطر

فلک أنجمه اللّيمون من بيض و صفر

أكر من فضّة قدشابها تلويح تبر

آخر:

يا ربّ ليمونة حيّا بها قمرحلو المقبّل ألمى بارد الشّنب

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۷۶ كأنّها أكرة من فضّة خرطتفاستودعوها غلافا صيغ من ذهب

آخر:

أما ترى الليمون لمّا بدايأخذ فی إشراقه بالعيان؟!

كأنّه بيض دجاج و قدلطّخها العابث بالزعفران

تم كتاب حسن المحاضرة و للّه الحمد

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۷۷

الفهرس

ذكر أمراء مصر من حين فتحت إلى أن ملكها بنو عبيد ۳

ذكر أمراء مصر من بنی عبيد ۲۰

ذكر أمراء مصر من حين ملكها بنو أيوب إلى أن اتخذها الخلفاء العباسيون دار الخلافة ۳۰

كتاب تقليد الخليفة لصلاح الدين ۳۳

صفات صلاح الدين و وفاته ۴۳

[مصر بين العزيز و المنصور و الأفضل و العادل] ۴۵

[الفرنج فی دمياط] ۴۶

[شعر] ۵۳

[الملک العادل سيف الدين أبو بكر، ثمّ الملک الصالح نجم الدين أيوب] ۵۵

[هجوم الفرنج و وفاة الملک الصالح] ۵۶

[شجرة الدر] ۵۷

[الملک المعزّ عز الدين أيبک الجاشنكير التركمانی] ۵۸

[الملک المظفر سيف الدين قطز] ۵۹

[أرجوزة الجزّار فی الأمراء المصرية] ۶۰

[ذكر من قام بمصر من الخلفاء العباسيين] ۶۴

ذكر سلاطين مصر الذين فوض إليهم خلفاء مصر العبّاسيون فاستبدوا بالأمر دونهم ۱۰۲

ذكر الفرق بين الخلافة و الملک و السلطنة من حيث الشرع ۱۲۶

ذكر من يطلق عليه السلطنة من حيث المصطلح ۱۲۶

ذکر ما یلقب به ملک مصر ۱۲۷

ذکر جلوس السلطان فی دار العدل للمظالم ۱۲۷

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۷۸

ذکر عساکر مملکة مصر ۱۲۸

ذکر أرباب الوظائف فی هذه المملکة ۱۲۹

ذکر قضاة مصر ۱۳۳

الدولة المصریة ۱۶۵

ذکر قضاة الحنفیة ۱۶۷

ذکر قضاة المالکیة ۱۷۱

ذکر قضاة الحنابلة ۱۷۳

ذکر وزراء مصر ۱۷۵

ذکر کتاب السر ۲۰۵

ذکر جوامع مصر ۲۱۲

جامع عمرو ۲۱۳

جامع أحمد بن طولون ۲۱۸

الجامع الأزهر ۲۲۱

جامع الحاکم ۲۲۲

ذکر أمّهات المدارس و الخانقاه العظیمة بالدیار المصریة ۲۲۳

ذکر المدرسة الصلاحیة ۲۲۴

خانقاه سعید السعداء ۲۲۶

المدرسة الکاملیة ۲۲۷

المدرسة الصالحیة ۲۲۸

المدرسة الظاهریة القدیمة ۲۲۸

المدرسة المنصوریة ۲۲۹

المدرسة الناصریة ۲۲۹

الخانقاه البیبرسیة ۲۲۹

خانقاه قوصون بالقرافة ۲۳۰

خانقاه شیخو ۲۳۰

مدرسة صرغتمش ۲۳۱

مدرسة السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ۲۳۲

المدرسة الظاهریة ۲۳۳

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۷۹

المدرسة المؤیّدیة ۲۳۴

رباط الآثار ۲۳۵

ذکر الحوادث الغریبة الکائنة بمصر فی ملّة الإسلام من غلاء و وباء و زلازل و آیات و غیر ذلک ۲۳۵

ذکر الطریق المسلوک من مصر إلی مکّة شرّفها اللّه تعالی ۲۶۶

ذکر قدوم المبشّر سابقا یخبر بسلامة الحاج ۲۶۷

ذکر حمائم الرسائل ۲۶۸

ذکر عادة المملکة فی الخلع و الزیّ ۲۷۳

ذکر عادة السلطان فی الکتابة علی التقالید ۲۷۴

ذکر معاملة مصر ۲۷۴

ذکر کوکب الذنب ۲۷۵

ذکر بقیة لطائف مصر ۲۷۵

السبب فی کون أهل مصر أذلاء یحملون الضیم ۲۸۶

ذکر النیل ۲۸۹

أثر متصل الإسناد فی أمر النیل ۲۹۰

ذکر مزایا النیل ۳۰۱

ذکر ما قیل فی النیل من الأشعار ۳۰۳

ذکر البشارة بوفاء النیل ۳۱۰

ذکر المقیاس ۳۱۶

ذکر جزیرة مصر و هی المسمّاة الآن بالروضة ۳۱۸

ذکر خلیج مصر ۳۲۶

ذکر الخلیج الناصریّ ۳۲۸

ذکر برکة الحبش ۳۲۸

ذکر ما قیل فی الأنهار و الأشجار زمن الشتاء و الربیع من الأشعار ۳۲۹

ذکر الریاحین و الأزهار الموجودة فی البلاد المصریة و ما ورد فیها من الآثار النبویة و الأشعار الأدبیة و الإشارات الصوفیة ۳۳۸

ما ورد فی الفاغیة ۳۳۸

ما ورد فی الورد ۳۳۸

حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۸۰

ما ورد فی النرجس ۳۴۴

ما ورد فی البنفسج ۳۴۶

ما قیل فی النّیلوفر ۳۴۸

البشنین ۳۵۰

ما ورد فی الآس ۳۵۱

ما ورد فی الریحان، و هو الحبق ۳۵۲

ما قیل فی المنثور، و هو الخیریّ ۳۵۴

ما قیل فی الیاسمین ۳۵۴
ما قیل فی النّسرین ۳۵۶
ما قیل فی الأقحوان ۳۵۷
ما قیل فی البان ۳۵۸
ما قیل فی الشقیق ۳۵۸
فی زهر النارنج ۳۵۹
فی الخشخاش ۳۶۰
فی نور الکتان ۳۶۰
ذکر الفواکه ۳۶۱
ما ورد فی البطیخ ۳۶۱
ما ورد فی الرّمان ۳۶۲
فی جلّنارة ۳۶۳
ما ورد فی الموز ۳۶۳
ما ورد فی النخل ۳۶۴
ما ورد فی الأترج ۳۶۶
ما ورد فی القصب ۳۶۷
فی الکمّثری ۳۶۷
فی الخوخ ۳۶۷
ما ورد فی التین ۳۶۷
فی اللوز الأخضر ۳۶۸
ما قیل فی المشمش ۳۶۹
حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة، ج۲، ص: ۳۸۱
ما قیل فی النّبق ۳۶۹
ذکر الحبوب و الخضروات و البقول ۳۶۹
فی سنابل البرّ و الشعیر ۳۶۹
فی الباقلّا ۳۷۰
فی القثّاء ۳۷۱
فی الخیار ۳۷۱
فی الفقّوس ۳۷۱
فی القرع ۳۷۱
فی الباذنجان ۳۷۲
فی السّلجم ۳۷۲
فی الفجل ۳۷۳

فی الجزر ۳۷۳
فی الثّوم ۳۷۳
فی النّمام ۳۷۴
فی النعناع ۳۷۴
فی النارنج ۳۷۴
فی الليمون ۳۷۵

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آبادی" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فی آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائيّ و اليدويّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخريّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹